النور الساطع في الليل البهيم
في تفسير القرآن الكريم
من الفاتحة إلى نهاية سورة الكهف

للإمام أبي الحسن علي بن محمد الرسي (قرن – ٤ هـ)

دراسة وتحقيق

(المجلد الأول)

مراجعة وتصحيح طالب العلم الشريف

أحمد علي المهدي

تنبيهات: ١- في سورة التوبة ص٤١٣ في تفسير قوله تعالى إذ يقول لصاحبه - نقص عشرة أسطر أضفناها هنا كما هي في المخطوطتين وهي كلام المؤلف عليه السلام بنصه وفصه.

٢- قراءة المؤلف في كتابه هذه هي قراءة نافع قراءة أهل البيت عليهم السلام

٣- استخدم المؤلف كلمة (القِبَل) كثيراً ومعناها ما يلي (لأجل - من قِبَل - من جهة)

الجمهورية اليمنية

جامعة صنعاء

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الدراسات الإسلامية

٤- تنبيه: تم إضافة النقص في ص٤١٣ في تفسير قول الله تعالى (إذ يقول لصاحبه...) على مخطوطة الكتاب من قبل العلامة/ أحمد المهدي وأضيفت إلى متن الكتاب.

النور الساطع في الليل البهيم

في تفسير القرآن الكريم

من الفاتحة إلى نهاية سورة الكهف

للإمام أبي الحسن علي بن محمد الرسي (قرن ٤هـ)

(دراسة وتحقيق)

(المجلد الأول)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير

من الطالب/احمد يحيى احمد اللاحجي

(١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)


بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الثاني

حيـــاة المـؤلـف

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: شيوخه وتلامذته وما قيل فيه.

المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه.

المطلب الرابع: وفاته وآثاره.

المطلب الأول
اسمُه ونسبُه، ومولده

اسمه ونسبه :

السيد العلامة ترجمان علوم العترة وإنسان عيون أشرف أسرة أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن سليمان بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(١).

مولده :

بالرغم أن المعلومات عن العلامة علي بن محمد بن علي بن سليمان الرسي (رحمه الله) شحيحة جداً فلم نعرف زمن ولادته ووفاته؛ وسوف أقوم باستقراء المعلومات عنه حتى أستطيع التعرف على زمن نشأته بشكل تقريبي مما وجدناه في التراجم.

أولا: اذا كان السيد العلامة ابو العباس الحسني (المتوفى سنة:٣٥٣هـ) اخذ عن العلامة محمد بن علي الرسي – أبي المؤلف– والمؤلف اخذ عن ابيه(٢). فقد يكون المؤلف عاصر السيد العلامة أبا العباس الحسني.

ثانيا: ممن عاصر المؤلف الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، (المتوفى سنة:٤١١هـ)، وأخوه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني، (المتوفى سنة:٤٢٤هـ) وقد روى عنهم محمد بن علي الجيلي(٣) وهو احد تلاميذ المؤلف كما سيأتي .

ثالثا: العلامة زيد بن علي بن أبي القاسم الهوسمي(٤) قال: "قرأت شرح التجريد على القاضي أبي يوسف القزويني(٥)، وقرأت كتاب الأحكام وسمعته من القاضي جعفر بن محمد الجيلاني –

---

(١) انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٢٧٥/٣}.

(٢) انظر: الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ، للامام أبي طالب، {١٢٩}.

(٣) محمد بن علي الجيلي، أبو جعفر القاضي العالم. يروي (الأحكام) للهادي يحيى بن الحسين عن السيد أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، وعن السيد أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان بن القاسم الرسي بقراءته عليهما. انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {١٠٤٥}.

(٤) زيد بن علي بن أبي القاسم الهوسمي الزيدي (ت: ق٥هـ)، أبو الحسين العالم. قال ما لفظه: قرأت (شرح التجريد) على القاضي أبي يوسف القزويني ورويته عنه رواية له عن المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، وقرأت كتاب (الأحكام) وسمعته من القاضي السعيد أبي جعفر محمد بن علي الجيلاني رضي الله عنه، بقراءة الفقيه العالم سليمان بن عيسى بهوسم في شهر صفر سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وكان القاضي رحمه الله رواه لنا عن الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون، وعن السيد أبي الحسين علي بن محمد بن علي بن سليمان بن القاسم بن إبراهيم الرسي. انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٤٥٠-٤٥١}.

(٥) عبد السلام بن محمد القزويني (٣٩٣هـ - ٤٨٨ هـ) العلامة الحافظ صاحب التفسير، أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني الزيدي، نزيل (بغداد)، قال الذهبي في (النبلاء): سمع أبا عمرو بن مهدي، والقاضي عبد الجبار بن أحمد. انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٣٠/٣}.

رضي الله عنه - بقراءة الفقيه العالم سليمان بن عيسى[١]، بهوسم[٢]، في شهر صفر، سنة خمس وخمسين وأربعمائة؛ وكان القاضي ـ رحمه الله ـ رواه لنا عن الإمام أبي طالب، يحيى بن الحسين بن هارون، وعن السيد أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان بن القاسم بن إبراهيم الرسي"[٣].

ومن هذه الشواهد نتوصل الى أن المؤلف (رحمه الله) عاش في الجيل والديلم في القرن الرابع الهجري أما بالنسبة لمولده، فيبدو أنه من مواليد منتصف القرن الثالث الهجري في الجيل والديلم[٤] والله أعلم.

فهو من أقران الأخوين الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، والإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني.

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هَوْسَم: بالفتح ثم السكون والسين مهملة: من نواحي بلاد الجيل خلف طبرستان والديلم معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت، {٥/٤٢٠}.

(٣) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٤٥٠-٤٥١}.

(٤) بلاد الجيل: في ساحل بحر الخزر الجنوبي، والبحر في شماليها ويمتد من جهة الشرق من حدود طبرستان مغربا إلى موغان، والديلم بلد حزن حدّ له إلى طبرستان شمالي بلادهم على بحر الخزر. المسالك والممالك: الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت: ٣٨٠هـ) جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، باب كلار، {١٤٩}.

المطلب الثاني
شيوخه وتلامذته وما قيل فيه.

ذكر في طبقات الزيدية الكبرى أنه أخذ عن أبيه محمد بن علي بن سليمان، وعن الهادي يحيى بن محمد الذي يروي كتب الأئمة منها (الأحكام) و(المنتخب) عن عمه أحمد بن الهادي عن أبيه الهادي يحيى بن الحسين[١].

أمَّا تلامذتُه : القاضي يوسف الخطيب[٢] وأبا جعفر محمد بن علي الجيلي[٣].

قال في طبقات الزيدية الكبرى[٤]: "إن ممن أخذ عنه القاضي يوسف الخطيب وأبا جعفر محمد بن علي الجيلي[٥].

قال القاضي في وصف علي بن محمد الرسي: السيد العلامة ترجمان علوم العترة، وإنسان عيون أشرف أسرة، ذكر نسبه الشيخ أحمد بن محمد الرصاص في كتاب (مقدمة المناهج)، وله كتاب الكافي ينقل عنه الأمير الحسين[٦] في (التقرير)[٧]. وكتاب (الأحكام) سمعه القاضي السعيد أبو جعفر محمد بن علي الجيلاني رضي الله عنه، بقراءة الفقيه العالم سليمان بن

---

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٧٧٧-٧٧١}.

(٢) القاضي يوسف الخطيب الجيلاني. صحب الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ستة عشر عاما. التبصرة: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الحسني. تحقيق: عبد الكريم جدبان. {٧}

(٣) محمد بن علي الجيلي، أبو جعفر القاضي العالم. يروي (الأحكام) للهادي يحيى بن الحسين عن السيد أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، وعن السيد أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان بن القاسم الرسي بقراءته عليهما. انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {١٠٤٥}.

(٤) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٧٧٧}.

(٥) صفحة غلاف نسخة المخطوط (ب).

(٦) الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسين الأمير الكبير الحافظ محدث العترة وله التصانيف الكثيرة منها (شفاء الأوام)، و(التقرير)، و(شرح التحرير)، و(المدخل)، و(البديعة)، و(الينابيع)، و(الإرشاد)، ومصنفاته شاهدة بفضله وتقدمه، توفي عام (٦٦٢ هـ)، وعمره ثمانون وقيل ستون وقبره برغافة مشهور. انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٣٢٧}.

(٧) التقرير في شرح التحرير (فقه) في أربعة مجلدات - ج١ رقم ٢٣٢٩، ج٤ رقم ٢٧٤، ج ٤، ٥، ٦ برقم ١٢٠٣، ج٥ برقم ١٢٧٩ مكتبة الأوقاف الجامع الكبير، وأخرى خطت سنة ٦٣٦هـ في مكتبة خاصة بصنعاء، وثلاثة مجلدات مصورة في مكتبة السيد محمد عبد العظيم الهادي. أعلام المؤلفين الزيدية: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط٢، الأمير الحسين بدر الدين، {٣٦٧}.

عيسى بهوسم في شهر صفر سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وكان القاضي رحمه الله رواه لنا عن الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون، وعن السيد أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن سليمان بن القاسم بن إبراهيم الرسي[(١)].

وقال عنه في طبقات الزيدية الكبرى أن (المنتخب) و(الأحكام)، و(أمالي أحمد بن عيسى) وغير هذه الكتب عن الناصر وغيره[هذا] إسناد الأئمة السادة أبي العباس والأخوين والرسي عليهم السلام بديلمان ، عن أبي الحسين الهادي يحيى بن محمد المرتضى[(٢)].

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٤٥٠-٤٥١}.

(٢) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {١٢٧٣}.

المطلب الثالث
عقيدتُه ومذهبُه

أما عقيدة المؤلف -رحمه الله- فمن خلال بيئته ومشائخه وطلابه وكتابه الذي بين يدينا، يتسنى للقارئ ما يلي:

١- أن المؤلف (رحمه الله تعالى) زيدي المذهب؛ إذ نشأ ودرس في بيئةٍ زيديةٍ، ومؤلفه هذا خير شاهد ودليل على ذلك؛ إذ صرح في مقدمة هذا الكتاب بقوله "رحمه الله": وأكثره عن آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله[١].

٢- أما بالنسبة للعقيدة فما ذكره في مقدمة كتابه النور الساطع حيث قال: فهو الله المتعالي عن شبه المخلوقين، المتبرئ من خلق أفعال المخلوقين المربوبين، صادق الوعد والوعيد، الرحمن الرحيم بالعبيد، الواحد الدائم، الأحد الفرد، والقدوس الصمد، القديم الذي لا يشبهه أحد، ولا يغيره الأبد، فذلك الله الواحد الفرد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد[٢].

٣- وما ذكره من مسائل في العدل والتوحيد. وقال المؤلف- رحمه الله- وقد ذكرت الرد على المشبهة[٣] والمجبرة[٤]، وأهل الإلحاد، وجعلته صدر الكتاب الذي سميناه: ضياء الحكمة ومعدن العصمة[٥].

---

(١) انظر: نسخة النورالساطع اللقطة رقم {٢}.

(٢) انظر: نسخة النور الساطع اللقطة رقم {٣}.

(٣) المشبهة: هم الذين شبهوا ذات الله تعالى بذات غيره، وصفاته بصفات غيره. الاعتِصَام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير ج١، د سعد بن عبد الله آل حميد ج٢، د هشام بن إسماعيل الصيني ج٣، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، باب الملاحق تعريف الفرق، {٣٦٧/٣}. من أقوالهم: قالت فرقة منهم إن الله جل وتعالى خلق آدم صلى الله عليه على خلق نفسه، وإنه يضحك حتى تبدوا نواجذه، وقالت فرقة بل هو نور من الأنوار يكل عنه النظر ولا ينفذه البصر. وزعموا في زعمهم أن لله عرشاً مشتملاً عليه، وأن النبي صلى الله عليه وعلى أهله أسري به إلى السماء ووصل إلى الله عز وجل ووجد برد أنامله في جسده، وأنه سمع الله سبحانه وهو يقول: كن كن. وقالت فرقة أيضاً إن الله تعالى ذكره يظهر يوم القيامة ويُرى عياناً. وإنه يكون يوم القيمة جالساً على العرش، ورجلاه على العرش، وإنه يكشف لهم ساقه ويحتجب عن الكفار فلا يرونه، فصغروا الله، سبحانه وجل ثناؤه، غاية التصغير، وجهلوا قول الله: (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) انظر: مجموع رسائل الامام الهادي إلى الحق القويم يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام (الرسائل الأصولية)، تحقيق: عبد الله بن محمد الشاذلي تقديم السيد العلامة المجتهد أبي الحسنين مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، كتاب تفسير الكرسي {٢٠٥}.

(٤) المجبرة: "هم من يقولون إنّ أفعالهم من الله تعالى أنّ الله تعالى يجوز أن يعاقب المطيع وأن يثيب العاصي فلا في الطّاعة". انظر: الرَّوضُ البَاسِمُ في الذّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلّمَ - (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني): ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (ت: ٨٤٠هـ) تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، {٥٠٦/٢}.

(٥) انظر: نسخة النور الساطع اللقطة رقم {٣}. الكتاب مفقود.

٤- له كتاب الكافي ينقل عنه الأمير الحسين في (التقرير). قال: ابن مظفر: هو على فقه القاسم والهادي جميعاً.

٥- قال: في طبقات الزيدية الكبرى: إن علي بن محمد بن علي الرسي يروي كتب الأئمة منها (الأحكام) و(المنتخب) عن الهادي يحيى بن محمد عن عمه أحمد بن الهادي عن أبيه الهادي يحيى بن الحسين، عن آبائه[1].

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٧٧٧}.

المطلب الرابع
وفاته وآثارُهُ

وفاته:

لم تذكر كتب التراجم سنة وفاته إلا أنها ذكرت أقرانه، لقد كان من أقرانه(رحمه الله) الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، والإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني، المولودان تباعاً سنة ٣٣٣ هـ و ٣٤٠ هـ، ويظهر أنه عاش الى النصف الأول من القرن الرابع الهجري، فقد كان أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني المتوفى (٣٥٣هـ) قد سمع من أبي المؤلف بقوله سمعت محمد بن علي بن سليمان الرسي رحمه الله(١) ، وصرح بالسماع من والده، فيحتمل أنه كان صغيرا تقريباً، فتكون وفاته بعد العشرين والأربعمائة تقريباً والله اعلم.

وقد ذكر في مصادر التراث أنه توفي في نحو(٥٠٠هـ)(٢).

من آثاره:

١- له كتاب الكافي ذكره المؤلف في كتابه هذا فقال: فيعطون قدر مواريثهم على ما بيناه في كتاب الكافي(٣).

فقال في مطلع البدور: السيد العلامة ترجمان علوم العترة وإنسان عيون أشرف أسرة أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن سليمان بن القاسم بن إبراهيم الرسي - عليهم السلام - هكذا ذكر نسبه الشيخ المحقق أحمد بن محمد بن الحسن الرصاص المعروف بالحفيد في كتابه (مقدمة المنهاج)، وله كتاب (الكافي)(٤) ينقل عنه الأمير الحسين في (التقرير).

٢- وله كتاب النور الساطع في التفسير.

وهذا الكتاب الذي بين يدينا الموسوم با (النور الساطع في الليل البهيم في تفسير القرآن الكريم) يقع في جزأين الأول بين يديك والجزء الثاني مفقود.

قال عنه في مطلع البدور: كتاب عظيم المقدار وهذا السيد قد يعرف بالمفسر(٥).

٣- ضياء الحكمة ومعدن العصمة.

ذكره في مقدمة (النور الساطع) وهو في أصول الدين لم نستطع الحصول عليه(٦).

(١) انظر: الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية، للإمام أبي طالب، {١٢٩}.

(٢) مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن: الأستاذ عبد السلام عباس الوجيه، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية) {٢٤٧}.

(٣) نسخة النور الساطع اللقطة رقم {٩٧}.

(٤) مفقود لم نتوصل اليه.

(٥) انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٣/٣٢٠-٣٢١}.

(٦) نسخة النور الساطع ، اللقطة رقم {٣}.

المطلب الثاني
وصف المخطوطات

النسخة الأصل (النور السا طع في الليل البهيم) رمزت لهـا بـالحرف (أ) ورُمـزت للنسـخة الأخرى (الوسيط بين المقبوض والبسيط) بالحرف (ب).

النسخة الأولى (الأم):

اسمُها: النور الساطع في الليل البهيم في تفسير القرآن الكريم (هذه التسمية على غلاف الجزء الأول).

١- الخط نسخي قديم، لم يُعرف تاريخ نسخها بالضبط، ولا يوجد عليها أي دلالة على ذلك.

٢- الآيات القرآنية المُفسَرَة بلون أحمر.

٣- عدد الصفحات (٢٧٤) وعدد الأسطر (٢٩) ما يقارب (٤٠٠) كلمة لكل لوح، عدد اللقطـات (١٤٠) لقطة.

٤- الجزء الأول من أول القرآن إلى سورة الكهف.

٥- يوجد على الصفحة الأولى من وقف سيدي العلامة علي بن محمد بن ابرهيم بنظر حمـود بـن عباس المؤيد حرر شهر محرم ١٣٩٠هـ.

٦- تبدأ المخطوطة بالحمد والثناء، وتنتهي بقوله نزلت هذه الآية في جندب بن زهير العامري، وهـي كلها مكية.

٧- جاء في الصفحة (١٨٩) بياض خمسة أسطر.

النسخة الثانية (ب):

اسمُها: الوسيط بين المقبوض والبسيط. تأليف السيد الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بـن سليمان بن القاسم بن إبراهيم الرسي الحسني، أجزل الله ثوابه وجعل الجنة مآبه، بحق محمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم.

الناسخ: مجهول، نسخة برسم [بعناية] الإمام التوكل على الله إسماعيل بت القاسـم (١٨ شـوال-١٠٧٥هـ)(١).

١- الخط نسخي قديم، مصور وعلى صفحة الغلاف ترجمة نقلت من طبقات الزيديـة الكبـرى، وعلى الغلاف ختم مكتبة الجامع الكبير(٢).

(١) انظر: نسخة الوسيط، اللقطة الأخيرة.

(٢) انظر: غلاف نسخة المخطوط (ب).

٢- قال في ورقة عنوان هذا المخطوط: قال في الأم نسخة مقصوصة على نسخة السماع بحمد الله ومنه. قالت في الأم أيضاً: وسمع عني هذا الكتاب جملةً القاضي الأجل نظام الدين علـــي بن زيدان بقراءته على الأمير الأجل نظام الدين الفضل بن علي بن المظفر العباسي مناولة، وعبد الله بن الحسن الرصاص مناولة[١].

فأجزت لهم روايته عني على الوجه الذي سمعوه عليه وأنا أرويه عن سيدنا القاضي الأجل شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى رضوان الله عليه مناولةً، وأنا بريء من التصحيف والتحريف، وكتب محمد بن أحمد بن علي بن الوليد[٢] حامداً لله مصلياً على محمد وآله[٣].

٣- عدد الصفحات (٣٠٠) لوحاً، عدد الأسطر في الصفحة (٢٩) سطراً، وعدد اللقطات (١٥٠).

٤- حصلت على نسخة إلكترونية من مركز بدر العلمي والثقافي، ثم أخرجتها ورقية.

٥- لا يوجد عليه حواشٍ، أو تعليقات؛ إلا القليل النادر.

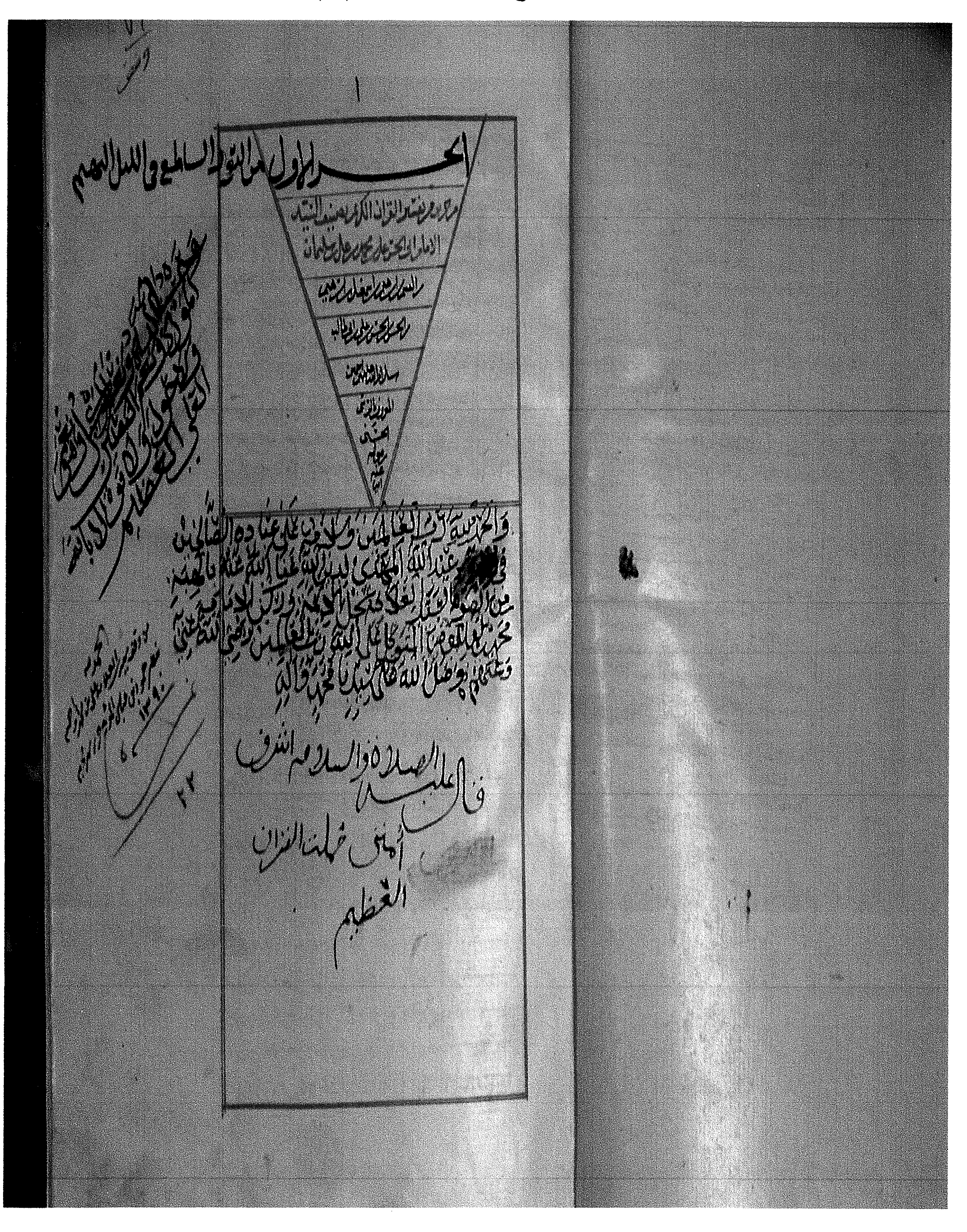
---

(١) بياض بعد خمسة سطور.

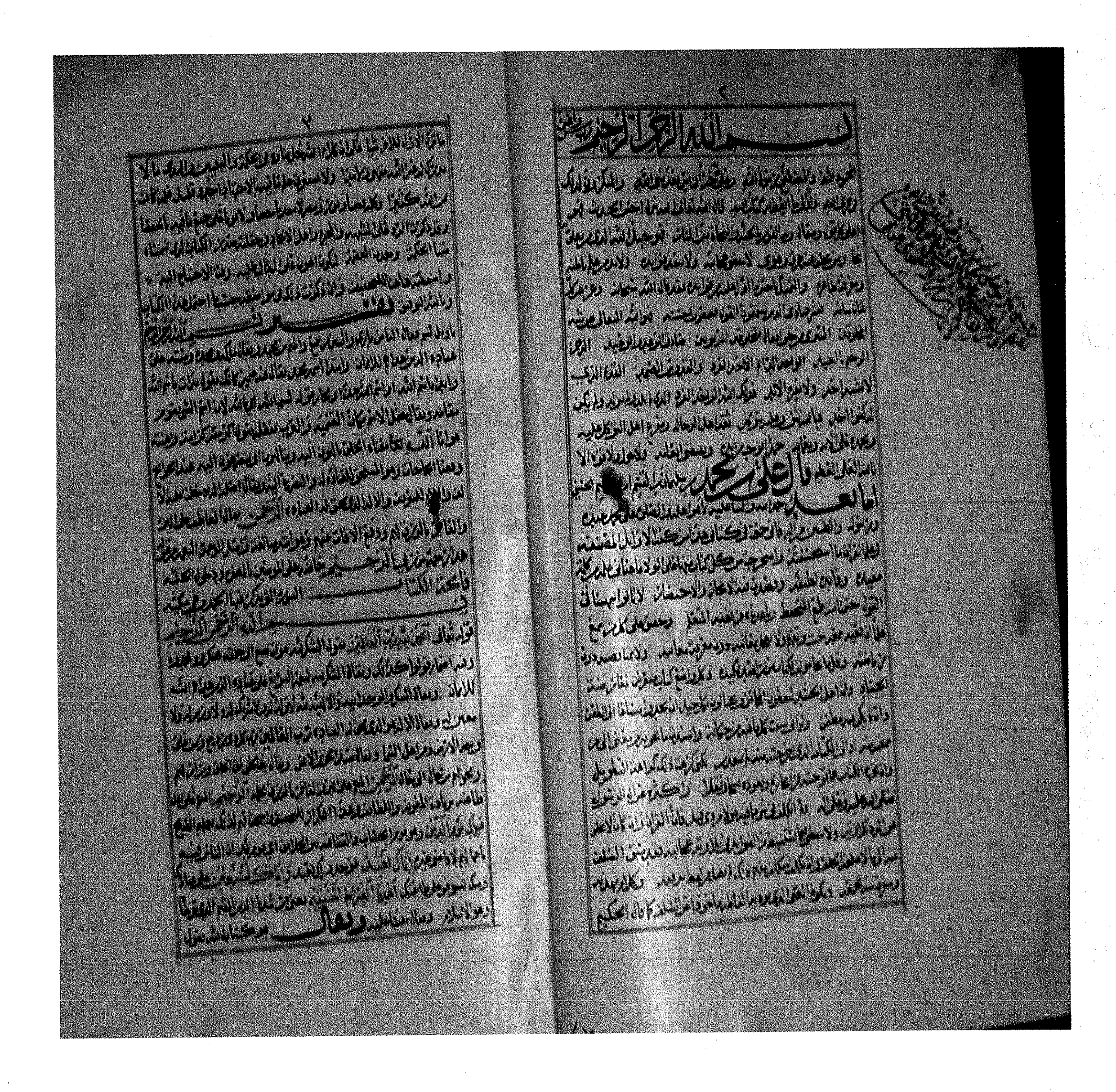
(٢) الشيخ محيي الدين محمد بن أحمد بن علي بن الوليد شيخ الإمام الحجة المنصور بالله عبدالله بن حمزة. انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، {٨٣٣}.

(٣) أنظر: نسخة الوسيط اللقطة رقم {٢}.

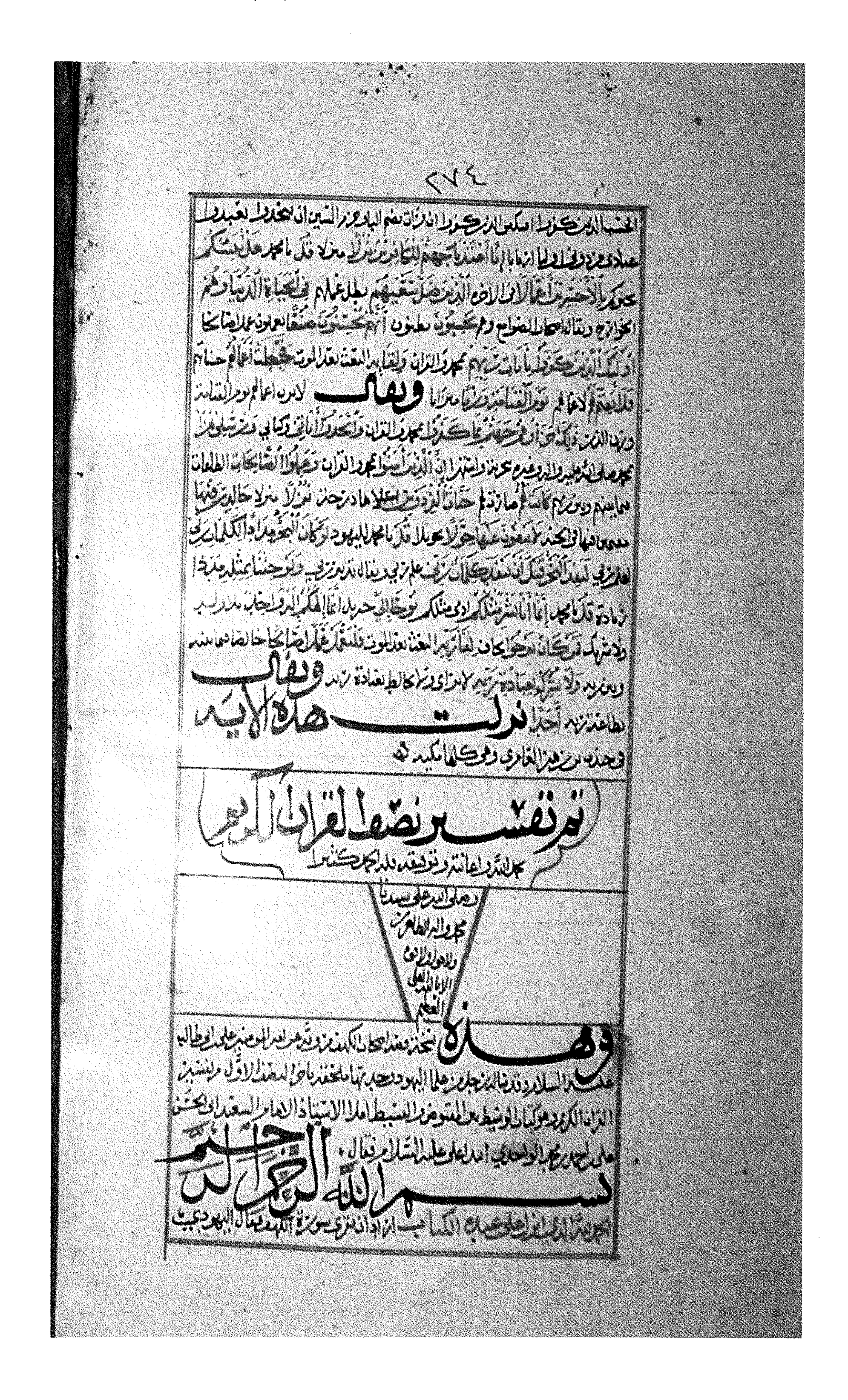
صور ونماذج من المخطوطات (أ)



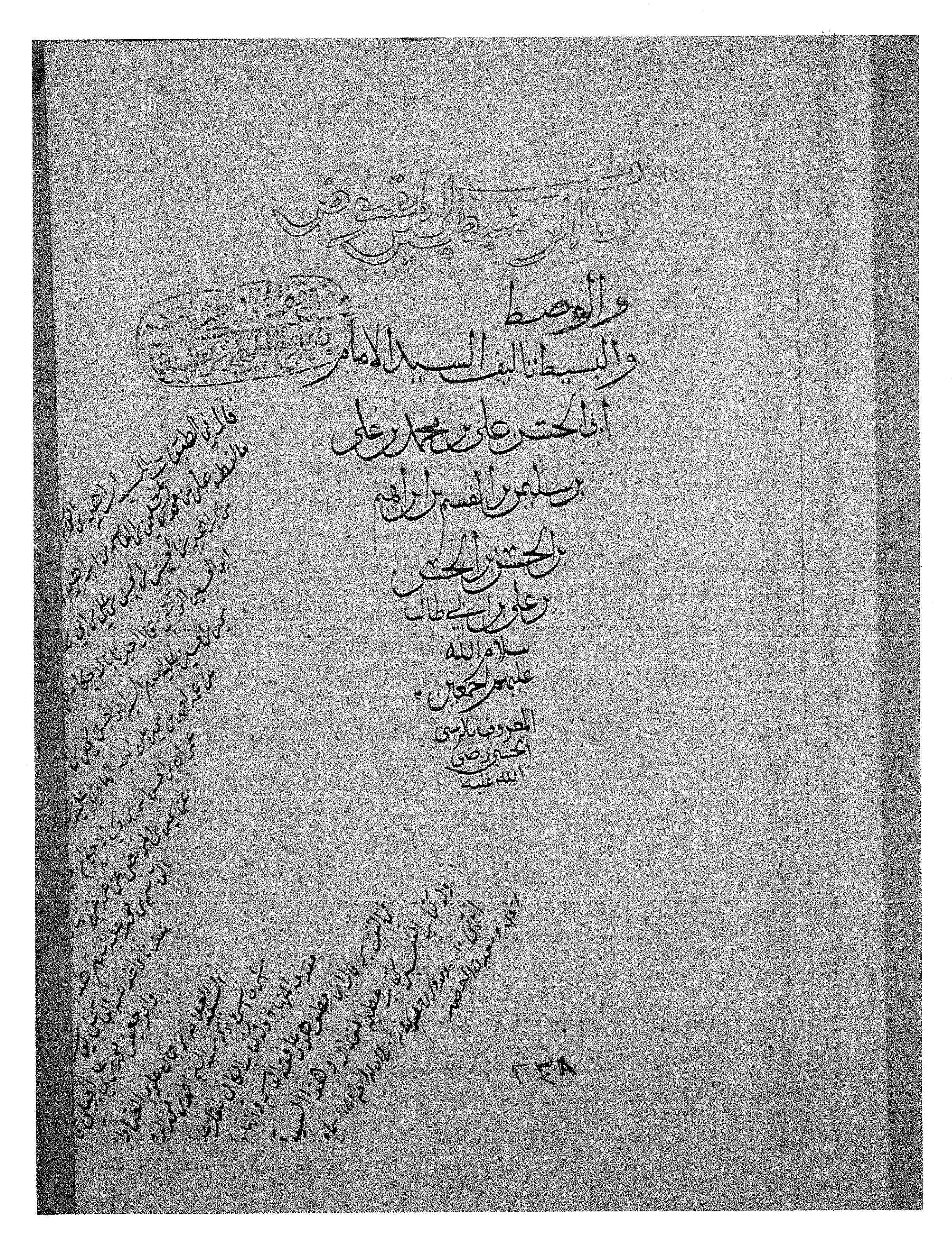
صورة بداية النسخة (أ) اللوح (١-٢).



صورة نهاية النسخة (أ).



صورة غلاف النسخة (ب).



[illegible]

والوسط

والبسيط تأليف السيد الإمام

أبي الحسن علي بن محمد بن علي

بن سليمان بن القسم بن إبراهيم

بن الحسن بن الحسن

بن علي بن أبي طالب

سلام الله

عليهم أجمعين

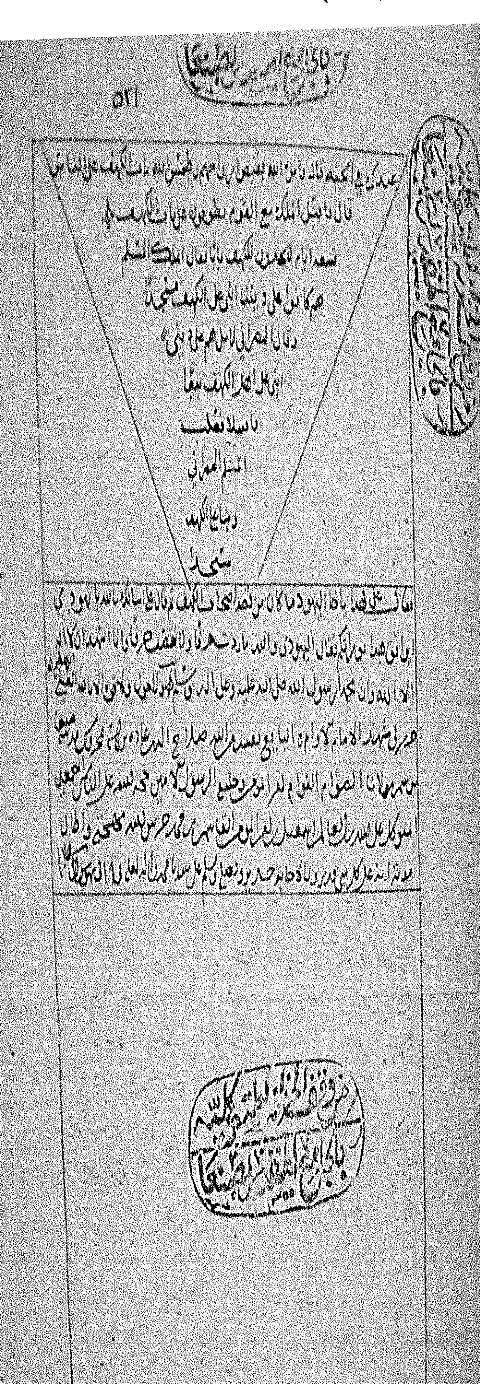
المعروف بالرسي

الحسني رضي

الله عليه

صورة بداية النسخة (ب) اللوح (١).

صورة نهاية النسخة (ب).



الباب الثاني
النص المحقق والخاتمة وتحتوي على النتائج والتوصيات

مقدمة المؤلف:

رب يسر، وأعن، المحمود الله، والمصطفى رسول الله، وعلي خير الناس بعد نبي الله، والمنكرون لذلك في خزي الله، وأولى ما اتعظ به كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[1] فهو أعلى كل قول ومقال، وبه الفوز بالجنة والنجاة من النار.

فهو حبل الله الذي من تعلق به نجا، ومن تخلف عنه غرق وهوى، لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد فوائده، ولا بد من علم باطنه ومعرفة ظاهره، والتمسك بأحسن ما دل عليه من فوائده، فقد قال الله سبحانه وعز عن كل شأن شأنه ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [2] .

فهو الله المتعالي عن شبه المخلوقين، المتبرئ من خلق أفعال المخلوقين المربوبين، صادق الوعد والوعيد، الرحمن الرحيم بالعبيد، الواحد الدائم الأحد الفرد، القدوس الصمد، القديم الذي لا يشبهه أحد، ولا يغيره الأبد، فذلك الله الواحد الفرد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

فبالله نثق وعليه نتوكل، ثقة أهل الرجاء له، ومفزع أهل التوكل عليه، ونحمده على آلائه ونعمائه حمداً يوجب مزيده، ويقتضي إنعامه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال علي بن محمد [بن علي[3]]بن سليمان[4] بن القاسم بن إبراهيم الحسني:

أما بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على محمد عبده ورسوله، والطيبين من آله.

فإني جمعت في كتابي هذا من كتب الأوائل المصنفة في علم القرآن ما استحسنته، واخترت من كل كتاب منها على الولاء ما عناني[5] علمه من كلمة مفيدة، وفائدة لطيفة، وقصدت فيه الإيجاز والاختصار، لأنا لو أسهبنا في القول حسمنا منه طمع المتحفظ، وباعدناه من بغية المتعلم.

وحقيق على [كل[6]] من سمع علماً أن يعي مسمعه بتثبيت وتفهم، ولا يعجل بمغانيه دون معرفة معانيه، ولا مناقضته دون رياضته، وقل ما نجا مؤلفٌ لكتابٍ من راصد بمكيدة، وكل

---

(١) الزُّمَر: ٢٣

(٢) الزُّمَر: ١٧.

(٣) سقط في (أ).

(٤) السيد الكبير حافظ علوم آبائه سليمان بن القاسم بن إبراهيم نجم آل الرسول (ق-٣هـ) سلام الله عليهم. مطلع البدور ومجمع البحور، لابي الرجال، {٣٥٧/٢}.

(٥) يقال: عُنِيَ بالشيء فهو مَعْنِيٌّ به وأعْنَيْته وعَنَّيْته بمعنى واحد. واعْتَنى هو بأمره اهْتَمَّ وعُنِيَ بالأمر عناية. انظر: لسان العرب، لابن منظور ، {١٠١/١٥}.

(٦) سقط في (أ).

واضع كتاب متعرض لمغارضة الحساد، وإن أهل الحسد ليغطون المحاسن ويحتالون بكل حيل، أن يجدوا مساغاً إلى الطعن، وإن لم يكن فيه مطعن.

ولو أني نسبت كل ما فيه من حكاية، وأسندت ما يحويه من معنى إلى من سمعته منه أو إلى الكتاب الذي أخرجته منه لم يتعذر، لكني كرهت ذلك كراهة التطويل وأن يخرج الكتاب عما توخيته من إيجازه، ونُفرده نسخاً ونقلاً، وأكثره عن آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله، ولم أتكلف في شيء مما فيه قولاً من ذي قيل، فإن القرآن وإن كان لا تخلق عن الرد تلاوته[1]، ولا تنقضي فيما يستنبط من الفوائد في تلاوته عجائبه، فقد سبق السلف منه إلى مالا يبلغه الخلف، وإن تكلف متكلف منهم ذلك لم يصل من لفظ يرققه، وكلام يهذبه، ومتفرق منه يجمعه، ويكون المعنى الذي تؤديه ألفاظه مأخوذاً عن السلف كما قال الحكيم: ما ترك الأول للآخر شيئاً.

على أن كلام الله جل ثناؤه في الحكمة والتبيين والهدى ما لا يدرك له غير الله منتهى ولا مدى.

ولا يستغرق علم ما فيه بالاجتهاد أحد وقليل علمه فكان بمن الله كثيراً، وكله ضياء ونور وتبصرة لا ينفد بإحصاء، ولا يؤتى على جميع ما فيه باستقصاء، وقد ذكرت الرد على المشبهة[2]، والمجبرة[3]، وأهل الإلحاد، وجعلته صدر الكتاب الذي سميناه: ضياء الحكمة ومعدن العصمة[4]، ليكون أهون على الطالب طلبه وقت الاحتياج إليه، وأسقطته ها هنا للتخفيف، وإن ذكرت ذلك في مواضعه حسب ما احتمل هذا الكتاب وبالله التوفيق.

---

(١) أحد أوجه إعجاز القران الكريم. انظر المصابيح الساطعة الانوار تفسير أهل البيت عليهم السلام: عبد الله بن أحمد الشرفي (ت-١٠٦٢هـ)، تحقيق محمد قاسم الهاشمي وعبد السلام الوجيه، مكتبة التراث الإسلامي، أشرف عليه السيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي -صعدة، باب أوجه إعجاز القرآن الكريم {٨٨/١}.

(٢) نحلة دينية يشبه أصحابها الخالق بالمخلوقات. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٢٠٥}.

(٣) المجبرة: هم من يقولون أنّ أفعالهم من الله تعالى، وأنّ الله تعالى يجوز أن يعاقب المطيع وأن يثيب العاصي. انظر: الرَّوضُ البَاسمْ في الذّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القاسِم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ - (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني): ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (ت: ٨٤٠هـ) تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع {٥٠٦/٢}.

(٤) الكتاب للمؤلف وهو مفقود.

تفسير ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

تأويل اسم، يقال: الباء من بارئ، والسين من سميع، والميم من مجيد، ويقال: ملكه ومجده ومنته على عباده الذين هداهم للإيمان، وابتداء اسمه مجيد يقال فيه ضمير كأنك تقول: بدأت باسم الله، وأبدأ باسم الله، أو اسم الله هذا، ومجاز قوله: بسم الله، أي بالله لأن اسم الشيء يقوم مقامه[١]، ويقال: جعل الاسم مكان التسمية، والعرب تفعله يقول: أكرمته كرامة وأهنته هوانا[٢].

﴿الله﴾ تعالى معناه: الخلق يألهون إليه، ويتألهون، أي يتضرعون إليه عند الحوائج وقضاء الحاجات، وهو المستحق [٣] للعبادة [له[٤]] والتضرع إليه، ويقال: أصله إله أدخلت عليه الألف واللام للتعريف، والإله الذي يحق له العبادة[٥].

﴿الرَّحۡمَٰنِ﴾ يقال العاطف على البر والفاجر بالرزق لهم، ودفع الآفات عنهم، وهو أشد مبالغة، وأصل الرحمة النعمة من قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾[الكهف من الآية:٩٨].

﴿الرَّحِيمِ﴾ خاصة على المؤمنين بالمغفرة ودخول الجنة.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، باب سورة الفاتحة {٩٨/١}.

(٢) القول في تأويل قوله: {بِسْمِ}. قال أبو جعفر: إن الله تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه أدّب نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديمَ ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدَّم إليه في وَصفه بها قبل جميع مُهمَّاته ، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلّمه إياه، منه لجميع خلقه سُنّةً يستنُّون بها ، وسبيلا يتَّبعونه عليها، فبه افتتاح أوائل منطقهم ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: "بسم الله"، على من بطن من مراده الذي هو محذوف. وذلك أن الباء من "بسم الله" مقتضية فعلا يكون لها جالبًا، ولا فعلَ معها ظاهرٌ، فأغنت سامعَ القائل "بسم الله" معرفتُه بمراد قائله، عن إظهار قائل ذلك مُرادَه قولا إذْ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرًا، قد أحضرَ منطقُه به -إمّا معه، وإمّا قبله بلا فصْلٍ- ما قد أغنى سامِعَه عن دلالةٍ شاهدةٍ على الذي من أجله افتتح قِيلَه به. فصار استغناءُ سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه، نظيرَ استغنائه - إذا سمع قائلا قيل له: ما أكلت اليوم؟ فقال: "طعامًا" - عن أن يكرِّر المسئولُ مع قوله "طعامًا"، أكلت، لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه، بتقدُّم مسألة السائل إياه عما أكل. فمعقول إذًا أنّ قول القائل إذا قال: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم افتتح تاليًا سورةً، أن إتباعه "بسم الله الرحمن الرحيم" تلاوةَ السورة، يُنبئ عن معنى قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم" ومفهومٌ به أنه مريد بذلك: أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. وكذلك قوله: "بسم الله" عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله، ينبئ عن معنى مراده بقوله "بسم الله"، وأنه أراد بقِيلِه "بسم الله"، أقوم باسم الله، وأقعد باسم الله. وكذلك سائر الأفعال. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الباب ١{١١٤/١}.

(٣) في (ب): مستحق.

(٤) في (ب): له.

(٥) (الله) علم على الإله المعبود بحق أصله إله دخلت عليه ال ثم حذفت همزته و أدغم اللامان.انظر المعجم الوسيط {٥٢/١} وانظر البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ،سنة الطبع: ١٤٢٠ هـ ، باب سورة مريم{٤٠٦/٦}.

فاتحة الكتاب[1]

السورة التي يذكر فيها الحمد، وهي مكية[2].

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١]

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] يقول: الشكر لله هو أن صنع إلى خلقه فشكروه فحمدوه[3]، وفيه إضمار قولوا كذلك، ويقال: الشكر لله لنعمه السوابغ على عباده، الذين هداهم الله للإيمان، ويقال: الشكر والوحدانية والإلهية لله، لا ولد له، ولا شريك له ولا وزير له ولا معين له، ويقال: الإله هو الذي يحق له العبادة رب العالمين رب كل ذي روح، ومن على[4] وجه الأرض ومن أهل السماء، ويقال: سيد الجن والإنس، ويقال: خالق الخلق ورازقهم، ومحولهم من حال إلى حال.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾المنعم على البر والفاجر بالرزق كله [بحلمه[5]].

﴿الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]المنعم على أهل طاعته بزيادة المعونة واللطائف[6]، وهذا التكرار للتخصيص، واستحقاقهم لذلك بعملهم الصالح.

---

(١) قال: رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّم قَالَ: «هِيَ أُمُّ القُرْآن، هِيَ فَاتِحَةُ الكِتَاب، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي» سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤،تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، باب الدليل على انها سبع آيات {٣٧٦/٢}.
سمّيت "فاتحة الكتاب"، لأنها يُفتتح بكتابتها المصاحف، ويُقرأ بها في الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة. وسمّيت "أم القرآن" لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخُّر ما سواها خلفها. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١١٧/١}.

(٢) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف: عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، تحقيق : عبد الله عبد الله أحمد الحوثي، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية) ، باب سورة العلق {٥٤٣/٥}.

(٣) نسخة (ب) هو أن صنع إلى خلقه فحمدوه.

(٤) نسخة (ب) دب على وجه الأرض.

(٥) سقط في (أ).

(٦) واللُّطفُ من الله تعالى: التوفيق والعِصمة وقال ابن الأثير في تفسيره اللّطيف هو الذي اجتمع له الرِّفق في الفعل والعلمُ بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدّرها له من خلقه. ابْنُ الأعرابي: لطف فلان يَلطُف إذا رَفَق لُطْفاً ويقال: لطف الله لك أي أوْصَل إليك ما تُحِب برفْق. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ {٣١٦/٩}.

﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]وهو يوم الحساب، والقضاء فيه بين الخلائق، أي يوم يدان الناس فيه بأعمالهم ولا قاضي غيره.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نوحد ولك نعبد.

﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] على عبادتك ومنك نتوفق على طاعتك.

﴿اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ [الفاتحة:٦]يعني أرشدنا الدين القيم الذي ترضى وهو الإسـلام، ويقال: ثبتنا عليه.

ويقال: هو كتاب الله، يقول: إهدنا إلى حلاله وحرامه، وبيان ما فيه، وكل هـذا طلـب اللطـف والزيادة، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]ويحتمل أن يريد طريق الجنة في الآخرة.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾(١) دين الذين مننت عليهم بالدين وهم أصحاب موسى عليـه السلام قبل أن يغير عليهم نعمة الله بأن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسـلوى فـي التيه، ويقال: هم النبيون.

﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾(٢)غير دين اليهود الذين غضبت عليهم، وخـذلتهم حـين تهـودوا ومالوا عن الطاعة.

﴿وَلاَ الضَّالِّين﴾ [الفاتحة:٧]ولا دين الضالين الذين ضلوا عن الإسلام وهم النصارى.

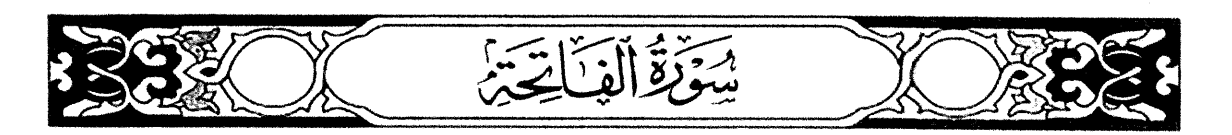
ويقال: أراد بذلك جميع الكفرة، ويقال: إنما استثنى غير المغضوب عليهم ولا الضالين من جملة من أنعم عليه، لأنه تعالى قد أنعم على الجميع.

---

(١) طريق الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. تفسير مقاتل بن سليمان المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط١- ١٤٢٣ هـ، باب سورة الفاتحة، {٣٦/١}.

(٢) المغضوب عليهم الذين يتعمدون المعاصي، ويعلمون أنهم عاصون، والضالون هم الذين يحسبون أنهم ناجون وهم عند الله هالكون. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١١٧/١}.

"هما خطّان يسيران في الحياة باستمرار، وما من عصر إلا وفيه من يسيرون على الصراط المستقيم، وفيه من هم مغضوب عليهم، وضالون، في كل عصر؛ لهذا الله أوجب علينا كمسلمين أن ندعوه دائماً {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}".



وروي عن ابن عباس[1] رحمة الله عليه أنه قال: ((إذا قال العبد الحمد لله، قال الله تعالى: شكرني عبدي، وإذا قال: رب العالمين، قال: عرفني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى علي عبدي – وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر الرحمن بأهل الدنيا أجمعين برهم وفاجرهم، ويرزقهم ويغذيهم، وهو الرحيم بمن أطاعه–، وإذا قال: ملك يوم الدين، قال عظمني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد، قال: وحدني عبدي، وإذا قال: وإياك نستعين، قال: توكل علي عبدي، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، وهو دين الإسلام، قال: قد فعلت وقد فعل))[2]

ولكن يزيد المؤمنين هدى إلى هداهم، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧].

(١) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، وأحد العبادلة الأربعة، بلغ الذروة في التفسير والفقه والأحكام، مع صغر سنه، استجابة لدعوة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حيث قال: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " حتى عُرف بحَبْر الأمة، وكان من الستة المكثرين من الرواية، حنكه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بريقه، فأصبح لا يجاريه أحد في فتاويه، وُلِدَ رضي الله عنه قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان بهيّ الصورة، جميل الطلعة، سمح المحيا ، كفَّ بصرُه في آخر عمره، وقضى آخر حياته بالطائف حتى توفي بها سنة ثمانٍ وستين من الهجرة، وله من العمر واحد وسبعون عاماً، روى عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ألفاً وستمائة وستين حديثاً، ولما مات صلى عليه محمد بن الحنفية ابن عمه، وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، باب عبد الله بن عباس {٣/٢٩١}.

(٢) أخرجه أبو طالب: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، تحقيق: عبد الله بن حمود العزي، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية)، الباب السادس عشر في ذر الصلاة {٣٧٦}وأخرجه البيهقي: سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ - ١٩٩٤،تحقيق : محمد عبد القادر عطا،باب تعيين القراءة {٢/٣٧٥}.

ومن السورة التي يذكر فيها البقرة

وهي مدنية(١).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قول الله عز وجل: ﴿الم﴾ [البقرة:١] يقول: الألف الله، لام جبريل، ميم محمد، ويقال الألف آلاؤه، واللام لطفه، والميم ملكه.

ويقال(٢): الألف ابتداء اسمه الله، واللام ابتداء اسمه لطيف، والميم ابتداء اسمه مجيد، ويقال(٣): أنا الله أعلم، ويقال(٤): قسم أقسم به، ويقال:(٥)أقسم بالحروف، لأنها مباني كتاب الله وجميع العلوم، وذكر البعض دون الكل لأنه دال على الباقي، و[كذا(٦)] الحلف بخلقه لأنه دال عليه، وعلى ربوبيته، وكل ما خلقه يدل على أنه صانعه صغيره وكبيره، وهو تعالى فوق كل شيء، فالحلف يكون بخلقه وفي كل ذلك تنبيه وتحقيق لمن أراد المعرفة من العبيد، ويقال: فيه إضمار ورب هذه الأشياء(٧).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٨/١}.

(٢) القول لابن عباس. انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت: ٦٨هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان، باب سورة البقرة {٣}

(٣) القول: للضحاك. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/١}.

(٤) القول عن عكرمة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢١٣/١}.

(٥) القول: للحسن البصري. انظر: تفسير الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، الباب ١{٤٢٠/٦}.

(٦) ثبت في(ب) وكذلك

(٧) وقد ذكر سبعة أوجه في الأحرف التي تبتدئ بها السور. أحدها: أن معناه: أنا الله أعلم وأفضل، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثاني: أنه قَسَمٌ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن الألف مفتاح اسمه «الله»، واللام مفتاح اسمه «لطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، قاله أبو العالية. والخامس: أن الم اسم للسورة، قاله الحسن. والسادس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والسابع: أنها بعض كلمة. ثم في تلك الكلمة قولان: أحدهما: المصوّر، قاله السدي. والثاني: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماوردي. انظر: زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ، باب سورة الأعراف =

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ إن هذا الكتاب الذي يقرأ عليكم محمد ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه أنه من عند ربه، فإن آمنتم به هديتكم، وإن لم تؤمنوا به عذبتكم، ويقال: ذلك الكتاب الذي وعدتك يوم الميثاق، ووقت ما أوجبت إليك وأوحيته إليك، ويقال: ذلك الكتاب يعني اللوح المحفوظ(١)، ويقال(٢): ذلك الكتاب، أعني التوراة(٣).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه، يعني في اللوح والتوراة، أن فيها صفة ونعت محمد صلى الله عليه وعلى آله.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] بيان للمتقين من الكفر والشرك، والفواحش، ويقال: كرامة للمؤمنين، ويقال: رحمة لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ما غاب عنهم من الجنة والنار والبعث والحساب وغير ذلك، ويقال بما أنزل من القرآن وما لم ينزل، ويقال: الغيب هو الله عز وجل.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها، وما يجب فيها من مواقيتها(٤).

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣] ومما أعطيناهم من الأموال يتصدقون، ويقال: يؤدون الزكاة وهم أمة محمد صلى الله عليه وعلى [آله وأصحابه](٥).

{١٠٠/٢}.

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، باب سورة البقرة {٢٢/١}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٨١/١}.

(٣) يَعْنِي بِهِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٢٧/١}.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٨/١}. " قال الله تعالى (يقيمون الصلاة)، يعون ما تعنيه تلك الأذكار والسور، والقيام والركوع، والاصطفاف صفا واحدا، خلف إمام واحد، في مكان واحد، واتجاه واحد، فينعكس ذلك في واقعهم، ولو حصلت التفاته، لكانت مفتاحا لكثير من أبواب الهداية. وكذلك فريضة الحج التي أصبحت طقوسا لا تؤدي ثمارها.

(٥) سقط في (أ).

﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ على سائر الأنبياء من الكتب ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤] وبالبعث بعد الموت ونعيم الجنة هم يصدقون، وهم أيضاً أصحابه ومن كان بهذا الوصف.

﴿أُوْلَـئِكَ﴾ أهل هذه الصفة[١] ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ على كرامة ورحمة وبيان نزل من ربهم﴿ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ [البقرة:٥] الناجون من السخطة والعذاب، ويقال[٢]: وأولئك الذين أدركوا ما طلبوا ونجو من شر ما منه هربوا، وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:٦] وثبتوا على الكفر ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ العظة ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ خوفتهم بالقرآن ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لا يريدون أن يؤمنوا.

ويقال: لا يؤمنون في علم الله[٤].

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ غطاء[٥].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ [البقرة:٧] شديد في الآخرة وهم اليهود كعب بن أشرف[٦]، وحيي بن أخطب[٧]، وجدي بن أحطب[١].

---

(١) يتضح أنه تعالى عرض صفات ملازمة لهم، ينطلقون في هذه الأعمال، سواء كانت واجبة ، أو مستحبة ، أو مندوبة ، الشي المهم عندهم أنها أعمال ترضي الله سبحانه وتعالى.

(٢) القول لابن عباس. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١/٢٥٠}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٣/٣}.

هو تشخيص لمن يتحركون على هذه النحو إلى يوم القيامة: أنهم هم المفلحون لا غيرهم ".

(٤) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {٤}

(٥) غطاء لا يبصر الحق، فهو بالخذلان، وترك التسديد لله لما سدد له المؤمنين؛ لا أنه فعل به شيئا من ذلك ، ولا حال بينه وبين الإهتداء ، تقدس الله تعالى عن ذلك وتعالى .ا لطبع يأتي من الله نتيجة عدم الاستجابة (كما لم يؤمنوا به أول مرة) أية ١١٠ الأنعام. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٢٣/٣}.

(٦) كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي. كانت امه " بني النضير " فدان باليهودية. وكان سيدا في أخواله. يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام. أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد وقعة " بدر " فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة. وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م {٢٢٥/٥}.

(٧) حُيَيّ بن أخطب اليهودي، قتله النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. وابنته صفية إحدى أمهات المُؤْمنين اصطفاها النَّبيّ صلى الله عليه وسلم. وأصحاب الحديث يقولون: حَيِيّ بكسر الحاء، وأهل اللغة يقولون حُيَيّ. المؤتلِف والمختلِف: أبو =

ويقال: هم المشركون من أهل مكة عتبة وشيبة، والوليد بن المغيرة، ويقال: الختم والطبع: السمة، والعلامة لتمييز الملائكة، ويقال: هو الحكم والشهادة عليهم بسوء فعلهم(٢).

وقوله: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ على سبيل الذم والتعيير، ويقال: إن الله لما تعبد الملائكة عليهم السلام بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين جعل على قلوب الكافرين وآذانهم وأبصارهم شبه الطبع والختم ليميزوهم عن سمات المؤمنين من غير أن يكون الطبع مانعاً لهم عن الإيمان(٣).

ويقال: هو على طريق التمثيل والتشبيه من غير أن يكون هناك طبع وختم، لكنهم لما أعرضوا عن سبيل الله كانوا كأنهم ختم على قلوبهم، وأسماعهم كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أنهم بمنزلة ذوي الآفات لإعراضهم عن الحق والهدى، كما قال على التمثيل: ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾(٤) وقد كانوا أحياء.

وعلى هذا قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾(٥)

لأنا نعلم ضرورة ألا غل في أعناقهم، ولو كانت في أعناقهم أغلال لم تمنعهم عن الإيمان كما لا يمنع المؤمنين لو كان في العنق غل، وبالله العصمة والتسديد(١).

الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ) تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م {٧٨٦/٢}.

(١) أمَّا جُدَيّ بن أَخْطب، أَخُو حُيَيّ بن أَخْطب ، هو عَمّ صَفِيَّة ، زوج النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يهوديًا. المؤتَلِف والمختَلِف، للدارقطني، {٥٢٦/١}.

(٢) انظر: مجموع رسائل الامام الهادي إلى الحق القويم يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام (الرسائل الأصولية) تحقيق عبد الله بن محمد الشاذلي تقديم السيد العلامة المجتهد أبي الحسنين مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، المسألة الثالثة عشرة: الختم والطبع {٣٢٨}.

(٣) قوله تعالى: {خَتَمَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } فالختم والكتم إخوان الإستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماً له، ويعطيه لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه، والغشاوة الغطاء فعاله من غشاه وهذا البناء لما يشمل على الشيء كالعصابة والعمامة، وهذه من جملة المتشابهات التي يجب استخراج مراد الله منها بردها إلى الدلائل والآيات المحكمات، فذهب بعض العلماء في تأويل هذا الختم إلى أنه نكتة سوداء يوسم بها قلب الكافر، علامة للملائكة عليهم السلام، فيعلموا بها أن صاحبها كافر مستحق للعن والبراءة منه؛ لأن الملائكة متعبدون بذلك في الكفار، وهم لايعلمون الغيب، فلابد إذاً من علامة وتكون علامة المؤمن نكتة بيضاء وأنباء عن هذا المعنى قوله تعالى في المؤمنين{أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ...} الآية. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، الشاملة، {٩/٧} ومجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٣٢٨}.

(٤) النمل: ٨٠

(٥) يس: ٨

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّـهِ﴾ في السر وصدقنا بإيماننا بالله ﴿وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وبالبعث بعد الموت ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] في السر ولا مصدقين في إيمانهم.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ يخالفون الله ويكذبونه في السر، ويقال: اجترؤا على الله حتى ظنوا أنهم يخادعون الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم﴾ أي ما يكذبون إلا أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩] ما يعلمون أن الله يطلع نبيه على سرائر قلوبهم.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك ونفاق وخلاف ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ شكاً وخلافاً وظلمة بامتناعهم من الحق بعد تبيين الله لهم، ومعناه أنهم لما ازدادوا شكاً [بعد[2]] عند تبيين الله تعالى لهم جاز أن يَنسب ذلك إلى نفسه سبحانه، كما يقال: ما يزيده كلامك إلا تمادياً في الغي، وإن كان راداً له عن ذلك بقوله ناصحاً ﴿وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع في الآخرة يخلص وجعه إلى قلوبهم.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠] في السر وهم المنافقون عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قيس.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لليهود ﴿لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ بتعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وآله ﴿قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١] لها بالطاعة.

﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ لها بالتعويق ﴿وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢] لا يعلم سفلتهم أن رؤساؤهم الذين يضلونهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي اليهود ﴿آمِنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ عبد الله بن سلام[3] وأصحابه ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ﴾ بمحمد والقرآن ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ الجهال الخرقى[1] بمحمد والقرآن ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ الجهال الخرقى ﴿وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣] ذلك.

---

(١) انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٣٣٠}.

(٢) سقطت من (أ).

(٣) عبد الله بن سلام بن الحَارث، أبو يوسف، الأنصَاري صحابي رضي الله عنه. كان يهودياً فأسلم عند قدوم النبي صلى الله علية وآله وسلم المدينة، وكان اسمه (الحصين) فسماه رسول الله صلى الله علية وسلم (عبد الله). وفيه الآية: (وشهد شاهد من بني إسرائيل). والآية: (ومن عنده علم الكتاب). روى عن النبي صلى الله علية وآله وسلم. وعنه ابناه يوسف ومحمد وابن ابنه حَمْزَة بن يوسف بن عبد الله وأبو هُرَيْرَة وغيرهم. وشهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت =

﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ يعني المنافقين ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني أمة محمد وأصحابه ﴿قَالُواْ آمَنَّا﴾ بالسر وصدقنا بإيماننا كما آمنتم بالسر[2] وصدقتم به ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ رجعوا ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ كهنتهم ورؤسائهم وهم خمسة نفر[3]:كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بريده الأسلمي[4] في بني أسلم، وابن السوداء[5] بالشام، وعبد الدار[6] في جهينة، وعوف بن عامر[7] في بني أسد[1].

المقدس والجابية. انظر: تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، باب من اسمه نوف، {٢٤٩/٥}.

(١) الخُرْق: الحُمق خَرُق خُرْقاً فهو أخرق وجمعه خرقى كحمقى، والأنثى خرقاء. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٧٣/١٠}.

(٢) في (ب): في السر.

(٣) كان العرب يعتقدون فيهم الاطلاع على علم الغيب، ويعرفون الأسرار، ويداوون المرضى، وسموا شياطين لتمردهم وعتوّهم، أوباسم قرنائهم من الشياطين، إن فسروا بالكهنة، أو لشبههم بالشياطين في وسوستهم ، وغرورهم، وتحسينهم للفواحش، وتقبيحهم للحسن.انظر البحر المحيط في التفسير،لأبي حيان الأندلسي، {١١٣/١}.

(٤) بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن الْحَارِثِ بْن الأَعْرَج بْن سعد بْن رزاح بْن عدي بْن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بْن أفصى. وأسلم فيمن انخزع من بطون خزاعة هو وأخواه مالك وملكان ابنا أفصى بْن حارثة بْن عَمْرو بْن عامر وهو ماء السماء. وكان بُرَيْدة يكنى أبَا عَبْد الله. وأسلم حين مر بهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ - للهجرة. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، باب بريدة، {١٨٢/٤}.

(٥) عبد الله بن سبإ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عبد الله بن سالم {٣/٢٩}.

(٦) عبد الدار بن قصيّ بن كلاب بن مرة، من قريش. جدّ جاهلي. كان يعدّ من (حمقى المنجبين) جعل له أبوه الحجابة والندوة والسقاية والرفادة واللواء. وتوارثها أبناؤه، إلى أن اعتدى عليهم بنو عمهم عبد مناف بن قصي فأرادوا انتزاعها منهم، فاتقسمت قريش أحلافا. الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)
تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، باب عبد الدار بن قصيّ {١٥٦}.

(٧) عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة: جدّ جاهلي. كان يلقب بذي المحجن. من نسله " جعونة " أحد القواد في زمن مروان بن محمد. المحبر: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، باب ذكر أسماء أشياء ذكرها الله {٣٩١}.

﴿قَالُواْ﴾ لرؤسائهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ على دينكم في السر ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُون﴾ [البقرة:١٤] بمحمد وأصحابه، فلا إله إلا الله(٢).

﴿اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾ في الآخرة يفتح لهم باباً إلى الجنة ليستهزئ بهم المؤمنون.

ويقال: يجزيهم جزاء الاستهزاء في الآخرة ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يتركهم في الدنيا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في كفرهم وضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥] يمضون عمهة لا يبصرون.

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾ اختاروا الكفر على الإيمان، وباعوا الهدى بالضلالة ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ فما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦] من الضلالة.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ مثل المنافقين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ في ظلمة لكي يأمن بها على أهله ونفسه وماله ﴿فَلَمَّا أَضَاءتْ﴾ رأى ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ أمن بها على نفسه وماله وأهله، فطفئت ناره، وكذلك المنافقون آمنوا بمحمد والقرآن فأمنوا [به](٣) على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من السبي والقتل، فلما ماتوا ﴿ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ﴾ بمنفعة إيمانهم ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ في شدائد القبور(٤) ﴿لاَّ يُبْصِرُون﴾ [البقرة:١٧] الرجاء بعد ذلك وهو انقطاع رجائهم من النجاة بعد موتهم ومصيرهم إلى القبور و أياسهم من الراحة أبد الآبدين، والحكم عليهم بالشدائد بعدما ماتوا عليه مصرين غير تائبين(٥).

---

(١) وهم الذين قال الله فيهم من منافقي قريش والأعراب وغيرهم: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين ، {٣٨٧} والكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، {٧٤/٥}،

(٢) يبدو أن المؤلف أتى بكلمة التوحيد للتعجب من حلم الله عليهم لاستهزائهم.

(٣) سقطت من (أ).

(٤) {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ}، والمعنى أن وراءَ انتفاعهم بالإيمان ظلمة النفاق الموقعة لهم في سخط الله، وظلمة العقاب الدائم. انظر المصابيح الساطعة الأنوار، مخطوط، المكتبة الشاملة، {٢٢/٧}.

(٥) عن ابن عباس قال: ضرب الله للمنافقين مثلا فقال: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ) أي يُبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خَرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق ، (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) إلى آخر الآية: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزُّون بالإسلام، فيناكحُهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العزّ، كما سلب صاحب النار ضَوءَه. (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ) يقول: في عذاب ، و عن ابن مسعود، ناس =

ويقال[١]: مثلهم مثل اليهود مع محمد صلى الله عليه وعلى آله كمثل رجل أقام علماً في هزيمة فاجتمع إليه المنهزمون فقلبوا علمهم وذهبت منفعتهم وأمنهم [بذلك[٢]]، كذلك اليهود كانوا يستنصرون بمحمد صلى الله عليه و آله قبل خروجه، فلما خرج كفروا به فذهب الله بنورهم بما أوهموا من إيمانهم لمحمد لأنهم أوهموا أن يؤمنوا لمحمد فلم يؤمنوا[٣].

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ في ضلالة اليهودية ﴿لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ الهدى وهو التخلية، وتركهم ورأيهم.

﴿صُمٌّ﴾ يتصاممون ﴿بُكْمٌ﴾ يتباكمون ﴿عُمْيٌ﴾ يتعامون ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] عن كفرهم وضلالتهم.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وهذا مثل آخر يقول: مثل المنافقين واليهود مع القرآن كصيب مطر نزل من السماء ليلاً على قوم في مفازة[٤]﴿فِيهِ﴾ في الليل ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ كذلك ما أنزل الله من القرآن فيه ظلمات بيان[٥] الفتن، ورعد زجر وتخويف، وبرق بيان وبصيرة ورعد ﴿يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مخافة البوائق والموت، كذلك المنافقون واليهود كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم من بيان القرآن ووعده ووعيده، حذر الموت كما يحذر من الموت مخافة ميل القلب إليه ﴿واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِين﴾ [البقرة:١٩] والمنافقين، أي عالم بهم وجامعهم في النار.

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ)، زَعم أنَّ أناسًا دخلوا في الإسلام مَقدَم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجُل كان في ظلمة فأوقد نارًا فأضاءت له ما حوله من قذّى أو أذّى فأبصره حتى عرف ما يتّقي، فبينا هو كذلك، إذ طفِئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتّقي من أذى. فكذلك المنافق: كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلالَ من الحرام، والخير من الشر، فبينا هو كذلك إذ كفَر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشرّ. وأما النُّور، فالإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت الظلمة نفاقهم. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٢١/١}.

(١) القول لابن عباس. انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٥}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٩١/١}.

(٤) سميت الصحراء مفازَة لأن من خرج منها وقطعها فاز. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣٩٢/٥}.

(٥) يتضح من السياق أن في الآية استعارة تمثيلية فقد، شبهت الآية حال المنافقين ومشيهم في ظلمات الكفر ونزول القرآن عليهم لهدايتهم فلم يستضيئوا به، كحال قوم يمشون في الصحراء في ظلمات اليل وهناك مطر نازل عليهم ورعد وبرق ، فلا يستفيدون من ضياء البرق وغيث المطر، فقول المؤلف ظلمات بيان القرآن ..الخ يعني به أن بيان القرآن وآياته هي كظلمات الليل في قلوب المنافقين لأنهم لا يستضون بها.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ البيان ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يذهب بأبصار ضلالتهم عند النظر ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ في ضوء البرق ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ بترك التفكر ﴿قَامُواْ﴾ بقوا في الظلمة، كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين لأمنهم مَن يقبل[(1)] بإيمانهم، فلما ماتوا بقوا في الظلمة كذلك ظلمة القبر ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بالرعد﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ بالبرق، كذلك لو شاء لذهب بسمع المنافقين واليهود بزجر القرآن ووعيده لما لم يؤمنوا وأبصارهم بالبيان لما لم يصدقوا ﴿إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الذهاب بالسمع والبصر ﴿قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠] أي قادر على سبيل العقوبة إن أراده، ولا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب.

ويقال: شبه المنافقين بالمستوقد طفئت ناره في ليل مظلم، فهو أشد لتحيره، لأن من يقع في الظلمة بعد الضياء أشد حيرة[ممن[(2)]] كأن لم يزل فيها[(3)].

ويقال: شبه حالهم بحال من أوقد فأضاءت قليلاً ثم خمدت، فهؤلاء فيما أتوا به من الإيمان استحسن على ظاهره في الدنيا، ويذهب ويضل في الآخرة[(4)].

ويقال: مثل ضربه الله لهم لما تكلموا بالشهادتين فناكحوا المسلمين ووارثوهم، فلما كان عند الموت لم ينتفعوا به لأنه بطل[(5)].

وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ أي إن شبهتهم بالمستوقد أو بالصيب فهم مثله شبههم بقوم أتاهم الضياء في جوف الليل، ووصف حال الذين أصابهم الصيب ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ وهم لما فيه من خوف الصواعق ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ فإذا أضاء لهم البرق مشوا فيه، وإذا أظلم تحيروا، كذلك المنافقون في تحيرهم وجهلهم بالدين كهؤلاء في أنهم لا يرون الطريق

---

(١) في (ب): لأمنهم لقبل المؤمنين.

(٢) سقط في (أ).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت ط٢- ١٤٠٧ هـ ، باب سورة البقرة{٧٢/١}.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، باب سورة البقرة {١٨٦/١}.

(٥) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى، القرن: الخامس، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،سنة الطبع: ١٤٢٢ هـ ، باب سورة البقرة ، {١٦٠/١}.

ولا يهتدون إليه، والصواعق الواردة عليهم هي الوعيد بالنار والقتل، وهو الواقع بهم، فلـــذلك قال الله تعالى: ﴿واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِين﴾.

وقيل[١]: المطر المنزل مشبه بالقرآن، والظلمات بما في القرآن المنزل من الابتلاء والرعد بما فيه من الزجر، والبرق بما فيه من البينات، والصواعق بما فيه من الوعيد[٢].

ويقال[٣]: المطر الغيث فيه الحياة شبهه بالإسلام، والظلمات إبطان الكفر، والرعد الجهـــاد، والبرق الغنائم وحقن الدماء، والصواعق الوعيد[٤].

ويقال: الغيث المطر من صاب يصوب أي ينزل[٥]، والظلمات ظلمات الســـحاب وظلمـــة الليـــل وهوله، أراد ومثل قوم في ظلمات ومطر، فضرب الظلمات لكفرهم مثلاً، والنور لتوحيـــدهم مـــثلاً، فقال: إذا قالوا لا إله إلا الله اهتدوا كما يهتدي القوم بالبرق إذا لمع، وإذا خلوا إلى شـــياطينهم ونـــافقوا وبايعوهم على كفرهم [عموا[٦]] وصموا كما يظلم على هؤلاء إذا سكن لمعان البرق[٧].

ويقال[٨]: أيضاً في[قوله[٩]]﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ الآية، أن هذا مثـــلٌ ضـــربه الله للمنافقين أنهم [كانوا[١٠]] يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون و يوارثونهم ويقاسمونهم الفيء،

---

(١) القول لمقاتل بن سليمان. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٩٢/١}.

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م {٥٦٥/٢}.

(٣) القول لمقاتل بن سليمان انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٩٢/١}.

(٤) تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، باب صلاة {٨٢/١}

(٥) انظر: لسان العرب،لابن منظور، {٥٣٤/١}.

(٦) سقط في (أ).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٥١/١}. وبحر العلوم للسمرقندي، {٣٢/١} والتسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١ - ١٤١٦ هـ {٧٣/١}.

(٨) القول لقتادة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٢٣/١}.

(٩) سقط في (أ).

(١٠) سقط في (أ).

فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءها ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ يقول في عذاب الآخرة.

ثم قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ على سبيل الذم، يقول: لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه، ولا يعقلونه.

ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وهو المطر، ضرب مثله فيه ظلمات، يقول: فيه ابتلاء ورعد، يقول: تخويف وبرق ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ يقول: كلما أصاب المنافقين من الإسلام عز اطمأنوا[به]، وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر.

يقول الله: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [الحج:١١] الآية، كقول الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد من الآية:١٧]، فهذا مثل ضربه الله فاحتمل منه القلوب على قدر يقينها وشكها.
فأما الشك فلم ينفع مع العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء﴾ وهو الشك ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾[1] فهو ما سال في الأرض وهو اليقين، فكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصة ويترك خبيثه، فكذلك الضلال والشك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ويقال[2]: هم اليهود ﴿اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [وحدوا ربكم][3] ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ نسماً من النطفة ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١] لكي تتقوا السخطة والعذاب، وتطيعوا الله.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ بساطاً ومقاماً ﴿وَالسَّمَاء بِنَاء﴾ سقفاً مرفوعاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء﴾ مطراً ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ أنبت بالمطر ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان الثمرات ﴿رِزْقاً لَّكُمْ﴾ طعاماً لكم ولسائر الخلق ﴿فلا تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ أعدالاً[وأشباها][4] وأمثالاً ﴿وَأَنتُمْ

---

(١) الرعد: ١٧

(٢) القول لابن عباس. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٦٦/١}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) سقط في (أ).

تَعْلَمُـونَ﴾ [البقرة:٢٢] أني صانع هذه الأشياء، ويقال: وأنتم تعلمون في كتابكم أنه ليس لي ولــد ولا شبه ولا ند[1].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ بما نزلنا به جبريل ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد أنه يختلــق مــن تلقاء نفسه ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ فجيئوا بسورة من مثل سورة البقرة ﴿وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم﴾ واســتعينوا بآلهتكم التي تعبدون ﴿مِّن دُونِ اللهِ﴾، ويقال: برؤسائكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣] في مقالتكم.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ وهذا مقدم ومؤخر، يقول: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لن تفعلوا، لن تقدروا أن تجيئــوا بمثله، فإن لم تفعلوا لم تقدروا أن تجيئوا بمثله ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ فاخشوا النار إن لم تؤمنوا ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ حطبها الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ حجارة الكبريت ليعذبهم بها فهي أشد حراً إذا حميت ﴿أُعِدَّتْ﴾ خلقت وأعدت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] ثم ذكر كرامة المؤمنين فــي الجنــة، فقــال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بيــنهم وبــين ربهــم، ويقال: الصالحات من الأعمال ﴿أَن لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحــت شــجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء و العسل واللبن ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ أطعموا ﴿مِنْهَا﴾ مــن الجنة ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ من ألوان الثمرات ﴿رِّزْقاً﴾ طعاماً ﴿قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ أطعمنــا ﴿مِن قَبْلُ﴾ هذا ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ في اللون مختلفاً في المطعم، ويقال متشابهاً في الجودة والشــهوة ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحــيض والأدنــاس ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ فــي الجنــة ﴿خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥] دائمون لا يموتون ولا يخرجون.

وعن ابن عباس رحمة الله عليه في قوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، نزلت[2] في علي وحمزة وجعفروعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب عليهم الســلام، ثــم ذكر إنكار اليهود لأمثال القرآن فقال:

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٦٣/٥}.

(٢) عن ابن عباس (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية نزلت في علي وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. وقوله: (اركعوا مع الراكعين) نزلت في رسول الله وعلي بن أبي طالب خاصة، وهما أول من صلى وركع. انظر: بحار الأنوار: العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان، ط٢ المصححة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م، الباب ٣٥{٣٤٧/٣٥}

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي﴾ لا يترك ولا يمنعه الحياء[1] ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ أن يبين للخلق مثلاً ﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ فكيف ما فوقها، يعني الذباب والعنكبوت، ويقال ما دونها ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يعني المثل ﴿الْحَقُّ﴾ أي هو الحق ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَـذَا مَثَلاً﴾ أي بهذا المثل قل يا محمد أراد الله بهذا المثل أن ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ من اليهود ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ من المؤمنين ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بالمثل ﴿إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[البقرة:٢٦] [2]اليهودَ، والإضلالُ على معنى الحكم والتسمية، أو لأنه ضل عن أمره كما يقال: فلان أضل بغيره أي ضل بغيره، والهدى يكون على معنى الحكم والتسمية، ويكون على معنى التبيين، ويكون على معنى الزيادة في الهدى، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] ويقال: إن الإضلال عن طريق الجنة في الآخرة والهدى أن يهديهم إلى طريق الجنة، كما قال: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [3].

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ في هذا النبي ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ تغليظه وتشديده وتأكيده ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ﴾ من الأرحام والإيمان ﴿أَن يُوصَلَ﴾ لمحمد ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بتفريق الناس عن محمد والقرآن ﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:٢٧] المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة[4].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾ على وجه التعجب ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقطاع آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم، ثم ذكر منته عليهم فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾

---

(١) إنما هو خبرٌ منه جلّ ذكره أنه لا يستحي أن يضرب في الحقّ من الأمثال صغيرها وكبيرها، ابتلاءً بذلك عباده واختبارًا منه لهم، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به، إضلالا منه به لقوم، وهداية منه به لآخرين، فلمؤمن يستفيد من أي شيء فيزداد معرفة وهدى وإيماناً ومعرفة و ... بينما الكافر فيه غرور، يناقش: لماذا تضرب بعوضة أو ذبابة أو عنكبوت. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤٠١/١}.

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٧٢/١}.

(٣) يونس: ٩

(٤) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٠/١}

قوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُون). قال الطبري: الناكثين عهود الله التي عهدها إليهم، في الكتب التي أنزلها إلى رُسله وعلى ألسن أنبيائه، باتباع أمر رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به، وطاعة الله فيما افترض عليهم في التوراة من تبيين أمره للناس، وإخبارهم إياهم أنهم يجدونه مكتوبًا عندهم أنه رسولٌ من عند الله مفترضةٌ طاعتُه. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤٣٨/١}.

سخر لكم ﴿مَّا فِي الأَرْضِ﴾ من الدواب والنبات وغير ذلك ﴿جَمِيعاً﴾ منه منة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ ثم عمد إلى خلق السماء ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ فخلقهن ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ مستويات على الأرض ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من خلق السموات والأرض ﴿عَلِيم﴾[البقرة:٢٩].

ثم ذكر قصة الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ وقد قال ربك ﴿لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ الذين كانوا في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ خالقاً خلق ﴿فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بدلاً منكم يكون منه المحسن والمسيء ﴿قَالُواْ﴾ على سبيل الاستفهام ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ أتخلق فيها ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ بالظلم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نصلي بأمرك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ بذكرك بالطهارة على سبيل الاستعلام، أي يكون ذلك منهم ونحن على حالنا أو على غير هذه الحال، قالت الملائكة ذلك إشفاقاً على أنفسهم، فقالوا: ﴿نُقَدِّسُ لَكَ﴾ يعني نطهر لك أعمالنا من الدنس ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ﴾ ما يكون من ذلك الخليفة من أهل الطاعة ﴿مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ أسماء الذرية[(١)]، ويقال: أسماء الدواب وغير ذلك حتى القصعة والقصعية[(٢)] والسكرجة[(٣)] ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ على مذهب الشخوص ﴿عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ الذين أمروا بالسجود ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاء هَؤُلاء﴾ الخلق والذرية ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٣١] أي عارفين في مقالتكم الأولى[(٤)] على سبيل التكليف وهو تنبيه على أنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله[(٥)].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤٨٤/١}.

(٢) القَصْعةُ الضَّخْمةُ تشْبع العشرة والجمع قِصاعٌ وقِصَعٌ والقَصْعُ ابتلاع جُرَع الماء والجِرّة وقَصَعَ الماءَ قَصْعاً ابتلعه جَرْعاً، وغلام مقصوعٌ وقَصِيعٌ كادي الشّباب إذا كان قَمِيئاً لا يَشِبُّ ولا يَزْدادُ وقد قَصُعَ وقَصِعَ قَصاعة وجارية قَصِيعةٌ بالهاء عن كراع كذلك وقَصَعَ اللهُ شبابَه أكداه. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٧٤/٨}. القَصْعَةُ: الصَّحْفَةُ. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، دار الهداية، باب قصع، {١٧/٢٢}.

(٣) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، {٩١٠/١}.

(٤) في (ب): لا على سبيل التكليف.

(٥) فقالَ أنبئُوني بِأَسْماءِ هؤلاءِ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة، فإن التصرف والتدبير إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة، والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال، وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال، =

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ﴾ تبنا إليك من ذلك ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ألهمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ بنا ﴿الْحَكِيمُ﴾[البقرة:٣٢] بأمرنا وبأمرهم.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض﴾ غيب ما في السموات والأرض ﴿وأعلم ما تبدون﴾ ما تظهرون لي من الطاعة منكم لآدم ﴿وما كنتم تكتمون﴾ منه من النظر في عواقب أمره مما خفي عليكم.

ويقال: ما أبدى لهم إبليس وما كتم منهم، وإبليس من الجن لا من الملائكة.

ويقال(١): لما خلق الله آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، قال إبليس لمن معه من الملائكة: أرأيتم إن فضل عليكم هذا الخلق وأمرتم بطاعته ما تصنعون؟

قالوا: نطيع ربنا، ونفعل ما يأمرنا به، فقال إبليس في نفسه: لئن فضلت عليه لأهلكنه، ولأن فضل علي لأعصينه، فذلك قول الله: ﴿وأعلم ما تبدون﴾ يعني الملائكة حين قالوا: نطيع ربنا، ﴿وما كنتم تكتمون﴾ ما أسره إبليس في نفسه من المعصية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وقد قلنا ﴿لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ سجدة التحية، ويقال(٢): إن السجدة لله، ولكن لما كان لأجل خلقه آدم قال لآدم، كما يقال: فعلت هذا لك، أي لأجلك(٣).

والإنباء: إخبار فيه إعلام، ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما. أنوار التنزيل وأسرار التأويل أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ، باب سورة البقرة {٦٩/١}.

(١) انظر: تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ق-٨)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢ هـ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، باب ٣٠{٢٤٣/١}.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ،ط١ - ١٤١٩ هـ {١٣٩/١}.

(٣) سجود تعظيم وتسليم وتحية وكان ذلك انحناء يدل على التواضع، ولم يكن وضع الوجه على الأرض والسجود لله على وجه العبادة وبغيره على وجه التكرمة كسجود الملائكة وأبوي يوسف وأخوته له، ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٦/١}. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، {١٣٩/١}.

﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾ عن أمر الله ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن السجود لآدم، ولم يكن من الملائكة، وكان من الجن، والاستثناء من غير الجنس جائز، ومثل هذا موجود في اللغة، يقال: أطاعت العرب كلها إلا فلاناً، فلم يكن قوله إلا فلاناً يوجب أنه عربي، ولكن يوجب أن يكون من المأمورين بالطاعة، فلم يوجب هذا الاستثناء أنه من الملائكة ولكنه يوجب أنه كان من المأمورين بالسجود لآدم،(١) هذا قول محمد بن يحيى عليه السلام(٢) .

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين﴾ [البقرة:٣٤] صار من الكافرين بإبائه عن أمر الله ويقال(٣) :كان في علم الله أنه يصير من الكافرين، ويقال: من أول الكافرين.

ثم ذكر قصة آدم وحواء فقال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ادخل أنت وحواء الجنة ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً﴾ من الجنة رغداً موسعاً عليكما ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ومتى شئتما ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ لا تأكلا من هذه الشجرة(٤)، شجرة العنب عليها من كل لون ﴿فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِين﴾ [البقرة:٣٥] فتصيرا من الظالمين لأنفسكما، ويقال: شجرة التين(٥) .

ويقال: شجرة البر، فأكلا منها من غير تمييز بينها وبين غيرها، ولم ينتظر الوحي فيزول الشبه والالتباس(٦)﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ عن الجنة والطاعة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من الرغد ﴿وَقُلْنَا﴾ لآدم وحواء و طاووس وحية وإبليس، وفي الحية والطاووس نظر، وإن ذكر ذلك في الخبر.

---

(١) انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي ، يحي بن الحسين ، {٤٤٠}.

(٢) محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم ابن إبراهيم العلويّ الطالبي، الملقب بالمرتضى: إمام زيدي، فقيه، عالم بالأصول. من أهل صعدة (في اليمن) وهو ابن (الهادي) صاحب الوقائع مع القرامطة ورئيسهم علي بن الفضل. انتصب للأمر بعد وفاة أبيه، وخوطب بالمرتضي لدين الله. واستمر نحو ستة أشهر، واعتزل. وتوفي بصعدة، ودفن إلى جنب أبيه. له كتب، منها (الإيضاح) و (النوازل) و (جواب مسائل مهدي) كلها في الفقه. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢، باب بن خاقان، {١٣٥/٧}.

(٣) {وَكَانَ مِنَ الْكَافرين} بعد وَصَارَ من الْكَافرين بآبائه عَن أمر الله وَيُقَال وَكَانَ فِي علم الله أنه يصير من الْكَافرين وَيُقَال كَانَ من أول الْكَافرين. انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٧}.

(٤) مجموع رسائل الإمام الهادي ، يحي بن الحسين، {٤٤١}.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط٣ - ١٤١٩ هـ، باب سورة البقرة {١٤٤٩/٥}.

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥١٧/١}.

﴿اهْبِطُواْ﴾ إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ منزل ﴿وَمَتَاعٌ﴾ معاش ﴿إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦] إلى حين الموت ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ حفظ آدم من ربه، ويقال: لقن فتلقى ألهم فتفهم كلمات لكي يكون شيئاً له ولأولاده إلى التوبة﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[١] فتجاوز عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:٣٧] المتجاوز الرحيم.

ويقال: أنه ذكر التوبة التي وعد[٢] الله تعالى قبولها من الناس، وإنما قال لأن الإصرار معصية وإن كان الذنب صغيراً[٣].

﴿قُلْنَا﴾ لآدم وحواء وإبليس ﴿اهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿جَمِيعاً﴾ ثم ذكر ذرية آدم قال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ حين يأتينكم، وكلما يأتينكم ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ كتابي ورسولي ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨] على ما خلفوا من خلفهم.

ويقال: فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لما حكم لهم بالدوام في الجنة.

ويقال: فلا خوف عليهم إذا ذبح الموت ولا هم يحزنون إذا أطبقت النار، وفي ذبح الموت نظر، وذكرنا ذلك فيما بعد، وهو أن ذبح الموت كلام خرج على المعنى، أي أنه رفع[٤]الموت فلا موت بعده[٥].

وفي الخبر: «أنه ينادي المنادي به وفيه تطمين أهل الجنة للبقاء، وإياس أهل النار من الراحة»[٦].

---

(١) انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي ، يحي بن الحسين ، {٤٤٢}.

(٢) في (ب): ذكر الله.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، باب سورة البقرة {٥٤٧/١}.

(٤) في (ب): قد وقع الموت.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣/ ٩٦}.

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، باب الضجع على الشق الأيمن{٤١٤/١١} و صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي(ت : ٣٥٤هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، باب المجلد السادس عشر{٤٨٧/١٦}.

والصحيح في ذلك ما روي عن أبي عبد الله جعفرعليه السلام[1] أنه قال: «قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[2] قال[3]: يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها أبداً، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها أبداً» قال: وذلك قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ قال: قضي على أهل الجنة الخلود فيها، وقضي على أهل النار الخلود فيها[4].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بالكتاب والرسول ﴿أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [البقرة:٣٩] دائمون لا يموتون ولا يخرجون.

ثم ذكر منته على بني إسرائيل ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يا أولاد يعقوب ﴿اذْكُرُواْ﴾ أشكروا واحفظوا ﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ مننت عليكم بالكتاب والرسول والنجاة من فرعون والغرق والمن والسلوى وغير ذلك﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾ أتموا عهدي بهذا النبي ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أدخلكم الجنة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ [البقرة:٤٠]فخافون في نقض العهد ولا تخافوا غيري ﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ﴾ جبريل به ﴿مُصَدِّقاً﴾ موافقا بالتوحيد وصفة ونعت محمد وللشرائع ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب ﴿وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ بمحمد والقران ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي﴾ بكتمان صفة ونعت محمد ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عرضا يسيرا من المأكلة ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُون﴾ [البقرة:٤١] فخافون في هذا النبي ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ولا تخلطوا الحق بالباطل، صفة الدجال بصفة محمد صلى الله عليه واله ﴿وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ﴾ ولا تكتموا الحق ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾ [البقرة:٤٢]بكتمانه ثم ذكر لزوم الشرائع عليهم بعد الإيمان فقال : ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ أي أتموا الصلوات الخمس وأعطوا زكاة أموالكم ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِين﴾ [البقرة:٤٣] صلوا الصلوات الخمس مع محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه في الجماعة[5].

---

(١) هو ابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، الامام الصادق- رض- ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٨ هـ. حدث عن جده لامه القاسم بن ابي بكر وعن ابيه الامام الباقر وعبيد الله بن ابي رافع وعروة ابن الزبير وغيرهم. وروى عنه مالك والسفيانان وحاتم بن اسماعيل وخلق كثير. وثقه اهل الحديث واثنوا على علمه وفقهه. تاريخ إربل: المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت: ٦٣٧هـ) تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر: ١٩٨٠ م، باب جعفر بن محمد الصادق، {٦٣٣/٢}.

(٢) مريم: ٣٩.

(٣) أبو عبد الله جعفر الصادق.

(٤) أخرجه أبو طالب في الأمالي ، {٧٠١}.

(٥) قال أبو مسلم : المراد من الركوع الخضوع ، يعني أنهم يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لجميع أوامر الله ونواهيه =

وعن ابن عباس في قوله ﴿وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِين﴾: أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهما أول من صلى وركع[1].

ثم ذكر قصة رؤساء اليهود فقال ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أتعلمون الناس بالتوحيد واتباع محمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركون أنفسكم ولا تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ عليهم ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤] أفليس لكم ذهن الإنسانية ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ﴾ على أداء فرائض الله وترك المعاصي ﴿وَالصَّلاَةِ﴾[2]على كثرة الصلاة على تمحيص الذنوب ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ لثقيلة ﴿إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين﴾ [البقرة:٤٥] المتواضعين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعلمون ويستيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ﴾ معاينوا ثواب ربهم ووعيد ربهم ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُون﴾ [البقرة:٤٦] بعد الموت .

وعن بن عباس في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين﴾ [البقرة:٤٥] الخاشع الذليل في صلاته المقبل عليها: رسول الله صلى الله عليه واله وعلي عليه السلام وعنه أيضا في قوله ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُون﴾ [البقرة:٤٦] نزلت في علي عليه السلام وعثمان بن مظعون[3] وعمار بن ياسر وأصحاب لهم[1].

والثاني : أن يكون المراد : من شأنهم إقامة الصلاة ، وخص الركوع بالذكر تشريفا له كما في قوله (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) والثالث : قال بعضهم : إن أصحابه كانوا عند نزول هذه الآية مختلفون في هذه الصفات ، منهم من قد أتم الصلاة ، ومنهم من دفع المال إلى الفقير ، ومنهم من كان بعد في الصلاة وكان راكعا ، فلما كانوا مختلفين في هذه الصفات لا جرم ذكر الله تعالى كل هذه الصفات. الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه. والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. انظر: مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ ، باب سورة المائدة، {٣٨٢/١٢}.

(١) انظر المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠،باب ذكر مناقب أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص{٤٧١/٣} والسنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه : حسن عبد المنعم شلبي،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط،قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، باب خصائص أمير المؤمنين، {٤٠٧/٧}.

(٢) يتضح من السياق: أن الآيات عن أهل الكتاب (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) هذا الكلام مبني على قوله لأهل الكتاب: (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ) آمنوا، كونوا على هذه الصفة ، واستعينوا بالصبر والصلاة على أن تتقبلوا النقلة هذه .

(٣) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب =

ثم ذكر أيضا منته على بني إسرائيل فقال ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يا أولاد يعقوب ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ احفظوا منتي ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ مننت عليكم ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ بالكتاب والرسول ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧] عالمي زمانكم ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً﴾ اخشوا عذاب يوم إن لم تؤمنوا وتتوبوا من اليهودية ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ لا تغني نفس كافرة عن نفس كافرة ﴿شَيْئاً﴾ من عذاب الله ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ لا يشفع لها شافع ﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ لا يقبل منها ﴿عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨] يمنعون من عذاب الله ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من فرعون[٢] ومن قومه ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعذبونكم بأشد العذاب، ثم ذكر عذابه عليهم فقال ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ يقتلون أبناءكم صغارا ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ يستخدمون نساءكم كبارا ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩] عظيمة ويقال: نعمة من ربكم عظيمة ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ لكم البحر ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ فرعون وقومه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠] إليهم بعد ثلاثة أيام ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ بإعطاء الكتاب ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ﴾ عبدتم ﴿الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:٥١] ضارون لأنفسكم ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ تركناكم ولم نستأصلكم ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد عبادة العجل ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٥٢] لكي تشكروا عفوي ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أعطينا موسى التوراة

القرشي الجمحي. يكنى أبا السائل، أمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح، وهي أم السائب وعبد الله ابني مظعون.

أسلم أول الإسلام، قال ابن إسحاق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين، فبلغهم وهم بالحبشة أن قريشاً قد أسلم فعادوا. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٥٨٩/٣}.

(١) {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} هذا من تمام اكلام الذي قبله، أيْ: وَإِنَّ الصلاة أو الوَصَاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو رَبِّهِمْ، أيْ: [يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ] محشورون إليه يوم القيامة، مَعْرُوضُونَ عليه، وأنهم إليه راجعون، أيْ: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سَهُل عَلَيْهِمْ فعلُ الطاعات وترك المنكرات. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، {١٥٧/١}.

(٢) فرعون: هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربعمائة سنة. معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، باب ٤٩ {٩٠/١}.

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ يعني بينا فيها الحلال والحرام ،والأمر والنهي وغير ذلك، ويقال النصرة والدولة على فرعون ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣] لكي تهتدوا من الضلالة.

ثم ذكر قصة موسى عليه السلام مع قومه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾ ضررتم ﴿أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ بعبادتكم العجل فقالوا لموسى: ماذا تأمرنا؟ فقال لهم: ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم قالوا كيف نتوب قال لهم ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ فليقتل الذي لم يعبد العجل الذي عبد ﴿ذَلِكُمْ﴾ التوبة والقتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فتجاوز عنكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ المتجاوز لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤] لمن مات على التوبة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نصدقك فيما تقول: لم أرى الله ﴿حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ معاينة كما نراك﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فأحرقتكم النار﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥] إليها وترونها ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ حرقكم لدعاء موسى﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦] لكي تشكروا إحيائي ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ في التيه ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم ولا ترفعوا لغد فرفعوا[(١)] ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وما نقصونا بما رفعوا﴿ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧] يضرون ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ قرية أريحا[(٢)]﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ متى شئتم ﴿رَغَداً﴾ موسعا عليكم ﴿وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً﴾ ركعا ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ حط عنا الخطايا[(٣)].

ويقال[(٤)] : قولوا لا اله إلا الله ﴿يغفر لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:٥٨] في إحسانهم ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾غير الذين ظلموا وهم أصحاب الحطة ﴿قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ من الرحمن لهم فقالوا حنطه شمقاتا[(٥)]﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ غيروا وهم أصحاب الحطة

---

(١) أي ولا تعصوا فيه فلا ترفعوا إلى يوم الغد، فرفعوا وجعلوا اللحم قديداً مخافة أن ينفد فرجع ذلك عنهم، ولو لم يرفعوا لدام ذلك عليهم. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٥٥/١}.

(٢)أريحا: مدينة بقرب بيت المقدس من أعمال الاردن بالغور ذات نخل وموز وسكر، وهي قرية الجبارين. انظر: آثار البلاد واخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني {ت: ٦٨٠هـ}، دار صادر- بيروت، {١٤٢}

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٠٥/٢} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٤٠٩/١}.

(٤) القول لعكرمة. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، {١٧٥/١}.

(٥) شمقاتاً يَعْنِي الحِنْطَة الحَمْرَاء. تنوير المقباس، لابن عباس، {٩}

﴿رِجْزاً﴾ طاعونا ﴿مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩] يغيرون ما أمر الله به ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ الذي معك وكان حجر أعطاه الله عليه اثنا عشر ثدياً كثدي المرأة يخرج من كل ثدي نهر إذا ضرب عصاه عليه(١)﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ خرجت منه ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ نهرا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾من نهرهم قال الله لهم ﴿كُلُواْ﴾ من المن والسلوى ﴿وَاشْرَبُواْ﴾ من الأنهار، كلاهما ﴿مِن رِّزْقِ الله﴾ لكم ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠] لا تمشوا في الأرض بالفساد وخلاف أمر موسى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد قلتم ﴿يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ على أكل طعام واحد: المن والسلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ﴾ مما تخرج الأرض ﴿مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ أي ثومها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ لهم موسى﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أراد الثوم والبصل﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أفضل وأشرف: المن والسلوى، أي تسألون الذي هو الردي، وتتركون الذي هو الشريف ﴿اهْبِطُواْ مِصْراً﴾ الذي خرجتم منه ويقال: مصراً من الأمصار(٢)﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ فإن ما سألتم لكم ثم.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ جعلت عليهم الذلة بالجزية ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ بزي الفقر ﴿وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ﴾ استوجبوا بلعنة ﴿مِّنَ الله﴾ وذلك المذلة والمسكنة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بلا حق ولا جرم﴿ذَلِكَ﴾ الغضب ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ الله في يوم السبت ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١]بقتل الأنبياء واستحلال المعاصي.

ثم ذكر الذين آمنوا منهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بموسى وبسائر الأنبياء ﴿فلهم أجرهم﴾ ثوابهم ﴿عند ربهم﴾ في الجنة ﴿ولا خوف عليهم﴾، فيما يستقبلهم من العذاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما خلفوا من خلفهم، ويقال: لا خوف عليهم بالدوام أي حكم لهم بالدوام في الجنة.
ويقال: ولا خوف عليهم إذا ذبح الموت ولاهم يحزنون إذا أطبقت النار وهي مقدمة وفي ذبح الموت نظر وذبح الموت خرج على المعنى أي قد رفع الموت فلا موت بعده.

---

(١) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٠}

(٢) {اهْبِطوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ} أي تحذروا من أرض التيه، فأنزلوا مصراً من الأمصار فإن ما تطلبونه يكون في القرى والأمصار، وقيل: أريد بمصر هاهنا مصر المعروف، وإنما صرف أحد اللفظ على المكان، فكأنه مذكر يسمى به مذكر، وقيل: المراد بالمصر هاهنا البيت المقدس، ومعنى فإن لكم ما سألتم إجابة إلى ما سألوا قاله في البلغة. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٣/٧}.

وفي الخبر: «أنه ينادي المنادي به وفيه تطمين لأهل الجنة بالبقاء، وإياس لأهل النار من الراحة».

والصحيح ما روى أبو العباس الحسني[١] في هذا الباب عن أبي عبد الله عليه السلام[٢] أنه قال في قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[٣]

قال[٤]: يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود لا موت فيها أبداً، ويا أهل النار خلود لا موت فيها أبداً» قال: وذلك قوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾[٥] قال: قضي على أهل الجنة الخلود فيها، وقضي على أهل النار الخلود فيها[٦].

ثم ذكر الذين لم يؤمنوا لموسى وسائر الأنبياء عليهم السلام فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ مالوا عن دين موسى وهم اليهود ﴿وَالنَّصَارَى﴾ الذين تنصروا، ونسبوا إلى قرية يقال لها ناصرة[٧]﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قوم من النصارى يقولون صبئت قلوبنا أي رجعت قلوبنا إلى الله ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿فَلَهُمْ﴾ أيضاً ﴿أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢] بعد قبول الإيمان والعمل به.

ثم ذكر أخذ الميثاق عليهم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ وقد أخذنا ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ إقراركم﴿وَرَفَعْنَا﴾ قلعنا ﴿فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل بأخذ الميثاق ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم﴾ اعملوا بما أعطيناكم من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ومواظبة النفس ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الثواب والعقاب، ويقال[٨]: احفظوا ما فيه

---

(١) الإمام أبو العبَّاس، أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني - رضي الله عنهم - هو حجَّة لله باهرة له العلوم الواسعة، والمؤلفات الجامعَة كـ(المصابيح)و(النصوص)وغيرهما.انظر مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٢٣٩/١}.

(٢) جعفر الصادق عليه السلام.

(٣) مريم: ٣٩.

(٤) يعني أباعبد الله جعفر الصادق عليه السلام.

(٥) مريم: ٣٩.

(٦) انظر: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، للهاروني، {٧٠١}.

(٧) الناصرة فاعلة من النصر قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا فيها كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ومنها اشتق اسم النصارى. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت، باب النون والألف {٢٥١/٥}.

(٨)انظر تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٤١}.

من الحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ [البقرة:٦٣] لكي تتقوا من السخطة والعذاب وتطيعوا الله ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم عن الميثاق ﴿مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بتأخير العذاب ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسال محمد إليكم ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِين﴾ [البقرة:٦٤] لصرتم من المغبونين بالعقوبة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ﴾ بأخذ الميثاق ﴿فِي السَّبْتِ﴾ يوم السبت في زمن داود ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِين﴾ [البقرة:٦٥] صيروا قردة ذليلين صاغرين ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني القردة ﴿نَكَالاً﴾عقوبة ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لما قبلها من الذنوب ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ولكي يكونوا عبرة لمن خلفهم لكيلا يقتدوا بهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ عظة ونهيا ﴿لِّلْمُتَّقِين﴾[البقرة:٦٦] لمحمد وأصحابه.

ثم ذكر قصة البقرة فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قال موسى لقومه ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ من البقر﴿قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ أتهزأ بنا يا موسى ﴿ قَالَ ﴾ موسى﴿ أَعُوذُ بِاللهِ﴾ أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين﴾[البقرة:٦٧] من المستهزئين بالمؤمنين، فلما علموا أنه صادق ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سل لنا ربك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ صغيرة أم كبيرة﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ ﴾ أي يقول الله ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ ﴾ لا كبيرة ﴿ وَلاَ بِكْرٌ ﴾ ولا صغيرةً ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ نصف أي وسط بين الصغير والكبير[1]﴿فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرون ﴾[البقرة:٦٨] ولا تسألوا

﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ اسأل لنا ربك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾ أي يقول الله ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء﴾ الظلف والقرن سوداء البدن ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي صافٍ لونها بالغ في الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِين﴾ [البقرة:٦٩] تعجب الناظرين إليها ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أعاملة هي أم لا ﴿إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ تشاكل علينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَاء اللهُ لَمُهْتَدُون﴾ [البقرة:٧٠] إلى وصفها.

ويقال: إلى قاتل عاميل[2].

---

(١) تفسير غريب القرآن: الشهيد الإمام زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، الناشر مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي،ط٢ ، سورة البقرة {١٣٠}.

(٢) اسْمُ المَقْتُولِ عَاميلُ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/١١٤}.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ﴾ لا مذللة ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ تحرث الأرض ﴿وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ولم يسنوا عليها بالسواني للحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من كل عيب ﴿لاَّ شِيَةَ فِيهَا﴾ لا وضح فيها ولا بياض﴿قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ الآن تبين لنا صفتها فطلبوها واشتروها بملء مسكها ذهباً ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[البقرة:٧١]في بدء الأمر من غلاء ثمنها[١].

ثم ذكر المقتول فقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾ عاميلاً[٢]﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ فاختلفتم في قتلها ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة:٧٢]من قتلها ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي المقتول ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي بعضو من أعضائها، ويقال: بذنبها ويقال: لسانها ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أحيا عاميلاً ﴿يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾ للبعث﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ إحياءه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٧٣] لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ جفت ويبست قلوبكم ﴿مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد إحياء عاميل وإعلامكم قاتله ﴿فَهِيَ﴾ في المثل ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ في الشدة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ بل أشد قسوة.

ثم عدد الحجارة وذكر منفعتها فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ حجارة ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ﴾ يقول: تخرج منه ﴿الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ يقول: تتصدع ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ يقول: يتدحرج من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ لو كان عارفاً عاقلاً لكان منه ذلك مع صلابته من خشية الله على التمثيل، وقلوبكم لا تتحرك من خوف الله ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٧٤] يقول: بتارك عقوبة ما تعملون من المعاصي، ويقال: ما تكتمون.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أفترجوا يا محمد ﴿أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ أن يؤمن بك اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم السبعون الذين كانوا مع موسى ﴿يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ﴾ قراءة موسى لكلام الله ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ علموه وفهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٥] أنهم يغيرونه[٣].

---

(١) يتضح أن الآيات توحي أن من لا يستجيبون في أمر يبلون بأصعب منه، قد يعاقبون بأن يقحموا في أصعب منه. مثاله قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} (الفتح: من الآية١٦) لم يرضوا يتحركوا أن يقاتلوا أناساً عاديين مثلهم تخلفوا جبنوا، فكانت النتيجة قوم أكثر قوة.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٤٤٦/١}.

(٣) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنهم كاذبون مفترون. والمعنى: إن كفر هؤلاء وحرّفوا فلهم سابقة في ذلك. وَإِذا لَقُوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم (آمَنَّا) بأنكم على الحق، وأنّ محمدا هو الرسول المبشر به (وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ) الذين لم ينافقوا (إِلى بَعْضٍ) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بما بين لكم في التوراة من صفة محمد. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {١٥٦/١}.

ثم ذكر منافقي أهل الكتاب.

ويقال: سفلة أهل الكتاب فقال: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ الصحابة ﴿قَالُواْ آمَنَّا﴾ بنبيكم وصفته ونعته أنه في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ﴾ إذا رجعوا إلى رؤسائهم ﴿قَالُواْ﴾ قال الرؤساء للسفلة ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أتخبرون محمدا وأصحابه ﴿بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ما بين الله لكم من صفة محمد في كتابكم من عند ربكم ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ حتى يخاصموكم به ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٦] أفليس لكم ذهن الإنسانية ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ﴾ يعني الرؤساء ﴿أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فيما بينهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة:٧٧] لمحمد وأصحابه(١).

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته ﴿إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ إلا أحاديث بلا أصل ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨] وما يتكلمون إلا بالظن بتلقين رؤسائهم ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة العذاب، ويقال: واد في جهنم(٢)

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ يغيرون صفة ونعت محمد في الكتاب ﴿بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا﴾ في الكتاب الذي ﴿مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ﴾ بتغييره وكتابته ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً من المأكلة والفضول ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدة العذاب ﴿لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ﴾ غيرت ﴿أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ﴾ شدة العذاب ﴿لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] يصيبون من الحرام والرشوة(٣).

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ قدر أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤنا العجل(٤)

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا﴾ على ما تقولون ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ﴾ إن كان لكم عند الله عهد ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠] في كتابكم.

﴿بَلَى﴾ رد عليهم ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ من أشرك بالله ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ﴾ أوبقه شركه، أو مات عليه ﴿فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠] دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها.

---

(١) عن ابن عباس: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) ، يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: آمنا. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٤٥/٢}.

(٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (وَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ) الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، باب سورة الأنبياء ، رقم (٣١٦٤){٣٢٠/٥}.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري {٥٣٦/١٠}.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١١٩/١}.

ثم ذكر الذين آمنوا فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أهل الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٢] دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ﴾ [البقرة:٨٠] نزلت[١] في أبي جهل بن هشام لعنه الله، و ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة، وهو أول من صلى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

ثم ذكر ميثاقه أيضاً[٣] على بني إسرائيل فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ﴾ لكيلا توحدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ براً بهما ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ وصلة القرابة ﴿وَالْيَتَامَى﴾ والإحسان إلى اليتامى ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ والإحسان إلى المساكين

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ﴾ في شأن محمد ﴿حُسْناً﴾ حقاً. ويقال[٤]: صدق

﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ أتموا الصلوات الخمس ﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ أعطوا زكاة أموالكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الميثاق ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ﴾ من آبائكم.

ويقال: إلا قليلاً منكم عبد الله بن سلام وأصحابه[٥] ﴿وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣] مكذبون تاركون له.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ في الكتاب ﴿لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ﴾ لا يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً ﴿مِّن دِيَارِكُمْ﴾ من منازلكم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ يعني أسارا أهل دينكم ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ من العذاب ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة:٨٤] تعلمون ذلك.

---

(١) يتضح من السياق أنها رد لقولهم: (لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) ولا يمنع أن تكون موافقة لحال أبي جهل ومن معه.

(٢) وروى عن ابن عباس أنه قال: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت معه أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم جهرا. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣/٣٤٧}.

(٣) في (ب): ذكر أيضا ميثاقه.

(٤) (وَقُولُوا لِلنَّاس حُسْنًا) يعني لِلنَّاس أجمعين صدقا في محمد وعن الإيمان. القول لمقاتل بن سليمان. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/١١٩}

(٥) القول لمقاتل بن سليمان: يعني ابْن سلام، وسلام بن قَيْس، وثعلبة بن سلام، وقيس بن أخت عَبْد اللَّه بن سلام، وأسيد، وأسد ابني كَعْب ويامين، وابن يامين، وهم مؤمنو أهل التوراة. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/١٢٠}.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء﴾ يا هؤلاء ﴿تقتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ من منازلهم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ تعاونون بعضهم بعضاً ﴿بِالإِثْمِ﴾ بالظلم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ والاعتداء ﴿وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أي إخراجهم وقتلهم محرم عليكم.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ ببعض ما في الكتاب بما تهوى أنفسكم ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[(1) بما في] الكتاب تفادون بأسراكم من عدوكم فتكفرون ببعض فتتركون أسرى أصحابكم ولا تفادونهم ويقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب بما لا تهوى أنفسكم ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ مالا تهوى أنفسكم ﴿فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عذاب الدنيا بالقتل والسبي ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ﴾ ترجعون ﴿إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ أسفل العذاب ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥] بتارك عقوبة ما تعملون من المعاصي. ويقال: ما تكتمون.

﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ﴾ اختاروا الدنيا على الآخرة والكفر على الإيمان ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ لا يهون، ويقال: لا يرفع ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦] يمنعون من عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أردفنا وأتبعنا ﴿مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الأمر والنهي والعجائب والعلامات ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه وأعناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بجبرائيل(2).

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ﴾ يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ﴾ بما لا يوافق قلوبكم ولا يوافق دينكم اليهودية ﴿ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تعظمهم عن الإيمان ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ﴾ يقول كذبتم فريقا محمد وعيسى﴿وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧] وفريقاً قتلتم يحيى و زكريا(3).

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني اليهود﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ من قولك يا محمد، أي قلوبنا أوعية لكل علم وهي لا تعي كلامك﴿بَل﴾ رد عليهم ﴿لَّعَنَهُمُ اللَّـه﴾ طبع [الله(4)]على قلوبهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ عقوبة لكفرهم

---

(١) سقط من(أ).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٥١٥}.

(٣) وحاولتم قتل محمد صلوات الله عليه وآله وسلم لولا أني أعصمه منكم. انظر: تفسير مقاتل، {١/١٢١}.

(٤) سقط في (أ).

هو الحكم والشهادة والسمة والعلامة ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨]ما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، ويقال ما يؤمنون بقليل ولا بكثير.

﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ موافق لما معهم من الكتاب بالتوحيد وصفة محمد والشرائع ﴿كَفَرُواْ بِهِ﴾[البقرة:٨٩] جحدوا به ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد والقرآن ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون بمحمد ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من عدوهم أسد وغطفان، ومزينة وجهينة ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ صفته ونعته في كتابه﴿ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ﴾ فسخط الله وعذاب الله ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩] على اليهود، ويقال أيضاً: إن الاستفتاح معناه الاستعلام، وذلك أنهم لما كانوا قرأوا في التوراة نعوت محمد صلى الله عليه وآله كانوا يستفهمون المشركين هل ولد فيهم من يوافق حاله ما أنزل إليهم من [ذكره[1]] وصفته[2] ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ باعوا به أنفسهم ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللهُ﴾ من الكتاب ﴿بَغْياً﴾ حسداً ﴿أَن يُنَزِّلُ اللهُ﴾ نزل الله جبريل ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ بالكتاب والنبوة ﴿عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله ﴿ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ فاستوجبوا لعنة على إثر لعنة ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[البقرة: ٩٠] يهانون به، ويقال: شديد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لليهود ﴿آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ يعني القرآن ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني التوراة ﴿وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ﴾ يعني القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ موافقا بالتوحيد ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتاب قالوا يا محمد آباؤنا كانوا مؤمنين.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١] مصدقين في مقالتكم.

﴿وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ عبدتم العجل ﴿مِن بَعْدِهِ ﴾ من بعد انطلاقه الجبل﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:٩٢] كافرون[3].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ إقراركم ﴿وَرَفَعْنَا﴾ قلعنا ﴿فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم﴾ اعملوا بما أعطيناكم من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ومواظبة النفس ﴿وَاسْمَعُواْ﴾ وأطيعوا ما تؤمرون.

---

(١) سقط في (أ).

(٢) انظر: الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، باب ٤٨ {٤٧١/٦}.

(٣) من بعد خروج موسى عليه السلام إلى الميقات. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٤/١}.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يقولون لولا الجبل لسمعنا قولك وعصينا أمرك ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أدخل في قلوبهم حب العجل وعبادته ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ لكفرهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ عبادة العجل ﴿إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٣] مصدقين في مقالتكم بأن آباءنا كانوا مؤمنين.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ من دون المؤمنين: محمد وأصحابه ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ﴾ فاسألوا الموت ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٩٤] في مقالتكم[1].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ لن يسألوا الموت ﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ﴾ عملت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ في اليهودية ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٩٥] باليهود ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يا محمد اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ على البقاء في الدنيا ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ وأحرص من مشركي العرب ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ يتمنى أحدهم ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ أن يعيش ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2] [نيروز ومهرجان[3]][4] ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ بمباعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ إن عاش ألف سنة ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٩٦] من المعاصي ويكتمون من صفة محمد.

ثم نزل في قولهم إن جبريل عدونا:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ نزل الله جبريل عليك بالقرآن ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمر الله ﴿مُصَدِّقاً﴾ وموافقاً بالتوحيد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧] بالجنة.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ﴾ ولملائكته ﴿وَرُسُلِهِ﴾ ولرسله ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ ولجبريل ﴿وَمِيكَالَ﴾ ولميكائيل ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨] لليهود [وأيضا[5]] وأنصار رسله وجبريل وميكائيل وسائر الملائكة أعداء لهم.

---

(١) وذلك أن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأن الله لن يعذبنا، فقال الله- عز وجل- للنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قل لهم (إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) ثم قال: ((وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٢٤/١}.

(٢) أَلْفَ سَنَةٍ. قال المفسّرون: هو تحيّة المجوس فيما بينهم عشر ألف سنة وكلمة ألف نيروز ومهرجان. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢٣٨/١}

(٣) سقط في (أ).

(٤) نيروز ومهرجان: يَعْنِي تَعْمِيرَ أَلفِ سنة وَهِي تحية المجوس فِيمَا بينهم يَقُولُونَ عِشْ أَلفَ سنة وَكل أَلفِ نيروز ومهرجان. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٢٣/١}.

(٥) سقط قي (أ).

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ جبريل بالآيات بالأمر والنهي﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾ بالآيات ﴿إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩] الكافرون اليهود ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً﴾ يعني الرسل مع اليهود ﴿نَّبَذَهُ﴾ طرحه ونقضه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ طائفة منهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ كلهم ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠] ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ﴾ موافق بالصفة والنعت ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتاب ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ طرح فريق ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب ﴿كتاب الله﴾ كِتَابَ التوراة ﴿وَرَاء ظُهُورِهِمْ﴾ خلف ظهورهم لم يؤمنوا[ولم يبينوا[1]] بما فيه من صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ جهلة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١].

﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ﴾ عملوا بما كتبت الشياطين﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ بعد ذهاب ملك سليمان أربعين يوماً من السحر والنيرنجات[2]﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما كتب سليمان السحر ﴿وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ﴾ كتبوا﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾ يعني الشياطين ويقال: اليهود ﴿السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ولم ينزل على الملكين السحر والنيرنجات كما ادعوا أن ﴿بِبَابِلَ﴾ ملكين يعلمان الناس السحر، وبابل كان من معادن السحر يعرف وينسب إلى ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وكانا يعلمان السحر في قديم الدهر على ما ذكر، يعرف وينسب إلى هاروت وماروت، وكانا يعلمان السحر في قديم الدهر على ما ذُكر، ويقرأ أيضاً الملكين بخفض اللام، ويقال: أيضاً أن الله عز وجل ذكر اليهود فقال: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يقول اتبعوا ما كتب [ما قالت[3]] الشياطين في ملك سليمان وتلت، وذلك أنها[4] قالت إن سليمان عليه السلام كان يقهر بالسحر، فقبلت ذلك اليهود عن الجن

---

(١) سقط في (أ).

(٢) من أنواع السِّحْر. تاج العروس من جواهر القاموس، للحسني، {٧١/٨} وقيل أن علم النيرنجات: هو مزج قوى الجواهر الأرضية بعضها ببعض. وأما علم الطلسمات وهو مزج القوى السماوية بالقوى الأرضية. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١ - ١٩٩٦م. باب العلم الإلهي {٥٣/١} والمعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، باب النون {٩٦٧/٢}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) في (ب): لأنها.

وأوليائها، وزعمت أن ذلك السحر كان يأتي به سليمان ملكان، ويذكر أنهم قالوا الملكان جبريل و ميكائيل عليهما السلام[1].

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وهم الذين كفروا ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ على الكلام الأول، فيعلمان هاروت وماروت أيضاً الناس بعد تعلمهما من الشيطان السحر، ولذلك انتصب هاروت وماروت بوقوع الفعل بهما من الشياطين.

ثم قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يعني هاروت وماروت ﴿حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي محنة لك أيها المتعلم ﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾ بما نقول لك من السحر، فإنك إن كفرت لم تعلم، وإن آمنت بنا وقبلت قولنا تعلمت.

ويجوز أيضاً وجه آخر في هاروت وماروت، ويقول حين قالوا ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ﴾ واتبعوا ببابل هاروت وماروت فيما قالا من السحر فانتصب هاروت وماروت على معنى واتبعوا على الكلام الأول.

وقال بعض العلماء[2]: هما شيطانان في زمن سليمان عليه السلام.

وقال[3]: بعضهم: هما علجان من علوج بابل.

ويقال: على ما قيل إنهما ملكان يعلمان الناس بعض السحر، وإنما يعلمان على سبيل الإعلام لئلا يقرؤه غلطاً من [ممن[4]] قاله لأنه إذا كان السحر لا يعلم إلا من قبلهما فما الحاجة إلى إظهاره.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، {٤١٧/٢-٤١٨}.
يتضح أن اليهود نبذوا عهد الله واتبعوا ما تتلو الشياطين أيام سليمان، وأرادوا أن ينسبوا كل شيء في عهد سليمان على أنه سحر وعمل شياطين، وهكذا أراد اليهود أن يوهموا الناس أن منهج سليمان هو من السحر ومن الشياطين، والحق سبحانه وتعالى أراد أن يبرئ سليمان من هذه الكذبة.

(٢) وذكر قول مشابه له لمجاهد: هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ، ويختلف إليهما شيطانان في كل سنة اختلافة واحدة ، فيتعلمان منهما ما يفرّقان به بين المرء وزوجه. والظاهر أن هاروت وماروت هما اللذان يباشران التعليم لقوله: وَمَا يُعَلّمان. انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، {٥٣٠/١}

(٣) قول الحسن البصري . انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١١٦/١}.

(٤) سقط في(أ).

ويقال: يعلمون ما ألهم الملكان ببابل هاروت وماروت ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ وما يصفان يعني[1] الملكين ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ لأحد ﴿حَتَّى يَقُولاَ﴾ أولاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلينا بهذه الدعوة، وندعو بها لكي يحترز منها السامع ولا يعمل بها لأنه كفر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ بغير تعليمهما للعمل بل للمعرفة والاحتراز كما يحترز من سائر المعاصي ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ ويقال: ما يؤخذ به الرجل عن المرأة[2].

والصحيح أن التفريق لأجل الكفر لا للأحد لأن السحر لا يتأتى إلا بضرب من الكفر، ومن كفر فقد بانت امرأته ووقعت الفرقة ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ﴾ بالسحر والفرقة ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ لأحد ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بمعرفة الله وعلمه ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يعني الشياطين واليهود والسحرة ﴿مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة[3] ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ يعني الملكين، ويقال[4]: اليهود في كتابهم ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ من اختار السحر والنيرنجات ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ من نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ﴾ اختاروا به السحر ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ يعني اليهود ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] ولكن لا يعلمون لترك التفكر والنظر، ويقال لو كانوا يعلمون على علمهم لم يفعلوا، ويقال قد كانوا يعلمون في كتابهم[5].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ يعني اليهود ﴿آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿واتَّقَوْا﴾ تابوا من اليهودية والسحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ لكان ثوابه عند الله خيراً من السحر واليهودية ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٣] يصدقون بثواب الله ولكن لا يعلمون لا يصدقون.

ويقال: قد كانوا يعلمون في كتابهم.

---

(١) في (ب): ويعني ما يصفان (تقديم وتأخير).

(٢) يؤخذ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على الجماع. انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، {٨٠/١}. أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه، ويبغض كل واحد بالآخر. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٣١/١}.

(٣) يتضح كيف أصبحوا يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم! من أين منشؤها؟ منشؤها الإعراض عن هدي الله من البداية.

(٤) يَقُولُ لَقَدْ علمت اليهود فِي التوراة لمن اختار السحر مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ يقول ماله فِي الآخرة من نصيب. مقاتل بن سليمان، {١٢٧/١}.

(٥) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٥}

ثم ذكر نهيه للمؤمنين عن لغة اليهود فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لاَ تَقُولُواْ﴾ لمحمد ﴿رَاعِنَا﴾[1] سمعك يا رسول الله[2] ﴿وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ أي انظر إلينا واسمع منا يا نبي الله، وكان بلغتهم راعنا اسمع لا سمعت، فمن ذلك نهى الله المؤمنين عن لغة اليهود ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به وأطيعوا ﴿وَلِلكَافِرِينَ﴾ لليهود ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٠٤] وجع يخلص وجعه إلى قلوبهم. ﴿مَّا يَوَدُّ﴾ ما يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾، مشركي العرب أبي جهل وأصحابه ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أن ينزل الله جبريل على نبيكم بخير من النبوة والإسلام والكتاب[3] ﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ يختص[4] بدينه وبالنبوة والإسلام والكتاب ﴿مَن يَشَاءُ﴾ من كان أهلاً لذلك، يعني محمداً صلى الله عليه وآله ﴿وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] ذو المن العظيم بالنبوة والإسلام، على محمدوآله عليه السلام[5].

ثم ذكر ما ينسخ من القرآن وما لم ينسخ لمقالة قريش تأمرنا يا محمد بأمر ثم تنهانا عنه فقال:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ التي تنسخ من آية فلا يعمل بها ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ﴾ نرسل جبريل ﴿بِخَيْرٍ﴾ بأنفع ﴿مِّنْهَا﴾ من المنسوخ وأهون العمل بها ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في الثواب والنفع والعمل ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾

---

(١) راعنا: امهلنا لنتعرف ما تملي علينا من العلم، هو في الأصل قربة لما كان طلباً لسبب فهم العلم، فصار معصية لما كان ذريعة لليهود إلى سب رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أن لفظ: (راعنا) كانت كلمة سب عند اليهود، فكانوا يسبونه بها جهاراً، فنهاهم الله عن ذلك، فأمرهم أن يقولوا بما يؤدي معناه، وهو قوله تعالى: {وَقُولُوا انظُرْنَا} فيترسخ عند المسلمين حالة من اليقظة والحذر واتخاذ موقف أمام أي شيء من اليهود وإن كان ما يزال نية في أعماق أنفسهم. انظر: مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام: الإمام القاسم بن محمد عليه السلام (٩٦٧-١٠٢٩هـ) القسم الأول، تحقيق: محمد قاسم محمد المتوكل، اشراف د/عبد السلام الوجيه، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، نتائج السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر {٩٢}.

(٢) في (ب): يا نبي الله.

(٣) يتضح من هذه الآية وغيرها من الآيات أن نعرف العدو الحقيقي للأمة الإسلامية. (ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ وَلا المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ) و(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ) [البقرة من الآية: ١٠٩] (وَقالُوا: لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى. تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ) [البقرة من الآية: ١١١] (وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ اليَهُودُ وَلا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة من الآية: ١٢٠]

(٤) في (ب): يختار.

(٥)انظر تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٥}.

بتركها غير منسوخة يعمل بها هذا مقدم [1]مؤخر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الناسخ والمنسوخ[2] ﴿قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٦] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

يعني خزائن السموات والأرض يأمر عباده ما يشاء إنه عليم بصلاحهم ﴿وَمَا لَكُم﴾ يا معشر اليهود ﴿مِّن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ قريب ينفعكم ولا حفيظ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٠٧] مانع[يمنعكم[3]].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ أتريدون ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ من رؤية الرب وكلامه وغير ذلك[4] ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ كما سأله بنو إسرائيل ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ اختار الكفر على الإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨] ترك قصد سبيل الهدى[5].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ تمنى كثير ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ أن يردُنكم يا عمار ويا حذيفة ويا معاذ بن جبل ﴿مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿كُفَّاراً﴾ حتى ترجعوا كفاراً إلى دينهم ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ حسداً منهم ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في كتابهم أن محمداً ودينه ونعته وصفته هو ﴿الْحَقُّ فَاعْفُوا﴾ فاتركوا ﴿وَاصْفَحُوا﴾ أعرضوا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ بعذابه على بني قريظة والنضير من القتل والسبي والجلاء[6] ﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٩] من القتل والجلاء

---

(١) في (ب): ومؤخر.

(٢) (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ) أي مَا نبدل من حكم قد مضى في آية بالتخفيف مثاله في الفرض أوبالتثقيل بالزيادة في فرضها، أو ننسها، أي: نتركها بحالها لا نغير شيئاً مما حكمنا به فيها، وكذلك قال في موضع آخر: (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [الرعد: ٣٩] يقول الله سبحانه (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ) من فرضه، وحكمه في آياته بالنسخ له، ويترك العمل بما فيها منه، مما قد مضى وأمر بترك الحكم به، ويثبت مَا يشاء مما حكم به في آيات أخرى، ولا يبدل، وفرضها لا بعمل لم يدع الحكم بها بعد ولم يمض. الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم: الإمام المجتهد عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي (٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، باب حقيقة النسخ، {٣٢}.

(٣) سقط (أ).

(٤) في (ب): رؤية الرب.

(٥) قال مجاهد: سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ، و « سألت قريش محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : نعم وهو لكم كمائدة بني إسرائيل » فأبوا ورجعوا تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، الباب ١٠٤ {٢١١}.

(٦) يتضح أن هذه الآيات متعلقة بقوله تعالى{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا} فهناك مرحلة معينة سيعفوا ويصفحوا " فاعفوا واصفحوا "عن جهلهم وقابلوهم بحجج الله وادفعوا بها أباطيلهم " حتى يأتي الله بأمره " فيهم بالقتل يوم مكة، فحينئذ تجلونهم من بلد مكة ومن جزيرة العرب ولا تقرون بها كافرا. انظر: بحار الأنوار، للمجلس ، {١٨٤/٩}.

﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ و أتموا الصلوات الخمس﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ أعطوا زكاة أموالكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ﴾ تسلفوا﴿ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ من عمل صالح وزكاة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ تجدوا ثوابه ﴿عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تنفقون من الصدقة والزكاة ﴿بَصِيرٌ﴾[البقرة:١١٠] بنياتكم(١).

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني اليهود في خصومتهم مع المؤمنين ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً﴾ إلا من مات على اليهودية بزعمهم ﴿أَوْ نَصَارَى﴾ وكذلك قالت النصارى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ تلك أمنيتهم أي تمنوا على الله ما ليس في كتابهم ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكلا الفريقين﴿ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم من كتابكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:١١١] في مقالتكم(٢).

﴿بَلَى﴾ رد عليهم، أي ليس كما قلتم ولكن ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ﴾ من أخلص دينه وعمله لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ بالقول والفعل ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ ثوابه ﴿عِندَ رَبِّهِ﴾ في الجنة ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدخول النار ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢] بذهاب الجنة.

ثم ذكر مقالة اليهود والنصارى في خصومتهم في الدين فقال:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ يهود أهل المدينة ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ﴾ من دين الله ولا دين إلا اليهودية ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى﴾ نصارى نجران ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من دين الله ولا دين إلا دين النصرانية ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب ولا يؤمنون، ويقولون ما ليس فيه، وَ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ توحيداً لله من آبائهم، ويقال: كتاب الله من غيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ شبه قولهم(٣)﴿فَاللّهُ يَحْكُمُ﴾ يقضي ﴿ بَيْنَهُمْ﴾ بين اليهود والنصارى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ في الدين﴿يَخْتَلِفُونَ﴾[البقرة:١١٣] يخالفون(٤).

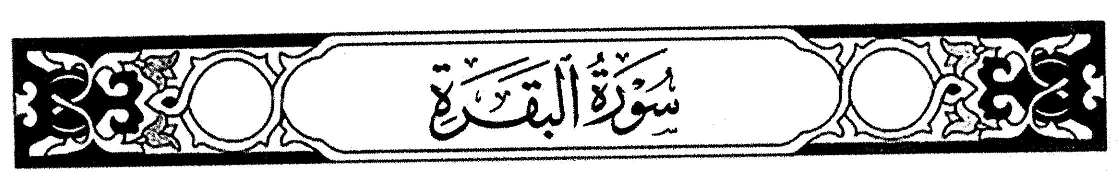
---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٣١/١}.

(٢) قال أبو جعفر: وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وآله سلم بدعاء الذين قالوا: (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) - إلى أمر عدل بين جميع الفرق: مسلمها ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبراني، {٥٠٩/٢-٥١٠}.

(٣) نأسف أن يكون هذا واقع كثير من المسلمين، القرآن قائم بين أيديهم ، وكلهم يقولون إن القرآن هو المرجع ، ويختلفون على مسألة معينة أو موقف معين وكل واحد يحاول يرجع ليعطف القرآن على رؤيته، والآخر مثله!

(٤) المصابيح الساطعة الأنوار، مخطوط ، {١٦٧/٧}.



ثم ذكر قطوس بن اسبيانوس الرُّومِي الذي خرب بيت المقدس[1]، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أكفر وأعتى وأجرأ على الله ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ﴾[2] خرب بيت المقدس ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ لكيلا يذكر اسمه بالتوحيد والأذان ﴿وَسَعَى﴾ عمل ﴿فِي خَرَابِهَا﴾ في خراب بيت المقدس والمساجد التي فيها، فكان خراباً إلى زمن عمر[3] ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أهل الروم ﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾ أمن ﴿أَن يَدْخُلُوهَا﴾ بيت المقدس ﴿إِلاَّ خَآئِفِينَ﴾ مستخفين من المؤمنين مخافة القتل ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب خراب مدائنهم قسطنطينية[4] وعمورية[5] ورومية[6] ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤] شديد مما لهم في الدنيا[7].

ثم ذكر قبلته فقال: ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ قبلة لمن لا يعلم القبلة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ وجوهكم في الصلاة بالتحري ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ فتلك الصلاة ترضي الله، نزلت في نفر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله صلوا في سفرهم إلى غير القبلة بالتحري[8].

---

(١) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٧}.

(٢) عملية المنع ليس معناه المنع المطلق تماماً إنما المنع من أن يؤدى في مساجد الله الدور الذي هي من أجله بنيت وأقيمت وشرعت. من انقطاع الذكر فيها؛ لإنه عمارة لها، أو تخريب البنيان، وينبغي أن يراد المنع على العموم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٦٩/٧}.

(٣) قال ابن عباس ومجاهد أنهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كان أيام عمر فأظهر الله المسلمين عليهم، وصاروا لا يدخلونها إلا خائفين. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٣١٩/٢٠}.

(٤) (قسطنطينية) ويقال: قسطنطينة، بإسقاط ياء النسبة، كان اسمها بزنطية فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سورا، وسمّاها باسمه، وصارت دار ملك الروم إلى الآن، واسمها اصطنبول. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، باب قسطنطينية {١٠٩٢/٣}.

(٥) عمّورية: جاءت في قصة إسلام سلمان الفارسي. وكانت عمورية مدينة كبيرة للروم في هضبة الأناضول وسط تركية، فتحها المعتصم العباسي سنة ٢٢٣ هـ، لأن امرأة عربية مسلمة أسرها الروم، ونادت «وا معتصماه». مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، باب العمير {٩٦٣/٢}.

(٦) رومية: مدينة تقع على ساحل هذا البحر من بلاد الفرنجة. وهي مستقر ملوك الروم قديما. حدود العالم من المشرق إلى المغرب: مجهول (ت: بعد ٣٧٢هـ) محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١ (ت: ١٤٢٣ هـ)، باب رومية، {١٨٥}.

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٢١/٢-٥٢٢-٥٢٣}.

(٨)انظر تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٧}.

ويقال ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يقول الله: لأهل المشرق والمغرب قبلة وهو الحرم، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ في الصلاة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ قبلة الله ﴿إِنَّ اللهَ﴾ بالقبلة ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] بنياتهم.

ثم ذكر مقالة اليهود والنصارى عزيرٌ ابن الله والمسيح ابن الله فقال: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ عزيراً أو مسيحاً ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿بَل﴾ ليس كما قلتم ولكن عبيداً ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦] مقرون له بالعبودية.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ابتدعها ولم يكونوا شيئاً ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾ إذا أراد أمراً أن يخلق ولداً بلا أب مثل المسيح ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] ولداً بلا أب كآدم(١) بلا أب وأم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله يعني اليهود ﴿لَوْلاَ﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ معاينة ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنؤمن به ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من آبائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ شبه قولهم ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ استوت كلمتهم وتوافقت قلوبهم مع آبائهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ﴾ العلامات الأمر والنهي في صفاتك في التوراة ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨] يصدقون.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن والتوحيد ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة لمن آمن بالله ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار لمن كفر بالله ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩] لا ينبغي أن تسأل عن أصحاب الجحيم.

ويقال: ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ عن غفران أصحاب الجحيم(٢).

ويقال: عما هم فيه من أنواع العذاب في الآخرة على سبيل تعظيم ذلك في الشدة والبلاء.

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ﴾ يهود أهل المدينة ﴿وَلاَ النَّصَارَى﴾ نصارى أهل نجران ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم وقبلتهم [﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم﴾(٣)]﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من البيان أن دين الله هو الإسلام، وقبلة الله هي الكعبة ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ من قريب ينفعك ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٢٠] مانع يمنعك.

---

(١) في (ب): مثل ادم.

(٢) انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {١/٥٥١}.

(٣) سقط هذا الجزء من الآية من النسخة (أ) و(ب).

ثم ذكر مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وبحيرى الراهب، والنجاشي وأصحابه فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ علم الكتاب يعني التوراة ﴿يَتْلُونَهُ﴾ يصفونه ﴿حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ حق صفته ولا يحرفونه أي يلبسون حلاله وحرامه وأمره ونهيه لمن سألهم، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه ﴿أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَمن يَكْفُرْ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١] مغبونون بذهاب الدنيا والآخرة(١).

ثم ذكر منته على بني إسرائيل فقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يا أولاد يعقوب ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ منتي ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ مننت على آبائكم بالنجاة من فرعون وقومه وغير ذلك ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ بالإسلام ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٢٢] عالمي زمانكم.

﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً﴾ واخشوا عذاب يوم وهو يوم القيامة ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ نفس كافرة عن نفس مؤمنة(٢).

ويقال: نفس صالحة عن نفس غير صالحة. ويقال: والد عن ولده، ولا مولود عن والده شيئاً من عذاب الله(٣).

﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ لا يشفع لها شافع، ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣] يمنعون مما يراد بهم.

ثم ذكر منته على إبراهيم خليله فقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يقال:(٤) بعشر خصال، خمس في الرأس: المضمضة والاستنشاق والسواك وغيرها من فرق الرأس وحف الشوارب، وخمس في الجسد: حلق العانة والختان والاستنجاء بالماء وغيرها من مسح الرقبة، ويقال: الاستجمار، وقلم الأظفار ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فعمل بهن(٥).

ويقال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ بكل كلمة دعا ربه بها في القرآن فأتمهن فوفاهن، ويقال: فدعا بهن.

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٤٤/١}.

(٢) تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {١٠٤/١}.

(٣) انظر: تفسير الماتريدي ، أبو منصور الماتريدي ، {٣٠٧/١}.

(٤) القول لبن عباس. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، {٢٨٤/١}

(٥)انظر تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {١٣٧} وتفسير مقاتل بن سليمان، {١٣٧/١}.

ويقال: الابتلاء بالنار والصبر عليها، ويقال: بالكواكب والتشبيه عليها، ويقال[1]: بذبح الولد وإنفاق المال، ثم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدى بك، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعل من ذريتي أيضاً إماماً يقتدون به قال الله: ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤] أي لا ينال عهدي ورحمتي الظالمين من ذريتك[2].

ويقال: إني لا أجعل إماماً ظالماً من ذريتك، ثم آمُر الخلق أن يقتدوا به، و﴿قَالَ﴾: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة، وأما في الدنيا فينالهم وليس بصحيح[3].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يثوبون إليه ويشتاقون إليه ﴿وَأَمْناً﴾ لمن دخل فيه ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ اتخذوا من مقام إبراهيم ﴿مُصَلًّى﴾ قبلة.

وقال ابن عباس: الحج كله مقام إبراهيم صلى الله عليه،[4] وقال: غيره الحرم كله مقامه[5].

ويقال :مقام إبراهيم الحجر، فيه أثر قدم إبراهيم، وهو الذي يجعله الإمام بين يديه وبين الكعبة إذا صلى بالناس، فجعله مصلى لهم، بأن أمرهم أن يجعلوه بينهم وبين الكعبة في وقت الصلاة بمكة، وفيه دلالة على صحة نبوة إبراهيم عليه السلام، لأن الله جعل في الصخرة رطوبة كرطوبة الطين، حتى رسخ فيها قدمه[6].

---

(١) تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {١٣٧}.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب،لفخر الدين الرازي ، {٣٧/٤}.

(٣) فأخبر تبارك وتعالى أنه لا يتخذ الظالمين عضداً، وكذلك لا يتخذهم أمراء ولا خلفاء ولا قضاة ولا حكاماً، وأخبر أن عهده لا ينال الظالمين. وكذلك لا يجوز لهؤلاء أن يكونوا أئمة للمسلمين وخلفاء لرب العالمين، وشهادتهم غير مقبوله، وقولهم غير مصدق. مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {١٧٧}.

(٤) تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية ، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، سنة ١٤١٩هـ {٢٩٢/١} ومفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي ، باب سورة البقرة {٢٩٢/١}.

(٥) عن مجاهد في قوله: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" قال، الحرم كله"مقام إبراهيم".انظر جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٤/٢}.

(٦) القول للسُدى. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، {٦٢/٢}.

ويقال[1] : كانت زوجة إسماعيل عليه السلام وضعت الحجر تحت قدم إبراهيم حين غسلت رأسه ، فوضع إبراهيم عليه السلام رجله عليه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فجعل الله ذلك من شعائره.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرنا إبراهيم وإسماعيل ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأصنام ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُود﴾ [البقرة:١٢٥] لأهل الصلوات الخمس من جملة البلدان.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ من أن يهاج فيه ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان الثمرات ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بالبعث بعد الموت﴿قَالَ﴾ [أي] فقال الله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أيضاً ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ فأرزقه قليلاً في الدنيا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِير﴾[البقرة:١٢٦] صار إليه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يبني إبراهيم أساس البيت ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يعينه فلما فرغا قالا ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناء بيتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيم﴾ [البقرة:١٢٧] بالإجابة[2]، ويقال بنياتنا لبنائنا بيتك.

﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ مطيعين لك مخلصين لك بالتوحيد والعبادة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ مطيعة لك مخلصة ﴿لَّكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ سنن حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ تجاوز عن تقصيرنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيم﴾ [البقرة:١٢٨] بالمؤمنين.

ربنا ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هو طلب الزيادة والفضل [من الله[3]]لأنفسهما ولذريتهما من لطائفه عز وجل وفوائده التي لا تحصى.

﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في ذرية إسماعيل ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ من نسبهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الحلال والحرام﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم بالتوحيد والزكاة من الذنوب ﴿إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ﴾ بالنقمة لمن لا يجب رسولك الذي يرسل إليهم ﴿الحَكِيم﴾

---

(١) القول للسدي. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٥/٢}.

(٢) في الآية دليل: أن الإنسان إذا عمل خيراً ينبغي أن يدعو الله بالقبول، ويقال: ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشد من شغله بالعمل، لأن الله تعالى قال: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: ٢٧]. توحي الآيات الكريمة بروحية الأنبياء في التواضع والإخلاص لله. بعد تمام هذا العمل العظيم –بناية البيت الحرام– فيقولا بكل تذلل (ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم ...) الآيات.

(٣) سقط في (أ).

[البقرة:١٢٩] في إرسال الرسول، فاستجاب الله دعاءه وبعث فيهم محمداً، وهي تلك الكلمات التي ابتلاه الله بها فأتمهن فدعا بهن.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ومن يذهب عن دين إبراهيم وسنة إبراهيم ﴿إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ خسر نفسه وذهب عقله وسفه رأيه ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه يعني إبراهيم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالخلة[1].

ويقال: اخترناه في الدنيا بالنبوة والإسلام والذرية الطيبة ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠] مع آبائه المرسلين في الجنة.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ حين خرج من السرب[2] يعني من أسفل الأرض ﴿أَسْلِمْ﴾ فَرِّد في مقالتك وقُل لا إله إلا الله ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ فردت في مقالتي ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١].

ويقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ حين دعا قومه إلى التوحيد أسلم أخلص دينك وعملك لله ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أخلصت ديني وعملي لله[3].

ويقال: ﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ حين ألقي في النار ﴿أَسْلِمْ﴾ نفسك إلي ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ نفسي ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4].

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ بكلمة لا إله إلا الله ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ أمر بنيه عند الموت إسماعيل وإسحاق ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أيضاً ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ اختار لكم دين الإسلام ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] فاثبتوا على الإسلام حتى تموتوا مسلمين له بالتوحيد والعبادة[5].

ثم ذكر خصومة اليهود بدين إبراهيم فقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أكنتم يا معشر اليهود ﴿شُهَدَاء﴾ حاضرين ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ بماذا أوصى بنيه باليهودية أو الإسلام؟ ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٤/٢٢}.

(٢) وكان خروجه حين خرج من السرب بعد غروب الشمس. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، {١٣٢٨/٤}.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ،للطبري، {٥٨١/٢}.

(٤) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٥٢/٩}.

(٥) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ،قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، باب سورة البقرة ،{٢١٦/١}.

﴿بَعْدِي﴾ من بعد موتي ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ﴾ الذي تعبده ﴿وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾ أي نعبد ﴿إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣] مقرون له بالعبادة و التوحيد.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ من الخير ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤] ويقولون.

ثم ذكر خصومة اليهود والنصارى مع المؤمنين فقال: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿كُونُواْ هُودًا﴾ تهتدوا من الضلالة ﴿أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾ وقالت النصارى كذلك ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بَلْ﴾ ليس كما قلتم ولكن اتبعوا ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دين إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ مسلماً تهتدوا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥] على دينهم.

ثم علم المؤمنين مجرا التوحيد لكي يكون لليهود والنصارى دلالة إلى التوحيد فقال: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني بمحمد والقرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني وإبراهيم وبكتابه ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ وبإسماعيل وبكتابه ﴿وَإِسْحَقَ﴾ وبإسحاق وبكتابه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وبيعقوب وبكتابه ﴿وَالأسْبَاطِ﴾ وبأولاد يعقوب وبكتابهم ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ يعني بموسى[1] والتوراة ﴿وَعِيسَى﴾ وبعيسى والإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني وبجملة النبيين وكتبهم ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ وبين الله بالنبوة والتوحيد.

ويقال[2]: لا نكفر بأحد منهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] مقرون له بالعبادة والتوحيد ﴿فَإِنْ آمَنُواْ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ بجملة الأنبياء وكتبهم ﴿فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾ من الضلالة بدين إبراهيم[3] ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان بالنبيين وكتبهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ في خلاف ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ﴾ يقول سيرفع الله عنكم مؤنتهم بالقتل والإجلاء ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ بمقالتهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧] بعقوبتهم.

﴿صِبْغَةَ اللّهِ﴾[4] أي اتبعوا دين الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً﴾ أي دينا ﴿وَ﴾ قولوا ﴿نَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ [البقرة:١٣٨] موحدون، مقرون له بالعبادة وبالتوحيد.

---

(١) في (ب): وبموسى.

(٢) القول لمقاتل بن سليمان. انظر: تفسير مقاتل، {١٨٠/١}.

(٣) في (ب): بدينهم.

(٤) دين الله وفطرته. لسان العرب، لابن منظور، {٥٠٧/٤}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود والنصارى ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللهِ﴾ أتخاصموننا في دين الله ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ ديننا ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ ولكم دينكم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة:١٣٩] مقرون له بالتوحيد والعبادة.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يا معشر اليهود والنصارى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ﴾ أولاد يعقوب ﴿ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ كما تقولون ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم ﴿أَمِ اللهُ﴾ وقد اخبرنا الله ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في كفره وأعتا وأجرأ على الله ﴿مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ﴾ في التوراة في هذا النبي ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠] بتارك ما تكتمون من الشهادة.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ من الخير ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤١] في الدنيا.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء﴾ الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ من اليهود ومشركي العرب ﴿مَا وَلاَّهُمْ﴾ ما حولهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ صلوا إليها إلا ليردوا إلى دين آبائهم.

ويقال: ﴿مَا وَلاَّهُمْ﴾ أي شيء حولهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ صلوا إليها، يعني بيت المقدس.

﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾ الصلاة إلى الكعبة ﴿وَالْمَغْرِبُ﴾ الصلاة التي قبلتهم إلى بيت المقدس كلاهما بأمر الله ﴿يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢] يثبت من يشاء على دين وقبلة مستقيمة بالأمر، ﴿وَكَذَلِكَ﴾كما أمرناكم بدين إبراهيم وقبلته ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدلاً(٢) ﴿لِّتَكُونُواْ﴾ لكي تكونوا ﴿شُهَدَاء﴾ للنبيين ﴿عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لكم ﴿شَهِيدًا﴾ مزكياً معدلاً.

---

(١) يبين الله سبحانه وتعالى الأنحراف لمن حملهم الله المسئولية فحولوا دين الله قومية وعنصرية ولهذا أخطا من سماهما ديانات وإنما هي قوميات ،فالدين ليس يهودية ولا نصرانيه (الدين عند الله الإسلام) ولهذا جاء في سياق الآيات الكلام عن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً وكان مسلماً وأوصى أولاده بالإسلام ودعا الله أن يجعله وأولاده مسلمين ويعقوب كذلك، فلإسلام ليس حكرا على جماعة أو فئة .

(٢) والوسط: العدل. قال تعالى: قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُوْنَ [القلم: ٢٨] مجموع رسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين: زيد بن علي عليهم، جمع وتحقيق إبراهيم يحي الدرسي الحمزي ، تقديم شيخ الإسلام وامام اهل البيت الكرام مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي، منشورات أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، اليمن ـصعدة ،ط١،كتاب الصفوة {٢٤٤}.

ويقال: لتكونوا شهداء على من بعدكم بالتبليغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً من الله وحجة[1].

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾ وما حولنا القبلة ﴿الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ صليت إليها سبعة عشر شهراً ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ﴾ كي نرى ونميز ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ في القبلة﴿مِمَّن يَنقَلِبُ﴾ يرجع ﴿على عَقِبَيْهِ﴾ إلى دينه وقبلته الأولة[2] ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ يعني صرف القبلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾[3] لثقيلة ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ حفظ الله قلوبهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ لينسخ إيمانكم ولكن ينسخ الشرائع[4].

ويقال: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[ليبطل إيمانكم [5]] لقبل[6] نسخ الشرائع، ويقال: ما ينسخ إيمانكم بصلاتكم نحو بيت المقدس ولكن نسخ قبلتكم بيت المقدس ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ﴾ بالمؤمنين ﴿لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣] لا ينسخ إيمانكم لقبل نسخ الشرائع.

ثم ذكر غايته من تحويل القبلة إلى الكعبة فقال: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ رفع بصرك إلى السماء لنزول جبريل بتحويل القبلة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فلنحولنك في الصلاة ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تهواها قبلة إبراهيم ﴿فَوَلِّ﴾ في الصلاة ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نحو المسجد الحرام ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ في بر أو بحر ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُ﴾ نحوه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يعني الحرم ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾هو قبلة إبراهيم ولكن يكتمونه ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤] يكتمون.

---

(١) انظر: بحر العلوم ، للسمرقندي، {١٠٠/١}.

(٢) يقول: ما حولنا القبلة التى كنت عليها، (إِلَّا لِنَعْلَمَ). يقول: إلا لنختبر ونبيِّن (مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ)، يطيع الرسول في تحويل القبلة، (مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)، أي يرجع إلى دينه بعد تحويل الله القبلة. (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً)، أي وقد كانت لثقيلة وهو صرف القبلة. (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ)، أي حفظ الله قلوبهم على الإسلام وأكرمهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله سلم في تحويل القبلة، وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله سلم قالوا: يا رسول الله فإخواننا الذين ماتوا ما صنع الله بصلاتهم التي صلوا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ). بحر العلوم للسمرقندي، {١٠٠/١}.

(٣) (وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ) يعني حين صرفت القبلة عن بيت المَقْدِسِ إلى الكعبة فكبر ذَلِكَ عَلَى اليهود ثُمّ استثنى فقال: (إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ)- يعني إِلَّا عَلَى المتواضعين من المُؤْمِنِين لَمْ يكبر عليهم تحويل القبلة ثُمّ نعت الخاشعين فَقَالَ: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يعني يعلمون يقينا (أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ) يعنى فى الآخرة (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ). انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٢/١}.

(٤)انظر تنوير المقباس ، لابن عباس، {٢٠}.

(٥) سقط في(أ).

(٦) من تعبيرات المؤلف أنه يورد لفظة [لقبل] بمعنى لأجل.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾ جئت ﴿الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ علامة طلبوا منك ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ ما صلوا إلى قبلتك وما دخلوا في دينك ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ بمصلٍ إلى قبلتهم قبلة اليهود والنصارى ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم﴾ فصليت قبلتهم ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من البينات أن الحرم هو قبلة إبراهيم ﴿إِنَّكَ إِذَاً﴾ إن فعلت ذلك ﴿لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥] لمن الضارين لنفسك.

ثم ذكر مؤمني أهل الكتاب فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أعطيناهم علم الكتاب التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعرفون محمد بصفته ونعته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾ بين الغلمان ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ صفة محمداً ونعته صلى الله عليه وآله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] في كتابهم.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أنك نبي مرسل من الله ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة:١٤٧] من الشاكين أنهم لا يعلمون.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أهل دين ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ مستقبلها بهوى نفسه.

ويقال: لكل نبي وجهة قبلة وهي الكعبة(١).

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أمر أن يستقبلها ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ فبادروا بالطاعات يا أمة محمد [من] جميع الأمم ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾ في بر أو بحر ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا﴾ يحيكم الله فيجمعكم جميعاً فيجزكُم بالطاعات والخيرات ﴿إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من جمعكم ﴿قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨](٢)

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ﴾ يعني الحرم ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أنه قبلة إبراهيم ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٩] تكتمون من قبلة إبراهيم وغيره.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ من حيث كنت ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نحو المسجد الحرام ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ في الصلاة ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ نحوه ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ﴾ لكيلا يكون ﴿لِلنَّاسِ﴾ لعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ ولا الذين ظلموا في المقالة يعني كعب بن الأشرف وأصحابه ومشركي العرب ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾ في صرف القبلة

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ، {٣٥/٢}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٦٥/٢}.

﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في تركها ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾ لكي أتم نعمتي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالقبلة كما أتممت عليكم بالدين ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾[البقرة:١٥٠] إلى قبلة إبراهيم [صلوات الله عليه وعلى آله].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً﴾ يقول اذكروني كما أرسلت إليكم رسولاً ﴿مِّنكُمْ﴾ من نسبكم ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾ يقرأ عليكم ﴿آيَاتِنَا﴾ يعني القرآن بالأمر والنهي ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم بالتوحيد والزكاة والصدقة من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الحلال والحرام ﴿وَيُعَلِّمُكُم﴾ من الأحكام والحدود وأخبار الأمم الماضية ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُون﴾[البقرة:١٥١]قبل القرآن ومحمد صلى الله عليه وآله.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالجنة.

ويقال: اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة ﴿وَاشْكُرُواْ لِي﴾ بالنعم ﴿وَلاَ تَكْفُرُون﴾[البقرة:١٥٢] لا تتركوا شكرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ﴾ على أداء فرائض الله وترك المعاصي ﴿وَالصَّلاَةِ﴾ وبكثرة الصلاة على تمحيص الذنوب[١] ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾[البقرة:١٥٣]على المرازي[٢].

ثم ذكر مقالة المنافقين لشهداء بدر، وأُحد والمشاهد كلها: مات فلان وذهب عنه النعيم والسرور لكي يغتم به المخلصون فقال الله:﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ﴾ في طاعة الله يوم بدر والمشاهد كلها ﴿أَمْوَاتٌ﴾ كسائر الأموات ﴿بَلْ أَحْيَاء﴾ بل هم الأحياء أهل الجنة يرزقون من التحف﴿وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُون﴾[البقرة:١٥٤]لا تعلمون بكرامتهم وحالهم[٣].

ثم ذكر ابتلاء المؤمنين فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبرنكم ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ﴾ خوف العدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ في قحط سنين ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ﴾ ذهاب الأموال ﴿وَالأنفُسِ﴾ ذهاب الأنفس في القتل والموت والأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ وبذهاب الثمرات.

---

(١) توحي الآيات أن الله جعل الصبر وسيلة عملية للوصول إلى النتائج العظيمة (واستعينوا بالصبر) واستعينوا أيضاً (بالصلاة) لأنها تجعلك دائم الإتصال بالله سبحانه وتعالى، ودائم التذكر لله تعالى.

(٢) رَزَأَتْهُ رَزيئة أي أصابته مُصيبة. لسان العرب، لابن منظور، {٨٥/١}.

(٣) نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى: (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ) كما قال في شهداء أحد (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون). انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦٨/١}

ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥]﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾بما ذكرت﴿ قَالُواْ إِنَّا لِلَّـهِ ﴾ نحن عبيد لله ﴿وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[البقرة:١٥٦] بعد الموت إن لم نرض بقضائه لا يرضى عنا بأعمالنا ﴿أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾في الدنيا ﴿وَرَحْمَةٌ﴾من العذاب ﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧] للاسترجاع[١].

ثم ذكر كراهية المؤمنين الطواف بين الصفا والمروة من قِبَلَ الصنم الذي كان عليها فقـال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ يقول إن الطواف بين الصفا والمروة ﴿مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾ مما أمر الله من مناسـك الحـج ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ [لا إثم عليه[٢]]﴿ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ بينهما ﴿وَمَـن تَطَـوَّعَ خَـيْرًا ﴾ من زاد في الطواف الواجب ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ ﴾يقبله ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] بنياتهم.

ويقال[٣]: بأن الله شاكر يشكر اليسير، ويجزي الجزيل[٤].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَـاتِ﴾ من الأمر والنهي والعلامات في التوراة ﴿وَالْهُـدَى﴾صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ لبني إسرائيل ﴿فِي الْكِتَـابِ﴾في التوراة[٥] ﴿أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ﴾[٦] يقول يعذبهم في القبر ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُـونَ﴾[البقرة:١٥٩] تلعنهم الخلائق غير الإنس والجن إذا سمعوا أصواتهم في القبر[٧].

ويقال: يعذبهم في الدنيا بأنواع[٨] العذاب وكذلك على أيدي أوليائه من عبيده، وهو الصحيح إن شاء الله.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ من اليهودية ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ووحدوا ﴿وَبَيَّنُواْ﴾صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله ﴿فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أتجاوز عنهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ المتجاوز لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾[البقـرة:١٦٠] لمن مات على التوبة.

---

(١) أي الموفقون للاسترجاع. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١٠٦/١}.

(٢) في (ب): لا أثم عليه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٧/١}.

(٤) في (ب): شاكر بشكر اليسير ويجزي الجزيل.

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٧٥/١}.

(٦) هؤلاء الذين يكتمون ما أنزلهُ الله من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفَته وأمر دينه، أنه الحق -من بعد ما بيَّنه الله لهم في كتبهم- يلعنهم بكتمـانهم ذلـك، وتـركهم تَبيينـه للناس.جـامع البيـان فـي تـأويل القرآن، للطبري، {٢٥٣/٣}.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٥٣/١}.

(٨) في (ب): بألوان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ بالله وبالرسول ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[البقرة:١٦١] حقت عليهم لعنة الكل أجمعين ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ لا يرفع ولا يهون عليهم العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾[البقرة:١٦٢] يؤجلون من العذاب.

ثم وحد نفسه حين جحدوا وحدانيته فقال: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ العاطف ﴿الرَّحِيمِ﴾ [البقرة:١٦٣] العطوف.

ثم ذكر علامة وحدانيته فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يقول في خلقهما ويقال فيما خلق فيهما ﴿وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في تقلب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ في معائشهم ﴿وَمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ وفيما أنزل الله ﴿مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ من مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد قحطها ويبوسها ﴿وَبَثَّ﴾ وفيما خلق فيها ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليب الرياح يميناً وشمالاً قبولاً ودبوراً مرة بالعذاب ومرة بالرحمة[1] ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ﴾ وفي السحاب المذلل ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ يقول في كل هؤلاء ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات لوحدانية الرب ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة:١٦٤] يصدقون أنها من الله.

ثم ذكر حب الكفار لمعبودهم في الدنيا، وتبرؤ بعضهم من بعض في الآخرة فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يعني من الكفار ﴿مَن يَتَّخِذُ﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً﴾ أصناماً كحب المؤمنين المخلصين لله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أدوم حباً لله من الكفار لأصنامهم.

ويقال[2] : نزلت هذه الآية في المنافقين الذين اتخذوا الدراهم والدنانير نداً وصنماً وأكفاء من دون الله.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ لو يعلم الذين أشركوا ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ يوم القيامة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ القدرة والمنعة لله جميعاً ﴿وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥] في الآخرة لمن لا يؤمن في الدنيا ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ﴾ يعني القادة ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ﴾ يعني السفلة ﴿وَرَأَوُاْ﴾ يعني السفلة والقادة ﴿الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦] العهد والألفة بينهم في الدنيا. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ﴾ يعني السفلة ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ من القادة ﴿كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا﴾ في الآخرة

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {٦١/٢٢}.

(٢) القول لأبن الربيع. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٨٠/٣}.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ [نـدامات][(١)] ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار﴾ [البقرة:١٦٧] ولا بمخرجين بعضهم بعضاً من النار، هذا إخبار عن الخلود في نار جهنم[(٢)].

ثم ذكر تحليل الحرث والأنعام فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ﴾ من الحرث والأنعام﴿حَلالاً طَيِّباً﴾ بغير تحريم من الله﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ تزيين الشيطان ووسوسته في تحريم الحرث والأنعام ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة:١٦٨] ظاهر العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾ الشيطان ﴿بِالسُّوءِ﴾ بالقبيح من العمل ﴿وَالْفَحْشَاء﴾ المعاصي ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ﴾ من الكذب﴿مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩] ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لمشركي العرب﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ﴾ تحليل ما بين الله من الحرث والأنعام ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ﴾ وجدنا عليه ﴿آبَاءنَا﴾من التحريم.

قال الله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾ أو ليس [كان[(٣)]] آباؤهم، وقد كان آباؤهم ﴿لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾ من الدين﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٧٠] سنة نبي أفهم يتبعونهم.

ثم ضرب مثلاً للكفار مع محمد صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مع محمد ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ﴾[(٤)] كمثل المنعوق وهو الإبل والغنم[(٥)] مع الناعق وهو الراعي الذي ينعق بصوت﴿بِمَا لاَ يَسْمَعُ﴾لا يفهم كلامه [أي] كلام الراعي إذا قال له كل أو اشرب ﴿إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ﴾عن الحق ﴿بُكْمٌ﴾ عن الحق﴿ عُمْيٌ﴾ عن الهدى، أي يتصاممون و يتباكمون ويتعامون عن الحق والهدى ﴿فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١] لا يفقهون أمر الله ودعوة النبي صلى الله عليه وآله كما لا تعقل الإبل والغنم كلام الراعي.

ثم ذكر أيضاً تحليل الحرث والأنعام فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ﴾ من حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ما أعطيناكم من الحرث والأنعام ﴿وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ بذلك ﴿إِن كُنتُمْ﴾ إذا كنتم[(٦)] ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[البقرة:١٧٢].

---

(١) سقط من (أ).

(٢) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبيرت: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ،عام النشر: ١٢٨٥ هـ، باب سورة البقرة {١١١/١}.

(٣) صقط في (أ).

(٤) في (ب): يقول كمثل .

(٥) في (ب): الغنم والإبل (تقديم وتاخير).

(٦) في (ب): {إن كنتم » إذا كنتم » إياه تعبدون}.

ويقال: إن كنتم تريدون بتحريمها عبادته فلا تحرموها، فإن عبادة الله في تحليلها.

ثم بين ما حرم عليهم فقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ التي أمر بذبحها ﴿وَالدَّمَ﴾ دم مسفوح ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾(1) وما ذبح بغير اسم الله عند الأصنام ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أُجبر إلى أكل الميتة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير خارج مستحل ﴿وَلاَ عَادٍ﴾ [ولا(2)] قاطع الطريق ولا متعمد لأكلها لغير الضرورة ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فلا حرج عليه بأكل الميتة عند الضرورة شبعاً أو دون شبع ولا يتزود منها شيئاً إلا أن يخاف ألا يجد غيره ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ بأكله [الْمِيتَة عِنْد الضَّرُورَة] ﴿رَّحِيمٌ﴾[البقرة:173] حين رخص عليه أكل الميتة(3).

ويقال: غير باغ في أكله غير مسرف، أي من غير ضرورة، ولا عاد في الأكل فوق حاجته دون الشبع وهو الصحيح(4).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ما بين الله في التوراة من صفة ونعت محمد ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً، نزلت(5) في كعب بن الاشرف وحييى بن أخطب وجدي بن أخطب ﴿أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾(6) إلا الحرام، ويقال:(7) ما يأكلون إلا ناراً في بطونهم يوم القيامة ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(8) بكلام طيب ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يبرئهم من الذنوب.

---

(1) أريد به غير الله. والإهلال: رفع الصوت بذكر الله، وذكر غيره. تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {12} وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، يعني ما ذبح بغير اسم الله تعالى. والإهلال في اللغة: هو رفع الصوت. وكان أهل الجاهلية إذا ذبحوا، رفعوا الصوت بذكر آلهتهم. انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، {168/1} ولسان العرب، لابن منظور، {701/11}.

(2) سقط في (أ).

(3) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {92/1}.

(4) أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام: الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية،المملكة الأردنية الهاشمية، مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع)الثقافية ، باب أقول في الأضاحي {377/2}. وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {299/19}.

(5) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {156/1}.

(6) المصابيح الساطعة الأنوار،للشرفي، مخطوط ، {254/7}.

(7) القول لأبي جعفر. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {329/3}.

(8) أي لا يكلمهم بما يحبونه وسرهم؛ لأن الله تعالى لا يكلمهم أصلاً، وإنما يكون من الملائكة بأمره تعالى، ويحتمل أن قوله ولا يكلمهم استعارة عن الغضب كقوله: (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ). انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي مخطوط، {254/7} و{وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} آل عمران: 77 أي لا يعطيهم خيراً وينعم عليهم بنعمه ولا يرحمهم ولا يحسن إليهم فالنظر منه سبحانه إليهم مجاز عن الإستهانة بهم والسخط عليهم. انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {413/2}.

ويقال لا يثني عليهم ثناء حسناً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤] وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم.

﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ﴾ الكفر ﴿بِالْهُدَى﴾ بالإيمان ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ اليهودية بالإسلام.

ويقال[1]: اختاروا ما تجب به النار على ما تجب به الجنة ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة:١٧٥] يقول فمن جرأهم، ويقال فما الذي جرأهم على النار، ويقال فما أعملهم بعمل أهل النار ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بما فيه الحق والصدق ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ﴾ خالفوا ما في الكتاب في صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله وكتموا ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:١٧٦] لفي خلاف بعيد عن الهدى.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾ كل البر ويقال ليس البر الإيمان ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ﴾ نحو الكعبة ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾ نحو بيت المقدس ﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ﴾ الإيمان هو الإقرار ﴿مَنْ آمَنَ بِاللّهِ﴾ ويقال[2]: ليس البر البار ولكن البار يعني المؤمن من آمن بالله ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿وَالْمَلآئِكَةِ﴾ بجملة الملائكة ﴿وَالْكِتَابِ﴾ بجملة الكتاب ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾ بجملة النبيين.

ثم ذكر الواجبات بعد الإيمان قال[3]: ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾ والبر بعد الإيمان إعطاء المال ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ على قلته وشهوته ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ ذي القرابة في الرحم ﴿وَالْيَتَامَى﴾ يتامى المؤمنين ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ المتعففين ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ مار الطريق الضيف النازل ﴿وَالسَّآئِلِينَ﴾ الذين يسألون مالك ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ المكاتبين ﴿وَفِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ الغزاة[4].

ثم ذكر الشرائع بعد الواجبات فقال: ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ يقول البر بعد الواجبات إتمام الصلوات الخمس وإيتاء الزكاة وما يشبه[5] ذلك ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ المتمون عهودهم فيما بينهم وبين الله أو فيما بينهم وبين الناس إذا عاهدوا ﴿إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء﴾ في

(١) القول لأبي جعفر. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٣٠/٣}.

(٢) هذا قول أبي عبيدة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٣٩/٣}.

(٢) هذا قول أبي عبيدة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٣٩/٣}.

(٣) في (ب): فقال .

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩٩/١}.

(٥) في (ب): أشبه.

الخوف والبلاء والشدائد، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ والأمراض والأوجاع ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ عند القتال ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أوفوا ﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] عن نقض العهود(١).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ..﴾، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج:٢٤] نزلت فيه(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ﴾ فرض﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ القود ﴿فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ عمداً ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عمداً ﴿وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ عمداً، نزلت في حيين من العرب(٣).

ويقال :كانوا يقتلون غير القاتل وهي منسوخة بقوله: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة من الآية:٤٥](٤).

ويقال: غير منسوخة وهو الصحيح ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ يقول من ترك عليه من حق أخيه شيء يعني القتل، أي وعفَا عن القتل، وأخذ الدية ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أمر الطالب أن يطلب منه بالمعروف بثلاث سنين إذا كانت دية تامة، وإن كان نصف الدية أو ثلثي الدية فسنتين، وإن كانت ثلث الدية ففي عامهِ ذلك ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ﴾ وأمر المطلوب أن يؤدي إلى أولياء مقتوله حقهم ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بغير تقاضٍ وتعب﴿ذَلِكَ﴾ يعني ذلك العفو ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تهوين ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ للقاتل من القتل ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد أخذ الدية، واعتداؤه أن يأخذ الدية ويقتل أيضا ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٨] يُقتَلُ ولا يعفى[عنه]، ولا يؤخذ منه الدية.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ بقاء وعبرة ﴿يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾ يا ذوي العقول من الناس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٩] لكي تتقوا قتل بعضكم بعضاً مخافة القصاص.

---

(١) ثم قال عز وجل في من جمع هذه الأوصاف مبينا للبر : {أولئك الذين صدقوا} وقال: {وأولئك هم المتقون} ثم أمر الله تعالى بالكون معهم حيث قال: {وكونوا مع الصادقين} وقوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٢١/١}.

(٢) بحار الأنوار ، للمجلسي ، {٢٩٦/٢٤}.

(٣) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١١٨/١}.

(٤) انظر: تفسير الماتريدي ، أبو منصور الماتريدي ، {٦/٢}.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ فرض عليكم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ في الرحم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ وللوالدين أكثر وأفضل[١] ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١٨٠]الموحدين وهذه الآية منسوخة بآية المواريث الوصية للوالدين[٢].

﴿فَمَن بَدَّلَهُ﴾ غير وصية الميت ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ وزره ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ يغيرونه ونجا الميت منه ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لوصية الميت ومقالته ﴿عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٨١] إن جار أو عدل.

ويقال: عليم بفعل الوصي فكانوا ينفذون الوصية كما كان، وإن جار مخافة الوزر حتى نزل قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾[٣] علم من الميت ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً أو خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ عمدا في الجور ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الورثة والموصى له، أي رده إلى الثلث والعدل ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فلا حرج عليه في رده ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ إن جار أو أخطأ ﴿رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٨٢] بفعل الوصي.

ويقال: غفور للوصي رحيم حين رخص عليه الرد إلى الثلث والعدل[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ فرض عليكم الصيام ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ثلاثين يوماً مقدم ومؤخر ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ بالعدد[٥].

---

(١) في (ب): أفضل وأكثر.

(٢) المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١٢٨/١}.

اختلف العلماء في هذه الآية على ثلاثة أوجه فمنهم من قال: منسوخة في الكل بالأقارب، وعليه الأكثر. ومنهم من قال: ثابتة في الكل، ومنهم: فيمن لا يرث منسوخة، فيمن يرث ثم اختلفوا بأي دليل نسخ، فقيل بآية المواريث، وهو اختيار الهادي-عليه السلام-، وقيل بالسنة وهي: (لا وصية لوارث) وهو اختيار المنصور بالله -عليه السلام- وقيل بالإجماع عن أبي علي والنسخ بالإجماع لا يصح عند يحيى وعبد الله -عليهما السلام- وهو قول الأكثر. انظر: التبيان في الناسخ والمنسوخ في القرآن المجيد: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم الصعدي (ت- ٦٤٧هـ) تحقيق: عبدا لله عبد الله بن أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، باب سورة البقرة {٦٧/١}.

(٣) في (ب): من الميت حيفا.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {١٥٦/١}.

(٥) يعني بذلك المعدود شهر رمضان ، يعني أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذين من قبلهم، هم أهل الأديان والكتب الذين كانوا قبلهم، فكانوا يأكلون ويشربون وينكحون مَا بينهم وبين أن يصلوا العتمة، وإلى أن يرقدوا و إذا كان ذلك امتنعوا بعد النوم من الأكل والشرب والنكاح إلى مثلها من الليلة القابلة. انظر: الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {٥٢-٥٣}.

ويقال: كتب عليكم الصيام، فرض عليكم الصيام بترك الأكل والشرب والجماع بعد صلاة العشاء، والنوم قبل صلاة العتمة ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع بعد صلاة العشاء، والنوم قبلها، وهذا منسوخ بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ بقدر ما أفطر من رمضان ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ الصوم والفدية ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فليطعم مكان كل يوم أفطر نصف صاع من حنطة لمسكين، وهذا منسوخ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

ويقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ لا يطيقون الصوم مثل الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة لا يطيقان الصوم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فليطعما مكان كل يوم أفطرا من رمضان نصف صاع من حنطة لمسكين(١).

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ زاد على المسكين أو أطعم مسكينين لكل يوم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ بالثواب ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٨٤] إذا كنتم تعلمون ذلك.

ويقال أيضاً: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي لا يطيقونه وهو الصوم، وذلك جائز في اللغة(٢).

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ هو ﴿الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [نزل به] جبريل عليه السلام بالقرآن جملة إلى سماء الدنيا، وأملاه على السفرة، ثم نزل بعد ذلك على محمد صلى الله عليه وآله يوماً بيوم ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ هدى من الضلالة يعني القرآن ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ واضحات من أمر الدين

(١) قال لإمام الهادي يحيى بن الحسين: معنى قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه هو وعلى الذين لا يطيقونه فطرح لا وهو يريدها والقرآن فهو عربي مبين، وهذا فموجود في لغة العرب، وفي آي كثير من الكتاب موجود، والعرب تأتي بلا في كلامها وهي لا تريدها، وتطرحها وهي تريدها، استخفافا لها. كتاب الأحكام في الحلال والحرام: للإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ت: ٢٩٨هـ) جمع وترتيب أبي الحسن علي بن الحسن بن أحمد بن أبي حريصة، تحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، باب القول في فرض الصيام، {٢٠٣/١}.

(٢) وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ، فطرح الألف وهو يريدها، ومن ذلك قول الشاعر:
نزلتم منزل الأضياف منا .... فعجلنا القرى أن تشتمونا وإنما أراد: ألاّ تشتمونا؛ فطرح الألف، ومثل هذا كثير في الكتاب، وهو حروف الصفات. مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٤٤٥}.

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ الحلال والحرام والأحكام والحدود، والمُخرِج من الشبهات ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾ في الحضر ﴿فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ في شهر رمضان ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ فليصم ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ بقدر ما أفطر ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ أراد الله لكم رخصة الإفطار في السفر.

ويقال[1]: اختار الله لكم الإفطار في السفر﴿وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ لم يرد أن يكون لكم العسر الصوم في السفر[2].

ويقال: لم يختر لكم الصوم في السفر[3].

والصحيح أن الصوم أفضل إن أمكنه ولم يضر بجسمه[4]، فقد قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[5] ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ﴾ لكي تصوموا في الحضر عدة ما أفطرتم في السفر﴿وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ﴾ لكي تعظموا الله ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ لدينه ورحمته ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾ [البقرة:١٨٥] لكي تشكروا رخصته .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ يريد إذا سألك عبادي أهل الكتاب ﴿عَنِّي﴾ أقريب أنا أم بعيد، ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فأعلمهم يا محمد أني قريب بالإجابة ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ فليطيعوا رسولي ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ وبرسولي قبل الدعوة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾[البقرة:١٨٦] لكي يهتدوا فيستجاب لهم الدعاء.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ المجامعة مع نسائكم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ مسكن لكم ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ مسكن لهن ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع بعد صلاة العتمة، وذلك أن أبي بكر بن أبي قحافة وغيره فعلوا ذلك، وأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت الرخصة ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فتجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ولم يعاقبكم﴿فَالآنَ﴾ أي حين أحلت لكم

---

(١) القول لابن عباس. انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٥}.

(٢) قال القاسم عليه السلام: ما روي ليس من البر الصيام في السفر معناه التطوع. كتاب التجريد: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الهاروني الحسني (٣٤٠هـ - ٤٢٤هـ) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، باب صيام التطوع {٦٣}.

(٣) كانت الرخصة للمريض والمسافر. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٦٢/٣}.

(٤) وروى ذلك عن معاذ بن جبل وأنس، وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٠٠/١}.

(٥) يقول الامام الهادي: أن الصوم في السفر أفضل فقيل له فحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي روي عنه أنه قال: (ليس من البر الصوم في السفر)، فقال: يعني بذلك التطوع وليس بالفريضة. كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٢١٦/١}.

﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُواْ﴾ واطلبوا﴿مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾ما قضاه الله لكم من ولد صالح، نزلت في عمر بن الخطاب، وقد كان فيمن جامع[١] ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ من حين يدخل الليل ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ يعني يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بعد الفجر، يعني دونه وقربه ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ﴾ إلى دخول الليل، نزلت في صرمة[٢] بن مالك بن عدي﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ ولا تجامعوهن ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ معتكفون في المساجد ليلاً ولا نهاراً﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ﴾ تلك المباشرة معصية ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ فاتركوا مباشرة النساء ليلاً ونهاراً حتى تفرغوا من الاعتكاف[٣]و﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه﴿لِلنَّاسِ﴾ كما بين هذا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٧] لكي يتقوا، نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا معتكفين في المسجد فيأتون إلى أهليهم إذا احتاجوا، ويجامعون نساءهم ويغتسلون ويرجعون إلى المسجد، فنهاهم الله عن ذلك[٤].

قال: والاعتكاف إقامة الرجل في مسجد أي مسجد كان، يعبد الله فيه ويصوم، فإنه لا اعتكاف إلا بصوم، ولا يخرج من مسجده إلا لقضاء حاجة لا بد منه، أو شهادة أو عبادة، ويلزم مسجده، وإن احتاج أن يأمر أهله وينهاهم في بيته فعل ذلك، ولم يجلس وعاد إلى المسجد[٥].

وأقل الاعتكاف يوم، ومن اعتكف دخل المسجد قبل طلوع الفجر ويخرج وقت الإفطار.

---

(١) عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره: "أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم"، وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حُرِّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة. ثم إن نَاسًا من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله: " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم فالآن باشروهن" يعني انكحوهن، "وكلوا واشربوا حَتى يَتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر". انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٣٦/٣} وبحر العلوم، للسمرقندي، {١٢٤/١} وتفسير سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ) تحقيق: إمتياز علي عرشي، ط١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ومن سورة البقرة {٥٧/١}.

(٢) صرمة بْن أبي أنس بْن مالك بْن عدي بْن عامر بْن غنم بْن عدي بْن النجار، الأنصاري الخزرجي النجاري، هكذا نسبه أَبُو عمر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٨/٣}.

(٣) نزلت في صرمة بن قيس. انظربحر العلوم، للسمرقندي، {١٢٥/١} وانظر تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٦}.

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٠٩/١}.

(٥) كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ، {٢١٩/١}.

وروي في الخبر أن رجلاً سأل الحسين بن علي عليه السلام أن يخرج في حاجته فقال: إني معتكف، فقصد الحسن صلوات الله عليه وعرفه فخرج معه وقضى حاجته، ثم جعل طريقة على الحسين عليه السلام، فقال: سألك الرجل فلم تخرج معه، فقال: كنت معتكفاً.

فقال الحسن عليه السلام: والله لقضاء حاجة مؤمن أحب إلي من اعتكاف شهر وصيامه[1].

ثم نزل في عبدان[2] بن الأشوع وامرؤ القيس[3] ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالظلم والسرقة والغصب، وبالحلف الكاذبة وغير ذلك ﴿وَتُدْلُواْ بِهَا﴾ ولا تدلوا بها﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾ بالحلف الكاذبة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٨٨] ذلك[4].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ عن زيادة الأهلة ونقصانها لماذا ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ علامات للناس لقضاء دينهم وعدة نسائهم وصومهم وإفطارهم﴿وَالْحَجِّ﴾ وللحج، نزلت في معاذ بن جبل سأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الطاعة والتقوى﴿بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ بأن تدخلوا البيوت من خلفها في الإحرام﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ الطاعة في الإحرام من إيتاء الصيد وغير ذلك [﴿مَنِ اتَّقَى﴾ الصَّيْد وَغير ذَلِك[5]] ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾التي كنتم تدخلون فيها وتخرجون منها قبل ذلك﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ واخشوا الله في الإحرام﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[البقرة:١٨٩]لكي تنجوا من السخطة والعذاب، نزلت في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كنانة وخزاعة كانوا يدخلون بيوتهم في الإحرام خلفها ومن سطحها كما فعلوا في الجاهلية.

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله في الحرم والحرم﴿ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يبدؤونكم في القتل ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾ ولا تبدأوا بالقتال في الحُرُمُ والحَرَمَ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة:١٩٠] المبتدئين بالقتال في

---

(١) درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية: يحي بن الحسين بن القاسم الرسي (ت-٢٩٨هـ) جمعها : القاضي العلامة عبد الله محمد بن حمزة بن أبي النجم الصعدي، تحقيق: عبد الله حمود العزي ،(مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية) ، باب وصية أمير المؤمنين عليه السلام{٣٩}.

(٢) ذكر مقاتل: أنه الذي حاصر امرأ القيس بن عابس الكندي في أرضه، وفيه نزلت: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلا) الآية. وقد تقدم بيان ذلك في ترجمة ربيعة بن عيدان. تفسير مقاتل بن سليمان، {١٦٥/١}.

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني أكل المرار، أشهر شعراء العرب في الجاهلية. انظر: طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، باب الطبقة الأولى {٥١/١}.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان، {١٦٥/١} وتفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {٢٢١/١}.

(٥) سقط هذا الجزء من الآية من (أ) و(ب).

الحرم والحرم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾ إن بدأوكم ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم في الحل والحرم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ كما أخرجوكم ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾[1] الشرك بالله وعبادة الأوثان ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ شر من القتل في الحرم ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ﴾ بالابتداء ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني في الحرم بالابتداء ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ بالابتداء ﴿فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:١٩١] بالقتل ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ عن الكفر والشرك وتابوا ﴿فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٢] لمن مات على التوبة ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ بالابتداء منهم في الحل والحرم ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الشرك بالله في الحرم ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ والعبادة ﴿لِلّهِ﴾ في الحرم ﴿فَإِنِ انتَهَواْ﴾ عن قتالكم في الحرم ﴿فَلاَ عُدْوَانَ﴾ فلا سبيل لكم في[2] القتل ﴿إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] المعتدين بالقتل.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الذي دخلت فيه لقضاء العمرة ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي صدوكم عنه ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ بدل ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بالقتل ﴿فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فالاعتداء الأول ظلم، والثاني على سبيل المكافأة والجزاء ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ﴾ واخشوا الله في الابتداء ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤] بالنصرة.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ في طاعة الله لقضاء العمرة ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[3] ويقال لا تقنطوا فتهلكوا، أي لا تيأسوا من روح الله من رحمة الله فتهلكوا ﴿وَأَحْسِنُوَاْ﴾ النفقة في سبيل الله، ويقال: أحسنوا الظن في الله، ويقال: احتسبوا بالنفقة في سبيل الله ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] في سبيله ويقال المحتسبين بالنفقة في سبيل الله، نزلت من قوله ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ

(١) تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {٢٣٢}. {والفتنة أشد من القتل} الفتنة الشرك يعني: وشركهم بالله أعظم من قتلكم إياهم في الحرم. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١/١٥٨}.

(٢) في (ب): با.

(٣) قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد، قام إليه ناس من الأعراب حاضري المدينة فقالوا: بماذا نجهز؟ فو الله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد. فنزل قوله تعالى: وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يعني تصدقوا يا أهل الميسرة فِي سَبِيلِ الله أي في طاعة الله. وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا وهكذا قال مقاتل. ومعنى قول ابن عباس ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا، أي لا تمسكوا عن النفقة والعون للضعفاء، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلب عليكم العدو فتهلكوا. ومعنى آخر: ولا تمسكوا، فيرث منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم. معنى آخر: ولا تمسكوا، فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/١٢٩}.

الله﴾ [البقرة:١٩٠] إلى ها هنا في المحرمين مع النبي صلى الله عليه وآله لقضاء العمرة بعد عام [عمرة[١]] الحديبية ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ لقبل الله بالإخلاص وإتمام الحج إلى آخره وإتمام العمرة إلى البيت، والصفا والمروة، والعمرة سنة عندنا ليست بواجبة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ معناه أتموا العمرة بعد الإحرام بها وإيجابها ولا يجزيه بعد الإيجاب والدخول فيها إلا الإتمام[٣].

وفرائض الحج أربعة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، وهو طواف النساء والمرور بالمشعر[٤].

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ حبستم عن الحج من عدو أو مرض ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فعليكم ما استيسر من الهدي شاة أو بعير أو بقرة لترك الحَرَمَ ﴿وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ﴾ في الحبس﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ الذي تبعثون به﴿مَحِلَّهُ﴾ منحره﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ أو في رأسه قملة، نزلت في كعب بن عجرة[٥]، وكان في رأسه قمل فحلق رأسه في الحرم ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ مقداره صيام ثلاثة أيام﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾على ستة مساكين أهل مكة ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ شاة يبعث بها إلى محله﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ من العدو وبرأتم من المرض فاقضوا ما أوجب الله عليكم من حج أو عمرة من عام المُقبل ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾ بعد قضاء العمرة ﴿إِلَى الْحَجِّ ﴾ إلى أن يحرم بالحج ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٦] فعليه الدم للتمتع شاة أو بعير أو بقرة.

---

(١) سقط في (أ).

(٢) كتاب التجريد: للإمام المؤيد بالله ، {٧١/١}.

(٣) كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ، {٢٣٨/١}.

(٤) الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة. وروى علي بن العباس عن القاسم عليه السَّلام: أن الوقوف بالمشعر الحرام فرضٌ، وذكر أبو العباس: أن المرور به يجزي عن الوقوف عنده، والإحرام والوقوف بعرفة يفوت بفواتهما، وطواف الزيارة يلزم قضاءه إذا فات، ولا يفوت الحج بفواته. التحرير: الإمام أبوطالب يحيى بن الحسين الهاروني، باب فروظ الحج {٢٣٠/١}.

(٥) هو كعب بن عجرة الأنصاري السلمي رضي الله عنه، من أهل بيعة الرضوان،(ت- ٥٢هـ). انظر: أسد الغابة، {٤ ٢٤٣}.

(٦) يقول الإمام الهادي يحي بن الحسين حدثني أبي عن أبيه أنه سئل عن قول الله سبحانه: (فما استيسر من الهدي) فقال: ما تيسر وحضر فإن تيسرت بدنة فهي أفضل، وإن حضرت بقرة فهي أفضل، وحضورها وتيسيرها فهو أمكانها بالغنى والجدة، وإلا فشاة وهو الذي عليه الناس. حدثني أبي عن أبيه أنه سئل عن المحرم هل يذبح الشاة والبقرة والجزور ويحتش لدابته؟ فقال: لا بأس بذلك. كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٣١٧/١}.

ويقال: من تمتع بالعمرة إلى الحج، أي اعتمر في أشهر الحج من غير أهل مكة[ثم حج(١)] حج في تلك السنة فعليه الدم وهو الصحيح(٢).

وأما القارن فلا بد له من سوق بدنة ليسوقها معه من حيث يحرم وإلا فلا يقرن﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ فمن لم يستطع أن يفعل من هذه الثلاثة شيئاً﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ فليصم ثلاثة أيام تباعاً ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في عشر الحج آخرها يوم عرفة﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم في الطريق أو في أهاليكم ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ مكان الهدي أي كملت بالهدي، ومن صام سبعة أيام في أهله وصلها ولم يفرقها ﴿ذَلِكَ﴾ يعني التمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾لمن لم يكن أهله ومنزله في الحرم، لأنه ليس على أهل الحرم هدي التمتع ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ اخشوا الله في ترك ما أمرتم به ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦] لمن ترك ما أمر من هدي أو صوم.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ للحج أشهر معلومات يحرم فيها بالحج، شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ﴾ فمن أحرم فيهن بالحج ﴿فَلاَ رَفَثَ﴾ فلا جماع في الحرم، ويقال الرفث هو القول القبيح الذي يستشقيه أهل الخير ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾ ولا سباب ولا تنابز ﴿وَلاَ جِدَالَ﴾ لا مراء مع صاحبه ﴿فِي الْحَجِّ﴾ في حرم الحج، ويقال لا جدال في فريضة الحج ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ ما تتركوا من رفث وفسوق وجدال في الحج ﴿يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ يقبله الله.

وَتَزَوَّدُواْ﴾ من زاد الدنيا مقدم ومؤخر يقول: تزودوا من الدنيا بقدر ما تكفون به وجوهكم عن المسألة يا أولي الألباب، يا ذوي العقول من الناس وتوكلوا علىالله ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ فإن التوكل خير زاد من الدنيا ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]واخشون في الحرام، نزلت هذه الآية في أناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد فينصبون في الطريق من أهل المنزل ظلماً فنهاهم الله عن ذلك(٣).

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ أن تطلبوا ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾بالتجارة في الحرم، نزلت(٤) في أناس كانوا لا يرون الشراء والبيع في الحرم، فرخص الله لهم ذلك. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم

(١) سقط في (أ).

(٢) كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٢٧١/١}.

(٣) تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {٣٤٩/١} وبحر العلوم للسمرقندي، {١٣٣/١}.

(٤) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٧}.

﴿مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ فإذا رجعتم من عرفات إلى المشعر الحرام ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ﴾ باللسان والقلب ﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم﴾ وقد كنتم ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل محمد والقرآن والإسلام ﴿لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾ [البقرة:١٩٨] الكافرين.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾(١) يقول ارجعوا من حيث رجعوا أهل اليمن(٢) ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ﴾ لذنوبكم ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩] لمن تاب ومات على التوبة، نزلت(٣) في أناس يقال لهم الحمسيون كانوا لا يريدون الخروج من الحرم إلى عرفات بحجهم، فنهاهم الله عن ذلك، وأمرهم أن يذهبوا إلى عرفات ويرجعوا من ثم ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ فإذا فرغتم من سنن حجكم ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ﴾ فقولوا يا الله، ويقال: فاذكروا الله بالإحسان إليكم ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾ كما ذكرتم ﴿آبَاءكُمْ﴾ في الجاهلية بالإحسان ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ بل أكثر ذكراً من ذكر آبائكم ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ في الموقف ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ أعطنا ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ إبلاً وبقراً وغنماً وعبيداً ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ [البقرة:٢٠٠] من نصيب في الجنة بحجه.

﴿وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ العلم والعبادة والعصمة من الذنوب والشهادة والغنيمة ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة ونعيمها ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١] ادفع عنا عذاب النار وعذاب القبر ﴿أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ حظ وافر في الجنة ﴿مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ من حجهم ﴿وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة:٢٠٢] يقول إذا حاسب فحسابه سريع.

---

(١) وهناك من قال: المراد بالناس إبْرَاهيمُ عليه السلام، فاقيم وحده مقام الناس، كما قيل في وصفه إبْرَاهيمُ كان أمة قانتاً لله وكما قال تعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} وإنما قال: رجل واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣١٠/٧} ومنهم من قال: من حيث أفاض الناس. هو آدم يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١٦٧/١}.

(٢) جاء عَنْ ابن عباس أنه قَالَ: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله عزوجل: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}. المُخْتَصَرُ النَّصِيحُ فِي تَهْذِيبِ الكِتَابِ الجَامِعِ الصَّحِيحِ: المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ بن أَبِي صُفْرَةَ أَسِيْدِ بن عَبْدِ اللهِ الأَسَدِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، المَرِيِّيُّ (ت: ٤٣٥هـ)، تحقيق: أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ السَّلُوم، دار التوحيد، دار أهل السنة – الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، باب وَتَزَوَّدُوا {٤/ ٢٣٦} وانظر الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١٦٥/١}.

(٣) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٨}.

ويقال: سريع الحفظ [1]، ويقال: شديد العقاب لأهل الرياء.

﴿وَاذْكُرُواْ اللهَ﴾ بالتكبير والتهليل والتحميد ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ معلومات ، أيـام التشـريق وهي خمسة أيام: يوم عرفة، ويوم النحر، وثلاثة أيام بعدهما[2].

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ برجوعه إلى أهله ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النحر ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجيله ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إلى اليوم الثالث [برجوعه[3]] ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتأخيره، ويقال: فلا عتب عليه بتـأخيره يخرج مغفوراً [له]﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الصيد إلى اليوم الثالث ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في الصيد إلى اليوم الثالث﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣] بعد الموت.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ كلامه وحديثه وعلانيته ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في الدنيا ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يحلف بالله أني أحبك وأبايعك ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤] جدل بالباطـل شديد الخصومة.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ غضب ﴿سَعَى﴾ مشى ﴿فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بالمعاصـي ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ الزرع والكدس بالحرق ﴿وَالنَّسْلَ﴾ يهلك الحيوان بالقتـل ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[البقـرة:٢٠٥] والمفسد[4]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ﴾ في صنيعك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ الحميـة بـالتكبر ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ مصيره جهنم ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[البقرة:٢٠٦] الفراش المصير، نزلت هذه الآية في أخنس بن

---

(١) قال الكلبي: إذا حاسب فحسابه سريع . ويقال: والله سريع الحفظ. وقال الضحاك: يعني لا يخالطه العباد في الحساب يوم القيامة ولا يشغله ذلك. ويقال: يحاسب كل إنسان فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة. انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، {١/١٦٩}.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤/٢٠٨} والتكبير أيام التشريق يقول في دبر كل صلاة : الله أكبر الله أكبر ثلاثا ثلاثا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: (ت-٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر – مصر، باب المجلد الثاني، {٢/٤٥٥}

وعن شريح بن أبرهة ، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُكَبِّرُ أيام التشريق حَتى يَخْرج مِنْ مِنى، يكَبِّر فِي دُبُر كُلِّ صَلَاةٍ» المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، باب شرح بن ابرهة، {٧/٣١٢}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {٤/٢٤٢}.

شريق كان حلو المنظر والمنطق، فكان يعجب النبي صلى الله عليه وآله كلامه بـأني أحبـك وأبايعك، ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً، زعموا أنه أحرق كدس قوم وقيل حمار قوم[١].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي﴾ أي يشتري ﴿نَفْسَهُ﴾ بماله ﴿ابْتِغَاء مَرْضَـاتِ الله﴾ طلب رضا الله، يقال نزلت في صهيب بن سنان[٢] اشترى نفسه بماله من أهل مكـة ﴿وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَـاد﴾[البقـرة:٢٠٧] الذين قتلوا بمكة، نزلت في أبوي عمار ياسر[٣]وسمية[٤]، قتلهم مشركوا أهل مكة.

والصحيح ما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مـن بين المشركين من القرية الظالم أهلها مكة، ونام على فراش النبي صلى الله عليه وآله[٥].

وفي الخبر: «إن الله أوحى إلى جبريل وميكائيل قد آخيت بينكما وأريد قبض روح أحدكما فاختارا فكل واحد منهما أحب الحياة، فقال: ما أنتما في مواساتكما كمواساة علي لمحمد صـلى الله عليه وآله[٦].

---

(١) انظر: بحر العلوم ، للسمرقندي، {١٣٦/١} وانظر تفسير الماتريدي ، أبو منصور الماتريدي ، {١٠٠/٢}.

(٢) هو صهيب بن سنان بن مالك، ويقال: خالد بن عمر بن عُقيل، ويقال طفيل بن عامر بن جَنْدلة بن سعد بن خزيمة ، وقيل: جذيمة ـ بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن التمر بن قاسط النمري، أبو يحي، وهو الرومي، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً، أسلم بمكة، وشهد بدراً، (ت في شوال ـ ٣٨هـ) . انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣٨/٣}.

(٣) ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسيّ، أبو عمار: صحابي، من السابقين إلى الإسلام. يماني. انتقل إلى مكة، وحالف أبا حذيفة ابن المغيرة المخزومي (من قريش) وزوجه أبو حذيفة بأمَة له اسمها سمية (انظر سميَّة بنت خبَّاط) فولدت له ابنه عمارا، على الرق، فأعتقه ياسر. وفي أيامه بدأت الدعوة إلى الإسلام سرا، فآمن هو وزوجته وابنه. ثم أظهروا إسلامهم بمكة، وعذبهم مشركو قريش، وقتل أبو جهل سمية (زوجة ياسر) ومات في العذاب. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٢٢/٤}.

(٤) سمية: كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمَرَ بْن مخزوم فزوجها من حليفه ياسر بْن عامر بْن مالك العنسي فآمن هو وزوجته وابنه. ثم أظهروا إسلامهم بمكة، وعذبهم مشركو قريش، وقتل أبو جهل سمية (زوجة ياسر) ومات في العذاب. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م، باب فاضي {١٨٦٣/٤}

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، {٨/٣}

(٦) انظر: تخريج أحاديث الإحياء: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت : ٨٠٦هـ) ، باب كتاب ذم ابخل {٢٠٠/٣}.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ في شرائع دين محمد[1]﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ تزيين الشيطان في تحريم السبت ولحم الجمل وغير ذلك ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة:٢٠٨]

ظاهر العداوة ﴿فَإِن زَلَلْتُمْ﴾ ملتم عن شرائع دين محمد ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بينات ما في كتابكم ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة لمن لم يبايع رسوله﴿حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٠٩]في نسخ الشرائع الأولة، نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لكراهيتهم السبت ولحم الجمل وغير ذلك.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ هل ينتظرون أهل مكة ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ يوم القيامة يعني بإتيانه إتيان أمره، كما قال: ﴿فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾[2].

﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ فرغ الأمر أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ﴾[البقرة:٢١٠] عواقب الأمور في الآخرة.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قيل أولاد يعقوب ﴿كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ كم مرة كلفناهم بالأمر والنهي وأكرمناهم بالدين في زمن موسى فبدلوا ذلك بالكفر ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ﴾ دين الله وكتابه بالكفر ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ﴾ من بعد ما جاءه محمد عليه السلام ﴿فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١] لمن كفر بها وبه.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حسن للذين كفروا أبي جهل وأصحابه ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما في الحياة الدنيا من سعة المعيشة، وذلك التحسين من إمهالهم لغفلتهم وتركهم النظر في آخرتهم ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ سلمان وبلال وصهيب وأصحابهم بضيق المعيشة بهم[3]﴿وَالَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ الكفر والشرك، يعني سلمان وأصحابه ﴿فَوْقَهُمْ﴾ بالحجة والجنة

---

(١) في (ب): حنيفا.

(٢) {إلاّ أن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ} يعني أمرهُ، لأنّ اللهَ تبارك وتعالى لا يزُولُ كما تقول: "قَدْ خَشِينا أنْ تَأتِينَا بنُو أُمَيَّة". وانما تعني حكمهم. انظر: معانى القرآن للأخفش: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، باب سورة البقر، {١/١٨٣}.

(٣) في (ب): لهم

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء﴾ يوسع المال على من يشاء﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢] بلا قوة ولا هنداز[١].

﴿كَانَ النَّاسُ﴾ في أول زمن نوح وإبراهيم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على ملة واحدة ملة الكفر، ويقال كانوا في زمان إبراهيم مسلمين ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ من ذرية نوح وإبراهيم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة لمن آمن بالله ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار لمن لم يؤمن بالله ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أنزل عليهم جبريل بالكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ لبيان الحق والباطل ﴿لِيَحْكُمَ﴾ كل نبي بكتابه ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في الدين، ويقال ليحكم الكتاب، وإن قرأت بالياء أراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في الدين ومحمد ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أعطوه، يعني الكتاب ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بيان ما في كتابهم ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً منهم وكفراً به ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بالنبيين ﴿لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ من الاختلاف في الدين ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ إلى الحق.

ويقال فهدى الله الذين آمنوا فحفظ الله [الذين آمنوا بالنبيين لما اختلفوا فيه من الحق والباطل[٢]]﴿بِإِذْنِهِ﴾ بكرامته وإرادته ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً لذلك، ويقال يثبت من يشاء ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] على دين قائم يرضاه إذا قبل العبد كرامته وهداه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظننتم يا معشر المؤمنين ﴿أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ مِن قَبْلِكُم﴾ ولم تبتلوا بمثل ما ابتلي به ﴿الَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ مضوا ﴿مِن قَبْلِكُم﴾ من المؤمنين ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ أصابتهم ﴿الْبَأْسَاء﴾ الخوف والبلاء والشدائد ﴿وَالضَّرَّاء﴾ الأمراض والأوجاع والجوع ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ حركوا في الشدة ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ قال رسولهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾ على الأعداء، قال الله لذلك النبي ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ﴾ على الأعداء بنجاتكم ﴿قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]

---

(١) (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال: أبو منصور الماتريدي عدة إحتمالات: (فَوْقَهُمْ)، في الحجة، يقول الله تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا). ويحتمل: (فَوْقَهُمْ)، في الجزاء والثواب. وقوله: (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يحتمل وجوهًا: بغير تبعة. ويحتمل: لا على قدر الأعمال، ولكن على قدر الشهوة وزيادة عليها؛ لأن رزق الجنة على ما تنتهي إليه الشهوات، ورزق الدنيا مقدر على قدر الحاجة والقوت؛ إذ لا أحد يبلغ مناه في الدنيا وحاجته، وفي الآخرة كل ينال فوق مناه. ويحتمل: أي من غير أن ينقص ذلك عن ملكه وخزائنه، وإن عظم عطاياه وكثر مناله، ليس كخزائن المخلوقين تنتقص بالدفع وتنفد. والله أعلم.
انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {١٠٦/٢}.

(٢) سقط في (أ).

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد، قبل آية المواريث ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ على من يتصدقون ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم﴾ تصدقتم ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ من مال ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ فعلى الوالدين ﴿وَالأَقْرَبِينَ﴾ وعلى الأقربين ﴿وَالْيَتَامَى﴾ يقول وتصدقوا على اليتامى يتامى الناس ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ مساكين الناس ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف النازل ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ﴾ تنفقوا ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال على هؤلاء ﴿فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥] أي عالم به وبنياتكم يجزيكم، ثم نسخ بعد ذلك الصدقة للوالدين بآية المواريث(١).

﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ في أوقات النفر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ شاق عليكم ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا﴾ الجهاد في سبيل الله ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ تصيبون الشهادة والغنيمة ﴿وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا﴾ الجلوس عن الجهاد في سبيل الله(٢) ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾لا تصيبون الشهادة والغنيمة ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦] أن الجلوس شر لكم، نزلت(٣) في سعد بن أبي وقاص(٤)، ومقداد بن الأسود(٥) وأصحابهما، ثم نزلت في شأن عبد الله بن

---

(١) قيل: هذه الآية وردت في التطوع ولا نسخ فيها، وقيل: الآية وردت في الزكاة، ثم نسخت ببيان مصارف الزكاة عن السدي. وقيل: في الزكاة المفروضة وفي التطوع، ففي الوالدين تطوع، وفريضة فيمن عداهما، لأن دفع الزكاة الى الآباء، والأمهات، والأولاد لا يجوز. التبيان في الناسخ والمنسوخ في القرآن المجيد، أبي النجم، {٧٤}.

(٢) في (ب): زيادة.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، {١٨٤/١}.

(٤) سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بْن وهيب بْن عَبْد مناف، يكنى أبا إِسْحَاق. وأمه حمنة بنت أبي سفيان بْن أمية بْن عَبْد شمس بْن عَبْد مناف. وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ بالجنة، وأحد الستة من أهل الشورى، ومن المهاجرين الأولين، تقدم إسلامه، وحضر مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ مشاهده، وجاهد بين يديه، ودعا له، فقال: " اللهم سدد رميته، وأجب دعوته "، فكان مجاب الدعوة. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، باب سعد بن أبي وقاص {٤٧٦/١}.

(٥) "كان يُقَالُ له المقداد بْن الأسود. فلمَّا نزل القرآن: ادعوهم لآبائهم. قيل المقداد بْن عَمْرو الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْروبْن ثَعْلَبَة بْن مَالِكِ بْن رَبِيعَة. وهاجر المقداد إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية في رواية محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر. ولم يذكره مُوسَى بْن عُقْبَة ولا أبُو معشر. انظر: الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، باب المقداد بن عمر {١١٩/٣}.

جحش[1] وأصحابه، وقتلهم عمرو بن الحضرمي وسؤالهم عن القتال في شهر رجب وملامة المشركين لهم بذلك، فقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ يقول يسألونك عن القتال في الشهر الحرام يعني رجب ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ في رجب ﴿كَبِيرٌ﴾ في العقوبة ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ وصد الناس عن دين الله وطاعته ﴿وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وصد الناس عن المسجد الحرام ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ عقوبة ﴿عِندَ اللهِ﴾ من قتل عمرو بن الحضرمي ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك بالله ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ من قتل عمرو بن الحضرمي[2].

﴿وَلاَ يَزَالُونَ﴾ يعني أهل مكة ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ﴾ يرجعوكم ﴿عَن دِينِكُمْ﴾ الإسلام ﴿إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾ قدروا ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ الإسلام ﴿فَيَمُتْ﴾ يعني ومن يمت ﴿وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت وردت حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ أي ولا يجزون بها في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هم فِيهَا خَالِدُون﴾[البقرة:٢١٧] مقيمون لا يموتون ولا يخرجون.

ثم نزلت أيضاً في شأن عبد الله بن جحش وأصحابه[3] فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في قتل عمرو بن الحضرمي الكافر ﴿أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ﴾ ينالون رحمة الله ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لفسقهم[4]﴿رَّحِيم﴾ [البقرة:٢١٨] إذ لم يعاقبهم[5].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ نزلت في شأن عمر بن الخطاب[6] لقوله: اللهم أرنا رأيك في الخمر فقال الله لمحمد صلى الله عليه وآله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ عن شرب الخمر ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾

---

(١) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر، أسلم عبد الله وعبيد الله وأبو أحمد بنو جحش، وهاجر عبد الله وعبيد الله ابنا جحش إلى أرض الحبشة في المرة الثانية. وكانت مع عبيد الله زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان. فتنصر عبيد الله بأرض الحبشة ومات بها. ورجع عبد الله إلى مكة. الطبقات الكبرى، لابن سعد، {٦٥/٣}.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، {٣٠٩/٤- ٣١٠}.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، {١٨٧/١}.

(٤) في (ب): لصنيعهم.

(٥) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {١٧٩/١}.

(٦) انظر: بحر العلوم ، للسمرقندي، {٤١٦/١}. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٦٥٧/٨}.

القمار﴿ قُلْ ﴾ يا محمد﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بعد التحريم ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ قبل التحريم بالتجارة بها ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ بعد التحريم ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قبل التحريم، ثم حرم بعد ذلك كلاهما.

والصحيح أن الخمر لم يكن حلالاً قط، وأنزل النهي عن شربها وقت السؤال توكيداً[(1)].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ نزلت في شأن عمرو بن الجموح، سأل النبي صلى الله عليه وآله ماذا يتصدقون من أموالهم ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ ما فضل من القوت وأكل العيال، ثم نسخ ذلك بآية الزكاة ﴿كَذَلِكَ﴾ هذا ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الأمر والنهي وهوان الدنيا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون﴾ [البقرة:٢١٩] ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ أنها فانية ﴿وَالآخِرَةِ﴾ باقية.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ نزلت في شأن عبد الله بن رواحه[(2)] سأل النبي صلى الله عليه وآله عن مخالطة اليتامى في الطعام والشراب والمسكن يجوز لنا أم لا؟ فقال الله تعالى [لنبيه[(3)]]: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ عن مخالطة اليتامى في الطعام والشراب والمسكن﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِصْلاَحٌ لَّهُمْ﴾ ولمالهم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك مخالطتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ في الطعام والشراب والمسكن﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فهم إخوانكم في الدين فاحفظوا أنصابهم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لمال اليتيم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لمال اليتيم ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لأعْنَتَكُمْ﴾ لحرم عليكم المخالطة ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة لمفسد مال اليتيم﴿حَكِيم﴾ [البقرة:٢٢٠] حكم بإصلاح مال اليتيم[(4)].

﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ﴾ نزلت[(5)] في مرثد بن أبي مرثد الذي أراد أن يتزوج امرأة مشركة تسمى عناق فنهاه الله عن ذلك فقال ﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ﴾ يقول: لا تتزوجوا المشركات

(١) في (ب): تأكيدا.

(٢) عبد الله بن رواحه - بفتح أوله- أبو رواحه الحارثي الأنصاري النقيب، شهد بدراً وما بعدها، وكان أحد النجباء الصادقين في الجهاد باللسان واليد، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة وبها استشهد، ولا عقب له، وكان في عمرة القضاء سنة سبع آخذاً بخطام ناقة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). أخرج له البخاري والنسائي وابن ماجة ومحمد بن منصور والسيد، والإمام زيد بن علي"، انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، {٣٩٨/٣}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) قَالَ ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا لكم، وأصل العنت الشدة والمشقة. وَمَعْنَاهُ: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} والعزيز الذي يأمر بعزة سهل على العباد أو شق عليهم {حَكِيمٌ} فيما صنع من تدبيه وترك الإعنات. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٥٥/١}.

(٥) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١٤٦/١}.

بالله[1] ﴿حَتَّى يُؤْمِنُونَ﴾ بالله ﴿وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ يقول ولنكاح أمة مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِّن﴾ نكاح ﴿مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ حسنها وجمالها، كذلك ﴿وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ﴾ ولا تزوجوا المشركين بالله ﴿حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾ بالله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ يقول تزويجك لعبد مؤمن ﴿خَيْرٌ مِّن﴾ تزويجك لحر ﴿مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ بدنه وقوته ﴿أُوْلَـئِكَ﴾ المشركون ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى الكفر وعمل النار ﴿وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ بالتوحيد ﴿وَالْمَغْفِرَةِ﴾ بالتوبة ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه ﴿لِلنَّاسِ﴾ في التزويج ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١] لكي يتعظوا عن تزويج الحرام.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ نزلت في شأن أبي دحداح[2]، سأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾عن مجامعة النساء في المحيض ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ أَذًى﴾ قذرحرام ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء﴾ اتركوا مجامعة النساء ﴿فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىَ يَطْهُرْنَ﴾[3] من المحيض﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ اغتسلن﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ﴾ من حيث رخص لكم الله قبل ذلك في الفرج[4]﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ الراجعين من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]من الذنوب والأدناس.

---

(١) قال الله سبحانه: (وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ). فزعم قوم أنها منسوخة نسخها قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)، وقال آخرون: إنها محكمة، والقول عندنا: إنها محكمة وليست بمنسوخة، وأنّ معنى الآية: أن الله سبحانه إنما أباح نكاحهن بعد إيمانهن لا ما دُمن على كفرهن ولا تمييز عندنا بين أهل الكتاب، ولا بين المشركين في النكاح كلهم أهل شرك. وأي شرك أعظم من شرك النصارى، وهم يزعمون أن عيسى ربهم، وأن الله ثالث ثلاثة، وغير هذا من الكفر، ويجحدون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من كتاب، وكذلك اليهود يجحدون جميع ذلك ويقولون: أن لله ولداً، وصنوف أيضاً من الكفر، ومن قال بما ذكرنا وجحد محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أو آية من كتاب الله فكافر عندنا. ومن الحجة على من أجاز نكاحهن، واحتج بالآية، أن يقول له: أليس الله قال في أول الآية: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ. الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {٦٦}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩١/١}.

(٣) فيها وجهين أحدهما: على قراءة التشديد في قوله تعالى: {حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ " }. وليس المراد بالتطهير إلا استعمال الماء للإغتسال. وثانيهما: على قراءة من قرأها بالتخفيف، ومعناه انقطاع الحيض. وقوله تعالى: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ}. أراد فإذا استعملن الماء للطهارة. فقد حصل مقصودنا من الدلالة وهو وجوب الغسل من الحيض. قوله لفاطمة بنت أبي حبيش: ((إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة "، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي)) الإنتصار على علماء الأمصار: الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني (ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق : عبد الوهاب بن علي المؤيد و علي بن احمد مفضل ، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية،ط٢، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م ، الباب السابع في الغسل وبيان خواصه {٣٦/٢}.

(٤) في (ب): في الفروج.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يقول فروج نسائكم مزرعة لأولادكم ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ مزرعتكم كيف شئتم مقبلة أو مدبرة إذا كان في مكان واحد ﴿وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ﴾ من ولد صالح ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في أدبار النساء، ومجامعتهن في المحيض ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ﴾

بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣] يقول بشر يا محمد المؤمنين المتقين عن اجتناب النساء ومجامعتهن في المحيض بالجنة، قال: وأقل الحيض ثلاث ليال بأيامها، وأقل الطهر عشرة أيام بلياليها ولا حد لأكثره، والنفاس أكثره أربعون يوماً ولا حد لأقله[١].

﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللهَ عُرْضَةً﴾ سبباً ولا علة ﴿لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن رواحة إذ حلف أن لا يحسن الى اخته[٢]ولا يكلمهما ولا يصلح بينهما، فنهاه الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللهَ عُرْضَةً﴾ سبباً ولا علة لأيمانكم لا تحلفوا بالله﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أي لا تبروا﴿وَتَتَّقُواْ﴾ ولا تتقوا عن قطيعة الرحم ﴿وَتُصْلِحُواْ﴾ وألا تصلحوا ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يقول ارجعوا إلى ما هو خير لكم وكفروا أيمانكم.

ويقال: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أي لا تحسنوا إلى أحد ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ يقول واتقوا عن الحلف بالله في ترك الإحسان وتصلحوا وأصلحوا بين الناس ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ ليمينكم بترك الإحسان ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٤] بنياتكم وبكفارة اليمين.

﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ﴾ يقول بكفارة أيمانكم باللغو كقولكم لا والله وبلى والله في الشراء والبيع، وغير ذلك من اللغو﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بضمير قلوبكم بذلك ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لأيمانكم باللغو﴿حَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٢٥] إذ لم يعجلكم بالعقوبة[٣].

ويقال: اللغو يمينه على المعصية فإن تركه وكفر يمينه لا يؤاخذه وإن فعل يؤاخذه.

ويقال: اللغو أن يحلف بالله وهو يظن أنه صادق فيه[٤].

---

(١) كتاب المنتخب ويليه ايضاً كتاب الفنون: الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، باب الحيض والنفاس {٢٨ ـ ٢٩}.

(٢) قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حلف ألا تدخل أخته على زوجها بشير بن النعمان، وألا تكلمه ولا يدخل بيت خصم له لشئ كان بينهما، وجعل يقول قد حلفت بالله ألا أفعل فلا يحل لي ذلك، فنهاه الله. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١٨٩/١}.

(٣) انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي، {١٢٧/٢}.

(٤)انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي، {١٢٧/٢}.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يتركون مجامعة نسائهم بالحلف ألا يقربوها أربعة أشهر وفوق ذلك ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ يقول ينتظر أربعة أشهر ﴿فَإِنْ فَآؤُوا﴾ جامعوا قبل الأشهر ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ ليمينهم إن تابوا ﴿رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦] إذ بين كفارتهم.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ﴾ يقول: حققوا الطلاق وبروا يمينهم ﴿فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ ليمينهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٧] بما بانت المرأة بتطليقة واحدة بعد أربعة أشهر وبكفارة اليمين، نزلت في رجل يحلف ألا يقرب امرأته بالجماع أربعة أشهر وفوق ذلك فإن بر بيمينه وترك مجامعتها حتى تجاوز أربعة أشهر[فما فوقها(١)] فقال: بانت امرأتي بتطليقة واحدة، وهو مذهب الكوفيين، وإن جامعها قبل ذلك فعليه كفارة يمين(٢)، والصحيح أن يوقف بعد أربعة أشهر فإن فاء وإلا أجبر على الطلاق(٣).

والإيلاء عندنا: الحلف بالله موقتاً أربعة أشهر فما فوقها، ولا بد من أن يوقف ولو بعد سنين، وانقضاء أربعة أشهر لا يوجب طلاقاً، والفيء هو الجماع وإن لم يقدر لعلته بمقالته إلى أن يخرج من علته(٤).

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ واحدة أو اثنتين ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ ينتظرن﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ في العدة ﴿ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾ ثلاث حيض(٥).

والأقراء عندنا(٦): بالحيض لا الأطهار ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من ولد ﴿إِن كُنَّ﴾ إذ كن ﴿يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن

---

(١) صقط في (أ).

(٢) في (ب): اليمين.

(٣)انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ،{٣٨١/١-٣٨٢}.

(٤)انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ،{٣٨٠/١}.

(٥) يقول تبارك وتعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وقال سبحانه: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وقال سبحانه: (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وقال سبحانه: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واللائي لم يحضن) هذه الآيات بينت عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها زوجها، والحامل وعدة الآيسة والتي لم تحض.

(٦) تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {١٤٨}.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة بنت أبي حبيش (صلي ما بين القرء إلى القرء) فجعل الحيض هو القرء، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: للمستحاضة (دعي الصلاة أيام أقرائك) أرا د أيام حيضك. انظر: الإنتصار على علماء الأمصار، الإمام المؤيد،{٢٢٧/١}.

﴿فِي ذَلِكَ﴾ العدة أو الحبل ﴿إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا﴾ مراجعة لأن في بدو الإسلام كان إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطلقتين كان أملك برجعتها بعد انقضاء العدة وقبل التزويج فنسخ الله ملك الرجعة بقوله: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ﴾[البقرة من اية:٢٢٩] وكذلك في الحبل كان أحق برجعتها في ذلك الحبل، ولو طلقها الف مرة فنسخ ذلك بقوله ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[الطلاق من الآية:١] ﴿وَلَهُنَّ﴾ من الحق والحُرمَة على أزواجهن ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ في إحسان الصحبة والمعاشرة ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في العقل والميراث والدية والشهادة، وبما عليهم من النفقة والخدمة ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة لمن ترك ما بَيَّنَ للمرأة والزوج من الحق والخدمة ﴿حَكُيم﴾ [البقرة:٢٢٨] فيما حكم بينهما.

﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ﴾ يقول طلاق المراجعة مرتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ قبل التطليقة الثالثة وقبل الاغتسال من الحيضة الثانية ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن الصحبة والمعاشرة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أو يطلقها الثالثة بإحسان يؤدي حقها، والطلاق الثلاث يرجع عندنا إلى واحدة طلقها بطلقة(١) واحدة أو متفرقاً، ولا يقع الثاني إلا بعد المراجعة، وكذلك الثالث يقع خلاف السنة في حال الحيض، وله أن يراجعها ولو(٢) طلقها ثلاثاً معاً ما دامت في عدتها بوطء أو إشهاد وبعد انقضاء العدة بنكاح جديد ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أعطيتموهن من المهر ﴿شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا﴾ يعلما الزوج والمرأة ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ أحكام الله بين المرأة والزوج ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ أحكام الله بين المرأة والزوج ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ الزوج خاصة ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أن يأخذ ما أشترت المرأة به نفسها من زوجها بمهرها وليس له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها عندنا﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ هذه أحكام الله بين الزوج والمرأة ﴿فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ فلا تجاوزوها إلى ما نهى الله لكم ﴿وَمَن يَتَعَدَّ﴾ [يتجاوز(٣)] ﴿حُدُودَ اللهِ﴾ أحكام الله إلى ما نهى الله عنه ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩] الضارون.

ثم رجع إلى قوله: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ﴾ فقال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الثالثة ﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ﴾ تلك المرأة ﴿مِن بَعْدُ﴾ التطليقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويدخل بها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج

---

(١) في (ب): بلفظة .

(٢) في (ب): وإن .

(٣) سقط في (أ) .

الثاني(١)، نزلت في عبد الرحمن بن الزبير ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على الزوج الأول والمرأة ﴿أَن يَتَرَاجَعَا﴾ بمهر ونكاح جديدين ﴿إِن ظَنَّا﴾ إن علما ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ أحكام الله بين المرأة والزوج ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ وهذه أحكام الله وفرائضه ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٠] أنه من الله ويصدقون بذلك.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء﴾ واحدة ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ عدتهن قبل الاغتسال من الحيضة الثالثة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بإحسان الصحبة والمعاشرة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ اتركوهن حتى تغتسل وتخرج من العدة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ يؤدي حقها ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ بالضرار ﴿لَّتَعْتَدُواْ﴾ وتظلموهن ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الضرار ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ ضر نفسه ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللهِ﴾ أمر الله ونهي الله ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء لا تعملون بها ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ﴾ واحفظوا منة الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ في الكتاب من الأمر والنهي ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ والحلال والحرام ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ ينهاكم عن الضرار ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في الضرار ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الضرار وغيره ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء﴾ تطليقة واحدة أو تطليقتين ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فانقضت عدتهن وأردن أن يرجعن إلى أزواجهن الأول منهم بنكاح[صحيح(٢)] جديد ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فلا تمنعوهن ﴿أَن يَنكِحْنَ﴾ أن يتزوجن ﴿أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الأول منهم، وإن قرأت بخفض الصاد فهو الحبس ﴿إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم﴾ إذا اتفقوا فيما بينهم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بمهر ونكاح جديد ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿يُوعَظُ بِهِ﴾ يؤمر به ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أصلح لكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم وقلوبهن من الريبة والعداوة ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ حب المرأة للزوج ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٢] نزلت هذه الآية في معقل بن يسار المزني(٣) لمنعه أخته جميلة أن ترجع إلى زوجها الأول عبد الله بن عاصم بمهر ونكاح جديد فنهاه الله عن ذلك(٤).

---

(١) فاطمة بنت قيس لما أرادت الرجوع إلى رفاعة بعد عبد الرحمن بن الزبير. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٥٨/٧}

(٢) سقط في (أ).

(٣) معقل بن يسار المزني: من مشاهير الصحابة، وشهد بيعة الرضوان نزل البصرة، وبها توفي في آخر إمارة معاوية، روى عنه الحسن وغيره. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٢٢٤/٥}.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩٧/١}.

﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ المطلقات ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ سنتين ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ للولد ﴿وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ يعني الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ نفقتهن على الرضاع ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ ما يكسوهن من اللباس ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوسط بلا إسراف ولا إقتار، ومدة الرضاع حولان، فمن رضع أو أرضع فيهما فهو رضاع وما بعدهما فليس برضاع محرم، وقد قال في موضع آخر أيضاً: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (١)

وقال في موضع آخر: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا﴾(٢).

فبعد العامين من ثلاثين شهراً تبقى ستة أشهر، ومن ها هنا قالوا: أقل الحمل ستة أشهر، وأكثر الحمل أربع سنين عند أسلافنا عليهم السلام (٣)﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلا بقدر طاقتها وما أعطاها الله من المال ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ بأخذ ولدها منها بعدما [رضيت(٤)] بما أعطت غيرها من أجرة المثل على الرضاع ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ﴾ يعني الأب ﴿بِوَلَدِهِ﴾ بطرح ولده عليه بعدما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ وارث الأب، ويقال وارث الصبي ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ مثل ما على الأب من النفقة وترك الضرار إذا لم يكن الأب ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الزوج والمرأة ﴿فِصَالاً﴾ فصال الصبي عن اللبن قبل الحولين وفطاماً ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ بتراضي الأب والأم ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ بمشاورتهما ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على الأب والأم إن لم يرضعا ولدهما سنتين ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ﴾ غير الأم وأرادت الأم أن تتزوج ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فلا حرج على الأب والأم ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم﴾ إذا أنفقتم ما أعطيتم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالموافقة بغير المخالفة ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في الضرار والمخالفة ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الموافقة والمخالفة والضرار ﴿بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٣] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ يموتون من رجالكم

---

(١) لقمان من الآية: ١٤.

(٢) الأحقاف من الآية: ١٥.

(٣) أكثر الحمل أربع سنين وفيما دونها وقع الخلاف فالأخذ بالأكثر يكون إجماعاً على ألا زيادة على ذلك المقدار بحال. انظر: الإنتصار على علماء الأمصار، الإمام المؤيد، {٣٥٢/٢} وأقل الحمل ستة أشهر كما قال الله عز وجل: {وحمله وفصاله ثلاثون شهراً}، فجعل أقل الحمل ستة أشهر؛ لأنه قال: {وفصاله في عامين} قد تنقص الشهور وقد يضع النساء حملهن في نقصان من وفاء الحمل بهذا المقدار، وذلك فمشاهد معروف غير منكر. انظر: كتاب المنتخب، الإمام الهادي، {١٦٢}.

(٤) سقط في (أ).

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ يتركون أزواجاً بعد الموت ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ ينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ في العدة ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ يعني عشرة أيام ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فإذا انقضت عدتهن ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ على أولياء الميت في تركهن ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من زينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ للتزويج ﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤].

قال: فإن كانت المتوفى عنها زوجها حاملاً اعتدت بآخر الأجلين إن وضعت قبل استكمال أربعة أشهر وعشر أكملتها، وإن انقضت قبل الوضع تربصت إلى أن تضع، وهو مذهب أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه[1]، وإن كان الزوج غائباً فنعي لها اعتدت من يوم يبلغها خبر وفاته لا من اليوم الذي صحت وفاته ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا حرج على الخطاب ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء﴾ فيما تعرضتم بأنفسكم على المرأة المتوفى عنها زوجها قبل انقضاء العدة لتزويجها بعد انقضاء العدة، وهو أن يقول إن جمع الله بيننا بالحلال يعجبني ذلك[2] ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ أضمرتم ذلك ﴿فِي أَنفُسِكُمْ﴾ في قلوبكم ﴿عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ تذكرون نكاحهن ﴿وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ بالجماع ﴿إِلاَّ أَن تَقُولُواْ﴾ [في قلوبكم[3]] ﴿قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ صحيحاً ظاهراً هو أن يقول: إن جمع الله بيننا بالحلال يعجبني ذلك لا يزيد على ذلك.

وفي الجملة لا يجوز التصريح بالنكاح ما دامت في العدة ولا بأس بالتعريض ﴿وَلاَ تَعْزِمُواْ﴾ لا تحققوا ﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ العدة وقتها ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من الوفاء والخلاف على ما قلتم ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ فاحذروا مخالفته ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب من مخالفته ﴿حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥] إذ لم يعجله بالعقوبة ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني في باب المهر لا حرج عليكم ﴿إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ﴾ تجامعوهن ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ولم

---

(١) انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٤٣٤/١}.

(٢) يقول الرجل للمرأة وهي في عدة من وفاه زوجها: "إنك علي لكريمة، وإني فيك لراغب، وإن الله سائق إليك خيرا ورزقا"، ونحو هذا من الكلام. واختلف أهل العربية في معنى الخطبة.

فقال بعضهم: الخطبة الذكر، والخطبة: التشهد. وكأن قائل هذا القول، تأول الكلام: ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن. وقد زعم صاحب هذا القول أنه قال: (لا تواعدوهن سرا)، لأنه لما قال: (ولا جناح عليكم)، كأنه قال: اذكروهن، ولكن لا تواعدوهن سرا. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٠١/٥}.

(٣) سقط في (أ).

تبينوا لهن مهراً ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ متعة الطلاق ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ على الموسر ﴿قَدَرُهُ﴾ قدر ماله ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ قدر ماله ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ فهو فوق مهر المثل وأدناه درع وخمار وملحفة ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:٢٣٦] واجباً على الموحدين لأنه بدل المهر.

ثم بين حكم من سمي مهرها فقال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهن ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ قد بينتم مهورهن ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ فعليكم نصف ما سميتم من مهرها ﴿إَلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾ إلا أن تترك المرأة حقها على الزوج ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أو يترك الزوج حقه على المرأة فيعطي مهرها كاملاً ﴿وَأَن تَعْفُواْ﴾ تتركوا حقكم ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أقرب للمتقي إلى التقوى، يقول للزوج والمرأة: من ترك على صاحبه فهو أولى بالتقوى ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ يقول للمرأة والزوج: لا تتركوا الفضل والإحسان بعضكم إلى بعض﴿إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الفضل والإحسان ﴿بَصِيرٌ﴾[البقرة:٢٣٧].

ثم حث على الصلوات الخمس فقال: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها ﴿والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ يقال: صلاة العصر خاصة، والصحيح أنها صلاة الجمعة(١)، وفي سائر الأيام الظهر﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨](٢) بالركوع والسجود، ويقال مطيعين ﴿فَإنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو في المسايفة ﴿فَرِجَالاً﴾ فصلوا على أرجلكم بالإيماء ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على الدواب حيث ما توجهتم ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ من العدو﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ﴾ فصلوا لله بالركوع والسجود ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ في القرآن للمسافر ركعتين وللمقيم أربعاً ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٩] قبل القرآن

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ يقبضون منكم من رجالكم ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ يتركون أزواجاً بعد الموت ﴿وَصِيَّةٌ﴾ يقول عليهم وصيةٌ، وإن قرأت وصيةً بنصب التاء يقول عليهم أن يوصوا وصية ﴿لِّأَزْوَاجِهِم﴾ في أموالهم ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ النفقة والسكنى إلى سنة ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ من غير أن

---

(١) هذا قول الإمام القاسم بن إبراهيم، والهادي إلى الحق وأسباطهما عليهم السلام، وهو قول الناصر للحق عليه السلام، وهو المروي عن علي عليه السلام فإنه قال: الصلاة الوسطى هي صلاة الجمعة، وهي في سائر الأيام الظهر. انظر: شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للتمييز بين الحلال والحرام: السيد الإمام الحسين بن بدر الدين، {٣٣٢/١}

(٢) قال الهادي عليه السلام: القانتون فهم الداعون إلى الله المسلمون لأمر الله، القائمون بحكم الله. انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٧٣/٧}.

يخرجن من مسكن زوجها ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من قبل أنفسهن أو تزوجن قبل الحول ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ على أولياء الميت في منع النفقة والسكنى بعدما خرجت من بيت زوجها أو تزوجت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ﴾ ولا بما فعلن ﴿فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْـرُوفٍ﴾ من تشوف وتزين للتزويج، وهي منسوخة بميراثها(١)، يعني نفقة المتوفى إلى الحول ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة لمن ترك ما أمر به ﴿حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٠] بما نسخ نفقة المتوفى والسكنى إلى الحول لقبل نصيبها من الميراث الربع والثمن

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإحسان والفضل ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢٤١] وليس بواجب لأنها فضل على المهر على وجه الإحسان إلا أن يكون المهر غير مسمى، ولم يحصل الدخول فتحب المتعة حينئذ في الحكم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ﴾ هكذا يبين الله ﴿لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه كما بين هذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٢٤٢] ما أمرتم به.

ثم ذكر خبر غزاة بني إسرائيل فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر في القرآن ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ﴾ من الذين خرجوا ﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾ من منازلهم لقتال عدوهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ ثمانية آلاف فجبنوا عن القتال ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مخافة القتل ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ﴾ فأماتهم الله مكانهم ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ على هؤلاء بإحيائهم ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣] الحياة.

﴿وَقَاتِلُواْ﴾ ثم قال لهم [بعد ما أحياهم(٢)] قاتلوا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله مع عدوكم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ بمقالتكم ﴿عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٤٤] بنياتكم وعقوبتكم إن لم تفعلوا ما أمرتم به.

---

(١) قال عبد الله بن الحسين: كانت المرأة إذا توفي زوجها اعتدت منه سنة، ولها النفقة والسكنى في بيته وماله، فنسخ ذلك بقول الله سبحانه: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) [البقرة: ٢٣٤] ، ونسخ الوصية التي في الآية بالميراث الذي حكم الله به وهو: الربع والثمن، ومن ذلك ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا وصية لوارث)). ولقد بلغني عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن امرأة جاءته فقالت: إن ابنة لي توفي عنها زوجها، واشتكت عينها، وهي تريد أن تكحلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قد كانت إحداكن ترمي بالبعرة عند رأس الحول، وإنما هي أربعة أشهر وعشراً)) وإنما أراد بالبعرة نساء الجاهلية، وذلك أنهن كن يعتددن سنة، فإذا مضت السنة خرجت المرأة من بيت زوجها، ثم رمت ببعرة وراءها عند انقضاء العدة وانقضاء الحول. انظر: الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {٨١/١}.

(٢) سقط في (أ).

ثم حث على الصدقة فقال: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ في الصدقة ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ محتسباً صادقاً من قلبه ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ الواحدة إلى ألف ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يقتر ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسع المال على من يشاء في الدنيا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم، نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يكنا أبا الدحداح[١] أوأبا الدحداحة[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر ﴿إِلَى الْمَلَإِ﴾ عن قوم ﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ اشموائل[٣] ﴿ابْعَثْ لَنَا﴾ بين لنا ﴿مَلِكًا﴾ للجيش ﴿نُّقَاتِلْ﴾ بأمره ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أتقدرون، وإن قرأت بخفض السين يقول خشيتم ﴿إِن كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ مع عدوكم

---

(١) الدحداح: بحاء مهملة فهو أبو الدحداح الأنصاري له صحبة وامرأته أم الدحداح وأبو الدحداح أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن يزيد التميمي الدمشقي، روى عن أبي عامر موسى بن عامر المرى ومحمود بن خالد ومحمد بن هاشم ومحمد بن إسماعيل بن علية وغيرهم، روى عنه الطبراني ومن بعده، وآخر من حدث عنه أبو بكر بن أبي الحديد السلمي. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، باب الدحداح والدخداخ {٣/٣١٧}.

(٢) وقيل: أن المراد من هذا القرض إنفاق المال الذي ليس بواجب من الصدقة وهو قول الأصم، واحتج عليه بوجهين: الأول: يقال: سماه بالقرض، والقرض لا يكون إلا تبرعاً. وسبب نزول الآية قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي الدحداح قال: يارسول الله إن لي حديقتين فإن تصدقت بأحديهما فهل لي مثالها في الجنة؟

قال: (نعم) وأم الدحداح معي؟ قال: (نعم) قال: والصبية معي؟ قال: (نعم) فتصدق بأفضل حديقته وكان تسمى الجنية، قال: فرجع أبو الدحداح إلى أهله وكانوا في الحديقة التي تصدق بها فقام على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته، فقالت: أبو الدحداح بارك الله لك فيما اشتريت، فخرجوا منها وسلموها، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (كم نخلة رداح متدلي لأبي الدحداح). الثاني: أنه الإنفاق الواجب، واحتج هذا القائل على قوله بأنه تعالى ذكرفي آخر الآية {وَإِلَيهِ يرْجَعُونَ} وذلك كالزجر تحت قوله: {مَثَلُ الذينَ ينفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ} وقوله تعالى: {وَإِلَيهِ يرْجَعُونَ} أي إلى الله فيجازيكم على ما قدمتموه.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: دلت على حسن الإنفاق فيما يقرب إلى الله سبحانه، وعلى أن من يفعل ذلك يضاعف له الرزق أضعافاً فأكثر. انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٧/٣٨٢}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٢٠٥} وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤/٤٣٦}.

﴿أَلاَّ تُقَاتِلُواْ﴾ عدوكم ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ﴾ ولم لا نقاتل العدو ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا﴾ من منازلنا ﴿وَأَبْنَآئِنَا﴾ يعني وسبوا ذرارينا ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ أوجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ﴾ عن قتال عدوهم ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٤٦] الذين تولوا عن قتال عدوهم.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ اشموائل ﴿ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ﴾ قد بين لكم ﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ملكه عليكم ﴿قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ من أين يكون له الملك علينا وليس هو من سبط الملك ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنا من سبط الملك ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ وليس له سعة من المال ينفق على الجيش ﴿قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره بالملك وملكه ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ فضيلة ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ علم الحرب ﴿وَالْجِسْمِ﴾ يعني الطول والقوة ﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ﴾ في الدنيا ﴿مَن يَشَاءُ﴾ وإن لم يكن من سبط الملك ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ لعطيته ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧] بمن يعطي قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ﴾ اشموائل ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ إنه من الله ﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [هو(1)] أن يرد إليكم التابوت الذي أخذ منكم ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ رحمة وطمأنينة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

ويقال: فيه ريح النصرة، ويقال فيه صورة كوجه الإنسان ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ يعني كتاب نبيه موسى ﴿مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ ومما ترك كتابه، ويقال: ألواح وعصاه ﴿وَآلُ هَارُونَ﴾ وما ترك هارون رداؤه وعمامته ﴿تَحْمِلُهُ﴾ تسوقه ﴿الْمَلآئِكَةُ﴾ إليكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في رد التابوت إليكم ﴿لآيَةً﴾ لعلامة ﴿لَّكُمْ﴾ أن ملكه من الله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٤٨] مصدقين، فلما رد عليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ خرج طالوت بالجيش أخذهم في أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء ﴿قَالَ﴾ لهم طالوت ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ جار ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ من النهر ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ معي على عدوي ولا يجاوزُهُ ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ لم يشرب منه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ معي على عدوي، ثم استثنى فقال: ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ وإن

(١) سقط في (أ).

قرأت بنصب الغين أراد غرفة واحدة، فكان يكفيهم تلك الغرفة لشـربهم ودوابهـم وجمـالهم ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ فلما بلغوا إلى النهر وقفوا في النهر وشربوا منه كيفما شاءوا ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً [(١)] لم يشربوا إلا كما دلهم[(٢)].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ يعني النهر ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ صدقوا ﴿مَعَهُ قَالُواْ﴾ فيما بينهم ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعلمون ويستيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ﴾ معـاينوا جـزاء عملهم بعد الرجوع إلى الله بعد الموت ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ جماعة قليلة من المؤمنين ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ جماعة كثيرة من الكافرين ﴿بِإِذْنِ اللّهِ﴾ بنصر الله ﴿وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩] فـي الحرب بالنصرة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ صافوا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ﴾ يعني هؤلاء المصـدقين ﴿رَبَّنَا﴾ يـا ربنـا ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أكرمنـا بالصـبر ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ فـي الحـرب ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠] على جالوت وجنوده[(٣)].

---

(١) ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد أصحاب بدر. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠٥/١}.

(٢) {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ} فاعلم أن وجه اتصال هذه الآية بما قبلها يظهر تقدير محذوف يدل عليه باقي الكلام والتقدير أنه لما أتاهم بآية التابوت أذعنوا له وأجابوه إلى المسير تحت رايته فلما فصل بهم أي لما خرج بالعسكر وفارق حد بلده وانقطع عنه ومعنى الفصل القطع يقال: قول فصل إذا كان يقطع بين الحق والباطل روي أنه قال: لايخرج معى رجل بني بناء لم يتمه ولامشغول بتجارة ولامتزوج لم يبن على امرأة أي لم يدخل بها ابتغي إلا الشباب الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفاً قوله تعالى {قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ} أي ممتحنكم امتحان العبد كما قال: {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ} ولما كان الإبتلاء بين الناس إنما يكون لظهور الشيئ وثبت أن الله تعالى لايثبت ولايعاقب على علمه إنما يفعل ذلك بظهور الأفعال من الناس وذلك لايحصل إلا بالتكليف لاجرم سمى التكليف ابتلاء وفي العطش فابتلوا بهذا الضرب من الإبتلاء لتميز الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر والمخلص من المنافق للإمام والجماعة وقوله {فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي} أي ليس من أهل ولايتي {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي} أي ومن لم يشرب منه ولم يذق مائه من أهل ولايتي قال: ها في قوله منه وفي قوله ومن لم يطعمه في الظاهر راجعة إلى النهر وفي المعنى راجعة إلى الماء انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٩٠/٧}.

(٣) قال عزّوجّل: { وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} أي لما برزوا لقتال جالوت وعسكره {قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} يقال: افرغ الدلو والإناء فراغاً إذا صبه ويقال: ضربه فريغة إذا كانت واسعة ومعناه صبرنا على قتالهم بلطفك {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} أو منا في مواطن الحرب بقوة القلب ورعب العدو {وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} هذا ظاهر، والمراد أنه لما برز عسكر طالوت ورأو القلة في جانبهم والكثرة في جانب عدوهم لاجرم استغلوا بالدعا والتضرع فقالوا ربنا افرغ علينا صبراً ونظيره ما حكى الله عن قوم آخرين أنهم قالوا حين الإلتقاء مع المشركين وكائن من نبي قتل معه ... انظر: المصابيح الساطعة الأنوار ،للشرفي، مخطوط، {٣٩٥/٧}.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ﴾ بنصر الله ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ النبي ﴿جَالُوتَ﴾ الكافر ﴿وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾ وأعطى الله داود ملك بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ والفهم والنبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ يعني الدروع ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ كما دفع بداود شر جالوت عن بني إسرائيل ﴿لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ بأهلها، يقول: دفع الله بالنبيين عن المؤمنين شر أعدائهم، وبالمجاهدين عن القاعدين عن القتال شر أعدائهم، لولا ذلك لفسدت الأرض بأهلها ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ﴾ ذو من ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١] بالدفع.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ﴾ هذه آيات الله يعني القرآن بأخبار الأمم الماضية ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ ننزل عليكم جبريل بها ﴿بِالْحَقِّ﴾ لبينات الحق والباطل ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥٢] إلى الجن والإنس كافة.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الذين سميناهم لك ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالكرامة ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ﴾ وهو موسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ فضائل وهو إبراهيم اتخذه خليلاً مصافياً، وإدريس رفعه مكاناً علياً ﴿وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الأمر والنهي والعجائب ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ وأعناه وقربناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بجبريل الطاهر ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ﴾ ما أخذ ﴿الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾ من بعد موسى وعيسى ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بيان ما في كتابهم ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ﴾ في الدين ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ﴾ بكل كتاب ورسول ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ بالكتب والرسل ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ﴾ ما اختلفوا في الدين ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣] كما يريد بعباده، يعني به التخلية بينهم وبين ما اختاروه ليصح التكليف، ولو شاء الله منعهم لكان قادراً عليه(١).

---

(١) (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي لو شاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل لكنه مناف للتكليف فلذا وكلهم إلى اختيارهم فاقتتلوا، وإذن الله أمره وتقديره، وقيل: علمه، من أذن بمعنى علم. وقال الطبرسي في قوله تعالى: " فلو شاء لهداكم أجمعين " أي لو شاء لالجأكم إلى الايمان، وهذه المشية تخالف المشية المذكورة في الآية الاولى. لان الله سبحانه أثبت هذه ونفى تلك، فالاولى مشية الاختيار والثانية مشية الالجاء. وقيل: إن المراد به: لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداءا من غير تكليف. قوله تعالى: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) أي مطلقا لان ما يتوقف عليه الفعل من الاسباب والآلات إنما هو بقدرته تعالى، وهو لا ينافي الاختيار، أو فيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا وجلب المنافع، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء). انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٨٦/٥}.

ثم حثهم على الصدقة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ مما أعطيناكم من الأموال في سبيل الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾ لا فداء فيـه ﴿وَلاَ خُلَّةٌ﴾ ولا مخاللة ﴿وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ للكافرين ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] المشركون بالله.

ثم مدح نفسه فقال: ﴿ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحي الذي لا يموت، القيوم القائم، الذي لا ند له ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلاَ نَوْمٌ﴾ ثقيل فيشغله عن أمـره ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ من أهل السموات والأرض يـوم القيامـة ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بين أيدي الملائكة من أمر الآخرة لمن تكون الشفاعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ يقول لا تعلم الملائكة شيئاً مـن أمر الدنيا والآخرة إلا ما علمهم الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ يقول كرسيه أوسع مـن السموات والأرض ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقل حفظهما عليه حفظ العرش والكرسـي بغيـر الملائكة ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ أعلى كل شيء ﴿الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] أعظم كل شيء.

ويقال: الكرسي ملكه وسلطانه، وهو كلام خرج على التمثيل، وقد يكون أيضاً علمه، قـال الشاعر: مالي بأمرك كرسي أكاتمه   وما تكرس علم اغيب مخلوق

أراد بالكرسي القلم، وكذلك العرش الملك، والاستواء عليه هـو الاسـتيلاء عليـه، قـال الشاعر(١):   قد استوى بشر(٢) على العراق   من غير حرب ودم مهراق

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لا يكره أحد على التوحيد من أهل الكتـاب والمجـوس بعـد إسلام العرب ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ الإيمان من الكفر، والحق من الباطل، نزلت في منذر بن ساوي [التميمي(٣)] ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ بأمر الشيطان وعبادة الأصنام ﴿وَيُؤْمِن بِاللهِ﴾ وبما جاء منه ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ فقد أخذ بالثقة بلا إله إلا الله والعمل الصـالح ﴿لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ ويقال: لا انقطاع لصاحبها عن نعيم الجنة، ولا زوال عن الجنة.

---

(١) الأخطل: شاعر زمانه، واسمه غياث بن غوث التغلبي النصراني. قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، {٥٨٩/٤}.

(٢) بشر بن مروان لما ولاه أخوه عبد الملك أمير العراق الأموي ، وله دار بدمشق عند عقبة الكتان وهو أول أمير مات بالبصرة. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، {١٤٥/٤}.

(٣) سقط في (أ).

﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لا انقطاع ولا زوال ولا هلاك بهذه المقالة ﴿عَلِيم﴾ [البقرة:٢٦٥] بأعمالنا الصالحة بثوابها ونعيمها.

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ حافظ وناصر الذين آمنوا عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾ قد أخرجهم من الكفر إلى الإيمان بالدعاء والهداية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني كعب بن الأشرف وأصحابهم ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الشيطان ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يدعونهم من الإيمان إلى الكفر ﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [البقرة:٢٥٧] لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر ﴿إِلَى الَّذِي﴾ عن الذي ﴿حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ خاصم إبراهيم ﴿فِي رِبِّهِ﴾ في دين ربه ﴿أَنْ آتَاهُ اللهُ﴾ أن أعطاه الله ﴿الْمُلْكَ﴾ وهو نمرود بن كنعان ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يحيي للبعث ويميت في الدنيا ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال إبراهيم: ايني ببيان ذلك ،فأتى برجلين من الحبس فترك واحدا وقتل واحدا،[1] قال: هذا بيان[ذلك[2]] ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ من نحو المشرق ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ من نحو المغرب ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ فخصم وقصم الذي كفر ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي﴾ إلى الجنة ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾ [البقرة:٢٥٨] يعني نمرود.

ويقال: إنما قال له نمرود لعنه الله ليس بحجة، لكن إبراهيم عليه السلام احتج بما لا يمكنه تلبيسه على أصحابه وندمائه لما يبين ذلك فيهم.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ يقول والذي مر على قرية دير هرقل وهو عزير بن شرخيا مر على قرية[3] ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يقول كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتهم، أراد معاينة ذلك لازدياد اليقين وأن يحققه ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ﴾ مكانه فكان ميتاً ﴿مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه في آخر النهار ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت ﴿قَالَ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿يَوْمًا﴾ ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها شيء فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ﴾ الله ﴿بَل لَّبِثْتَ﴾ مكثت ميتاً ﴿مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التين والعنب ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢١٥/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١٧٢/١}.

﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ إلى عظام حمارك كيف تلوح ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ لكي نجعلك ﴿آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ علامة للناس في إحياء الموتى، أنهم يحيون على ما يموتون لأنه مات شاباً وبعث شاباً.

ويقال: جعله عبرة للناس لأنه كان ابن أربعين سنة وابنه ابن مائة وعشرين سنة ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ﴾ عظام الحمار ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نرفع بعضها على بعض، وإن قرأت[1] بالراء كيف نخلقها﴿ ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ بعد ذلك يقول ننبت عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر، ويجعل فيه الروح بعد ذلك ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ كيف يجمع الله عظام الموتى فـ ﴿ قَالَ أَعْلَمُ﴾ قد علمت﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحياة والموت﴿قَدِيرٌ﴾[البقرة:٢٥٩] [2].

يقال: إنه عزير، ويقال:[3] إنه نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا[4].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ وقد قال إبراهيم أيضاً:﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كيف تجمع عظام الموتى﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بذلك ﴿قَالَ بَلَى﴾ أنا موقن﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لتسكن حرارة قلبي، وأعلم أن خليلك مستجاب الدعوة﴿قَالَ فَخُذْ﴾ إليك مقدم ومؤخر﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ من الشتات[5] أي مختلف ديكاً وغراباً وبطاً وطاووساً﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فقطعهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ﴾ ضع ﴿عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ من أربعة جبال﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ بعضاً﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ بأسمائهن ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ مشياً ﴿وَاعْلَمْ﴾ يا إبراهيم﴿أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة لمن لا يقر بإحياء الموتى ﴿حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠] بإجماع عظام الموتى وإحيائهم كما جمع وأحيا لك [تلك[6]] الطيور.

ويقال: إن إبراهيم عليه السلام أراد به ازدياد اليقين[7].

---

(١) (وَانظر إِلى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لحْماً). قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالزاي، وقرأ الباقون بالراء. فمن قرأ بالراء، فمعناه كيف نحييها. ونظيرها (أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) [الأنبياء: ٢١]، أي يبعثون الموتى. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/١٧٣}.

(٢) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٣٧}.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري {٥/٤٥٤}.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان. {١/٢١٨}.

(٥) قاله ابن عباس. انظر: تفسير الماوردي، لأبي الحسن الماوردي، {١/٣٣٤}.

(٦) سقط في (أ).

(٧) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢/٢٥١}.

ثم ذكر نفقة المؤمنين في سبيل الله فقال: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ يقول مثل الذين ينفقون في سبيل الله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ أخرجت سبع سنابل ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾ كذلك يضاعف نفقة المؤمن في سبيل الله من واحد إلى سبعمائة ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ﴾ فوق ذلك ﴿لِمَن يَشَاء﴾ لمن كان أهلاً لذلك، ويقال لمن قبل منه ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ بالتضعيف ﴿عَلِيم﴾ [البقرة:٢٦١] بنفقة المؤمن ونيته.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ نزلت هذه الآية في علي عليه السلام وغيره﴿ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ﴾ بعد النفقة ﴿مَنًّا﴾ على الله ﴿وَلاَ أَذًى﴾ بصاحبها ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾ [البقرة:٢٦٢] على ما خلفوا من خلفهم(١).

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ كلام حسن لأخيك في الغيب بالدعاء والثناء والمغفرة والتجاوز عن المظلمة ﴿خَيْرٌ﴾ لك وله ﴿مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ يمن بها عليه ويؤذيه بذلك ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة المنان ﴿حَلِيم﴾ [البقرة:٢٦٣] إذ لم يعجله بالعقوبة لمنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم﴾ أجر صدقاتكم ﴿بِالْمَنِّ﴾ على الله ﴿وَالأذَى﴾ لصاحبها ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿فَمَثَلُهُ ﴾ مثل صدقة المشرك والمنان ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أجرد نقياً بلا تراب ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ على ثواب شيء ﴿مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ أنفقوا، يقول: لا يجد المنان والمؤذي ثواب صدقته كما لا يوجد على الصفا

(١) ذكر ابن عباس أن هذه الاية نزلت في علي بن أبي طالب (ع) كانت معه أربعة دراهم فانفقها على هذه الصفة بالليل والنهار. وفي السر والعلانية. وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله، وروي عن أبي ذر، والاوزاعي إنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل انه. قيل هي في كل من أنفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وإذا قلنا انها نزلت في علي (ع) فحكمها سار في كل من فعل مثله فعله. وله فضل الاختصاص بالسبق إلى ذلك. التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، باب سورة النساء، باب الذين ينفقون {٣٥٦/٢} وجاء في تفسير مقاتل. نزلت في عثمان بن عفان، في نفقته في غزاة تبوك، وتصدقه على المسلمين، وفي عبد الرحمن بن عوف الزهري، رضي الله عنه، حين تصدق بأربعة آلاف درهم مثقال كل درهم وكان نصف ماله. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٤٢/١}.

التراب بعدما أصابه مطر شديد ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي﴾ لا يثبت﴿الْقَوْمَ الْكَافِرِين﴾ [البقرة:٢٦٤] والمرائين بنفقتهم في الشرك والرياء كذلك لا يثيب المنان بنفقته(١).

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ يقول مثل أموال الذين ينفقون﴿ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وتصديقاً وحقيقة ونفساً من أنفسهم من قلوبهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع مستوٍ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر شديد كثير﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾ أخرجت ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ مطر شديد كثير ﴿فَطَلٌّ﴾ فرش مثل الرذاذ، وهذا مثل نفقة المؤمن إذا كان بالإخلاص والحسنة تضاعف ثوابها كما تضاعف ثمرة البستان﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بما تنفقون ﴿بَصِير﴾ [البقرة:٢٦٥].

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أيتمنى أحدكم ﴿أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ وكروم(٢)﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها﴿الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ في البستان﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان الثمرات ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء﴾ عجزوا عن الحيلة ﴿فَأَصَابَهَا﴾ يعني ذلك البستان ﴿إِعْصَارٌ﴾ ريح ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ حراً أوبرد ﴿فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ العلامات الأمر والنهي﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون﴾ [البقرة:٢٦٦] لكي تتفكروا في أمثال القرآن وهذا مثل الكافر في الآخرة يكون بلا حيلة ولا رجوع إلى الدنيا، كما أن هذا الكبير بقي بلا حيلة ولا رجوع إلى قوته وشبابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ﴾ من حلالات﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ ما جمعتم من الذهب والفضة ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ من النبات والثمار﴿وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ﴾ ولا تعمدوا إلى الرديء من أموالكم ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ بقابلي الرديء إذا(٣) كان لكم حق على صاحبكم ﴿إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ تتركوا بعض حقكم كذلك لا يقبل الله الرديء منكم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ عن نفقاتكم﴿حَمِيد﴾ [البقرة:٢٦٧] محمود في فعاله.

---

(١) مثل هذا المرائي ، (كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) ، وهو الحجر الأملس (عَلَيْهِ) ، أي على الصفوان ، (تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ)، وهو المطر الشديد العظيم القطر ، (فَتَرَكَهُ صَلْدًا) ، أي : أملس ، والصلد : الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه ، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي، ويري الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان ، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله ، كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلدا ، (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا) ، أي: على ثواب شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ). انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٣٢٦/١}.

(٢) في (ب): كروم بدون واو العطف.

(٣) في (ب): إن.

ويقال: يشكر اليسير، ويجزي الجزيل، نزلت هذه الآية في رجل من المدينة.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يخوفكم بالفقر عند الصدقة ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾ بمنع الزكاة ﴿وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم بإعطاء الزكاة ﴿وَفَضْلاً﴾ خلفاً وثواباً في الآخرة ﴿وَاللّهُ وَاسِعٌ﴾ بالخلف والمغفرة للذنوب﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨] بنياتكم وصدقاتكم.

ثم ذكر كرامته فقال: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء﴾ يعني النبوة، ويقال: تفسير القرآن، ويقال: إصابة القول والفعل والرأي ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ يعط الحكمة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ﴾ أعطي ﴿خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ وما يتعظ بأمثال القرآن والحكمة ﴿إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩] ذوو العقول من الناس.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في سبيل الله ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة الله ﴿فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ﴾ يتقبله إذا كان لله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ للمشركين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠] مانع من عذاب الله.

ثم ذكر صدقة السر والعلانية لقولهم أيهما أفضل فقال: ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ إن تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ الواجبات للواجب﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فنعم الشيء هي﴿ وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ تسروا التطوع ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ تعطوها ﴿الْفُقَرَاء﴾ فقراء أهل[1] الصفة ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ﴾ من العلانية وكلاهما مقبول منكم ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ بقدر صدقاتكم﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تعطون من الصدقة ﴿خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١] عليم.

ثم رخص الصدقة على فقراء أهل الكتاب و المشركين[2] لقولهم أيجوز لنا يا رسول الله أن نتصدق على قراباتنا من غير أهل ديننا، سألت عن ذلك أسماء بنت أبي بكر[3] ، ويقال ابنة أبي

---

(١) في (ب): أصحاب.

(٢) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {٣٩}.

(٣) أسماء بنت أبي بكر: ذات النطاقين أسن من عائشة، سماها رسول الله (ذات النطاقين لأنها صنعت لرسول الله (ولأبيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ماتشدها به فشقت نطاقها، وشدت به السفرة فسماها النبي (بذلك، وهي زوجة الزبير بن العوام وهاجرت الى المدينة وهي حامل بعبدالله بن الزبير فولدته بعد الهجرة فكان أول مولود في الاسلام بعد الهجرة، بلغت مائة سنة ولم ينكر من عقلها شيء، ولم يسقط لها سن، روى لها عن الرسول (ستة وخمسون حديثاً، روى عنها عبدالله بن عباس، وأبناؤها عبدالله وعروة، وعبدالله بن أبي مُلَيْكة وغيرهم وكانت جوادة منفقة (ت- ٧٣هـ) بمكة . معرفة الصحابة لابن منده: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، باب أسماء بنت أبي بكر {٩٨٢}.

بصرة فقال الله لنبيه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ في الدين هدى فقراء أهل الكتاب ﴿وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾ لدينه ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال على فقراء أصحاب الصفة ﴿فَلأنفُسِكُمْ﴾ أي يرجع نفعه إليكم ويجزيكم به، فلا تمنوا عليهم ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللهِ﴾ أي ما أريد به إلا تقرباً إلى الله في الطاعة، والتحري لمرضاته عز وجل، فالله يجزيه ويثيبه عليه، معناه لابتغاء وجه الله، فيستوجب العبد الثواب والجزاء عليه، ولا تكونون منفقين حتى تبتغوا بنفقتكم وجه الله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثواب ذلك ﴿وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢] لا ينقص من حسناتكم ولا يزاد على سيئاتكم، وهذه النفقة على أهل الكفر كان في بدو الإسلام ووقت الاضطرار والحاجة الشديدة.

وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ أي ليس عليك أن يقبلوا ولكن الله يهدي من يشاء إن قبلوا بالحكم والتسمية.

﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ﴾ يقول إنما الصدقات للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله في مسجد الرسول وهم أصحاب الصفة ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سيراً ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالتجارة ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ من لا يعرفهم ﴿أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من التجمل ﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا محمد ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بحليتهم ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ يقول إلحاحاً ولا غير إلحاح[1] ﴿وَمَا تُنفِقُواْ﴾ [على فقراء أصحاب الصفة[2]] ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال الله ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ﴾ [وبنياتكم[3]] ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣] ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم﴾ في الصدقة ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا﴾ في السر ﴿وَعَلاَنِيَةً﴾ في العلانية ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بالدوام ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤] إذا حزن غيرهم.

---

(١) (يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ) بحالهم (أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة (تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ) من صفرة الوجه ورثاثة الحال. والإلحاف: الإلحاح، وهو اللزوم، وألا يفارق إلا بشيء يعطاه. من قولهم: لحفني من فضل لحافه، أي أعطاني من فضل ما عنده. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ اللّه تعالى يحبّ الحييّ الحليم المتعفف، ويبغض البذئ السئال الملحف» ومعناه: أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل: هو نفى للسؤال والإلحاف جميعاً. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٣١٨/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) سقط في (أ).

وعن ابن عباس: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب خاصة في أربعة دنانير كانت لـه يتصدق منها نهاراً وبعضها ليلاً وبعضها سراً وبعضها علانية(١).

ثم ذكر عقوبة أكلة الربا فقال: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ استحلالاً﴿لاَ يَقُومُونَ﴾ من قبورهم يوم القيامة﴿إِلاَّ كَمَا يَقُومُ﴾ في الدنيا﴿ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ من الجنون ذلك الخبط علامة أكلة الربا في الآخرة(٢) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ بالزيادة في آخر البيع بعد حل الأجل كالزيادة في أول البيع إذا بعت بالنسيئة ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ﴾ الزيادة الأولى﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ الزيادة الأخرى، والصحيح من التأويل بخلافه لأن البيع بأكثر من ثمنه لأجل النسيئة لا يحل عندنا ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ﴾ نهي﴿ِّن رَّبِّهِ﴾ عن الربا ﴿ فَانتَهَىَ﴾ عن الربا ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ فليس عليه ما مضى قبل التحريم﴿وَأَمْرُهُ﴾ فيما بقي ﴿إِلَى اللهِ﴾ يحكم فيه بما يشاء، والصحيح أنه أراد [به(٣)] في التحليل والتحريم﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد التحريم إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾. ﴿فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [البقرة:٢٧٥] دائمون.

﴿يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا﴾ يهلك ويذهب بركته في الدنيا والآخرة ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ ويقبل الصدقات ويضعف الصدقات الواجب والتطوع إذا كان لله ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ كل كافر بتحريم الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦] فاجر بأكله.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ بالله ورسله وكتبه وبتحريم الربا﴿ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم وتركوا الربا ﴿ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾ الصلوات الخمس بما يجب فيها ﴿وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ﴾ وأعطوا زكاة أموالهم﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا ذبح الموت ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾ [البقرة:٢٧٧] إذا أطبقت النار وفي ذبح الموت نظر.

---

(١)انظر: الاعتبار وسلوة العارفين: الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ. تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية، ط١، ٢٠٠١، باب فصل، {٤٨٥}

(٢) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله: الحسين بن القاسم العياني، تحقيق إبراهيم يحي الدرسي الحمزي، منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية- اليمن صعدة، كتاب التوفيق والتسديد {٢١٧}.

(٣) سقط في (أ).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني ثقيفاً ومسعوداً وخبيباً وعبد يا ليل وربيعة ﴿اتَّقُواْ اللهَ﴾ اخشوا الله في الربا ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ اتركوا ما بقي لكم من الربى على بني مخزوم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] بتحريم الربا.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ تتركوا الربا﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ فاستعدوا لعذاب من الله في الآخرة وعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ من الربا ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [الذي(1)] على بني مخزوم ﴿لاَ تَظْلِمُونَ﴾ أحداً إذا [لم(2)] تطلبوا الزيادة ﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩] لا يظلمكم أحد إذا أعطوكم رؤوس أموالكم ويقال لا تظلمون لا تنقصون.

﴿وَإِن كَانَ﴾ مدينكم بنو مخزوم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ ذو شدة ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ فأجلوهم ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ إلى تيسير ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ عليهم برؤوس أموالكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الأخذ والتأخير ﴿إِن كُنتُمْ﴾ إذا كنتم ﴿تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠] ذلك.

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا﴾ اخشوا عذاب يوم ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ توفى كل نفس برة وفاجرة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ بما كسبت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١] لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم(3).

ثم علمهم ما ينبغي لهم في معاملتهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بالله والرسول ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ يعني الدين ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾ ما بين الدائن والمدين ﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بلا زيادة ولا نقصان(4)﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ بالعدل بلا زيادة ولا نقصان ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ ألا يكتب ما بين الدائن والمدين ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾ الكتابة ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فليكتب الكاتب

---

(١) سقط في(أ).

(٢) سقط في(أ).

(٣)انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، {٥٥٤/٢}.

(٤) وقال ابن عباس: أنها نزلت في السلف لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وهم يسلفون في التمر السنتين والثلاث فقال: صلى الله عليه وآله وسلم : ((من أسلف فليسلف في كيل معلوم إلى أجل معلوم)) ثم أن الله تعالى عرف المكلفين وجه الأحتياط في الكيل والوزن والأجل فقال: (إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) أي اكتبوا ذلك إلى أجل مسمى؛ لأن المجهول لايصح فمن الناس من قال: فرض كتبته وأكثرهم إلى أنه نذره، وقوله تعالى: (وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) أمر للمتداينين باختيار الكاتب الفقيه الدين العالم بشروط الشرع حتى يجيء ومكتوبه معدلاً والأمر للندب، ثم قال: (وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ) تلك الكتابة وهو تأكيد. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٦٥/٧}.

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ يعني المديون على الكاتب ما عليه من الدين ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ وليخش المدين ربه﴿وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ لا ينقص مما عليه من الشيء شيئاً من الإملاء ﴿فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ يعني المدين ﴿سَفِيهًا﴾ جاهلاً بالإملاء ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عاجزاً عن الإملاء ﴿أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ﴾ لا يحسن ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ على الكاتب ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ ولي المال وهو الدائن ﴿بِالْعَدْلِ﴾ بلا زيادة، ويقال ولي المدين ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ﴾ على حقوقكم ﴿شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ﴾ من أحراركم حرين مسلمين مرضيين ﴿فَإن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء﴾ من أهل الثقة بالشهادة ﴿أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا﴾ أن تنسى إحدى المرأتين ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا﴾ التي لم تنس ﴿الأُخْرَى﴾ التي نسيت ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء﴾ عن إقامة الشهادة ﴿إِذَا مَا دُعُواْ﴾ إلى الحاكم(١) ﴿وَلاَ تَسْأَمُوْاْ﴾ لا تملوا ﴿أَن تَكْتُبُوْهُ﴾ ألا تكتبوا الدين ﴿صَغِيرًا أَو كَبِيرًا﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ [إلى(٢)] وقته ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت لكم من الكتابة ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللهِ﴾ أصوب وأعدل عند الله ﴿وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أبين للشهيد بالشهادة إذا نسي ﴿وَأَدْنَى﴾ أحرى لكم ﴿أَلاَّ تَرْتَابُواْ﴾ ألا تشكوا بالدين والأجل ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ حالة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يداً بيد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿أَلاَّ تَكْتُبُوهَا﴾ التجارة ﴿وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ بالأجل ﴿وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ بالكتابة ﴿وَلاَ شَهِيدٌ﴾ بالشهادة أي لا تجبروهما على ذلك، ويقال: ولا يمنعان من ذلك ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾

---

(١) (وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه) فإنما معناها فليتكلم الذي عليه بما عليه لصاحبه حتى يشهد الشهود على ما يسمعون من إقراره على نفسه، وأما قوله عزوجل: (ولا يبخس منه شيئا) فهولا ينقص مما عليه لغريمة شقصا ولينطق بما عليه من ذلك طرا، وأما قوله: (فأن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل) ، فأن السفيه هاهنا هو سفه العقل وقلته، أما بصغر السن وإما بضعف العقل، وأما قوله سبحانه وتعالى (ضعيفا) فأن الضعيف قد يكون ضعف العقل، أو ضعف المرض، أو ضعف العمل، عن الكلام للعلة النازلة، وكذللك قوله عز وجل: (أولا يستطيع أن يمل هو) فقد يكون لعيه عن حجته أو لصغر سن ايضا أو لعلة تمنعه من ذلك فأذا كان ذلك كذلك وجب على الولي أن يمل ما يجب على صاحبه وأن يبينه ويشرحه بخضرة من صاحب الدين، واقرار منه به عند الشاهدين، وأما قوله عزوجل: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) فإنما يريد أهل دينكم وأهل الثقة من أهل ملتكم ممن ترضون عدالته وأما قوله: (فأن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) فان الله سبحانه أقام المرأتين مقام شاهد ثان لضعفهما وقلة معرفتهما بالواجب عليهماء ألا تسمع كيف يقول: (أن تضل أحداهما فتذكر إحدهما الاخرى) ، يريد بالضلال النسيان أو غير ذلك من الشأن ممن لا يؤمن على ضعفه النسوان، فأراد أن تذكرها الاخرى وتخوفها بربها فيه إن أرادت تعمد الجحدان لشهادتها. كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٢/٥-٤}.

(٢) سقط في(أ).

الضرار ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ معصية منكم ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في الضرار ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ ما يصلح لكم من المعاملة ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من صلاحكم ومعاملتكم ﴿عَلِيم﴾[البقرة:٢٨٢].

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾ أو آلة الكتابة ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ فليقبض الدائن من المدين رهناً لدينه ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ بالدين فلا رهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ حق صاحبه ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ وليخش المدين ربه في أداء الدين ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ﴾ عند الحاكم ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ فاجر قلبه ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة عند الحاكم وإقامتها ﴿عَلِيم﴾ [البقرة:٢٨٣] (١).

﴿للهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَإِن تُبْدُواْ﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ ما في قلوبكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه وتعقدوا عليه قلوبكم ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ يجازكم ﴿بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَا﴾ لمن تاب منه ومن سائر الذنوب ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من لم يتب ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المغفرة والعذاب ﴿قَدِير﴾ [البقرة:٢٨٤].

ثم قال الله تعالى مدحاً لنبيه ولمن آمن به توفيقاً على الإيمان والدعاء وتذكراً لمن غفل عنه من العباد: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ صدق الرسول محمد ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ يعني القرآن وما فيه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ﴾ أي كل واحد منهم ﴿آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ﴾ لا نكفر بأحد من رسله وقالوا:﴿سَمِعْنَا﴾ قول ربنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمر ربنا أي سمع وطاعة لربنا ﴿غُفْرَانَكَ﴾ نسألك المغفرة ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] المرجع بعد الموت(٢).

---

(١) وأما قوله عزوجل: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) فهو نهي منه للشهود أن يكتموا ما يعلمون من شهادتهم والكتمان فقد يكون بمعان وأسباب فمنها الجحدان للشهادة ومنها التعلل من الشاهد على المستشهد له بعلة ليست له عند الله بعلة، أو بالتشاغل عن اقامة شهادته بأمر لا يكون له فيه عند خالقه حجة، وأما قوله عزوجل: (فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤ تمن أمانته وليتق الله ربه) فهذه آية منسوخة نسخها قول الله سبحانه: (يا أيا الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل). انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٥/٢}.

(٢) فدلت الآية على أن الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم آمن بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وإنما خص الرسول بذلك؛ لأن الذي ينزل إليه من ربه قد يكون كلاماً متلواً سمعه الغير، ويعرفه ويمكنه أن يؤمن به وقد يكون وحياً لايعلمه سواه، فيكون هو صلى الله عليه وآله وسلم مختصاً بالإيمان به، فلهذا السبب كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مختصاً في باب الإيمان بما لايمكن حصوله في غيره، وأخذ في قوله: (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) في معنى الجمع، كقوله (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) والتقدير لانفرق بين جميع رسله. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٧٦/٧}.

ثم قال: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا﴾ من الطاعة ﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلا طاقتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾ تركنا طاعتك ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ في أمرك من الخطيئة والعمد [من قبلنا[1]] [2]﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ ثقلاً لا يحرم علينا من الطيبات بتركنا ذلك[3] ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ﴾ حرمته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ من بني إسرائيل بنقضهم عهدك الطيبات لحوم الإبل وشحوم البقر والغنم وغير ذلك ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿وَلاَ تُحَمِّلْنَا﴾ أي لا تحمل علينا أيضاً ﴿مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ما لا راحة لنا فيه، وهو التكليف بالتشديد، ويقول القائل لا أطيق النظر إلى فلان لما يشتد عليه ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ ذلك ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَآ﴾ برحمتك ﴿أَنتَ مَوْلاَنَا﴾ أولى بنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ويقال: واعف عنا من المسخ واغفر لنا من

---

(١) سقط في(أ).

(٢) {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} أي: لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا المؤاخذة بالشيء، المطالبة به والنسيان والخطأ معفو عنهما لكن المراد لا تؤاخذنا بالتفريط والإغفال الذي حصل بسببه والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته نسياً للتفريط الذي منه النسيان ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كان التفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك إعلاماً ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل: إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة لأن الخطأ والنسيان ويجوز أن تدعوا الأسباب بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله طلباً لاستدامته، واعترافه بالنعمة فيه. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٥٦/١}.

(٣) الإصْرُ العَهْد الثقيل وفي التنزيل وأخذتم على ذلكم إصْري وفيه ويضع عنهم إصْرَهم وجمعه آصَارٌ. لسان العرب ، لابن منظور ، {٢٢/٤} وقال المجلسي في قوله تعالى: (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) يعني بالاصر الشدائد التي كانت على من كان قبلنا فأجابه الله إلى ذلك فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن امتك الاصار التي كانت على الامم السالفة كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع من الارض معلومة اخترتها لهم وإن بعدت ، وقد جعلت الارض كلها لا متك، مسجدا وطهورا، فهذه من الآصار التي كانت على الامم قبلك فرفعتها عن امتك، وكانت الامم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوها من أجسادهم، وقد جعلت الماء لامتك طهورا، فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك، وكانت الامم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس فمن قبلت ذلك منه أرسلت عليه نارا فأكلته فرجع مسرورا، ومن لم أقبل ذلك منه رجع مثبورا ، وقد جعلت قربان امتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافا مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن امتك وهي من الآصار التي كانت على من كان قبلك. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٤٢/١٠}.

الخطيئة[1]، وارحمنا من العدو[2]، فإنك أهل الإحسان ودفع العاهات[3]، وإن أسأنا، فلما دعوا بهذا الدعاء رفع [الله[4]] عنهم حديث النفس والسيئات[5]والخسف والمسخ والخطأ والاستكراه، وأعفي عنهم من الديون و[الذنوب والقذف [6]][7].

---

(١) في (ب): الخسف.

(٢) في (ب): القذف.

(٣) العاهة: ما يصيب الزرع والماشية من آفة أو مرض وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لا يوردن ذو عاهة على مصح) وفي حديث آخر: (أنه نهى عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة أي الآفة التي تصيب الزرع والثمار فتفسدها). انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٥٢٠/١٣}.

(٤) سقط في(أ).

(٥) ثبت في (ب): والنسيان.

(٦) سقط في(أ).

(٧) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٣٠٩/٢}.

سورة آل عمران

ومن السورة التي يذكر فيها آل عمران

وهي مدنية[1]:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿الم﴾ [آل عمران:١] يقول أنا الله أعلم [بخبر وفد نجران[2]].

ويقال: قسم أقسم به بأن الله واحد لا ولد له ولا شريك ﴿اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران:٢] الإله الذي يستحق العبادة، ومعناه أن العبادة لا يستحقها سواه ﴿الْحَيُّ﴾ الذي لا يموت ولا يزول ﴿الْقَيُّوم﴾ القائم الذي لا ند له.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ نزل جبريل عليك بالكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ لبيان الحق والباطل ﴿مُصَدِّقاً﴾ موافقاً بالتوحيد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ جملة على موسى بن عمران ﴿وَالإِنجِيل﴾ [آل عمران:٣] وأنزل الإنجيل جملة على عيسى بن مريم ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد عليه السلام والقرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ لبني إسرائيل من الضلالة ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ على محمد صلى الله عليه وعلى آله مفرقاً بين الحلال والحرام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بمحمد والقرآن وهم وفد نجران[3] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ منيع بالنقمة ﴿ذُو انتِقَام﴾ [آل عمران:٤] ذو نقمة منهم ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ﴾ من خبر وفد نجران ﴿وَلاَ فِي السَّمَاء﴾[آل عمران:٥] من خبر الملائكة.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ ﴾ يخلقكم ﴿فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء﴾ قصيراً أو طويلاً حسناً أو ذميماً ذكراً أو أنثى ﴿لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا مصور ولا خالق إلا هو ﴿الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به ﴿الْحَكِيم﴾ [آل عمران:٦] بالتصوير في الأرحام.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٦٢/١} و تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، سورو آل عمران{٦٩٧/٢}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٦٤/٦}.

﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ جبريل بالقرآن ﴿مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ بينات[1] بالحلال والحرام لم ينسخ العمل بها ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أصل الكتاب، وإمام كل كتاب يعمل بها، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ... [2] ﴾ [3].

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ما اشتبهت على اليهود من نحو حساب الجمل[4] مثل﴿المص﴾ و﴿المر﴾، ويقال: منسوخات لا يعمل بها[5].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ﴾ وهم اليهود كعب بن الأشرف وحيي بن أحطب وجدي بن أحطب ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ شك وخلاف وميل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ﴾ طلب الكفر والشرك والإستقامة على ما هم عليه من الضلالة ﴿ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ﴾ يعني طلب عاقبة أجل هذه الأمة لكي يرجع الملك إليهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أجل عاقبة هذه الأمة ﴿ إِلاَّ اللّهُ﴾[6].

انقطع الكلام ثم استأنف فقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ البالغون في علم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ بالقرآن ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ نزل المحكم

---

(١) في (ب): مبينات.

(٢)الأنعام من الآية: ١٥١ .

(٣) المحكم: هو الجلي البين الذي يكون تأويله موافقا لتنزيله وهو الأكثر والمعمول عليه والأحسن، وهو أصل الكتاب والذي يرجع إليه، والمحكم مالا يحتمل إلا وجها واحدا، ويعرف المراد أتظاهره. والعلة في المتشابه البلية والامتحان لأهل العقول السَنية، وهو مردود إلى المحكم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٩٢/١}.

(٤) حساب الجُمَّل بتشديد الميم الحروفُ المقطعة على أبجد قال ابن دريد لا أحسبه عربيّاً وقال بعضهم هو حساب الجُمَل بالتخفيف قال ابن سيده ولست منه على ثِقة. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {١٢٣/١١}.

(٥) قال الضحاك: أي منسوخات وقال الكلبي يعني ما اشتبه على اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ألم، والمص ويقال المحكم ما كان واضحاً لا يحتمل التأويل، والمتشابه الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى مختلف. انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، {١٩٤}.

(٦) (وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم) فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عزوجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم فأجابهم الله بقوله: " يقولون آمنا به كل من عند ربنا " والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {١٣٠/١٧}.

والمتشابه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ بأمثال القرآن ﴿إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧] ذوو العقول من الناس عبد الله بن سلام وأصحابه(١).

﴿رَبَّنَا﴾ ويقولون أيضاً يا ربنا ﴿لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تحول قلوبنا عن دينك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ لدينك على معنى التخلية، والمعنى الصحيح لا تشدد علينا المحنة فتزيغ قلوبنا بترك طاعتك ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ ثبتنا على دينك ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨] للمؤمنين الذين قبلنا. ويقال: الوهاب بالنبوة والإسلام لمحمد صلى الله عليه وآله.

﴿رَبَّنَا﴾ ويقولون يا ربنا ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ بعد الموت ﴿لِيَوْمٍ﴾في يوم ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه وهو يوم القيامة ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٩] البعث بعد الموت والحساب، والجنة والنار.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني كعباً وأصحابه، ويقال: أبو جهل وأصحابه ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ كثرة أموالهم ﴿وَلاَ أَوْلاَدُهُم﴾ كثرة أولادهم﴿مِّنَ اللّهِ﴾ من عذاب الله﴿شَيْئًا وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٠] حطب النار﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ كصنع آل فرعون يقول: صنع بك قومك كذبوك شتموك كما صنع قوم موسى بموسى عليه السلام كذبوه وشتموه، فنصنع بهم كما صنعنا بقوم موسى يوم الغرق﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قوم موسى﴿كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ﴾ بالكتاب والرسول الذي بعثنا إليهم﴿فَأَخَذَهُمُ اللّهُ﴾ أهلكهم الله ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم﴿وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران:١١] إذا عاقب. ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كفار مكة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ وتقتلون يوم بدر ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[آل عمران:١٢] الفراش المصير ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ علامة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ جمعين ﴿الْتَقَتَا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ في طاعة الله محمد وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر

(١) عن الإمام علي عليه السلام: هو من علم، وعمل واعلم وعلم فذلك بدعاً في ملكوت السموات عظيماً انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٧٥/٦} وقال مقاتل: الراسخون في العلم، يعني المتدارسون علم التوراة، فهم عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل التوراة، (يقولون ءامنا به كل من عند ربنا)، يعني قليله وكثيره من عند ربنا، (وما يذكر إلا أولوا الألباب)، فما يسمع إلا أولو الألباب، يعني من كان له لب وعقل، يعني ابن سلام وأصحابه، فيعلمون أن كل شيء من هذا وغيره من عند الله. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٥٨/١}.

رجلاً ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ جماعة أخرى كافرة بالله والرسول أبو سفيان وأصحابه، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً ﴿يَرَوْنَهُم﴾ يرون أنفسهم ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ مثلي أصحاب محمد ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ عياناً ظاهراً بالعين(١).

ويقال(٢): لها وجه آخر يقول: ﴿قل للذين كفروا﴾ لبني قريظة والنضير ﴿ستغلبون﴾ بالقتل والإجلاء ﴿وتحشرون﴾ بعد الموت ﴿إلى جهنم و بئس المهاد﴾ الفراش والمصير، أخبرهم قبل يوم بدر بسنتين. ثم نزل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا معشر اليهود﴿آيَةٌ﴾ علامة لنبوة محمد في﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ في جمعين جمع محمد وأبي سفيان التقيا يوم بدر﴿فِئَةٌ﴾ جماعة محمد وأصحابه ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وجماعة أخرى كافرة بالله والرسول أبو سفيان وأصحابه ﴿يَرَوْنَهُم﴾ رأيتموهم يا معشر اليهود﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ مثلي أصحاب محمد ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ عياناً ظاهراً ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ محمداً وأصحابه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في نصر الله لمحمد يوم بدر ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[آل عمران:١٣] في الدين، ويقال: لمن أبصر بالعين.

ثم ذكر ما زين للكافرين من نعمة الدنيا فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ يعني اللذات ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ يعني النساء والإماء ﴿وَالْبَنِينَ﴾ يعني العبيد والبنين ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ﴾ يعني المال المجموع ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾(٣).

---

(١) قيل: هم اليهود ولما غلب رسول الله يوم بدر، قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى، وهموا باتباعه، فقال بعضهم: لا تجعلوا حتى تنظروا إلى واقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع وقال: (يا معشر اليهود أحذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا: لا يغرنك إنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب، وصبت منهم فرصة لأن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت) {وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد} أي: يجمعون إليها في الآخرة وبئس ما مهد لكم وما مهدتم لأنفسكم، والمهاد الفراش،{قد كان لكم آية} أي: علامة تدل على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم والخطاب لمشركي قريش {في فئتين} يعني المسلمين والمشركين {التقتا} أي: اجتمعتا يوم بدر للقتال {فئة تقاتل في سبيل الله} وهم المسلمون {وأخرى كافرة} وهم المشركون {يرونهم مثليهم} أي: يرون المشركون المسلمين مثلي عددهم المشركين قريباً من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليخافوهم ويجنبوا عن قتالهم وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدهم بالملائكة. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١/٢٦٥}.

(٢) قال ابن عباس: يعني يهود المدينة، وقال مقاتل: يعني مشركي مكة. تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٤١٦}.

(٣) (الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ)، يعني المال الكثير من الذهب والفضة، والقنطار ألف ومئتا دينار، ومن الفضة ألف ومئتا مثقال» وَقَالَ آخَرُونَ: القنطار اثنا عشر ألف درهم، أَوْ أَلْفُ دِينَارٍ. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٦/٢٤٦}.

ويقال: الأموال المنفسة من الذهب والفضة، والقنطار واحد، وهو ملء مسك ثور ذهباً أو فضة[١].

ويقال: ألف ومائتا مثقال، والقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة[٢].

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ يعني الخيل الرواتع الحسان المعلمة[٣]﴿وَالأَنْعَامِ﴾ يعني البقر[والغنم والإبل] ﴿وَالْحَرْثِ﴾ يعني الزرع والمزرعة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ منفعتها للناس في الحياة الدنيا ثم تفنى.

ويقال: بقاؤها متاع البيت مثل القدح والسكرجة[٤]وغير ذلك ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤] المرجع في الآخرة، يعني الجنة لمن ترك ذلك.

ثم بين نعيم الآخرة وبقاءها وفضلها على نعيم الدنيا: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للكفار﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ﴾ مما ذكرت لكم من زينة الدنيا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والفواحش والشرك، يعني أمة محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أنهار الماء والخمر والعسل المصفى واللبن﴿خَالِدِينَ﴾ مقيمين ﴿فِيهَا﴾ في الجنة لا يموتون ولا يخرجون﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ولهم أيضاً أزواج مطهرة من الحيض والأدناس ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ﴾ ورضا ربهم عنهم ﴿أكبر﴾ مما هم فيه من النعيم﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد ﴾ [آل عمران:١٥] بالمؤمنين وبمكانهم وبأعمالهم.

ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في الدنيا ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿إِنَّنَا آمَنَّا﴾ بك وبرسولك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ في الجاهلية لمن كانت له جاهلية وما بعد الجاهلية ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٦] ادفع عنا عذاب النار.

---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٦٦/١}.

(٢) القنطار: ألف ومائتا دينار. تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {١٥٧} وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال (القنطار اثنا عشر ألف أوقية. كل أوقية خير مما بين السماء والأرض) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، باب بر الوالدين {٦٣٠/٤}.

(٣) الخَيْلُ المُسَوَّمة المرعية والمُسَوَّمَةُ المعلمة. لسان العرب، لابن منظور، {٣١٤/١٢}.

(٤) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم. انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، {٩١٠/١}.

﴿الصَّابِرِينَ﴾ على أداء فرائض الله واجتناب المعاصي.

ويقال: الصابرين على المرازي[1] ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في إيمانهم ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله والرسول﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾ أموالهم في سبيل الله﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ المصلين ﴿بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] التطوع[2].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ﴾ إلى ها هنا نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث.

ثم وحد نفسه فقال: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾ وإن لم يشهد أحد غيره ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ يشهدون [بذلك[3]] ﴿وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ النبيون والمؤمنون يشهدون بذلك ﴿قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به﴿الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] أمر ألا يعبد غيره.

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ المرضي ﴿عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[4].

ويقال: شهد الله علم الله أن الدين المرضي عند الله الإسلام مقدم ومؤخر، وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون، نزلت هذه الآية في حبرين من أهل الشام طلبا من النبي صلى الله عليه وآله أي شهادة أكبر في كتاب الله فبين الله ذلك فأسلما[5].

---

(١) رَزِيئة أي أصابته مُصيبة. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٨٥/١}.

(٢) يتبين من سياق الآيات أنها في الجهاد، فالجهاد يحتاج إلى صبر، نواجه مشاق، فالصبر يجعل عندك طاقة وتحمل، فتكون بمستوى من القيام بالمسؤولية. أثبت مصداقيتك مع الله بثباتك باهتمامك بعملك بجدك. أنت ذلك الخاضع، وأنت ذلك المتواضع الذي لا يحمل في قلبه ذرة من غرور، ولا ذرة من العجب ولا قليلاً من الرياء. وتربي نفسك على البذل والعطاء، وتستشعر القصور والتقصير وتطلب من الله المغفرة في وقت الأسحار.

(٣) سقط في (أ).

(٤) (ان الدين عند الله الإسلام) قال : لم ابعث رسولا الا بالاسلام . قوله تعالى: وما اختلف الذين اوتوا الكتاب. تفسير ابن أبى حاتم: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب، سورة آل عمران {٦١٨/٢}.

(٥) لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان!. فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال (نعم). قالا: وأنت أحمد؟ قال: (نعم). قالا: نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك. فقال لهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سلاني). فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله. فأنزل الله تعالى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ) فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٤١/٤}.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب اليهود والنصارى في الإسلام ومحمد ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ﴾ بيان ما في كتابهم ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً منهم ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩] شديد العقوبة.

ثم ذكر خصومتهم مع النبي عليه السلام وفي دين الإسلام فقال: ﴿فَإنْ حَآجُّوكَ﴾ يعني اليهود في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ﴾ أخلصت ديني وعملي لله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أيضاً.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالأُمِّيِّينَ﴾ الأعراب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ أتسلمون كما أسلمنا، فقال الله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾ من الضلالة ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ التبليغ عن الله ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:٢٠] بمن يؤمن ومن لا يؤمن(١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني يتولون الذين كانوا يقتلون النبيين ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بلا جرم ﴿وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالتوحيد ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ من الذين آمنوا بالنبيين ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١] وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم.

﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ يعني لا يثابون بها في الآخرة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:٢٢] من مانعين من عذاب الله.

ثم ذكر إعراض بني قريظة وخيبر عن الرجم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أعطوا علماً بما في التوراة من الرجم وغيره ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ﴾ القرآن ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بالرجم كما في كتابهم على المحصن والمحصنة اللذين زنيا في خيبر(٢) ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ طائفة من بني قريظة وخيبر عن الحكم ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣] مكذبون بذلك ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الإعراض والتكذيب والعذاب ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا

(١) {وقل للذين أتوا الكتاب} من اليهود والنصارى {والأميين} الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب {أسلمتم} يعني أنه قد أتاكم البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم على كفركم {فإن أسلموا فقد اهتدوا} فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الظلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور {وإن تولوا} لم يضروك فإنك رسول منبه {فإنما عليك البلاغ} يعني: أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى {والله بصير بالعباد} عليم بإسلامهم وشركهم فهو يجزيهم. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١/٢٧٠}.

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/٢٠٣}.

﴿النَّارُ﴾ لن تصيبنا النار في الآخرة ﴿إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ قدر أربعين يوماً الذي[1] عبد آباؤنا اليهود العجل ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم﴾ يعني ثباتهم على دين اليهودية ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران:٢٤] افتراؤهم هذا[2]،ويقال: تأخير العذاب ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون يا محمد ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ بعد الموت ﴿لِيَوْمٍ﴾ في يوم ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ ووفرت ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ برة أو فاجرة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ ما عملت من خير أوشر ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٢٥] لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ معناه قل يا الله أمنا أي أقصدنا إلى الخير ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ يا مالك الملك والملوك ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ تعطي الملك ﴿مَن تَشَاء﴾ محمداً ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء﴾ تأخذ الملك ممن تشاء من أهل فارس والروم ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاء﴾ محمداً ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَاء﴾ عبد الله بن أبي وفارساً وروماً ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ العز والذل والملك والنصرة والغنيمة ﴿إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العز والدولة والذل ﴿قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦] نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق في قوله بعد فتح مكة من أين يكون لهم ملك فارس والروم[3].

ويقال[4]: نزلت في قريش بقولهم كسرى ينام على فراش الديباج وإن كنت نبياً فأين ملكك؟

ويقال: جعل الملك للأنبياء والأئمة بالحكم والنصرة من وجوه، ونزع الملك من مخالفيهم بالحكم. ويقال أيضاً: هذا في الآخرة.

---

(١) في (ب): التي.

(٢) قوله تعالى: {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} أي تعز من تشاء إعزازة، وتذل من تشاء إذلالة وهو عام في إعزاز الأنبياء والمؤمنين، وإذلال الكافرين في الدارين.

قال: الإمام الناصر عليه السلام: فذلك العز إعزاز الأنبياء بالأمن من سخطه، وبطاعتهم إياه وبما معهم من الحجج والبراهين، وبولايته إياهم، وكذلك جميع المؤمنين وبمحبته لهم، وبما أعدّ لهم من كراماته في الجنة ودار البقاء من حسن الجزاء، وبما قتلوا وطردوا في هذه الدنيا، وتذل من تشاء فإنه قد أذل من كفر به وعصاه بلعنه له وعداوته إياه وضعف حجته وتسليطه من أولياءه عليه وأمرهم بقتله، ويصيره بعد ذلك إلى النار الدائم عذابها، فلا يكون أذل من أعداء الله وإن عاشوا في الدنيا قليلاً وتمتعوا منها يسيراً. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي مخطوط، {٢٠٧/٦}.

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٢٠٤/١}.

(٤)انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٤٥}

ثم بين قدرته فقال: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يقول يزيد النهار على الليل فيكون أطول من الليل ﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يزيد الليل على النهار فيكون أطول من النهار ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ يقول يخرج النسمة ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ من النطفة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ من الإنسان.

ويقال: ﴿يخرج الحي﴾ الدجاجة ﴿من الميت﴾ من البيضة، ﴿ويخرج الميت﴾ البيضة ﴿من الحي﴾ من الدجاجة[1].ويقال: ﴿يخرج﴾ السنبلة ﴿من الميت﴾ من الحبة ﴿ويخرج الميت﴾ من الحبة من الحي السنبلة ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٧] بلا حرج ولا تكلف ولا فوت ولا هنداز ولا منة[2]. ويقال: توسع المال على من يشاء بغير حساب بلا سؤال ولا حرج ولا تكلف.

﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿الْكَافِرِينَ﴾ اليهود ﴿أَوْلِيَاء﴾ في التعزز ﴿مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مخلصين ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يعني الولاية ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ﴾ من كرامة الله ورحمته وذمته ﴿فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ﴾ يريد أن ينجو ﴿مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ نجاة باللسان دون القلب ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ عذابه في التقية عن دم حرام وفرج حرام ومال حرام وشرب الخمر، وشهادة الزور والشرك بالله ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨] المرجع بعد الموت[3].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِن تُخْفُواْ﴾ تسروا ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ما في قلوبكم من البغض والعداوة لمحمد ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه بالشتم والطعن والحرب ﴿يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ يحفظه الله ويجزكم بذلك ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخير والشر والسر والعلانية

---

(١) انظر: بحر العلوم ، للسمرقندي، {٢٠٥/١}.

(٢) (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يحتمل وجوهًا: بغير تبعة. ويحتمل: لا على قدر الأعمال، ولكن على قدر الشهوة وزيادة عليها؛ لأن رزق الجنة على ما تنتهي إليه الشهوات، ورزق الدنيا مقدر على قدر الحاجة والقوت؛ إذ لا أحد يبلغ مناه في الدنيا وحاجته، وفي الآخرة كل ينال فوق مناه. ويحتمل: أي من غير أن ينقص ذلك عن ملكه وخزائنه، وإن عظم عطاياه وكثر مناله، ليس كخزائن المخلوقين تنتقص بالدفع وتنفد. والله أعلم. انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {١٠٦/٢}.

(٣) انظر: التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي: الامام الحاكم ابي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي (ت: ٤٩٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان السالمي ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط١، ٢٠١٩م-١٤٤٠هـ ، سورة آل عمران{١١٣٧/٢-١١٣٨}.

﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أهل السموات والأرض، وثوابهم وعقابهم ﴿قَدِير﴾ [آل عمران:٢٩] نزلت هذه الآية في المنافقين واليهود(١).

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ مكتوباً في ديوانها ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ﴾ من شر ﴿تَوَدُّ﴾ تتمنى تلك النفس ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾ بين النفس ﴿وَبَيْنَهُ﴾ وبين العمل القبيح ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أجلاً طويلاً من مطلع الشمس إلى مغربها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ (٢) عذابه عند المعصية ﴿وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:٣٠] بالمؤمنين.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ ودينه ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ فاتبعوا ديني ﴿يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ يزدكم الله حباً إلى حبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ في اليهودية ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيم﴾ [آل عمران:٣١] لمن مات على التوبة، نزلت هذه الآية في اليهود لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه على دينه، فلما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أبي: يأمرنا محمد أن نحبه كما أحبت النصارى المسيح، وقالت اليهود: يريد محمد أن نتخذه رباً حناناً كما اتخذت النصارى المسيح حناناً، فأنزل الله تعالى في قولهم: (٣)﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ﴾ في الفرائض ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿فإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن طاعة الله والرسول ﴿فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِين﴾ [آل عمران:٣٢] اليهود والمنافقين، فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود: نحن على دين آدم مسلمون فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ اختار آدم بالإسلام ﴿وَنُوحًا﴾ بالإسلام ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أولاد إبراهيم بالإسلام ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ موسى وهارون بالإسلام ﴿عَلَى الْعَالَمِين﴾ [آل عمران:٣٣] عالمي زمانهم ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ بعضها على دين بعض، ولد بعضها من بعض ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالة اليهود، نحن أبناء الله وأحباؤه على دينه ﴿عَلِيم﴾ [آل عمران:٣٤] بعقوبتهم وبمن هو على دينه.

---

(١) يعني من ولاية الكفار أو غيرها. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٧٦/١}. المراد تخفوا أو تبدوا موالاة اليهود. التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، نفس الصفحة.

(٢) هذا تأكيد وإبلاغ وإنذار الأول: تحذير للمنافقين من موالاة اليهود والثاني: تحذير للجميع بيوم القيامة. انظر: التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي، {١١٤١/٢}.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري {٢٢٢/٦} والتهيب في التفسير ، للحاكم الجشمي ، {١١٤٢/٢}.

اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ حنة أم مريم(1) ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾ جعلت لك ﴿مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ خادماً لبيت المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾[آل عمران:٣٥] بالإجابة وبما في بطني.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها فإذا هي جارية ﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ ولدتها أنثى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ بما ولدت ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ في الخدمة والعوز ﴿كَالأُنثَى﴾ كالجارية ﴿وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ أعصمها وأمنعها ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ إن كان(2) لها ذرية ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]

اللعين ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي أحسن إليها حين قبلها بمكان الغلام ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ غذاها بالعبادة بالسنين والشهور والأيام والساعات غذاء حسناً ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها زكريا بالتربية ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ بيتها أو دارها التي كانت تعبد فيها أو غرفتها ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ فاكهة ؛فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا﴾ من أين لك في غير حينه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ أتاني به جبريل عليه السلام ﴿إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧] بلا قوة ولا هنداس.

﴿هُنَالِكَ﴾ عند ذلك طمع و ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولداً صالحاً ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾[آل عمران:٣٨] مجيب الدعاء(3).

---

(١) حنة ابنة فاقوذ. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٢٨/٦}.
لما ذكر الله تعالى أنه اصطفى آل عمران عقبه بقصة مريم ابنة عمران فقال تعالى : (إذ قالت امرأة عمران) وهي حنة جدة عيسى (عليه السلام)، وكانتا أختين إحداهما عند عمران، والأخرى عند زكريا فيحي ومريم ابنا خالة، وعمران من ولد سليمان بن داوود، وعن ابن اسحاق قال ابن عباس ومقاتل وليس بعمران أبي موسى، وبينهما ألف وثمان مائة سنة. " وإني سميتها مريم " وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت أفضل النساء وأجملها في وقتها. التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢/ ١١٤٧-١١٤٨}.
الآية توحي على أن وسوسة الشيطان أكثر أثرا في الأنثى، فلذلك قدم ذكرها وخصها بالاستعاذة. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {١١٥٠/٢}.

(٢) في (ب): كانت.

(٣) لما قص الله تعالى حديث مريم بين أن زكريا لما عاين أحوالها سأل الولد فقال تعالى (هنالك) أي في تلك الحال زمانا ومكانا (دعا) قيل : لما رأى من فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء على خلاف المعتاد طمع في رزق الولد من العاقر . انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢ / ١١٥٦}.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ﴾ يعني جبريل ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ في المسجد ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى﴾ بولد يسمى يحيى ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾ بعيسى بن مريم أن يكون بكلمة من الله مخلوقاً بلا أب ﴿وَسَيِّدًا﴾ حليماً من الجهل ﴿وَحَصُورًا﴾ لم يكن له شهوة إلى النساء[1]﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩] من المرسلين.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ قال زكريا لجبريل يا سيدي ﴿أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ﴾ أنى يكون لي ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ [أدركني الكبر[2]] ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ عقيم لا تلد ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قلت لك ﴿ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾[آل عمران:٤٠] كما يشاء، يقال إنه سأله مستفهماً أنه يولد وهو على حاله أو يُدَبَّر إلى حالة أخرى[3].

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يا رب ﴿اجْعَل لِّيَ آيَةً﴾ علامة في حبل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ علامتك في حمل امرأتك ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ ألا تقدر أن تكلم الناس ﴿ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ﴾ من غير خرس ﴿إِلاَّ رَمْزًا﴾ إلا تحريكاً بالشفتين والحاجبين واليدين.

ويقال[4]: إلا كتابة على الأرض.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ باللسان والقلب ﴿كَثِيرًا﴾ على كل حال ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران:٤١]صل غدوة وعشية كما كنت تصلي.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ﴾ يعني جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك بالإسلام والعبادة ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الكفر والشرك والأدناس.

ويقال: نجاك من القتل ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٤٢] عالمي زمانك بولادة عيسى ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعي لربك شكراً لذلك[5].

---

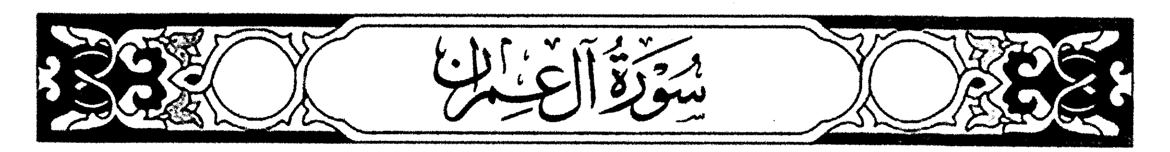
(١) كان حصوراً لا يقرب النساء منعاً لنفسه من الشهوات. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣/٣١١}.

(٢) سقط في(أ).

(٣) (أنى يكون لي غلام) قيل معناه على أي حال يكون لي الولد أتردني إلى حال الشباب وامرأتي على حال الكبر فقيل له ذلك (كذلك) أي على هذه الحال. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢ / ١١٦٠}.

(٤) ذكر القول في انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {٤٧}.

(٥) يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصًا، واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه، شكرًا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتّطهير من الأدناس، والتفضيل على نساء عالم دَهرك. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٦/٤٠٤}.



ويقال: أطيلي القيام في الصلاة شكراً لذلك[1]

﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ صلي بالركوع والسجود ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[آل عمران:٤٣] مع أهل الصلاة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من خبر مريم و زكريا ﴿مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ﴾ من أخبار الغيب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيكَ﴾ نرسل به إليك جبريل ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ عند الأحبار ﴿إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ﴾ في جري الماء ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يأخذ مريم للتربية ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤] إذ يتكلمون بالحجة لتربية مريم[2].

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ﴾ [آل عمران:٤٥] جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ من الله مخلوقاً ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ يسيح في البلدان. ويقال المسيح الملك ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾ له القدر والمنزلة في الدنيا عند الناس ﴿وَالآخِرَةِ﴾ وفي الآخرة عند الله ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥] إلى الله في جنة عدن.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ في الحجر أربعين يوماً بأني عبد الله ومسيحه ﴿وَكَهْلاً﴾ وبعد ثلاثين سنة بالنبوة ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران:٤٦] من المرسلين[3].

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/ ٢١٢}.

(٢) سُئل أبو جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) اصطفاها مرتين، والاصطفاء إنما هو مرة واحدة، قال: فقال لي: إن لهذا تأويلا و تفسيرا، فقلت له: ففسره لنا أبقاك الله، قال: يعني اصطفاها أولا من ذرية الانبياء المصطفين المرسلين، وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاح، واصطفاها بهذا في القرآن (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي) شكرا لله، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى: يا محمد " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك " في مريم وابنها وبما خصهما الله به وفضلهما وأكرمهما حيث قال: (وما كنت لديهم) يا محمد (إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) حين أيتمت من أبيها - وفي رواية ابن خرزاد: أيهم يكفل مريم حين أيتمت من أبويها – (وما كنت لديهم) يا محمد (إذ يختصمون) في مريم عند ولادتها بعيسى أيهم يكفلها ويكفل ولدها، قال: فقلت له: أبقاك الله فمن كفلها ؟ فقال: أما تسمع لقوله: (وكفلها زكريا) الآية. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {١٩٢/١٤}.

(٣) {ويكلم الناس في المهد} هو ما يمهد للصبي من مضجعه والمعنى يكلم الناس في حال الطفولة {وكهلا} عطف عليه بمعنى ويكلم في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل و يستنبئ فيها الأنبياء. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٨٦/١}.

﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ قالت مريم لجبريل يا سيدي ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بالحلال ولا بالحرام ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿كَذَلِكِ﴾ كما قلت لك ﴿اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ كما يشاء ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ إذا أراد أن يخلق ولداً بلا أب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧] ولد بلا أب

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ كتب الأنبياء، ويقال :الكتابة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الحلال والحرام، ويقال حكمة الأنبياء قبله ﴿ وَالتَّوْرَاةَ﴾ في بطن أمه ﴿وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٤٨]بعد خروجه ﴿وَرَسُولاً﴾ بعد ثلاثين سنة ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فلما جاءهم قال: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ بعلامة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لنبوتي، قالوا: وما العلامة؟ قال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾ أصير لكم ﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ كشبه ﴿الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ كنفخ النائم ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ فيصير طائراً يطير بين السماء والأرض﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمر الله، فصور لهم خفاشاً فقالوا هذا سحر، فهل عندك غيره؟ قال: نعم ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أصحح ﴿الأكْمَهَ﴾ الذي لم يزل أعمى ﴿والأَبْرَصَ﴾ أيضاً ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾ باسم الله لا إله إلا الله الأعظم، يا حي يا قيوم، فلما فعل ذلك، قالوا: هذا سحر، فهل عندك [شي[1]] غيره؟ قال: نعم ﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ في غدوة وعشية ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ ترفعون من غداء لعشاء وعشاء لغداء ﴿فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما قلت لكم ﴿لآيَةً﴾ لعلامة ﴿لَّكُمْ﴾ لنبوتي ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩] مصدقين.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ وجئتكم موافقاً بالتوحيد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ وسائر الكتب ﴿وَلأُحِلَّ﴾ أرخص وأبين ﴿لَكُم﴾ تحليل ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مثل لحوم الإبل وشحوم البقر والغنم وغير ذلك والسبت ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ بعلامة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ فاخشوا الله فيما أمركم وتوبوا إليه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:٥٠] واتبعوا أمري وديني.

﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي﴾ هو ربي ﴿وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ فوحدوه ﴿هَذَا﴾ هذا التوحيد ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[آل عمران:٥١] دين قائم يرضاه، وهو الإسلام.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ [علم[2]] ﴿عِيسَى﴾ عليه السلام ﴿مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ ورأى منهم القتل حين أرادوا قتله، ويقال: أحس سمع منهم ما يكره والكفر ﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾

(١) سقط في(أ).

(٢) سقط في(أ).

من أعواني مع الله على أعدائه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ أصفياؤه القصارون[1]وهم اثنا عشر رجلاً ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾ أعوانك مع الله على أعدائه ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ﴾ واعلم أنت يا عيسى﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢] مقرون لله بالعبادة والتوحيد.

﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ﴾ من الكتاب يعني الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ دين الرسول ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣] واجعلنا مع السابقين الأولين الذين شهدوا قبلنا، ويقال: اجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وآله.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ أرادوا يعني اليهود قتل عيسى ﴿وَمَكَرَ اللهُ﴾ أراد الله قتل صاحبهم بطيانوس ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] أقوى المريدين، ويقال أفضل المانعين.

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ مقدم ومؤخر يقول إني رافعك ﴿إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ منجيك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بك ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ اتبعوا دينك ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالحجة والنصرة ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ثم متوفيك و قابضك بعد النزول[2].

ويقال: متوفي قلبك من حب الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أقضي بينكم ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ في الدين ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥] تخاصمون.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد وعيسى عليهما السلام ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالسيف والجزية ﴿وَالآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٦]من مانعين من عذاب الله.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالكتاب والرسول محمد وعيسى صلى الله عليهما ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثوابهم في الجنة يوم القيامة ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧] المشركين وظلمهم وشركهم.

---

(١) مبيضو الثياب. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢١٧/٤}.

(٢) وجاء في مسائل الإمام القاسم: إنه لا يرجع إلى الدنيا وأنه توفاه الله وتأولوا فيه قول الله لا شريك له فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وقوله: إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وقال: من خالفهم تأويل إني متوفيك تسليمه له غير مجروح ولا مكلوم ولا مصلوب، كما قال الذين لا يؤمنون أنه صلب وقتل، كذبهم الله تبارك وتعالى، فقال: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . كتاب فيه مسائل عن القاسم بن إبراهيم(ع) مخطوط، الشاملة {٥٢}.
ويبدوا أن هذا القول الصواب لان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء والمرسلين، وقد بشر به عيسىٰ وفي هذا أن امة محمد تنتظر عيسى وهذا تناقض – من دسائس اليهود - والله اعلم.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من خبر عيسى ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ ينزل عليك جبريل بـه ﴿مِنَ الآيَاتِ وَالـذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٨] يقول من آيات القرآن بالأمر والنهي والذكر الحكيم [المحكم بالحلال والحرام(١)].

ثم بين تخليق عيسى عليه السلام بلا أب لقول وفد نجران أن آتنا الحجة علـى قولـك إن عيسى ليس ولد الله فقال[الله(٢)] سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنـدَ اللهِ﴾ يقول مثل [تخليق (٣)]عيسى عليه السلام بلا أب ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُـرَابٍ ﴾ بلا أب ولا أم ﴿ثُـمَّ قَـالَ لَـهُ﴾ لعيسـى﴿كُـن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] ولداً بلا أب(٤).

﴿الْحَقُّ﴾ خبر الحق ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ﴿فَـلاَ تَكُـن مِّـن الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٦٠]من الشاكين فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب.

ثم ذكر خصومة وفد نجران مع النبي صلى الله عليه وآله بعدما بين لهم أن مثله عنـد الله كمثل آدم، فقالوا: ليس كما تقول: إن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شـريكه، فقـال: ﴿فَمَـنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ في عيسى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من البينات بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَـا ﴾ نخرج أبناءنـا ﴿وَأَبْنَـاءكُمْ﴾ وأخرجـوا أنـتم أبنـاءكم ﴿وَنِسَاءنَا﴾ ونخرج نساءنا ﴿وَنِسَاءكُمْ﴾ وأخرجوا أنتم نساءكم ﴿وَأَنفُسَـنَا﴾ ونخـرج بأنفسـنا ﴿وأَنفُسَكُم﴾ وأخرجوا أنتم بأنفسكم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع ونجتهـد فـي الـدعاء ﴿فَنَجْعَـل﴾ فنقول﴿ لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] على الله في عيسى(٥).

---

(١) سقط في(أ).

(٢) سقط في(أ).

(٣) سقط في(أ).

(٤) يتجلى مما سبق أن الله تعالى ذكر يحيى عليه السلام ، وخلقه بعد كبر أبويه ، ثم أتبعه بما هو أعجب في الصنع، وأبدع في الخلق وهو عيسى عليه السلام ، ثم ذكر الله لنا خلقه لآدم من تراب (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) الإنسان يدرك الفارق بين تدرج الأمثلة عظمته سبحانه وتعالى يقول (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة).

(٥) عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية {فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم} دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهلي. وأخرج ابن جرير عن علباء بن أحمر اليشكري قال لما نزلت هذه الآية {فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم} الآية، أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود: ويحكم أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا، فانتهوا. انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، {٦١١/٣}.

﴿إِنَّ هَـذَا﴾ الذي ذكرت من خبر عيسى لوفد بني نجران ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ خبر الحق بأن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ﴿وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللهُ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به﴿الْحَكِيم﴾ [آل عمران:٦٢] حكم ألا نعبد غيره، ويقال الحكيم حكم عليهم بالملاعنة، فتولوا عن ذلك ولم يخرجوا في الملاعنة مع النبي صلى الله عليه وآله لأنهم علموا أنهم كاذبون، وأن محمداً نبي مرسل، فقال الله؟ ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن دعوتكم ﴿فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِين﴾ [آل عمران:٦٣] نصارى بني نجران. قد كان النبي صلى الله عليه وآله خرج بعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم للمباهلة.

وعن ابن عباس: نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي نفسه، ونساءنا ونساءكم فاطمة، وأبناءنا وأبناءكم الحسن والحسين، والدعاء على الكاذبين، نزلت في العاقب والسيد وعبد المسيح وأصحابهم[١].

وروى الشعبي[٢] عن جابر بن عبد الله[٣] قال: قدم وفد أهل نجران العاقب والطيب على النبي صلى الله عليه وآله فدعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا يا محمد، فقال: كذبتما، إن شئتما أخبركما[٤] بما يمنعكما من الإسلام، حب الصليب وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعنة فوعدهما أن يغادياه بالغداة، فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيئا وأقرا له بالخراج، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر عليهم الوادي ناراً».

---

(١)انظر: تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {٦٦٧/٢}.

(٢) عامر الشعبي هو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي أبو عمرو الكوفي إمام العلم ولد لست سنين مضت من إمارة عمر، عن الوصي وابنيه الحسنين وزين العابدين وجابر وابن مسعود وأنس وكثير من الصحابة والتابعين، وعنه أبو إسحاق والأعمش والحكم والسفيانان وجابر الجعفي وأمم، قال الشعبي: أدركت خمس مائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، توفي سنة أربع أو خمس ومائة، احتج به الجماعة. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، {٢٩٤/٤}.

(٣) جابر بن عبد الله الأنصاري، الخزرجي؛ غزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بضع عشرة غزوة. وأنه شهد صفين مع أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ واستشهد والده بأحد ـ رضوان الله عليهما ـ. وكان جابر من سادات الصحابة وفضلائهم، وأهل الولاء الخالص لأمير المؤمنين وأهل بيته ـ عليهم السلام ـ. (ت: ٣٧هـ) بالمدينة، وهو ابن أربع وتسعين؛ وهو آخر الصحابة موتاً بها. خرج له: أئمتنا الخمسة، وجماعة العامة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر القرطبي، {٢٢٨/١}.

(٤) في (ب): أخبرتكما.



قال الشعبي وجابر فيهم نزلت هذه الآية[1].

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لو لاعنوني ما رجعوا إلى أهل ولا مال»[2].

وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله: «لو خرجوا ولاعنتهم لهلكوا قبل أن يرجعوا ولم يجدوا مالاً ولا أهلاً ولا ولداً».

وعن ابن عباس أيضاً في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] إلى آخر الآية، قال: قدم وفد نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم السيد والعاقب وأبو الحارث وهو عبد المسيح بن ثوبان أسقف نجران، وهم يومئذ سادة أهل نجران، فقالوا: يا محمد لم تذكر صاحبنا، قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى بن مريم عليه السلام، تزعم أنه عبد الله؟ قال: أجل ما هو إلا عبد الله، قالوا: فأرنا فيما خلق الله مثله عبداً فيما رأيت أو سمعت، فأعرض نبي الله عليه السلام عنهم يومئذ، ونزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ قالوا: فإنه ليس كما تقول، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[3].

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧٢/٥} ومعالم التنزيل في تفسير القرآن ، للبغوي ، {٣٨٨/٢٣}.

(٢) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده، أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة، وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولمَا حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا). انظر: المجموع المنصوري الجزء الثاني (القسم الأول): الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان (ت- ٦١٤هـ) من إصدارات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، فصل في فضائل اهل البيت {٤١٨}.

(٣) تدل الآيات على منزلة الحسن والحسين، زأنهما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتدل على فضل أمير المؤمنين ؛ لأنه جعل نفسه بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وروي أنه قال : (فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها) وتدل على كذب اليهود والنصارى في المسيح . التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {١١٩٠/٢} وعن ابن عباس في قول الله عز وجل: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً}، قال: لا تقتلوا أهل بيت نبيكم إن الله عز وجل يقول في كتابه: {تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل [ص: ٣٨٤] لعنت الله على الكاذبين}، قال: كان أبناء هذه الأمة: الحسن، والحسين، وكان نساؤها فاطمة، وأنفسهم النبي وعلي. انظر: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار – صنعاء، ط١ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، باب ولا تقتلوا أنفسكم، رقم الحديث (٣٦٢) ، {٣٨٣}.

قالوا: نعم نلاعنك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي وبيد فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هؤلاء أبناؤنا ونساؤنا وأنفسنا، فهموا أن يلاعنوه، ثم إن السيد قال لأبي الحارث والعاقب: ما تصنعون بملاعنة هذا: لئن كان كاذباً فما نصنع بملاعنته، ولئن كان صادقاً لنهلكن، فصالحهم على الجزية(1).

وفي رواية أخرى صالحهم على ألفي حلة في رجب وألف في صفر، وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين رمحاً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين فرساً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لو لاعنوني ما حال الحول ولم يحضر منهم بشر إلا أهلك الله الظالمين.

ثم دعاهم إلى التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ﴾ يعني لا إله إلا الله ﴿سَوَاء﴾ عدلاً ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ ألا نوحد ﴿إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ من المخلوقين ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا﴾ ولا نطيع أحداً من الرؤساء ﴿مِّن دُونِ اللّهِ﴾ بمعصية، فأبوا عن ذلك أيضاً، فقال الله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوحيد﴿فَقُولُواْ﴾ أنتم ﴿اشْهَدُواْ﴾ اعلموا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]مقرون له بالوحدانية والعبادة.

ثم ذكر خصومتهم مع النبي صلى الله عليه وآله بقولهم إنا مسلمون على دين إبراهيم، وادعوا ذلك في التوراة فقال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ في دين إبراهيم ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد إبراهيم﴿أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾ [آل عمران:٦٥] أنه ليس فيهما أن أبراهيم كان يهودياً ولا(2) نصرانياً ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء﴾ تقولون أنتم يا هؤلاء اليهود والنصارى﴿حَاجَجْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾ في كتابكم أن محمداً نبي مرسل، وأن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً فجحدتم بذلك ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ في كتابكم فتقولون أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانيا(3).

---

(1) انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٣٤٤/٢١}.

(2) في (ب): أو.

(3) انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي ، {٢/ ١١٩٥-١١٩٦ }.
تتضح نفسية بني إسرائيل بأشكال متعددة منها قوله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى} الفارق الكبير فالنبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهم السلام يقولان: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} ويطلقان هذا الاسم على ذريتهم {وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية ١٢٨) ويوصيان بذالك ولديهم. واليهود والنصارى كيف قالوا: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى تهتدوا! مخالفة واضحة {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} أطروا الدين في إطار قومي، وشخصي، وعرقي، أليس هذا ما توحيه الآيات؟ وسمو الدين باسمهم يهودية، وسموا النصارى الدين باسمهم، نصرانية، والدين عند الله الإسلام."

ويقال: ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾ يقول فيما ليس لكم به علم في كتابكم أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ في كتابكم ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ﴾ أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦] لتركك طريق الحق والنظر فيه، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ على دين اليهودية ﴿وَلاَ نَصْرَانِيًّا﴾ على دين النصرانية ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ حاجاً ﴿مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] على دينهم(١).

ثم بين من هو على دين إبراهيم فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾ أحق الناس ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ بدين إبراهيم ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَـذَا النَّبِيُّ﴾ محمد على دينه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن أيضاً على دين إبراهيم ﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨] حافظهم وناصرهم.

ثم ذكر دعوة كعب وأصحابه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله معاذاً وحذيفة يوم أحد إلى دينهم اليهودية من دينهم الإسلام(٢) فقال: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ أن يضلونكم عن دينكم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ عن دين الله ﴿إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران:٦٩] ذلك ويقال: لا يعلمون أن الله يخبر نبيه بذلك.

﴿يَا أَهلَ الْكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ تجحدون ﴿بِآيَاتِ اللّهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران:٧٠] تعلمون في كتابكم أن محمداً نبي مرسل.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ لم تخلطون صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله ﴿بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ﴾ صفة محمد ونعته ﴿الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١] ذلك في كتابكم.

ثم ذكر مقالة كعب وأصحابه في تحويل القبلة فقال: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعب وأصحابه من الرؤساء لسفلتهم ﴿آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أول النهار وهو صلاة الفجر ﴿وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ﴾ يعني صلاة الظهر، يقول آمنوا بالقبلة التي صلى إليها محمد وأصحابه صلاة الفجر واكفروا آخره، أي اكفروا بالقبلة الأخرى التي صلوا إليها صلاة الظهر ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٢] لكي يرجع عامتهم إلى دينكم وقبلتكم(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٢٨٣}.

(٢) نزلت في عمار بن ياسر، وحُذَيْفة بن اليمان وذلك أن اليهود جادلوهما ودعوهما إلى دينهم. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٢٨٣}.

(٣) انظر: تفسير مجاهد، {٤١}.

﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ﴾ ولا تصدقوا بالنبوة ﴿إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ اليهودية وقبلتكم بيت المقدس﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ إن دين الله هو الإسلام، وقبلة الله هي الكعبة ﴿أَن يُؤْتَى﴾ أن يعطى﴿أَحَدٌ﴾ من الدين والقبلة ﴿مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ أعطيتم ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ ويقول وأن يخاصمكم اليهود بهذا الدين والقبلة ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿قُلْ﴾ أيضاً يا محمد ﴿إِنَّ الْفَضْلَ﴾ بالنبوة والإسلام وقبلة إبراهيم﴿بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ محمداً ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ العظمة ﴿عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٣] لمن يعطي ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ يختار بدينه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ محمداً وأصحابه ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤] ذو المن العظيم بالنبوة والإسلام على محمد، ويقال قال بعضهم لبعض آمنوا ثم ارجعوا فإنه أكثر لنقمة القوم، ويقولون لولا عثرة رأوها لم يرجعوا عن إيمانهم(١).

ثم ذكر أمانة أهل الكتاب وخيانتهم فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ تبايعه بقنطار بملء مسك ثور ذهب ﴿يُؤَدِّهِ﴾ يرده ﴿إِلَيْكَ﴾ بغير عناء وتعب ولا يستحله ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ﴾ تبايعه ﴿بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ﴾ لا يرده ﴿إِلَيْكَ﴾

---

(١) {ولا تؤمنوا} هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض قالوا ألا تصدقوا ، ولا تقروا بأن يؤتى أحداً مثلما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والحجة والفضائل والكرامات {إلا لمن تبع دينكم} اليهودية وقام من شرائعكم دون غيرهم، وقوله {قل إن الهدى هدى الله} اعتراض فاصل بين المفعول وفعله، وهو من كلام الله وليس من كلام اليهود {أن يؤتى أحداً مثلما أوتيتم} أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحداً مثلما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ، والمعنى أمر وتصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثلما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين ، لئلا يزيدهم ثباتاً ودون المشركين لئلا يدعوكم ذلك إلى الإسلام ، وقوله{أو يحاجوكم عند ربكم} عطف على قوله أن يؤتى بمعنى ، ولا تؤمنوا لغير أتباعكم إن المسلمين يحاجوكم يوم القيامة بالحق، ويغالبوكم عند الله بالحجة، ومعنى الاعتراض الفاصل إن الهدى من يشاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدهم وحيلكم ومنعكم بتصديقكم عن المسلمين والمشركين، وكذلك قوله {قل إن الفضل بيد الله} يريد الهداية والتوفيق. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١/٣٠٠}.

يبين الله تعالى لنا نفسية بني إسرائيل: {وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى}، النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهم السلام يقولان: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} ويطلقان هذه التسمة على ذريتهم {وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} (البقرة: من الآية ١٢٨) ويوصيان بذالك ولديهم. واليهود والنصارى كيف قالوا: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى تهتدوا! مخالفة واضحة {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} أطروا الدين في إطار قومي، وشخصي، وعرقي، وسمو الدين باسمهم يهودية، وسموا النصارى الدين باسمهم، نصرانية، والدين عند الله الإسلام.

ويستحله ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ ملحاً به يتقاضاه، وهو كعب بن الاشرف وأصحابه(١)﴿ إِلَيْكَ﴾ الاستحلال والخيانة ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ﴾ في أموال العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ حرج ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٥] أنهم كاذبون بذلك.

﴿بَلَى﴾ رد عليهم ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ فيما بينه وبين الله أو بينه وبين الناس ﴿وَاتَّقَى﴾ عن نقض العهد والخيانة وترك الأمانة ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] عن نقض العهد والخيانة وترك الأمانة، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه.

ثم ذكر عقوبتهم، يعني عقوبة اليهود فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ بنقض عهد الله ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ عهودهم﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً من المأكلة ﴿أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ﴾ لا نصيب لهم ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ في الجنة ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ﴾ يوم القيامة بالكلام الطيب ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بالرحمة ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ لا ينزههم من اليهودية ولا يصلح بالهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [آل عمران:٧٧] وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم(٢).

ويقال: نزلت هذه الآية في عبدان بن الاشوع وامرئ القيس الشاعر بخصومة كانت بينهما، ونزلت في اليهود أيضاً(٣).

[فقال(٤)] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿لَفَرِيقًا﴾ كعباً وأصحابه ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ يحرفون ألسنتهم ﴿بِالْكِتَابِ﴾ بقراءة صفة الرجال في الكتاب ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ يعني ليَحتَسِبنَّهُ السفلة ﴿مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ في التوراة ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ في التوراة ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ [آل عمران:٧٨] ذلك في كتابهم(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/ ٢٨٥}.

(٢) هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم من الحق والإسلامَ ، وشأنَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣/ ٣٢٨}.

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/٢٢٥}.

(٤) سقط في(أ).

(٥) قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا} يعني: من أهل الكتاب لفريقا أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحييّ بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمر الشاعر، {يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ} أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآية الرجم وغير ذلك، يقال: لوى لسانه على كذا أي: غيره، {لِتَحْسَبُوهُ} أي: لتظنوا ما حرفوا {مِنَ الْكِتَابِ} الذي أنزله الله تعالى، {وما هو من الكتاب وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} عمدًا، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنهم كاذبون، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرَّفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢/٥٩}.

يقال: نزلت هذه الآية في حبرين فقيرين غيرا صفة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة، ثم نزلت في مقالتهم نحن على دين إبراهيم، وأمرنا إبراهيم بهذا الدين، فقال الله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ من الأنبياء ﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ﴾ أن يعطيه الله ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ والفهم ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا﴾ عبيداً ﴿لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾ علماؤ وفقهاء فاضلين ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ الناس من ﴿الْكِتَابَ﴾ ويقال: تعلمون ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] تقرأون من الكتاب ﴿وَلاَ يَـأْمُرَكُمْ﴾ ولم يأمركم يا معشر قريش، واليهود والنصارى ﴿أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ﴾ بنات الله ﴿وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ﴾ كيف أمركم إبراهيم بالكفر ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠] بعد إذ أمركم بالإسلام ويقول ما بعث الله رسولاً إلا أمر ذلك الرسول بالإسلام لا باليهودية والنصرانية وعبادة الأصنام كما قال هؤلاء الكفار.

يقال: نزلت هذه الآية في مقالة اليهود لمحمد: تأمرنا أن نحبك ونعبدك كما عبدت النصارى والمشركون[١].

ثم بين ميثاقه على النبيين في محمد صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ﴾[٢] يقول أخذ الله الميثاق على النبيين في محمد صلى الله عليه وآله، يقول: أن يبين بعضهم لبعض صفة محمد ونعته وفضله ﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾ يقول حين أعطيتكم ﴿مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ يعني ببعض صفة محمد ونعته وفضله، وفيه الحلال والحرام ﴿ثُمَّ﴾ تأخذوا أيضاً على أمتكم أن إذا ﴿جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ﴾ موافق بالتوحيد ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يقول لتقرن به وبفضيلته ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ بالسيف على أعدائه، وبيان صفته ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ أقبلتم ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ﴾ ما قلت لكم ﴿إِصْرِي﴾ عهدي ﴿قَالُواْ﴾ النبيون ﴿أَقْرَرْنَا﴾ قبلنا ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿فَاشْهَدُواْ﴾ على ذلك ﴿وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١] على ذلك فأشهد الله بعضهم على بعض ، وشهد هو بنفسه على ذلك فبين كل نبي لأمته ذلك، وأشهد كل نبي

---

(١) الآية نزلت في سبب القوم الذين قالوا لرسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ: أتريد أن نعبدك؟ فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيّه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناسَ إلى عبادة نفسه، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا. ولكن الذي له: أنْ يدعوهم إلى أن يكونوا ربانيين. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٤٨/٦}.

(٢) لم يبعث الله عز وجل نبيًّا قطُّ من لدُنْ نوح، إلا أخذ ميثاقه ليؤمننّ بمحمد ولينصرنَّه إن خَرَج وهو حيّ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرُنَّه إن خَرَج وهم أحياء. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١/ ٥٥٦}.

لنفسه على ذلك ﴿فَمَن تَوَلَّى﴾ من الأمم ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد هذا الميثاق ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾ [آل عمران:٨٢] الناقضون الكافرون(١).

ثم ذكر خصومة اليهود والنصارى وسؤالهم للنبي صلى الله عليه وآله أننا على دين إبراهيم فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله: «كلا الفريقان بريآن من دين إبراهيم»(٢) قالوا: لا نرضى بذلك، قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ﴾ أفغير دين الإسلام ﴿يَبْغُونَ﴾ يطلبون عندك ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ أقر بالإسلام والتوحيد ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الملائكة ﴿وَالأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿طَوْعًا﴾ أهل السماء بالطوع ﴿وَكَرْهًا﴾ أهل الأرض بالكره.

ويقال: المخلصون بالطوع والمنافقون بالكره(٣).

ويقال: الذين ولدوا في الإسلام بالطوع، والذين دخلوا في الإسلام بالسيف بالكره ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُون﴾ [آل عمران:٨٣] بعد الموت(٤).

ثم بين حكم الإيمان لكي يكون دلالة لهم إلى الإيمان فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿آمَنَّا بِاللهِ﴾ وحده لا شريك له ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني وبما أنزل علينا القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني وبإبراهيم وكتابه ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ وكتابه ﴿وَإِسْحَقَ﴾ وكتابه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وكتابه ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب وكتابهم ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ يعني بموسى وكتابه ﴿وَعِيسَى﴾ يعني وبعيسى وكتابه ﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾ يعني وبجملة النبيين وكتابهم ﴿مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾[آل عمران:٨٤] لا نكفر بأحد من الأنبياء.

ويقال: لا نفرق بينهم وبين الله بالنبوة والإسلام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾ مقرون له بالعبادة والتوحيد مخلصون له بالتوحيد والدين ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ يطلب ﴿غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين﴾ [آل عمران:٨٥] من المغبونين بذهاب الجنة وما فيها، ولزوم النار وما فيها.

---

(١) في (ب): الكاذبون.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {٢١٨/١١}.

(٣) أما المؤمن فأسلم طوعًا ، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله، قال : {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}. انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {٤٠٠/١}.

(٤) الكلبي : طَوْعاً : الذين ولدوا في الإسلام ، وَكَرْهاً : الذين أجبروا على الإسلام. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٠٧/٣}.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ﴾ لدينه ﴿قَوْمًا كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بالله ﴿وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ﴾ محمداً ﴿حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ البيان والكتاب ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] المشركين بدينه من لم يكن أهلاً لذلك، أي لا يحكم لهم بالهدى ولا يسميهم به من غير استحقاق.

﴿أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ﴾ عذاب الله ﴿وَالْمَلآئِكَةِ﴾ ولعنة الملائكة ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران:٨٧] ولعنة المؤمنين ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران:٨٨] لا يؤجلون من العذاب.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الكفر والشرك ﴿مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد الارتداد ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ وحدوا الله بالإخلاص ﴿فَإِنَّ الله غَفُورٌ﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٨٩] لمن مات على التوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بالله ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا﴾ ثم استقاموا على الكفر ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ ما داموا على الكفر لن يقبل توبتهم أو ماتوا على ذلك ﴿وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠] عن الهدى والإسلام(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله والرسول ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ بالله والرسول ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ﴾ وزن الأرض ﴿ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ يقول لو افتدى(٢) به نفسه لا يقبل منه ﴿أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:٩١] من مانعين من عذاب الله، نزلت من قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا﴾ [آل عمران من الآية :٨٥] إلى ها هنا في عشرة من المنافقين طعمة وأصحابه حين رجعوا من المدينة إلى مكة مرتدين عن دينهم الإسلام، فمات بعضهم على ذلك وأسلم بعضهم بعد ذلك(٣).

ثم حث على النفقة في سبيل الله فقال: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ﴾ يعني ما عند الله من الثواب والكرامة [والجنة(٤)] ﴿حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من المال ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ شيئاً من المال ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ﴾ بنياتكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢] ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران:٩٣] كل الطعام حلال اليوم على محمد وأمته، كان حلالاً على بني إسرائيل أولاد يعقوب ﴿إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾

---

(١) أخبر سبحانه وتعالى: أنهم كفروا ثم ازدادوا ولم يتوبوا بإخلاص ولا نية ولم يرجعوا بإقلاع ولا حقيقة، ولم يخبر عز وجل لهم بتوبة وإخلاص وإنما أخبر بتماديهم في ضلالهم وتزايدهم في كفرهم وعنادهم، ولو كانت توبتهم بصحة ونية وعزيمة وبصيرة لقبل الله توبتهم وغفر خطيئتهم. كتاب فيه مسائل عن القاسم بن إبراهيم(ع)، {٣٦٤}.

(٢) في (ب): فدى.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٨٨/١}.

(٤) سقط في(أ).

يعقوب[1] ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ بالنذر ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ من قبل نزول التوراة على موسى حرم يعقوب لحم الإبل وألبانها على نفسه، فلما نزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وآله اليهود: «ما الذي حرم إسرائيل على نفسه من الطعام؟ فقالوا: ما حرم إسرائيل على نفسه من الطعام شيئاً، وكل ما هو اليوم حرام علينا من لحوم الإبل وألبانها وشحوم البقر والغنم وغير ذلك كان حراماً على كل نبي من آدم إلى موسى عليهما السلام، وتستحلونه أنتم، وادعوا تحريم ذلك في التوراة، فقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ فاقرؤوا تحريم ما ادعيتم فيها ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران من الآية:٩٣] فيما تدعون فلم يأتوا بالتوراة، وعلموا أنهم كاذبون ليس فيها ما يقولون فقال الله: ﴿فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد البيان في التوراة ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران:٩٤] الكافرون الكاذبون على الله[2].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿صَدَقَ اللهُ﴾ فيما قال من التحريم والتحليل ﴿فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دين إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ مسلماً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥] [على دينهم[3]] ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ للمؤمنين ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يقول هو الذي ببكة والبكة موضع الكعبة، وإنما سمي بكة لأن الناس يبك بعضهم على بعض من الزحام في الطواف [4] ﴿مُبَارَكًا﴾ بالمغفرة والرحمة ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦] قبلة لكل رسول ونبي وصديق ومؤمن.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أوله ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وحطيم إسماعيل والحجر الأسود ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ من أن يهاج فيه[5]. ويقال: من دخل فيه وأدى ما فرض [الله[6]] عليه من أعماله أمن على نفسه العقاب لأجله[7].

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {٤٢٥/٢}.

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١١٣١١٤/٣}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٩١/١}.

(٥) كان في الجاهلية من دخله ولجأ إليه آمن من الغارة والقتل ولم يزده الإسلام إلا شدة. وكتب أبو الخلد إلى ابن عباس: أن أول من لاذ بالحرم الحيتان الصغار والكبار هربا من الطوفان، وقيل: مَنْ دَخَلَهُ عام عمرة القضاء مع محمد صلى الله عليه وآله سلم كانَ آمِناً دليله قوله: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. وقال أهل المعاني: صورة الآية خبر ومعناها أمر تقديرها: ومن دخلوه فأمنوه، كقوله: (فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٥٠/٣}.

وقال عبد الرزاق في قوله تعالى {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}: «كان ذلك في الجاهلية، فأما اليوم، فإن سُرِقَ فِيهِ، وَأخذ قُطِعَ، وَلَوْ قتل فيه قتل، ولو قدر على المشركين فيه قُتِلوا» تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {٤٠٥/١}.

(٦) سقط في (أ).

(٧) فيه آيات بينات " ما هذه الايات ؟ قال الله: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه ؛ والحجر الاسود. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {١١٨/١٢}.

﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ﴾ على المؤمنين ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ الذهاب إلى البيت﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ بلاغاً يسيراً بالزاد والراحلة إلا أن يقدر على المشي، وأمن السبيل وصحة البدن[1]﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله وبمحمد والقرآن وبفريضة الحج ﴿فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧] عن إيمانهم وحجهم.

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية، فقال: هو أول بيت وضع في الأرض، قال ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً وإن شئت نبأتك كيف بني[2].

إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله أن ابن لي بيتاً في الأرض[3].

قال: فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً، فأرسل الله السكينة وهي ريح الخجوج[4].

قال أبو جعفر عليه السلام[5]: وقال بعضهم خجوج لها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة، فتطوقت على موضع البيت [و[6]] تطوف الجحفة ورقة، فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة.

قال إبراهيم [صلوات الله علي وعلى آله]: حيث استقرت، فكان يبني إبراهيم وابنه حتى إذا بلغا مكان الحجر الأسود قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليه السلام : أعطني حجراً فذهب الغلام يثني ساقاً قال له إبراهيم: أعطني كما آمرك، قال فانطلق الغلام يلتمس حجراً، قال فأتاه فوجده قد ركب الحجر الأسود، فقال له: يا أبتا من أتاك بهذا الحجر؟ قال: أتاني به من لم يتكل على بنائك، جاءني به جبريل عليه السلام من السماء، قال: فبنياه فأتماه، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته العمالقة[7]، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته جرهم[8]، ثم مر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) والاستطاعة الزاد والراحلة، وأمان الطريق. انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٢٣٩/١}.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، {٣٢١/٢}.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، {٧٠/٣}.

(٤) قال الاصمعي: الخَجُوجُ الريح الشديدةُ المرِّ وقال ابن شميل: هي الشديدة الهبوب الخَوَّارَةُ لا تكون إلا في الصيف وليست بشديدة الحر وفي كتاب القتيبي فتطوَّت موضعَ البيت كالحَجَفَة وقيل ريح خَجُوج أي شديدة المرور في غير استواءٍ. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٤٧/٢}.

(٥) الإمام الباقر عليه السلام.

(٦) سقط في (أ).

(٧) العَمَالقة: هم الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عادٍ. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٧١/١٠}.

(٨) جُرْهُم: حيٌّ من اليَمَن. نزلوا مكة، وتزوج فيهم إسماعيلُ ع، فعصَوُا الله، وألحدوا في الحَرَم فأبادهم الله. انظر: كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال {١١٧/٤}.

يومئذ رجل شاب، فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه، فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة، فقال فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أول من خرج عليهم، فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم ترفعه جميع القبائل كلها(١). قال علي بن محمد: الصحيح أن أول من بناها وحج آدم عليه السلام، ثم خرب أيام الطوفان(٢) حتى بناه إبراهيم عليه السلام(٣).

ويروى أنه رفع إلى السماء والله أعلم.

وعنه [أنه](٤) قال: مكة أكناف الحرم و بكة موضع البيت، وإنما سميت مكة لان الله [مك(٥)] الأرض من تحتها، وأما بكة فلأنه بكت رقاب الجبارين وعيون المذنبين(٦).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:٩٨] في الكفر من الكتمان والمعاصي ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بالله وبمحمد والقرآن﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبونها غيراً ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَاء﴾ تعلمون ذلك في الكتاب ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[آل عمران:٩٩] في الكفر من الكتمان والمعاصي، نزلت هذه الآية في الذين دعوا عمار بن ياسر وأصحابه إلى دينهم اليهودية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بالله ومحمد والقرآن ﴿كَافِرِينَ﴾[آل عمران:١٠٠] حتى تكونوا كافرين بالله وبمحمد.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ على وجه التعجب ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَى﴾ تقرأ ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ﴾ القرآن بالأمر والنهي ﴿وَفِيكُمْ﴾ معكم ﴿رَسُولُهُ﴾ محمد ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ﴾ يستمسك بدين الله وكتابه ﴿فَقَدْ هُدِيَ﴾ فقد أرشد ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران:١٠١] دين قائم يرضاه وهو الإسلام(٧).

---

(١) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ) دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ،دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط٢، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م {٦٢/٢}.

(٢) والطُّوفانُ: الماءُ الذي يَغْشَى كلَّ مكانٍ، ويُشَبَّهُ به الظَّلامُ، قال العجّاج: وعمَّ طُوفانُ الظَّلام الأثأبا. انظر: كتاب العين، للفراهيدي، {٤٥٨/٧}.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ،للطبري ، {٥٣٠/١٦}.

(٤) سقط في (أ)

(٥) سقط في (أ)

(٦) انظر: بحار الأنوار ، للمجلسي ، {١٠/ ١٢٧}.

(٧) نزلت الآية في الأوس والخزرج حين أغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم ، عن زيد بن أسلم و السدي . انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {١٢٥٦/٢}.

ويقال: قد ثبت عليه، نزلت هذه الآية في معاذ وأصحابه، ثم نـزل فـي أوس و خـزرج لخصومة كانت بينهم في الإسلام، افتتن فيهم ثعلبة بن غيم، وسعد بن أبي زياد للقتل والغـارة في الجاهلية، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ يقول أطيعوا الله حق تقاته، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر ولا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى(١).

ويقال: اتقوا الله حق تقاته، أطيعوا الله كما ينبغي ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون﴾ [آل عمران:١٠٢] مقرون له بالعبادة والتوحيد، مخلصون بهما(٢).

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ﴾ تمسكوا بدين الله وكتابه ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال حبل الجماعة ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ في الدين والجماعة ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ منة الله عليكم بالإسلام ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء﴾ في الجاهلية ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ صرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ بدينه الإسلام ﴿إِخْوَانًا﴾ في الدين ﴿وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ على طرف هوة من النار يعني الشط وهو الكفر ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ فأنجاكم منها بالإيمان ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه ومنته ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون﴾[آل عمران:١٠٣]لكي تهتدوا من الضلالة.

ثم أمر بالمعروف والصلح فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ لا تزال منكم ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ والصلح والإحسان ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد واتباع محمد ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الكفر والشرك وترك اتباع الرسول ﴿وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [آل عمران:١٠٤] الناجون من السخطة والعذاب.

﴿وَلاَ تَكُونُواْ﴾ من المتفرقين في الدين ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ﴾ في الدين، أي كتفرق اليهود والنصارى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بيان ما في كتابهم من الإسلام ﴿وَأُوْلَـئِكَ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ [آل عمران:١٠٥] أعظم ما يكون(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٩٢/١}.

(٢) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: ١٣١٦هـ) تحقيق: محمد أمين الصناوي،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ - ١٤١٧ هـ ، آل عمران{١٤٣/١}.

(٣) يتبين لنا أن بنو إسرائيل جاء ذكرهم في القرآن بشكل واسع، وعرض شامل لما آتاهم الله سبحانه وتعالى من نعم، وكيف كان تعاملهم مع تلك النعم، وعرَض كثيراً من سلوكياتهم، و مواقفهم، و نفسياتهم، ومشاعرهم حيث يقول سبحانه لنا في آيات كثيرة، لا تكونوا مثلهم، لا تتعاملوا مثلم، لا تحملوا نفسياتهم، ثم ينبه ويؤنب المفرطين بمثل قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: ١٦].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ وجوه قوم ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وجوه قوم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم ﴿أَكْفَرْتُم﴾ بالله ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بالله ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦] بالله.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾ في جنة الله ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧] لا يموتون ولا يخرجون.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ﴾ هذه آيات الله القرآن ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ ينزل بها جبريل عليك ﴿بِالْحَقِّ﴾ لبيان الحق والباطل ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ [آل عمران:١٠٨] وما الله يريد أن يكون منه ظلماً ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ على الجن والإنس.

﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [آل عمران:١٠٩] عواقب الأمور في الآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كانت للناس.

ثم بين خيرهم فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد واتباع الرسول ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن المنكر والشرك ومخالفة الرسول ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ وبجملة الكتب والرسل ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ مما هم عليه ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠] الكافرون الناقضون للعهد.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ لن ينقصوكم [أي] اليهود ﴿إِلاَّ أَذًى﴾ باللسان وبالشتم والطعن ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ [في الدين[1]] ﴿يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾[آل عمران:١١١]لا يمنعون من سيوفكم وسبيكم إياهم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ جعلت عليهم مذلة الجزية ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ﴾ وجدوا لا يقدرون أن يقوموا مع المؤمنين ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ﴾ بإيمان من الله ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ وعهد من الأمراء ﴿وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ﴾ استوجبوا بلعنة من الله ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ جعلت عليهما سيماء الفقر ﴿ذَلِكَ﴾ المذلة ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بلا جرم ﴿ذَلِكَ﴾ الغضب والمسكنة ﴿بِمَا عَصَوا﴾ [الله[2]] في السبت ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١١٢] بقتل الأنبياء واستحلال المحارم.

(١) سقط في (أ).

(٢) سقط في(أ).

﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي ليس من آمن من أهل الكتاب كمن لم يؤمن ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ يقول منهم جماعة عدول مهتدية بتوحيد الله، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ﴾ يقرأون آيات القرآن ﴿آنَاء اللَّيْلِ﴾ ساعات الليل في الصلاة ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣] يصلون لله.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ وبجملة الكتب والرسل ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ والبعث بعد الموت ونعيم الجنة ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد واتباع محمد ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الكفر والشرك واتباع الجبت والطاغوت ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون في الطاعات ﴿وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٤] من صالحي أمة محمد، ويقال: مع صالحي أمة محمد في الجنة.

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مما ذكرت، ويقال: من إحسان إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ﴿فَلَن يُكْفَرُوْهُ﴾ لن ينسى ثوابه بل تثابون ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٥] الكفر والشرك والفواحش عبد الله بن سلام وأصحابه(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن كعباً وأصحابه ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ كثرة أموالهم ﴿وَلاَ أَوْلاَدُهُم﴾ كثرة أولادهم ﴿مِّنَ اللّهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْئًا وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١١٦] دائمون.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول مثل نفقة اليهود في اليهودية ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أوبرد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زرع قوم ﴿ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بمنع حق الله منه ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فأحرقته كذلك الشرك يهلك النفقة كما أهلكت الريح الزرع ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ﴾ بذهاب منفعة زرعهم ونفقتهم ﴿وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٧] بالكفر ومنع حق الله من الزرع(٢).

---

(١) { وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ } أي: لا يضيع عند الله بل يجزيكم به أوفر الجزاء. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} أي: لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا. انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ -٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، الباب ١١٦، {١٠٥/٢}.

(٢) (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيه صر) هو الريح البارد، ومثله الصرصر شبه الله تعالى ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخرة وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد، فذهب حطاماً وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم لأن أعمالهم محبطة وقيل: أنفقوه بعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه غرضاً {أصابوا حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته} شبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ، والغرض في تشبيه ما أنفقوا في قلة نفعه لهم بالزرع المهلك بالريح البارد {وما ظلمهم الله} أي: المنفقين بمعنى: وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم {ولكن أنفسهم يظلمون} معنى ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكابهم ما استحقوا به العقوبة مما لا يرضي الله وفيه دليل على أن العقوبة على الذنب تكون في الدنيا وفي الحديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يذنبه. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣٣/١}

=

ثم نهى المؤمنين الأنصار وغيرهم عن محادثة اليهود، وإفشاء السر إليهم[1] فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ﴾ يعني اليهود ﴿بِطَانَةً﴾ وليجة ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ من دون المؤمنين المخلصين ﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ﴾ لا يتركون الجهد في فسادكم ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنوا أن أثمتم وأشركتم كما أشركوا ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ قد ظهرت ﴿الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ على ألسنتهم بالشتم والطعن ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ ما يضمرون في قلوبهم من البغض والعداوة ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذلك ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الأمر والنهي ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٨] لكي تعلموا ما أمرتكم[2].

﴿هَا أَنتُمْ أُوْلاء﴾ يا معشر المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ يعني اليهود لقبل الصهارة والرضاعة ﴿وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ﴾ لقبل الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ تقرون بجملة الكتاب والرسل، وهم لا يقرون بذلك ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾ يعني منافقي اليهود ﴿قَالُواْ آمَنَّا﴾ بمحمد والقرآن، وأن صفته ونعته في كتابنا.

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ رجع بعضهم إلى بعض ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ من الحنق ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ بحنقكم ﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١١٩] بما في القلوب من البغض والعداوة.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ الفتح والغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ ساءهم ذلك يعني اليهود والمنافقين ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ القحط و الجدوبة والقتل والهزيمة ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ يعجبوا بها ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ معصية الله ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ عداوتهم وصنيعهم

هل المنافقين يدخلون ضمن هذه الآية وغيرها؟ البعض يخصص آيات الوعيد للكفار، والخطاب للمنافقين الذين هم محسوبين على المسلمين أشد، نذكر بعض آيات سورة التوبة قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (التوبة -٣٥) وبعدها يقول سبحانه وتعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ثم يقول سبحانه وتعالى: لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (التوبة -٤٩).

(١) نزلت هذه الآية في المنافقين. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٥١/٧}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٩٧/١}.

﴿شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من العداوة والمخالفة﴿ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠] عالم ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [خرجت[(١)]] من المدينة يوم أحد ﴿ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تتخذ للمؤمنين﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ أمكنة لقتال عدوهم ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ بمقالتكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢١] بما يصيبكم بترك المركز.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ أضمرت قبيلتان من المؤمنين بنو سلمة وبنو حارثة ﴿أَن تَفْشَلاَ﴾ أن تجبنا عن قتال العدو يوم أحد﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾ حافظهما ولاهما عن ذلك﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[آل عمران:١٢٢] على المؤمنين أن يتوكلوا على الله في النصر والفتح[(٢)].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ يوم بدر﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ قليلة ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ فاخشوا الله في أمر الحرب ولا تخالفوا السلطان الذي معكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣] لكي تشكروا نعمته ونصرته [(٣)].

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يوم أحد ﴿أَلَن يَكْفِيكُمْ﴾ مع عدوكم ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ بأن ينصركم ربكم ﴿بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران:١٢٤] من السماء لنصرتكم ﴿بَلَى﴾ يكفيكم ﴿إِن تَصْبِرُواْ﴾ مع نبيكم في الحرب ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ معصيته ومخالفته ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي وإن يأتوكم يعني

---

(١) سقط في (أ).

(٢) نزلت في قبيلتين من الأنصار بني حارثة وبني سلمة بن جشم، وهموا أن يتركوا أماكنهم في الخندق ففيهم يقول الله تعالى: (ذ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُما وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) قالوا بعد ما نزلت هذه الآية ما يسرنا أنا لمْ نهم بالذي هممنا إذ كان الله ولينا. قوله تعالى: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها يقول ولو دخلت عليهم المدينة من نواحيها يعنى نواحي المدينة ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ - يعني الشرك – (لَآتَوْها) يعني لأعطوها عفوا يقول لو أن الأحزاب دخلوا المدينة، ثم أمروهم بالشرك لأشركوا (وَما تَلَبَّثُوا بها إِلَّا يَسِيراً) ما تحبسوا بالشرك إلا قليلا حتى يعطوا طائعين فيكفوا، ثم أخبر عنهم فقال سبحانه: (وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) قتال الخندق وهم سبعون رجلا ليلة العقبة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٧٩/٣}.

(٣) يبدو أن هذه الذلة هي المعبر عنها بخروج الجيش وهم كارهون لقاء القتال كما قال الله تعالى (هو الذي أخرجك من بيتك بالحق وان كثيرا من المؤمنين لكارهون) ، ومع هذا تريدون القافلة (وتودون غير ذات الشوكة تكون لكم) ، وقوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذله) ، وهو أول لقاء عسكري بين الإسلام والكفر، (فاتقوا الله) في التسليم والطاعة المطلقة للنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) أومن يقوم مقامه في ولاية المسلمين.

أهل مكة ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا﴾ من وجه مكة ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ ينصركم ربكم على عدوكم ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] معلمين.

ويقال: متعممين بعمائم صوف(1). ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ وما ذكره الله يعني المدد ﴿إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ لتسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِ﴾ بالمدد ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾ بالملائكة ﴿إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ من الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به ﴿الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦] بالنصرة والدولة لمن يشاء من أوليائه.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ يقول لو أنزلنا المدد لم ينزل إلا ليقطع طرفاً ليقتل جمعاً ﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يهزمهم ﴿فَيَنقَلِبُواْ﴾ فيرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران:١٢٧] من الدولة والغنيمة.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليس بيدك التوبة ولا العذاب إن تدعُ على المنهزمين يوم أحد من الرماة وغيرهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول إن شاء الله يتوب عليهم ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ بترك المركز ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨] بترك المركز.

ويقال نزلت في الحيين عصبة و ذكوان حين قتلوا أصحابه(2).

﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء﴾ لمن كان أهلاً لذلك ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء﴾ لمن(3) كان أهلا له ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢٩] لمن مات على التوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني ثقيفاً ﴿لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا﴾ على الدراهم ﴿مُّضَاعَفَةً﴾ في الأجل ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في أكل الربا ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠] لكي تنجوا من السخط والعذاب(4).

---

(١) تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {١٦٣}.

(٢) ذلك أن سبعين رَجُلا من أصحاب الصفة فقراء، كانوا إذا أصابوا طعاما فشبعوا منه تصدقوا بفضله، ثُمّ إنهم خرجوا إلى الغزو محتسبين إلى قتال قبيلتين من بني سُلَيْم: عصية وذكوان، فقاتلوهم فقتل السبعون جميعًا فشق عَلَى النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه قتلهم. فدعا عليهم النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أربعين يومًا فِي صلاة الغداة فأنزل اللَّه- تَعَالَى- «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠٠/١}.

(٣) في (ب): من.

(٤) انظر: تفسير الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،ط١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م {٨٠/١}.

ويقال: أي تنجوا وتفوزوا ببقاء الأبد ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ اخشوا الله في أكل الربا وجهنم ﴿الَّتِي أُعِدَّتْ﴾ خلقت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١] بالله وبتحريم الربا.

﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ في تحريم الربا وتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢] فلا تعذبون.

﴿سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بادروا بالتوبة من الربا وسائر الذنوب إلى تجاوز من ربكم ﴿وَجَنَّةٍ﴾ وإلى جنة بعمل صالح وترك الربا ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ لو وصل بعضها إلى بعض ﴿أُعِدَّتْ﴾ خلقت ﴿لِلْمُتَّقِين﴾[آل عمران:١٣٣] الكفر والشرك والفواحش، وأكل الربا[1].

ثم بينهم فقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء﴾ ينفقون أموالهم في سبيل الله في اليسر والعسر ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الكافين غيظهم المرددين حنقهم في أجوافهم ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عن المملوكين ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾ [آل عمران:١٣٤] إلى المملوكين والأحرار.

ثم نزلت[2] في رجل من الأنصار لقبل نظرة ولمسة وقبلة أصابها من امرأة الرجل الثقفي، فقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ معصية ﴿أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالنظرة واللمسة والقبلة ﴿ذَكَرُواْ اللهَ﴾ خافوا الله ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ تابوا من ذنوبهم ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ ذنوب التائب ﴿إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ من معصية الله﴿وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ [آل عمران:١٣٥] أنها معصية ﴿أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم﴾ مكافأتهم وثوابهم ﴿مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ لذنوبهم ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الماء والخمر والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين﴾ [آل عمران:١٣٦] ثواب التائبين ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت في الأمم الذين مضوا ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ بالثواب والمغفرة لمن تاب، والعذاب

---

(١) (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) المراد بالمسارعة المسابقة أي سارعوا مسابقين إلى سبب مغفرة من ربكم من الايمان والاعمال الصالحة (وجنة) أي إلى جنة (عرضها السموات والارض اعدت للمتقين). انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٥٧/٦٦}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠١/١}.

والهلاك لمن لم يتب ﴿فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ﴾ تفكروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧] بالرسل الذين لم يتوبوا من تكذيبهم(١).

﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ هذا القرآن بيان بالحلال والحرام للناس ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ ونهي ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨] الكفر والشرك والفواحش.

ثم عزاهم فيما أصابهم يوم أحد فقال: ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا مع عدوكم ﴿وَلاَ تَحْزَنُواْ﴾ على ما فاتكم من الغنائم يوم أحد [ولا على ما أصابكم(٢)] من القتل والجراح ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ آخر الأمر إليكم بالنصرة والدولة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] بالنصرة والدولة من الله.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ يقول إن أصابكم جرح يوم أحد ﴿فَقَدْ مَسَّ﴾ أصاب ﴿الْقَوْمَ﴾ أهل مكة يوم بدر ﴿قَرْحٌ﴾ جرح ﴿مِّثْلُهُ﴾ مثل ما أصابكم يوم أحد ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ﴾ الدنيا ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ معناه أنه داول بينهم الأيام في السرور والنعيم، والأحزان و الغموم التي تنالهم عند الجراح فيما يخلق الله من الأيام، ويكون ذلك على سبيل التخلية والامتحان كما قلناه فيما تقدم، وقد تكون الدولة بالغلبة وغير الغلبة، ويكون اليسار والغنى ونيل الأموال وغير ذلك في اللغة، وقد قال تعالى: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ(٣)﴾ (٤).

وفي الجملة دولة المؤمنين بأمر الله، ودولة الكافرين بتخلية الله(٥).

---

(١) نركز على الصفات التي بينتها الآيات لمن يدخلون الجنة: (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين) ماهي صفاتهم أولا: الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء. ثانيا: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ. ثالثا: وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس. رابعا: مُحْسِنِينيسعون في خدمة الآخرين. خامسا: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. سلوكياتهم تكشف واقع نفسياتهم، التي ملؤها الايمان الواعي، الإيمان الذي لا ارتياب معه، هم يجتنبون كبائر الإثم حياء من الله، ولما لكبائر الإثم من أثر في جعلهم غير جديرين بتحقيق وعود الله على أيديهم ولهم. ثم قال الله تعلى في الآية التي بعدها: أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦). هذه الصفات غائبة في المجتمع، الا ما رحم ربي فالله تعالى يقول: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (الواقعة-١٤).

(٢) سقط في (أ).

(٣) الحشر من الآية: ٧.

(٤) متصل بقوله تعالى: (وليمحص الله) عند ذكر غزوة أحد حيث قال تعالى: (وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين). انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٤٣/٧٠}.

(٥) عندما تخاذل أصحاب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ، عندما بدأوا يتنازعون، بدأ الفشل، بدأ العصيان، وهم تحت قيادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت النتيجة أن يُضربوا بالكافرين، {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ}. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٧/٢٤٠}.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ﴾ لكي يرى الله ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ في الجهاد ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ ويكرم من يشاء بالشهادة ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠] المشركين ودولتهم.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ﴾ ليعز الله ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ لما يصيبهم في الجهاد ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤١] [ويهلك الكافرين(١)] في الحرب.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظننتم يا معشر المؤمنين ﴿أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ﴾ بلا قتال ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ لم يرَ الله ﴿الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾ يوم أحد ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢] لم ير الصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم يوم أحد.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ في الحرب ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ يوم أحد ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ الحرب والقتال يوم أحد ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران:١٤٣] إلى سيوف الكفار فانهزمتم ولم تثبتوا مع نبيكم، ثم نزل في مقالتهم للرسول: بلغنا يا رسول الله أنك قتلت لذلك انهزمنا، فقال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ [قد مضت(٢)] مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل محمد ﴿الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ﴾ محمد ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ في سبيل الله ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أترجعون إلى دينكم الأول ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ﴾ يرجع إلى دينه الأول ﴿فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾ فلن ينقص الله رجوعه شيئاً ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤] المؤمنين بإيمانهم وجهادهم(٣).

---

(١) سقط في (أ).

(٢) سقط في (أ).

(٣)) (ولقد كنتم تمنون الموت) ، وذلك حين أخبر الله عز وجل عن قتلى بدر ، وما هم فيه من الخير ، قالوا : يا نبي الله، أرنا يوما كيوم بدر ، فأراهم الله عز وجل يوم أحد ، فانهزموا فعاتبهم الله عز وجل ، فقال سبحانه: (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) ، يعني القتال من قبل أن يلقوه ، (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) ، وقالوا يومئذ: أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قتل ، فقال بشر بن النضر الأنصاري ، وهو عم أنس بن مالك : إن كان محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قتل ، فإن رب محمد حي ، أفلا تقاتلون على ما قاتل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تلقوا الله عز وجل . ثم قال النضر : اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم شد عليهم بسيفه فقتل منهم من قتل ، وقال المنافقون يومئذ : ارجعوا إلى إخوانكم فاستأمنوهم ، فارجعوا إلى دينكم الأول ، فقال النضر عند قول المنافقين تلك المقالة ، فأنزل الله عز وجل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (، يقول : وهل محمد ، عليه السلام ، لو قتل إلا كمن قتل قبله من الأنبياء ،(افاين مات - محمد - أو قتل انقلبتم على أعقابكم)، يعني رجعتم إلى دينكم الأول الشرك ، ثم قال : (ومن ينقلب على عقبيه) ، يقول: ومن يرجع إلى الشرك بعد الإيمان ، (فلن يضر الله شيئا) بارتداده من الإيمان إلى الشرك ، إنما يضر بذلك نفسه ، (وسيجزي الله الشاكرين). انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩٤/١}.

وفي الخبر المرفوع عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي عليهم السلام قال: هبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بما يكون بعده في أمته، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تبين(١) ذلك عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِين﴾ [آل عمران:١٤٤] قال: فعلم نبي الله[صلى الله عليه وآله وسلم(٢)] أن الفتنة لا تعمهم، وأن الانقلاب على أعقابهم يكون من بعضهم وأنه سيكون منهم من يتمسك بالإيمان فسر.

وعنه قال زيد بن علي عليه السلام: فالناس كذلك إلى وقتنا هذا، وكذلك يكون من بعدنا فاستمسكوا بالإيمان تكونوا من الشاكرين.

وقال عليه السلام: والشاكرون لله هم الذين شكروا الله على نعمه فلم ينقلبوا على أعقابهم، وثبتوا على إيمانهم وعرفوا حق الله عندهم وكانوا من الشاكرين(٣).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾ يقول لا تموت نفس ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ الله﴾ بعلم الله ﴿كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ مؤقتاً ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بعمله وجهاده ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ منفعة الدنيا ﴿نُؤْتِهِ﴾ نعطه ﴿مِنْهَا﴾ من الدنيا ما يريد ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيب﴾(٤).

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بعمله وجهاده ﴿ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾ منفعة الآخرة ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ نعطه منها ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِين﴾ [آل عمران:١٤٥] المؤمنين بإيمانهم وجهادهم.

---

(١) إتضح في ملامحه.

(٢) سقط في (أ).

(٣) قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: فافهموا عباد الله عن الله ما أخبركم به في كتابه، أن القليل من الأمم هم فئة الله الغالبون، التي يغلب الله بهم الكثرة، وأنهم أنصار الله، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وأنهم أولياء لله وأنهم أهل الذكر، وأهل الشكر، وأنهم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وهم أهل التقية في دار إظهار الكفر، وأنهم أهل البقية الذين اتخذ الله من الأمم، وأنهم أهل العلم وزيادة الهدى، وأنهم الشهداء على الأمم، وأنهم أهل البأس على عدوهم، وأنهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأنهم لم يبدلوا ولم يغيروا بعد نبيهم ، وأنهم الشاكرون من خلقه، وأنهم أهل الفقه والتهجد، والمستغفرين بالأسحار، وأنهم الأمة الوسط من الأمم، فأنزلوهم منزلتهم، ولا تقولوا على الله مالا تعلمون. انظر: مجموع رسائل الإمام زيد بن علي عليهم السلام، {٢٥٨-٢٥٩}.

(٤) الشورى من الآية: ٢٠.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ كم من نبي ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة من المؤمنين ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ فما ضعفوا المؤمنون ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ من القتل والجراح[بينهم[1]].

ويقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ يقول كم من نبي قاتل، وكان معه جموع كثيرة من المؤمنين﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ فما ضعف المؤمنون[2]﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ من القتل والجراح[3].

ويقال: ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ وما عجزوا عن قتال عدوهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُواْ﴾ ما ذلوا لعدوهم[4].

ويقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ يقول كم من نبي قتل وكان معه جموع كبيرة من المؤمنين ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ فما ضعف المؤمنون لما أصابهم في سبيل الله من قتل نبيهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ وما عجزوا عن قتال عدوهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُواْ﴾ ما ذلوا لعدوهم. ويقال: ما تضعضعوا وما خضعوا لعدوهم﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين﴾ [آل عمران:١٤٦] على قتال عدوهم مع نبيهم[5].

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ قول المؤمنين بعد ما قتل نبيهم ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ دون الكبائر[6]﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ العظائم من ذنوبنا ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في الحرب ﴿وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين﴾ [آل عمران:١٤٧]﴿فَآتَاهُمُ اللهُ﴾ فأعطاهم الله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ بالفتح والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ في الجنة ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾ [آل عمران:١٤٨]في الجهاد.

---

(١) سقط في (أ).

(٢) الوَهْن: الضَّعف في العمل والأمر وكذلك في العَظْم ونحوه . لسان العرب، لابن منظور، {٤٥٣/١٣}.

(٣) قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: أكد ما تقدم من وجوب التمسك بأمر الله تعالى بعد موت الأنبياء عليهم السلام بما أخبر عن الأمم السالفة ، فقال سبحانه: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِي قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيونَ كَثِيرٌ}. اعلم أن هذه من تمام تأديبه تعالى للمنهزمين يوم أحد، والمعنى أن الأنبياء المتقدمين من تابعهم قد كان منهم الصبر على الجهاد، وترك الفرار، فيكف يليق منكم هذا الفرار والإنهزام. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٩٨/٦}.

(٤) استَكان: أي خضع وذل لسان العرب ، لابن منظور ، {٢١١/١٣}.

(٥) انظر: كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ) قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية ، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م {٤٢١}.

(٦) توضح الآيات صفات الربيون حتى مشاعرهم أنهم يرون تلك الذنوب التي نسميها صغائر ، استشعارهم خطورة الذنوب كيفما كانت. (ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين) وفي يوم أحد قال الله تعالى: (إنما استزلهم الشيطان بما كسبوا).

وهذا على سبيل التوبيخ والتحريض، وإلا لم يقتل قط صاحب شريعة من الأنبياء(1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ﴾ يعني حذيفة وعماراً ﴿إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كعباً وأصحابه ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ يرجعوكم إلى دينكم الأول الكفر ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِين﴾ [آل عمران:١٤٩] بذهاب الدنيا والآخرة والعقوبة من الله.

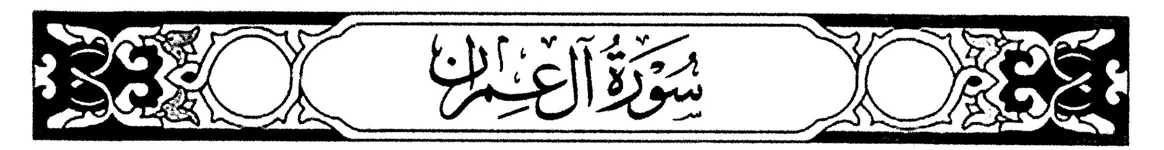
﴿بَلِ اللهُ مَوْلاَكُمْ﴾ ولاكم على ذلك ونصركم عليه ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِين﴾ [آل عمران:١٥٠] أقوى الناصرين بالنصرة.

ثم ذكر هزيمة الكفار يوم أحد فقال: ﴿سَنُلْقِي﴾ سنقذف ﴿فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿الرُّعْبَ﴾ المخافة منكم حتى انهزموا ﴿بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ كتاباً ولا رسولاً ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾ مثواهم ﴿النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِين﴾ [آل عمران:١٥١] مثوى الكافرين النار.

ثم ذكر عدة المؤمنين يوم أحد فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ يوم أحد ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم في أول الحرب ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ونصرته ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن قتال العدو ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ اختلفتم في أمر الحرب ﴿وَعَصَيْتُم﴾ الرسول بترك المركز ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ النصرة والغنيمة ﴿مِنكُم﴾ من الرماة ﴿مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الذين تركوا المركز لقبل الغنيمة ﴿وَمِنكُم﴾ من الرماة ﴿مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ بجهاده وهو عبد الله بن جبير وأصحابه الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾

---

(١) على مذهب الحسن في أنه لم يقتل نبي قط في معركة ، فيرتفع بأنه لم يسم فاعله في (قتل) ، وعلى مذهب ابن اسحاق، وقتادة، والربيع، والسدي: رفع بالابتداء، فقدم عليه الخبر بمعنى قتل، ومعه ربيون كثير، فعلى هذا يكون النبي المقتول، والذين معه لا يهنون، وذلك أن يوم أحد كان أرجف بأن النبي صلى الله عليه وآله قتل، فبين الله تعالى أنه لو قتل لما أوجب ذلك أن تهنوا وتضعفوا، كما لم يهن من كان مع الانبياء بقتلهم، وهو المروي عن أبي جعفر (ع). انظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، {٩/٣}. يتبين من الآيات أن هناك أنبياء قُتِلوا، وهناك تجرء على قتل أطهر الخلق وهم أنبياء الله (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (آل عمران -٢٢).



بالهزيمة ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ بمعصية الرماة فنسب ذالك إلى نفسه بمعنى التخلية لمعصيتهم[1]﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ولم يستأصلكم ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢] إذ لم يعاقبكم[2].

ثم ذكر إعراضهم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله مخافة عدوهم فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ الجبل بعد الهزيمة ﴿وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ﴾ لا تلتفتون إلى محمد ولا تقفون له ﴿وَالرَّسُولُ﴾ محمد عليه السلام ﴿يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ من خلفكم يا معشر المؤمنين: أنا رسول الله قفوا فلم تقفوا ﴿ فَأَثَابَكُمْ﴾ خالد بن الوليد بغم القتل والهزيمة، فقال الأول: الهزيمة، والثاني إشراف خالد بن الوليد في الخيل عليهم من أعلى الشعب[3].

---

(١) القرآن الكريم أكد على أن العقوبات تحصل في الدنيا، وأي عمل يعمله الناس العقوبة هنا تكون مفاجئة، عندما مال المشركون مالوا وفاجأوا المسلمين. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٣٨/٤}.

(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : نصرت بالرعب مسيرة شهر . ، (ولقد صدقكم الله وعده) أي وفى لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم في قوله: (بلى إن تصبروا وتتقوا) الاية، وذكر ابن عباس وغيره أن الوعد كان يوم احد لان المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى أخل الرماة لمكانهم الذي أمرهم الرسول بالقيام عنده، فأتاهم خالد بن الوليد من ورائهم، وقتل عبد الله بن جبير ومن معه، وتراجع المشركون، وقتل من المسلمين سبعون رجلا، ونادى مناد قتل محمد، ثم من الله على المسلمين فرجعوا، وفي ذلك نزلت الاية ، فالوعد قول النبي صلى الله عليه وآله للرماة: لا تبرحوا هذا المكان فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم في مكانكم . (إذ تحسونهم) أي تقتلونهم (بإذنه) أي بعلمه أو بلطفه (حتى إذا فشلتم) أي جبنتم عن عدوكم (وتنازعتم في الامر) أي اختلفتم (وعصيتم) امر نبيكم في حفظ المكان (من بعدما اريكم ما تحبون) من النصرة على الكفار وهزيمتهم والغنيمة، وأكثر المفسرين على أن المراد بالجميع يوم احد، وقال الجبائي: إذ تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم احد والاول أولى، وجواب " إذا " محذوف، وتقديره حتى إذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع النصرة عنكم (منكم من يريد الدنيا) يعني الغنيمة، وهم الذين أخلوا المكان الذي رتبهم النبي صلى الله عليه وآله فيه (ومنكم من يريد الآخرة) أراد عبد الله بن جبير، ومن ثبت مكانه. بحار الأنوار، للمجلسي، {٢٠/٣٠-٢٩}.

(٣) (إذ تصعدون) من الوادي إلى أحد، (ولا تلوون على أحد)، يعني بأحد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، (والرسول يدعوكم في أخراكم)، يعني يناديكم من ورائكم: يا معشر المؤمنين، أنا رسول الله. تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩٧/١}.

ويقال: ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ حين سمعوا أن محمداً قتل ﴿لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والجراح ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣] في الجهاد والهزيمة(١).

ويقال: قوله: ﴿فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ﴾ يريد به التوبيخ، وما أدخل على قلوبهم من الغم الشديد عقوبة لغم النبي صلى الله عليه وآله(٢).

وقوله: ﴿لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ﴾ ما فاتكم فإنه عنى بذلك الغنيمة التي كان طلبها سبباً لمعصيتهم، وما أصابهم من الهزيمة والقتل، وعرفهم أن حزنهم يجب أن يكون بخلافهم لرسول الله وانكشافهم عن وجهه لا للغنيمة وما أصابهم.

ثم ذكر منته عليهم فقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ من العدو ﴿نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً﴾ أخذت طائفة ﴿مِّنكُمْ﴾ النعاس فنام منكم من كان أهل الصدق واليقين.

وعن ابن عباس: نزلت في علي بن أبي طالب غشاه النعاس يوم أحد ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾(٣) قد أخذتهم همة أنفسهم معتب بن قشير المنافق وأصحابه لم يأخذهم النوم ﴿يَظُنُّونَ

---

(١) قَوْلِهِ تَعَالَى: {غَمًّا بِغَمٍّ} قَالَ: الْغَمُّ الأَوَّلُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ، وَالْغَمُّ الْآخَرُ حِينَ سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ قَدْ قُتِلَ، فَأَنْسَاهُمُ الْغَمُّ الْآخَرُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الجِرَاحِ وَالْقَتْلِ، وَمَا كَانُوا يَرْجُونَ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ}. تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {٤١٩/١}.

(٢) قَوْلِهِ تَعَالَى: (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) عطف على صرفكم، والمعنى فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول الله صلى الله عليه وآله، أو فجازاكم غما بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وآله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت، ولا ضر لاحق، وقيل: لا مزيدة، والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر و الغنيمة، وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم، وقيل: الضمير في " فأثابكم " للرسول صلى الله عليه وآله، أي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم " لكيلا تحزنوا على ما فاتكم " من النصر " ولا " على " ما أصابكم " من الهزيمة " والله خبير بما تعملون " عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٣١/٢٠}.

(٣) (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) يعني الَّذِين لَمْ يلق عليهم النعاس (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) كذبا يَقُولُ المؤمنون محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ قَدْ قُتِل (ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ) يَقُولُ كظن جهال المشركين أَبُو سُفْيَان وأصحابه، وذلك أنهم قَالُوا إن محمدا قَدْ قُتِل (يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ)، هَذَا قول معتب بن قشير يعني بالأمر النصر يَقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ يعني النصر كُلَّهُ لِلَّهِ). انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠٨/١}.

بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ألا ينصر الله رسوله وأصحابه ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كظنهم في الجاهلية ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ﴾ من النصرة والدولة ﴿مِن شَيْءٍ قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ﴾ النصرة والدولة ﴿لِلَّهِ﴾ بيد الله ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم﴾ يسرون فيما بينهم ﴿مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ﴾ ما لا يظهرون لك مخافة القتل ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ من الدين والنصرة شيء ﴿مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل﴾ يا محمد للمنافقين ﴿ لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ في المدينة ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ أي فرض عليهم القتال﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ إلى الموضع الذي يقتلون فيه من غير إكراه ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ﴾ ليختبر الله ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ ما في قلوبكم المنافقين﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ليبين ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ من النفاق ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤] بما في القلوب من الخير والشر.

ثم ذكر المنهزمين يوم أحد فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ﴾ بالهزيمة، يعني عثمان بن عفان[(١)] وأصحابه[(٢)]﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع محمد وجمع أبي سفيان﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ زين لهم ذلك الشيطان أن محمداً قد قتل فانهزموا ستة فراسخ وكانوا ستة نفر﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ بتركهم المركز ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ﴾ إذ لم يستأصلهم ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ ﴾لمن تاب منهم ﴿حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥] إذ لم يعاجلهم بالعقوبة[(٣)].

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. يجتمع هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف. يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبو عمرو وقيل: كان يكنى أولاً بابنه عبد الله، وأمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كني بابن عمرو. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فهو ابن عمة عبد الله بن عامر، وأم أروى: البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو ذو النورين، وأمير المؤمنين. أسلم في أول الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٥٧٨/٣}.

(٢) حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: فرّ عثمان بن عفان، وعقبة بن عثمان، وسعد بن عثمان -رجلان من الأنصار- حتى بلغوا الجلْعَب- جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص - فأقاموا به ثلاثا، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم: لقد ذهبتم فيها. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٢٩/٧} وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، {٧٩٧/٣}.

(٣) ولقد عفا عنكم فيما يتعلق بآثار المخالفة من العقوبات الآنية في الدنياء ، لقد ابتغوا الفتنة لكم قديما ، وقلبوا لكم الأمور ، وفكروا كثيرا في القضاء على دعوتكم ولكن: الله صرفهم عنكم، فانصرف المشركون، واتجهوا نحو مكة. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٣٩/٤} يتضح عظيم لطف الله أن صرفهم، فالمدينة قريبة من أحد، فكان المحتمل للمشركين أن يهجموا على المدينة.

ثم قال لأصحاب محمد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لاَ تَكُونُواْ﴾ في الحرب ﴿كَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في السر يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، يرجع هو وأصحابه في الطريق إلى المدينة ﴿وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ﴾ المنافقين ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ﴾ إذا خرجوا مع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في سفر ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ أو خرجوا في غزوة مع نبيهم ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ في المدينة ﴿مَا مَاتُواْ﴾ في سفرهم ﴿وَمَا قُتِلُواْ﴾ في غزوتهم ﴿لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ﴾ يقول يجعل الله ذلك الظن ﴿حَسْرَةً﴾ حزناً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ﴾ في السفر والحضر ﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [بما[1]] تقولون ﴿بَصِيرٌ﴾ [آل عمران:١٥٦] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ يا معشر المنافقين ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ في بيوتكم وكنتم مخلصين ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران:١٥٧] في الدنيا من الأموال ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ في حضر أو سفر ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في غزوة ﴿لإِلَى الله تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران:١٥٨] بعد الموت.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ﴾ يقول فبرحمة من الله ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ جانبك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ باللسان ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ تفرقوا من عندك[2] ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ عن أصحابك في شيء يكون منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ من ذلك الذنب[3] ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ في أمر الحرب ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ صرمت ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ بالنصرة والدولة ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] عليه[4].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ﴾ مثل يوم بدر ﴿فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا يغلبكم أحد من عدوكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم﴾ على عدوكم ﴿مِّن بَعْدِهِ﴾ من بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠] وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله بالنصرة والدولة.

---

(١) سقط في (أ).

(٢) بعد الهزيمة قال الله له: فَاعْفُ عَنْهُمْ أي: فتجاوز عنهم، ولا تعاقبهم بما يكون منهم من الزلة والذنب وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ من ذلك الذنب وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْر. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٢٦٠/١}

(٣) الله تعالى ذكره بقوله: (فاعف عنهم)، فتجاوز، يا محمد، عن تُبَّاعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندي، ما نالك من أذاهم ومكروهٍ في نفسك "واستغفر لهم"، وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جُرْم، واستحقوا عليه العقوبة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٤٣/٧}.

(٤) يتضح عظيم عظيم خُلق النبي ورحمته بالمؤمنين، فالهزيمة في يوم أحد تركت أثراً كبيراً في النفوس، بعد أن تركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المعركة فالنبي لو إتجه إلى توبيخ ومقاطعة أصحابه ونفر منهم، سيزيد من ارتياح العدو؛ لأنه أوجد هزيمة جعلت هذا المجتمع يتفكك.

ثم ذكر ظنهم بالنبي صلى الله عليه وعلى آله ألا يقسم لنا من الغنائم شيئاً، ولقبل ذلك تركوا المركز فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ ما جاز لنبي أن يخون أمته في الغنائم، وإن قرأت يغل أي أن تخونه أمته ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ من الغنائم شيئاً ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملاً على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ توفر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من الغلول وغيره ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٦١] لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾ في أخذ الخمس وترك الغلول ﴿كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ﴾ كمن استوجب سخط الله بالغلول ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ مصير الغال ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٦٢] ما صار إليه.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ﴾ يقول: لهم درجات عند الله لمن ترك الغلول ودركات لمن غل ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُون﴾ [آل عمران:١٦٣] من الغلول وغيره.

ثم ذكر منته عليهم فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ﴾ إليهم ﴿رَسُولاً﴾ أمياً معروف النسب ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ قرشياً مثلهم ﴿يَتْلُو﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن بالأمر والنهي ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم بالتوحيد من الشرك، وبأخذ الزكاة من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الحلال والحرام ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ وقد كانوا من قبل محمد والقرآن ﴿لَفِي ضَلالٍ مُّبِين﴾ [آل عمران:١٦٤] لفي كفر بين[(١)].

ثم ذكر مصيبتهم فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُم﴾ أهل مكة يوم بدر ﴿مِّثْلَيْهَا﴾ مثلي ما أصابكم يوم أحد ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا﴾ من أين أصابنا هذا ونحن [له][(٢)]مسلمون.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بذنب أنفسكم بترككم المركز أصابتكم ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العقوبة وغيرها ﴿قَدِير﴾ [آل عمران:١٦٥] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ الذي أصابكم من القتل والجراحة ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع محمد وجمع أبي سفيان ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ بتخلية الله

---

(١) يتواصل سياق الآيات عن غزوة أحد مذكرا بقوله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ، بالرغم مما حصل لكم حصل قتل وجراحات وآثار نفسية بعد الهزيمة ، فيجب أن تكونوا متذكرين وذاكرين أن الله قد مَنّ عليكم بنعمة كبيرة جداً ، هو ذلك القائد الذي يقودكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأن مهمته بالنسبة لكم هو أن يعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم ، فمهمة عظيمة جداً، تهون معها كل المصائب التي نالتكم.

(٢) سقط في (أ).

وعلمه[1] ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٦٦] لكي يرى المؤمنين في الجهاد ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ لكي يرى المنافقين كعبد الله بن أبي وأصحابه في رجوعهم إلى المدينة ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ قال عبد الله بن جبير[2] ﴿تَعَالَوْاْ﴾ إلى أحد ﴿قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ﴾ العدو عن حريمكم وكثروا المؤمنين ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ﴾ ثم ﴿قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾ إلى أحد ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ يقول رجوعهم إلى الكفر، والكفار يومئذ أقرب أهون من رجوعهم إلى الإيمان والمؤمنين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ بألسنتهم ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ صدق ذلك ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧] من الكفر والنفاق.

﴿الَّذِينَ قَالُواْ﴾ هم الذين قالوا ﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾ المنافقين بالمدينة ﴿وَقَعَدُواْ﴾ عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ يعنون محمداً وأصحابه بالقعود في المدينة ﴿مَا قُتِلُوا﴾ في غزوتهم ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين ﴿فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨] في مقالتكم.

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ﴾ لا تظنن ﴿الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ يوم بدر ويوم أحد ﴿أَمْوَاتًا﴾ كسائر الأموات ﴿بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ بل هم الأحياء عند ربهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] يطعمون التحف[3] ﴿فَرِحِينَ﴾ معجبين ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللهُ﴾ بما أعطاهم الله ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ من كرامته ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم الذين في الدنيا أن يلحقوا بهم لأن الله يبشرهم بذلك ﴿أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف غيرهم ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:١٧٠] إذا حزن غيرهم.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾ بثواب من الله ﴿وَفَضْلٍ﴾ وكرامة ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ﴾ لا يبطل ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧١] في الجهاد.

---

(١) يبدو أن النتيجة كانت مثل معصية ابونا آدم ، ولأنكم عصيتم، وتنازعتم، وفشلتم، وأنتم من تحملون رسالة للعالمين، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينكم (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، فأنتم من تحملون رسالة للبشرية كلها.

(٢) نزل الرماة من الجبل لما رأوا هزيمة الكفار لطلب الغنيمة وكان عَبْد اللهِ بْن جبير قائدهم: " أنسيتم مَا قَالَ لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ " قَالُوا: أما والله، لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم، صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١١١/٢}.

(٣) التُّحْفةُ: الطُّرْفةُ من الفاكهة وغيرها من الرَّياحين والتُّحْفةُ ما أَتْحَفْتَ به الرجلَ من البِرِّ واللُّطْف. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {١٧/٩}.

ويقال: إن هذا حكم الآخرة بفضل الكرامات، ويقال: أن قد حظوا بها بعد الممات.

وقد روي في الآثار أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترتع في الجنة، فقيل أنه يؤخذ من بدن الشهيد من كل جزء جزء فيكون كالطير، ويجعل فيه روح الشهيد [١].

ثم ذكر موافاتهم مع النبي صلى الله عليه إلى بدر الصغرى من بعد ما أصابهم القرح [يعني الجراح[٢]] يوم أحد فقال: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلَّـهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ يعني الجراح ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وافوا ﴿مِنْهُمْ﴾ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر الصغرى ﴿وَاتَّقَواْ﴾ معصية الله ومخالفة الرسول ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢] ثواب وافر في الجنة.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلَّـهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ يعني الجراح[٣] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ نزلت في علي عليه السلام وتسعة نفر بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله في إثر أبي سفيان حين ارتحل فاستجابوا لله ولرسوله[٤].

ويقال: هو علي عليه السلام وابن مسعود، ونزل فيهم أيضاً: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ نعيم بن مسعود الأشجعي[٥] ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ باللطيمة سوق بمكة

---

(١) انظر: مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي،دار هجر – مصر ، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، باب ما اسنده عبدالله بن مسعود {٢٣٣/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) الآيات تتعلق بالجانب النفسي وفي جانب الحرب النفسية على العدو بعد الجراحات بعد الهزيمة ، يلحقون بالعدو حتى لا يفرح بأنه انتصر.انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط ، {٤٤٧/٦}.

(٤) انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي ، {١٣٨٨/٢}.

(٥) نعيم بن مسعود بن عَامِر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان الغطفاني الأشجعي، أبُو سلمة. أسلم فِي وقعة الخندق، وهو الَّذِي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، وخذل بعضهم عن بعض، وأرسل الله عليهم الريح والبرد والجنود، وهم الملائكة فصرف كيد الكفار عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ والمسلمين، ولما أسلم واستأذن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ فِي أن يخذل الكفار، قَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خذل ما استطعت فإن الحرب خدعة ". رواه عَنْهُ ابنه سلمة، وقد استقصينا الحادثة فِي الكامل فِي التاريخ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣٢٨/٥}.

﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ بالخروج إليهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾ جرأة بالخروج إليهم ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ﴾ ثقتنا ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] الكفيل بالنصرة[1].

﴿فَانقَلَبُواْ﴾ راجعين ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾ بثواب من الله ﴿وَفَضْلٍ﴾ ربح مما تسوقوا به من السوق، ويقال: غنيمة ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ﴾ لم يصبهم في الذهاب والمجيء ﴿سُوءٌ﴾ قتال وهزيمة ﴿وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ﴾ في الموافاة مع النبي صلى الله عليه وعلى آله إلى بدر الصغرى ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ﴾ ذو من ﴿عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤] بدفع العدو عنهم.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ الذي خوفكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ نعيم بن مسعود، سماه الله شيطاناً لأنه كان تابعاً للشيطان وعدو الله ورسوله ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾ يقول يخوفكم بأوليائه الكفار ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾ بالخروج ﴿وَخَافُونِ﴾ بالجلوس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] إذا كنتم صادقين.

ثم ذكر مسارعة المنافقين في الولاية مع اليهود فقال: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ مسارعة المنافقين مع اليهود ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ﴾ لليهود والمنافقين ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ في الجنة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٦] شديد أشد ما يكون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾ اختاروا الكفر على الإيمان وهم المنافقون واليهود ﴿لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا﴾ لن ينقصوا الله باختيارهم الكفر شيئاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٧] وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم.

ثم ذكر إمهاله لهم في الكفر فقال: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لا يظن اليهود ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ نمهلهم ونعطيهم من الأموال والأولاد ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ نمهلهم ونعطيهم من الأموال

---

(١) {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}، أما الناس في الموضعين وإن كان بلفظ الجمع فهو واحد، وهذا القائل هو نعيم بن مسعود الأشجعي والناس. الثاني: هوأبو سفيان، وأصحابه، والوقت الذي أراد أبو سفيان أن يجمع فيه هذا الجمع هو بعد رجوعه عن أحد سنة ثلاث. انتهى. قالوا للمسلمين اخشوا جمع أبي سفيان {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ} كافياً يكفينا شرهم، {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} الموكول إليه أمرنا، والوكيل هو الحافظ والمدبر. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٤٩/٦}.

والأولاد ﴿لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا﴾ ذنباً[1] في الدنيا ودركاً في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨] يهانون به، ويقال: شديد.

نزلت من قوله: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ﴾ إلى ها هنا في مشركي أهل مكة يوم أحد، فهذا إخبار عما علم من حالهم وعاقبة أمرهم بسوء أفعالهم واختيارهم[2].

ثم ذكر مقالة المشركين لمحمد: أنت تقول فمنكم كافر ومنكم مؤمن بين لنا يا محمد من يؤمن منا ومن لا يؤمن، فقال الله: ﴿مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] والكافرين ﴿عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الدين ﴿حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الشقي من السعيد، والكافر من المؤمن، والمنافق من المخلص ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ على ذلك حتى تعلموا من يؤمن ومن لا يؤمن ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي﴾ يصطفي ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ محمداً فيطلعه على بعض ذلك بالوحي ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ بجملة الملائكة ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ﴾ بالله وبجملة الكتاب والرسل ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الكفر والشرك ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩] ثواب وافر في الجنة[4].

ثم ذكر بخلهم بما أعطاهم الله فقال: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ﴾ لا تظنن ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ يعني اليهود والمنافقين من المال ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ﴾ سيجعلون ﴿مَا بَخِلُواْ بِهِ﴾ من المال الذهب والفضة طوقاً من النار في عنقهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خزائن السموات المطر والأرض النبات.

---

(١) نسخة (ب) ذمًا.

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٢٦٦}.

(٣) ومن أمثلة ذلك: ما حكى سبحانه من امتحانه للملائكة بإيجاب السجود من أجل آدم؛ فسجدوا إلا إبليس. وامتحانه لأصحاب طالوت بتحريم الشرب من النهر [فشربوا إلا قليلاً منهم]، وامتحانه لأصحاب القرية بتحريم صيد يوم السبت. وامتحانه لقوم موسى بمغيبه عنهم، واستخلافه لهارون فيهم، وأشباه ذلك مما يدل على أنه سبحانه يمتحن أهل كل عصر إلى يوم القيامة بما يميز بينهم، ويوجب له الحجة عليهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. انظر: مجموع السيد حميدان: السيد الامام جامع علوم الآل وماحي رسوم الضلال أبي عبد الله حميدان بن يحي القاسمي. تحقيق أحمد حسن علي الحمزي وهادي حسن هادي الحمزي، تقديم الامام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، منشورات مركز اهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، باب ذكر عموم البلوى وبيان وجه الحكمة {١٠٢}.

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٤٠/٣}.

ويقال: يموت أهل السموات والأرض و يبقى الملك لله الواحد القهار ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من البخل والسخاء ﴿خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٠].

ثم ذكر مقالة اليهود فنحاص بن عازورا وأصحابه حيث قالوا: يا محمد إن الله فقير يطلب منا القرض؟ فقال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ﴾ محتاج يطلب منا القرض﴿ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ لا نحتاج إلى قرضة ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ سنحفظ عليهم ما قالوا في الآخرة ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء﴾ ونحفظ عليهم قتلهم الأنبياء ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بلا جرم ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:١٨١] الشديد ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ عملت ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ في اليهودية ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨٢] أن يأخذهم بلا جرم(١).

﴿الَّذِينَ قَالُواْ﴾ هم الذين قالوا يعني اليهود ﴿إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أمرنا في الكتاب ﴿أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ ألا نصدق أحداً بالرسالة ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ يعنون حتى يأتينا بنار تأكل القربان كما كانت في زمن الأنبياء ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي وعلامات النبوة ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ من أمر النار ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ يعني يحيى وزكريا عليهم السلام ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:١٨٣] في مقالتكم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي وعلامات النبوة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ وكتب الأولين ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤] المبين للحلال والحرام(٢).

قال علي بن محمد: وليس كل ما سألوا الله عز وجل يجب فعله، إذا كان على سبيل التعنت من غير فائدة مع ظهور غيره من الآيات والعلامات.

ثم ذكر موتهم وما بعد الموت فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ منفوسة ﴿ذَآئِقَةُ﴾ تذوق ﴿الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي نجي وأبعد ﴿عَنِ النَّارِ﴾ بالتوحيد والعمل الصالح ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ بالجنة وما فيها، ونجا من النار وما فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ من النعيم ﴿إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] إلا كمتاع الغرور، إلا كمتاع البيت في بقائها مثل الخزف(٣) والزجاج وغير ذلك.

---

(١) نزلت في فنحاص اليهودي الذي قال أفقير ربنا فيستقرضنا؟. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/ ٢٦٩}.

(٢) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٣٧٨/١}.

(٣) الخَزَفُ: ما عُمِلَ من الطين وشُويَ بالنار فصار فَخّاراً واحدته خَزَفَةٌ الجوهري الخَزَفُ بالتحريك الجَرُّ والذي يَبِيعُه الخَزّاف وخَزَفَ بيده يَخْزِفُ خَزْفاً خَطَرَ وخَزَفَ الشيءَ خَزْفاً خَرَقَه وخَزَفَ الثوبَ خَزْفاً شَقَّه. انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، {٦٧/٩}.

ثم ذكر أذى الكفار لنبيه صلى الله عليه وعلى آله ، فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ لتختبرن﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ في ذهاب أموالكم ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ فيما يصيب أنفسكم من الأمراض والأوجاع والقتل والضرب وسائر البلايا ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا﴾ الشتم والطعن والكذب والزور على الله ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذاهم﴿وَتَتَّقُواْ﴾ معصية الله في الأذى ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر [والاحتمال [(١)]] ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] من خير الأمور وعزم أموركم[(٢)].

وعن ابن عباس نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي أهل بيته عليهم السلام[(٣)].

ثم ذكر ميثاقه على أهل الكتاب في الكتاب لبيان صفة ونعت محمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله فقال: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا التوراة والإنجيل ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ صفة ونعت محمد ﴿لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ ولا تكتمون صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله [للناس[(٤)]] في الكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا كتاب الله وعهده ﴿وَرَاء ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يعملوا به ﴿وَاشْتَرَوْاْ بِهِ﴾ بكتمان صفة ونعت محمد في الكتاب ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً من المأكلة ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧] ما يختارون لأنفسهم اليهودية وكتمان صفة ونعت محمد،

---

(١) سقط في (أ).

(٢) لتُبْلوُنَّ فِي أمْوالِكُمْ وَأنْفسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أوتوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أشْرَكُوا أذىً كَثِيراً وَإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأمُور (١٨٦)

والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب.

وفي الأموال: الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات. وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف، وصدّ من أراد الإيمان، وتخطئة من آمن، وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحريض المشركين، ومن فنحاص، ومن بني قريظة والنضير فَإنَّ ذلِكَ فإن الصبر والتقوى مِنْ عَزْمِ الْأمُور من معزومات الأمور، أى مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون، يعنى أنّ ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض غوامض التنزيل، للزمخشري، {١/٤٥٠-٤٤٩}.

(٣) انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٢٢١/٢٤} وذكر الجوزي خمسة اقوال لسبب النزول. انظر: زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ - ١٤٢٢ هـ ، باب سورة آل عمران {٣٥٦/١}.

(٤) سقط في (أ).

ومعنى أخذ المواثيق والعهود، وذكرها في القرآن إلزام الحجة بعد البلوغ والإدراك وإيجاب العمل به بعد المعرفة والبيان.

ثم ذكر طلبهم الثناء و المحمدة بما لم يكن فيهم فقال: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ﴾ ولا تظنن [يا محمد(1)] ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ﴾ أعطوا، ويقال: ﴿بِمَا أَتَواْ﴾ بما غيروا من صفة ونعت محمد في الكتاب ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ يحبون أن يقال فيهم الخير ولا خير فيهم ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ يا محمد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمباعدة ﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨] وجيع.

﴿وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾ خزائن السموات بالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَاللّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أهل السموات وخزائنها والأرض وخزائنها ﴿قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩].

ثم بين علامة قدرته لكفار مكة لقولهم: ائتنا بآية يا محمد على ما تقول فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والسحاب، وما في الأرض من الجبال والبحور والشجر والدواب ﴿وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يعني في تقليب الليل والنهار ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات لوحدانيته ﴿لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ [آل عمران:١٩٠] لذوي العقول من الناس.

ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ﴾ يصلون لله ﴿قِيَامًا﴾إذا استطاعوا ﴿وَقُعُودًا﴾ إذا لم يستطيعوا قياماً﴿وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾ إذا لم يستطيعوا قياماً وقعوداً﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من العجائب ﴿رَبَّنَا﴾ ويقولون يا ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾ جزافاً ﴿سُبْحَانَكَ﴾ نزهوا الله ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] ادفع عنا عذاب النار ﴿ رَبَّنَا ﴾ يا ربنا ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ للمشركين﴿ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢] من مانع ما يراد بهم.

﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ يعنون محمداً عليه السلام ﴿يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ يدعو إلى التوحيد ﴿أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الكبائر ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ دون الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣] واقبض أرواحنا على الإيمان مع النبيين والصالحين.

﴿رَبَّنَا﴾ ويقولون يا ربنا ﴿وَآتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ على ألسن رسلك ﴿وَلاَ تُخْزِنَا﴾ ولا تعذبنا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٤] البعث بعد الموت.

---

(١) سقط في (أ).

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فيما سألوه فقال: ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ إذ كان بعضكم على دين بعض وأولياء بعض.

ثم بين كرامته للمهاجرين فقال: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة مع النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ﴾ أخرجهم كفار مكة من منازلهم بمكة ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ في طاعتي ﴿وَقَاتَلُواْ﴾ العدو في سبيل الله ﴿وَقُتِلُواْ﴾ حتى قتلوا في الجهاد مع نبي الله ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لأكفرن عنهم ذنوبهم في الجهاد ﴿وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ الخمر والعسل واللبن والماء ﴿ثَوَابًا مِّن عِندِ اللهِ﴾ خيراً لهم من الله ﴿وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥] المرجع.وفي الأثر: «أن أم سلمة [(١)] زوجة النبي صلى الله عليه وعلى آله قالت: ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء، فأنزل الله تعالى[(٢)]: ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ ومعناه العاملون بطاعة الله من المؤمنين الإناث منهم، كما أن الذكور منهم فصفة الإيمان للجميع[(٣)].

ثم ذكر فناء الدنيا ورغبهم عنها، وبقاء الآخرة وحثهم على طلبها فقال: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ﴾ [آل عمران:١٩٦] ذهاب اليهود والمشركين ومجيئهم في التجارة ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ منفعة يسيرة في الدنيا ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٧] الفرش والمصير[(٤)].

---

(١) أم سلمة: هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين،هي وزوجها الأول أبو سلمة أول من هاجر إلى الحبشة، ويقال: أنها أول مهاجرة دخلت المدينة، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وقعة بدر في شوال سنة ثلاث وقيل: أربع من الهجرة، وكانت من أكمل الناس عقلاً، وخلقاً، وكانت من العالمات الطيبات الطاهرات، وتوفيت رحمة الله عليها سنة اثنتين وستين بالمدينة، ودفنت بالبقيع، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً رحمة الله عليها. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٢٧٨/٧}.

(٢) انظر: تفسير الماوردي، لأبي الحسن الماوردي، {٤٤٣/١}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٢٢/١} .

(٤) تبين هذه الآيات كيف يتفكر الإنسان، وكيف تكون النتائج عندهم وكيف تكون رؤيتهم. هذه علاقتها بموضوع الصراع فيما بين المؤمنين والكافرين، الكافرون عندهم إمكانيات كبيرة، لا يغرنك هذا لا تخدع بهذا فيكون لك نظرة أخرى أو موقف آخر، (متاع قليل) كل ما عندهم متاع قليل.

﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ وحدوا ربهم بالتوبة من الكفر ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ﴾ مقيمين ﴿فِيهَا﴾ في الجنة لا يموتون ولا يخرجون ﴿نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ ثواباً من عند الله ﴿وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٨] للموحدين مما أعطي الكفار في الدنيا.

ثم نعت مَن آمن من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتاب ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ ذليلين لله في الطاعة﴿ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بكتمان صفة ونعت محمد صلى الله عليه وعلى آله في الكتاب ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً من المأكلة ﴿أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩٩] إذا حاسب فحسابه سريع لأنه ليس بالعقد[1] إنما هو تعريف وتذكير ليعلم أنه ليس الأمر بالغلبة[2].

ثم حثهم على الصبر في الجهاد و المرازي فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿اصْبِرُواْ﴾ على الجهاد مع نبيكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على عدوكم مع نبيكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أنفسكم مع نبيكم على عدوكم ما أقاموا لكم[3].

ويقال: اصبروا على أداء الفرائض واجتناب المعاصي، وصابروا كابروا الأهواء والبدعة، ورابطوا أنفسكم والخيول في سبيل الله ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ فيما أمركم ولا تشركوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] لكي تنجوا من السخطة والعذاب.

---

(١) {وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ} يَعْنِي إِذَا حَاسَبَ فَحِسَابُهُ سَرِيعٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْدِ يَدٍ وَلَا وَعْيِ صَدْرٍ وَلَا إِلَى رَوِيَّةٍ وَلَا فِكْرٍ. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٣٣/١}.

(٢) عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَخَاكُمُ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ قَالُوا: نُصَلِّي عَلَى رَجُلٍ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ. قَالَ: فَنَزَلَتْ: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ لَا يُصَلِّي الْقِبْلَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٣٢/٢}.

(٣) انظر: الدر المنثور في التفسير بالماثور، للسيوطي، {١٩٩/٤}.

وعن ابن عباس رحمة الله عليه في قوله عز وجل: ﴿اصْبِرُواْ﴾ يعني في أنفسكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ عدوكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في سبيل الله ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وحمزة عليهما السلام[1].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: نحن حبل الله الذي قال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ وولاية علي عليه السلام أكبر من استمسك به كان مؤمناً ومن تركه خرج من الإيمان[2].

---

(١) انظر: بحار الأنوار ، للمجلسي ، {٢١٩/٢٤}و الدر المنثور في التفسير بالماثور، للسيوطي، {١٩٩/٤}.

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٦٣/٣}.

سورة النساء

ومن السورة التي يذكر فيها النساء

وهي كلها مكية[1]

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام، وقد يكون خاصاً وعاماً ﴿اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ أطيعوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من نفس آدم وحدها ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ من نفس آدم ﴿زَوْجَهَا﴾ حواء يقال خلقها من ضلعه قبل نفخ الروح فيه، ويقال من طينته ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء﴾ كثيراً ذكراً وأنثى ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ أطيعوا الله ﴿الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ﴾ الحوائج والحقوق بعضكم من بعض ﴿وَالأَرْحَامَ﴾ وبالأرحام، وإن قرأت بنصب الميم يقول: وصلوا الأرحام ولا تقطعوها ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] حفيظاً يسألكم عما أمركم من الطاعة وصلة الأرحام.

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ نزلت في رسول الله صلى الله عليه وعلى آله في أهل بيته وذوي أرحامه، وذلك أن كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من نسبه وسببه ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ يعني حفيظاً، ولهذا خطب عمر بن الخطاب ابنة علي عليه السلام فقال: قد خطبوا إليَّ لابن أخي جعفر فقال: لا رغبة لي في النكاح لكني رغبت لما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله من ذكر السبب والنسب، فأحببت أن أكون في عدادهم[2].

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٢٧٨/١}. ومنهم من قال أنها كلها مدنية. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {١٤٤١/٢} انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣٩١/١} وتفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٣/١}. وقال بعضهم: إن جميعها نزلت بالمدينة إلا آية واحدة وهي قوله: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فأنها نزلت بمكة حين أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يأخذ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة ويسلمها إلى عمه العباس. انظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، {٩٦/٣}.

(٢) جاء في التاج المذهب: الفاطمية لا يحل إنكاحها من غير فاطمي ولو رضيت ورضي الولي. هذا القول للمنصور بالله وجماعة من أئمة الزيدية المتأخرين كالإمام المهدي علي بن محمد وولده صلاح، وقوى هذا القول من المتأخرين العلامة تحقيق الجلال في ضوء النهار شرحه على الأزهار بأدلة واهية قاده إليها التعصب، إذ يلزم من هذا القول ألا يجوز نكاح أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه من فاطمة لمسلم قط لأن الحسنين وأولادهما أخواها وأولاد أخويها، ومن عداهم غير فاطمي ردها فيلزم رد ما علم ضرورة مع أن عليا عليه السلام زوجها من عمر بن الخطاب ،{ ولأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زوج ابنتيه أم كلثوم ثم رقية من عثمان واحدة بعد واحدة، وزينب من ابن أبي العاص } اثبت هذه الرواية العنسي. انظر: التاج المُذْهَب لأحكام المَذْهَب: القاضي أحمد بن قاسم العنسي، باب النكاح، فصل الكفاءة وحكمها{٣٣٣/٢}.



وروى أبي محمد بن علي بن سليمان الرسي قال: حدثنا محمد بن علي بن [أحمدٍ[1]] بن عامر[2] عن محمد بن منصور[3] عن عباد بن يعقوب[4] عن أبي اليقظان[5]، عن أبي الجارود[6] عن زيد بن علي عليه السلام

---

(١) لعل هذا الاسم زياده بحثت فلم اجده، فكان الصواب هو محمد بن عليّ بن عامر، فقد جاء في روايات عديدة مثل ترتيب الأمالي الخميسية للشجري قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ. انظر: ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت ٤٩٩ هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، باب في مدح القناعة {٢٩٢/٢}.

(٢) أبو الحسين: محمد بن عليّ بن عامر الكنديّ بن البندار. العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين: الإمام الأعظم، والطود الشامخ الأشم، المنصور بالله أمير المؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان (سلام الله عليه ورضوانه) تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، {٧٩}.

(٣) محمد بن منصور المقري المرادي شيخ العترة والشيعة عذب الشريعة لمن أراد، بحر الشريعة محمد بن منصور المقري المرادي، كان الأئمة في زمنه يجلونه إجلال الأب الكريم، وهو ينزلهم في منزلهم الشريف العظيم، وكان شيخاً معمراً، قد ذكر في عمره بخط بعض الطلبة كلام لم يقف عندي، فأنقله وهو الذي جمع أمالي أحمد بن عيسى، وهو أحد الأربعة الذين أعتمد عليهم في الجامع الكافي؛ لأن مؤلف الجامع الكافي هو صاحب المقنع، وهو الذي قال الذهبي فيه: الإمام المحدث الثقة العالم مسند (الكوفة) أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، جمع كتاباً فيه علم الأئمة بـ(العراق)، فاجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره. مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٣٧٢/٤-٣٧٣}.

(٤) عباد بن يعقوب الرواجني الأسدي الكوفي الحافظ تحقيق المدقق، ترجم له السيد الصارم، وصاحب (المقصد)، قالا: هو الحافظ تحقيق المدقق مُحدِّث الشيعة، وكان محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول فيه: حدثني الصدوق في روايته، المتهم في دينه. انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٢٣/٣}.

(٥) عثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه البجلي. كوفي تابعي، عن زيد بن علي. انظر: تسمية من روى عن الإمام زيد بن علي عليه السلام من التابعين: الإمام الحافظ الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي (ت – ٤٤٥هـ)، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، صعدة ١٥/جمادى الثانية/١٤١٦هـ، باب أبو حصين عثمان بن عاصم {٣٠}.

(٦) أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني، الخرساني، الكوفي. الأعمى، العابد، معروف بكنيته، أحد رجال الزيدية، وأحد تلامذة الإمام زيد بن علي ودعاته والمتابعين له، عرف بصلابته في الحق، وإليه تنسب الجارودية وتعد من فرق الزيدية التي اخترعها أصحاب كتب الملل والنحل. يروي عن الإمام زيد بن علي - عليه السلام، عده أبو عبد الله العلوي: في الرواة التابعين عن الإمام زيد بن علي -عليه السلام، وكذلك عده أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، وكذلك المزي فيمن روى عن الإمام زيد. انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٢٩٥/٢}.

قال: دخل على علي عليه السلام عمر فخطب إليه ابنته أم كلثوم، فقال عليه السلام: أنت رجل مسن وهي صغيرة، فاطلب من هي أعرف بحقك منها[1].

وروي أيضاً إنما أنت رجل جلف فخرج، وجاء العباس رضي الله عنه فأخبره عمر فقال: أنا عمه وأنا أزوجك فزوجه.

قال أبي محمد بن علي: لم يدخل بها ولا أجازوا عليه فيما صح لنا عن الثقات.

وسئل القاسم عليه السلام: هل زوج علي بن أبي طالب عليه السلام ابنته من عمر بن الخطاب؟ ، فقال بخبر من الأخبار قد ذُكِر ، لم ندرِ ما حقيقته[2].

﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ التي عندكم بعد الرشد والبلوغ ﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ يعني لا تأكلوا أموالهم الحرام، وتتركوا أموالكم الحلال ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ مع أموالكم بالتخليط[3]﴿إِنَّهُ﴾ يعني أكل مال اليتيم كان ظلماً ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢] ذنباً عظيماً عند الله بالعقوبة.

نزلت [4]في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما نزلت هذه الآية قالوا: نعزل اليتامى مخافة الإثم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى﴾ ألا تعدلوا بين اليتامى في حفظ الأموال، وكذلك خافوا ألا يعدلوا بين النساء في النفقة والقسمة وكانوا يتزوجون [من النساء][5] ما شاءوا تسعاً وعشراً، وكان تحت قيس بن الحارث ثمان نسوة، فنهاهم الله عن ذلك وحرم عليهم ما فوق الأربع[6].

﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ ما أحل لكم ﴿مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ يقول واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لا يزاد على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ﴾ بين أربع في القسمة ﴿فَوَاحِدَةً﴾ فتزوجوا امرأة

---

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، (ت-٤٦٣) ، دار الجيل - بيروت ،١٤١٢، ط١، تحقق: علي محمد البجاوي ،شركة التراث ، باب فاضي {١٩٥٥/٤}.

(٢) مجموع كتب ورسائل القاسم بن إبراهيم الرسي ، {٥٥٩/٢-٥٦٠}.

(٣) لا تخلطوا أموالهم بأموالكم للحيلة بأن تصير في الذمة فيجوز لكم أكلها وأكل أرباحها. التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {١٤٤٧/٢}.

(٤) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٦/١}.

(٥) سقط في (أ).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٧/١} و قال الحسن: كان الرجل من أهل المدينة يكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخله غريبٌ فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص بها أن تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله هذه الآية. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦١/٢} ويبدو أن هذا أحوط وأقرب الى الآية.

واحدة حرة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء لا قسمة لهن عليكم ولا عدة لكم عليهن ﴿ذَلِكَ﴾ يعني تزويج واحدة ﴿أَدْنَى﴾ أحرى ﴿أَلاَّ تَعُولُواْ﴾ [النساء:٣] ألا تميلوا ولا تجوروا بين أربع من النساء الحرائر في القسمة والنفقة[١] ﴿وَآتُواْ﴾ أعطوا ﴿النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ﴾ مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ هبة لهن من الله فريضة عليكم ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ فإن أحللن لكم من المهر شيئاً ﴿نَفْسًا﴾ بطيبة النفس ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾ بلا إثم ﴿مَّرِيئًا﴾ [النساء:٤] بلا ملامة وكانوا يتزوجون بلا مهر[٢].

﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء﴾ ولا تعطوا الجهال بموضع الحق من النساء والأولاد ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ معاشاً ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ وكونوا أنتم القوام على ذلك ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ﴾ إن لم يكن لكم شيء تعطونه إياهم ﴿قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥] عدة حسنة، أي شيئاً سأكسوا وأعطى.

﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى﴾ واختبروا عقول اليتامى ﴿حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ﴾ الحلم ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في الدين وحفظاً للمال ﴿فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ التي عندكم ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ في المعصية حراماً ﴿وَبِدَارًا﴾ الأول فالأول ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ مخافة أن يكبروا فيمنعوكم عن ذلك ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا﴾ عن مال اليتيم ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بغناه عن مال اليتيم، ولا يرزأ منه شيئاً ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا﴾ محتاجاً ﴿فَلْيَأْكُلْ﴾ من المال الذي له ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتقدير كي لا يحتاج إلى مال اليتيم، ويقال: فليأكل بالمعروف بقدر ما يعمل في مال اليتيم.

ويقال: فليأكل بالمعروف بالقرض ليرد عليه ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد الرشد والبلوغ ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ عند الدفع ﴿وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦] شهيداً.

نزلت في ثابت بن رفاعة الأنصاري[٣].

---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣٩٥/١}.

(٢) سُئل الإمام القاسم الرسي: عن قول الله سبحانه: {وآتوا النساء صدقاتهن نحلة} [النساء: ٤]؟ فقال: صدقاتهن مهورهن، ومهورهن فأجورهن، ونحلة: فإنما هي هبة مسلمة لهن، فأمرهم الله أن يؤدوا ذلك إليهن، وجعله حقا عليهم لهن، لا يسعهم حبس شيء منه عنهن، إلا بطيب نفس منهن، أو هبة يهبنها للأزواج عن طيب من أنفسهن، فقال سبحانه: {فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا} [النساء: ٤]. انظر: مجموع كتب ورسائل القاسم بن إبراهيم الرسي، {٦٢١/٢}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٨/١}.

ثم ذكر نصيب الرجال والنساء من الميراث لأنهم كانوا لا يعطون النساء والصبيان من الميراث شيئاً فقال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ في الرحم ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ في الرحم ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ [النساء:٧] يقول إن الميراث قليلاً كان أو كثيراً ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ حظاً معلوماً لم يبين كم، ثم بين بعد ذلك، نزلت في أم كحة وبناتها[١].

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ عند قسمة الميراث ﴿أُوْلُواْ الْقُرْبَى﴾ قرابة الميت الذي ليس له بوارث ﴿وَالْيَتَامَى﴾ يتامى المؤمنين ﴿وَالْمَسَاكِينُ﴾ مساكين المؤمنين ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أعطوهم من الميراث قبل القسمة ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ﴾ إن لم يكن الوارث بالغاً ﴿قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٨] عدة حسنة أي سأوصيه [حتى][٢] يعطيك شيئاً[٣].

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ يحضرون المريض ويأرونه أن يوصي أكثر من الثلث على أولاد المريض الضيعة بعد موته كما يخشى ﴿لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ عجزة عن الحيلة ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ الضيعة فكذلك خافوا على أولاد الميت وكانوا يحضرون المريض ويقولون: أعط مالك لفلان كذا، ولفلان كذا، حتى يستغرق ماله كله، ولا يترك لأولاده شيئا، فنهاهم الله عن ذلك ثم قال: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللّهَ﴾ فليخشوا الله فيما يأمرونه فوق الثلث ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾ للمريض ﴿قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء:٩] عدلاً في الوصية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ غصباً ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ﴾ من الحرام يكون ﴿فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ يوم القيامة ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠] ناراً وقوداً في الآخرة.

---

(١) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالِدانِ وَالْأَقْرَبُونَ نزلت فِي أوس بن مَالِك الْأنصَارِيّ وذلك أن أوس بن مالك الأنصاري تُوُفِّي وترك امرأته أم كحة الأنصارية، وترك ابنتين إحداهن صفية ، وترك ابني عمّه عرفطة وسويد ابني الحارث «فلم يعطياها ولا ولدها شيا فانطلقت أم كحة وبناتها إلى النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله سَلَّمَ فأنزل الله الآية . انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٨/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) قوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} [النساء: ٨]. قيل كانت الوصية للأقارب واجبة، ثم نسخها الله تعالى بآية المواريث، وأكّد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله: (لا وصية لوارث) بياناً للآية، وقيل: هو أمر ندب وهو ثابت لا نسخ فيه. انظر: الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {٤٨}.

نزلت في حنظلة بن شمردل(١).

ثم بين نصيب الذكر والأنثى في الميراث فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ﴾ يبين الله لكم ﴿فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾ [في ميراث أولادكم](٢)بعد موتكم ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ نصيب الأنثيين ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاء﴾ يعني بنات من ولد الصلب [الذكر](٣) ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ أو أكثر من ذلك ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَـرَكَ﴾ من المال ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ ابنة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ من المال ﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّـدُسُ مِمَّـا تَرَكَ﴾ من المال ﴿إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ للميت ولد ذكر أو أنثى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ﴾ للميت ﴿وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ وما بقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْـوَةٌ﴾ مـن الأب أو مـن الأم والأب اثنين أو أكثر ﴿ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْـنٍ﴾ من بعد قضاء دين علـى الميت أواستخراج وصية يوصي بها إلى الثلث ﴿آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ﴾ أنتم فـي الـدين ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ في الآخرة في الدرجات، ويقال: في الدنيا في الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ﴾ عليكم قسمة المواريث ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيما﴾ بقسمة المواريث ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:١١] فيما بيَّنَ مـن نصيب الذكر والأنثى.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ من المال ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ ذكر أوأنثى منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَـرَكْنَ﴾ من المال ﴿مِـن بَعْـدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ من بعد قضاء دين عليهن واستخراج وصية يوصين بها إلى الثلث ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ من المال ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن ﴿فَـإِن كَـانَ لَكُـمْ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ من المال ﴿مِّن بَعْـدِ وَصِـيَّةٍ تُوصُـونَ بِهَا أَوْ دَيْـنٍ﴾ من بعد قضاء دين عليكم واستخراج وصية توصون بها إلى الثلث ﴿وَإِن كَـانَ رَجُـلٌ﴾ [ميت] لا والد له ولا ولد ولا قرابة له من الولد [والوالد](٤) ﴿يُورَثُ كَلاَلَـةً﴾ يـورث مالــه إلـى الكلالة، والكلالة هي الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ أو كانت امرأة مثل ذلك(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٦/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) سقط في (أ).

(٤) سقط في (أ).

(٥) انظر: تفسير بحر العلوم للسمرقندي، {٢٨٧}.

ويقال: الكلالة ما خلا الولد والوالد، ويقال: الكلالة المال الذي لا يرثه والد ولا ولد.

﴿وَلَهُ﴾ وللميت ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ من أمه ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ﴾ الذكر والأنثى فيه سواء ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ من بعد قضاء دين عليه واستخراج وصية يوصي بها إلى الثلث ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ للورثة، وهي أن يوصي فوق الثلث ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ﴾ عليكم قسمة المواريث ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بقسمة المواريث ﴿حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢] فيما يكون منكم من الجهل والخيانة في قسمة المواريث لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ هذه أحكام الله وفرائضه ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في قسمة المواريث ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء واللبن والعسل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول خالداً فيها لا يموت ولا يخرج ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣] النجاة الوافرة بالجنة.

﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في قسمة المواريث ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ يتجاوز أحكامه وفرائضه ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ دائماً فيها ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤] يهان به.

﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ يفعلن الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ من حرائركم المحصنات ﴿فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ على العورتين[1] ﴿أَرْبَعةً مِّنكُمْ﴾ من أحراركم ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ كما ينبغي ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ فاحبسوهن في السجن ﴿حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ يمتن في السجن ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٥] نسخ آية الحبس للمحصنة بالرجم.

﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا﴾ يعني الفاحشة ﴿مِنكُمْ﴾ من أحراركم وهو الفتى والفتاة زنياً ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالسب والتعيير ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ فيما بينهما وبين الله ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا﴾ عن السب والتعيير ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ متجاوزاً ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٦] وقد نسخ السب والتعيير للفتى والفتاة بجلد مائة[2].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ التجاوز ﴿عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ﴾ بتعمد، و إن كان جاهلاً بعقوبتها ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من قبل السوف والنزع والموت ﴿فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ يتجاوز الله عنهم ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً﴾ بتوبتهم ﴿حَكِيماً﴾ [النساء:١٧] بقبول التوبة قبل المعاينة[3].

---

(١) عورة الزان وعورة الزانية.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم ، لعبد الله بن الحسين ، {٨٣}.

(٣) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٤١٢/١}.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ التجاوزعلى الله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ عند النزع ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يقول لا تقبل توبة الكفار عند المعاينة ﴿أُوْلَـئِكَ﴾ الكفار ﴿ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٨] وجيعاً، نزلت في طعمة وأصحابه الذين ارتدوا[(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء﴾ نساء آبائكم ﴿كَرْهًا﴾ جبراً ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تحبسوهن من التزويج، نزلت هذه الآية في كبشة بنت الأنصاري ومحصن بن أبي قيس الأنصاري ﴿لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مما أعطاهن آباؤكم ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ بزنا ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾[(٢)] بالشهود ، فاحبسوهن في السجن، وقد نسخت الآية بآية الرجم، وقد كانوا يرثون نساء آبائهم كما يرثون المال، فنهاهم الله عن ذلك، وإن كانت المرأة جميلة غنية دخل بها بلا مهر، وإن لم تكن غنية أو شابة جميلة تركها ولم يدخل بها حتى تفدي نفسها بمالها، فنهاهم الله عن ذلك أيضاً[(٣)]

ثم بين الصحبة مع النساء فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾ صاحبوهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإحسان والجميل ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الصحبة معهن ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا﴾ الصحبة معهن ﴿وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] يرزقكم منها ولداً صالحاً.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ يقول وإن أردتم أن تتزوجوا واحدة وتطلقوا واحدة وتتزوجوا عليها أخرى ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ مهراً وهو ملء مسك ثور ذهباً أو فضة. ويقال غيره. ﴿فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾ من المهر ﴿شَيْئًا﴾ غصباً﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾ أي المهر﴿بُهْتَاناً﴾ حراماً ﴿وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [النساء:٢٠] ظلما مبينا.

---

(١)انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {٦٧}.

(٢) يبدو أن المؤلف فسرها بقراءة نافع بفتح الياء بدليل تفسيرها بالشهود.

(٣) قال عبد الله بن الحسين صلوات الله عليهما: هذا ما نسخ في الزنا وأما قوله في المطلقات: ؟لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ؟ [الطلاق: ١]، فكان إخراجهن عند الفاحشة واجب، وإمساكهن في البيوت، ثم نسخ ذلك أيضاً بالجلد وغيره مما في سورة النور مما قد ذكرته في نكاح الزانية والزاني، وفي ذلك القول الكفاية؛ فهذا جميع ما نتكلم فيه من الحدود في الزنا والحمد لله كثيراً. الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسيين، {٦٥/١}.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ تستحلون مهورهن على وجه التعجب ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يقول وقد أجتمعتم في لحاف واحد بالمهر والنكاح ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم﴾ عند النكاح ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢١] وثيقاً إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

ثم حرم عليهم نساء آبائهم، وقد كانوا يتزوجون في الجاهلية نساء آبائهم فنهاهم الله عن ذلك فقال: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم﴾ ما تزوج آباؤكم ﴿مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ سوى ما قد مضى في الجاهلية ﴿إِنَّهُ﴾ يعني تزويج نساء الآباء ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ ومعصية ﴿وَمَقْتًا﴾ وبغضاً ﴿وَسَاء سَبِيلا﴾ [النساء:٢٢] بئس مسلكاً.

نزلت في محصن بن أبي قيس الأنصاري.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عبد المطلب سن خمساً من السنن أجراها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله قرآناً ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وسن الدية في القتل مائة من الإبل فجرت في الإسلام ، وكان يطوف سبعة أشواط ثم يقف على باب الكعبة، ويحمد الله عز وجل ويثني عليه، فكان قريش تطوف كيف شاءت قل أو كثر، فسن عبد المطلب سبعة فجرى ذلك في الإسلام، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به، فجرى ذلك في الإسلام[(١)].

ولما حضر زمزم سماها سقاية الحاج فأنزل الله في ذلك: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾[(٢)] .

وعنه صلى الله عليه وآله: «أن عبد المطلب يبعث يوم القيامة أمة واحدة، وأنه لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام، ويقول: أنا على دين إبراهيم عليه السلام»[(٣)].

ثم بين ما حرم عليهم من النساء بالتزويج فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ من النسب ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ من النسب ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من النسب من أي وجه يكون ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أخت آبائكم ﴿وَخَالاَتُكُمْ﴾ أخت أمهاتكم ﴿وَبَنَاتُ الأَخِ﴾ الأخ من النسب من أي وجه يكون ﴿وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ من النسب بأي وجه يكون ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ﴾ وحرمت عليكم أمهاتكم ﴿اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾

---

(١) أخرجه أبو طالب في الأمالي، {٥٨٦}.

(٢) التوبة من الآية: ١٩.

(٣) أخرجه أبو طالب في الأمالي، {٥٨٥}.

في الحولين ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ ﴾ دخلتم بابنتها أم لم تدخلوا بها سوى ، حرام عليكم ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾ بنات نسائكم ﴿اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ ربيتم في بيوتكم ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ بأمها ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أن تتزوجوا ابنتها بعد طلاق أمها ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ وهو ولد فراشكم ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ حرتين أو أمتين ﴿ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ سوى ما قد مضى في الجاهلية ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما كان منكم في الجاهلية ﴿رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣] فيما يكون منكم في الإسلام إن تبتم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاء﴾ حرام عليكم ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من السبايا فإنهن حلال عليكم، فإن زوجها في دار الحرب بعدما استبرأتم رحمها بحيضه ﴿كِتَابَ اللهِ﴾ في كتاب الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ حرام الذي سميت لكم ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ﴾ سوى ما قد بينت لكم تحريمه ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ تتزوجوا ﴿بِأَمْوَالِكُم﴾ ويقال: أن تشتروا بأموالكم من الإماء، ويقال أن تبتغوا بأموالكم، تطلبوا بأموالكم تزوجوهن

ويقال: هي المتعة، وكانت كالنكاح وشرائطه بولي وشاهدي عدل ومهر، غير أنها كانت لأجل معلوم، والصحيح(١)أن الاستمتاع بالنساء، وكذلك الابتغاء بالأموال [هو] على وجه النكاح وهو المراد دون المتعة، وقد نسخت الآن ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ يقول كانوا يعني محصنين بتزوجهن ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ غير زانين بلا نكاح ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ بعد النكاح ﴿فَآتُوهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن كاملاً ﴿فَرِيضَةً﴾ عليكم ﴿مِّنَ اللهِ﴾ [النساء من الآية :١١]، والأجور هي المهور، كما قال: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء من الآية :٢٥] فريضة من الله عليكم.

﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا جرم عليكم ﴿ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ ﴾ فيما تنقصون وتزيدون في المهر بالتراضي ﴿مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ فريضة الأولى التي سميتم لها﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ باضطراركم إلى النكاح ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:٢٤] فيما رخص [فيه (٢)] وأمركم به.

---

(١) قال عبد الله بن الحسين عليهما السلام: ومما اختلف فيه نكاح المتعة التي ذكرها الله في سورة النساء وهو قوله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُن)، فقال في ذلك قوم: هي منسوخة نسخها قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)، وقال آخرون: أنها محكمة والقول عندنا أنها منسوخة نسخها الكتاب والسنة، وأن الاستمتاع الذي ذكره الله إنما هو: تزويج، إلاَّ أنه كان فيه شرط، وقد فسرت ذلك. الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {٦٦}.

(٢) سقط في (أ).

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً﴾ من لم يجد منكم مالاً ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فمن ولائدكم اللاتي في أيدي المؤمنين ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ بمستقر قلوبكم على الإيمان ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ لبعض ﴿فَانكِحُوهُنَّ﴾ فتزوجوا الولائد منهن﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مواليهن ﴿وَآتُوهُنَّ﴾أعطوهن الولائد ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ فوق مهر البغي ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ يقول تزوجوا الولائد المتعففات ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ غير معلقات بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ ولا يكن لها خليل يزني بها ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ تزوجن الولائد ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ بالزنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ﴾ على الولائد ﴿نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني الجلد ﴿ذَلِكَ﴾ يعني تزويج الولائد حلال ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ الزلة والفجور ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ﴾ عن نكاح الولائد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يكون أولادكم أحراراً ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ فيما يكون منكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النساء:٢٥] حين رخص عليكم تزويج الولائد عند الضرورة(١).

﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما أحل لكم.

ويقال: إن الصبر عن تزويج الولائد خير لكم من التزويج.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ يبين لكم ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من أهل الكتاب، وكان عليهم حرام تزويج الولائد ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يتجاوز عنكم ما كان منكم في الجاهلية ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ باضطراركم إلى نكاح الولائد ﴿حَكِيمٌ﴾[النساء:٢٦] حين حرم عليكم نكاحهن إلا عند الضرورة.

﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أن يتجاوز عنكم حين حرم عليكم نكاح الأخوات من الأب والزنا. ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ ونكاح الأخوات من الأب وهم اليهود ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧] أن تخطئوا خطا [عظيماً] (٢)بنكاح الأخوات من الأب لقولهم أنها حلال في(٣)مذهبنا(٤).

---

(١) من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة، فليتزوج الأمة المؤمنة. وفيه دليل على أنه لا يجوز للحرّ نكاح الأمة إلا بشرطين، أحدهما: ألا يجدَ مهرَ حرةٍ، والثاني أن يكون خائفًا على نفسه من العَنَتِ، وهو الزنا، لقوله تعالى في آخر الآية: {ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ} وهو قول جابر رضي الله عنه، وبه قال طاوس وعمرو بن دينار، وإليه ذهب مالك والشافعي. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٩٧/٢}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) ثبت في (أ) كتابنا.

(٤) (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات)، يعني به الزنا ، وذلك أن اليهود زعموا أن نكاح ابنة الأخت من الأب حلال ، فذلك قوله سبحانه: أن تميلوا (عن الحق) ميلا عظيما) في استحلال نكاح ابنة الأخت من الأب . تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٢٥/١}.

﴿يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [يهون عليكم][1] في تزويج الولائد عند الضرورة ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨] لا يصبر عن أمر النساء. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالظلم والغصب وشهادة الزور والحلف الكاذبة وغير ذلك ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ أن يترك بعضكم على بعض في البيع والشراء في المحاباة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ بتراض منكم ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ بعضكم بعضاً بغير حق ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[النساء:٢٩] حين حرم قتل بعضكم بعضاً ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ القتل واستحلال المال ﴿عُدْوَانًا﴾ اعتداء ﴿ وَظُلْمًا ﴾ جوراً ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ في الآخرة وهذا وعيد له ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الخلود والعذاب ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٣٠] هينا. ﴿إن تجتنبوا﴾ تتركوا ﴿كبائر ما تنهون عنه﴾ في هذه السورة [2]﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ دون الكبائر من جماعة إلى جماعة ومن جمعة إلى جمعة، ومن شهر رمضان إلى شهر رمضان ﴿ويدخلكم﴾ في الآخرة ﴿مدخلاً كريماً﴾ حسناً وهي الجنة.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ يقول لا يتمنى الرجل مال أخيه ودابته وامرأته، ولا شيئاً من الذي له ﴿وَاسْأَلُواْ اللهَ مِن فَضْلِهِ﴾ وقولوا اللهم ارزقنا مثله أو خيراً منه مع التفويض.

ويقال: نزلت هذه في أم سلمه زوجة النبي صلى الله عليه وآله لقولها للنبي صلى الله عليه واله، قالت: ليت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكي نؤجر كما يؤجر الرجال، فنهى الله عن ذلك فقال: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ﴾ من الجماعة والجمعة والفي والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،﴿بَعْضَكُمْ﴾ يعني الرجال﴿ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني [على] النساء[3].

---

(١) سقط في (أ).

(٢) قيل: كان أهل الجاهلية يعاقد بعضهم بعضاً ويقول دمك دمي، وسلمي سلمك، وحربي حربك، وترثني وأرثك، وتعقل عني وأعقل عنك، ثم نسخ ذلك بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وصاروا يتوارثون بالمؤاخاة والمحالفة، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} [الأنفال: ٧٥] فبين الفرائض بهذه الآية. الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {١٢٠}

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار حين قدِمُوا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} نسخت، ثم قال: {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٠٦/٢}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٤٨/٥} والجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، باب سورة النساء، {٢٣٧/٥}.

ثم بين ثواب الرجال والنساء باكتسابهم فقال: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ﴾ بما اكتسبوا من الخير ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من الخير في بيوتهن ﴿وَاسْأَلُواْ اللهَ مِن فَضْلِهِ﴾ وتوفيقه وعصمته ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخير والشر، والثواب والعقاب، والتوفيق والخذلان ﴿عَلِيمًا﴾[النساء:٣٢] ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ يقول ولكل واحد منكم ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ يعني الورثة لكي يرث ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ يعني ما ترك ﴿الْوَالِدَانِ﴾ من المال ﴿وَالأَقْرَبُونَ﴾ في الرحم ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ شروطكم ﴿ فَآتُوهُمْ ﴾ أعطوهم ﴿ نَصِيبَهُمْ﴾ شروطهم، وقد نسخت الآن، وقد كانوا يثبتون رجلاً أو غلاماً فيجعلون له في مالهم نصيباً كما لبعض ولدهم، فنسخ الله ذلك بعد ذلك، وليس بمنسوخ أن أعطاهم الله من نصيبهم من الثلث ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿شَهِيدًا﴾ [النساء:٣٣] عالماً(١).

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ﴾ يعني الرجال بالعقل والقسمة والميراث ﴿عَلَىبَعْضٍ﴾ يعني النساء ﴿وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يعني وبالمهر والنفقة التي عليهم دونهن ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ يقول المحسنات إلى أزواجهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله في أزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ﴾ لأنفسهن ومال أزواجهن ﴿لِّلْغَيْبِ﴾ لغيب أزواجهن﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ بحفظ الله إياهن(٢).

﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ﴾ تعلمون ﴿ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن في المضاجع ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالعلم والقرآن ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ فولوا عنهن وجوهكم في الفراش ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح ولا شائن(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٢٢٦/١}.

(٢) {الرجال قوامون على النساء} يقومون عليهن آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا، وسموا قواماً لذلك {بما فضل الله} به {بعضهم على بعض} الضمير لهم جميعاً أي: بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهن النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر، وقد اختلف آبائنا عليهم السلام في صحة تولي القضاء من الظلمة وأهل الجور والأصح من مذهبهم أنه لا يصح وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكناية في الغالب والفروسية والرأي، وإن منهم العلماء والأنبياء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والقضاء والجهاد والأذان والخطبة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وغير ذلك. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٢٩/١}.

(٣) {فعضوهن} أي: ذكروهن بالله وخوفوهن بكتاب الله وما أمر به من طاعة الزوج {واهجروهن في المضاجع} في المراقد، أي: لا تدخلوهن تحت اللحف، و هي كناية عن الجماع وقيل: هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل: في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها، أي: لا تبايتوهن وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن، في النشوز {واضربوهن} ضرباً غير مقرح ولا شاءن ولا كاسر عظماً ولا خادش وجهاً. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٣٠/١}.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ في المضاجع ﴿فَلاَ تَبْغُواْ﴾ فلا تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ عللاً في الحب ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا﴾ أعلى كل شيء ﴿كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤] أكبر كل شيء لم يكلفكم ذلك، فلا تكلفوا من النساء ما لا طاقة لهن به من المحنة.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ مخالفة بين المرأة والرجل ولم تدروا من أيهما ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾ من أهل الرجل إلى الرجل، حتى يسمع كلامه ويعلم ظالماً هو أو مظلوماً ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ من أهل المرأة إلى المرأة، حتى يسمع كلامها ويعلم ظالمة هي أو مظلومة ﴿إِن يُرِيدَا﴾ الحكمان ﴿إِصْلاَحًا﴾ بين المرأة والرجل ﴿يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الحكمين والمرأة والرجل ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بموافقة الحكمين ومخالفتهما ﴿خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥] بفعل المرأة والرجل.

نزلت من قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ إلى ها هنا في ابنة محمد بن سلمة[١]، للطمة لطمها زوجها أسعد بن ربيع لقبل عصيانها في المضاجع، فطلبت من النبي صلى الله عليه وآله قصاصاً من زوجها، فنهى الله تعالى عن ذلك.

﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله ﴿وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ من الأوثان ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ براً بهما ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ وأمر بصلة القرابة ﴿وَالْيَتَامَى﴾ وأمر بالإحسان إلى اليتامى وحفظ أموالهم وغير ذلك ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وحث على صدقة المساكين ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ فجار بينك وبينه قرابة له ثلاث حقوق: حق القرابة، وحق الإسلام، وحق الجوار ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ جار الأجنبي من قوم آخرين له حقان: حق الإسلام وحق الجوار ﴿وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾ الرفيق في السفر له حقان: حق الإسلام وحق الصحبة[٢].

ويقال[٣]: ﴿الصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾ المرأة في البيت أمر بالإحسان إليها ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وأمر بإكرام الضيف، ويقال: للضيف ثلاثة أيام حق، وما فوق ذلك فهو صدقة.

ويقال: ابن السبيل فهو مار الطريق الضعيف وهو الصحيح [٤] ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وأمر بالإحسان إلى الخدم من العبيد والإماء ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً﴾ في مشيه ﴿فَخُورًا﴾[النساء:٣٦] بنعم الله بطراً متكبراً على عباده.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٧٠/١}

(٢) انظر: تفسير الماتريدي ، أبو منصور الماتريدي ، {١٧٣/٣}.

(٣) انظر: تفسير الطبري جامع البيان للطبري، {٣٤٢/٨}.

(٤) المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط ، {٢٥٩/٧}.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ هم الذين يبخلون بكتمان صفة ونعت محمد كعب وأصحابه ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بالكتمان ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ﴾ في الكتاب ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ من صفة ونعت محمد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ لليهود ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:٣٧] يهانون به.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ﴾ سمعة الناس ﴿وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ وبمحمد والقرآن ﴿وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا﴾ [النساء:٣٨] فبئس القرين [له][(١)] في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود، ولم يكن عليهم شيء ﴿لَوْ آمَنُواْ بِاللهِ﴾ وبمحمد والقرآن ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ [مما][(٢)] أعطاهم الله من المال في سبيل الله ﴿وَكَانَ اللهُ بِهِم﴾ بمن يؤمن وبمن لا يؤمن [منهم][(٣)] ﴿عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٩] ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ لا يترك من عمل كافر مثقال ذرة ليثيبه في الآخرة أن يرضى به خصيماً.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ للمؤمنين ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ من واحدة إلى عشرة ﴿وَيُؤْتِ﴾ ويعط ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] ثواباً وافراً في الجنة.

﴿فَكَيْفَ﴾ كيف يصنعون ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ﴾ قوم ﴿بِشَهِيدٍ﴾ يعني عليهم شهيداً بالبلاغ ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١].

ويقال: لأمتك شهيداً مزكياً مصدقاً لهم لأن أمته يشهدون للأنبياء على قومهم إذا جحدوا.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يتمنى الذين كفروا بالله ﴿وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ﴾ بالإجابة ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ أن يصيروا تراباً مع البهائم ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢] ولا يقولون ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام من الآية:٢٣].

ويقال: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ أي لا يخفى على الله ذلك، ومعنى قوله: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أرادوا به عند أنفسنا في دار الدنيا. ويقال: نزل في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قبل تحريم الخمر.

---

(١) سقط في (أ)

(٢) سقط في (أ)

(٣) سقط في (أ)

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ﴾ في مسجد الرسول معه صلى الله عليه وآله ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ نشاوى[1] ﴿حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ ما يقول إمامكم في الصلاة.

وعن أسلافنا عليهم السلام: أن الخمر لم يزل حراماً ﴿وَلاَ جُنُبًا﴾ ولا تأتوا المسجد جنباً ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ إلا ماري طريق فيما لا بد لكم ﴿حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ﴾ من الجنابة، ويقال: سكارى من النوم لا من الشراب وهو الصحيح[2].

ويقال: ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ بعدما تيممتم عند الاضطرار.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى﴾ جرحى ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ﴾ من مكان الحدث ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾ أو جامعتم النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فتعمدوا إلى التراب النظيف ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ بضربه الأولى ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ بضربه الثانية ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ فيما وسع عليكم ﴿غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣] فيما يكون منكم من التقصير.

والتيمم إلى المرفقين كالوضوء بالماء، ويضرب يديه مصفوفتين على التراب مفرجاً بين أصابعهما يمسح بهما وجهه من مقاص الشعر إلى حد الأذنين إلى اللحين إلى الذقن، ويدخل إبهاميه تحت غابته مخللاً للحيه ، وكذلك يضرب ضربة أخرى بيديه يمسح يده اليمنى من عند أظفارها إلى مرفقها بيده اليسرى، ثم يرد كفه اليسرى على باطن ذراعه اليمنى ماسحاً إلى إبهامه لأن ما في كفه اليمنى من التراب تحتاج إليه اليسرى، ثم يفعل باليسرى كما يفعل

---

(١) نَشْواً ونُشْوةً ونَشوةً ونِشْوةً الكسر عن اللحياني وتَنَشَّى وانْتَشَى كله سَكِرَ يعني، ورجل نَشْوانُ ونَشْيانُ على المُعاقبة والأنثى نَشْوَى وجمعها نَشاوَى كسَكارَى. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣٢٥/١٥} ونشاوى من الشرب. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، {٩٩٥/٣}.

(٢) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (حقيق على الله من ملأ جوفه في هذه الدنيا خمراً أن يملأه الله يوم القيامة جمراً إلا من تاب وآمن). وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (جمعت الشرور في بيت، ثم كان مفتاحه الخمر). وأما قوله سبحانه: (لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) [النساء: ٤٣]، يعني سكر النوم، وذلك أن قوماً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العشاء ثم يجلسون ينتظرون العتمة، فإذا جاءت العتمة قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بهم، فيقومون وراءه وليس هم يدرون ما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما بهم من الغلبة والسكر والنوم، فنهاهم الله عن الصلاة وهم في ذلك حتى يعلموا ما يقولون؛ لأن الله عز وجل لم يحل لأحد من خلقه خمراً قط. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع)، {٧٤-٧٥}.

باليمنى، ثم يمسح أحد كفيه بالأخرى ويخلل بين أصابعهما، وإن زاد في الضربة فجعلها ثلاثاً لكل عضو واحدة فلا بأس بها(١).

ويقال: في قوله تعالى: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ دليل على وجوب التطهر بالماء، لأنه نقل الجائي من الغائط إلى التيمم بشرط عدم الماء، كما نقل إليه الجنب، وقد يجيء الجائي من الغائط من الريح فقط(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر في الكتاب ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ عن الذين ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ علماً بالتوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ﴾ اليهودية ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾ [النساء:٤٤] ان تتركوا السبيل دين الإسلام، نزلت في اسع ورافع حبرين من اليهود، ودعوا عبد الله بن أبي وأصحابه إلى دينهما(٣).

﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ من المنافقين واليهود ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً ﴿وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:٤٥] ومانعاً.

---

(١) وحد التيمم لمن لم يجد الماء كحد الغسل لمن وجد الماء كما قال الله سبحنه حين يقول: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) فأوجب سبحانه غسل الوجه كله، من مقاص الشعر إلى حد الاذنين إلى اللحيين إلى الذقن، وأوجب غسل اليدين إلى المرفقين، ومعنى قوله إلى المرافق فهو حتى المرافق، فأراد بقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم حتى المرافق، فقامت إلى مقام حتى، وكذلك قوله إلى الكعبين أراد حتى الكعبين، وهذه الحروف التي تدعا حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض وتجزي بعضها عن بعض ، وفي ذلك ما يقول الشاعر. شربن بماء البحر ثم ترفعت لدى لجج خضر لهن نئيج فقال: لدى لجج وإنما أراد على لجج، فقامت لدى مقام على، والشاهد لذلك قول الله سبحانه فيما عبر من قول فرعون حين يقول سبحانه ويحكي عنه من قوله: (ولاصلبنكم في جذوع النخل) وإنما أراد على جذوع النخل، فقامت في مقام على. فيجب على المتيمم إذا أراد التيمم أن يعتمد الصعيد الطيب الطاهر الذي لا قذر فيه ولا درن، فيضرب بيديه مصفوفتين على الصعيد الطيب ضربتين، ضربة لوجهه، وضربة لذراعيه، يمسح بالاولى وجهه، ثم يمسح في الآخرة بيده اليسرى من أظافير يده اليمنى إلى أن يجوز مرفقها، ثم يرد كفه اليسرى على باطن ذراعه اليمنى، ثم يمسح بما في كفه اليمنى من الصعيد يده اليسرى على ما فعل باليمنى. كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٤٠/١}.

(٢) والاستنجاء فواجب؛ لأن الله سبحانه يقول: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً}، فأوجب الاستنجاء عند الوضوء وافترضه، وليس مع من قال: إن الاستنجاء لا يكون إلا من الغائط حجة؛ لأن الله قد ذكر الاستنجاء عند الوضوء وافترضه. الفقه للمرتضى محمد بن يحي الهادي، {٣٥٥}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٧٦/١}.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ﴾ من المنافقين واليهود مالك بن صيف وأصحابه ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ يغيرون صفة ونعت محمد بعد بيانه في التوراة فيأتون محمداً ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك يا محمد ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك في الشريعة ﴿وَاسْمَعْ﴾ منا يا محمد ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ غير مطاع، ومسمع منك في الشريعة ﴿وَرَاعِنَا﴾ وكان بلغتهم راعنا اسمع لا سمعت ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ يحرفون ألسنتهم بالشتم والتعيير ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ عنتاً[1] في الإسلام.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ اليهود ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك يا محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ﴾ منا ﴿وَانظُرْنَا﴾ إلينا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من السب والتعيير ﴿وَأَقْوَمَ﴾ وأصوب ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ﴾ عذبهم الله بالجزية ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ عقوبة كفرهم ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء:٤٦] وهو من أسلم منهم عبد الله وأصحابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ علماً بالتوراة وبصفة ونعت محمد ﴿آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِّمَا مَعَكُم﴾ بالتوحيد وصفة ونعت محمد ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ يعني نمحو صورهم ونغيرها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ نحول وجوههم إلى الأقفية ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نمسخهم ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ قردة ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[النساء:٤٧] كائناً، فأسلم بعد نزول هذه الآية عبد الله بن سلام وأصحابه[2].

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ إن مات عليه ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ لمن تاب أو الصغائر فقد اشترط المشيئة.

ثم ذكر مشيئته في آية أخرى فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء من الآية:٣١] يعني الصغائر وهو الصحيح[3].

---

(١) في (ب): عيبا.

(٢) تفسير الماتريدي. {٣/٢٠١}.

(٣) { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء }. أنه يغفر للمجتنبين الصغيرَ، إذ أخرج الكبير من أن يكون مغفوراً بقوله: {ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع} [غافر: ١٨]. وبغير ذلك من الوعيد، وبيّن أنه يعد بالمغفرة الصغيرَ قولُه: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما} [النساء: ٣١]. وقد يُغفر الكبيرُ لمن تاب منه، فيكون قوله: {لمن يشاء}. أي: لمن تاب من الكبائر. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي {١/٦٠٨}.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى﴾ اختلق على الله ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] كذباً عظيماً.

قيل: نزلت في الوحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله[(١)].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر في الكتاب ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ من الذين ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يبرؤون أنفسهم من الذنوب، يعني اليهود بحيرى بن عمرو ومرحب بن زيد ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي﴾ يبرئ من الذنوب ﴿مَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً لهذا ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ﴾ [النساء:٤٩] لا ينقصون من ذنوبهم ﴿فَتِيلا﴾ قدر فتيل، وهو الذي يكون في وسط النواة، ويقال هو الوسخ بين أصبعيك.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيفَ يَفْتَرُونَ﴾ يختلقون ﴿عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ بقولهم ما نعمل في النهار من الذنوب يغفر الله لنا بالليل، وما نعمل في الليل يغفر الله لنا في النهار ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ بما قالوا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٥٠] كذبا بيناً.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ من الذين ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ علماً بالتوراة مالك بن صيف وأصحابه سبعين رجلاً ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ حيي بن أخطب ﴿وَالطَّاغُوتِ﴾ كعب بن الأشرف ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كفار مكة ﴿هَؤُلاء﴾ كفار مكة ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلا﴾ [النساء:٥١] أصوب ديناً من الذين آمنوا بمحمد[(٢)].

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ عذبهم الله بالجزية ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللهُ﴾ يعذب الله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢] مانعاً من عذابه ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ لو كان لهم نصيب ﴿مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾ لا يعطون الناس، يعني محمداً ﴿نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣] قدر نقير وهو النقرة التي على ظهر النواة[(٣)].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل يحسدون الناس يعني محمداً ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ على ما أعطاهم الله من الكتاب والنبوة وكثرة النساء.

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٣٩/١}.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، {٤٦٥/٨}.

(٣) نَقيراً: النقير النكتة التي في ظهر النواة وروي عن أبي الهيثم أنه قال النَّقِيرُ نُقرَةٌ في ظهر النواة منها تنبت النخلة. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٢٧/٥}.



﴿ فَقَدْ آتَيْنَآ ﴾ أعطينا ﴿ آلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ داود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ العلم والفهم ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤] أكرمناهم بالنبوة والإسلام، وأعطيناهم ملك بني إسرائيل، فكان لداود مائة امرأة، ولسليمان تسعمائة سرية [(١)] وثلاثمائة مهرية[(٢)].

﴿فَمِنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بكتاب داود وسليمان ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه ﴿وَكَفَى﴾ وكفى بكعب وأصحابه ﴿بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٥] وقوداً.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ إلى آخر الآية نزلت في رسول الله صلى الله عليه وعلى آله خاصة لما أعطاه الله من الفضل[(٣)]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن، وهذا وعيد لهم ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ في الآخرة ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ احترقت جلودهم ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غير منضوجه أي جددنا جلودهم ﴿لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ لكي يجدوا ألم العذاب ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ بالنقمة ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦] حكم عليهم بتبديل الجلود.

ثم نزل المؤمنين فقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا﴾ بمحمد والقرآن وحملة الكتب والرسل ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ من تحت شجرها وسررها الأنهار، أنهار الخمر والماء واللبن والعسل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿أبداً لهم فيها﴾ في الجنة ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والأدناس ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاً ظَلِيلا﴾ [النساء:٥٧] كناً كنيناً ويقال ظلاً دائماً.

ثم نزل في شأن المفتاح الذي أخذ النبي صلى الله عليه وعلى آله من عثمان بن طلحة بأمانة الله فأمر الله برد الأمانة إلى أهلها فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ ﴾ أن ترد المفتاح ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ إلى عثمان بن طلحة ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ بين عثمان بن طلحة وعباس ﴿أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ برد المفاتح إلى عثمان والسقاية إلى عباس ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم

---

(١) في (ب): سبعمائة سرية.

(٢) المهرية: إبل مهرية نجائب تسبق الخيل منسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان. انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، {٢/٧٠٠}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٣٨٠}.

بِهِ﴾ نعم ما يأمركم به من رد الأمانات والعدل ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ بمقالة عباس آت المفتاح إلي مع السقاية ﴿بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] بصنع عثمان حيث دفع المفتاح، ثم قال: خذ بأمانة الله يا رسول الله(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ عثمان بن طلحة وأصحابه ﴿أَطِيعُواْ اللهَ﴾ فيما أمركم ﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وأمراء السرايا(٢).

ويقال: العلماء، ويقال: الأئمة(٣).

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ اختلفتم في شيء ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾ إلى كتاب الله ﴿وَالرَّسُولِ﴾ وإلى سنة الرسول ﴿إِن كُنتُمْ﴾ إذ كنتم ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ والبعث بعد الموت ﴿ذَلِكَ﴾ الرد إلى كتاب الله وسنة الرسول(٤) ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩] عاقبة.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ من الذين ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني التوراة ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ إلى كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُواْ﴾ بالقرآن ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾ أن يتبرأوا منه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] عن الهدى والحق.

نزلت في رجل من المنافقين يسمى بشراً الذي قتله عمر بن الخطاب، كان له خصومة مع رجل من اليهود(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٨١/١-٣٨٢}.

(٢) أولوا الأمر أمراء السرايا، وعلماء القبائل، وحلماء العشائر، والحكماء الذين يأمرون بالمعروف والهدى، وينهون عن الردى، لما أمروا بما أمر به رب العالمين. وأبرار آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلماؤهم، وهم فولاة الأمر منهم، لما فضلهم الله به على غيرهم، من قرابة رسول الله، ومشاركتهم لأهل البر فيه، فلهم من القرابة ما ليس لغيرهم، وهم شركاء الأبرار في برهم. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم (١٦٩-٢٤٦هـ): دراسة وتحقيق عبد الكريم جدبان، دار الحكمة اليمانية، ط١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، مسائل القاسم {٦١١/٢}.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {٥٠٢/٨}.

(٤) عهد الامام علي لمالك الأشتر. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، باب الجزء الثامن {١٠٣/٨}.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧ م، باب سورة البقرة {٢٦٤/١}.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لحاطب بن أبي بلتعة المنافق، الذي كانت له خصومة مع الزبير بن العوام ابن عمة النبي صلى الله عليه وعلى آله ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ﴾ إلى حكم ما أنزل الله في القرآن ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ وإلى حكم الرسول.

﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ يعني حاطب بن أبي بلتعة ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١] يعرضون عن حكمك إعراضاً مع لي الشدق.

ثم بين عقوبته فقال: ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون على وجه التعجب ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بلي أشداقهم ﴿ثُمَّ جَآؤُوكَ﴾ بعد ذلك ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾ يعني حلف حاطب بالله ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ بلي الأشداق ﴿إِلاَّ إِحْسَانًا﴾ في الكلام ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢] صواباً ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ﴾ يعني لوى شدقه على النبي صلى الله عليه وعلى آله ﴿يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني ما في قلبه من النفاق وهو حاطب بن أبي بلتعة[1].

ويقال: ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون، يعني أهل مسجد الضرار ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ببنائهم مسجد الضرار، ﴿ثُمَّ جَآؤُوكَ﴾ بعد ذلك ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ببنائنا المسجد ﴿إِلاَّ إِحْسَانًا﴾ إلى المؤمنين ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ موافقة في الدين ﴿أُولَـئِكَ﴾ الذين بنوا مسجد الضرار ﴿يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والخلاف.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ اتركهم ولا تعاقبهم في هذه المرة ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك لكيلا يفعلوا مرة أخرى ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٣]تقدم إليهم تقدماً وثيقاً في الوعد إن فعلتم كذا أفعل بكم كذا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ ذلك الرسول ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بأمر الله لا ليعمل بخلاف أمره ويلوى عليه الشدق ويرد حكمه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ يعني أهل الضرار وحاطباً ﴿إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بلي الشدوق وبنائهم مسجد الضرار ﴿جَآؤُوكَ﴾ للتوبة ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ﴾ تابوا إلى الله من صنيعهم ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ دعا لهم الرسول بالغفران ﴿لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا﴾ متجاوزاً ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] بهم بعد التوبة.

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣١٤/١}.

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ﴾ أقسم بنفسه وبعمر محمد ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ في السر، ولا يستحقون اسم الإيمان في السر ﴿حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ﴾ حتى يجعلوك حاكماً ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما التبس بينهم، ويقال: فيما اختلف بينهم ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ في قلوبهم ﴿حَرَجًا﴾ شكاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ بما قضيت بينهم ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] يخضعوا لك خضوعاً.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أوجبنا عليهم كما أوجبنا على بني إسرائيل ﴿أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم﴾ صفراً [١]﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ بطيبة النفس ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ من المخلصين ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ ما يؤمرون به من التوبة والإخلاص ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الآخرة مما هم عليه في السر ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] حقيقة في الدنيا.

﴿وَإِذاً﴾ لو فعلوا ما يؤمرون به [لكان خيرا لهم][٢] ﴿لَّآتَيْنَاهُم﴾ أعطيناهم ﴿مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا﴾ [النساء:٦٧] ثواباً وافراً في الجنة ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٨] لثبتناهم في الدنيا على دين قائم يرضاه وهو الإسلام.

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾ نزلت هذه الآية في ثوبان[٣] مولى رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله: أخاف أن لا ألقاك في الآخرة يا رسول الله، وكان يحبه حباً شديداً لا يكاد يصبر عنه، فذكر الله كرامته فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في السنن ﴿فَأُوْلَـئِكَ﴾ في الجنة ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم﴾ من الله عليهم ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني محمداً وغيره ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب محمد صلى الله عليه ﴿وَالشُّهَدَاء﴾ الذين استشهدوا في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ صالحي أمة محمد ﴿وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] مرافقة في الجنة[٤].

---

(١) {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم} أي: لو وجبنا على هؤلاء مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين أسبتوا من عبادة العجل {ما فعلوه} ولا امتثلوه {إلا} أناس {قليل منهم}. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٥٧/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله سلم أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) اشتراه النبي صلى الله عليه وآله سلم ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه إلى أن مات، فخرج ثوبان إلى الشام فنزل الرملة (في فلسطين) ثم انتقل إلى حمص فابتنى فيها دارا، وتوفي بها. انظر: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، باب حرف الثاء {١١٢/١}.

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣١٨/١}.

﴿ذَلِكَ﴾ المرافقة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ المن من الله ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٧٠] بحب ثوبان لك وكرامته وثوابه في الجنة.

ثم علم خروجهم في سبيل الله فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم ولا تخرجوا متفرقين ولكن ﴿فَانفِرُواْ﴾ فاخرجوا ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعة جماعة سرية سرية ﴿أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١] أو اخرجوا كلكم مع نبيكم(١).

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ يقول يتثاقلون عن الخروج في سبيل الله، وينتظر ما يصيبكم السَّرِيَّة، وكان هذا عبد الله بن أبي.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم﴾ في السرية ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ القتل والهزيمة والشدة ﴿قَالَ﴾ عبد الله بن أبي ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ﴾ قد من الله علي بالجلوس ﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ﴾ في تلك السرية ﴿شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٢] حاضراً.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ﴾ في تلك السرية ﴿فَضْلٌ﴾ غنيمة وفتح ﴿مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ﴾ عبد الله بن أبي ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ صلة في الدين ومعرفة في الصحبة مقدم ومؤخر، ولئن أصابكم في تلك السرية فضل وغنيمة وفتح من الله ليقولن عبد الله بن أبي ﴿يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ مع السرية في الغزوة ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٣] فأصيب غنائم كثيرة وحظاً وافراً.

ثم أمرهم بالقتال في سبيل الله وإن كانوا منافقين فقال: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ يختارون الدنيا على الآخرة(٢).

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٥٣٢/١}.

(٢) لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله: فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ ومعناه يشترون أو يبيعون. وعلى الأول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد. وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين تركوا الدنيا لأجل الآخرة. والمراد إن أبطأ أهل النفاق وضعفة الإيمان عن القتال فليقاتل التائبون المخلصون. وقيل: يحتمل أن يراد المؤمنون على التقدير الأول ولأن الإنسان إذا أراد أن يبذل هذه الحياة الدنيا في سبيل الله بخلت نفسه فاشتراها من نفسه بسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله، أو لعله أريد اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي، أو المراد أنهم كانوا يرجحون الحياة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم: قاتلوا فإنكم تستولون على الأعداء وتفوزون بالأموال. انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١، - ١٤١٦ هـ، باب التفسير، {٤٤٧/٢}.

ويقال: نزلت هذه الآية في المخلصين ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ يبيعون الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة على الدنيا.

ثم ذكر ثوابهم فقال: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَو يَغْلِبْ﴾ فيظهر على العدو ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ نعطيه في كلا الوجهين ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٤] ثواباً وافراً في الجنة.

ثم ذكر كراهيتهم للقتال في سبيل الله في طاعة الله مع أهل مكة فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله أهل مكة ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ في شأن المستضعفين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ﴾ الصبيان ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني مكة ﴿الظَّالِمِ﴾ المشرك ﴿أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ حافظاً يعنون عتاب بن أسيد ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ عندك ﴿نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥] مانعاً واستجاب الله لهم دعائهم وجعل لهم النبي صلى الله عليه وآله ناصراً وعتاباً ولياً(١).

ثم ذكر قتالهم في سبيل الله فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبو سفيان وأصحابه ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ﴾ جند الشيطان ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ صنع الشيطان ومكره ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦] بالخذلان يخذلهم كما خذلهم يوم بدر.

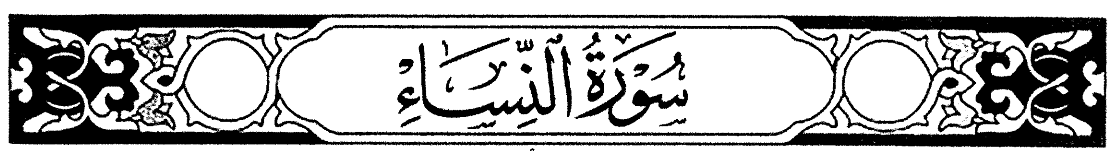
ثم ذكر كراهيتهم للخروج مع النبي صلى الله عليه وآله بالموافاة إلى بدر الصغرى فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾عن الذين﴿ قِيلَ لَهُمْ﴾ بمكة لعبد الرحمن بن عوف الزهري(٢)، وسعد بن أبي وقاص(٣) الزهري، و مقداد بن

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢/٢٥٠}.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الاسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الاجواد الشجعان العقلاء. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣/٣٧٦}.

(٣) سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بْن وهيب بْن عَبْد مناف، يكنى أبا إِسْحَاق. وأمه حمنة بنت أبي سفيان بْن أمية بْن عَبْد شمس بْن عَبْد مناف. وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ بالجنة، وأحد الستة من أهل الشورى، ومن المهاجرين الأولين، تقدم إسلامه، وحضر مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ مشاهده، وجاهد بين يديه، ودعا له، فقال: " اللهم سدد رميته، وأجب دعوته "، فكان مجاب الدعوة. انظر: تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م ، باب سعد بن أبي وقاص ،{١/٤٧٦}.



الأسود[١] الكندي، وطلحة بن عبيد الله[٢] ﴿كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن القتل والضرب، فإني لم أؤمر بالقتال[٣].

﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ أتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها ﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ أعطوا زكاة أموالكم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ﴾ بالمدينة ﴿الْقِتَالُ﴾ الجهاد في سبيل الله ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ طائفة منهم طلحة بن عبيد الله ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ يخافون أهل مكة ﴿كَخَشْيَةِ اللهِ﴾ كخوفهم من الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ بل أكثر خوفاً ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ قد أوجبت علينا الجهاد في سبيلك ﴿لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى الموت ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ﴾ منفعة الدنيا قليلة في الآخرة ﴿وَالآخِرَةُ﴾ ثواب الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿لِّمَنِ اتَّقَى﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ [النساء:٧٧] لا ينقص من حسناتهم قدر فتيل، وهو الذي يكون في شق النواة. ويقال: هو الوسخ الذي يكون بين أصبعيك إذا فتلت[٤].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾ يا معشر المؤمنين المخلصين والمنافقين في بر أو بحر في سفر أو حضر ﴿يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ فتموتوا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ في قصور حصينة.

ثم ذكر مقالة اليهود والمنافقين ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومراعينا منذ قدم علينا محمد وأصحابه فقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ يعني المنافقين واليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ الخصب ورخص الأسعار وتتابع السنة بالأمطار ﴿يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ لنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ القحط والجدوبة والشدة وغلاء السعر ﴿يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يعنون من شؤم محمد وأصحابه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين واليهود ﴿كُلٌّ﴾ الشدة والنعمة ﴿مِّنْ عِندِ اللهِ﴾.

---

(١) "كان يُقَالُ له المقداد بْن الأسود. فلَمَّا نزل القرآن: ادعوهم لآبائهم. قيل المقداد بْن عَمْرو المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْن ثَعْلَبَة بْن مَالِكِ بْن رَبِيعَة. وهاجر المقداد إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية في رواية محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر. ولم يذكره مُوسَى بْن عُقْبَة ولا أبُو معشر. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، {١١٩/٣}.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد: صحابي، شجاع، من الاجواد. وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٢٢٩/٣}.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٥٠/٢}.

(٤) القول لمجاهد و سعيد بْن جبير. انظر: كتاب تفسير القرآن، للنيسابوري، {٧٩٦/٢}.

ثم ذكر: ﴿فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

ثم ذكر بماذا يصيبهم النعم والشدة فقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من خصب ورخص [الأسعار] وتتابع السنة بالأمطار ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ فمن نعمة الله لـك ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ من قحط و جدوبة وغلاء السعر ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فلقبيل طهارة نفسك يطهرك بذلك[1].

ويقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من فتح وغنيمة ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ فمن كرامة الله ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ من قتل وهزيمة مثل يوم أحد ﴿فمن نفسك﴾، فبذنب أصحابك بتركهم المركز.

ويقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ ما عملت من خير ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ فبتوفيقه وعونه ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ ما عملت من سوء ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فمن قبل جناية نفسك[2].

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ إلى الجن والإنس ﴿رَسُولاً﴾ بالبلاغ ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩] شهيداً على مقالتهم إن الحسنة من الله والسيئة من شؤم محمد وأصحابه.

ويقال وكفى بالله شهيدا على قولهم ائتنا شهيداً بأنك رسول الله، فلما نزل قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ﴾[3] .

(١) {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، فصدق الله عزّ وجل في قوله، غير أنهم لم يفهموا التأويل؛ لأنّه يقول سبحانه: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُوْنَ فِي العِلْمِ} [آل عمران: ٧]، وليسوا من أولئك. وإنما أراد الله عزّ وجل أن ينقض على الكفار قولهم؛ لأنّه إنما كان الكفار إذا أصابهم مما يحبون من جميع الخير، مثل الخصب، وزكاء الزرع، وكثرة النسل، ابتداءً لهم من الله بالإحسان والمن، وتوكيداً للحجة عليهم والإنعام؛ قالوا: هذا من عند الله وإذا أخذهم الله بشيء من فعلهم وخبث نياتهم وعظيم جرمهم وإكذابهم لمحمد صلى الله عليه وآله، ولما جاءهم به، وابتلاهم (الله) بنقص الخصب، وقلة المطر، والزرع، والنسل، قالوا: شؤم محمد ومن معه، فأخبر الله سبحانه أن هذه الزيادة والنقصان في جميع ما ذكرناه من الله، فقال: {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}، ثم شرح ذلك فقال مبيناً للخير: {فَمَا لِهَؤُلاَءِ القَوْمِ لاَ يَكَادُوْنَ يَفْقَهُوْنَ حَدِيْثاً مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}، يقول: ثواب من الله سبحانه لكم على ما كان من الطاعة، وخزي وعقاب منه سبحانه لكم على ما كان من أنفسكم من المعصية، والعمل القبيح، وترك الإئتمار لأمره، فيقول: ما أصابكم من الزيادة فيه والصلاح، فمن نعم الله عليكم، وبفضله وإحسانه إليكم، وما أصابكم من نقصان ذلك وفساده فمن قبيح أعمالكم، وسوء نياتكم، وإصراركم على المعاصي، وإنما دخل عليكم من أنفسكم لمَّا فعلتم ما فعلتم؛ حتى وجبت الشناة عليكم بذلك الفعل من الله سبحانه. وهذا تفسير ما جهلوا من ذلك. مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ، {٢٤٥}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٨٤/٥}.

(٣) النساء من الآية: ٦٤.

قال عبد الله بن أبي: يأمرنا محمد أن نطيعه دون الله فنزل فيه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ﴾ فيما يأمر ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ لأن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله ﴿وَمَن تَوَلَّى﴾ عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠] كفيلاً(١).

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، أي أمرك طاعة يا محمد مرنا بما شئت يفعله.

﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ﴾ غيرت ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ تأمر ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ﴾ يحفظ عليهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ما يغيرون من أمرك ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تعاقبهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ فيما يصلحك ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ [النساء:٨١] كفيلاً بالنصرة والدولة عليهم.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أفلا يتفكرون في القرآن أنه يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، وفيه ما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ﴾ ولو كان هذا القرآن من أحد غير الله ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] لا يشبه بعضه بعضاً، فالاختلاف فيه من القوم للتعنت والجهل لا أن فيه اختلافاً.

ثم ذكر خيانة المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ﴾ خبر من أمن العسكر والفتح فصبروا عليه خشية أمنهم ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾ وإن جاءهم خوف من العسكر والقتل أو القتل والهزيمة ﴿أَذَاعُواْ بِهِ﴾ فشوا به إلا قليلاً مقدم ومؤخر﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ ولو تركوا خبر العسكر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ حتى كان يخبر الرسول لهم ﴿وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ﴾ أولي العقل واللب﴿مِنْهُمْ﴾ من المؤمنين يعني أصحابه الخيار ﴿لَعَلِمَهُ﴾ الخبر ﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ يبتغونه أي يطلبون الخبر ﴿مِنْهُمْ﴾ من أصحابه الاخيار(٢).

---

(١) حظر الجهاد مع جميع مَن خَلَق من العباد إلا من اصطفى، وأؤتمن على وحيه من عترة رسوله صلى الله عليه وعليهم، الذين هدى بهم الأمة من الضلالة والهلكة، لما في الجهاد من القتل والقتال، وسفك الدماء وأخذ الأموال، وهتك الحريم، وغير ذلك من الأحكام، وذلك فلا يكون إلا بإمام مفترض الطاعة. مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ، {٥٠٧}.

(٢){وإذا جائهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به} هم أناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال والاستيطان بالأمور والإحاطة بحقائقها كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به أي أظهروه وأفشوه، وكان إذاعتهم مفسدة، {ولو ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم} أي: ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى أولي الأمر وهم كبار الصحابة البصر بالأمور. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٤٦٨/١}.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ من الله ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالتوفيق والعصمة ﴿لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [النساء:٨٣] مقدم ومؤخر.

ثم أمر نبيه بالجهاد إلى بدر الصغرى فقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿لاَ تُكَلَّفُ﴾ لا تؤمر بذلك ﴿إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حضّض المؤمنين على الخروج معك ﴿عَسَى اللهُ﴾ وعسى من الله واجب ﴿أَن يَكُفَّ﴾ يمنع ﴿بَأْسَ﴾ قتال ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كفار مكة ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ عذاباً ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلا﴾ [النساء:٨٤] عقوبة(١).

ثم ذكر ثواب من آمن وعقوبة من كفر، يعني بعض الصحابة وأبا جهل فقال: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ يوحد أو يصلح بين اثنين ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ من الحسنة ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ بشرك أو يهم ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ﴾ وزر ﴿مِّنْهَا﴾ من السيئة ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥] مقتدراً مجازيا.

ويقال: على قود كل شيء مقتدراً.

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ إذا سلم عليكم بسلام ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ فردوا بأفضل منها في الزيادة على أهل دينكم ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ مثل ما سلم عليكم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من السلام والرد ﴿حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦] مجازياً وشهيداً.

نزلت في قوم بخلوا بالسلام(٢).

ثم وحد نفسه فقال: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ هو الله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] قولاً في النعت.

نزلت في عشرة نفر من المنافقين الذين ارتدوا ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين محل أموالهم ودمائهم ومحرم ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم﴾ ردهم إلى حكم الشرك ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ بنفاقهم وخبث نياتهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ﴾ أن ترشدوا إلى الله، يعني تحكموا له بالرشد ﴿مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ عن دينه بالحكم والتسمية ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ﴾ عن دينه بالحكم ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ [النساء:٨٨] ديناً ولا حجة(٣).

---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٦٩/١}.

(٢) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٧٦}.

(٣) كان قوم من المنافقين بمكة، خرجوا إلى الشام، فاختلف المسلمون في أمرهم، فبيّن الله تعالى للمسلمين نفاقهم، فقال تعالى: فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ يعني صرتم في المنافقين فئتين، أي فريقين تختصمون في أمرهم وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بما كَسَبُوا أي أذلهم. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٢٤/١}.

﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ بمحمد والقرآن ﴿كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾ معهم ﴿سَوَاء﴾ شرعاً في دين الشرك ﴿فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء﴾ في الدين والعون والنصرة ﴿حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ﴾ حتى يؤمنوا مرة آخرة ويهاجروا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان والهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ فأسروهم واقتلوهم ﴿حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ﴾ في الحل والحرم ﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ في الدين والعون والنصرة ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٨٩] مانعاً.

هذه الآية نزلت في قوم من المنافقين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله قد احتوينا بالمدينة فأذن لنا نخرج إلى البدو فخرجوا شيا فشيا حتى لحقوا بالمشركين فاختلف فيه المؤمنون فقالت طائفة [منهم[1]]هم مؤمنون إلا أن نستبين كفرهم، وقالت طائفة هم كفار لا حياة لهم على رسولهم صلى الله عليه وآله، ومصيرهم مع الكافرين، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ يقول طائفتين على هذا الاختلاف ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ [النساء من الآية:٨٨] و الركس الرد، يقول حكم عليهم بالكفر وردهم فيه، حكما إلى قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ يعني هؤلاء المنافقين، ﴿فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾، أي تساوونهم في الكفر[2].

ثم قال: ﴿فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ فنهى الله المؤمنين وحالهم هذه في الكفر عن موادتهم وموالاتهم حتى يهاجروا في سبيل الله أي يرجعوا إلى رسول الله عليه السلام دار الهجرة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يعني أعرضوا عن هذه الهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ﴾ [النساء من الآية:٨٩] فأمر الله سبحانه بقتلهم على ما يكون من إصرارهم على كفرهم وإعراضهم، عما أوجب من الهجرة عليهم.

ثم استثنى فقال:﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يرجعون ﴿إِلَىَ قَوْمٍ﴾ يعني قوم هلال بن عويمر الأسلمي[3]﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أي عهد وصلح ﴿أَوْ جَآؤُوكُمْ﴾ وقد جاؤوكم ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ضاقت قلوبهم ﴿أَن يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لقبل العهد ﴿أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ لقبل القرابة ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ يعني قوم هلال ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يوم فتح مكة، والتسليط على معنى التخلية ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ تركوكم ﴿فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع

---

(١) سقط في (أ).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٧٦/١}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٩٥/١}.

قومهم يوم فتح مكة ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي خضعوا لكم بالصلح والوفاء ﴿فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا﴾ حجة بالقتل.

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ من غير قوم هلال أسد وغطفان ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ أن يأمنوا منكم على أموالهم وأنفسهم وأهاليهم بلا إله إلا الله ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر ﴿كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ﴾ دعوا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُواْ فِيِهَا﴾ رجعوا إليها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ لم يتركوكم يوم فتح مكة ﴿وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ لم يخضعوا لكم بالصلح ﴿وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ﴾ يعني أسد وغطفان ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٩١] حجة بينة بالقتل والهزيمة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ عياش بن ربيعة[١] ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ حارث بن زيد[٢] ﴿إِلاَّ خَطَئًا﴾ ولا خطأ ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فعليه عتق رقبة مؤمنة بالله ورسوله ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ كاملة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ [قودا[٣]] إلى أولياء المقتول ﴿إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ إلا أن يتصدقوا أولياء الميت بالدية على القاتل ﴿فَإِن كَانَ﴾ القاتل ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ حرب لكم ﴿وَهُوَ مْؤْمِنٌ﴾ يعني المقتول مؤمن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة بالله ورسوله، وليس عليه الدية.

وكان الحارث من قوم كانوا حرباً لرسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ عهد وصلح ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ كاملة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ تؤدى إلى أولياء المقتول ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ وعتق رقبة مؤمنة موحدة بتوحيد الله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامُ﴾ فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ متواصلين لا يفرق بين صيامه ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللهِ﴾ تجاوزاً من الله لقاتل الخطأ إن فعل ذلك ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بقاتل الخطأ ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:٩٢] فيما حكم عليه.

---

(١) عياش بن أبي ربيعة واسمه عمرو ذو الرمحين بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم القرشي أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن المخزومي. كان أحد المستضعفين بمكة وهاجر الهجرتين ومات بالشام في خلافة عمر وقيل: قتل يوم اليمامة وقيل: يوم اليرموك وهو أحد من كان النبي صلى الله عليه وآله سلم يدعو له بالنجاة من المستضعفين في القنوت. انظر: تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، {١٩٧/٨}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٩٦/١-٣٩٧}.

(٣) سقط في (أ).

ثم نزل في شأن مقيس بن صبابة[1] قاتل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله بالفهري يوم أحد دية هشام بن صبابة[2] وارتد بعد ذلك عن دينه ورجع إلى مكة كافراً فنزل فيه:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بقتله ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ بقتله ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ بشركه وقتله ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ بأخذه الدية ﴿وَلَعَنَهُ﴾ الله بقتله غير قاتل أخيه﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] لجرأته على الله[3].

ثم نزل في شأن أسامة بن زيد[4] قاتل مرداس بن نهيك الفزاري[5]، وكان مؤمناً فنزل فيه[6]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ خرجتم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في الجهاد ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ فقفوا حتى يتبين لكم المؤمن والكافر ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ﴾ لمن أسمعكم لا إله إلا الله محمد رسول الله مع السلم ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فتقتلونه ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون بذلك ما كان معداً من الغنائم ﴿فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن ﴿كَذَلِكَ كُنتُم﴾ من قومكم تأمنون من المؤمنين بلا إله إلا الله ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل الهجرة ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالهجرة ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ فتثبتوا حتى لا تقتلوا مؤمناً ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من القتل وغيره ﴿خَبِيرًا﴾ [النساء:٩٤].

---

(١) مقيس بن صبابة بن حزن بن سيار بن عبد الله بن كلب بن عوف بن كعب بن عَامِر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، الكناني الليثي. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣٧٥/٥}.

(٢) هشام بن صبابة بن حزن بن سيار بن عبد الله بن كلب بن عوف بن كعب بن عَامِر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، الكناني الليثي. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣٧٥/٥}.

(٣) عن عكرمة: أن رجلا من الأنصار قتل أخا مقيس بن صُبَابة، فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. انظر: جامع البيان للطبري، {٦١/٩}.

(٤) أسامة بن زيد بن الحارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي قد رفعنا في نسبه عند ذكر أبيه زيد بن حارثة وذكرنا ما لحق أباه زيد من السباء وأنه صار بعد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله سلم وله ولاؤه صلى الله عليه وآله سلم وأوضحنا ذلك في باب أبيه زيد بن حارثة يكنى أسامة أبا زيد وقيل أبا محمد يقال له الحب بن الحب. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م {٧٥/١}.

(٥) مرداس بْن عَمْرو الفدكي، وقال الكلبي: مرداس بْن نهيك وهكذا أخرجه أَبُو عمر، وقال: إنه فزاري نزل فِيهِ: {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} روى أَبُو سَعِيد الخدري، قَالَ: بعث رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ سرية فيها أسامة بْن زيد إِلَى بني ضمرة، فقتله أسامة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٣٥/٥}.

(٦)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٩٨/١}.

ثم نزل في ثواب المجاهدين فقال: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ الشدة والضعف بالبدن والبصر، مثل عبد الله بن أم مكتوم[1] وعبد الله بن جحش.

﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بنفقة أموالهم ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ بخروج أنفسهم ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ بغير ضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة ﴿وَكُلاًّ﴾ كلا الفريقين المجاهدين والقاعدين ﴿وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ الجنة بالإيمان ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ بالجهاد ﴿عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥] ثواباً عظيماً وافراً في الجنة ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ فضائل من الله في الدرجات ﴿وَمَغْفِرَةً﴾ للذنوب ﴿وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين من العذاب ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦] لمن مات على التوبة.

ثم نزل في شأن النفر الذين قتلوا يوم بدر، وكانوا خمسين رجلاً ارتدوا عن الإسلام فقتل عامتهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾ يوم بدر عند القبض ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ ماذا كنتم تصنعون بمكة ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ مقهورين ﴿فِي الأَرْضِ﴾ في أرض مكة ﴿قَالْوَاْ﴾ قال لهم الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً﴾ آمنة ﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ إليها ﴿فَأُوْلَـئِكَ﴾ النفر ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧] صاروا إليه، وهذا القول عام في جميع من سكن بين الظلمة من غير عذر[2].

ويقال في قوله: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ يعنون ماذا فعلتم من إنكار المنكر على ما جاورتم، فقال المتوفون: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ فعلمت الملائكة أنهم صدقوا في الخبر عن ضعفهم، فاحتجت الملائكة إذ ضعفوا عن مجاهدتهم فقالوا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ يقول فتحولوا عن أهل المنكر والمعاصي في أرض الله الواسعة ولا تساكنوهم، قال الله سبحانه: ﴿فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾.

---

(١) عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم: صحابي، شجاع. كان ضرير البصر. أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد وقعة بدر. وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وآله سلم في المدينة، مع بلال. وكان النبي يستخلفه على المدينة، يصلي بالناس، في عامة غزواته. وحضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع سابغة، فقاتل - وهو أعمى - ورجع بعدها إلى المدينة، فتوفي فيها، قبيل وفاة عمر بن الخطاب. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ،لابن الأثير، {٤/٢٥١}.

(٢)انظر: التبيان في تفسير القرآن ، للطوسي ، {٣/٣٠٠}

ثم بين أهل العذر فقال: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾ الشيوخ والضعفاء ﴿وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ﴾ الصبيان ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ [النساء:٩٨] لا يعرفون طريقاً ﴿فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ﴾ وعسى من الله واجب لأنه إرجاء وإطماع، والله تعالى لا يطمع في شيء لا يفعله ﴿أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ فيما كان منهم ﴿وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا﴾ بما كان منهم ﴿غَفُورًا﴾ [النساء:٩٩] لمن تاب.

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ في طاعة الله ﴿يَجِدْ فِي الأَرْضِ﴾ في أرض المدينة ﴿مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾ محولاً وملجأ ﴿وَسَعَةً﴾ في المعيشة وأمناً، نزلت في أكثم(١) بن صيفي هذه الآية.

ثم نزل في جندع بن ضمرة(٢)، ويقال: ضمرة بن العيص(٣)، شيخ كان بمكة هاجر من مكة إلى المدينة فأدرك الموت بالتنعيم فمات محرماً ، فنزل فيه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ﴾ من مكة ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ﴾ إلى طاعة الله ﴿وَرَسُولِهِ﴾ وإلى رسوله بالمدينة ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ بالتنعيم ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ﴾ فقد وجب ثواب هجرته على الله ﴿وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا﴾ بما كان منه في الشرك ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠]بما كان منه في الإسلام.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ في سبيل الله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ مأثم ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ﴾ صلاة المقيم ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الصلاة ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٠١] ظاهر العداوة، وهي صلاة الخوف.

---

(١) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الحكيم المشهور وهو عم حنظلة بن الربيع بن صيفي الصحابي المشهور. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل – بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، باب الألف بعدها الصاد ،{٢٠٩/١}.

(٢) جندع بن ضمرة: كان بمكة فمرض فقال لأهله أخرجوني من مكة فانه قد قتلني غمها فقالوا إلى أين فأومأ بيده إلى هاهنا نحو المدينة يريد الهجرة فخرجوا فلما بلغوا اضاة بني غفار مات فأنزل الله عز و جل فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله رحمه الله. انظر: صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار المعرفة - بيروت، ط٢ ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩،تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، باب ذكر وفات سعيد بن محمد{٦٧٣/١}.

(٣) ضمرة بْن أبي العيص كَانَ من المستضعفين بمكة، فلما نزلت: إلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ ... الآية ، قَالَ: ذكرنا مَعَ النساء والولدان! فتجهز يريد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت: وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمرالقرطبي ، {١٦٩٤/٤}.

ثم بين كيف يصلون فقال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ معهم شهيداً ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ﴾ فأقمت بهم الصلاة فكبَّرتَ فليكبروا معك ﴿فَلْتَقُمْ﴾ فليكن ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ في الصلاة ﴿وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ فإذا ركعوا ركعة واحدة ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ فليرجعوا ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ إلى مصاف أصحابهم بإزاء العدو بعد إتمامهم للصلاة لأنفسهم ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى﴾ التي بإزاء العدو و﴿لَمْ يُصَلُّواْ﴾ معك الركعة الأولى ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ الركعة الثانية، ثم ليتموا لأنفسهم.

وإن كانت الصلاة صلاة المغرب صلى بالطائفة الأولى ركعتين وبالثانية ركعة ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ﴾ من عدوهم ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ وليأخذوا سلاحهم معهم ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تمنى الذين كفروا بنو نمار ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ فتضعوها ﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ وتخلون متاع الحرب ﴿فَيَمِيلُونَ﴾ فيحملون ﴿عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ حملة واحدة.

ثم رخص في وضع السلاح فقال: ﴿وَلاَ جُنَاحَ﴾ ولا حرج ﴿عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى﴾ جرحى ﴿أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ سلاحكم ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم ﴿إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ لبني أنمار ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٠٢] يهانون به. ويقال شديداً.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ﴾ فإذا فرغتم من صلاة الخوف ﴿فَاذْكُرُواْ اللهَ﴾ فصلوا لله ﴿قِيَامًا﴾ للصحيح ﴿وَقُعُودًا﴾ للمريض ﴿وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ للجريح والمريض ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ رجعتم إلى منازلكم وذهب عنكم الخوف ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ فأتموا الصلاة أربعاً ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ﴾ صارت ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣] مفروضاً معلوماً، في الحضر والسفر للمسافر ركعتين وللمريض أربعاً.

ثم حثهم على طلب أبي سفيان وأصحابه يوم أحد فقال: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ﴾ لا تعجزوا ولا تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ﴾ في طلب أبي سفيان وأصحابه ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ تتوجعون بالجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ يتوجعون ﴿كَمَا تَأْلَمونَ﴾ يتوجعون بالجراح ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ﴾ ثوابه وتخافون عقابه ﴿مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ ذلك ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بجراحكم ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤] حكم عليكم ابتغاء القوم(١).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٠٤/١}.

ثم بين قصة طعمة [(١)]بن أبيرق سارق الدرع من اليهودي زيد بن سمين الذي رمي بالسرقة فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ جبريل بالقرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ لبيان الحق والباطل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بين طعمة وزيد بن سمين ﴿بِمَا أَرَاكَ اللّهُ﴾ القرآن ﴿وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥] معينا، وهو لمقال قوم السارق حين قالوا: يا رسول الله جادل اليهود عن صاحبنا فإنك إلا تفعل يهلك ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللّهِ﴾ لهم من هذا المقال ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦]لمن مات على التوبة.

ويقال: غفوراً لذنبك رحيماً [بك[(٢)]].

﴿وَلاَ تُجَادِلْ﴾ تخاصم ﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالسرقة ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ خائناً بالسرقة ﴿أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧] فاجراً بالحلف الكاذب والبهتان على البريء.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ بالسرقة ﴿وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ﴾ لا يستحيون من الله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ يؤلفون ويقولون من القول ما لا يرضا الله ولا يرضونه ﴿وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ويقولون ﴿مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨] عالماً.

﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء﴾ أنتم يا قوم طعمة يعني بن ظفر ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ خاصمتم عنهم عن طعمة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ﴾ يخاصم الله ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ﴾ على طعمة ﴿وَكِيلاً﴾ [النساء:١٠٩]كفيلاً من عذاب الله.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ سرقة ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بالحلف بالباطل والبهتان على البريء ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ﴾ يتب إلى الله ﴿يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا﴾ للذنوب ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠] حين قبل توبته ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ سرقة ويحلف بالله كاذبا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ﴾ عقوبته ﴿عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا﴾ بسارق الدرع ﴿حَكِيمًا﴾[النساء:١١١]حكم عليه القطع.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ سرقة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو يحلف بالله كاذباً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ بما سرق ﴿بَرِيئًا﴾ زيد بن سمين[(٣)]﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾ أوجب على نفسه ﴿بُهْتَانًا﴾ عقوبة بهتان عظيم ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٢] عقوبة ذنب بين.

---

(١)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٤٠٤- ٤٠٥}.

(٢) سقط في (أ).

(٣)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٩/١٨٨}.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسال جبريل عليه السلام ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ لأضمرت وأرادت طائفة ﴿مُّنْهُمْ﴾[1] من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ أن يخطئوك عن الحكم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ عن الحكم ﴿إِلاُّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ شيئاً لأن مضرته على من شهد الزور.

﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ جبريل عليه السلام بالقرآن والحكمة، يعني وبين فيه الحلال والحرام والقضاء ﴿وَعَلَّمَكَ﴾ بالقرآن من الأحكام والحدود ﴿مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ قبل القرآن ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣] بالنبوة.

﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ من نجوى قوم طعمة ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ حث على صدقة مسكين ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قرض الإنسان ﴿أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بين طعمة وبين زيد بن سمين اليهودي ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الصدقة والقرض والإصلاح ﴿ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾ [طلب رضا الله[2]] ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ نعطيه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١١٤] ثواباً وافراً في الجنة.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ في التوحيد والحكم وهو طعمة ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ التوحيد والحكم ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ويختار غير دين المؤمنين دين أهل مكة الشرك ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ نتركه إلى ما اختار في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِ﴾ ندخله ﴿جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] صار إليه.

---

(١) اليهود والمنافقين كادوا أن يضلوا رسول الله القصة أن طعمة بن أبيرق، استودعه رجل من اليهود درعًا، فانطلق بها إلى داره، فحفر لها اليهودي ثم دفنها. فخالف إليها طعمة فاحتفر عنها فأخذها. فلما جاء اليهودي يطلب درعه، كافره عنها، فانطلق إلى ناس اليهود من عشيرته فقال: انطلقوا معي، فإني أعرف موضع الدرع. فلما علم بهم طعمة، أخذ الدرع فألقاها في دار أبي مُلَيْلٍ الأنصاري. فلما جاءت اليهود تطلب الدرع فلم تقدر عليها، وقع به طعمة وأناس من قومه فسبُّوه، وقال: أتخوِّنونني! فانطلقوا يطلبونها في داره، فأشرفوا على بيت أبي مليل، فإذا هم بالدرع. وقال طعمة: أخذها أبو مليل! وجادلت الأنصار دون طعمة، وقال لهم: انطلقوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له يَنْضَح عني ويكذِّب حجة اليهودي، فإني إن أكذَّب كذب على أهل المدينة اليهودي! فأتاه أناس من الأنصار فقالوا: يا رسول الله، جادل عن طعمة وأكذب اليهودي. فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل، فأنزل الله عليه: "ولا تكن للخائنين خصيمًا واستغفر الله". انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٨٦/٩}.

(٢) سقط في (أ).

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ إن مات عليه مثل طعمة ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ ذلك ما دون الشرك ﴿لِمَن يَشَاء﴾ لما كان أهلاً لذلك، وهو الصغائر كما قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء من الآية:٣١]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦] عن الهدى.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ ما يعبد أهل مكة من دون الله ﴿إِلاَّ إِنَاثًا﴾ أصناماً بلا روح اللات والعزى ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ ما يعبدون ﴿إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء:١١٧] متمرداً شريداً.

﴿لَّعَنَهُ اللهُ﴾ وطرده من كل خير ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لأَتَّخِذَنَّ﴾ لأسولن ولأستزلن ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[النساء:١١٨] (١) حظاً معلوماً فما أطيع فيه فهو مفروض.

ويقال: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون(٢) ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الهدى ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ لأرجينهم ألا جنة ولا نار ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾(٣) فليشقن ﴿آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ وهي البحيرة ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ ما خلق الله. ويقال هو الخصي(٤).

﴿وَمَن يَتَّخِذِ﴾ يعبد ﴿الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ رباً ﴿مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩] فقد غبن غبناً بيناً [بذهاب (٥)] الدنيا والآخرة ﴿يَعِدُهُمْ﴾ الشيطان ألا جنة ولا نار ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ يرجيهم بأن الدنيا لا تفنى ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠] باطلاً.

﴿أُوْلَـئِكَ﴾ الكفار ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مصيرهم جهنم ﴿وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء:١٢١] مفراً ولا ملجأ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ غرفها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ﴾ مقيمين ﴿فِيهَا﴾ في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ كائناً صادقاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلا﴾ [النساء:١٢٢] وعداً.

---

(١) يَعْنِي: «إِخْصَاءَ الْبَهَائِمِ» . انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {٢٩٢}.

(٢)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٠٨/١}.

(٣)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٠٨/١} وبحر العلوم للسمرقندي، {٣٤٠/١}.

(٤)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن {٢١٥/٩}.

خَصى الفحلَ خِصاءً ممدود سَلَّ خُصْيَيْه. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٣٠/١٤}.

(٥) سقط في (أ).

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ليس كما تمنيتم يا معشر المؤمنين ألا تؤخذوا بسوء بعد الإيمان ﴿وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ولا كما تمنى أهل الكتاب لقولهم ما نعمل بالنهار من الذنوب يغفر بالليل، وما نعمل بالليل يغفر بالنهار.

﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ شراً ﴿يُجْزَ بِهِ﴾ على قدر الاستحقاق إذا أصر عليه، ولم يتب إلى الله حق الوجوب. ويقال: يجزى المؤمن في الدنيا على سبيل الامتحان بمصلحة[1].

ويقال: بعد الموت قبل دخول الجنة، وليس بصحيح، ويجزى الكافر في الآخرة قبل دخول النار وبعد دخول النار.

﴿وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿وَلِيًّا﴾ قريباً ينفعه ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾[النساء:١٢٣] مانعاً يمنعه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ﴾ من الطاعات فيما بينه وبين الله ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ من رجال أو نساء ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ومع ذلك مؤمن مصدق بإيمانه ﴿فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء:١٢٤] لا ينقص من حسناتهم قدر نقير وهو النقرة التي على ظهر النواة[2].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أحكم ديناً وأحسن قولاً ﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾ أخلص دينه وعمله لله تعالى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يوحد بالقول والفعل ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دين إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ مسلماً ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ [النساء:١٢٥] مصافياً.

﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أهل السموات والأرض ﴿مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦] عالماً.

---

(١) مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ نزلت فِي الْمُؤْمِنِين مجازات الدُّنْيَا تصيبهم فِي النكبة بحجر، والضربة واختلاج عرق أَوْ خدش عود «أو عثرة قدم فيديمه» أَوْ غيره فبذنب قدم وما يعفو اللَّه عَنْهُ أكبر، فذلك قوله سُبْحَانَهُ وَما أصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ثُمّ قَالَ: وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا يعني قريبا ينفعه «وَلا نَصِيراً» يعني وَلا مانعا يمنعه من اللَّه- عَزَّ وَجَلَّ. فَلَمَّا افتخرت اليهود على المؤمنين بالمدنية بين اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- أمر الْمُؤْمِنِين- فَقَالَ سُبْحَانَهُ-: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ بتوحيد اللَّه- عَزَّ وَجَلَّ- فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً يعني وَلا ينقصون من أعمالهم الحسنة نقيرا حَتَّى يجازوا بها يعني النقير الَّذِي فِي ظهر النواة التي تنبت منه النخلة. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٠٩/١}.

(٢) نَقِيراً: النقير النكتة التي في ظهر النواة وروي عن أَبي الهيثم أَنه قال النَّقِيرُ نُقْرَةٌ في ظهر النواة منها تنبت النخلة. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٢٧/٥}.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء﴾ يسألونك في ميراث النساء، سأله عيينة ﴿قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يبين لكم ﴿فِيهِنَّ﴾ في ميراثهن ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ ويبين ما قرئ عليكم ﴿فِي الكتاب﴾ في أول سورة النساء ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاء﴾ في بنات أم كحة[1]﴿اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ﴾ لا تعطونهنَّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ ما وجد لهن في الميراث، وقد بين هذه الآية في أول سورة النساء.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وترغبون عن نكاحهن لقبل دمامتهن، فأعطوهن أموالهن لكي ترغبوا في نكاحهن لقبل مالهن.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ ويبين لكم ميراث الصبيان ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ ويبين لكم أن تقوموا بحفظ مال اليتامى بالعدل ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من إحسان إلى هؤلاء ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ﴾ وبنياتكم ﴿عَلِيمًا﴾ [النساء:١٢٧]. ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾[2] بنت محمد بن مسلمة ﴿خَافَتْ مِن بَعْلِهَا﴾ علمت من زوجها أسعد بن الربيع ﴿نُشُوزًا﴾ ترك مجامعتها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ ترك محادثتها ومجالستها ﴿فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا﴾ على الزوج والمرأة ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوج والمرأة ﴿صُلْحًا﴾ معلوماً ترضى به المرأة ﴿وَالصُّلْحُ﴾ على رضا المرأة ﴿خَيْرٌ﴾ من الجور والميل ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[3].

ويقال جبلت الأنفس على الشح تبخل بنصيب نفسها، والصحيح أنه وصف النفس بالبخل.

ويقال: طمعها يجرها إلا أن ترضى.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥٩/١}وهو: عيينة بْن حصن بْن حذيفة بْن بدر بْن عَمْرو بْن جوية بْن لوذان بْن ثعلبة بْن عدي بْن فزارة بْن ذبيان بْن بغيض بْن ريث بْن غطفان بْن سعد بْن قيس عيلان الفزاري يكنى: أبا مَالِك. أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلمًا، وشهد حنينًا أوْ الطائف أيضًا، وكان من المؤلفة قلوبهم. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣١٨/٤}.

(٢) { وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا } أَنَّ بِنْتَ مُحَمَّدِ بْن مَسْلَمَة ، كَانَتْ عِنْدَ رَافِعِ بْن خَدِيج ، فَكَرِهَ مِنْهَا أَمْرًا ؛ إِمَّا كِبَرًا أَوْ غَيْرُهُ فَأَرَادَ طَلَاقَهَا ، فَقَالَتْ : لَا تُطَلِّقْنِي ، وَأَمْسِكْنِي وَاقْسِمْ لِي مَا بَدَا لَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا } الْآيَةُ . أحكام القرآن للشافعي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق - قدم له: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، سورة النساء ، {٢٠٥/١}.

(٣) جبلت الْأَنفس على الشُّح وَالْبخل فتبخل بِنَصِيب زَوجهَا. انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٨١}.

﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾ تسووا بين الشابة والعجوز في القسمة والنفقة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الميل والجور ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الجور والميل ﴿خَبِيرًا﴾ [النساء:١٢٨]. ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ جهدكم ﴿فَلاَ تَمِيلُواْ﴾ بالبدن ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى الشابة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ الأخرى ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ كالمسجونة[1] لا أيم ولا ذات بعل ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ تسووا ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الميل والجور ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب من الميل والجور ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩] على من مات على التوبة ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ الزوج والمرأة بالطلاق ﴿يُغْنِ اللهُ كُلاًّ﴾ يعني الزوج والمرأة ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ من رزقه الزوج بامرأة أخرى، والمرأة بزوج آخر ﴿وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا﴾ لهما في النكاح ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:١٣٠] فيما حكم عليهما من العدل، وكان لأسعد بن الربيع امرأة أخرى شابة يميل إليها، فنهاه الله عن ذلك، وأمره بالتسوية بين العجوز والشابة[2].

﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الخزائن ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخزائن وغير ذلك ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ أمرنا ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني أهل التوراة في التوراة وأهل الإنجيل في الإنجيل ، وأهل كل كتاب في كتابهم ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا محمد في كتابكم ﴿أَنِ اتَّقُواْ اللهَ﴾ أطيعوا الله ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ بالله ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الملائكة جنود ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الجن والإنس وغير ذلك جنود ﴿وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا﴾ عن إيمانكم ﴿حَمِيدًا﴾ [النساء:١٣١] لمن وحده ، ويقال محمود في فعاله.

﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾ [النساء:١٣٢] رباً.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يهلككم أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ ويخلق خلقاً خيراً منكم وأطوع لله ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ على إهلاككم وخلق غيركم ﴿قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣] قادراً.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ منفعة الدنيا بعمله الذي افترض الله عليه ﴿فَعِندَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ فليعمل لله [فإن] ثواب الدنيا والآخرة بيد الله ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لمقالتكم ﴿بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤] بأعمالكم.

(١) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {٨٢}.

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٤٤/١}.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّـهِ﴾ يقول: كونوا قوامين لله بالقسط في الشهادة ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ في الرحم ﴿إِن يَكُنْ﴾ يعني الوالدين ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ أحق بحفظهما ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ﴾ ألا تعدلوا في الشهادة ﴿وَإِن تَلْوُواْ﴾ وأن تلجلجوا ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ لا تقيموا الشهادة عند الحكام ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

نزلت في مقياس كانت عنده شهادة على أبيه(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يوم الميثاق وكفرتم بعد ذلك ﴿آمِنُواْ﴾ اليوم ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ ويقال هذا وليس بصحيح.

ويقال: سماهم بأسماء آبائهم.

نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأسد و أسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس، وسلم ابن أخت عبد الله بن سلام، ومسيلمة ابن أخيه و يامين بن يامين، فهؤلاء مؤمنو أهل التوراة(٢).

نزلت فيهم يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد.

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ محمد يعني القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد والقرآن على سائر الأنبياء.

ويقال: هذا وصف الإيمان لمن آمن.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ﴾ وبملائكته ﴿وَكُتُبِهِ﴾ وبكتبه ﴿وَرُسُلِهِ﴾ وبرسله ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وبالبعث بعد الموت ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦] عن الهدى، فلما نزلت هذه الآية دخلوا في الإسلام.

ثم نزل في الذين لم يؤمنوا بمحمد والقرآن فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعد موسى ﴿ثُمَّ آمَنُواْ﴾ بعزير ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعد عزير بالمسيح ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بعد عزير والمسيح،

---

(١) (وَإِنْ تَلْوُوا) يعني التحريف بالشهادة: يلجلج بها لسانه فلا يقيمها ليبطل بها شهادته (أَوْ تُعْرِضُوا عَنْهَا) فلا تشهدوا بها (فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ) من كتمان الشهادة وإقامتها (خَبِيراً). نزلت فِي رجل كانت عنده شهادته عَلَى أبيهِ فأمره اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- أن يقيمها لله عَزَّ وَجَلَّ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤١٤/١}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩٧/١}.

ثم استقاموا على الكفر بمحمد ﴿لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلك ﴿وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٣٧] صواباً وطريق الهدى، أي لا يحكم لهم بذلك ولا يقع عليهم اسم الهدى(١).

ثم نزل في المنافقين قوله: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه ومن يكون إلى يوم القيامة منهم ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٣٨] وجيعاً يخلص وجعه إلى قلوبهم.

ثم بين صفتهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء﴾ في العون والنصرة ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ أيطلبون ﴿عِندَهُمُ﴾ عند اليهود ﴿الْعِزَّةَ﴾ والقدرة والمنعة ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ﴾ والقدرة والمنعة ﴿لِلَّـهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أمر لكم في القرآن إذ أنتم بمكة ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ﴾ ذكر محمد والقرآن ﴿يُكَفَرُ بِهَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ فلا تجلسوا معهم في الخوض ﴿حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ حتى يكون خوضهم وحديثهم في غير محمد والقرآن ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إذا جلستم معهم بغير كره ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الخوض والاستهزاء ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾ منافقي أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ كفار مكة أبا جهل وأصحابه، وكفار أهل مكة كعباً وأصحابه ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠](٢).

ثم بين من هم فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون بكم يعني الدوائر والشدة ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ﴾ نصرة وغنيمة ﴿قَالُواْ﴾ يعني المنافقين للمخلصين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على دينكم أعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ﴾ لليهود ﴿نَصِيبٌ﴾ دولة ﴿قَالُواْ﴾ لليهود ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٤٨/١} وتفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {٣٨٨/٣}. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م {١١٩/٢}.

(٢) حذّرَ سبحانه وتعالى أن من والاهم، بمودةٍ أو مجاورة فداناهم - الارتداد - بذلك من موالاتهم عن دينه، ومن قبل ذلك ما أخبر بمرض قلبه في يقينه، وكيف لا يكون من والاهم مرتداً إليهم، وقد حكم الله عليه بحكمه عليهم، فكُفرُه بموالاته لهم ككفرهم، وأمره في الكفر لنعم الله أمرهم، وكيف لا يكون في الكفر كهم، وقد جعله تبارك وتعالى مثلهم، فقال سبحانه: {وقد نُزِّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً}، فجعلهم الله سبحانه في موالاتهم لهم من المنافقين والكفار، وأحلّهم جميعاً كلهم محل أهل النار. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، {٢٤٨}.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ ألم نفش عليكم سر محمد ونخبركم به ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من قتال المؤمنين ونخبر عنكم المؤمنين ﴿فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يا معشر المنافقين وبين اليهود ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ﴾ لليهود ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤١] (١) دولة دائماً ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ﴾ يكذبون الله في الرسول ويخالفونه ويظنون أنهم يخادعون الله ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾(٢) يوم القيامة على الصراط حتى يقول المؤمنون ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وقد علموا أنهم لا يرجعون.

﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾ أتوا إلى الصلوات ﴿قَامُواْ كُسَالَى﴾ متثاقلين ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ﴾ إذا رأوا الناس أتوا وصلوا، وإذا لم يروا لم يصلوا ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ﴾ ولا يصلون لله ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء:١٤٢] رياء وسمعة ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ يترددون بين الكفر والإيمان كفر السر وإيمان العلانية ﴿لاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ ليسوا من المؤمنين في السر، فيجب لهم ما يجب للمؤمنين ﴿وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ وليسوا مع اليهود في العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ﴾ في السر ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤٣] دليلاً ولا حجة في السر والإضلال على معنى الحكم والتسمية وغير ذلك على ما وصفته وتقدم ذكره(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بالعلانية يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ﴾ اليهود ﴿أَوْلِيَاء﴾ في التعزز ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ يا معشر المنافقين ﴿أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ﴾ لرسول الله ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤] حجة بينة وعذراً بيناً بالقتل ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ في النار لقبل سرورهم ومكرهم وخيانتهم للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥] مانعاً.

---

(١) إن تنصروا دين الله ينصركم؛ أي: يجعل الظفر؛ والنصر في العاقبة لكم، وكذلك: وإن كان في ابتداء الأمر الغلبة على المؤمنين؛ فإن العاقبة لهم في الحروب كلها، ومقدار ما كان عليهم إنما كان لأمر سبق منهم: إمَّا إعجابًا بالكثرة؛ كقوله ـ تعالى ـ: (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا)، وإما خلافًا لرسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّمَ. انظر: تفسير الماتريدي ، أبو منصور الماتريدي ، {٤٩٢/٢}.

(٢) فأبى الله تبارك وتعالى أن يجعلهم من المؤمنين، وأبى جل وعلا أن يجعلهم من المشركين، فلا أجد أحداً من أهل القبلة أشد مخالفة لكتاب الله تبارك وتعالى منهم. انظر: مجموع رسائل الإمام الأعظم زيد بن علي ، {١٧٠}.

(٣) تقدم ذكره [سورة البقرة آية: ٢٧].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ من النفاق وكفر السر ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ فيما بينهم وبين ربهم من المكر والخيانة ﴿وَاعْتَصَمُواْ بِاللهِ﴾ تمسكوا بتوحيد الله في السر ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ﴾ توحيدهم ﴿لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في السر ويقال: مع المؤمنين في الوعد.

ويقال: مع المؤمنين في السر والعلانية، ويقال: مع المؤمنين في الجنة.

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ﴾ يعطِ الله ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦] ثواباً وافراً في الجنة.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللهُ﴾ ما يصنع ﴿بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ إن وحدتم في السر ﴿وَآمَنتُمْ﴾ صدقتم بإيمانكم في السر ﴿وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا﴾ يشكر اليسير وبجزي الجزيل، ﴿عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧] بمن شكر ومن لا يشكر.

﴿لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بالشتم ﴿إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ فقد أذن له بالدعاء. ويقال: ولا ممن ظلم(١). ﴿كَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ بدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨] بعقوبة الظالم.

نزلت في رجل شتمه رجل(٢).

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ تردوا جواباً حسناً ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ﴾ عن مظلمة ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ للمظلوم ﴿قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩] لعقوبة الظالم.

ويقال: هذا في من أكره على الكفر والرجوع عن الإسلام كما فعل بعمار وصاحبيه رحمة الله عليهما.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ يعني كعباً وأصحابه ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ بالنبوة والإسلام ﴿وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ بعض الكتب والرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ بعض الكتب والرسل ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلا﴾ [النساء:١٥٠] ديناً.

---

(١) يبدو أن هذا القول كقوله تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا}، وكقوله: {وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ}، وكقوله: {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، في دائرة المسلمين ليحفظوا وحدتهم ويحرصوا على سد الثغرات التي تقدم خدمة لأعداء الأمة، وأما بالنسبة لأعداء الأمة من اليهود والمنافقين {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً}.

(٢) نزلت فِي أَبِي بَكْر- رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- شتمه رَجُل والنبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جالس فسكت عَنْهُ مرارا ثُمّ رد عَلَيْه أَبُو بَكْر- رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- فقام النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْد ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو بكر- رَضِيَ اللَّه عَنْهُ-: يا رَسُول الله، شتمني وأنا ساكت، فلم تقل لَهُ شيئًا حَتَّى إذا رددت عَلَيْه قمت. قَالَ: إن ملكا كان يجيب عنك، فلَمَّا أن رددت عَلَيْه ذهب الملك وجاء الشَّيْطَان، فلم أكن لأجلس عِنْد مجيء الشَّيْطَان. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤١٨/١}.

﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ البتة بلا شك في كفرهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ لليهود وغيرهم ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥١] يهانون به، ويقال شديداً.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وهو عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ من النبيين وبين الله بالنبوة والإسلام ﴿أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ يعطيهم ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثوابهم في الآخرة ﴿وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمًا﴾[النساء:١٥٢] لمن مات على التوبة.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ كعب وأصحابه ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كالتوراة[1].

ويقال: أن ينزل عليهم كتاباً في خيرهم [وشرهم[2]]، وثوابهم وعقابهم.

﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ﴾ مما يسألونك ﴿فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً﴾ معاينة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فأحرقتهم النار ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ بتكذيبهم موسى وجرأتهم على الله ﴿ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ﴾ عبدوا العجل ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الأمر والنهي ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾ تركناهم ولم نستأصلهم ﴿وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٥٣] حجة بينة اليد والعصا ﴿وَرَفَعْنَا﴾ قلعنا ﴿فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعاً ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ﴾ يوم السبت بأخذ الحيتان ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[النساء:١٥٤] وثيقاً في محمد ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ فعلنا بهم ما فعلنا ﴿وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ﴾ وبكفرهم بمحمد والقرآن ضربت عليهم الجزية ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء﴾ وبقتلهم الأنبياء ﴿بِغَيْرِ حَقًّ﴾ بلا جرم أهلكناهم ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ وبقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أوعية لكل علم وهي لا تعي ذلك ﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا﴾ بل ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم[3]﴿ بِكُفْرِهِمْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد والقرآن

---

(١) نزلت في اليهود وذلك أن كَعْب بن الأشرف، وفنحاص اليهودي قالوا للنبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إن كُنْت صادقا بأنك رسول فأتنا بكتاب غَيْر هَذَا، مكتوب في السماء جملة واحدة كَمَا جاء به مُوسَى. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٤١٩/١}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) قال الإمام القاسم الرسي: وعلى العبد أن يعلم أن الله جل ثناؤه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يضل أحداً حتى يبين لهم ما يتقون، فإذا بيَّن لهم ما يتقون، وما يأتون وما يذرون، فأعرضوا عن الهدى، وصاروا إلى الضلالة والردى، أضلهم بأعمالهم الخبيثة حتى ضلوا، كذلك قال جل ثناؤه: {ويضل الله الظالمين} [إبراهيم: ٢٧]. وقال سبحانه: {وما يضل به إلا الفاسقين، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه} [البقرة: ٢٦ - ٢٧]. وقال تبارك وتعالى: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم} [الصف: ٥]. وقال جل ثناؤه: {بل طبع الله عليها بكفرهم} [النساء: ١٥٥].
وقد يجوز أيضاً أن يكون معنى يضل: أن سمَّاهم ضُلاَّلا، وشهد عليهم بالضلال ووصفهم به، من غير أن يدخلهم في الضلالة ويقسرهم عليها، فإن رجعوا عن الضلالة وتابوا، وصاروا إلى الهدى، سمَّاهم مهتدين، وأزال عنهم اسم الضلال والفسق. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم ، {٥٩٥/١}.

﴿إِلاَّ قَلِيلا﴾ [النساء:١٥٥]. ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى بن مريم [والإنجيل][1] ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٥٦] وهي الفرية جعلناهم خنازير[2]. ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ وبقولهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ أهلك الله صاحبهم بطيانوس ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ولكن ألقى شبه عيسى عليه السلام على بطيانوس فقتلوه بدل عيسى عليه السلام.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في قتله ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله ﴿مَا لَهُم بِهِ﴾ [بقتله][3] ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ إلا الظن.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء:١٥٧] ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ إلى السماء ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿حَكِيمًا﴾[النساء:١٥٨] بنصرة أوليائه نجى نبيه وأهلك صاحبهم.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وما من أهل الكتاب اليهود والنصارى أحد ﴿إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى أنه لم يكن ساحراً ولا الإله ولا ابنه ولا شريكه ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قبل خروج نفسه عند المعاينة فلا ينفعه ذلك.

ويقال: قبل موته بعد نزول عيسى عليه السلام.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩] بالبلاغ.

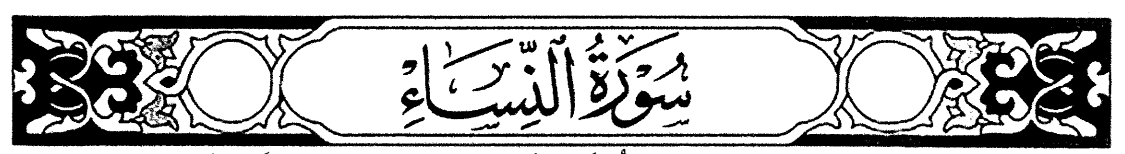
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ يقول بظلمهم ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله ﴿كَثِيرًا﴾ [النساء:١٦٠] ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا﴾ واستحلالهم الربا ﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ﴾ وبأكلهم ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالظلم والرشوة ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ﴾

---

(١) سقط في (أ).

(٢) عن ابن عباس: إنّ عيسى (عليه السلام) استقبل رهطا من اليهود وقالوا: الفاجر بن الفاجرة والفاعل بن الفاعلة، فقذفوه وأمّه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم، وقال: اللهم أنت ربي وأنا عبدك من روح نفخت ولم أتهم من تلقاء نفسي «اللهم فالعن من سبّني وسبّ أمّي» فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبّوه وسبّوا أمّه خنازير، فلما رأى رأس اليهود ما جرى بأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته آنفا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه وجعلوا يسألونه فقال لهم: كفرتم وان الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا إليه ليقتلوه فبعث الله تعالى جبرئيل، وأدخله خوخة فيها روزنة في سقفها فصعد به إلى السماء من تلك الروزنة فأمر يهودا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل ططيانوس الخوخة لم ير عيسى بداخلها فظنوا إنه يقاتله فيها وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى، فلما خرج ظن إنه عيسى فقتلوه وصلبوه. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٤٠٩/٣}.

(٣) سقط في (أ).



الثروب من الشحم، ولحم الإبل وألبانها ﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ كانت عليهم حلالاً ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦١] وجيعاً يخلص وجعه إلى قلوبهم.

﴿لَّـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ المبالغون ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ في علم التوراة ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، يقرون بالقرآن وسائر الكتب إن لم يقر به اليهود ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وجملة المؤمنين ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ على سائر الأنبياء ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ والمتمون الصلوات الخمس، يقرون بالقرآن وسائر الكتب ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ والمؤدون زكاة أموالهم أيضاً يقرون بالقرآن وسائر الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بالبعث بعد الموت أيضاً يقرون بالقرآن وسائر الكتب، كل هؤلاء يقرون بالكتاب بالقرآن وسائر الكتب إن لم يقر بها اليهود.

وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ أراد بما أنزل إليك وإلى المقيمين.

ويقال: هو مردود إلى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ويؤمنون بالمقيمين كما قال ويؤمن للمؤمنين يعني بالمؤمنين، ويقال: هو نصب على المدح[1]. ويقال: هو نصب على تطاول الكلام[2].

ثم ابتدأ فقال: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ثم بين ثوابهم فقال: ﴿أُولَـٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ سنعطيهم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٦٢] ثواباً وافراً في الجنة.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أرسلنا إليك جبريل بالقرآن ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أرسلنا جبريل أيضاً إلى إبراهيم ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿دَاوُودَ زَبُورًا﴾

---

(١) وقال آخرون، وهو قول بعض نحويي الكوفة والبصرة: "والمقيمون الصلاة"، من صفة "الراسخين في العلم"، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين" الراسخين في العلم"،"والمقيمين الصلاة" ما اعترض من الكلام فطال، نصب"المقيمين" على وجه المدح. قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانًا، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله. وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه. وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب. واستشهدوا لقولهم ذلك بالآيات التي ذكرتها في قوله: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) [سورة البقرة: ١٧٧]. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {٣٩٥/٩}.

(٢) قال أبو عبيدة: هو نصب على تطاول الكلام بالنسق. انظر: تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) ، باب مادل على القرآن من اللحن {٣٩}.

[النساء:١٦٣] ﴿وَرُسُلاً﴾ رسلا ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ قد سميناهم لك ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذه السورة ﴿وَرُسُلاً﴾ رسلاً ﴿لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ لم نسمهم لك ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] من غير أن كان بين الله عز وجل وبين موسى عليه السلام أحد من الملائكة[1].

﴿رُّسُلاً﴾ كل هؤلاء الرسل أرسلناهم ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالجنة لمن آمن بالله ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار لمن لا يؤمن بالله ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾ لكيلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ بعد إرسال الرسل إليهم لكيلا يقولوا لم ترسل إلينا الرسل ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ بالنقمة لمن لا يجيب رسله ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] حكم عليهم إجابة الرسل.

ثم نزل في أهل مكة لقولهم سألنا أهل الكتاب عنك فلم يشهد أحد منهم أنك نبي، فنزل: ﴿لَّـكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ إن لم يشهد غيره ﴿بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني جبريل بالقرآن ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ بأمره ﴿وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ على ذلك ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦] إن لم يشهد غيره ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:١٦٧] عن الهدى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَظَلَمُواْ﴾ هم الذين أشركوا بالله ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلك ﴿وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء:١٦٨] طريق هدى ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا معنى الحكم والتسمية في الدنيا ولا يهديهم إلى طريق الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في جهنم لا يموتون ولا يخرجون ﴿أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الخلود والعذاب ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:١٦٩] هيناً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَإِنَّ

---

(١) سُئل الإمام الهادي عن قوله سبحانه وتعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} فقال: اعلم هداك الله أن الله تبارك وتعالى لم يوح إلى أحد من الأنبياء إلاَّ على لسان الملك الكريم جبريل عليه السلام، وكذلك إلى موسى صلى الله عليه، فقد كان منه الإيحاء إليه على لسان جبريل حتى كان في هذا الوقت الذي ذكره الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، فكان من الله إليه ما ذكره الله سبحانه من الكلام له عليه السلام. لذلك الكلام الذي شاء الله إسماعه إياه؛ لما أراد من كرامته واجتبائه ـ كفهمه لما به كان يأتيه جبريل عن الله من وحيه سواء سواءً. فلما أن لم يكن بين الله سبحانه وبين موسى صلى الله عليه ـ لهذا الكلام المخلوق في الشجرة ـ مُؤد يؤديه إليه؛ كما كان يكون فعله في غيره مما ينزله عليه؛ جاز أن يقول: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}، يريد: أسمع موسى وأبلغه ما كان يريد من الكلام والوحي إسماعاً؛ بلا مؤد لذلك إليه. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ، {٥٧١}.



لِلَّـهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عبيداً ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بمن يؤمن وبمـن لا يـؤمن ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧٠] حكم عليهم ألا يعبدوا غيره.

ثم نزل في نصارى أهل نجران(١)النسـطورية(٢)، هـم الـذين قـالوا عيسـى ابـن الله والماريعقوبية ، وهم الذين قالوا عيسى هو الله، والمرقوسية، وهم الذين قالوا ثالـث ثلاثـة، والملكانية، وهم الذين قالوا عيسى والرب شريكان، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ لا تشددوا في دينكم فإنه ليس بحق ﴿وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ﴾ إلا الصدق.

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ فصار بكلمة من الله مخلوقـاً ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وبأمر منه صار ولداً بلا أب ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ جملة الرسل عيسى وغيـره ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾ ولد ووالد وزوجة ﴿انتَهُواْ﴾ عن مقالتكم وتوبوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ من مقـالتكم ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه ﴿أَن يَكُونَ لَـهُ وَلَـدٌ﴾ من أن يكون

---

(١) {قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق} أي غلواً باطلاً الغلو في الدين غلوان حق وهو: أن يفحص عن خفائه ويفتش عن ..... معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعله المتكلمون من أهل العدل، والتوحيد رضي الله عنهم وغلواً باطلاً وهو: أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع السنة كما يفعل أهل الأهواء والبدع {ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل} هم علماء هم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) {فأضلوا كثيراً} ممن شايعهم وتابعهم على التثليث والشرك وضلوا لما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) {عن سواء السبيل} عن وسط الطريق حين كذبوه وحسدوه وبغو عليه {لعن الذين الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم} يعني أن الله نزل لعنهم في الزبور على لسان داود في الإنجيل على لسان عيسى وقيل: إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قالة داود: (اللهم العنهم واجعلهم آية) فمسخوا قردة ولما كفرا......عيسى بعد المائدة قال عيسى: (اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت) فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف ما فيهم امرأة ولا صبي {ذالك بما عصو وكانوا يعتدون}. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {١/٦٠٠}.

(٢) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيداً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا - يعني اليهود الذين علم الله تعالى منهم إنهم لا يؤمنون- لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً) يعني دين الإسلام (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ يعني اليهودية خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) إلى قوله تعالى: (يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا) نزلت في النسطورية والماريعقوبية والملكانية والمرقوسية وهم نصارى نجران وذلك إن الماريعقوبية قالوا لعيسى: هو الله، وقالت النسطورية: هو ابن الله، وقالت المرقوسية: هو روح الله، فأنزل الله تعالى يا أَهْلَ الْكِتابِ يعني يا أهل الإنجيل وهم النصارى لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ أي لا تتشددوا في دينكم فتفتروا عليّ بالكذب، وأصل الغلو مجاوزة الحد في كل شيء. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٣/٤١٨}.

له ولد ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ عبيداً ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾ [النساء:١٧١] ربـاً وشـهيداً على ما قال من خبر عيسى.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لم يأنف المسيح ﴿أَن يَكُونَ عَبْداً لِلَّـهِ﴾ أن يقر بالعبودية لله.

نزلت [هذه الآية](١)في قولهم إنه عار على صاحبنا ما يقول محمد، فأنزل الله أنه ليس بعار أن يكون عيسى عبداً لله ﴿وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يقول ولا يأنف الملائكة المقربون حملة العرش أن يقروا بالعبودية لله.

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ﴾ يأنف ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ عن الإقرار بعبوديتـه ﴿وَيَسْتَكْبِرْ﴾ عـن الإيمـان ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ﴾ يوم القيامة ﴿جَمِيعًا﴾[النساء:١٧٢] الكافر والمؤمن.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبـين ربهـم ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ فيوفرهم ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثوابهم في الجنة ﴿وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وكرامته ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ﴾ أنفـوا ﴿وَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان بمحمد والقرآن ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلُيمًا﴾ وجيعاً ﴿وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿وَلِيًّا﴾ قريباً ينفعهم ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٧٣] مانعاً يمنعهم من عذاب الله.

ويقال: إن قوله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِلَّـهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فيه دليل علـى أن الملائكة أفضل الخلق عنده(٢).

وقالوا: لو كانت الملائكة دون عيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام في الفضل والقدر لم يكن جائزاً في الحكمة أن يجعلها غاية الوصف في الفضل والنهاية، كما لا يجوز لقائل حكـيم عاقل أن يقول: لن يستنكف الخليفة الإمام أن يأتيني، ولا الذين هم دونه، ولن يستنكف الأحرار أن يخدموني ولا العبيد المملوكون، ولن يستنكف العلماء أن يسألوني، ولا الجاهلون.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ (٣) نفسهم عنده في المنزلة والوسيلة، ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾، وقالوا ليس بمجبولين على أعمالهم، والدليل عليه فـي قولـه تعـالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين﴾ (٤).

---

(١) سقط في (أ).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٨٩/١}.

(٣) الأنبياء من الآية: ١٩.

(٤) الأنبياء: ٢٩.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ رسول من ربكم ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ إلى نبيكم ﴿نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء:١٧٤] كتاباً مبيناً بالحلال والحرام ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ﴾ وبمحمد والقرآن ﴿وَاعْتَصَمُواْ بِهِ﴾ تمسكوا بتوحيد الله ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ وفي جنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ وكرامة منه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٥] ويثبتهم على صراط مستقيم في الدنيا مقدم ومؤخر، يقول يثبتهم في الدنيا على الإيمان، ويدخلهم في الآخرة الجنة.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ يسألونك يا محمد.

نزلت هذه الآية في جابر بن عبد الله الأنصاري(١)، سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله : إن لي أختاً مالي منها إن ماتت، فقال الله: ﴿يسألونك﴾ يا محمد عن ميراث الكلالة ﴿قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يبين لكم ﴿فِي الْكَلاَلَةِ﴾ والكلالة ما خلا الوالد والولد.

ثم بين فقال: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ولا والد ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ من أمه وأبيه أو من أبيه ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ الميت من المال ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ إن ماتت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ذكر ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ كانتا أختين من أب وأم أو من أب ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ قسمة الميراث ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ كي لا تضلوا في قسمة الميراث ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من قسمة المواريث وغيرها ﴿عَلِيم﴾[النساء:١٧٦].

وقال علي بن محمد: اعلم أن أهل الفرائض في الجملة ثلاث طبقات، فمنهم عصبة لا سهم له، ومنهم ذو سهم لا يكون عصبة أبداً، ومنهم ذو سهم وربما صاروا عصبة.

فأما الذين هم عصبة فهم الذين لا سهم لهم في الكتاب ولا في السنة مثل البنين وبني البنين وإن نزلوا، والإخوة من الأب والأم، والأخوة من الأب وأولادهم الذكران وأن يتركوا الأعمام من الأب والأم والأعمام من الأب، وأولادهم الذكور وان يتركوا موالي العتاق.

وأما الذين هم ذوو سهام لا يصيرون عصبة أبداً فهم ستة: الزوج والمرأة، والأم والجدة، والإخوة والأخوات من الأم(٢).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٢٦/١}.

(٢) انظر: تحرير أبي طالب: الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني ، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان ، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م حقوق الطبع محفوظة للناشر ،تم الصف والتحقيق والإخراج بمركز النور للدراسات والبحوث اليمن - صعدة ، باب ذكر أصول الفرائض {٣٠٢/٢}

وأما الذين هم ذوو سهام وربما صاروا عصبة فهم ستة نفر: البنات وبنات الابن وإذا اختلطن بالبنين، وبني البنين، صرن عصبة،[والأخوات لأب وأم ولأخوات لأب وإذا] كن مع البنات أو بنات الابن صرن عصبة، والأب والجد إذا لم يكن ابن[١] صارا عصبة.

والعصبة كل ولد [ذكر[٢]] يكون نسبه من قبل الذكر لا ينقطع عنه كابن الابن وابن ابن الأخ، وابن ابن عم ونحوهم، فإنهم عصبات؛ لأنهم ذكور فيدلون بالذكور[٣].

فأما ابن الابنة أو ابن الأخت أو ابن ابنة الأخت أو ابن ابنة الابن ونحوهم ممن ينقطع نسبهم عن الذكور فليسوا بعصبة وهم ذوو أرحام يرفعون إلى الوارثين الذين ينتمون إليهم فيعطون قدر مواريثهم على ما بيناه في كتاب الكافي[٤].

ولا يرث أحد من النساء بتعصيب إلا المعتقة والأخوات مع البنات وبنات الابن والرجال كلهم يرثون بالتعصيب إلا الزوج، والأخ من الأم فإنهما لا يكونان عصبة بحال.

---

(١) في (ب) ولد.

(٢) سقط من(أ).

(٣) انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ، {٢/٣٠٤-٣٠٥}.

(٤) كتاب الكافي في الفقه على مذهب الهادي يحي بن الحسين (عليه السلام) مفقود.

ومن السورة التي يذكر فيها المائدة

وهي مكية مدنية.(١)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيم ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ أي بالعهود التي بينكم وبين الله أو بين الناس.

ويقال: أتموا الفرائض التي افترضت عليكم يوم الميثاق، والمراد به وقت التكليف، ولزومه.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ رخصت عليكم صيد البرية مثل بقر الوحش والظباء ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ إلا ما حرم عليكم في هذه السورة ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ غير مستحلي الصيد ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ في الحرم ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيد﴾ [المائدة:١] يقول يحل ويحرم ما يريد في الحل والحرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ﴾ لا تستحلوا ترك المناسك كلها ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يقول ولا الغارة في الشهر الحرام ﴿وَلاَ الْهَدْيَ﴾ يقول ولا أخذ الهدي الذي يهدى إلى البيت ﴿وَلاَ الْقَلآئِدَ﴾ يقول ولا أخذ القلائد التي تقلد بلحاء شجر الحرم (٢) ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ يقول: ولا الغارة على المتوجهين إلى بيت الله الحرام وهم (٣)حجاج اليمامة قوم بكر بن

---

(١) سُورَة الْمَائِدَة مَدَنِيَّة كلهَا إِلَّا قَوْله تَعَالَى: {الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ وَأَتْمَمْت عَلَيْكُم نعمتي ورضيت لكم الْإِسْلَام دينا}. انظر: تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية،ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، باب ١٧٦{٥/٢} والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٦٠٠/١}.

(٢) القلائد: الإبل المقلدة المعلمة بلحاء الشجر، جعلها الله قياما للناس أي أمانا، فالهدي أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه في عبادة، لم يأت لحرب، وكذلك القلائد من الإبل التي تقلد بلحاء الشجر أو غيره، فتكون أمانا لمن قلدها، وكان هذا التقليد أو العادة المتبعة محلّ تعظيم شديد في نفوس العرب. انظر: التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق، ط١ - ١٤٢٢ هـ ، باب سورة المائدة{٥٠٢/١}.

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ، {٣٦٦/١}.

وائل[1] المشرك وتجار شريح بن ضُبَيْعة[2] المشرك ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿فَضْلاً﴾ رزقاً ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ من ربهم بالحج مقدم ومؤخر.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ خرجتم من الحرم والإحرم بعد أيام التشريق ﴿فَاصْطَادُواْ﴾ صيد البرية إن شئتم ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ بغض أهل مكة ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ صرفوكم ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عام الحديبية ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ أن تظلموا على حجاج بكر ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ﴾ على الطاعة ﴿وَالتَّقْوَى﴾ ترك المعاصي ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ﴾ المعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ والاعتداء والظلم على حجاج بكر بن وائل ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ﴾ فيما أمركم ونهاكم ﴿إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢] إذا عاقب لمن ترك أمره.

ثم بين ما حرم عليهم فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾أكل الميتة التي لم تذبحوها﴿وَالْدَّمُ﴾ المسفوح السائل القاطر﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ﴾ يقول ما ذبح لغير اسم الله متعمداً ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وهي التي تخنق حتى تموت ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وهي التي تضرب بالخشبة حتى تموت أو تشرف عليه[3].

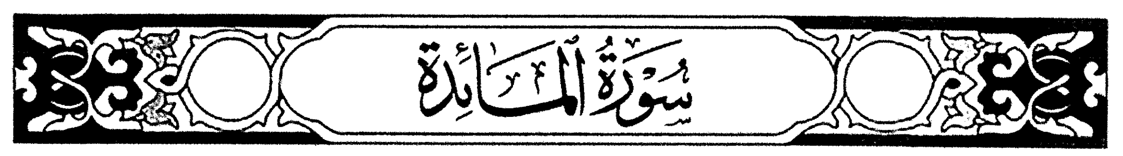
ويقال: إن الصابين كذلك يفعلون بذبائحهم ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي التي تسقط من رأس الجبل أو من علوٍ وتردت منه ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي ينطحها صاحبها فتموت ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ وهي

---

(١) نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري، أتى المدينة وخلّف خيله خارج المدينة، ودخل وحده على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له: إلام تدعو الناس؟ فقال له: «إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، [وأنّ محمدا رسول الله] ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»، فقال: حسن، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم، ولعلّي أسلم وآتي بهم، وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه: «يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان»، ثم خرج شريح من عنده، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم»، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق، فاتّبعوه فلم يدركوه، فلمّا كان العام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة، وقد قلّدوا الهدي، فقال المسلمون للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: هذا الحطم قد خرج حاجا فخلّ بيننا وبينه، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنه [قد] قلّد الهدي»، فقالوا: يا رسول الله، هذا شيء كنّا نفعله في الجاهلية، فأبى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٨/٢}.

(٢) شريح بن ضبيعة بن شرحبيل ابن عُمَر بن جرثوم البكري من بني قَيْس بن ثَعْلَبَة وَفِي حُجّاج المشركين. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٥٠/١}.

(٣) انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ، {٣٢٠/٢}.



فريسته ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم وفيه الروح فذبحتموها ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ أي لآلهتهم التي كانوا ينصبونها ويعبدونها ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ﴾ وهي القداح عليها كتب وعلامات، فإن خرج لهم تلك الكتب والعلامات جعلوه هداية ودلالات[١].

ويقال: المنخنقة التي تخنق في خناقها حتى ماتت، و الموقوذة التي تضرب حتى توقذ فتموت، والمتردية التي تردى من جبل أو حائط أو نحو ذلك، فتموت، و النطيحة التي نطحها صاحبها فتموت[٢].

ويقال: حرم عليكم الاستعمال بالأزلام، وهي الأقداح التي كانت مكتوبة على جانب: أمرني ربي، وعلى جانب آخر نهاني ربي يعملون بها في أمورهم.

ويقال: كانوا يعمدون إلى قداحين فيكتبون على أحدهما: أمرني وعلى الآخر أنهني، إذا أرادوا أمراً، فنهاهم الله عن ذلك

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت لكم ﴿فِسْقٌ﴾ واستعماله فسق والاستحلال له كفر[٣]﴿الْيَوْمَ﴾ يوم الحج الأكبر حجة الوداع ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كفار مكة ﴿مِن دِينِكُمْ﴾ من رجوعكم إلى دينهم بعدما تركتم دينهم وشرائع دينهم ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾ في اتباع محمد ومخالفتهم ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في ترك اتباع محمد وموافقتهم.

---

(١) {وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ} أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام، والاستقسام هو طلب القسم، والحكم من الأزلام، والأزلام هي: القداح التي لا ريش لها ولا نصل، واحدها: زلم وزلم، بفتح الزاي وضمّها وكانتأزلامهم سبعة قداح مستوية من شوحط ، يكون عند سادن الكعبة، مكتوب على واحد نعم، وعلى واحد لا، وعلى واحد منكم، وعلى واحد من غيركم، وعلى واحد ملصق ، وعلى واحد العقل، وواحد غفل ليس عليه شيء، فكانوا إذا أرادوا أمرا من سفر أو نكاح أو ختان أو غيره، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك وحرّمه، وَقَالَ: {ذَلِكُمْ فِسْقٌ}. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١١/٣}.

(٢) عن ابن عباس: " والمنخنقة" التي تُخنق فتموت. وعن قتادة: "والمنخنقة"، كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها. "والموقوذة المضروبة حتى الهلاك". انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ،{٤٩٥/٩}.

(٣) معنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له {ذلكم فسق} أي: ذلكم الاستقسام فسق وكان فسقاً لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب، واعتقاد أن إليه طريقاً وإلى استنباطه وقوله نهاني ربي وأمرني ربي افتراء على الله. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٥٣٩/١}.

﴿الْيَوْمَ﴾ يوم الحج ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقال: بينت لكم شرائع دينكم من الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ منتي ألا يجتمع معكم بعد هذا اليوم مشرك بالعرفات والمنى والطواف، والسعي بين الصفا والمروة ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(1).

ويقال: نزلت هذه الآية في ولاية علي عليه السلام وهو الصحيح(2).

وعن ابن عباس: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الطواف إذ قال: «فيكم علي بن أبي طالب» قلنا: نعم يا رسول الله، فقربه النبي صلى الله عليه وآله فضرب على منكبه فقال: « طوباك يا علي أنزل الله علي آية في وقتي هذا ذكرني وإياك فيها [سواء(3)]، فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بالنبي صلى الله عليه وآله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بعلي عليه السلام ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ بالعرب(4).

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أجهد على أكل الميتة ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ غير متعمد للمعصية.

ويقال: غير متعمد للأكل لغير الضرورة ﴿فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ إن أكل ومن أكل ولم يستوف شبعاً وأكل ما دونه مقدار ما يقوي به نفسه على أداء الفرائض من غير إسراف

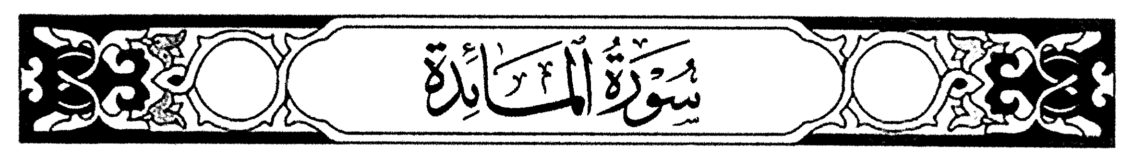
---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٥٣/١}.

(٢) قال ابن عباس وسلمان وأبو ذر والمقداد وجماعة من الصحابة: والله ما برحنا العرصة حتى نزلت الآية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن كمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب في الولاية بعدي لعلي بن أبي طالب)) قال ذلك ثلاثاً. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط ، {٢٦٢/٥}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة خلت من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي بن أبي طالب فقال: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فقال: عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا علي بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. فأنزل الله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم}. انظر: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لابن المغازلي، {٤٦/١} وانظر: أحاديث وحكايات للسلفي –مخطوط: صدر الدين، أبو طاهر السِّلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (ت: ٥٧٦هـ)، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤{٣٦} والبداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م {٣٨٦/٧}.



﴿رَّحِيم﴾ [المائدة:٣] حين رخص عليه أكل الميتة عند الضرورة، وكذلك له أن يتزود منها إن خاف ألا يجد غيرها

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد، يعني بذلك زيد بن مهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي، وكانا صيادين ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الصيد ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المذبوحات من الحلال ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ صيد ما علمتم ﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ من الكواسب ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أصحاب كلاب ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ تؤدبونهن إذا أكلن الصيد حتى لا يأكلن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ مما أدبكم الله ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ أمسك لكم الكلب المعلم وإن أكل بعضه.(١) ﴿وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ على ذبح الصيد. ويقال: على إرسال الكلب عليه.

﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في أكل الميتة ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة:٤] شديد العقاب، ويقال إذا حاسب فحسابه سريع.

﴿الْيَوْمَ﴾ يوم الحج ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المذبوحات من الحلال ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب ﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ حلال لكم ما كان حلالاً ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ﴾ وذبائحكم حل لهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول وتزويج الحرائر العفائف من المؤمنات حلال لكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يقول وتزويج الحرائر العفائف من المؤمنات من أهل الكتاب حلال لكم، يعني بالطعام الحبوب لا الذبائح، وبالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من أهل الكتاب من بعد الإيمان كما قال ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢) وكما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾(٣).

---

(١) قال: هذه الآية نزلع على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: في أمر زيد الخر الطائي، وعدي بن حاتم وذلك أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالا: يا رسول الله إن الله قد حرم الميتة على من أكلها وإن لنا كلابا نصيد بها فمنها ما ندرك ذكاة صيده، ومنها مالا ندركه فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فتلاها عليهم ثم قال: صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا سميت قبل أن ترسل كلابك فأخذت الكلاب الصيد فمات في أفواهما فكله. قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: إذا أرسل الكلب المعلم على الصيد وسمى مرسله فأخذ الكلب الصيد فقتله فهو ذكي جائز أكله، وان أكل الكلب بعضه وأدرك صاحبه بعضه فلا بأس بأكل ما فضل منه. انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ، {٣١٨}.

(٢) آل عمران من الآية: ١١٠.

(٣) آل عمران من الآية: ١٩٩.

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ بينتم لهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن فوق مهر البغي[1] ﴿مُحْصِنِينَ﴾ كونوا معهن محصنين متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ غير معلنين بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ يقول لا يكن لها خليلاً فيزني بها في السر ويقال[2]: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ يعني الحرائر العفائف ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ غير معلنات بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ يقول ولا يكون لها خليلاً فيزني بها في السر[3].

ثم نزل في أهل الكتاب وغيرهم فقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ﴾ بالله بالتوحيد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ في الدنيا ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين﴾ [المائدة:٥] من المغبونين بذهاب الجنة ودخول النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ وأنتم على غير وضوء فعلمهم كيف يصنعون فقال: ﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾ كل الرأس ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ إن قرأت بنصب اللام يرجع إلى الغسل، وهي القراءة المشهورة العالية[4].

وقد روي أن ابن أبي ليلى[5] كان يعلم الحسن بن علي عليه السلام فقرأ الحسن وأرجلكم بالنصب، فرد القراء ابن أبي ليلى، فقال علي عليه السلام: أصاب ابني وأخطأت أنت، إنما القراءة بالنصب وأرجلكم.

﴿وَإِن كُنتُم جُنُبًا﴾ وهو قول مبتدأ ﴿فَاطَّهَّرُواْ﴾ بالماء أي فاغتسلوا بالماء ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى﴾ من الجدري أو الجراحة ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أو تغوطتم أو بلتم ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾ جامعتم النساء ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء﴾ فلم تقدروا على الماء ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فتعمدوا إلى تراب نظيف ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ بالضربة الأولى ﴿وَأَيْدِيكُم﴾ بالضربة الثانية ﴿مِّنْهُ﴾ من التراب ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ من ضيق ﴿وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّـرَكُمْ﴾ بالتيمم من الإحداث والجنابة ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾ منته ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالتيمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾ [المائدة:٦] لكي تشكروا نعمته ورخصته.

---

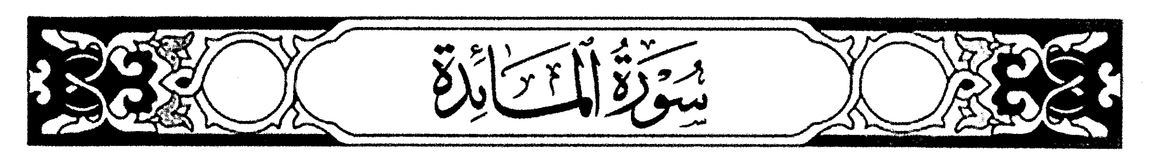
(١) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٦٨}.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، {١٠/٣٣}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٤٥٥}.

(٤) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بنصب {أرجلكم}. انظر: المصابيح الساطعة، مخطوط، {٥/٢٧٤}.

(٥)عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني، ثم الكوفي، ثقة، من الثانية، اختلف في سماعه من عمر، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين، وقيل: إنه غرق. انظر: بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل. {٢/٢٣١}.



وهذه الآية تدل على وجوب الاستنجاء عند وجوده لأنه تعالى نقل الجائي من الغائط إلى التيمم بشرط عدم الماء، كما نقل إليه الجنب فلو لم يجب الاستنجاء بالماء عند وجوده لم يكن لشرط عدمه فائدة[1].

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى﴾ نزلت في عبد الله بن عوف[2] ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ أنزل في عائشة[3].

---

(١) والحجة على ذلك: ما روت عائشة (رضي الله عنها) أن الرسول ً بال يوماً فقام عمر خلفه بكوز من ماء فقال: ((ما هذا يا عمر))؟ فقال: ماءٌ تتوضأ به، فقال: (ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ فلو فعلت ذلك لكان سُنَّة). فدلالته على سقوط الوجوب من وجهين: أما أولاً: فلأنه صرح أنه لو فعله لكان سُنَّة، وهذا يدل على أنه لو فعل لكان سنة فضلاً عن كونه متروكاً. وأما ثانياً: فلأنه لو كان واجباً لم يتركه فلما تركه دل على عدم وجوبه. فأما من أراد القيام إلى الصلاة فهل يكون واجباً في حقه أم لا؟ فيه مذهبان: المذهب الأول: أنه واجب على الرجال والنساء عند القيام للصلاة، وهذا هو رأي أئمة العترة لا يختلفون فيه، القاسمية والناصرية جميعاً، وهو رأي الإمامين الأخوين المؤيد بالله وأبي طالب. ومن الفقهاء من ذهب إليه كالحسن البصري، وأبي علي الجبائي، وابن أبي ليلى، وابن علة، ومحكي عن الحسن بن صالح. والحجة على ذلك: قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم ْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَ مَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوْا مَاءً فَتَيَمَّمُوْا صَعِيْداً طَيِّبَاً} [النساء: ٤٣].
ووجه الاستدلال من هذه الآية: هو أن الله تعالى أوجب على من جاء من الغائط ألا يعدل عن الماء مع تمكنه منه وقدرته عليه، ولم يفصل في ذلك بين رجل وامرأة، ولا بين خارج وخارج، ولا بين قُبُل ودُبُر، وهذا يدل على صحة ما قلناه من وجوب الاستنجاء بالماء على الرجال والنساء لمن أراد الصلاة منهم وهو مطلوبنا.
الحجة الثانية: ما روى أبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وهو أنه لما نزل قوله تعالى: {فِيْهِ رِجَالٌ يُحِبُّوْنَ أَنْ يَتَطَهَّرُوْا واللّهُ يُحِبُّ المُطَهِّرِيْنَ} [التوبة: ١٠٨]. فقال رسول الله ً: (إن الله أثنى عليكم يا معشر الأنصار في الطهور فما طهوركم؟ فقالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء. فقال: (هو ذلكم فعليكموه).
ووجه تقرير الحجة من هذا الخبر: هو أنهم لما ذكروا له الاستنجاء في الطهارة صوَّبه، وقال: (هو ذلكم فعليكموه). فكان دليلاً على الوجوب من وجهين: أما أولاً: فلأنه أدرج الاستنجاء مع الوضوء للصلاة والغسل من الجنابة، فلما كانا واجبين باتفاق فهكذا حال الاستنجاء إذ لا فارق بينها فعدم التفرقة بينها فيه دلالة على شمول الوجوب لها وهذا هو مرادنا. وأما ثانياً: فلأنه قال: (هو ذلكم فعليكموه). فقوله: (فعليكموه). اسم فعل دال على الإغراء فكأنه قال: الزموه. الإنتصار على علماء الأمصار، الإمام المؤيد، {١/٥٨٠-٥٧٩}.

(٢) عَبْد الله بن عَوْف القَارِي من أهل المَدِينَة كُنْيَتُهُ أَبُو القَاسِمِ يَرْوِي عَن رجل من أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عليه وآله وسلم روى عَنهُ الزُّهْرِيّ ورجاء بْن أَبِي سَلَمَة. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ، {٤٢/٥}.

(٣) وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى نزلت فِي عَبْد الرَّحْمَن بن عَوْف و إن كنتم عَلَى سَفَرٍ. نزلت فِي عَائِشَة نزلت فِي - رَضِيَ اللَّه عَنْهَا- حين أسقطت قلادتها وهي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/٤٥٥}.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمان ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ أمركم به يوم الميثاق على لسان رسوله وهو وقت إقامة الحجة ولزوم التكليف ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ قولك يا ربنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله فيما أمركم ونهاكم ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة:٧] بما في القلوب من الوفاء والنقض.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ﴾ قوالين ﴿لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ بغض قوم شريح بن ضبيعة بن شرحبيل ﴿عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ﴾ بين حجاج بني بكر بن وائل[1] ﴿اعْدِلُواْ﴾ بينهم ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أقرب للمتقي إلى التقوى ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في العدل ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨]من العدل والجور

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم في الدنيا ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٩] ثواب جزيل وافر في الجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة:١٠] أهل النار

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني محمداً وأصحابه ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ﴾ منة الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بدفع بأس العدو عنكم ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ أراد قوم يعني بني قريضة [2]﴿أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ فمنع أيديهم ﴿عَنكُمْ﴾ بالقتل ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله فيما أمركم ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:١١] على المؤمنين أن يتوكلوا على الله.

وعن ابن عباس[3] أن هذه الآية نزلت في رسول الله عليه وعلى آله وعلي عليه السلام و زيد حين أتاهم يستعينهم على القبيلتين.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ إقرار بني إسرائيل في التوراة في محمد ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[4] ﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ رسولاً. ويقال: ملكاً، وهو الصحيح لكل سبط ملك[5].

---

(١) انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {٣٥١/٣}.

(٢) هم قوم يعني بني قريضة أن يبسطوا إليكم أيديهم بالقتل والاغتيال. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٥٤٩/١}.

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ {٢١/٢}.

(٤) النساء من الآية: ٣٦.

(٥) اثنا عشر أميناً. انظر: تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {١٧٩}.

﴿وَقَالَ اللهُ﴾ لهؤلاء الملوك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ ومعينكم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ﴾ التي فرضت عليكم ﴿وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ أعطيتم زكاة أموالكم ﴿وَآمَنتُم﴾ وصدقتم ﴿بِرُسُلِي﴾ التي تجيء إليكم ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أعنتموهم ونصرتموهم بالسيف على الأعداء ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ صادقاً من قلوبكم ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ دون الكبائر ﴿وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد أخذ الميثاق والإقرار به ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [المائدة:١٢] فقد ترك قصد طريق الهدى، فكفروا إلا خمسة منهم(١).

فبين الله عقوبة الذين كفروا فقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ يقول فبنقضهم ﴿مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ﴾ عذبناهم بالجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يابسة بلا نور، أي حكمنا عليهم بالقسوة وشهدنا عليهم بذلك، وخلينا بينهم وبين اختيارهم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ نعت محمد وبيان الرجم ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ عن بيانه في التوراة ﴿وَنَسُواْ حَظًّا﴾ تركوا بعضاً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ أمروا به في التوراة من اتباع محمد وإظهار صفته ونعته.

ثم ذكر خيانتهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله فقال: ﴿وَلاَ تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي معصية من بني قريضة ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ولا تعاقبهم ﴿وَاصْفَحْ﴾ واترك ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] إلى الناس ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى﴾ يعني نصارى نجران ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ في الإنجيل باتباع محمد وبيان صفته ونعته، وألا تعبدوا إلى الله ولا تشركوا به شيئاً ﴿فَنَسُواْ حَظًّا﴾ فتركوا بعضاً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ مما أمروا به ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فألقينا ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بين اليهود والنصارى. ويقال: بين نصارى أهل نجران النسطورية والماريعقوبية والمرقوسية، والملكانية ﴿الْعَدَاوَةَ﴾ بالقتل والهلاك ﴿وَالْبَغْضَاء﴾ في القلب ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ﴾ يخبرهم الله ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:١٤] من المخالفة والخيانة والكتمان

---

(١) كانوا اثني عشر سبطا عَلَى كُلّ سِبْط منهم رَجُلا فأطاع اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- منهم خمسة فكان منهم طالوت، مِمَّنْ أطاع اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- وعصى منهم سبعة، فنقبوا عَلَى أن يعبدوا اللَّه وَلا يشركوا به شيئًا وَقَالَ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلّ- للنقباء الاثني عشر إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي يعني الَّذِين بعثتهم إليكم وفيهم عِيسَى ومحمد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكفروا بعيسى ومُحَمَّد- صلى الله عليهما وَسَلَّمَ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٤٦١/١}.

والعداوة والبغضاء، وهذا يدل على اختلافهم وبتخلية الله تعالى فقد قال تعالى في أول الآية: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ أي تركوه.

وقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ أي بما أدعا كل من يؤمر بالباطل، فإنهم مأمورون باتباع الحق وأهله، ومخالفة المبطل فيما يدعونه[1].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من صفة ونعت محمد والرجم وغير ذلك ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ ويترك كثيرا فلا يبين لكم ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ﴾ رسول محمد ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥] بالحلال والحرام ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ﴾ بمحمد والقرآن ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ توحيده ﴿سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ دين السلام والسلام هو الله ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره. ويقال: بتوفيقه وكرامته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦] يقول يدعوهم ويثبتهم على ذلك.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهو مقالة المار يعقوبية ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ﴾ أن يعذب ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ جميع من عبدهما. ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خزائن السموات والأرض ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاء﴾ كما يشاء بأب أو بغير أب ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخلق والثواب والعقاب ﴿قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧].

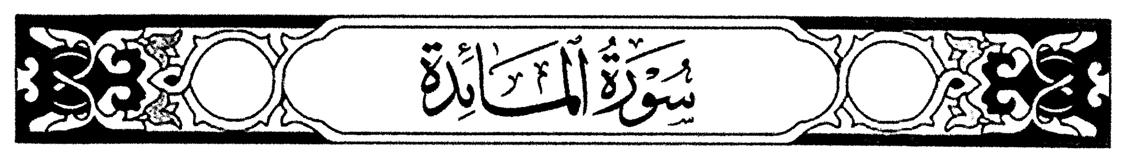
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ يهود أهل المدينة ﴿وَالنَّصَارَى﴾ نصارى أهل نجران ﴿نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ على دينه. ويقال: نحن على الله كأبنائه وأحبائه ونحن على دينه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ بعبادتكم العجل أربعين يوماً إن كنتم عليه كأبنائه وأحبائه، وهل رأيتم أباً يعذب ابنه بالنار.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ خلق عبيد ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء﴾ لمن تاب من اليهودية والنصرانية ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء﴾ لمن مات على اليهودية والنصرانية ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ﴾

---

(١) تحزبوا في عيسى- صلى الله عليه- ثلاث فرق النسطورية قالوا عيسى ابن الله- وَتَعالى عَمَّا يَقولونَ عُلوًّا كَبيراً والمار يعقوبية قالوا عيسى هو الله- سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقولونَ والملكانيون قالوا: إنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٦٢٨/٢}.



خزائن السموات والأرض ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿الْمَصِيرِ﴾ [المائدة:١٨] المرجع، مصير من آمن ومن لم يؤمن.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يا أهل التوراة والإنجيل ﴿قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ ما أمرتم به وما نهيتم عنه ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ على انقطاع من الرسل ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ لكيلا تقولوا يوم القيامة ﴿مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ﴾ بالجنة ﴿وَلاَ نَذِيرٍ﴾ من النار ﴿فَقَدْ جَاءكُم﴾ مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وآله وَسلم ﴿بَشِيرٌ﴾ بِالْجنَّةِ ﴿وَنَذِيرٌ﴾ من النار ﴿وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من إرسال الرسل والثواب والعقاب ﴿قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٩]. ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ وقد قال ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ﴾ منة الله ﴿عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ منكم ﴿أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ بعدما كنتم مماليك لفرعون ﴿وَآتَاكُم﴾ أعطاكم﴿ مَّا لَمْ يُؤْتِ﴾ ما لم يعط ﴿أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠] عالمي زمانكم في التيه من المن والسلوى[(١)].

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾ [(٢)]وهب الله لكم وجعل ميراً لأبيكم إبراهيم عليه السلام ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجعوا خلفكم ﴿ فَتَنقَلِبُوا﴾ فترجعوا ﴿خَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١] مغبونين بالعقوبة.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قتالين ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ أرض الجبارين ﴿حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة:٢٢] فيها. ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ

---

(١) {وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم} المراد بذكر النعمة شكرها لأن الشكر مع الذكر {إذ جعل فيكم أنبياء} لأنه لم يبعث في أمته مثل ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء {وجعلكم ملوكا} لأنه ملككم بعد فرعون ملكه، وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا تكافيهم تكاثر الأنبياء. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف ، لعبد الله بن الهادي ، {٥٥٧/١}.

(٢) {ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ التِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} فهل هذه الأرض المقدسة كتبها الله لهم كتابة كونية أو كتابة تشريعية؟ إن كانت كتابة كونية لكان من اللازم أن يدخلوها ولكنه قال: { فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ } [المائدة : ٢٦] إذن هي إرادة تشريعية وليست إرادة كونية. فإن أطاعوا أمر الله وتشجعوا ودخلوا الأرض المقدسة فإنهم يأخذونها، وإن لم يطيعوه فهي محرمة عليهم. إذن فلا تناقض بين أن يقول سبحانه: إنه كتبها لهم، ثم قوله من بعد ذلك: إنها محرمة عليهم، لقد كتبها سبحانه كتابة تشريعية. فإن دخلوها بشجاعة ولم يخافوا ممن فيها واستبسلوا ووثقوا أن وراءهم إلهاً قوياً سيساندهم؛ فإنهم سيدخلونها، أما إن لم يفعلوا ذلك فهي محرمة عليهم. انظر: تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم ، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)، باب ٢١ {٣٠٥١/٥}.

عَلَيْهِمَا﴾ يبين الخطرات وهو يوشع بن نون وكالوب بنو يوقنـا[1] ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]. ويقال: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ خافوا الجبارين ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوحيد.. الآية[2]. ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ أرض الجبارين ﴿أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ سيدك هارون ﴿فَقَاتِلا﴾ فإن ربكما يعينكما كما أعانكما على فرعون وقومه ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] منتظرون[3].

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ﴾ ها هنا كقوله في السورة التي يذكر فيها يوسف في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[4] وقالوا هذا لما كان لهارون عند موسى عليهما السلام من المحل الجليل وتعظيمه له.

و﴿قَالَ رَبِّ﴾ قال موسى رب ﴿إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾ يقول لا أقدر إلا على نفسي وأخي ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥] العاصين.

﴿قَالَ﴾ الله يا موسى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ بالدخول فيها بعدما سميتهم فاسقين ﴿يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ يتحيرون في أرض التيه ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وهي سبعة فراسخ، لا يقدرون أن يخرجوا منها، ولا يهتدون سبيلاً مقدم ومؤخر ﴿فَلاَ تَأْسَ﴾ ولا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦]. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ واقرأ عليهم يا محمد ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ خبر ابني آدم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا﴾ من هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ من قابيل ﴿قَالَ﴾ قابيل لهابيل: ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾ يا هابيل ﴿قَالَ﴾ لما قال لأن الله قبل قربانك ولما يقبل قرباني.

---

(١) هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ عَنِ الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى: يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَكَالِبَ بْنِ يوفنا ، أَنَّهُمَا وَفَيَا لِمُوسَى بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِمَا مِنْ تَرْكِ إِعْلَامِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى الْجَبَابِرَةِ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ ، بِمَا رَأَيَا وَعَايَنَا مِنْ شِدَّةِ بَطْشِ الْجَبَابِرَةِ وَعِظَمِ خَلْقِهِمْ ، وَوَصَفَهُمَا اللَّهُ بِأَنَّهُمَا مِمَّنْ يَخَافُ اللَّهَ وَيُرَاقِبُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، {٢٩٣/٨}.

(٢) {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا} ، قَالَ : فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ يَخَافُونَ اللَّهَ ، اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمَا. انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، {١١/٢}.

(٣) قال الحسن: هذا القول كفر منهم بالله قيل: أعلم الله تعالى أن أهل الكتاب لم يزالوا غير قابلين من الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن الخلاف طريقتهم وعن المقداد أنه قال: ((وهو فرس يوم بدر يا رسول الله إنا لا نقول كما قال بنوا إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن أمضي ونحن معك)). انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف ، لعبد الله بن الهادي ، {٥٥٩/١}

(٤) يوسف من الآية: ٤٣.

قال هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ﴾ لأن الله إنما يتقبل ﴿مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] من المصدقين بالقول والفعل والزاكية القلوب، ولم يكن زاكي القلب. ﴿لَئِن بَسَطتَ﴾ مددت يا قابيل ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ ظلماً ﴿مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ﴾ بماد ﴿يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ ظلماً ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨] بقتلك ظلماً(١).

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ أن تؤخذ بدمي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ ذنبك الذي لقبل دمي الذي بينك وبين الله ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ من أهل النار ﴿وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٢٩] النار جزاء المبتدئين بالظلم. ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ فتابعت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين﴾ [المائدة:٣٠] فصار من المغبونين بالعقوبة.

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾ يثير التراب من الأرض ليواري غراباً ميتاً ﴿لِيُرِيَهُ﴾ ليري قابيل ﴿كَيْفَ يُوَارِي﴾ كيف يغطي ﴿سَوْءةَ أَخِيهِ﴾ عورة أخيه بالتراب ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ﴾ ضعفت عن الحيلة ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ في الحيلة ﴿فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي﴾ عورة أخي ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة:٣١] على أن من لم يوار عورة أخيه لم يكن نادماً على قتله(٢).

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ من أجل قتل قابيل هابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أوحينا إلى بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قتل نفس متعمداً ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ شرك ﴿فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وجبت له النار بقتل نفس واحدة ظلماً كما لو قتل الناس جميعاً ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ كف عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يقول وجبت له الجنة بعفو نفس واحدة كما لو عفا عن الناس جميعاً.

---

(١) قال أهل العلم: الدافع عن نفسه يجب عليه أن يدفع بالأيسر وليس له أن يقصد القتل بل يجب عليه أن يقصد الدفع ثم إن لم يندفع إلا بالقتل جاز له ذلك. وقال مجاهد: إن الدفع عن النفس ما كان مباحاً في ذلك الوقت. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٣٠٥/٥}.

يتبين من سياق الآيات عن بني إسرائيل، فبني إسرائيل يحملون نفسية هذا الشخص الذي قتل أخيه دون مبرر، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، واليوم يقتلون المسلمين، فالله يقول في الآيات التي بعدها {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم)[المائدة: ٣٣] أنتم أيها المسلمون لا تكونوا كقابيل مجرمين، ولا كهابيل تمكنوا أعداءكم منكم.

(٢) {فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} فهو لما لحقه من التعب والتحير وسخط أبيه ولم يكن هذا الندم توبة؛ لأنه لو تاب مما فعل لقبل الله توبته وإنما ندم؛ لأنه لم ينتفع بقتل أخيه بل استضر به لما ناله بسببه من أبيه وإخوته ذماً وتوبيخاً فندم على غير الوجه الذي يصح منه التوبة فلذلك لم تقبل منه ولو ندم على الوجه الصحيح لقبلت توبته. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٠٩/٥}.

ويقال: هذا في الأنبياء والأئمة. ويقال: من أعان إماماً جائراً على إمام عادل حتى ظهر عليه فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أعان إماماً عادلاً على إمام جائر حتى ظهر عليه فكأنما أحيا الناس جميعاً[1].

﴿وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ﴾ بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ من بني إسرائيل ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد الرسل ﴿فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢] لمشركون.

ثم نزل [2]في قوم هلال بن عويمر[3] لأنهم قتلوا قوماً من بني كنانة، أرادو الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليسلموا فقتلوهم وأخذوا ما معهم من الثياب، فبين الله عقوبتهم، يعني عقوبة قوم هلال بن عويمر وكانوا مشركين فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني يكفرون بالله وبرسوله ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ﴾ يعملون في الأرض ﴿فَسَادًا﴾ بالفساد وهو القتل وأخذ المال ظلماً ﴿أَن يُقَتَّلُواْ﴾ يقول جزاء من قتل ولم يأخذ المال القتل له ﴿أَوْ يُصَلَّبُواْ﴾ بعد القتل وجزاء من لم يقتل وأخذ المال ظلماً ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ يد اليمنى ورجل اليسرى، يقول جزاء من أخذ المال ولم يقتل قطع اليد والرجل ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ﴾ أو[4]يحبسوا في السجن أو ينفوا من بلد إلى بلد حتى يبدو صلاحهم، يقول جزاء من يخون الناس على الطريق، ولم يأخذ المال، ولم يقتل السجن والإبعاد من بلد إلى بلد وهو الصحيح[5].

﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت لكم ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ عذاب ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٣٣] شديد أشد مما يكون في الدنيا لمن لم يتب ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾ أي رجعوا إلى الطاعة ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾ بالطلب ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٤] بالعفو عنهم والأمر بترك عقوبتهم والتعرض لهم بعد الاستئمان والدخول في الطاعة.

---

(١) قال السمرقندي: أنه من شدّ على عضُد نبيّ أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعًا، ومن قتل نبيًا أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعًا. انظر: بحر العلوم للسمرقندي ، {٢٣٣/١٠}.

(٢)انظر: تفسير السمرقندي بحر العلوم للسمرقندي، {٣٨٦/١}.

(٣) لم أقف له على ترجمة ؛ وجاء عَنْ مُجَاهِدٍ: قَالَ هِلَالُ بْنُ عُوَيْمِرٍ الْأَسْلَمِيُّ: "هُوَ الَّذِي حَصِرَ صَدْرُهُ أَنْ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ يُقَاتِلَ قَوْمَهُ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حِلْفٌ". انظر: أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م{٢٧٧/٢}.

(٤) في (ب) أو.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان{ ٤٧٣/١}.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿اتَّقُواْ اللهَ﴾ أطيعوا الله فيما أمركم ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الدرجة الرفيعة ،[ويقال(1)] فاطلبوا إليه القربة في الدرجات بالأعمال الصالحة ﴿وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ﴾ في طاعته ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥] لكي تنجوا من السخطة والعذاب و تأمنوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الأموال ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ ضعفه ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِ﴾ ليفادوا به أنفسهم ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ الفداء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة:٣٦] وجيع.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ﴾ بتحويل حال إلى حال ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧] دائم لا ينقطع.

﴿وَالسَّارِقُ﴾ من الرجال يعني طعمة (2) ﴿وَالسَّارِقَةُ﴾ من النساء ﴿فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا﴾ أيمانهما ﴿جَزَاء بِمَا كَسَبَا﴾ سرقا ﴿نَكَالاً﴾ شيناً ﴿مِّنَ اللهِ﴾ وعقوبة ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة من السارق ﴿حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨] حكم عليه بالقطع.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته وقطعه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ فيما بينه وبين ربه بالتوبة ﴿فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يتجاوز عنه ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾[المائدة:٣٩] لمن تاب.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ ألم تخبر في القرآن ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خزائن السموات والأرض ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً له ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العذاب وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾ [المائدة:٤٠]. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ يا محمد ﴿لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْكُفْرِ﴾ في الولاية للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألسنتهم قالوا صدقنا بقلوبنا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ ولم تصدق قلوبهم قلوب المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه(3).

---

(1) سقط في (أ) .

(2) طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعًا لعمّه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٨٢/٩}. انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {٣٦٠/٣}.

(3) {يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم} لا تبالي بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم ومسارعتهم في الكفر ووقوعهم فيه وتهافتهم أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يحطئوها، وآمنا مفعول فالواو متعلق بقالوا لا بآمنا {ومن الذين هادوا سماعون للكذب} أي ومن اليهود قوم سماعون للكذب قائلون بما يفتريه الأحبار ويفعلونه من الكذب على الله تعالى وتحريف كتابه. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف ، لعبد الله بن الهادي ، {٥٧٢/١}.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ﴾ ومن الناس الذين هادوا ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يعني لأهل خيبر ﴿لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يعني حكم الرجم(1) ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا﴾ إن أمركم محمد بالجلد ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقبلوه [واعملوا به(2)] ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ لم يأمركم بالجلد وأمركم بالرجم ﴿فَاحْذَرُواْ﴾ عن الرجم ﴿وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ﴾ عذابه بعمله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْئًا﴾.

﴿أُوْلَـئِكَ﴾ اليهود والمنافقون ﴿الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من المكر والخيانة مع الإصرار على الكفر، أي لا يحكم بالتطهير ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب بالقتل والإجلاء ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:41] أعظم مما يكون في الدنيا. ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قوالون للكذب ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ للرشوة والحرام بتغيير حكم الله ﴿فَإِن جَآؤُوكَ﴾ يا محمد بني قريضة والنضير ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين بني قريضة والنضير. ويقال: بين أهل خيبر.

﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالخيار ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تحكم بينهم ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ لن ينقصوك شيئاً. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بين بني قريضة والنضير، ويقال بين أهل خيبر ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالرجم ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:42] العاملين بكتاب الله العاملين بالرجم(3).

وهذا أول ما أنزل، ثم نسخه بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾ [المائدة:49].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ على وجه التعجب في(4) الرجم ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ الرجم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد البيان في التوراة والقرآن ﴿وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:43] بالتوراة.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ﴾ على موسى ﴿فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان الرجم ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ بالتوراة ﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ بين الذين أسلموا ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي للذين هادوا ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾

---

(1) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {1/474}.

(2) سقط في (أ).

(3) (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) [المائدة: 42] ، فقال قوم أنها محكمة وأن الإمام فيهم بالخيار إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، وقال آخرون: إن هذه الآية منسوخة نسخها قوله: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) [المائدة: 49] ، والقول عندنا أنها منسوخة، وأن الواجب أن يحكم بينهم بما أنزل الله، والذين قالوا بقولنا أنها منسوخة أكثر ممن قال أنها محكمة، غير أنهم أجمعوا - الذين قالوا بالنسخ- بنسخ هذه الآية، والذين قالوا أنها محكمة أن الحكم بينهم بما في كتاب الله. انظر: الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، لعبد الله بن الحسين، {66}.

(4) في (ب) با الرجم.

يقول وكان يحكم بها الربانيون العلماء دون الأنبياء ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ سائر العلماء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ﴾ بما عملوا ووعوا من كتاب الله ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ﴾ على الرجم ﴿شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ﴾ في إظهار صفة ونعت محمد والرجم.

﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في كتمانهما ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي﴾ بكتمان صفة ونعت محمد والرجم ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً من المأكلة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ يقول ومن لم يبين ما بين الله في التوراة من صفة ونعت محمد والرجم ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُون﴾ [المائدة:٤٤] بالله والرسول والكتاب(١).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فرضنا عليهم، أي على بني إسرائيل ﴿فِيهَا﴾ في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ عمداً وفاء ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ عمداً وفاء [عمدا(٢)] ﴿وَالأَنفَ بِالأَنفِ﴾ عمداً وفاء ﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾ عمداً وفاء ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ عمداً وفاء ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ حكومة عدل ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾ بالجراحة على الجارح ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ للجريح. ويقال: للجارح.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ﴾ يقول ومن لم يبين ما بين الله في القرآن ولم يعمل به ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ [المائدة:٤٥] الضارون لأنفسهم بالعقوبة، فقوله: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية فإنه لم يكن بينهم تفاوت في القصاص.

ثم بين الله تعالى بينهم بقوله: ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ ....﴾(٣)، ولم يكن أيضاً إلا القصاص أو العفو(٤) لقوله: ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ حتى حكم بالدية. قال: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾(٥).

---

(١) سُئِل الإمام القاسم بن إبراهيم: { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}[المائدة:٤٤] ما تأويلها؟ وتأويلها - استَمتعُ الله بك وبنعمته عندك - هو تنزيلها، وذلك أن من حكم بأحكام التنزيل بخلاف حكمه، فهو غير شك من الكافرين به، لأن من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله بعد الإحاطة بعلمه، فهو من الكافرين بالله في حكمه، لأنه منكر من حكم الله فيه لما أنكر، ومن أنكر من أحكام الله [و] تنزيله حكما فقد كفر، ولله أحكام هي ليس في تنزيل، في تحريم من الله وتحليل، ولكنها من أحكام التأويل، حكم بتنفيذها والحكم بها، فمن لم ينفذها ويقم إذا أمكنه تنفيذها، فهو من الظالمين، وفي تعطيلها من الفاسقين. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم ، {٥٨٥}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) البقرة: ١٧٨.

(٤) في (ب) أو العقوبة.

(٥) البقرة من الآية : ١٧٨.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا وأردفنا ﴿عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ بالتوحيد والشرائع ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان الرجم ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ بالتوحيد والرجم ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ ونهياً ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٤٦] الكفر والشرك والفواحش.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ﴾ ولكي يبين أهل الإنجيل ﴿بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ﴾ ما بين الله في الإنجيل من صفة ونعت محمد والرجم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ يقول ومن لم يبين بما أنزل الله في الإنجيل ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] العاصون الكافرون.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ جبريل بالكتاب ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ لبيان الحق والباطل ﴿ مُصَدِّقًا﴾ موافقاً بالتوحيد وبعض الشرائع ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني من الكتب ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ شهيداً على الكتب كلها، ويقال على الرجم، ويقال أميناً على الكتب ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين بني قريضة ونضير وخيبر ﴿بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ بما بين الله في القرآن ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾ في الجلد وترك الرجم ﴿عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ بعدما جاءك من البينات ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ لكل نبي منكم بينا له ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فرائضا وسنناً[1].

﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لجعلكم على شريعة واحدة ﴿وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَآ آتَاكُم﴾ أعطاكم من الكتاب والسنن والفرائض، فيقول أنا فرضته عليكم والبلوى والاختبار والامتحان بما هو أصلح لهم ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ فسابقوا يا أمة محمد على الأمم إلى السنن والفرائض والصالحات. ويقال بادروا بالطاعات يا أمة محمد ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ في الدين والشرائع ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨] تخالفون.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ بين بني قريضة ونظير وأهل خيبر ﴿بِمَآ أَنزَلَ اللهُ﴾ بما بين الله في القرآن ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾ بالجلد وترك الرجم[2] ﴿ وَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تأمنهم ﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾ لكيلا

---

(١) {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم {الْكِتَاب} القرآن {بِالْحَقِّ} أي هو بالأمر الحق {مُصَدِّقاً} حال. {لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} أي من جنس الكتب. {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} أي عاليا عليه ومرتفعا. وهذا يدل على تأويل من يقول بالتفضيل أي في كثرة الثواب ، على ما تقدمت إليه الإشارة في {الفاتحة} وهو اختيار ابن الحصار في كتاب شرح السنة له. وقد ذكرنا ما ذكره في كتابنا في شرح الأسماء الحسنى والحمد لله. ومعنى {عَمَّا جَاءَكَ} على ما جاءك. {كُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} يدل على عدم التعلق بشرائع الأولين. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٠٦/٦،٢١٠}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٧٨/١}.

يصرفوك ﴿عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ في القرآن من الرجم ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الرجم وعما حكمت بينهم من القصاص ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ أن يعذبهم ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ بكل ذنوبهم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ من أهل الكتاب ﴿لَفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩] ناقصون كافرون.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أفحكمهم في الجاهلية يطلبون عندك في القرآن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا﴾ قضاء ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] يصدقون بالقرآن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾ في العون والنصرة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ يقول دينهم على دين بعض في السر والعلانية وولي بعضهم. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ في العون والنصرة ﴿مِّنكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ في الولاية ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١] لا يرشد إلى دينه وحجته الظالمين اليهود والنصارى.

﴿فَتَرَى﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ يبادرون في ولايتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ يقول بعضهم لبعض ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ شدة، فلذلك يتخذهم أولياء ﴿فَعَسَى اللهُ﴾ وعسى من الله واجب ﴿أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ فتح مكة والنصرة لمحمد وأصحابه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ أو عذاب على بني قريضة والنضير بالقتل والجلاء ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ فيصيروا يعني المنافقين ﴿عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من ولايتهم اليهود ﴿نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢] من بعدما افتضحوا، وإنما يقال عسى من الله تعالى واجب لأنه إطماع، والله تعالى لا يطمع أحداً إلا وهو يأتي به ويوفيه وعده وأطماعه(١).

---

(١) ثم دل سبحانه على خفي مرض قلوب الموالين، لمن أمر بمعاداته وهجرته من الظالمين، فقال سبحانه: {فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين} [المائدة: ٥٢]، فنبأ سبحانه بما كانوا يقولون، وبإحباطه ما كانوا يعملون، وأنهم بموالاتهم لعدوّ المؤمنين ليسوا منهم، وبيّن الله للمؤمنين ما كانوا يسترون من ذلك عنهم، فأما ما ذكر الله من مسارعتهم فيهم، فهو [ما] كان بيّناً غير مستور يرونه بمعاملتهم لهم ومصيرهم إليهم، مقبلين في كل وقتٍ ومدبرين عليهم، ألا تسمعون لقول الله سبحانه {فترى}، ولا يرى صلى الله عليه إلا ما كان له معايناً مبصراً، فأما مرض قلوبهم، وما كانوا يخفون من عيوبهم، في الشك والارتياب والحيرة، وما كانوا عليه للدنيا من الحب والأثرة الكبيرة، فإنما يتبين عند ما يأتي به الله المؤمنين من النصر والفتح، فعند ذلك بالحسرة والندامة يفتضح من المرتابين كل مفتضح: فـ{يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين} [المائدة: ٥٢]، فخسَّرهم الله أعمالهم، وصيَّرهم بموالاتهم لهم مثلهم كافرين. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، {٢٤٧}.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ المخلصون للمنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿أَهَـؤُلاء﴾ يعني المنافقين ﴿الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ شدة إيمانهم إذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينة ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿لَمَعَكُمْ﴾ مع المخلصين على دينكم في السر ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت حسناتهم في الدنيا ﴿فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِين﴾ [المائدة:٥٣] فصاروا مغبونين بالعقوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أسد وغطفان وأناس من كندة[١] ومراد ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ بعد النبي صلى الله عليه وآله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ أهل اليمن ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ أي يحبهم الله ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ يعني يحبون الله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ للمؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ [ملامة لائم[٢]] ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت من الأمر وغير ذلك ﴿فَضْلُ اللهِ﴾ من الله ﴿يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ جواد ﴿عَلِيم﴾[المائدة:٥٤] بمن يعطي[٣].

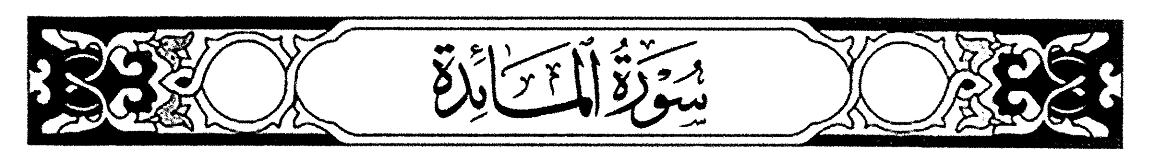
ثم نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه أسد وأسيد وثعلبة بن قيس وغيرهم، بعدما جفاهم اليهود فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ حافظكم وناصركم ومؤنسكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ علي عليه السلام ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ يتمون الصلوات الخمس في الجماعات ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

---

(١) كندة: هم بنو ثور، وثور هو كندة بن عفير بن [عديّ] بن الحارث من ولد زيد بن كهلان، وسمّي كندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته. وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت، وقد تقدم ذكر ملوكهم. ومن كندة حجر بن عديّ صاحب عليّ بن أبي طالب، ومنهم شريح القاضي. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣ هـ، باب كندة {٢٦٣/٤}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) ودلالة هذه الآيات فيما تضمنته من نص الله سبحانه على ولي المؤمنين، الذي قرن ولايته لهم بولايته وولاية رسوله، ليدل بذلك على وجوب طاعته، وإخباره سبحانه في الآية الأولى بأنه يأتي به وإتيانه به، هو نصه عليه بالصفات التي لم توجد في أحد من الصحابة -على أبلغ الوجوه- إلا في أمير المؤمنين - عَلَيْهِ السَّلام -، وهي المحبة لله ولرسوله. انظر: مجموع السيد الإمام حميدان، {١٢٧}.



يعطون زكاة أموالهم ﴿وَهُمْ رَاكِعُون﴾ [المائدة:٥٥]يصلون الصلوات الخمس في الجماعات مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ علياً عليه السلام وأصحابه في العون والنصرة ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ﴾ جند الله ﴿هُمُ الْغَالِبُون﴾ [المائدة:٥٦] على أعدائهم.

وعن ابن عباس نزلت هذه الآية في علي عليه السلام خاصة[٢].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري في حديث طويل قال: جاء عبد الله بن سلام وأناس معه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فشكوا إليه ما يلقون من مجانبة الناس لهم منذ أسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألفوني سائلاً، قال فجئنا إليه بسائل من المسجد فقال له: أأعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم رجل في المسجد مررت به فأعطاني خاتمه.

قال: اذهب فأره هؤلاء، قال: فجئنا و[فاذا[٣]] علي عليه السلام قائم، فقال: هذا فرجعنا فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون﴾ [المائدة:٥٥][٤].

وعن ابن عباس دخل السائل المسجد فاستقر، فسال الناس فلم يعطه أحد شيئاً، فمر السائل على علي عليه السلام وهو يصلي، فأعطاه خاتماً وهو راكع، فمر السائل بالنبي صلى الله

---

(١) خرج النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى باب المسجد فإذا هُوَ بمسكين قدْ خرج من المسجد وَهُوَ يَحْمَد اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- فدعاه النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقَالَ: هَلْ أعطاك أحد شيئًا؟ قَالَ: نعم يا نَبيّ اللَّه. قَالَ: من أعطاك؟ قَالَ: الرَّجُل القائم أعطانى خاتمه: يعنى على ابن أبي طالِب- رضوان اللَّه عَلَيْه- فقَالَ النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: عَلَى أيّ حال أعطاكه؟ قَالَ: أعطاني وَهُوَ راكع. فكبر النَّبيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقَالَ: الحمد للَّه الَّذِي خص عليا بهذه الكرامة. فأنزل اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يعني عَلِيّ بْن أبي طالِب- رَضِيَ اللَّه عنه- فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ- ٥٦- يعني شيعة اللَّه ورسوله والذين آمنوا هُم الغالبون فبدأ بعلي بن أبي طالِب- رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٨٥/١} وبحر العلوم للسمرقندي، {٤٠٠/١}.

(٢) قَالَ: نَزَلَتْ فِي الإمام عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ ، تَصَدَّقَ وَهُوَ رَاكِعٌ ". انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤٢٦/١٠}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/ ٤٨٥}.

عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله: «هل أعطاك أحد شيئاً» فقال: لا إلا ذلك الرجل، فقال: «كيف أعطاك» فقال: أعطاني وهو راكع.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «الله أكبر» ونزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلى آخر الآية فيه خاصة.

وفي الخبر أن السائل جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله فأخبره، فقال: «هل تعرف الرجل» فقال: لا.

قال: فأرسل، فإذا هو علي عليه السلام، فنزلت هذه الآية، فكبر النبي صلى الله عليه وعلى آله عند ذلك، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦].

وقال: «علي أولى الناس وهو وليكم بعدي».

وعن أبي جعفر[(١)] ومجاهد مثله[(٢)].

وعن أبان بن ثعلبة[(٣)] قال: إن علياً تصدق بخاتمه على مسكين وهو راكع، فجاء السائل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله تصدق علي هذا الرجل وهو راكع، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: «نبيكم خير النبيين ووصيكم خير الوصيين»[(٤)].

وقال صلى الله عليه وعلى آله لعلي عليه السلام: «أنت سيد العرب وأنا سيد ولد آدم»[(٥)].

---

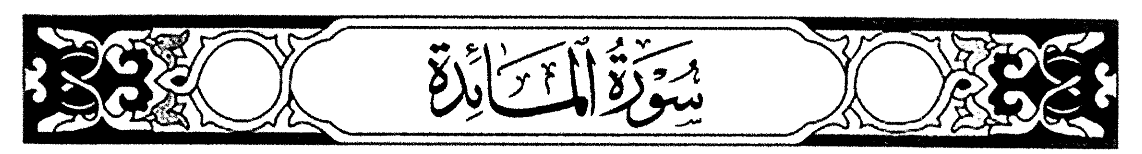
(١) هُوَ أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن عَليّ بن الْحُسَيْن بن عَليّ بن أبي طَالب، وَيُقَال لَهُ: بَاقِر الْعلم كَمَا حَدثنَا حكم بن مُحَمَّد بن حكم قَالَ: نَا أَبُو بكر احْمَد بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل قَالَ: نَا أَبُو الْحسن الْأنْصَارِيّ قَالَ: سَمِعت الزبير بن بكار القَاضِي يَقُول: كَانَ يُقَال لمُحَمد بن عَليّ بن الْحُسَيْن: بَاقِرُ الْعلم وَذكر أَبُو عمر الزَّاهِد الْمُطرز صَاحب ثَعْلَب قَالَ: إِنَّمَا سمى مُحَمَّدًا بَاقِراً لِأَنَّهُ شقّ الْعلم وفتحه وأظهرهُ وبيّنهُ. ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين: أبو علي الحسين بن محمد الغساني (ت: ٤٩٨هـ) تحقيق: د محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار، دار الفضيلة - القاهرة – مصر، باب التابعون ومن بعدهم، {١/٤٥}.

(٢)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٨/ ٥٣١}.

(٣) لم أقف له على ترجمة

(٤)انظر: فوائد أبي علي بن فضالة: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة (ت: ٤٢٠هـ) ،مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ،ط١، ٢٠٠٤م ، وثق بالناس ،{٢}

(٥) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، {١٣٤/٣}.



وكان علي عليه السلام أول من آمن به وحمله النبي صلى الله عليه وآله حتى طرح [الأصنام] من الكعبة[1]، وهو الذي نام على فراش النبي صلى الله عليه وعلى آله فوقاه بنفسه من المشركين. وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إني تركت فيكم أمرين إن اعتصمتم بهما لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وأهل بيتي»[2]. ويوم استخلفه في أهله في غزوة تبوك ويوم بدر ويوم أعطاه الراية ويوم الأحزاب. وقال صلى الله عليه وآله: «اسكن يا حراء فليس عليك إلا نبي أوصديق أو شهيد»[3]. وقال النبي صلى الله عليه وآله: «لا يحل لأحد أو لا يصلح الجنب في المسجد غيري أو غيرك يا علي»[4].

وبنى عليه السلام مسجد التقوى بأمر أربعة فيهم علي عليه السلام، فوضعوا حجراً حجراً وأدخلت عليه فاطمة عليهما السلام فدخل عليهما النبي عليه السلام قبل أن يمسها علي عليه السلام، فبكت فاطمة[5] عليها السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: « ما

---

(١) عن علي رضي الله عنه: قال: لما كان الليلة التي أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أبيت على فراشه و خرج من مكة مهاجرا انطلق بي رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الأصنام فقال: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم على منكبي ثم قال: انهض فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس فجلست فأنزلته عني و جلس لي رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال لي: يا علي اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه و سلم و خيل إلي أني لو شئت نلت السماء و صعدت إلى الكعبة و تنحى رسول الله صلى الله عليه و سلم فألقيت صنمهم لأكبر و كان من نحاس موتدا بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم فعالجت فما زلت أعالجه و يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إيه إيه فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال: دقه فدققته فكسرته و نزلت. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، {٦/٣}.

(٢) عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي.أخرجه الترمذي: سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، باب مناقب أهل البيت، {٦٦٢/٥}.

(٣) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اثْبُتْ يَا حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». المعجم الكبير، للطبراني، {٢٥٩/١١}.

(٤)أخرجه الترمذي ،{١٣٩/٥}.

(٥) فاطمة بنت محمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أم الحسن، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سيدة نساء العالمين. ولدت قبل النبوة، وقريش حينئذ تبني الكعبة عام ١٨ قبل الهجرة، وتوفيت عام ١١هـ بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بستة أشهر، وفي رواية السيد أبي طالب عن الباقر أربعة أشهر، وسنها يوم ماتت وقد جاوزت العشرين بقليل، قطع به ابن حجر، ورواية الباقر ولها ثلاث وعشرون سنة، قال في جامع الأصول: وأهل البيت يقولون: ثمانية عشرة سنة. قال السيد الإمام وهو الأولى، قال: (وكانت أول لاحق به من أهله). قال السيد الإمام: ودفنت بالبقيع ليلاً بوصية منها، روش قبرها وسبعة أقبر حوله. روى عنها ابنها الحسين وعائشة وأنس وغيرهم. وخَرّج لها الجماعة وأئمتنا الخمسة، وزيد بن علي، والهادي للحق. انظر: الكامل المنير الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع): يُنسب لنجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي عليهما السلام {١١٩}.

يبكيك يا بنية، لقد زوجتك خير الناس من بعدي، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً، وأعلمهم بكتاب الله المنزل»(1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ سخرية ﴿وَلَعِبًا﴾ ضحكاً وباطلاً ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ وسائر الكفار ﴿أَوْلِيَاء﴾ في العون والنصرة ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في ولايتكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾ بالأذان والإقامة ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ سخرياً ﴿وَلَعِبًا﴾ ضحكة وباطلاً ﴿ذَلِكَ﴾ الاستهزاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:٥٨] أمر الله لا يعلمون توحيد الله.

نزلت هذه الآية في رجل من اليهود كان يسخر بأذان بلال فأحرقه الله بالنار(2).

﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ هل تطعنون علينا وتعيبوننا ﴿إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ﴾ إلا لقبل إيماننا بالله وحده لا شريك له ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد والقرآن من جملة الكتب والرسل ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ كلكم ﴿فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩] كافرون.

ثم نزلت في مقالتهم: ما نعلم أهل دين من الأديان أقل حظاً من محمد وأصحابه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ﴾ مما قلتم لمحمد وأصحابه ﴿مَثُوبَةً عِندَ اللهِ﴾ عقوبة عند الله ﴿مَن لَّعَنَهُ اللهُ﴾ عذبه الله بالجزية ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ سخط عليه ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ القردة في زمن داود، والخنازير في زمن عيسى بعد أكلهم من المائدة ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الكهان والشيطان، وإن قرأت: وعَبُدَ الطاغوت يقول جعل مَن عَبَدَ الشيطان والكهان لا فعلهم، لأن الكافر فِعلُ اللهِ وعبادة الطاغوت فِعلُ الكافر ﴿أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ مسعى

---

(1) عن عَبْد الله بن مسعود قال: أصابت فاطمة صبيحة يوم العرس رعدة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: يا فاطمة زوجتك سيدا في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين يا فاطمة لما أراد الله تعالى أن أملكك بعلي أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفا ثم خطب عليهم فزوجتك من علي ثم أمر الله شجر الجنان فحملت الحلي والحلل ثم أمرها فنثرته على الملائكة فمن أخذ منهم شيئا يومئذ اكثر مما اخذ غيره افتخر به الى يوم القيامة). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ثم صورتها عدة دور منها - دار الكتاب العربي - بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - دار الكتب العلمية- بيروت (ط ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، باب سليمان الأعمش، {٥٩/٥}.

(2) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٩٦}.

في الدنيا ومنزلاً في الآخرة ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠] عن قصد طريق الهدى. ﴿وَإِذَا جَآؤُوكُمْ﴾ يعني سفلة اليهود، ويقال المنافقون ﴿قَالُوَاْ آمَنَّا﴾ بك وبصفتك ونعتك أنه في كتابنا ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ﴾ بكفر السر ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ﴾ بكفر السر ﴿وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٦١]من الكفر. ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾ ينادون بالمعصية والشرك ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ والظلم والاعتداء ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الرشوة والحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢]

من المعصية والاعتداء ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ أصحاب الصوامع ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ العلماء أولاد هارون ﴿عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ الشرك ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الرشوة والحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣] في تركهم النهي عن ذلك.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ فنحاص بن عازر اليهودي[(١)] ﴿يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ممسكة عنا ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أمسكت عن الخير والنفقة في الخير ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ عذبوا بالجزية بما قالوا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مفتوحتان على البر والفاجر.

وهذا كلام خرج على معنى التمثيل كما يوصف السخي ببسط الكف واليد ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يعطي كيف يشاء إن وشاء وسع وإن شاء قتر ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ والله ليزيدن كفارهم ﴿مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ بما أنزل إليك ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿طُغْيَانًا﴾ تمادياً ﴿وَكُفْرًا﴾ ثباتاً على الكفر، معناه أنهم يزدادون بإنكارهم لذلك كفراً إلى كفرهم كما حكي عن نوح، ﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بين اليهود والنصارى ﴿الْعَدَاوَةَ﴾ في القتل والهلاك ﴿وَالْبَغْضَاء﴾ في القلب ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ والصحيح ما تقدم ذكره، وهو محمول على التأويل الذي تأولنا من معنى التخلية، والأمر بالمعاداة لمخالفة الحق وإنكاره ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ اجتمعوا على قتل محمد ﴿أَطْفَأَهَا اللّهُ﴾ فرق الله جمعهم وخالف كلمتهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ يعملون في الأرض بالفساد بتفريق الناس عن محمد ودعوه إلى غير الله ﴿وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤] اليهود ودينهم.

---

(١) يعني ابن صوريا وفنحاص اليهوديين وعازر بن أبي عازر . انظر: تفسير مقاتل بن سليمان،{١/٤٩٠}.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَاتَّقَوْاْ﴾ تابوا من اليهودية والنصرانية ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ في اليهودية والنصرانية ﴿وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة:٦٥] في الآخرة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ أقروا بما في التوراة والإنجيل وبينوا ذلك ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وبينوا ما بين لهم ربهم في التوراة والإنجيل، ويقال أقروا بجملة الكتب والرسل من ربهم ﴿لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾ بالمطر ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بالنبات والثمار ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة مستقيمة عبد الله بن سلام وأصحابه وبحيرى الراهب وأصحابه، والنجاشي وأصحابه، وسلمان الفارسي وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٦] بئس ما يصنعون من كتمان صفة ونعت محمد، وهو كعب بن الأشرف، وكعب بن أسرة، ومالك بن صيف، وشعبة بن عمير، وأبو ياسر وحيي بن أخطب.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يقال:(١)من سب آلهتهم وعيب دينهم، والقتال لهم والدعوة إلى الإسلام ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ ما أمرت ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ كما ينبغي ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ من اليهود وغيرهم ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] من لم يكن أهلاً لدينه، والصحيح أنها نزلت بعد غدير خم لإظهار ولاية علي عليه السلام وإمامته(٢).

وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ نزلت في علي عليه السلام، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فضاق به ذرعاً وكان يتخوف ألا يصدقوا وأن يطعن عليه المنافقون، وأن يقولوا حاباه، فراجع في ذلك

---

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٩١/٤}.

(٢) جاء في الدر المنثور للسيوطي: عَن الحسن أن رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ إن الله بَعَثَنِي برسالة فضقت بهَا ذرعاً وَعرفت أن النَّاس مُكَذِّبي فوعدني لأبلغن أو ليعذبني فَأنْزل {يَا أيهَا الرَّسُول بلّغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك} وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم وَأَبُو الشَّيْخ عَن مُجَاهِد قَالَ: لما نزلت {بلغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك} قَالَ: يارب إِنَّمَا أنا وَاحِد كَيفَ أصنع ليجتمع عليّ النَّاس فنزلت {وَإِن لم تفعل فَمَا بلغت رسَالَته} وَأخرج ابْن أبي حَاتِم وَابْن مرْدَوَيْه وَابْن عَسَاكِر عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ قَالَ: نزلت هَذِه الْآيَة {يَا أيهَا الرَّسُول بلغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك} على رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَوْم غَدِير خم فِي عَليّ بن أبي طَالب وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن مَسْعُود قَالَ: كُنَّا نَقْرَأ على عهد رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم {يَا أيهَا الرَّسُول بلغ مَا أنزل إِلَيْك من رَبك} أن عليا مولى الْمُؤمنِينَ {وَإِن لم تفعل فَمَا بلغت رسَالَته وَالله يَعْصِمك من النَّاس} انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي {٣٨٣/٥-٣٨٢}.

ربه فقال: «قومي حديثو عهد بالجاهلية»[1] فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا النبي صلى الله عليه وآلـه الناس عند مرجعه من حجة الوداع، وهو بالجحفة بماء يقال له غدير خم، ولم يستجز أن يتقدم خطـوة واحدة حتى ينفذ ما عزم به في علي عليه السلام، وأمر مناديه فنادى بالصلاة جماعة جامعة وصلى بهم ركعتين، ثم قال: «يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، قم يا علي فأقامه للناس وأخذ بعضده حتى رأى بياض إبطيهما، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال مـن والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، إلا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[2].

فقال له عمر بن الخطاب: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم[3].

وفي بعض الأخبار: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقـال: اللهـم فاشهد حتى قال ثلاثاً» ثم ذكر الحديث بطوله[4].

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُـمُ الإِسْـلاَمَ دِينًا﴾[5]. قال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالنبي صلى الله عليه وآله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بعلي بن أبي طالب ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ بالعرب، فكانت الولاية آخر فريضة نزلت، لم تنزل بعدها فريضة، فكان ذلك كمال الدين.

وعن ابن عباس قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله فضربه على منكبيـه، وقال: «طوبى لك يا علي أنزلت علي في وقتي هذا آية ذكرني وإياك فيها سواء، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية[6].

---

(١) أخرجه: سنن الترمذي {٢١٦/٢}.

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٣٥/١٠}.

(٣) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لابن المغازلي، {٢٢١/٩}.

(٤) عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه بذلك فنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال"من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م ، باب سورة المائدة ، رقم (١٠٩٧٨){١٧/٧}.

(٥) المائدة من الآية: ٣.

(٦) وقال السيوطي في الدر المنثور: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة قال النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فانزل الله {اليوم أكملت لكم دينكم}.لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية {اليوم أكملت لكم دينكم}. انظر: الدر المنثور في التفسير بالماثور، للسيوطي، {١٨٨/٥-١٨٧}.

قال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالنبي ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بعلي ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ بالعرب.

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله تعالى أرسلني برسالة ضاق بها ذرعي، وكلمت أن الناس هكذا وأودعني لأبلغها أو ليعذبني، ثم ذكر الرسالة التي أبلغها في ولاية علي عليه السلام[1].

وعن نوف البكالي[2]، عن علي عليه السلام وغيره قال:[3] «جاء جماعة من قريش إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله فقالوا: يا رسول الله انصب لنا علماً يكون لنا من بعدك، فقالوا: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[4] وإنا لنطمع أن تعمر فينا كما عمر نوح عليه السلام في قومه، فقال: أنكم قريبو عهد بالجاهلية، ولكن من كان في منزله آية من غير آية فهو صاحب الأمر، فلما صلى العشاء وانصرف إلى منزله سقط في منزل علي عليه السلام نجم أضاءت به المدينة وما حولها، فانفلق بأربع فلق انشعب منه في كل شعبة فلقة من غير ضوء، ثم إن الجماعة أمسكوا عن ذلك فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن ارفع بضبع ابن عمك، فقال: يا جبريل أخاف من تشتت قلوب القوم، فأوحى الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] فأمر النبي صلى الله عليه وآله بلالاً ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد:

يا معشر قريش فإن لكم الشرف اليوم، صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر العرب إن لكم الشرف اليوم صفوا صفوفكم، ثم دعا بدواة وقرطاس فأمر فكتب فيه:

---

(١) انظر: التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ط ١٣٨٣، هـ{١٨٤/٩}.

(٢) هو نَوْف بن فَضَالة الحميري البكالي، أبو يزيد، ويقال أبو رشيد ويقال أبو رشدين ويقال أبو عمرو شامي وهو ابن امرأة كعب الأحبار، روى عن علي وأبي أيوب وثوبان وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار، وعنه أبو إسحاق الهمداني وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير وغيرهم. ذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات بين التسعين إلى المائة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان رواية للقصص. انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، {٩٠/١٠}.

(٣) انظر: بحار الأنوار ، للمجلسي ، { ٢٨٢/٣٥-٢٨٣}.

(٤) الزُّمَر: ٣٠.



بسم الله الرحمن الرحيم

«لا إله إلا الله محمد رسول الله قال: شهدتم ؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أفتعلمون أن الله مولاكم ؟ قالوا: أللهم نعم قال: أفتعلمون أني رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللهم نعم، فقبض على ضبع[1] علي عليه السلام فرفعه للناس حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال: اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله[2].

فقال رجل: ما يألو منذ اليوم جهداً أن رفع بضبع ابن عمه، فقال له رجل: إن هواه فيه غالب، فأنزل الله عز وجل: ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[3] ونزلت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾ الآية.

وعن أبي هريرة قال: «من صام ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً»[4]، وهو يوم غدير خم لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب، وذكر الحديث بطوله.

وقال أيضاً: «من صام سبعة وعشرين يوماً من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً» هو اليوم الذي هبط فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة أول يوم هبط عليه.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من دين الله ﴿حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ حتى تقروا بما في التوراة والإنجيل ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من جملة الكتب والرسل ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ كفارهم كعباً وأصحابه ﴿مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿طُغْيَانًا﴾ تمادياً ﴿وَكُفْرًا﴾ ثباتاً على الكفر ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨] فلا تحزن

---

(١) ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢١٨/٨}.

(٢) انظر: بحار الأنوار ، للمجلسي ، {٢٨٢/٣٥}.

(٣) النجم: ١-٤.

(٤) عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة خلت من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي بن أبي طالب فقال: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فقال: عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا علي بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. فأنزل الله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم}. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لابن المغازلي، {٤٧} وسنن ابن ماجه، رقم الحديث (١٢١)، {٨٨/١}.

على هلاكهم إن لم يؤمنوا، وقد تقدم تأويله وهو أنهم ازدادوا كفراً بإنكارهم فجاز أن يقال زادهم كما تقول ما يزدك كلامهم إلا شراً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بموسى وبجملة الكتب والأنبياء وماتوا على ذلك، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿وَالَّذِينَ هَـادُواْ﴾ تهودوا ﴿وَالصَّـابِؤُونَ﴾ قوم من النصارى هم ألين قولاً من النصارى ﴿وَالنَّصَارَى﴾ نصارى أهل نجران وغيرهم ﴿مَنْ آمَـنَ﴾ منهم من اليهود والصابئين والنصارى ﴿بِاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ﴾ وتاب اليهود من اليهودية، والصابئ من الصابئة، والنصارى من النصرانية ﴿وعَمِلَ صَالِحًا﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[المائدة:٦٩] على ما خلفوا من خلفهم ،ويقال: فلا خوف عليهم إذا خاف الناس ولا هم يحزنون إذا حزن الناس(١).

ويقال: لا خوف عليهم إذا ذبح الموت، ولا هم يحزنون إذا أطبقت النار(٢).

ويقال: يذبح في صورة كبش تطميناً لأهل الجنة من الموت و أياساً لأهل النار من الراحة، وفي ذبح الموت نظر، وقد تقدم ذكره، وذبح الموت على الحقيقة ليس بصحيح، وإنما هو كلام خرج على المعنى، أي أنه قد ذبح الموت فلا موت بعده(٣).

وعلى هذا المعنى روى أبو العباس الحسني(٤) رحمه الله عن أبي [عبد الله] جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾(٥).

قال: يقال لأهل الجنة خلود يا أهل الجنة لا موت فيها أبداً، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها أبداً، قال: وذلك قوله: ﴿ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ قال قضي على أهل الجنة بالخلود فيها، وقضي على أهل النار الخلود فيها(٦).

---

(١) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، {٢٨٣/١}.

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ، {٢٧٥/١}.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ، {٢٧٥/١}.

(٤) ترجم له ابن أبي الرجال قائلاً: السيد الشريف الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني رضي الله عنهم، هو حجة لله باهرة ومحجة إليه ظاهرة، له العلوم الواسعة، والمؤلفات الجامعة كالمصابيح والنصوص وغيرهما والذي ألف من المصابيح هو إلى خروج يحيى بن زيد عليهما السلام. انظر: مطلع البدور ومجمع البحور، لابن أبي الرجال، {٢٣٩/١}.

(٥) مريم: ٣٩.

(٦) أخرجه أبو طالب، {٧٠١}.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إقرار بني إسرائيل في التوراة في محمد ﴿ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[1] ﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ ﴾ لا يوافق قلوبهم ودينهم اليهودية ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾ يقول كذبوا فريقاً عيسى ومحمداً عليهما السلام ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُون﴾ [المائدة:٧٠] يقول وقتلوا فريقاً يحيى و زكريا عليهما السلام ﴿وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ بلية وعقوبة بقتل الأنبياء وتكذيبهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الهدى ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن الحق وكفروا بالله ﴿ثُمَّ﴾ آمنوا وتابوا من الكفر فـ﴿تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ تجاوز الله عنهم ﴿ثُمَّ عَمُواْ﴾ عن الهدى أيضاً ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن الحق وكفروا [بالله[2]] ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ وماتوا على ذلك ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُون﴾[المائدة:٧١] من قتل الأنبياء وتكذيبهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهي مقالة الماريعقوبية ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ هو ربي وربكم ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله﴾ ويمت عليه ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ﴾ أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ مصيره ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿مِنْ أَنصَار﴾ [المائدة:٧٢] من مانع مما يراد بهم.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ﴾ وهي مقالة المرقوسية يقولون أب وابن وروح ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ لأهل السموات والأرض ﴿إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا ولد له ولا شريك ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ إن لم يتوبوا من مقالتهم ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾ ليصيبن ﴿ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [المائدة:٧٣] وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى الله﴾ من مقالتهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ يوحدونه ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب وآمن ﴿رَّحِيم﴾ [المائدة:٧٤] لمن مات على التوبة.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ مرسل ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ شبه نبي، ويقال كثيرة الصدق والخير ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ كانا عبدين يأكلان الطعام ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ العلامات بأن عيسى ومريم لم يكونا إلهين ﴿ثم انظر﴾ يا محمد ﴿أَنَّى يُؤْفَكُون﴾ [المائدة:٧٥] كيف يصرفون بالكذب.

---

(١)الأنعام: ١٥١.

(٢) ثبت في (أ).

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ الأصنام ﴿مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ دفع الضر في الدنيا والآخرة ﴿وَلاَ نَفْعًا﴾ يقول ولاجر النفع في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالتكم في عيسى وأمه ﴿الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦] بعقوبتكم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أهل نجران ﴿لاَ تَغْلُواْ﴾ لا تشددوا ﴿فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فإنه ليس بحق ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ﴾ دين قوم مقالة قوم ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ عن الهدى ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبلكم وهم الرؤساء السيد والعاقب﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ عن الحق والهدى ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧] عن قصد طريق الهدى(١).

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مسخ الذين كفروا ﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ﴾ بدعاء داود صاروا قردة ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وبدعاء عيسى صاروا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعنة ﴿بِمَا عَصَوا﴾ الله بعد أكل المائدة ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة:٧٨] بقتل الأنبياء واستحلال المعاصي ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ﴾ لا يتوبون ﴿عَن مُّنكَرٍ﴾ عن قبيح ﴿فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩] من المعصية والاعتداء.

وفي الخبر أن رجلاً جاء إلى حذيفة فقال: يا عبد الله أكفرت بنو إسرائيل، فقال: لا، ولكن كانت تعرض عليهم الفتنة فيأبونها فيكرهون عليها، ثم تعرض عليهم أكبر منها فيأبونها فيكرهون عليها، حتى يدخلوا فيها، ثم تعرض عليهم أكبر منها فيأبونها ، ويقولون لا والله لا ندخل في هذا أبداً فيضربون عليها حتى يدخلوا فيها، فانسلخوا من دينهم كما ينسلخ أحدهم من قميصه.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ في العون والنصرة ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كعباً وأصحابه.

ويقال: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود كعباً وأصحابه، ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أهل مكة أبا سفيان وأصحابه.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ في اليهودية والنفاق ﴿أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ بأن سخط الله عليهم ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠] مقيمون لا يموتون ولا يخرجون ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ يعني المنافقين ﴿يُؤْمِنُونَ بِالله﴾ يصدقون بإيمانهم بالله ﴿والنَّبِيِّ﴾ محمد ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني

---

(١) {وَلاَ تتبعوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ} دين قوم ومقالة قوم {قَدْ ضَلُّوا} عَن الْهدى {مِن قَبْلُ} من قبلكمْ وهم الرؤساء السَّيِّد والْعَاقِب.انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {٩٩}.

القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ يعني اليهود ﴿أَوْلِيَاء﴾ في العون والنصرة ﴿وَلَـكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٨١] منافقون.

ويقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ يعني اليهود ﴿يُؤْمِنُونَ بِالله﴾ يقرون بتوحيد الله ﴿والنَّبِيِّ﴾ محمد، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني القرآن، ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿أَوْلِيَاء﴾ في العون والنصرة، ﴿وَلَـكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿فَاسِقُونَ﴾ كافرون[1].

ثم بين عداوتهم للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ وأقبح قولاً ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد وأصحابه ﴿الْيَهُودَ﴾ يعني يهود بني قريضة والنضير، وفدك وخيبر ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ مشركي أهل مكة ﴿وَلَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً﴾ صلة وألين قولاً ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد وأصحابه ﴿الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى﴾ يعني النجاشي وأصحابه، كانوا اثنين وثلاثين رجلاً، ويقال أربعين رجلاً ثمانية نفر من رهبان الشام بحيرى الراهب وأصحابه، وأبرهة، وأشرف وإدريس وتميم، وتمام ودريد وأيمن ﴿ذَلِكَ﴾ المودة ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ متعبدين بخفله أوساط رؤوسهم ﴿وَرُهْبَانًا﴾ أصحاب الصوامع علماؤهم ﴿وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢] عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله والقرآن.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ قراءة ما أنزل إلى الرسول يعني القرآن من جعفر بن أبي طالب ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ﴾ بما عرفوا ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ من صفة محمد ونعته ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿آمَنَّا﴾ بك وبكتابك وبرسولك محمد ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣] فاجعلنا من أمة محمد، فلامهم قومهم بذلك فقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ من الكتاب والرسول ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا﴾ في الآخرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤] مع صالحي أمة محمد صلى الله عليه وآله.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ﴾ فأوجب الله لهم ﴿بِمَا قَالُواْ﴾ بتوحيدهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿وَذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٥]

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٨٤/٣}.

الموحدين، ويقال المحسنين بالقول والفعل. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة:٨٦] أهل النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، منهم عبد الله بن مسعود، وعثمان بن مظعون الجمحي، و مقداد بن الأسود الكندي، وسالم مولى أبي حذيفة بن عتبة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، فتوافقوا في بيت عثمان بن مظعون ألا يأكلوا ولا يشربوا إلا قوتاً، ولا يأووا بيتاً، ولا يأتوا النساء، ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً، وأن يَجُبُّوا أنفسهم فنهاهم الله عن ذلك، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ من الطعام والشراب والجماع(١).

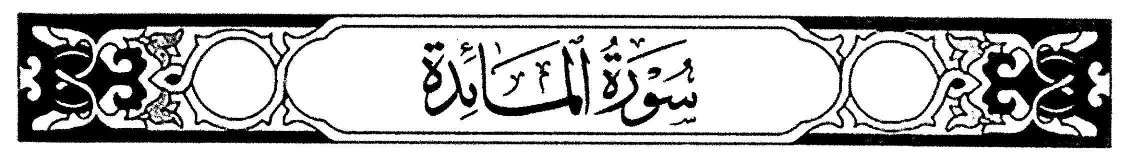
﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ﴾ بقطع المذاكير ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧] الحلال إلى الحرام في المثلة.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ من الطعام والشراب ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[المائدة:٨٨] في المثلة وتحريم ما أحل الله لكم.﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ واللغو ما يحلف عليه الحالف وهو يظن أنه صادق فيه ﴿وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ بضمير ما في قلوبكم بالإيمان ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ كفارة اليمين الذي ليس بلغو [فيعفا عنه(٢)]، ولا يكتسب القلب، وهو الذي يحلف كاذباً لاقتطاع حق لغيره أو مثل ذلك فتقبل منه التوبة النصوح وهي كفارته، لكن من حلف لما يأتي ويستأنف فيحنث فعليه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ﴾ من أعدل ﴿مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ من الخبز و الإدام تغذونهم وتعشونهم ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ كسوة عشرة مساكين بقدر ما يوارى به عورتهم ملحفة ملحفة أو قميصاً قميصاً ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ كيف ما يكون بعد أن يكون مسلماً ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ من هذه الثلاثة ﴿فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ﴾ تتابعاً ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ

---

(١) ممن ذُكر بذلك عثمان بن مظعون، كان فيما بلغنا قد حرم على نفسه أكل اللحوم، فنهاه الله وغيره من المؤمنين عن تحريم ما لم يحرم من المطاعم الطيبة، وقال: { يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين } [المائدة: ٨٧]، فأخبرهم سبحانه وغيرهم من الأتقياء البررة، أنها لمن آمن به في الدنيا خالصة في الآخرة، فقال سبحانه: { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة } [الأعراف: ٣٢]. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم ، {٦٠٦/٢}.

(٢) سقط في (أ).



إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ ثم حنثتم ﴿وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ﴾ لفظ أيمانكم وكفارة أيمانكم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه كما بين كفارة اليمين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة:٨٩] لكي تشكروا تبيانه(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الشراب الذي يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار كله ﴿وَالأَنصَابُ﴾ عبادة الأصنام ﴿وَالأَزْلاَمُ﴾ استعمال القداح ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ حرام بأمر الشيطان ووسوسته ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ فاتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:٩٠] لكي تنجوا من السخطة والعذاب و تأمنوا في الآخرة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ﴾ إذا صرتم نشاوى ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ إذا ذهب مالكم ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ﴾ يقول ويصرفكم عن طاعة الله ﴿وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾ يقول ويصدكم عن الصلوات الخمس وثوابها لاشتغالهم بها ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:٩١] أفلا تنتهون(٢).

---

(١) {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم} اللغو في اليمين: هو الساقط الذي لا يتعلق به حكماً واختلف فيه. وعن عائشة أنها سئلت عنه فقالت: هو قول الرجل لا والله وبلى والله يعني في حال الشجار والغضب وهو رأي الشافعي. وعن مجاهد وهو الرجل يحلف على الشيء يظن أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة وهو مذهب آبائنا عليهم السلام. {ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان} أي لتعقيدكم الأيمان وهو ثبوتها بالقصد والنية والمعنى: ولكن يلزمكم الكفارة لماعقدتم الأيمان به إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوماً عندهم {فكفارته} أي كفارة نكثة والكفارة: ما يكفر الخطيئة أي يسترها {إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم} أي من أقسطه لأن منهم من يسرف إطعام أهله ومنهم يقتر. وهو عند أبي حنيفة نصف صاع أو صاع من غيره كل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وهو مذهب آبائنا -عليهم السلام. وعند الشافعي ربع صاع من كل جنس تمليكاً لا إباحة أو كسوتهم الكسوة: ثوب يغطي العورة. وعن ابن عمر إزار وقميص أو رداء وكساء. وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان ومذهب آبائنا عليهم السلام أن الكسوة ما يستر جميع البدن أو أكثره إما ثوب ساتر أو قميص أو كساء، ولا تجزئ عمامة وحدها ولا سراويل وحده {أو تحرير رقبة} أي عتاقها وإدخالها في حكم الأحرار وشرطالشافعي الإيمان قياساً على كفارة القتل. وأما أبو حنيفة، والمنصور بالله فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتيل ومذهب آبائنا عليهم السلام أن الإيمان ليس بشرط لأن الآيةلم تفصل، ومعنى أو التخيير وإيجاب إحدى الكفارات على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب {فمن لم يجد} أحد هذه الأشياء لفقر أو نحوه فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة وهو مذهب آبائنا عليه السلام لقراءة الأشياء، وابن مسعود ثلاث أيام متتابعات. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٥/٢}.

(٢) {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} سميت الخمر خمراً لمخامرتها العقل وتغطيتها إياه، والميسر القمار كله، ومنه السهام على الجزور، والأنصاب حجارة منصوبة يذبحون عليها تقرباً إليها واحدها نصب. {فاجتنبوه} أي كونوا جانباً منه، ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يعني لتفلحوا والفلاح الظفر بالثواب والجنة، ثم بين تعالى أنه إنما نهى عن الخمر لما فيه من الصلاح لكم ولما فيه من خير الدارين فقال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} أي يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة إذا شربتم الخمر وفعلتم القمار بأن يغويكم ويزين لكم ذلك حتى إذا سكرتم أقدمتم على المكاره والمآثم التي كانت عقولكم تزجر عنها، وإنما أفرد الخمر والميسر بالذكر ليري أنهما المقصود فنهاهم عما كانوا يتعاطونه فيهما وقرنهما أولاً بعبادة الأصنام للتأكيد في تحريمهما كأنه لا فرق بين من عبد صنماً أو أشرك بالله وبين من شرب خمراً أو قامر. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٥/٤٠٠}.

﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ في تحريم الخمر ﴿وَاحْذَرُواْ﴾ تحليلها وشربها ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن طاعة الله والرسول في تحريم الخمر ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا﴾ محمد ﴿الْبَلاَغُ﴾ التبليغ عن الله ﴿الْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢] بلغة تعلمونها.

ثم نزل في رجال من المهاجرين والأنصار لقولهم للنبي صلى الله عليه وآله كيف يكون حال الذين ماتوا على شرب الخمر قبل تحريم الخمر، فأنزل الله فيهم: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿جُنَاحٌ﴾ مأثم ﴿فِيمَا طَعِمُواْ﴾ وشربوا، وهذا فيمن شرب من الأحياء والأموات قبل تحريم الخمر ﴿إِذَا مَا اتَّقَواْ﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿وَّآمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿ثُمَّ اتَّقَواْ﴾ يعني الأحياء تجارتهم الخمر بعد تحريمها ﴿وَّآمَنُواْ﴾ بتحريمها ﴿ثُمَّ اتَّقَواْ﴾ شربها ﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾ ترك شربها ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣] في ترك شربها، وهذا فيمن شرب من الأحياء قبل البيان.

قال علي بن محمد: الصحيح عند أسلافنا عليهم السلام أن الخمر لم يكن حلالاً قط؛ لأن في شربها زوال العقل والإقدام على كل معصية من قول وفعل، والله لا يبيح ما يورث الفحشاء أو يتولد منه العصيان والمنكر، وذكر التحريم للتوكيد ورفع الشبهة[1].

ثم نزل في تحريم الصيد عام الحديبية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ ليختبركم بصيد [البر[2]]﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ إلى فراخه وبيضه ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ إلى الوحش عام الحديبية ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ﴾ لكي يرى الله ﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فيترك الصيد ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ متعمداً ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعدما حكم الله عليها ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٤] ضرب وجيع يملأ ظهره وبطنه ضرباً وجيعاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي وفي الحرم ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ نزلت هذه الآية في أبي اليسر بن عمرو[3] قتل صيداً متعمداً لقتله ناسياً لإحرامه، فأنزل الله تعالى:

---

(١) انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٢/٢٠٧}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا الْيَسَرِ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَانَ مُحْرِمًا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ بِعُمْرَةٍ فَقَتَلَ حِمَارَ وَحْشٍ فَنَزَلَتْ فِيهِ" لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ". الثَّانِيَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ). انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٦/٣٠٢}. {يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم} أي وأنتم محرمون {ومن قتله منكم متعمداً} التعمد: أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم إنما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيداً وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد وقصد برميه غير صيد فعدل السهم عن =

﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ لقتله ناسياً لإحرامه ﴿فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ فإن قتله ذاكراً لإحرامه فعليه التوبة مع الجزاء فإن قتله خطأ فلا شيء عليه ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يقول يُقَوِّمُ عليه حاكمان ﴿هَدْيًا﴾ فيشتري به هدياً ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ ويبلغ به إلى الكعبة ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ يقول أو يقوم عليه بالدراهم، والدراهم بالطعام فيطعم به مساكين أهل مكة ﴿أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ إن لم يجد الطعام يقوم عليه مكان نصف صاع [صيام[1]] يوم ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ عقوبة أمره ﴿عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف﴾ قبل التحريم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعدما حكم عليه وضرب ضرباً وجيعاً ﴿فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ﴾ فيترك حتى ينتقم الله منه ﴿وَاللّهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة:٩٥] ذو عقوبة، والصحيح[2] أن الإطعام والصيام لكل شاة عشرة مساكين، أو صيام عشرة أيام، و للبدنة مائة يوم لأنها تقوم مقام عشر شياه، أو مائة مسكين، وللبقرة سبعون يوماً، وكذلك الإطعام لأن البقرة تقوم مقام سبع شياه وهو مخير أيهما شاء فعل ذلك، وإن لم يبلغ الجزاء قدر شاة عمل على الصدقة على قدر الصيد ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ نزلت في قوم من بني

رميته فأصاب صيداً فهو مخط ومحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ لكن شرط التعمد في الآية لأنها وردت فيمن تعمد، فقد روى أنه عرض لهم في عمرة الحديبية حمار وحشي فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١٠/٢}.

(١) سقط في (أ).

(٢) من قتله متعمدا ذاكرا لما هو فيه من إحرامه فلابد له من التوبة النصوح إلى الله من ذلك. والجزاء فهو مثل ما يقتل، يحكم به عليه ذوا عدل، والعدل فهو البصير بالحكومة في ذلك مع الصلاح في الدين والخشية لرب العالمين، فمن كان قتل ما يكون جزاؤه شاة فلم يجد الشاة أطعم عشرة مساكين إن أحب أو صام عشرة أيام لان عدل الشاة من الصيام ما حكم الله به على المتمتع من صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم، فلما وجدنا الله تبارك وتعالى قد أقام صيام العشرة الايام مقام أقل الجزاء عندنا وهو شاة، قلنا إن عدل كل شاة من الصيام عشرة أيام، وقلنا إن عدل الشاة من الاطعام اطعام عشرة مساكين لانا أقمنا إطعام كل مسكين مقام صيام يوم، وكذلك أقامه الحي القيوم حين يقول في الظهار: (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) فأقام إطعام كل مسكين مقام صيام يوم فصح بذلك عندنا أن عدل الشاة من الصيام صيام عشرة أيام ومن الاطعام إطعام عشرة مساكين فإن قتل المحرم بقرة وحش أو نعامة فعليه في النعامة بدنة يحكم بها ذوا عدل، فإن كره البدنة لثقل مونتها وأحب أن يحكم عليه بالاطعام، فإنا نرى أن عليه إطعام مائة مسكين، وإن أحب أن يحكم عليه بالصيام، حكم عليه بصيام مائة يوم، وهو في الجزاء والصدقة والصيام بالخيار أيهن شاء فعل لان الله سبحانه قال: (هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما). انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٢٨٥/١-٢٨٤}.

مدلج كانوا أهل صيد البحر، سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك وعما حسر البحر عنه، فأنزل الله ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾(1).

﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما حسر عنه الماء وألقاه ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ منفعة لكم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ ولمارة الطريق المائج ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ في الحرم ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله ﴿الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة:٩٦] فيما حرم عليكم من الصيد في الحرم والحرم.

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾ أمناً وقواماً ﴿لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أمناً ﴿وَالْهَدْيَ﴾ وهي التي تهدى إلى البيت أمناً للرفعة التي الهدي فيها ﴿وَالْقَلاَئِدَ﴾ أمناً وهي التي عليها قلادة من لحاء شجر الحرم، وجعل الله أمناً للرفقة التي هي فيها ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿لِتَعْلَمُواْ﴾ لكي تعلموا ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧] من صلاحهما.

﴿اعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن استحل ما حرم الله ﴿وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨] لمن تاب. ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ عن الله ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من الشر والخير. ويقال: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون فيما بينكم. ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٩٩] تسرون بعضكم عن بعض بأخذ مال شريح.

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل المسرح الذين سلبوا ما ساق شريح ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ الحرام مال شريح ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ الحلال الذي ساق شريح ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ الحرام، أي لا يستوي ما أحله الله وما حرمه الله ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في أخذ الحرام ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ يا أهل اللب والعقل ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:١٠٠] لكي تنجوا من السخطة والعذاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ نزلت هذه الآية في حارث بن زيد(2) سأل النبي صلى الله عليه وآله حين نزل: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(3) فقال: أفي كل عام يا رسول الله حتى كرر ذلك ثلاثاً، فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ﴾ نبيكم ﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾

---

(١) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {١٠١}.

(٢) لم أجد ترجمة حارث بن زيد". قال آخرون: بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوَصيلة والحامي. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١١١/١١}.

(٣) آل عمران: ٩٧

قد عفا الله عنها ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ تؤمر لكم ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ ساءكم ذلك ﴿وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا﴾ عن الأشياء التي قد عفا الله عنها ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ جبريل بالقرآن ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ يؤمر لكم ﴿عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لمن مات على التوبة ﴿حَلِيمٌ﴾ [المائدة:١٠١] عن جهلكم ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ نبيكم أشياء ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة:١٠٢].

ويقال: إن هذا السؤال كان من قوم جهال كانوا يسألونه صلى الله عليه وآله عن أنسابهم واباءهم في أمر الدين، وكان في الناس من يطعن فيهم، فنهى الله عن ذلك، وأمرهم أن يتركوه مستوراً بحاله وأخبر أنه قد سألها قوم ثم لم يصدقوا لما عليهم فيه من العيب، فصاروا بذلك من الكافرين وهو الصحيح(١).

﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾(٢) فأما البحيرة: فمن الإبل كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس، فإن كان سقباً والسقب الذكر نحروه وأكله الرجال والنساء جميعاً، وإن كانت أنثى شقوا أذنها، فتلك البحيرة، وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت، فإذا ماتت اشتركوا في أكلها الرجال والنساء.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٦/٣٣١}.

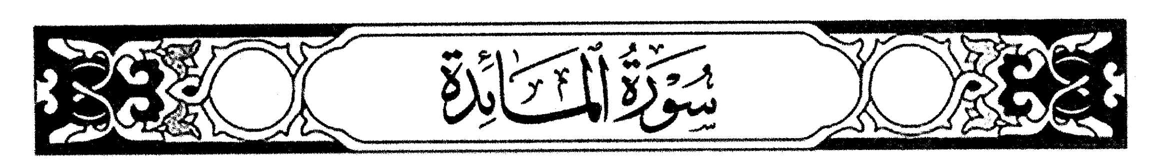
(٢) (البحيرة) الناقة إذا ولدت خمسة ابطن، فإذا كان الخامس سقبا وَهُوَ الذكر ذبحوه للآلهة، فكان لحمه للرجال دون النّساء وإن كان الخامس ربعة يعني أنثى شقوا أذنيها فهي البحيرة- وكذلك من البقر- ولا يجز لها وبر وَلا يذكر اسم اللَّه عَلَيْهَا إن ركبت أَوْ حمل عَلَيْهَا ولبنها للرجال دون النّساء.

وأما (السائبة) فهي الأنثى من الانعام كلها، كان الرجل يسيب للآلهة ما شاء من ابله وبقره وغنمه- ولا يسيب الا الأنثى- وظهورها وأولادها وأصوافها وأوبارها واشعارها وألبانها للآلهة، ومنافعها للرجال دون النساء.

واما (الوصيلة) فهي «الشاة» من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن عمدوا الى السابع، فان كان جديا ذبحوه للآلهة وكان لحمه للرجال دون النساء، وان كانت عناقا استحيوها فكانت من عرض الغنم.

- واما (الحام) فهو الفحل من الإبل إذا ركب أولاد أولاده، فبلغ ذلك عشرة او اقل من ذلك، قالوا قد حمى هذا ظهره فاحرز نفسه، فيهمل للآلهة ولا يحمل عليه، ولا يركب، ولا يمنع من مرعى، ولا ماء، ولا حمى، ولا ينحر ابدا حتى ينفق. - واما (الوصيلة) فهي «الشاة» من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن عمدوا الى السابع، فان كان جديا ذبحوه للآلهة وكان لحمه للرجال دون النساء، وان كانت عناقا استحيوها فكانت من عرض الغنم.

- واما (الحام) فهو الفحل من الإبل إذا ركب أولاد أولاده، فبلغ ذلك عشرة او اقل من ذلك، قالوا قد حمى هذا ظهره فاحرز نفسه، فيهمل للآلهة ولا يحمل عليه، ولا يركب، ولا يمنع من مرعى، ولا ماء، ولا حمى، ولا ينحر ابدا حتى ينفق. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٥/١٣٠}.



وأما السائبة: فكان الرجل يسيب من ماله ما شاء من الحيوان وغيرها، فيجيء بهـا إلـى السدنة، والسدنة خزنة آلهتهم، فيدفع إليهم فيقصُّون منه فيطعمون منه أبناء السبيل الرجال دون النساء، ويطعمون منه لآلهتهم الذكور دون الإناث حتى يموت إن كان حيوانـاً، فـإذا ماتـت اشتركت فيها الرجال والنساء.

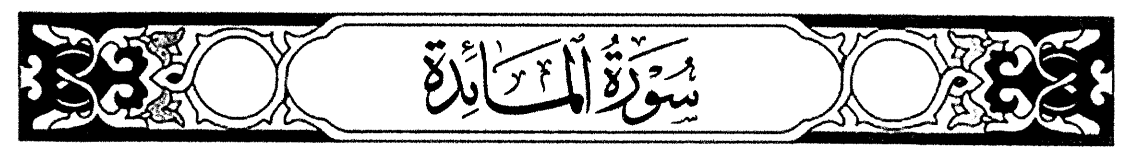
وأما الوصيلة فهي من الشاء، كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عمدوا إلـى الـبطن السابع، فإن كانت أنثى لم ينتفع النساء منها بشي حتى تموت، فإذا ماتت كانت للرجـال والنساء يأكلونها جميعاً، وإن كان ذكراً وأنثى ببطن واحد، قيل وصلت أخاها فتترك مع أخيها، فلا تذبح، وكان للرجال دون النساء حتى يموتا، فإذا ماتا اشـترك فـي أكلهـا الرجال والنساء.

وأما الحام فهو من الفحل إذا ركب ولد ولده قيل حمى ظهره فيترك ولا يحمل عليه شيء، ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا رعي، وإيما إبل أتاها فضرب فيها لم يحل بينها وبينه، فـإذا أدركه الهرم فيه أو مات أكله الرجال والنساء.

كذلك قول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عمرو بن لحي وأصحابه ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ﴾ يختلقون على الله ﴿الْكَذِبَ﴾ في تحريمها ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣] أمر الله وتحليله وتحريمه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لمشركي أهل مكة ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ﴾ إلى تحليل ما بين الله في القرآن ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ وإلى ما بين لكم الرسول من التحليل ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا﴾ مـن التحريم ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ وقد كان آباؤهم ﴿لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ مـن التوحيـد ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤] بسنة نبي فكيف يقتدون بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أقبلوا على أنفسكم ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ ضـلالة مـن ضل ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى الإيمان وبينتم ضلالتهم ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] وتقولون من الخير والشر.



نزلت هذه الآية من قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إلى ها هنا في مشركي أهل مكة حين قبل النبي صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب الجزية، ولم يقبل منهم وقد بين قصة هذا في السورة التي يذكر فيها البقرة، ويحتمل أن يكون هذا قبل نزول آية السيف[1].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ عليكم بالشهادة فيما يكون منكم بالسفر والحضر ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ عند الوصية ﴿اثْنَانِ﴾ فليشهد شاهدان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ من المسلمين المرضيين، ويقال من قومكم ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من غير أهل دينكم، ويقال: من غير قومكم، ثم ذكر السفر وترك الحضر[2].

---

(١) انظر: أسباب نزول القرآن : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح – الدمام ، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، باب سورة المائدة ، {٢١٢}. روى السيد محمد بن ابراهيم بن اسماعيل -عليهم السلام- أن المسلمين بمكة لمَّا ذاقوا حلاوة الإسلام قالوا: يا رسول الله ألا نأخذ المعاول فنضرب بها هام المشركين، فأنزل الله تعالى رحمة لهم، ليكثروا، وإبقاءً عليهم حتى يستوسق أمرهم {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} ثم نسخ ذلك بالهجرة والجهاد، قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ} [آل عمران: ١١٠]. يقول: كنتم خير أمة أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، فإن لم تفعلوا فأنتم شر أمة. انظر: التبيان في الناسخ والمنسوخ في القرآن المجيد، أبي النجم، {٩٩}.

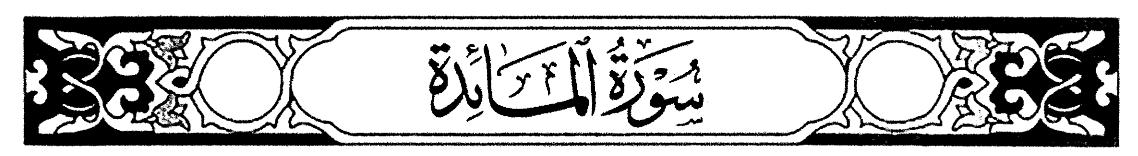
(٢) سُئِل الإمام القاسم: عن قوله: { يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم... } الآية ؟{ شهادة بينكم }هو الشهادة بينكم في قضاياهم ومواريثهم عند نزول الموت وحضوره، عندما يكون في ذلك للميت من أموره، أن يستشهدوا عند الموت شهيدين من أنفسهم، أو آخرَين من غيرهم، إن لم يحضر مسلمان عند الموت من غيرهم، لأنه ربما حضر الموت الرجل المسلم، في السفر أو غيره وليس عنده إلا كافر أو مجرم، فيضطر إلى شهادتهما، وإن هو لم يرض بهما، فإذا كانا معروفين في دينهما بالتحرج من الزور والظلم، استشهدا على الوصية وغيرها إذا لم يُظفر بمسلم، {فإن عثر} وهو: ظهر على أنهما آثمان، وأنهما ليسا بصادقين فيما عليه يشهدان، حبسا بعد صلاة من الصلوات، وحبسهما وقفهما فأقسما في وقت مما ذكر الله من الأوقات، و{إن ارتبتم} هو: ظننتم أنهما كذبا، فزادا أو نقصا، فَلْيَحلِفان بالله لا نشتري بشهادتنا وقولنا ثمنا، ولا نشهد بغير الحق لأحد ولو كان ذا قربى، ولئن فعلنا فكتمنا شهادتنا { إنا إذا لمن الآثمين }، يريد: إنا إذا لمن الظالمين، وفيما في الشهادة من الظلم، بالإخفاء لها في الكتم، ما يقول الله سبحانه: { ومن يكتمها فإنه آثم قلبه } [البقرة: ٢٨٣]، فإن استحق أنهما كاذبان، حلف من المظلومين آخران. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم {٦٠٨/٢}.

ويقال: أراد من غيركم في السفر حيث لا يحضركم غيرهم فقال: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سرتم وسافرتم ﴿فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ نزلت(1)هذه الآية في ثلاثة نفر اصطحبوا في التجارة إلى بلد فمات أحدهم ببلد يقال له بديل ابن مارية مولى عمرو بن العاص، وكان مسلماً فأوصى صاحبيه عدي بن عدي وتميم بن أوس الداري وكانا نصرانيين ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ﴾ صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ﴾ فيحلفان بالله ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ إن شككتم يا أولياء الميت أن المال أكثر مما أتيا به ﴿لاَ نَشْتَرِي بِهِ﴾ وليقولا لا نشري به باليمين ﴿ثَمَنًا﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ولو كان الميت ذا قرابة منا في الرحم ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ﴾ وليقولا لا نكتم شهادة الله عندنا إذا سُئلنا ﴿إِنَّا﴾ إن كتمنا ﴿إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾ [المائدة:١٠٦] العاصين، فتبين بعدما حلفا خيانتهما، وعلم بذلك أولياء الميت فقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا﴾ يعني النصرانيين ﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ خيانة ﴿فَآخَرَانِ﴾ من أولياء الميت، وهما عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ أوليان بالمال مقدم ومؤخر ﴿يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا﴾ مقام النصرانيين﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ من استحق عليهم بالخيانة يعني النصرانيين.

ويقال: من اللذين أمسكتم المال منهما يعني أولياء الميت ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ﴾ فيحلفان بالله أولياء الميت أن المال أكثر مما أتيا به ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ شهادة المسلمين ﴿أَحَقُّ﴾ وأصدق ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ شهادة النصرانيين ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ فليقولا ما اعتدينا فيما ادعينا ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إذا اعتدينا فيما ادعينا ﴿لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:١٠٧] الضارين الكاذبين ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾ أجدر وأحرى ﴿أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ﴾ يعني النصرانيين ﴿عَلَى وَجْهِهَا﴾ كما كانت ﴿أَوْ يَخَافُواْ﴾ أو يخاف النصرانيان ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ بعد شهادة الرجلين المسلمين فلا يكتمان ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ واخشوا الله في الأمانة ﴿وَاسْمَعُواْ﴾ ما تؤمرون به وأطيعوا ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:١٠٨] لا يرشد العاصين الكاذبين الكافرين إلى طريق الجنة في الآخرة. ويقال: لا يجعل في الحكم من

---

(١) ثلاثة نفر خرجوا إلى السفر: تميم الدّاري، وعدي بن زيد، وبديل بن ورقاء مولى العاص بن وائل، فحضر بديل بن ورقاء الوفاة وكان مسلماً، وأوصى إلى تميم الدّاري وإلى عدي بن زيد وكانا نصرانيين، وأمرهما أن يسلما أمتعته إلى أهله، وكتب أسماء الأمتعة، وأدرجه في ثيابه. فلما قدما المدينة وسلما المتاع إلى أهله، فوجد أهله الكتاب وفيه أسماء الأمتعة، وفيه جام فضة لم يسلماه إليهم. فخاصمهما المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن العاص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنزلت الآية. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٤٢٥/١}.



المهتدين إلى دينه وحجته من لم يكن أهلاً لذلك[1]. ويقال: إن حكم هذه الآية منسوخ، ويقال: إن هذا الحكم جارٍ في حال الضرورة عند الموت وهو مذهبنا.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ وهو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم في بعض المواطن ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ ماذا أجابكم القوم ﴿قَالُوا﴾ من شدة المسألة وهول ذلك الموطن ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩] بما غاب عنا من إجابة القوم، ثم يجيبون بعد ذلك فيشهدون على قومهم بالبلاغ. ويقال: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ بعدما غبنا عنهم ما كانوا عليه وأنت أعلم بذلك منا في الحياة وبعد الممات، وإن أجبنا لأنك علام الغيوب وهو الصحيح.

﴿إِذْ قَالَ اللهُ﴾ قد قال الله ﴿يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي﴾ احفظ منتي ﴿عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ بالإسلام والعبادة ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ أعنتك ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بجبريل المطهر ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ أعانك في تكليم الناس ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في الحجر والسرير بأني عبد الله ومسيحه ﴿وَكَهْلاً﴾ وأعانك بعد ثلاثين سنة بأني رسول الله إليكم ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ كتب الأنبياء. ويقال: الخط بالقلم.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ حكمة الحكماء يقول الحلال والحرام ﴿وَالتَّوْرَاةَ﴾ وعلمتك التوراة ﴿وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ تصور ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ شبه الطير وهي الخفاش ﴿بِإِذْنِي﴾ بأمري ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ كنفخ النائم ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ فتصير طيراً يطير بين السماء والأرض ﴿بِإِذْنِي﴾ وبإرادتي ﴿وَتُبْرِئُ﴾ تصحح[2] ﴿الأَكْمَهَ﴾ والأكمه الذي لم يزل أعمى[3] ﴿وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ بأمري

---

(١) بين تعالى وجه الحكم في استخلاف الشهود فقال سبحانه: {ذَلِكَ أَدْنَى} أي أقرب {أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ} أي الشهود على مثل هذه الحادثة{عَلَى وَجْهِهَا} وهي ألايحلفوا كاذبين أي ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين ومن يحلف الشاهدين اقرب إلى أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها لايكتمون شيئاً ولا يزدون شيئاً. وقوله: {أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ} عطف على يأتوا أي أقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمان أي تعاد أيمان شهود آخرين بعد إيمانهم فيفتضحوا بظهرو كذبهم كما في قصة بديل. المعنى أن تتحفظون في الشهادة مخافة أن ترد اليمين والشهادة إلى المستحق عليهم فتظهر الفضيحة ويسترد المال فيخافون ويتحرزون من الكذب، ثم قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} بامتثال ما أمركم {وَاسْمَعُوا} اسماع قبلو {وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} أي لايزيدهم بهذا لعدم قبولهم أولايحكم لهم بالهدا ولاسمعهم به. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٢٧/٥}.

(٢) (صح)الشيء صحا وصحة وصحاحا برئ من كل عيب أو ريب يقال صح المريض وصح الخبر وصحت الصلاة وصحت الشهادة وصح العقد فهو صحيح . انظر: المعجم الوسيط -: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربي، باب الصاد {١/٥٠٧}.

(٣) الأَكْمَهُ: الَّذِي يُولَدُ أَعمى. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٥٣٦/١٣}. البَرَصُ: داءٌ مَعْرُوفٌ، نسأَل اللَّهَ العافية مِنْهُ وَمِنْ كُلِّ داءٍ، وَهُوَ بَيَاضٌ يَقَعُ فِي الْجَسَدِ، برِصَ بَرَصاً، والأُنثى بَرْصاءُ. لسان العرب، لابن منظور، {٥/٧}

وإرادتي وقدرتي ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي﴾ بإرادتي وإحيائي ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ إذ هموا لقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ﴾ حيث جئتهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعجائب التي أريتهم ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿إِنْ هَـذَا﴾ ما هذا الذي يرينا عيسى ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١١٠] ظاهر، وإن قرأت ساحر مبين أرادوا به عيسى.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ القصارين الهمت وهم اثنا عشر رجلاً ﴿أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا﴾ بك وبرسولك عيسى ﴿وَاشْهَدْ﴾ أنت يا عيسى، وشهد بعضهم على بعض ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١] مخلصون بالعبادة والتوحيد.

﴿وإِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ أصفياء عيسى بن مريم شمعون الصفا (١) ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ يقول لك قومك ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل يفعل ربك، وإن قرأت بالتاء والنصب، يقول هل تستطيع أن تسأل لنا ربك ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء﴾ طعاماً من السماء.

﴿قَالَ﴾ عيسى لشمعون قل لهم ﴿اتَّقُواْ اللّهَ﴾ اخشوا الله ﴿إِن كُنتُم﴾ إذ كنتم ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:١١٢] ولعلكم تتركون شكرها فيعذبكم فقال لهم ذلك شمعون.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بما ترينا من العجائب ﴿وَنَعْلَمَ﴾ ونستيقن ﴿أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ بما تقول ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣] إذا رجعنا إلى قومنا.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء﴾ طعاماً من السماء، ويقال بركة الطعام، وكان معهم شيء من الطعام ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا﴾ لأهل زماننا ﴿وَآخِرِنَا﴾ لمن خلفنا لكي عيّد فيها وكان يوم الأحد. ويقال: معنى قوله أن ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي عائدة وفضلاً لنا ولهم فيه ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ لمن آمن، وحجة على من كفر ﴿وَارْزُقْنَا﴾ أعطنا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤] أفضل المعطين.

﴿قَالَ اللّهُ﴾ لعيسى قل لهم ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ما سألتم ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ بعد النزول والأكل ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥] عالمي زمانكم أمسخه خنزيراً، قالوا بعد النزول والأكل هذا سحر مبين.

---

(١) "كان شمعون رئيس الحواريين الأصفياء وأكثرهم صفا" انظر: تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {١٢٤٧/٤} وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، {٢٠٥/٣}.

قال عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ على هذه المقالة التي اجترموا[1] ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تتب عليهم وتغفر ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة ﴿الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] بالمغفرة لمن تاب مقدم ومؤخر. ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ﴾ يقول الله يوم القيامة ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ﴾ في الدنيا ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ﴾ على سبيل التوبيخ والتكذيب لهم ﴿قَالَ﴾ يقول عيسى ﴿سُبْحَانَكَ﴾ نزه ربه ﴿مَا يَكُونُ﴾ يقول ما كان ينبغي ويجوز ﴿لِي أَنْ أَقُولَ﴾ لهم ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ بجائز ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ﴾ لهم ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ما كان مني لهم من الأمر والنهي ﴿وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ما كان منك لهم من الخذلان والتوفيق ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦]

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله وأطيعوه ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بالبلاغ ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ما كنت فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ رفعتني من بينهم ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ﴾ الحفيظ الشهيد ﴿عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من مقالتي ومقالتهم ﴿شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧] عليم.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وتابوا ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨] تقدم تفسيرها[2].

﴿قَالَ اللهُ﴾ سيقول الله له ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ والمؤمنين إيمانهم والمبلغين تبليغهم والوافين وفاؤهم ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها في الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بإيمانهم وعملهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بالثواب والكرامة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت لكم من الخلود والرضوان ﴿الْفَوْزُ﴾ النجاة ﴿الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩]الوافر، فازوا بالجنة ونجوا من النار.

﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ خزائن السموات ﴿وَالأَرْضِ﴾ بالمطر والنبات وبالثمار وغير ذلك ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من خلق السموات والأرض والثواب والعقاب ﴿قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠].

---

(١) جرمَ يَجْرِمُ جَرْماً واجْتَرَمَ وأجْرَم فهو مُجْرِم وجَرِيمٌ وفي الحديث إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً مَن سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته. لسان العرب، لابن منظور، {١٢/٩١}.

(٢) قبل ثمانية أسطر.

ومن السور التي يذكر فيها الأنعام

وهي كلها مكية(١).

نزلت جملة واحدة غير ست آيات منها مدنيات، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ..﴾[الأنعام:١٥١] إلى آخر الثلاث. وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:٩١] إلى آخره. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٩٣] إلى آخر الآية. فهذه ست آيات نزلت بالمدينة.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول الشكر والإلهية لله ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين ﴿وَالأَرْضَ﴾ في يومين يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ خلق الليل والنهار ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] كفار مكة يعدلون به الأصنام(٢).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ من آدم وآدم من طين ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ خلق الدنيا وجعل أجلها إلى الفناء، وخلق الخلق وجعل آجالها إلى الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ﴾ أجل الآخرة معلوم عند الله بلا موت ولا فناء ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[الأنعام:٢] يا أهل مكة تشكون بالله وبالبعث بعد الموت(٣).

---

(١) قال المفسرون: أراد في مقدار ستة أيام لأن اليوم عبارة للوقت: هو من طلوع الشمس إلى غروبها فكيف يكون يوم لا شمس ولا سماء وأول الأيام الأحد وآخرها الجمعة فاجتمع الخلق فيها وكان الله تعالى قادراً أن يخلقها في طرفة عين لكن خلقها في ستة تعليماً لخلقه الرفق والتثبيت في الأموال ولما في ذلك من اعتبار الملائكة وجميع المشاهدين. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {١٥٣/٢}.

(٢) قوله تعالى: {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} يحتمل أن يكون معطوفاً على قوله: {خلق السماوات} على معنى خلق هذه الأشياء العظيمة التي لا يقدر عليها أحد سواه ثم إنهم يعدلون أي يجعلون له عدلاً؛ أي مثلاً حيث يعبدون ما لا يقدر على شيء أصلاً، ويحتمل أن يكون عطفاً على قوله: {الحمد لله} على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق؛ لأنه ما خلقه إلا نعمة، {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} به {يَعْدِلُونَ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٤٩/٥} وتفسير مقاتل بن سليمان، {٨١/٢}.

(٣) سُئل الإمام القاسم: عن قوله تعالى: { هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون }؟ خلقُه سبحانه لهم من طين، فهو خلقه لأبيهم آدم صلى الله عليه، لأن ما كان نسلا منه فمخلوق مما خلق منه، { ثم قضى أجلا } الأجل المقضي هو الموت والوفاة، والأجل المسمى عنده هو أجل يوم الحساب والمجازاة. انظر: مجموع كتب ورسائل القاسم بن إبراهيم الرسي ، {٦٠٣/٢-٦٠٤}.

﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ يقول هو إله من في السموات ومن في الأرض ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ﴾ يقول يعلم السر منكم والعلانية ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[الأنعام:٣] ما تعملون من الخير والشر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ يعني أهل مكة ﴿مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ مثل انكساف الشمس وانشقاق القمر والنجوم ﴿إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا﴾ عن الآيات ﴿مُعْرِضِين﴾[الأنعام:٤]مكذبين بها ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ يعني أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن والآية ﴿لَمَّا جَاءهُمْ﴾ محمد بهما ﴿فَسَوْفَ﴾ وهذا وعيد لهم ﴿يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [الأنعام:٥] حين استهزأ بهم يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ألم نخبر أهل مكة في القرآن ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ من أمم خالية ﴿مَّكَّنَّاهُمْ﴾ وملكناهم وأمهلناهم ﴿فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ نملككم ونمهلكم يا أهل مكة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ مطراً دائماً درراً كلما احتاجوا إليه ﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ﴾ أجرينا الأنهار ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ من تحت بساتينهم وزروعهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ خلقاً ﴿مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِين﴾[الأنعام:٦] قرناً خيراً منهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ ولو نزلنا عليكم جبريل بالقرآن جملة ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ في صحيفة كما سألك عبد الله بن أمية[1] المخزومي وأصحابه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فأخذوه و قرأوه ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عبد الله بن أمية ﴿إِنْ هَـذَا﴾ ما هذا ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[الأنعام:٧]كذب بين ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني عبد الله بن أمية المخزومي ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ فشهد له بما يقول ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما سألوك ﴿لَّقُضِيَ الأَمْرُ﴾ لنزل بعذابهم وقبض أرواحهم، ويقال: لفرغ من هلاكهم ﴿ثُمَّ لاَ يُنظَرُون﴾ [الأنعام:٨] لا يؤجلون.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ يعني الرسول ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ في صورة رجل آدمي حتى يقدروا أن ينظروا إليه ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُون﴾[الأنعام:٩] إذا رأوه في صورة آدمي.

---

(١) نزلت في عبد الله بن أمية والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص بن الأحنف وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، ويغيض بن عامر بن هشام لولا يعني هلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلائِكَةُ فكانوا رسلا إلينا أوْ نَرى رَبَّنا فيخبرنا أنك رسول، يقول الله- تعالى-: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا يقول تكبروا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠/٣}.

ويقال[1]: للبسنا عليهم لخلطنا عليهم صورة الملائكة ما يلبسون كما يخلطون على أنفسهم صفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أستهزأ بهم قومهم كما أستهزأ قومك ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ فوجب ونزل ودار بالذين سخروا منهم من الكفار ﴿مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾[الأنعام:١٠]عقوبة استهزائهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ سافروا في الأرض ﴿ثُمَّ انظُرُواْ﴾ تفكروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين﴾[الأنعام:١١] آخر أمر المكذبين بالله والرسول.

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من الخلق فإن أجابوك وإلا فـ﴿قُل﴾ لهم ﴿لِلَّهِ﴾ خلق السموات والأرض ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ بأمة محمد بتأخير العذاب ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ والله ليجمعنكم ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليوم القيامة ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ غبنوا أنفسهم ومنازلهم وخدمهم وأزواجهم في الجنة ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون﴾[الأنعام:١٢] بمحمد والقرآن.

ونزل في مقالتهم لمحمد:ارجع إلى ديننا حتى نعينك ونزوجك ونعزك ونملكك على أنفسنا: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ما استقر وخلق في وطنه في الليل والنهار ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالتهم ﴿الْعَلِيم﴾[الأنعام:١٣] بعقوبتهم وبأرزاق الخلق.

---

(١) سُئل الإمام القاسم: عن قوله تعالى: { وقالوا لو لا أنزل عليه ملك } ؟ وكانوا يقولون لو لا أنزل عليه فيكون معه فيشهد له من رسالته بما ينكرون، فقال الله سبحانه: { ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر - فيهم بأخذهم - ثم لا ينظرون } ، يقول تبارك وتعالى: ثم لا يتركون ساعة ولا يؤخرون، فما ينفعهم إذا أُخذوا إيمانهم، بعد رؤيتهم للعذاب وعيانهم. ثم قال سبحانه: { ولو أنزلنا ملكا } ما أيقنوه، إلا أن يروه رؤية ويعاينوه، وما كانوا ليروه عيانا، إلا أن يجعله الله مثلهم إنسانا، في الصورة والحلية، وما للرجال من الهيئة، لا في جميع حدود البشرية، ولكنه في المنظر والرؤية، فقال سبحانه: { ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون }، يقول سبحانه ولو فعلنا ذلك به فجعلناه رجلا كما يعرفون، لزادهم ذلك لبسا إلى لبسهم، ولما أيقنوا أنه ملك في أنفسهم، ولو نزلنا عليه الملك على حاله ملكا، لما كان أحد منهم معاينا له ولا مدركا، إلا أن يأتيهم من الصورة وهيئتها في مثل لباسهم منها، فيرونه ويدركونه بمثل دركهم [و] رؤيتهم لها، وإلا لم يروه ولم يعاينوه أبدا، وكيف يرون من كان من الملائكة ولم يروا قط من الجن أحدا، والجن في احتجابها عنهم أقرب إليهم قربا، والملائكة أبعد عنهم مكانا ومحتجبا. انظر: مجموع كتب ورسائل القاسم بن إبراهيم الرسي ، {٥٨٥/٢}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبد رباً ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خالق السموات والأرض ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزق العباد ﴿وَلاَ يُطْعَمُ﴾ ولا يرزق. ويقال(1): لا يعان على الترزيق.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار أهل مكة ﴿إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أول من يكون على الإسلام.

ويقال: أول من أخلص العبادة والتوحيد[لله(2)] (3).

﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤] مع المشركين على دينهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾ أعلم ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ وعبدت غيره ورجعت إلى دينكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام:١٥] عذاباً عظيماً في يوم عظيم. ويقال: عذاباً في يوم عظيم.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ عصمه وغفر له ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام:١٦] النجاة الوافرة. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ﴾ يصبك الله ﴿بِضُرٍّ﴾ بشدة وفقر ﴿فَلاَ كَاشِفَ لَهُ﴾ فلا دافع له ﴿إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ يصبك بنعمة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الشدة والفقر والنعمة والغنى ﴿قَدُيرٌ﴾[الأنعام:١٧]. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ على عباده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره وقضائه ﴿الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨] بخلقه وبأعمالهم.

ونزل في مقالتهم للنبي صلى الله عليه وآله ائتنا بشهيد: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً﴾ أعدل وأزكى شهادة، فإن أجابوك وإلا فقل ﴿اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسوله، وهذا القرآن كلامه ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ أنزل إلي جبريل هذا القرآن ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ﴾ لأخوفكم بالقرآن ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ إليه خبر القرآن فأنا نذير له ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَشْهَدُونَ أَنَّ

---

(١)انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {١٠٦}

(٢) سقط في (أ).

(٣){فاطر السموات والأرض} أي مبتدئهما ومبتدعهما على غير مثال {وهو يطعم ولا يطعم} أي يرزق ولا يرزق والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الإنتفاع وقربى وهو يطعم ولا يطعم والضمير لغير الله وقربى وهو يطعم ولا يطعم وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح بمعنى هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر {قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم} لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبق أمته بالإسلام كقوله: {فبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} وكقول موسى {سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} أي ولا تكونن أي وقيل لي: ولا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٣٨/٢}.

مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ يعني الأصنام، ويقولون إنها بنات الله ، فإن شهدوا على ذلك ﴿قُل لاَّ أَشْهَدُ﴾ معكم ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾ إنما الإله إله واحد ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:١٩] به من الأصنام في العبادة[(١)].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أعطيناهم علم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعرفون محمداً بصفته ونعته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ﴾ بين الغلمان[(٢)] ﴿الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ غبنوا أنفسهم بذهاب الدنيا والآخرة، يعني كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٢٠] بمحمد والقرآن.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أجرأ ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ﴾ اختلق على الله ﴿كَذِبًا﴾ فأشركه بآلهة شتى ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ لا ينجو ولا يأمن ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١] الكاذبون المشركون من عذاب الله.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ كافة للناس يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ بالله الآلهة ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ آلهتكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[الأنعام:٢٢] تعبدون وتقولون إنهم شفعاؤكم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ عذرهم وجوابهم ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾ إلا قولهم ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٢٣]به أي عند أنفسنا.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد، ويقال: تقول الملائكة انظر[(٣)]. ﴿كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ كيف أوجبوا عقوبة كذبهم على أنفسهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ اشتغل عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام:٢٤] يعبدون بالكذب، ويقال: بطل افتراؤهم[(٤)].

---

(١) {قل أي شهادة أكبر} المعنى أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ في التعميم {قل الله} بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتداء {شهيد بيني وبينكم} أي هو شهيد بيني وبينكم ويحتمل....الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب .الله شهيد بيني وبينكم على صحة ما أدعوكم اليه من توحيده ودين الإسلام {وأوحي الي هذا القرآن} الذي هو شاهد لي على صحة النبوة {لأنذركم به} يا أهل مكة من سوء عاقبة ما أنتم عليه من الظلال {ومن بلغ} أي وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٣٩/٢}.

(٢) عَنْ مُقَاتِلٍ، قَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلامٍ قَالَ: لأَنَا أَعْرَفُ بِمُحَمَّدٍ- عَلَيْهِ السَّلامُ- مِنِّي بِابْنِي، لأَنِّي لا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَتْ فِيهِ أُمُّهُ، ثمّ نعتهم فَقَالَ: الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يعنى غبنوا أنفسهم فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٥٥٤/١}.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، {٥٢٣/٦}.

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ، {١١٥/٢}.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يقول ومن أهل مكة من يسمع إلى كلامك وحديثك، منهم أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية وأبي ابنا خلف، والحارث بن عامر[1].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لكي لا يفقهوا كلامك وحديثك ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً لكي لا يسمعوا الحق والهدى[2].

ويقال[3]: ثقلاً على الهدى أن يعقلوه، ومعنى الآية أنه شبه قلوبهم لإلفهم الكفر وتمسكهم به على سبيل الذم والتوبيخ ونسب إلى نفسه ذلك بمعنى التخلية، وترك المنع، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً[4]﴾ [5].

ويقال: فيه إضمار وهو حكاية عنهم، كما قال في موضع آخر ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ...﴾[6].

---

(١) انظر: تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية ،ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ،الباب ٢٥ ،{٩٥/٢}.

(٢) قال الإمام الهادي: هو إنكار لقولهم الذي قالوا حين دعاهم الرسول إلى الحق وبين ما هم عليه من الباطل والفسق، فقالوا له استهزاء وعبثاً: ؟ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ؟[فصلت: ٥]، فقال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم يحكي قولهم، ويرد كذبهم عليهم، فقال: ؟إنا جَعَلْنَا؟، يريد سبحانه: إنا جعلنا على قلوبهم أكنة كما قالوا، وفي آذانهم وقراً كما ذكروا، بل الزور في ذلك قالوا، وبالباطل تكلموا؛ فأراد بذلك معنى الإنكار عليهم والتكذيب لهم والتقريع بكذبهم.. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) {٣٥٨-٣٥٩}.

(٣) القول لبن عباس تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض – السعودية ،ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م {٩٥/٢}.

(٤)المائدة من الآية: ١٣.

(٥) {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} يعني بينا عن حال قلوبهم وما هي عليها من القساوة ولأنهم لا يؤمنون ولا تنفع فيهم عظة، عن أبي علي، كقولهم جعلته فاسقاً وجعلته عدلاً إذا أبان عن حاله للناس، فمعنى الجعل هنا الحكم والبيان لا الخلق والإحداث كأنه قيل: ولما قست قلوبهم حكمنا عليهم بذلك وبينا حالهم أو خذلناهم بمعنى الإلطاف حتى قست قلوبهم. ثم إنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٨٧/٥}.

(٦) فُصِّلَت الآية : ٥.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ﴾ طلبوا منك ﴿لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ ما طلب منه حارث بن عامر ﴿حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ﴾ جاءوا إليك ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ يسألونك ماذا أنزل من القرآن، فإذا أخبرتهم ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ نضر بن الحارث ﴿إِنْ هَذَآ﴾ ما هذا الذي يقول محمد ﴿إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام:٢٥] كذب الأولين وأحاديثهم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهو أبو جهل وأصحابه ينهون عنه عن محمد والقرآن ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يتباعدون عنه.

يقال: هو أبو طالب من قبل كان ينهى الناس عن أذى النبي ولا يتابعه ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٦] وما يعلمون أن أوزار الذين يصدون عنه هي عليهم(١).

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ حبسوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ بالكتب والرسل ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧] مع المؤمنين في السر والعلانية.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ﴿مَّا كَانُواْ﴾ عقوبة ما كانوا ﴿يُخْفُونَ﴾ يسرون من الكفر والشرك ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا كما سألوا ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ من الكفر والشرك

---

(١) اعلم أن النهي عن الرسول محال، بل لا بد أن يكون النهي عن فعل يتعلق به صلى الله عليه وآله وسلم وهو غير مذكور فلا جرم حصل فيه قولان منهم من قال المراد أنهم ينهون عن التصديق بنبوته والإقرار برسالته.
وقال عطاء ومقاتل وهو الذي في البرهان: إنها نزلت في أبي طالب كان ينهى قريشاً عن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يتباعد عنه ولا يتبعه في دينه، قالوا: يدل على ذلك قول أبي طالب حين اجتمعوا إليه وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوءاً فقال شعراً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم — حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة — وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي — ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه — من خير أديان البرية دينا

ما ذهبوا اليه يفسد من وجهين: الأول: أن جميع الآيات المتقدمة في هذه الآية تقتضي ذم طريقتهم فكذلك قوله: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ} ينبغي أن يكون محمولاً على أمر مذموم، ولو حملناه على أن أبا طالب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم.

والثاني: أنه قال تعالى بعد ذلك: {وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ} فعنى به ما تقدم ذكره ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ} النهي عنه عن أذيته؛ لأن ذلك حسن لا يوجب الهلاك. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٥/٤٨٠}.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون﴾[الأنعام:٢٨] لأنهم لو ردوا لم يؤمنوا به. ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي ما حياتنا إلا حياتنا الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِين﴾ [الأنعام:٢٩] بعد الموت.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يقول الله لهم، ويقال: يقول لهم الملائكة: ﴿أَلَيْسَ هَـذَا بِالْحَقِّ ﴾ أليس هذا العذاب والبعث بعد الموت حقاً ﴿قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا﴾ أنه لحق كما قالت الرسل ﴿قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُون﴾ [الأنعام:٣٠] بالبعث بعد الموت ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ﴾ قد غبن الذين ﴿كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ﴾ بلقاء ربهم بالبعث بعد الموت حتى يقول: انظرهم يا محمد ﴿حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا﴾ يا خزياه يا ندامتاه ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ تركنا في الدنيا، يعني الإيمان والتوبة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُون﴾ [الأنعام:٣١] بئس ما يحملون من الذنوب.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما في الحياة الدنيا من الزهرة والنعيم ﴿إِلاَّ لَعِبٌ﴾ فرح ﴿وَلَهْوٌ﴾ وباطل ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾ [الأنعام:٣٢] أن الدنيا فانية والآخرة باقية.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾ من الطعن والتكذيب وطلب الآية، يعني حارث بن عامر[1] وأصحابه ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿بِآيَاتِ اللّهِ﴾ في العلانية ﴿يَجْحَدُون﴾ [الأنعام:٣٣] ويقال: لا يجدونك كاذباً ولا يمكنهم تكذيبك على الحقيقة[2].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كذبهم قومهم ﴿فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ وصبروا على أذى قومهم ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ على قومهم ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾ بالنصرة والدولة لأوليائه على أعدائه.

---

(١) نزلت في الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي. كان الحارث يكذب النبي- صلى الله عليه وسلم- في العلانية. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ،{٥٥٨/١}

(٢) معناه فإنهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله لأنك رسوله فاشتغل عن نفسك بما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله. وقيل: فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله عن ابن عباس أي لا يكذبونه بقلوبهم ولكن يجحدونه بألسنتهم لعداوتهم لله وعنادهم وكفرهم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٨٧/٥}.

﴿وَلَقَدْ جَاءكَ﴾ يا محمد ﴿مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤] من خبر المرسلين كيف كذبهم قومهم فصبروا على ذلك ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عَظُمَ عليكم تكذيبهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ قدرت ﴿أَن تَبْتَغِيَ﴾ تطلب ﴿نَفَقًا﴾ سرباً ﴿فِي الأَرْضِ﴾ فتدخل فيه ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء﴾ أو تنشأ طريقاً فتصعد فيه إلى السماء ﴿فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ يقول بالآية التي طلبوا منك ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ على التوحيد كرهاً ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥] بمقدوري عليهم.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يؤمن ويطيع ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ويصدقون، ويقال: يقبلون الموعظة ﴿وَالْمَوْتَى﴾ يعني موتى يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب[1]، ويقال: الموتى بالقلب.

﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦] في المحشر يجزيهم بأعمالهم.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني كفار مكة حارث بن عامر وأصحابه، وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة، وأمية وأبي ابنا خلف، والنضر بن الحارث ﴿لَوْلاَ﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ علامة ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ لنبوته ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلِ آيَةً﴾ كما طلبوا ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧] أن الله تعالى لا يفعل ما لا يفيد شيئاً، ولا يؤثر فيهم لأنه عبث وليس بحكمة إذا كان كذلك[2].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ من السماء والأرض ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ خلق عبيد أمثالكم أي مثلكم كثير ككثرتكم يقتاتون قوتكم ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ﴾ ما تركنا من الذي كتبنا في اللوح المحفوظ ﴿مِن شَيْءٍ﴾ إلا ذكرناه في القرآن ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ الطيور والدواب إلى ربهم ﴿يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] مع سائر الخلق يوم القيامة. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿صُمٌّ﴾ بقلوبهم يتصاممون عن الحق ﴿وَبُكْمٌ﴾ يتباكمون عن الحق والهدى ﴿فِي

(١)انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، الباب ٥٢،{٣٢٤/٦}.

(٢) انظر: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة ، ط١، الباب ٣٧،{١٦٧/١}.

﴿الظُّلُمَاتِ﴾ أي هم على الكفر ﴿مَن يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ﴾ يتركه مخذولا على ضلالة وهم الفاسقون، كما قال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (١) على معنى الحكم والتسمية(٢).

﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ﴾ يثبته ويوفقه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الأنعام:٣٩] قائم يَرْضاه وهو الإسلام على معنى الحكم والتسمية أو زيادة الهدى كما قال: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾(٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُكُم﴾ ما تقولون يا أهل مكة ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ﴾ يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ أو أتاكم العذاب يوم القيامة ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ لكشف العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام:٤٠] أجيبوا إن كنتم صادقين أن الأصنام شركاؤه. ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ تقرون له بالدعوة ﴿فَيَكْشِفُ﴾ فيرجع العذاب ﴿مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُون﴾ [الأنعام:٤١] به من الأصنام فلا تدعونهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما أرسلنا إلى قومك ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء﴾ إذ لم يؤمنوا بالخوف والبلاء والشدائد ﴿وَالضَّرَّاء﴾ الأمراض والأوجاع والجوع ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُون﴾ [الأنعام:٤٢] لكي يدعوا ويؤمنوا إذا كشف عنهم العذاب.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُواْ﴾ آمنوا ﴿وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ حقت ويبست قلوبهم ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [الأنعام:٤٣] في كفرهم أن حال الدنيا هكذا يكون شدة ونعمة.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ تركوا ما أنزل به في الكتاب ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الزهرة والخصب والرفق والنعيم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ﴾ أعجبوا بما أوتوا أعطوا من الزهرة والنعيم ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ فجأة بالعذاب ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون﴾ [الأنعام:٤٤] آيسون من كل خير. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ﴾ غابر ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا أي استؤصلوا بالهلاك ﴿وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾[الأنعام:٤٥] قل الحمد لله والشكر لرب العالمين على استئصالهم.

---

(١) البقرة من الآية: ٢٦.

(٢) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي عليه السلام، {٢٦٥/١}.

(٣) محمد من الآية: ١٧.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ ما تقولون يا أهل مكة ﴿إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلم تسمعوا موعظة ولا هدى ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ فلم تبصروا الحق ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم﴾ فلم تعقلوا الهدى ﴿مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ يعني الأصنام ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذ الله منكم ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبين القرآن لهم ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:٤٦] يعرضون يكذبون بالآيات[١].

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينة ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ بالعذاب ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٧] العاصون بما أمروا به، ويقال: المشركون.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة لمن آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار لمن كفر ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بالرسول والكتب ﴿وَأَصْلَحَ﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف أهل النار ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨] إذا حزنوا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ يصيبهم العذاب ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام:٤٩] يكفرون بمحمد والقرآن. ﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ﴾ مفاتيح خزائن الله ولا النبات ولا الثمار والأمطار والعذاب ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ متى نزول العذاب ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من السماء ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ ما أعمل شيئاً ولا أقول ﴿إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ إلا ما أمرت في القرآن.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن في الطاعة والثواب ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] في أمثال القرآن.

نزلت هذه الآية من قوله: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ﴾ إلى هاهنا في أبي جهل وأصحابه حارث وعتبة[٢].

---

(١){قل أرائتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم} يعني بأن يصمكم و يعميكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يذهب عنها فهمكم وعقلكم {من إله غير الله يأتيكم به} أي أخذ وختم عليه {انظر: كيف نصر ف الآيات} أي نكررها عليهم واضحة بينة قاطعة {ثم هم يصدفون} أي يعرضون عن الايات بعد ظهورها. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف مصدر سابق {٥٤/٢}.

(٢)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٥٦٢/١} وبحر العلوم للسمرقندي ، {٤٥٠/١}.

ثم نزل في الموالي: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ خوف بالقرآن، ويقال: ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ يعلمون ويستيقنون، منهم بلال بن رباح[1]، وصهيب بن سنان[2]، وعمار بن ياسر[3]، ومهجع[4]بن صالح، وسلمان[5] وأبو ذر[6]، وعامر بن فهيرة[7]، وخباب بن

---

(١) بلال بن رباح الحبشي، بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله: مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين للإسلام. وفي الحديث: بلال سابق الحبشة ، وكان شديد السمرة، نحيفا طوالا، خفيف العارضين، له شعر كثيف ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما توفي رسول الله أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك. وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم. وتوفي في دمشق. انظر: تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، باب (بكير، وبلال، وبهز)،{١٣٦/١}.

(٢) صهيب بن سنان كنيته - أبو يحيى- أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلا، ولما هاجر صهيب إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فتوعدهم بأن يرميهم بسهامه، وكان راميا، أو يعودوا، وقال لهم: إن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا عليه فدلهم ومضى، ولحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما وصل إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال له: ربح البيع أبا يحيى. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير،{٣٨/٣}.

(٣) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان مولى بني مخزوم، أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به. كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلقبه «الطيب المطيّب» شهد معظم الوقائع، شهد وقعة الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه، وقتل في الثانية سنة ٣٧ هـ. بصفين مع الإمام علي رضي الله عنه سنة ٣٧هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير،{١٢٢/٤}.

(٤) مولى عمر بن الخطاب. ويقال إنّه من أهْل اليمن أصابه سبيٌ فَمَنّ عليه عُمَر بْن الخطاب. وكان من المهاجرين الأولين. وقتل يوم بدْر بين الصفين. لا عقب له. انظر: الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، باب مهجع بن صالح، {٢٩٩/٣}.

(٥) سلمان الفارسي ويكنى أبا عبد الله. أسلم عند قُدُوم النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ وكان قبل ذلك يقرأ الكتب ويطلب الدين. وكان عبدا لقوم من بني قريظة فكاتبهم فأدى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كتابته. وعتق وهو إلى بني هاشم. وأول مشاهده الخندق. وقد كان نزل الكوفة وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان. الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م {٩٥/٦}

(٦) أبو ذرّ الغِفَاري جُندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غِفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: صحابي، من كبارهم. قديم الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا. يضرب به المثل في الصدق. وهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية (وكان والي الشام) إلى عثمان فأمره عثمان بالرحلة إلى الرَّبَذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات [سنة ٣٢هـ]. وكان كريما لا يخزن من المال قليلا ولا كثيرا، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير،{٩٦/٦}.

(٧) عامر بْن فهيرة، مولى أَبي بكر الصديق، يكنى أبا عمرو. وكان مولدًا من مولدي الأزد، أسود اللون، مملوكًا للطفيل بْن عَبْد اللَّهِ بْن سخبرة، أخي عائشة لأمها. وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ دار الأرقم، أسلم وهو مملوك، وكان حسن الإسلام، وعذب في اللَّه، فاشتراه أَبُو بكر، فأعتقه. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٣٤/٣}.

الأرت[1]، وسالم مولى أبي حذيفة [2]: ﴿أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ بعد الموت ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿وَلِيٌّ﴾ حافظ يحفظهم ﴿وَلاَ شَفِيعٌ﴾ ينجيهم غير الله ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١] لكي يتقوا المعاصي.

﴿وَلاَ تَطْرُدِ﴾ يا محمد يقول عيينة بن حصن الفزاري، حيث قال: اطرد هؤلاء عنك حتى يجيء إليك أشراف قومك ويسمعوا كلامك ويؤمنوا بك، وطلبوا أيضاً من عمر أن يقول للنبي صلى الله عليه وآله: اجعل مجلسك يوماً لنا ويوماً لهم، ولم يرض الله بذلك ونهاهم عن ذلك فقال: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ يعني سلمان وأصحابه من الموالي ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ غدوة وعشية بالصلوات الخمس ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وجه الله بذلك ورضاه ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ من مؤنتهم ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ﴾ من مؤنتك ﴿عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ لا تطردهم ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام:٥٢] الضارين بنفسك[3].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ العربي بالموالي، والشريف بالوضيع، نزلت[4] هذه الآية في عيينة بن حصن الفزاري، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية بن خلف الجمحي، والوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو وأشباههم من الرؤساء ابتلوا بالموالي ﴿لِّيَقُولواْ﴾ لكي يقولوا يعني عيينة بن حصين الفزاري وأصحابه ﴿أَهَـؤُلاء﴾ سلمان وأصحابه ﴿مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم﴾ بالإيمان ﴿مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] بالمؤمنين بمن كان أهلاً لذلك.

---

(١) خباب بن الأرتّ بن جندله بن سعد، ينتهي نسبه إلى زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد، وقيل: أبا يحيى، توفي سنة٣٧هـ، وقيل: سنة٣٩هـ، وكانت أمه ختانة، وخباب من فقراء المسلمين وخيارهم، وكان في الجاهلية قيناً حداداً يعمل السيوف، وهو قديم الإسلام، قيل: إنه كان سادس ستة، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وهو معدود من المعذبين في الله، نزل خباب الكوفة ومات بها بعد أن شهد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام صفين ونهروان، وصلى عليه علي عليه السلام، سَنَة سَبْع وَثَلاثِينَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. ودفن بظهر الكوفة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٤٧/٢}.

(٢) سالم بن معقل ويقال: أبو عبيد مولى أبي حذيفة بن عتبة كان من فارس من أهل إصطخر، وقيل: إنه من عجم الفرس كان من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم معدود في المهاجرين والأنصار وفي قريش وفي العجم وفي الموالي. أما عده في قريش فلأن أبا حذيفة تبناه. وأما عده في الأنصار فلأنه كان عبد لزوجة أبا حذيفة سهلة أو سلمى. شهد بدراً، قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٣٨٢/٢}.

(٣) انظر: تنوير المقباس ، لابن عباس، {١١٢}.

(٤) انظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي،{١٤٥/٤}.

﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ بكتبنا ورسلنا وهم بعض الصحابة ﴿فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي نخبرك بسلامه، فقد قبل ربكم توبتكم وعودكم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أوجب ربكم على نفسه الرحمة لمن تاب ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا﴾ ذنباً ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ بتعمد وإن كان جاهلاً بعقوبته ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد السوء ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين ربه ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤]لمن تاب.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبين القرآن بالأمر والنهي وخبرهم ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥] طريق المشركين، عيينة وأصحابه لمن لا يؤمن.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لعيينة وأصحابه ﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾ في القرآن ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللّهِ﴾ من الأوثان. ﴿قُلْ﴾ يا محمد لعيينة ﴿لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ﴾ في عبادة الأصنام وطرد سلمان وأصحابه عني ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ عن الهدى ﴿إِذًا﴾ إن فعلت ذلك ﴿وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:٥٦]للصواب إن طردتهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للنضر بن الحارث وأصحابه ﴿إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ على **بصيرة** من أمري وديني ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ بالقرآن والتوحيد ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ ما الحكم بنزول العذاب ﴿إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ يقضي الحق ويحكم بالعدل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧] أفضل القاضين(١).

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ لفرغ من هلاككم ﴿وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٨] بعقوبة المشركين وأصحابهم فوقع بالنضر بن الحارث العذاب الذي سأل فقتل صبراً يوم بدر(٢).

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ خزائن المطر والنبات والثمار، ونزول العذاب الذي يستعجلون به يوم بدر ﴿لاَ يَعْلَمُهَا﴾ لا يعلم مفاتيح الغيب بنزول العذاب الذي يستعجلون به ﴿إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من الخلق والعجائب. ويقال(٣): ما يهلك في البر والبحر ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٣٠/٢}.

(٢) القتل صبرا: أن يحاصر الانسان ويرمى حتى يموت. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٤٣٧/٤}.

(٣) قَالَ يَحْيَى: وَبَلَغَنَا أَنَّهُ يَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. انظر: تفسير يحيى بن سلام، انظر: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، {٦٨٨/٢}.

من الشجر ﴿إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ كم دوراناً تدور ﴿وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾ تحت الصخر إلى أسفل الأرضين لا يعلم ذلك إلا الله ﴿وَلاَ رَطْبٍ﴾ يعني في الماء ﴿وَلاَ يَابِسٍ﴾ يعني في البادية ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] مكتوب كل ذلك في اللوح المحفوظ، مبين مقدارها ووقتها.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم في المنام ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ ما اكتسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ يرد أرواحكم إليكم ﴿فِيهِ﴾ في النهار.

ويقال[1]: يميتكم بالليل ثم يبعثكم فيه في النهار ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لكي يتم أجلها ورزقها ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٦٠] من الخير والشر.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ على عباده ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً﴾ من الملائكة، ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتبون حسناتكم وسيئاتكم ﴿حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ حضره الموت ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ قبضته ﴿رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿وَهُمْ﴾ يعني ملك الموت وأعوانه ﴿لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] لا يؤخرون الميت طرفة.

﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ﴾ يوم القيامة ﴿مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾ وليهم بالثواب والعقاب بالعدل بالحق. ويقال: ﴿مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾ المستحق للعبادة، ويقال: ﴿مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾ معبودهم الحق، ولكن لم يعبدوه بالحق غاية عبادته، وكل معبود غير الله باطل. ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء بين العباد يوم القيامة ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢] إذا حاسب فحسابه سريع.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من شدائد البر والبحر وأهوالها ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ سراً وعلانية، وإن قرأت بجر الخاء خيفة مستكيناً ﴿لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ من هذه الأهوال والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٦٣] المؤمنين ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهم ﴿اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ من شدائد البر والبحر ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم وهول ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٤] به الأصنام[2].

(١) القول لقتادة. انظر: تفسير عبد الرزاق، {٤٩/٢}.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥١/١}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما بعث على قوم نوح وقوم لوط ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أهواء مختلفة كما كانت في بني إسرائيل بعد النبيين ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالسيف وهو بتخلية الله لهم، ورفع النصر عنهم وتركهم ورأيهم.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ كيف نبين القرآن بأخبار الأمم الماضية وما فعلت بهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥] أمر الله وتوحيده.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:٦٦] بكفيل. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ لكل قول من الله ومني من الأمر والنهي، والوعد والوعيد والبشرى والنصرة والعذاب ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ فعل وحقيقة منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٧] ذلك في الدنيا والآخرة(١).

ويقال: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ حقيقة، وحقيقة ذلك في القلب ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ماذا يفعل بكم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يستهزؤون بك وبالقرآن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ واترك مجالستهم ﴿حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ كي يكون خوضهم في حديثهم في غير القرآن والاستهزاء به ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ بعد النهي ﴿فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ ما ذكرت ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] المشركين أمر الله نبيه إذ كان بمكة فشق على أصحابه فرخص لهم بعد ذلك بالجلوس معهم للعظة والنهي(٢).

---

(١) قال: {قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} أي قل لهم لست أنا بحافظ عليكم أعمالكم حتى أجازيكم على تكذيبكم وإعراضكم عن قبول الدلائل إنما أنا منذر والله المجازي لكم بأعمالكم وهذا من زجر التهديد. ثم قال: {لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ} أي لكل خبر أخبر الله عزّ وجلّ من وعد أو وعيد وقت مستقر في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره {وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} وقوعه، يجوز أن يراد به عذاب الآخرة وعذاب الاستئصال، وقيل لكل عمل جرى من خير وشر عن الحس والكل وعيد لهم بما ينزل من العذاب. والله أعلم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٤/٦}.

(٢) لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يغشى حِلَقهُم ولا يُجالسهم وإنما كانوا يغشونه ويقعدون عنده فإذا وعظهم وتلا عليهم ما أنزل الله سبحانه على أفضل الأعمال وأدبهم بأحسن الآداب ونهاهم عن القعود مع الخائضين، ثم قال عزّ وجلّ: {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فنهاه عزّ وجلّ أن لا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٥/٦} وتفسير مقاتل بن سليمان، {٥٦٦/١-٥٦٧}.

فقال: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والكفر والفواحش والاستهزاء بمحمد والقرآن ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ مأثمهم واستهزائهم ﴿مِّن شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَى﴾ ولكن ذكرهم بالقرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾ [الأنعام:٦٩] الكفر والشرك والاستهزاء بمحمد والقرآن.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ اتخذوا دينهم يعني اليهود والنصارى ومشركي العرب، ﴿اتَّخَذُواْ﴾ دين آبائهم المؤمنين ﴿لَعِبًا﴾ ضحكة واستهزاء ﴿وَلَهْوًا﴾ ويقال: ﴿دِينَهُمْ﴾ عندهم ﴿لَعِبًا﴾ فرحاً ﴿وَلَهْوًا﴾ باطلاً.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما في الحياة الدنيا الزهرة والنعيم ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ وعظ بالقرآن، ويقال: بالله ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ لكي لا تهلك ولا ترهن ولا تعذب نفس ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ من الذنوب ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿وَلِيٌّ﴾ قريب يدفع عنها ﴿وَلاَ شَفِيعٌ﴾ يشفع لها ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ وإن تجيء بكل من على وجه الأرض ﴿لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ من النفس أي لا يُقبل منها ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ﴾ وهم عيينة بن حصن والنضر وأصحابهما ﴿أُبْسِلُواْ﴾ أهلكوا ورهنوا وعذبوا ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الذنوب ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار يغلي قد انتهى حره ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُون﴾ [الأنعام:٧٠] بمحمد والقرآن.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لعيينة وأصحابه ﴿أَنَدْعُو﴾ أتأمرون أن ندعوا ونعبد ﴿مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا﴾ إن عبدناه في الدنيا والآخرة ﴿وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ إن لم نعبده في الدنيا والآخرة ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نرجع وراءنا إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ بدينه ﴿كَالَّذِي﴾ فيكون مثلنا كالذي ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ﴾ استزله الشيطان في الأرض ﴿حَيْرَانَ﴾ ضالاً عن الهدى ﴿لَهُ﴾ لعيينة ﴿أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ﴾ وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يدعونه ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى الإسلام ﴿ائْتِنَا﴾ أطعنا بالإسلام، وهو يعني عيينة يدعوهم إلى الشرك.

ويقال(١): نزلت هذه الآية في أبي بكر وابنه عبد الرحمن، وكان يدعو أبويه إلى دينه قبل أن يسلم، فقال الله لنبيه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأبي بكر حتى يقول لابنه عبد الرحمن(٢) ﴿أَنَدْعُو﴾

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١/ ٥٦٨-٥٦٩} ومفاتيح الغيب للرازي، {٢٦/١٣}

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. أمه أم رومان بنت الحارث بن الحويرث، من بني فراس بن غنم بن كنانة بن خزيمة. ويقال: أمه ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. يكنى أبا محمد، مات سنة ثلاث وخمسين. شهد الجمل مع عائشة، وقدم على ابن عامر البصرة. انظر: طبقات خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت: ٢٤٠هـ) رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق ٣ هـ)، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (ت ق ٣ هـ)، المحقق: د سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، باب المدينة، {٤٨/١}.

أتأمرنا يا عبد الرحمن أنه نعبد ﴿مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا﴾ في رزق ومعاش، ولا في الآخـرة إن عبدناه ﴿وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ إن لم نعبده ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نرجع إلى ديننا الأول ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ بدينه، بدين محمد ﴿كَالَّذِي﴾ فيكون مثلنا كمثل عبد الـرحمن ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ﴾ استزله الشيطان عن دين الله ﴿حَيْرَانَ﴾ ضالاً عن الهدى ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ أي أبواه يدعوانه إلى الإسلام والتوبة، وهو يعني عبد الرحمن يدعوهما إلى الشرك ويقولان له أي أبواه: ﴿ائْتِنَا﴾ أطعنا بالإسلام.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىَ﴾ أي دين الله هو الإسلام ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ لنخلص بالعبادة والتوحيد ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١] لله رب العالمين.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ﴾ أتموا الصلوات الخمس ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وأطيعوه ﴿وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٧٢] بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لتبيان الحق والباطل، ويقال: للفناء والـزوال. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ للصور ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [فتكون] السموات صوراً مثل القرن ينتفخ فيه ويبـدل سماء أخرى. ويقال[1]: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ يعني ليوم القيامة فيكون فتقوم الساعة.

﴿قَوْلُهُ﴾ البعث ﴿الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ القضاء بين العباد ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما يكون والشهادة ما كان. ويقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن العباد والشهادة ما علمه العباد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره وقضائه ﴿الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣] بخلقه وبأعمالهم. ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ وقد قال ﴿إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ أتعبد أصناماً ﴿آلِهَةً﴾ شيئاً صغيراً وكبيراً ذكـراً وأنثى ﴿إِنِّي أَرَاكَ﴾ يا أبه ﴿وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤] في كفر بيّن أي: عبادة الأصنام.

---

(١) {وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ} فيه قولان: أحدهما: أن يقول ليوم القيامة: كن فيكون، لا يثنّي إليه القول مرة بعد أخرى ، قاله مقاتل. والثاني: أنه يقول للسموات كوني صوراً يُنْفَخ فيه لقيام الساعة، فتكون صوراً مثل القرآن، وتبدل سماءً أخرى ، قاله الكلبي. وفي قوله تعالى: {وَلَـهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّور} قولان: أحدهما: أن الصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء علامة للانتهاء والابتداء ، وهو معنى قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّور فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْض إلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}. والثاني: أن الصور جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا. انظر: تفسير الماوردي ،{١٣٣/٢}.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ وهكذا ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما بين السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم، حين خرج من السرب ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥]ولكي يكون من الموقنين بأن الله واحد، خالق السموات والأرض وما فيهن[1].

ويقال: أراه الله ليلة أسري به إلى السماء حتى أبصر من السماء السابعة ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ لكي يكون له يقين الخطرات ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ في السرب ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ وهي الزهرة ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ أترى هذا ربي ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب وتغير ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦] رباً ليس بدائم

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعاً ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ أترى هذا ربي هذا أكبر من الأول ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب وتغير ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ لئن لم يثبتني ربي على الهدى ﴿لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧] عن الهدى ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ طالعة قد ملأت كل شيء ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ أترى هذا ربي ﴿هَذَآ أَكْبَرُ﴾ من الأول والثاني ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ غابت وتغيرت ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨] تعبدون من دون الله.

ويقال: قال هذا على معنى الاستهزاء لقومه، لأن قومه كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم، فاستهزأ بهم وقال لهم: أمثل هذا يكون الرب.

ويقال: إنه قال على سبيل الاستدلال والنظر في بدء أمره، فلما خرج من السرب وجاء إلى قومه وهو يومئذ ابن سبع عشرة سنة نظر إلى السماء والأرض وقال ربي الذي خلق هذا، ثم مضى حتى أتى قومه فرآهم عاكفين على أصنام لهم قال ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من دون الله من الأصنام. قالوا: يا إبراهيم فمن تعبد أنت.

---

(١) {وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر} وه اسم أبي إبراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ وقيل: اسم صنم لقب به أبو إبراهيم لدوامه عبادته أتتخذ أصناماً آلهة هذا إنكار لاتخاذه الاصنام آلهة يعبدها {إني أراك وقومك} أي الذين على دينك في ضلال مبين} أي ذهاب عن الحق بين لاشك فيه ولذلك أي ومثل ذلك التعريف والتبسيط {نري إبراهيم} أي نعرفه ونبصره {ملكوت السموات والأرض} الملكوت أعظم الملك وزيادة الواو والتاء للمبالغة وأراد بالملكوت دليل الربوبية وشواهد الإلاهية والمعنى نوفقه بمعرفته ونرشده بما شرحنا صدره٠ وسردنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال {وليكون من الموقنين} أي فعلنا ذلك ليكون من الذين لا يشكون في الحق بالنظر الصحيح ونرى حكاية حال ماضية. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي {٦٩/٢}.

قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أخلصت ديني وعملي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا﴾ مسلماً ﴿وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩] على دينهم.

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ﴾ خاصمه قومه في آلهتهم وخوفوه بها لكي يترك دين الله ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ﴾ أتخاصموني في دين الله لِقِبَلِ آلهتكم، وتخوفوني بها لكي أترك ديني دين ربي ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ لدينه ﴿وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ من الأصنام ﴿إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا﴾ فروغ المعرفة من قلبي، فأخاف مما تخافون وهو لا يفعله لأنه ليس بحكمة أو يجعل آلهتكم في حالة تضر وتنفع، فحينئذ لعلي أخافها مثل ما أخاف الأسد والحيات وأشباهها.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ عالم ربي بأنكم على غير الحق ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٨٠]تتعظون فيما أقول لكم من النهي. ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ يعني الأوثان والأصنام ﴿وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ﴾ من إشراككم معه غيره، إنما الخوف على من أشرك بالله شيئاً ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ كتاباً ولا حجة يخوفونه بآلهتهم فيقولون: نخاف عليك أن يخبلوك، فلذلك قال لهم: إني لا أخاف.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أهل دينين أنا وأنتم ﴿أَحَقُّ﴾ أولى ﴿بِالأَمْنِ﴾ من معبوده أجيبوا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١] ذلك، فلم يجيبوا. فأجابه الله تعالى ما سأل إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ لم يخلطوا إيمانهم بشرك ولم ينافقوا بإيمانهم ﴿أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾ من معبودهم ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] للصواب. ويقال: ﴿لَهُمُ الأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى الحجة(١).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ هذه حجتنا ﴿آتَيْنَاهَا﴾ ألهمناها ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ حتى احتج بها ﴿عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ فضائل بالقدر والمنزلة والحجة، وبعلم التوحيد ﴿مَّن نَّشَاء﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بإلهام الحجة لأوليائه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣] بحجة أوليائه وعقوبة أعدائه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَقَ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿كُلاًّ﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿هَدَيْنَا﴾ بالنبوة والإسلام ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ من ذرية نوح، ويقال: من ذرية إبراهيم(٢).

---

(١) {أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}، الأمن من العذاب، والهدى في الحجة بالمعرفة والاستقامة. انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، {٤٩٣/١١}.

(٢) {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ} يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح، لأنه أقرب مذكور، ولأن الله ذكر مع من ذكر لوطا، وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه. قاله الفراء واختاره الطبري. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، {٣١/٧}.

﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ كلاً هديناهم بالنبوة والإسلام ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام:٨٤] بالقول والفعل، ويقال: الموحدين.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ﴾ كل هؤلاء هديناهم بالنبوة والإسلام، كلهم من ذرية إبراهيم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام:٨٥] يعني كانوا من المرسلين.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ﴾ وكل هؤلاء هدينا ﴿فضَّلْنَا﴾ بالنبوة والإسلام ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٦] عالمي زمانهم.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ آدم وشيثاً وإدريس ونوحاً وهوداً وصالحاً هديناهم بالنبوة والإسلام ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يعني أولاد يعقوب ﴿وَإِخْوَانِهِمْ﴾ يعني إخوة يوسف وهديناهم بالنبوة والإسلام ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ واصطفيناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٨٧] يعني وثبتناهم على صراط مستقيم.

﴿ذَلِكَ﴾ الصراط المستقيم ﴿هُدَى اللهِ﴾ دين الله ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ هؤلاء الأنبياء ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] من الطاعات.

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ﴾ أعطيناهم ﴿الْكِتَابَ﴾ الذي نزل به جبريل ﴿وَالْحُكْمَ﴾ العلم والفهم ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بسبيلهم ودينهم ﴿هَـؤُلاء﴾ أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ وَفَّقْنا بها بدين الأنبياء وسبيلهم ﴿قَوْمًا﴾ بالمدينة ﴿لَّيْسُواْ بِهَا﴾ بدين الأنبياء وسبيلهم ﴿بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩] بجاحدين ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ﴾ قصصنا من النبيين ﴿هَدَى اللهُ﴾ هداهم الله الأخلاق الحسنى ﴿فَبِهُدَاهُمُ﴾ بأخلاقهم الحسنى مثل الصبر والاحتمال والرضا وغير ذلك ﴿اقْتَدِهْ﴾[1]. ﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد والقرآن ﴿أَجْرًا﴾ جعلاً ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو يعني القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٩٠] للجن والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عظموا الله حق عظمته ﴿إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ من كتاب. نزلت هذه الآية في مالك بن الصيف اليهودي، قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[2].

---

(١) (إِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاء من أهْل مكة بما أعطى اللّه النبيين من الكتب فقدْ وَكَّلْنا بها يعنى بالكتب قوْماً لَيْسُوا بها بكافِرِينَ) يعني أهل المدينة من الأنصار ثمّ ذكر النبيين الثمانية عشر فقال: أولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ لدينه فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان {٥٧٤/١}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ،{٥٧٤/١}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمالك ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا﴾ بياناً وضياء ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ من الضلالة ﴿ تَجْعَلُونَهُ﴾ تكتبونه ﴿قَرَاطِيسَ﴾ في قراطيس ﴿تُبْدُونَهَا﴾ تظهرونها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مما تكتبون فيه من صفة ونعت محمد ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ من الأحكام والحدود والحلال والحرام، وصفة ونعت محمد في الكتاب ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾ من قبل الكتاب.

ويقال: علمتم أنتم وعلم آباؤكم من الأحكام والحدود ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، فإن أجابوك قالوا الله أنزل وإلا ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ في باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١] يخوضون يكذبون ﴿وَهَـذَا كِتَابٌ﴾ يعني القرآن ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أنزلنا به جبريل ﴿مُبَارَكٌ﴾ فيه المغفرة والرحمة لمن آمن به ﴿مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ موافق للتوراة والإنجيل، و الزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة ونعت محمد ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ لكي تخوف بالقرآن ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ أهل مكة.

ويقال: أم القرى عظيم القرى، وإنما سميت أم القرى لأن الأرضين دحيت من تحتها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يقول ولتنذر من حولها من سائر البلدان ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ﴾ على أوقات صلواتهم الخمس ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أعتى وأجرأ على الله ﴿مِمَّنِ افْتَرَى﴾ اختلق ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ إذ قال ما أنزل الله على بشر من شيء وهو مالك بن صهيب. ﴿أَوْ قَالَ﴾ ومن قال ﴿أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ الكتاب ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [من الكتاب(١)] وهو مسيلمة الكذاب ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللهُ﴾ سأقول مثل ما يقول محمد وهو عبد الله بن أبي سرح(٢).

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المشركون المنافقون يوم بدر ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾ في نزعات ﴿الْمَوْتِ﴾ وغشيانه ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ﴾ ضاربوا أيديهم إلى أرواحهم ﴿أَخْرِجُواْ﴾ أي يقولون أخرجوا ﴿ أَنفُسَكُمُ﴾ أرواحكم ﴿ الْيَوْمَ﴾ يوم بدر.

---

(١) سقط في (أ).

(٢) قيل: هو عبد الله بن أبي سرح القرشي كان يكتب له صلى الله عليه وآله وسلم فلما نزلت {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ} عجب من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اكتبها فكذلك نزلت)) فشك عبد الله وقال: لإن كان محمداً صادقاً فلقد أوحي إليّ كما أوحي إليه وإن كان كاذباً فلقد قلت كما قال، فارتد ولحق بمكة ثم رجع مسلماً بعد الفتح. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط {٥٣/٦}.

ويقال: يوم القيامة ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الشديد ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ما ليس بحق ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ﴾ عن محمد والقرآن ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] أي متعظمون عن الإيمان بمحمد والقرآن.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ بلا مال ولا ولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ ما أعطيناكم ﴿وَرَاء ظُهُورِكُمْ﴾ خلف ظهوركم في الدنيا ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ﴾ آلهتكم ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ لكم ﴿شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ﴾ ما كان ﴿بَيْنَكُمْ﴾ من الوصل والوداد ﴿وَضَلَّ﴾ اشتغل ﴿عَنكُم﴾ بأنفسها ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤] تعبدون وتقولون إنها شفعاؤكم يعني الأوثان.

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ﴾ يعني خالق الحبوب كلها، ويقال: خالق ما كان فيه الحبوب ﴿وَالنَّوَى﴾ يعني ما كان فيه النواة ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ النسمة والدواب من النطفة، ويقال: الطير من البيضة، ويقال: السنبلة والثمار من الحبة والنواة ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ النطفة من النسمة والدواب، ويقال: البيضة من الطير، ويقال: الحبة والنواة من السنبلة والثمار.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ﴾ ربكم يفعل ذلك لا الآلهة تفعله ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام:٩٥] من أين تكذبون.

﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ خالق صبح النهار ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ مسكناً للخلق ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ منازلهما بالحساب. ويقال: معلقان بين السماء والأرض ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ﴾ يعني تدبير ﴿الْعَزِيزِ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به ﴿الْعَلِيمِ﴾[الأنعام:٩٦] بتدبيره وبمن آمن به وبمن لا يؤمن.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ﴾ لتعلموا ﴿بِهَا﴾ الطريق ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وأهوالهما إذا سافرتم في بر أو بحر ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ﴾ قد بينا القرآن بالعلامات الوحدانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٩٧] أنه من الله، والنجوم بعضها أمارات وعلامات على ما وصفنا، كما قال: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل من الآية :١٦] وبعضها زينة كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وبعضها رجوم كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ(١)﴾ (٢).

---

(١) الملك: ٥.

(٢) قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا} في أسفار وغيرها {فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أي في ظلمات الليل فيهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٦/٦٠}.

﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من نفس آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في الأصلاب، ويقال: في الأرحام ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في الأرحام ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨] أمر الله وتوحيده.

﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء﴾ مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ فأنبتنا بالمطر ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الْحُبُوب وَغَيرهَا ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي بالمطر من الأرض ﴿خَضِرًا﴾ نباتاً أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من النبات الأخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ في السنبل وغيره ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾ من كثرتها ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قريبة يتناوله القاعد والقائم ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ من كرم ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ شجر الزيتون ﴿وَالرُّمَّانَ﴾ شجر الرمان ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في اللون يعني الرمان ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في اللون يعني مختلفاً بالطعم، يقال: متشابهاً في الجودة والفضل.

﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ اعتقد ﴿وَيَنْعِهِ﴾ نضجه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ﴾ في اختلاف ألوانه ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[الأنعام:٩٩] يصدقون أنه من الله.

﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ﴾ قالوا إن الله عز وجل وإبليس إخوان شريكان، الله خالق الناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الحيات والعقارب والسباع، وهي مقالة المجوس(١)﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الله وأمرهم بالتوحيد ﴿وَخَرَقُواْ لَهُ﴾ وصفوا له ﴿بَنِينَ﴾ من البنين، وهي مقالة اليهود والنصارى ﴿وَبَنَاتٍ﴾ من الملائكة والأصنام، وهي مقالة مشركي العرب ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا علم وحجة وبيان ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿وَتَعَالَى﴾ تبرأ ﴿عَمَّا يَصِفُون﴾[الأنعام:١٠٠]من البنين والبنات.

﴿بَدِيعُ ﴾ خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ابتدعهما، ولم يكونا شيئاً ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ من أين يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بائِنٌ منه سوى أفعال غيره ﴿وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخلق ﴿عَلِيم﴾[الأنعام:١٠١].

﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ﴾ يفعل ذلك ﴿لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وحده لا شريك له﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بائِنٌ منه سوى أفعال غيره ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ فوحدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخلق ﴿وَكِيل﴾ [الأنعام:١٠٢] شهيد، ويقال: كفيل بأرزاقهم.

---

(١)انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، {٦٠١/٤}.

﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ أي هو يرى ما لم يَرَ الخلقُ على معنى العلم، أو إدراك ما يقع من جهة البصر، ولا يخفى عليه شيء ولا يفوته ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في أفعاله نافذ علمه بخلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] بأعمالهم.

﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ آمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ الثواب ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ كفر ﴿فَعَلَيْهَا﴾ عقوبة ذلك ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام:١٠٤] أحفظكم.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبين ما في القرآن في شأنهم ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ ولكي يقولوا تخلَّقْتَ (١) [هذا[١]] إخبار عن قولهم وعاقبة أمرهم.

ويقال: ولكي لا تقولوا تخلَّقْتَ وإن قرأت دارست، يقول لكي يقولوا تعلمت من أبي فكيهه[٢] مولى قريش ولكي لا يقولوا: تعلمتَ من جبر ويسار مولى لقريش، وإن قرأت دَرَسَتْ بجزم التاء يقول: هذا أمر قد مضت[٣].

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ لكي نبينه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٠٥] يصدقون أنه من الله.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ اعمل بما أنزل إليك ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن من حلاله وحرامه ﴿لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا خالق ولا رازق إلا هو ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦] يعني المستهزئين منهم الوليد بن المغيرة المخزومي، وعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن عبد الحارث بن عبد المطلب، والحارث بن قيس بن حنظلة. ﴿وَلَوْ

(١) تَخلَّقْتَ أي اختلقت هذه الأخبار التي تتلوها علينا تمت

(١) سقط في (أ).

(٢) أبو فكيهة مولى لبني عبد الدار. يقال: إنه من الأزد، أسلم بمكة، وَكَانَ يعذب ليرجع عَنْ دينه فيأبى، وَكَانَ قوم من بني عبد الدار يخرجونه نصف النهار فِي حر شديد فِي قيد من حديد ولا يلبس ثيابا، ويبطح فِي الرمضاء، ثم يؤتى بالصخرة فتوضع عَلَى ظهره حَتَّى لا يعقل، فلم يزل كذلك حَتَّى هاجر أصحاب رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ إلى أرض الحبشة فخرج معهم فِي الهجرة الثانية. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب مصدر سابق {١٧٣٠/٤}.

(٣) وَقَالَ الضَّحَّاكُ: دَرَسْتَ قَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ مِنْ أَبِي فُكَيْهَةَ وَجَبْرٍ وَيَسَارٍ، وَقُرِئَ دَرَّسْتَ بِالتَّشْدِيدِ وَالْخِطَابِ أَيْ دَرَّسْتَ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ، وَقُرِئَ دُرِّسْتَ مُشَدَّدًا مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ الْمُخَاطَبِ، وَقُرِئَ دُورِسْتَ بِالتَّخْفِيفِ وَالْوَاوِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ وَالْوَاوُ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْأَلِفِ فِي دَارَسْتَ، وَقَرَأَتْ فِرْقَةٌ دَارَسْتَ أَيْ دَارَسَتْكَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ. انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، {٦٠٨/٤} والتهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٣٥٠/٣}.

شَاء اللهُ﴾ أن لا يشركوا ﴿مَا أَشْرَكُواْ﴾ على سبيل الجبر والإكراه، لو كان جائزاً في الحكمة. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:١٠٧] بكفيل.

﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ولا حجة، وهذا بعدما قال لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [1] ثم نسخته آية القتال.

﴿كَذَلِكَ﴾ كما زينا عملهم ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ لكل قوم ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ يخبرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨] في دينهم وتَزْيِينُ أعمالِهم هو ما أمروا به من طاعة ربهم العلي الأعلى.﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ شدة أيمانهم إذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينه ﴿لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ﴾ كما طلبوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾[2] بالآية ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستهزئين ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ﴾ تجيء من عند الله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم أيها المؤمنون ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ﴾ يعني الآية يؤمنون أو ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩] والله يعلم أنهم لا يؤمنون بالآية ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ قلوبهم ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ في النار ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ﴾ بما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الآية ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في دار الدنيا ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠] في ضلالتهم يمضون عَمَهَاً لا يبصرون أي يخليهم ورأيهم.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ﴾ إلى المستهزئين ﴿الْمَلآئِكَةَ﴾ كما طلبوا فشهدوا على ما أنكروا ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ من القبور كما طلبوا بأن محمداً رسول الله والقرآن كلام الله، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الطيور والدواب ﴿قِبَلاً﴾ معاينةً إن قرأت بكسر القاف ونصب الباء، وإن قرأت قُبُلاً بضم القاف والباء، يقول:قبيلةً قبيلةً، وإن قرأت قبيلاً يقول:كفيلاً على ما يقول إنه

---

(١) الأنبياء من الآية: ٩٨.

(٢) قالتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تُخبِرُنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ مَعَهُ عَصًى يَضْرِبُ بِهَا الحَجَرَ فَيَنْفَجِرُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، وَتُخْبِرُنَا أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُحْيِي المَوْتَى فَأْتِنَا مِنَ الآيَاتِ حَتَّى نُصَدِّقَكَ. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٣٦١/٣} ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٧٧/٣}.

الحق[1]، ويشهدون على ما أنكروا ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ﴾ أن يؤمنوا على سبيل الجبر والإكراه لشدة عنادهم وكفرهم ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام:١١١] أنه الحق من الله لإعراضهم عن الحق وتركهم النظر فيه.

﴿وَكَـذَلِكَ﴾ كما جعلنا أبا جهل والمستهزئين عدواً لك على سبيل الحكم بعدوانه للحق ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ على معنى أنه أمر بمعاداة هؤلاء فعادوهم فنسب ذلك إلى نفسه على هذا الوجه ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يلقي بعضهم إلى بعض ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ تزيين القول ﴿غُرُورًا﴾ لكي يغروا به بني آدم .

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ يعني التزيين، وهذا إخبار عن قدرته ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم يا محمد المستهزئين وأصحابهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام:١١٢]من تزيين القول والغرور.

﴿وَلِتَصْغَى﴾ لتميل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى هذا الزخرف والغرور ﴿أَفْئِدَةُ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ وليقبلوا من الشياطين الزينة ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ وليكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١١٣] ما هم مكتسبون من الإثم[2]، وفي هذا إخبار عن عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لأنفسهم.

---

(١) اختلفت في قراءة قوله تعالى: (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) : قراءة أهل المدينة: "قِبَلا"، بكسر "القاف" وفتح "الباء"، بمعنى: معاينة= من قول القائل: "لقيته قِبَلا"، أي معاينة ومُجاهرةً. وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين والبصريين: (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا) ، بضم" القاف"، "والباء". وإذا قرئ كذلك، كان له من التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها أن يكون "القبل" جمع "قبيل"، كالرُّغُف التي هي جمع "رغيف"، و "القُضُب" التي هي جمع "قضيب"، ويكون "القبل"، الضمناء والكفلاء= وإذا كان ذلك معناه، كان تأويل الكلام: وحشرنا عليهم كل شيء كُفَلاء يكفلون لهم بأن الذي نعدهم على إيمانهم بالله إن آمنوا، أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم، ما آمنوا إلا أن يشاء الله.

والوجه الآخر: أن يكون "القبل" بمعنى المقابلة والمواجهة، من قول القائل: "أتيتُك قُبُلا لا دُبُرًا"، إذا أتاه من قبل وجهه.

والوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلة قبيلة، صنفًا صنفًا، وجماعة جماعة، فيكون "القبل" حينئذ جمع "قبيل"، الذي هو انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، {٤٨/١٢}

(٢) نسخة (ب) : الآثام.

﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أعبد رباً ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ إلى نبيكم ﴿الْكِتَابَ﴾ جبريل بالكتاب ﴿ مُفَصَّلاً ﴾ مبيناً بالحلال والحرام ويقال: متفرقاً.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أعطيناهم علم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يستيقنون في كتابهم ﴿أَنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ أنزله جبريل من ربك بالحق بالأمر والنهي.

ويقال: إنه يعني جبريل منزل من ربك بالحق بالقرآن.

﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:١١٤] من الشاكين أنهم لا يعلمون ذلك.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ القرآن بالأمر والنهي ﴿صِدْقًا﴾ في قوله ﴿وَعَدْلاً﴾ منه ﴿لاَّ مُبَدِّلِ﴾ لا مغير ﴿لِكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن. ويقال: ﴿تَمَّتْ﴾ وجبت ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالنصرة لأوليائه ﴿صِدْقًا﴾ في قوله ﴿وَعَدْلاً﴾ فيما يكون ﴿لاَّ مُبَدِّلِ﴾ لا مغير لكلماته بالنصرة لأوليائه.

ويقال: ﴿تَمَّتْ﴾ ظهرت ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ دين ربك ﴿صِدْقًا﴾ من العباد ﴿وَعَدْلاً﴾ من الله أمره ﴿لاَّ مُبَدِّلِ﴾ لا مغير ﴿ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لدينه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالة العباد ﴿الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:١١٥] بهم وبأعمالهم.

﴿وَإِن تُطِعْ﴾ يا محمد ﴿أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾ وهم رؤساء أهل مكة أبو الأخوص مالك بن عوف الجشمي[(١)] وبديل بن ورقاء الخزاعي[(٢)]، وجليس بن ورقاء الخزاعي[(٣)] ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾

(١) مالك بن نضلة. وقيل: مالك بن عوف بن نضلة بن حديج بن حبيب بن حديد بن غنم بن كعب بن عصيمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن الجشمي. والد أبي الأحوص الجشمي صاحب ابن مسعود. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٤٦٨/٢}.

(٢) بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن الخزاعي. كذا نسبه ابن منده وأبو نعيم. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٠٦/١}.

(٣) (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ) أي وإن تطع يا أشرف الخلق كفار الناس فيما يعتقدونه من إحقاق الباطل وإبطال الحق (يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الطريق الموصل إلى الله (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) أي ما يتبعون في إثبات مذهبهم إلا رجوعهم إلى تقليد أسلافهم وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أي يكذبون فإن رؤساء أهل مكة- منهم أبو الأحوص مالك بن عوف الجشمي، وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس بن ورقاء الخزاعي- قالوا للمؤمنين: إن ما ذبح الله خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم. انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، {٣٤٣/١}.

يخطؤوك عن سبيل طرق الله في الحرام ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ ما يقولون إلا بالظن ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦] يكذبون في قولهم للمؤمنين إن ذبائح الله خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه وطاعته ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١١٧] لدينه.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:١١٨] مصدقين.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ من الذبائح ﴿مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من الميتة والدم ولحم الخنزير ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ اجتهدتم إلى أكل الميتة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا علم ولا حجة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١١٩] الحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ﴾ الشرك والأفعال الموبقة ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ ما تنطوي عليه القلوب من الكفر والمآثم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ﴾ يجترمونه ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١٢٠] يجازون بما يكتسبون لأنفسهم ويعملونه.

﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح عمداً ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعني أكله لغير الضرورة فسوق معصية واستحلال على إنكار التنزيل كفر.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ أبي الأحوص وأصحابه ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ ليخاصموكم في أكل الميتة والشرك ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في الشرك وأكل الميتة فأحللتموها غير مضطرين إليها ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:١٢١] مثلهم(١).

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ نزل في عمار بن ياسر وأبي جهل بن هشام من هذه الآية ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ كافراً ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أكرمناه بالإيمان وهو عمار بن ياسر ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ معرفة ﴿يَمْشِي بِهِ﴾ يهدي به ﴿فِي النَّاسِ﴾ بين الناس(٢).

---

(١) {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَمَّا مَا ذَبَحَ اللهُ لَكُمْ، يَعْنُونَ الْمَيْتَةَ، فَلا تَأْكُلُونَ، وَأَمَّا مَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ فَهُوَ لَكُمْ حَلالٌ "، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}. تفسير مجاهد مصدر سابق {٣٢٧}.

(٢) هذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم في أكل الميتة، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرًا، فهداه جلّ ثناؤه لرشده، ووفقه للإيمان. فقال لهم: إطاعة من كان ميتًا، يقول: من كان كافرًا؟ فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته، وجهله بتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبيه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة "الميت" الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة (فأحييناه)، يقول: فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سَخَط الله وعقابه في معاده. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، {٨٨/١٢}.

ويقال: ويجعل له نوراً على الصراط ﴿يَمْشِي بِهِ﴾ على الصراط ﴿فِي النَّاسِ﴾ بين الناس.

﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ في ضلالة الكفر في الدنيا وظلمات جهنم يوم القيامة وهو أبو جهل ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ من الظلمات والضلالة ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢] ويقولون كما زين لأبي جهل عمله الذي كان يعمل، والتزيين كان بينهم ومن أوليائهم وشياطينهم.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ بلدة ﴿أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا﴾ أي رؤساء مشركيها وجبابرتها وأغنيائها كما جعلنا في أهل مكة المستهزئين وأصحابهم أبا جهل وغيره ﴿لِيَمْكُرُواْ﴾ ليعملوا ﴿فِيهَا﴾ بالمعاصي والفساد. ويقال: ليكذبوا فيها الأنبياء. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ﴾ يقول: عقوبة ذلك ودماره على أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُون﴾ [الأنعام:١٢٣] ذلك، وجعله لهم وخلقه لهم لا فعلهم وإنما خلقهم للطاعة لا للمعصية كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾[١] وما بعده إخبار عن عاقبة أمرهم وسوء اختيارهم وما يفعلونه لأنفسهم ﴿وَإِذَا جَاءتْهُمْ﴾ إلى الوليد بن المغيرة وعبد ياليل ابن مسعود الثقفي ﴿آيَةٌ﴾ من السماء تخبرهم صنيعهم ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ [يعني[٢]] بالآية ﴿حَتَّى نُؤْتَى﴾ نعطى الكتاب ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ﴾ أعطي ﴿رُسُلُ اللهِ﴾ يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ إلى من يرسل جبريل عليه السلام برسالة ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ أشركوا يعني وليداً وأصحابه ﴿صَغَارٌ﴾ ذل ﴿عِندَ اللهِ﴾ وهوان ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُون﴾ [الأنعام:١٢٤] يكذبون الرسل[٣].

﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾ أن يرشده لدينه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ قلبه ﴿لِلإِسْلاَمِ﴾ لقبول الإسلام حتى يسلم.

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ﴾ أن يتركه ضالاً كافراً ﴿يَجْعَلْ﴾ يترك ﴿صَدْرَهُ﴾ قلبه ﴿ضَيِّقًا﴾ كتضيق الزج في الرمح ﴿حَرَجًا﴾[٤]، وإن قرأت ﴿حَرِجًا﴾ يعني لا يجد النور في قلبه

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) سقط في (أ).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٤٨٠/١}.

(٤) (حرجا) بكسر الراء. قيل هما سواء، وقيل الحرج بالكسر: الإثم، وبالفتح الضيق الشديد. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٣٩٦/٣}.

منفذاً ولا مجازاً ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ كالصعود إلى السماء ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ يترك الله الشرك ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ في قلوب الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥] بمحمد والقرآن، ثم يعذبهم إن لم يؤمنوا.

﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ صنيع ربك ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ عدلاً. ويقال ﴿هَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ يعني الإسلام دين ربك ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ قائماً يرضاه ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ بينا القرآن بالأمر والنهي والإهانة والكرامة ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٦] يتعظون ويؤمنون، ومعنى الآية في الإضلال و الهداية، كما تقدم ذكره.

وأما شرح الصدر والتضييق فليس على معنى الجَبر لكنه شبه الهدى بالنور لوضوح حجته، وشبه الضلالة بالشيء الضيق لأنه لا حجة عليه، وشرح الصدر بمعونته وضيق الصدر بتخليته بينه وبين صاحبه.

ويقال: نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي جهل[1]. ويقال: نزلت في عمار وأبي جهل[2].

﴿لَهُمْ﴾ للمؤمنين ﴿دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ والسلام هو الله والجنة داره ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ بالثواب والكرامة ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧] ويقولون في الدنيا من الخيرات.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الجن والإنس ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ من ضلالات الإنس، أي أضللتم كثيراً من الإنس بالتعوذ ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم﴾ أولياء الجن ﴿مِّنَ الْإِنسِ﴾ الذين كانوا يتعوذون برؤسائهم إذا نزلوا وادياً واصطادوا صيداً من دوابهم كانوا يقولون: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيأمنون بذلك[3].

﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استنفع بعضنا ببعض، وكان منفعة الإنس معهم الأمن، ومنفعة الجن الشرف والعظمة على قومهم ﴿وَبَلَغْنَا﴾ أدركنا ﴿أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وقّتّ لنا يعني الموت ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ منزلكم يا معشر الجن والإنس ﴿خَالِدِينَ

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ،{٣٦٩/١}.

(٢) قال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي ، {١٨٧/٤}

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ، {٤٨٢/١}.

﴿فِيهَا﴾ مقيمين فيها ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ وقد شاء الله لهم الخلود ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ حكم عليهم بالخلود ﴿عَليمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] بهم وبعقوبتهم.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿بَعْضًا﴾ على بعض في دار الدنيا والآخرة.

ويقال: ﴿نُوَلِّي﴾ نُملك بعض الظالمين المشركين بعضاً على بعض بالتخلية بينهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩] يقولون ويعملون من الشر.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ من الإنس محمد صلى الله عليه وعلى آله وسائر الرسل من الإنس، ومن الجن تسعة نفر الذين أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتولوا إلى قومهم منذرين.

ويقال: كان لهم نبي يسمى يوسف، وفيه نظر[1].

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ يخوفونكم ﴿لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا﴾ عذاب يومكم هذا ﴿قَالُواْ﴾ يعني الجن والإنس ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا﴾ أنهم قد بلغوا الرسالة وكفرنا بهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ من الزهرة والنعيم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ في الآخرة ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٠] في الدنيا.

﴿ذَلِكَ﴾ يعني إرسال الرسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أهل القرية ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك وذنب. ويقال: بظلم منه ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾[الأنعام:٣١] عن الأمر والنهي وتبليغ الرسل.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ ولكل واحد منهم من الجن والإنس ﴿دَرَجَاتٌ﴾ للمؤمنين في الجنة، ودركات للكافرين في النار ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ من الخير والشر. ويقال: تدارك عقوبة بما كانوا يعملون. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٣٢] من الخير والشر ليجزيهم عليه. ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن إيمانهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بتأخير العذاب لمن آمن به ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم يا أهل مكة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ يخلق ﴿مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَا أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣] قرناً بعد قرن.

---

(١) (ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ ناصر يمنعكم من عذابه وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ) بن يعقوب (عليه السلام) (مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ) أي من قبل موسى بالبينات. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢٧٥/٨}.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لآتٍ﴾ لكائن ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِين﴾ [الأنعام:١٣٤] بفائتين من العذاب، يدرككم حيث ما كنتم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على دينكم في منازلكم بهلاكي ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بهلاككم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ﴾ لمن تكون له ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ يعني الجنة ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ لا يأمن ولا ينجو ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٥] المشركون من عذاب الله.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ وصفوا لله ﴿مِمَّ ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والشاء ﴿نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿فَقَالُواْ هَـذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ لآلهتهم ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ لآلهتهم ﴿فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ﴾ فلا يرجع إلى الذي جعلوا لله ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ﴾ يرجع ﴿يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ﴾ إلى الذي لآلهتهم التي جعلوا ﴿سَاء مَا يَحْكُمُون﴾ [الأنعام:١٣٦] يقضون لأنفسهم.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين قولهم وعملهم ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ﴾ بناتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشياطين ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ دين أبيهم إسماعيل ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ التزيين ودفن بناتهم أحياء إن أراد الله منهم منعهم جبراً ودفع التكليف عنهم ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم يا محمد ﴿وَمَا يَفْتَرُون﴾ [الأنعام:١٣٧] يكذبون على الله ويقولون إن الله أمرهم بذلك، يعني دفن البنات.

﴿وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ﴾ يعني البحيرة و السائبة و الوصيلة والحام [1]﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ﴾ يعنون الرجال دون النساء ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وهي الحام ﴿وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ إذا حملت ولا إذا ركبت أي لا يستحلون ذبحها يعني البحيرة ﴿افْتِرَاء عَلَيْهِ﴾ كذباً عليه أنه أمرهم بذلك ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُون﴾[الأنعام:١٣٨] يكذبون على الله. ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ﴾ يعني البحيرة والوصيلة ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِّذُكُورِنَا﴾ يعنون الرجال ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ يعني النساء ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ تلك ميتة أو مات بعد ذلك ﴿فَهُمْ فِيهِ﴾ في أكله ﴿شُرَكَاء﴾ سواء شَرَعٌ الرجال والنساء ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ هذا وعيد لهم ﴿وَصْفَهُمْ﴾ بوصفهم. ويقال: واصفهم عمرو بن لحي[2].

---

(١) انظر: التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي، {٢٤٢٥/٣} وسبق أن بينها المؤلف- مفصلا - في صورة المائدة آية (١٠٣).

(٢) سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ أي سيوصل الله لهم جزاء ذنوبهم وهو وصفهم بالتحليل والتحريم. فالواصف بذلك عمرو بن لحي وقدر رآه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جهنم يجر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الأنعام. انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، {٣٥٠/١}.

﴿إِنَّهُ حِكِيمٌ﴾ أحل لهم الحلال ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٣٩] بوصفهم الحرام. ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ قد غبن ﴿الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ﴾ دفنوا نساءهم أحياء ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا علم، نزلت في ربيعة ومضر و أفناء العرب كانوا يدفنون بناتهم في الجاهلية [إلا [1]] ما كانوا من بني كنانة فإنه لم يفعلوا ذلك[2].

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ ما أحل الله لهم من الحرث والأنعام ﴿افْتِرَاء عَلَى اللهِ﴾ اختلاقاً على الله الكذب ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ أخطأوا فيما قالوا ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٤٠] للهدى والصواب بما وصفوا.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ بساتين مبسوطات ما لا تقوم على الساق من الكروم[3] وغيرها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ غير مبسوطات ما تقوم على الساق مثل الجوز واللوز وغيرهما. ويقال: ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ معرشات ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ غير معرشات. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ ثمره وطعمه ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ وخلق شجر الزيتون ﴿وَالرُّمَّانَ﴾ شجر الرمان ﴿مُتَشَابِهًا﴾ في اللون والمنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ مختلفاً في الطعم ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ﴾ من ثمر النخل ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ اعتقد ﴿وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يوم كيله، وإن قرأت بنصب الحاء يقول يوم يحصد، وفيه دليل على وجوب العشر فيما يكال ولا يكال، وإخراج حق الله تعالى منه ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ لا تنفقوا في معصية الله تعالى، ولا تمنعوا من طاعة الله ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١] المنفقين في معصية الله.

ويقال: ﴿لاَ تُسْرِفُواْ﴾ لا تحرموا البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين.

ويقال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس حرم خمسمائة نخلة فقسمها ولم يترك لأهله شيئاً[4].

﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ﴾ وخلق من الأنعام ﴿حَمُولَةً﴾ مثل الإبل والبقر ﴿وَفَرْشًا﴾ مالا يحمل مثل الغنم وصغار الإبل ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الحرث والأنعام ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ

---

(١) سقط في (أ).

(٢) انظر: التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي، {٣/٢٤٣٠}.

(٣) الكروم: هو العنب. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {١٢/٥١٠}.

(٤) انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣/٢٤٣٣}.

الشَّيْطَانِ﴾ تزيين الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام:١٤٢] ظاهر العداوة يأمركم بتحريم الحرث والأنعام(1).

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ خلق ثمانية أزواج أصناف ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ من الشاء اثنين ذكراً وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمالك ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ أجاء تحريم البحيرة والوصيلة من قبل ماءالذكرين أو من قبل ماءالأنثيين ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ أو من قبل الاجتماع على الولد أرحام الأنثيين. ﴿نَبِّؤُونِي﴾ خبروني ﴿بِعِلْمٍ﴾ ببيان ما تقولون ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الأنعام:١٤٣] أن الله حرم ما تقولون.

﴿وَمِنَ الإِبْلِ﴾ خلق من الإبل ﴿اثْنَيْنِ﴾ اثنين ذكراً وأنثى ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمالك ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ أجاء تحريم البحيرة و الوصيلة من قبل ماء الذكرين، أو من قبل ماءالأنثيين ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ﴾ أو من قبل الاجتماع على الولد ﴿أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾. ولها وجه آخر يقول: أجاء تحريم هذا من قبل أنه وُلِدَ ذكراً أم من قبل أنها ولدت أنثى، ويقال: إنه جعل الذكر زوجاً والأنثى زوجاً، فقال: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ من هذه الحيوان ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء﴾ حُضَّراً ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ﴾ أمركم الله ﴿بِهَـذَا﴾ بما تقولون ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أعتى وأجرأ على الله ﴿مِمَّنِ افْتَرَى﴾ اختلق ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا علم آتاه الله ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي﴾ لا يرشد إلى دينه وحجته ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٤] المشركين، أي لا يحكم لهم بالهدى والرشاد، يعني مالك بن عوف، فسكت مالك وعلم ما يراد منه فقال: يا محمد فلم حرم آباؤنا فقال الله: ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ يعني القرآن ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ على آكلٍ يأكله ﴿إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ جارياً ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام مقدم ومؤخر ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ ذبيحة ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ ذبح لغير اسم الله عمدا ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أُجْهِدَ إلى

(١) عن ابن عباس قوله: (ومن الأنعام حمولة وفرشًا) ، فـ"الحمولة"، ما حمل من الإبل، و"الفرش"، صغار الإبل، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٨٠/١٢}.
ذكر الحاكم الجشمي في قوله تعالى (وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا) أقوال: الأول: الحملة كبار الابل والفرش الصغار ، والقول الثاني : الحمولة ما يحمل علية من الابل والبقر والفرش الغنم ، والثالث: الحمولة ما يحمل علية من الابل والبقر والخيل البغال والحمير والفرش الغنم ، والرابع: انشأ لكم من الأنعام ما تنتفعون به في الحمل وما تفترشونه في الذبح . انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي ، {٢٤٤٨/٤}.

أكل الْميتَة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على المسلمين ويقال مسرف ﴿وَلاَ عَادٍ﴾ مستحل لأكل الميتة لغير الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ لمن يأكله لا يشبع، ولكن ما دونه من غير إسراف مقدار ما يقويه على طاعة ربه ﴿ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٤٥] فيما رخص عليه(١).

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ﴾ يعني اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من السباع، وما يكون ظفره مثل الأبل والبط والأرنب كان حراماً عليهم ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ يعين الثروب وشحم الكليتين ﴿إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا﴾ المباعر ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ مثل الإلية، فهذا ما كان حلالاً عليهم حرمنا عليهم ﴿ذَلِكَ﴾ الذي حرمنا عليهم ﴿جَزَيْنَاهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بذنوبهم ﴿وِإِنَّا لَصَادِقُون﴾ [الأنعام:١٤٦] فيما قلنا(٢).

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد بما وصفت لك من التحريم ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ على البر والفاجر بتأخير العذاب ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِين﴾ [الأنعام:١٤٧] المشركين.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ من الحرث والأنعام، ولكن أمر وحرم وشاء تحريمنا له ولو لم يشأ، لم نقدر عليه.

﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذب قومك ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ رسلهم ﴿حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ عذابنا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ من بيان على ما تقولون من التحريم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ فتظهروه لنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ ما تقولون إلا بالظن ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُون﴾ [الأنعام:١٤٨]تكذبون.

﴿قُلْ﴾ يا محمد إن لم تكن لكم حجة على ما تقولون ﴿فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الوثيقة ﴿فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ﴾ لدينه ﴿ أَجْمَعِين﴾ [الأنعام:١٤٩]يخبر عن قدرته ونفاذ أمره إن أراده، ولكن لا يفعله لأنه ليس بحكمة ويرتفع التكليف والثواب والعقاب.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، {١١٣/٧-١١٤}.

(٢) وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا يعني اليهود حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير. مثل الإبل والنعّام والإوزة والبط. قال ابن زيد: هو الإبل فقط. وقال القتيبي: هو كلّ ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب، وقد حكاه عن بعض المفسّرين، وقيل: سمّي الحافر ظفرا على الاستعارة وأنشد قول طرفة:

فما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق وحافر، فجعل الحافر موضع القدم.

وقرأ الحسن كُلَّ ذِي ظِفْرٍ مكسورة الظاء مسكنة الفاء. وقرأ [أبو سماك] ظِفِرٍ بكسر الظاء والفاء وهي لغة. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢٠١/٤} والجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١١٣/٢}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَـذَا﴾ يعني ما تقولون من الحرث والأنعام ﴿ فَإِن شَهِدُواْ﴾ على تحريمها ﴿فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون﴾ [الأنعام:١٥٠] يشركون به الأصنام.

﴿ قُلْ﴾ يا محمد لمالك بن عوف وأصحابه ﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ﴾ حكم ﴿رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ في الكتاب الذي أنزل عليّ ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ أوله أن لا تشركوا به شيئاً من الأوثان ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ براً بهما ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم﴾ بناتكم ﴿مِّنْ إمْلاَقٍ﴾ مخافة الذل والفقر يعني أولادكم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني من الزنا الظاهر ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعني الزنا السر والمخالة(١).

ويقال: ولا تعصوا الله ظاهراً وباطناً.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ قتلها ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ بالعدل بالقود أو الرجم أو الارتداد ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ أمركم به في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [الأنعام:١٥١] أمره وتوحيده.

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالحفظ والأرباح ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الحلم والرشد(٢)﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموا الكيل والوزن ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ عند الكيل والوزن ﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلا جهدها بالعدل ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾ فاصدقوا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ولو كان على ذي قرابة منكم في الرحم فقولوا عليه الحق والصدق ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ﴾ يعني وأتموا العهد بالله ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾ [الأنعام:١٥٢] لكي تتعظوا.

﴿وَأَنَّ هَـذَا﴾ يعني الإسلام ﴿صِرَاطِي﴾ ديني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ قائماً أرضاه ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ أمركم به في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ [الأنعام:١٥٣] لكي تتقوا السبل.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ،للطبري، {٧٤/١٢}.

(٢) يعنى ثماني عشرة سنة وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ . انظر: تفسير مقاتل بن سليمان بن سليمان، {٥٩٧/١}.

"وللعلماء اقوال في قوله تعالى : (حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) خلاصتها " أن يقدر على حفظ ماله"

﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿تَمَامًا﴾ بالأمر والنهي والوعد والوعيد، والثواب والعقاب ﴿عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾ يقول أحسن حال. ويقال: على إحسان موسى وتبليغ رسالة ربه ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول وتبياناً لكل شيء من الحلال والحرام ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب لمن آمن به ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ﴾[1] بالبعث بعد الموت ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٥٤] يصدقون.

﴿وَهَـذَا كِتَابٌ﴾ يعني القرآن ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أنزلنا جبريل به ﴿مُبَارَكٌ﴾ فيه الرحمة والمغفرة لمن آمن به ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ فاتبعوا حلاله وحرامه وأمره ونهيه ﴿وَاتَّقُواْ﴾ عبره وحرموا حرامه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥] لكي ترحموا فلا تعذبوا.

﴿أَن تَقُولُواْ﴾ لكي لا تقولوا يا أهل مكة ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ﴾ على أهل دينين ﴿مِن قَبْلِنَا﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَإِن كُنَّا﴾ وقد كنا ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم التوراة والإنجيل ﴿لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:١٥٦] لجاهلين.

﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ ولكي لا تقولوا يوم القيامة ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾ كما أنزل على اليهود والنصارى[2] ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ أسرع منهم إجابة وأصوب ديناً ﴿فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني الكتاب والرسول ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن آمن به ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أعتى وأجرأ على الله ﴿مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض عنها ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾ عن الإقرار بآياتنا يعني محمداً والقرآن ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدة العذاب ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:١٥٧] يعرضون ويصدون.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أهل مكة ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾ عند الموت لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي جنده ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني طلوع الشمس من مغربها[3].

---

(١) معنا الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد شيئا سواة. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٤٧٣/٤}.

(٢) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وابن جرير والسدي انما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما . انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٤٧٥/٤}.

(٣) وفي هذه الآية يقول الهادي إلى الحق عليه السلام: إتيان الملائكة فهو حضورها لقبض أرواحهم عند الموت، ومعنى قوله: {أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} فهو يأتي حكم ربك عليهم بذلك، ومعنى قوله: {أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} يقول يأتيهم بعض آيات الله وغِيَره وانتقامه لأهل معصيته والآيات فكثيرة منها الجوع ومنها العطش ومنها ذهاب الأموال ومنها نزول بعض نقمه عليهم من هلكة أو غيرها ومنها تسليط بعضهم على بعض وذلك قوله سبحانه: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} وما أشبه ذلك من آيات الله ونقمه وفعاله بمن اجترى عليه من خلقه. انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٥٤/٦}.

ويقال: وقت النزع عند اليأس من الحياة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني طلوع الشمس من مغربها أو الموت ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْسًا﴾ كافرة ولا مؤمنة ﴿إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ﴾ الكافرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل طلوع الشمس من مغربها ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أو لم تخلص المنافقة بإيمانها، ولم تعمل خيراً قبل طلوع الشمس من مغربها لأنه لا يقبل من الكافر إيمان ولا عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها، ولا تنفع التوبة حينئذ إلا من كان صغيراً يومئذ أو مولوداً بعد ذلك، فإنه إن ارتدَّ بعد ما تطلع الشمس من مغربها ثم أسلم قبل منه، ومن كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنوب قبله منه، يقول: من كان يومئذ مؤمناً مذنباً فتاب أو صغيراً أو مولوداً بعد ذلك فإنهم ينفعهم إيمانهم وتوبتهم وعملهم.

﴿قُلِ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿انتَظِرُواْ﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّا مُنتَظِرُون﴾ [الأنعام:١٥٨] بكم العذاب يوم القيامة أو قبل يوم القيامة. ويقال: قل يا محمد انتظروا لهلاكي فإنا منتظرون لهلاككم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ تركوا دينهم، وإن قرأت مشددة الراء بحذف الألف فَرَّقوا يعني شتتوا دينهم أي اختلفوا في دينهم ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ صاروا فرقاً اليهودية والنصرانية والمجوسية ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾ من قتالهم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ ثم أمرهم بعد ذلك بقتالهم. ويقال: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ يقول ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ﴾ بذلك ﴿إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ يخبرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُون﴾ [الأنعام:١٥٩] من الخير والشر.

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ﴾ مع التوحيد ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالشرك ﴿فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ يعني النار ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾ [الأنعام:١٦٠] لا يُنقص من حسناتهم ولا يُزاد على سيئاتهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة واليهود والنصارى ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي﴾ لدينه وأمرني أن أدعو الخلق، ويقال: بين لي ربي كيف أدعو الخلق ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ صدقاً ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دين إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ مسلماً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾ [الأنعام:١٦١] [مع المشركين[1]]على دينهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾ الصلوات الخمس وديني وحجي وذبيحتي وعبادتي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ في الدنيا ويقال: في القبر. ويقال: محياي بعد الموت ومماتي في الدنيا

---

(١) سقط في (أ).

﴿لِلَّهِ﴾ في طاعة الله ورضاه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] سيد الجن والإنس. ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣] المخلصين بالعبادة والتوحيد.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أعبد رباً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بأمن منه فعله ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من الذنوب ﴿إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ عقوبة ذلك. ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا تحمل حاملة حمل أخرى من الذنوب.

ويقال: لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى. ويقال لا تعذب نفس بذنب نفس أخرى بطيبة نفس.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ في الدين ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤] تخالفون. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾ خلف الأمم الماضية في الأرض ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[1] فضائل بالمال والخدم ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم من المال والخدم ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ شديد العقاب لمن كفر به.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥] لمن آمن به.

(١)((وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)) بَعْضٍ دَرَجَاتٍ في الشرف والرزق لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ من نعمة المال والجاه، كيف تشكرون تلك النعمة، وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والحرّ بالعبد، والغنى بالفقير إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقابِ لمن كفر نعمته وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لمن قام بشكرها. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٨٤/٢}.

ومن السورة التي يذكر فيهاالأعراف(١)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿المص﴾ [الأعراف:١]

يقول: أنا الله أعلم وأفضل(٢)، ويقال: أقسم الله به.

﴿كِتَابٌ﴾ إن هذا كتاب يعني القرآن ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ جبريل به ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ﴾ فلا يقع في قلبك ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ شك من القرآن أنه ليس من الله. ويقال(٣): ضيق، ويقال طب به نفساً ولا ضيق صدرك ﴿لِتُنذِرَ﴾ لتخوف ﴿بِهِ﴾ بالقرآن أهل مكة ﴿وَذِكْرَى﴾ أي عظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٢]. ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ﴾ لا تعبدوا من دون الله ﴿أَوْلِيَاء﴾ أرباباً من الأصنام ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون﴾ [الأعراف:٣] ما تتعظون بقليل ولا بكثير.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ عذبناها ﴿فَجَاءهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ يعني ليلاً أو نهاراً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُون﴾ [الأعراف:٤] نائمون عند القيلولة(٤).

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا لهلاكهم ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِين﴾ [الأعراف:٥] مشركين. ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الرسل يعني القوم عن إجابة الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِين﴾ [الأعراف:٦] عن تبليغهم الرسالة ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ فالنختبرنهم ببيان ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِين﴾ [الأعراف:٧] عن تبليغ الرسل وإجابة القوم(٥). ﴿وَالْوَزْنُ﴾ وزن الأعمال

---

(١) وهي مائتان وست آيات مكية. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٥٠٢/١}

(٢) قال ابن عباس يعني: أنا الله أعلم وأفضل معناه: أعلم بأمور الخلق وأفضل الأحكام والأمور والمقادير. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٥٠٢/١}

(٣) القول لابن عباس. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي. {٣٤٨/٢}

(٤) أي في وقت القائلة وهو وسط النهار. التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٤٩٨/٤}.

(٥) قال المرتضى: وليس هو صلوات الله عليه وآله وسلم في شك بل هو على بصيرة ثابتة وعزيمة ماضية، بعيدة عن الشك والارتياب، ثم أمره سبحانه بعد ذلك بالإنذار والتبليغ فقال: {لِتُنذِرَ بِهِ} أي أنزل إليك إنذارك به، فاللام متعلق بأنزل أو بالنهي؛ لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وإذا علمت أنه تنزيل الله فاعلم أن عناية الله معك، وإذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج؛ لأن كل من كان الله حافظاً له وناصراً لم يخف أحداً، وإذا زال =

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ العدل ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ حسناته في الميزان ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨] الناجون من السخطة والعذاب.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ حسناته في الميزان ﴿فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم﴾ غبنوا أنفسهم بالعقوبة ﴿بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿يِظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٩] يكفرون، والميزان هو العدل والنصفة.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعَايِشَ﴾ ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠]ما تشكرون بقليل ولا بكثير. ويقال: فشكركم فيما صنع إليكم قليل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ جعلناكم من آدم وآدم من التراب ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ في الأرحام وصورنا آدم بين مكة والطائف ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ﴾ الذين في الأرض ﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ سجدة التحية. ويقال: معناه لأجل آدم وخلقه، ويقال: كان آدم بمنزلة القبلة.[1]﴿فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ رئيسهم ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِين ﴾ [الأعراف:١١]مع الساجدين[2] بالسجود. ﴿قَالَ﴾ الله ﴿يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ يا إبليس ﴿أَلاَّ تَسْجُدَ ﴾ لآدم ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ بالسجود ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]والنار تأكل الطين.﴿قَالَ﴾ الله تعالى له ﴿فَاهْبِطْ﴾ فانزل ﴿مِنْهَا﴾ من السماء. ويقال: فاخرج منها من الأرض[3]، ويقال: فاخرج منها من صورة الملائكة[4]، [وصورة الصالحين[5]]، والصحيح أنه من الجن. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فما ينبغي لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ﴾ أن

الخوف والضيق عن القلب اشتغل بالإنذار والتبليغ، ثم قال: {وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} أي يتعظون به، وخصهم لأنهم الذين ينتفعون بالذكر، كقوله: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}وذكرا محله النصب أي وتذكر تذكيراً؛ لأن الذكر اسم بمعنى التذكير، ويحتمل الرفع عطفاً على كتاب أو خبر مبتدأ محذوف، والجر عطفاً على تنذر؛ لأن المعمنى للإنذار والذكر ليعود نفعه على الفريقين؛ لأنه تعالى لما أنزل هذا الكتاب على رسوله ليكون إنذاراً ف يحق طائفة وذكرى في حق طائفة أخرى. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط ، {٥/٣٠}.

(١) تفسير غريب القرآن، للإمام زيد ، {١٢٥}.

(٢) نسخة (ب) الشاهدين.

(٣) وقال الكلبي: فاهبط منها أي اخرج من الأرض والحق بجزائر البحور، ولا تدخل الأرض إلا كهيئة السارق وعليه ذل الخوف وهو يروغ فيها، فما يكون لك أن تتكبر فيها، لا ينبغي لك أن تتكبر في هذه الأرض على بني آدم فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ يعني: من المهانين المذلين . انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١/٥٠٥}.

(٤) القول لمقاتل: اخرج من صورة الملائكة إلى صورة الدمامة. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٣٠}.

(٥) سقط في (أ).

تتعظم ﴿فِيهَا﴾ في صورة الملائكة أو صورة الصالحين على بني آدم ﴿فَاخْرُجْ﴾ من صورة الملائكة أو محل الصالحين ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١٣]من الذليلين بالعقوبة. ﴿قَالَ فَأَنظِرْنِي﴾ أجلني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤] من القبور، أراد الملعون ألا يموت.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥] من المؤجلين إلى نفخة الموت.

﴿ قَالَ ﴾ إبليس ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ فكما أضللتني عن الهدى وحكمت علي بذلك، وسميتني به وأوجبت علي اسمه والعقوبة عليه ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:١٦] دين الإسلام(١).

ويقال: معناه أهلكتني لأن الغي يكون هلاكاً كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (٢)

ويقال: بما أخفيتني لأن ألغي يكون خفية، ولو أراد الإغواء الذي يكون مانعاً لما قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾(٣) ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل الآخرة ألا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أن الدنيا لا تفنى، وآمرهم بالجمع والبخل والمنع والفساد ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل الدين، فمن كان على الهدى أشبه عليه حتى يخرج منه، ومن كان على الضلالة أزين له حتى يثبت عليها ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ لقبل اللذات والشهوات ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ﴾ كلهم ﴿شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧] مؤمنين.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا﴾ من صورة الملائكة أو محل الصالحين أو الجنة ﴿مَذْؤُومًا﴾ ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مقصياً من كل خير. ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ أطاعك ﴿مِنْهُمْ﴾ من الجن والإنس ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ من كفار الجن والإنس ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨]. ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وهي من جنان الدنيا، وبساتينها، أمره وأقل كلفة ما نحن فيها ﴿فَكُلاَ مِنْ﴾ الجنة ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ومتى شئتما ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ لا تأكلا من هذه الشجرة، شجرة العنب ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩] فتصيرا من الضارين لأنفسكما.

---

(١)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٢/٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤}.

(٢) مريم من الآية: ٥٩.

(٣) ص من الآية: ٧٥.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس بأكل الشجرة ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ ما غطي عنهما بلباس النور ﴿مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ من عوراتهما. ويقال[1]: ليبدي ليظهر لهما سوء فعلهما.

﴿وَقَالَ﴾ لهما إبليس ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا﴾ يا آدم ويا حواء ﴿عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ عن أكل هذه الشجرة ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَا﴾ تصيرا ﴿مَلَكَيْنِ﴾ تعلمان الخير والشر في الجنة ﴿أَوْ تَكُونَا﴾ تصيرا ﴿مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠] في الجنة، فلذلك منعكما عن أكل هذه الشجرة.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] في حلفي لكما أنها شجرة الخلد، يقال: إنهما سمعا كلامه ولم يريا شخصه، وطمعا في الخلود للعبادة والطاعة، وأوهمَا أن الشجرة غير المنهي عن أكلها، وإن كانت من جنسها توهما أن ما سواها جائزٌ أكلُها، وكان ذلك عن غفلة منه لا عن تعمد.

﴿فَدَلاَّهُمَا﴾ إلى أكل الشجرة ﴿بِغُرُورٍ﴾ بباطل وكذب حتى أكلا منها. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ فلما أكلا من الشجرة ﴿بَدَتْ لَهُمَا﴾ ظهرت لهما ﴿سَوْءَاتُهُمَا﴾ عوراتهما[2]،ويقال: سوء فعلهما وهو الصحيح[3].

﴿وَطَفِقَا﴾ عَمِداً من الاستحياء ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يلزقان على عوراتهما. ويقال: اتخذا من أوراق الجنة ما يستظلان به لما خرجا من موضعهما وهو الصحيح. ﴿مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي من ورق التين ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يا آدم ويا حواء ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ عن أكل هذه الشجرة ﴿وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ﴾ إبليس ﴿لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:٢٢] ظاهر العداوة. ﴿قَالاَ رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ أضررنا أنفسنا بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ وتجاوز عنا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ فلا

---

(١) القول للإمام الهادي يحي بن الحسين: (بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا) فهو سوء فعلهما، لا كما يقول من جهل العلم وقال بالمحال، إن الله كشف عورة نبيه وهتكه، وكيف يجوز ذلك على الله في أنبيائه، والله لا يحب أن يكشف عورة كافر به، فكيف يكشف عورة نبيه. وقال: قد اختلف في ذلك، ورويت فيه روايات، وأصح ما في ذلك عندنا، والذي بلغنا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أن لباسهما هو لباس التقوى والإيمان، لا ما يقول به الجاهلون من أنه لباس ثياب، أو ورق من ورق الشجرة، فهذا معنى قوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي ، يحي بن الحسين ، {٤٤١-٤٤٢}.

(٢) (ينزع عنهما) بوسوسته (لباسهما) قيل: ثياب من ثياب الجنة، وعن ابن عباس : كان لباسهما نورا . انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٤/٢٥٣٥}.

(٣) فهو سوء فعلهما، لا كما يقول من جهل العلم وقال بالمحال، إن الله كشف عورة نبيه وهتكه، وكيف يجوز ذلك على الله في أنبيائه، والله لا يحب أن يكشف عورة كافر به، فكيف يكشف عورة نبيه. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي ، يحي بن الحسين ، {٤٤١}.

تعذبنا ﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لنصيرن ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] من المغبونين بالعقوبة. ﴿قَالَ اهْبِطُواْ﴾ انزلوا من الجنة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني آدم وحواء وإبليس ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ منزل ومعاش ﴿إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف:٢٤] إلى حين الموت. ﴿قَالَ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿تَحْيَوْنَ﴾ تعيشون ﴿وَفِيهَا﴾ في الأرض ﴿تَمُوتُونَ وَمِنْهَا﴾ من الأرض ﴿تُخْرَجُون﴾ [الأعراف:٢٥] يوم القيامة. ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ قد خلقنا لكم وأعطيناكم ﴿لِبَاسًا﴾ ثياب القطن وغيره ﴿يُوَارِي﴾ يغطي ﴿سَوْءَاتِكُمْ﴾ عوراتكم من العري ﴿وَرِيشًا﴾ مالاً ومتاعاً ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ﴾ أي لباس التوحيد والعفة.

﴿ذَلِكَ﴾ يعني لباس العفة ﴿خَيْرٌ﴾ ويقال: لباس الحرب والجهاد والسلاح، يعني لباس العفة خير من لباس القطن[1].

﴿ذَلِكَ﴾ يعني لباس القطن ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ من عجائب الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون﴾ [الأعراف:٢٦] لكي يتعظوا.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ لا يستزلنكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ عن طاعتي ﴿كَمَا أَخْرَجَ﴾ استزل ﴿أَبَوَيْكُم﴾ آدم وحواء ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ لباس التقوى. ويقال: لباس البهاء الجلال بما سول ووسوس لهما من الكذب والمقاسمة التي سمعاها منه ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾ ليظهر لهما ﴿سَوْءَاتِهِمَا﴾ عوراتهما. ويقال: سوء فعلهما وهو الصحيح يعني ﴿إِنَّهُ﴾ يعني إبليس ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ لأن صدورهم مسكنهم وليس بصحيح.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء﴾ أعواناً ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون﴾ [الأعراف:٢٧] بمحمد والقرآن على معنى التخلية والحكم بذلك.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ حرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا﴾ على تحريمها ﴿آبَاءنَا﴾ وأجدادنا ﴿وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ بتحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

---

(١) قال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله، وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل. وقال ابن الأنباري: لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخبارا أن ستر العورة خير من التعري في الطواف. وقال [الامام] زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٢٢/٣}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بالمعاصي وبتحريم الحرث والأنعام ﴿أَتَقُولُونَ﴾ بلى تقولون ﴿عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٢٨] ذلك(١).

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالتوحيد بلا إله إلا الله ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ استقبلوا وجوهكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كل مسجد وعند وقت كل صلاة نحو الكعبة ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ووحدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مخلصين [له(٢)] بالعبادة والتوحيد ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ يوم الميثاق وهو وقت قيام الحجة عليكم، ولزوم التكليف في دار الدنيا ﴿تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩].﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ أكرمهم الله بالمغفرة والسعادة، وهم أهل اليمين باختيارهم الإسلام ودخولهم فيه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾ وجبت عليهم الضلالة، أهانهم الله بالنكرة والشقاوة بإنكارهم الحق واختيارهم الشقاء وهم أهل الشمال.

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا﴾ يقول قد علم الله أنهم يتخذون الشياطين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أرباباً ﴿مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ﴾ يظن أهل الضلالة ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠] بدين الله، قاله على سبيل التوبيخ، أي كيف يكون مهتدياً من كان على هذا السبيل.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ البسوا ثيابكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٣)عند كل صلاة وطواف ﴿وكُلُواْ﴾ من اللحم والدسم ﴿وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ لا تحرموا الطيبات من الرزق، واللحم والدسم ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] المتعدين من الحلال إلى الحرام.

---

(١) (وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً) يعني معصية فيما حرموا من الحرث، والأنعام، والثياب، والألبان، فنهوا عن تحريم ذَلِكَ (قالوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بها) يعني بتحريم ذَلِكَ، ثُمّ قَالَ: قُلْ يا محمد: (إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ) يعني بالمعاصي فيحرم ذَلِكَ، وقل لهم: (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ربكم إنَّه حرم عليكم مَا لا تَعْلَمُونَ) أنَّه حرمه وقُلْ لهم: (أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) يعني بالعدل (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ) يعني وأمر ربي أن تقيموا وجوهكم يعني إلى القبلة (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) فِي بيعة أَوْ كنيسة، أَوْ غيرها فصلوا قبل الكعبة وأمرهم بالصلاة والتوحيد فذلك قوله: وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ يعنى موحدين لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ). انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٣٣}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) عن قتادة في قوله تعالى: (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ، قال: كان حي من أهل اليمن، كان أحدهم إذا قدم حاجًّا أو معتمرًا يقول: "لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دَنِسْتُ فيه"، فيقول: من يعيرني مئزرًا؟ فإن قدر على ذلك، وإلا طاف عريانًا، فأنزل الله فيه ما تسمعون: (خذوا زينتكم عند كل مسجد). انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٢/٣٩٣}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ﴾ لباس الثياب في أيام الموسم والحرم والطواف ﴿الَّتِيَ أَخْرَجَ﴾ خلق ﴿لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ واللحم والدسم، وقد كانوا في الجاهلية يحرمون في أيام الموسم على أنفسهم اللحم والدسم، ويدخلون الحرم الرجال بالنهار والنساء بالليل عراة، فنهاهم الله عن ذلك[1].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هِي﴾ يعني الطيبات ﴿لِلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ويشترك في الحياة الدنيا والفاجر ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبين بالقرآن الحلال والحرام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢]ويصدقون أنه من الله.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني الزنا الظاهر ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعني الزنا السر والمخالة ﴿وَالإِثْمَ﴾ الخمر ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الاستطالة ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بلا حق ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ كتاباً ولا حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] ذلك من تحريم الحرث والأنعام والطيبات واللباس، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ لكل أهل دين ﴿أَجَلٌ﴾ وقت لهلاكها ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ﴾ وقت هلاكهم ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ لا يتركون بعد الأجل طرفة عين ﴿وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] لا يهلكون قبل الأجل طرفة عين.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [حين يأتينكم[2]] ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ آدمي مثلكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [يقرأون عليكم آياتي[3]] بالأمر والنهي ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ آمن بالكتاب والرسل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥] من ذهاب الجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بكتابنا ورسولنا ﴿وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ عن الإيمان بهما ﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ [الأعراف:٣٦] دائمون لا يموتون ولا يخرجون.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أعتى وأجرأ على الله ﴿ مِمَّنِ افْتَرَى ﴾ اختلق ﴿ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ما وعد لهم في الكتاب من سواد الوجوه، وزرقة الأعين حتى انظرهم يا محمد ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ ملك الموت وأعوانه

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٩٥/٧}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) سقط في (أ).

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم ﴿قَالُواْ﴾ عند قبض أرواحهم ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ فيمنعكم عنا ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ اشتغلوا عنا بأنفسهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِين﴾ [الأعراف:٣٧] بالله والرسل في الدنيا.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿ادْخُلُواْ﴾ النار ﴿فِي أُمَمٍ﴾ مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ قد مضت ﴿مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ من كفار الجن والإنس ﴿فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ أهل دين ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ دعت على التي قبلها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا﴾ إذا اجتمعوا في النار ﴿جَمِيعًا﴾ الأول فالأول [جميعا[1]] ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ أخرى الأمة ﴿لأُولاَهُمْ﴾ لأولى الأمة ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿هَؤُلاء﴾ يعني الرؤسا ﴿أَضَلُّونَا﴾ عن دينك وطاعتك ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ عذبهم مثل عذابنا مرتين.

﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [لكل واحد منهم ضعف(٢)] ﴿وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُون﴾[الأعراف:٣٨]ذلك من شدة عذابكم. ﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ﴾ أولى الأمة ﴿لأُخْرَاهُمْ﴾ لأخرى الأمة ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ كفرتم كما كفرنا وعبدتم من دون الله كما عبدنا. فيقول الله تعالى لهم: ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون﴾ [الأعراف:٣٩] تقولون وتعملون من الشر في الدنيا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد و القرآن ﴿وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ عن الإيمان بها ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء﴾ لرفع أعمالهم ولا لرفع أرواحهم ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ لا يدخلون الجنة كما لا يدخل الجمل[3] في سم الخياط في ثقب الإبرة. ويقال: حتى يلج الجمل في خرق الإبرة. ويقال: حتى يدخل الرسن الذي يشد به السفينة في خرق الإبرة[4].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِين﴾ [الأعراف:٤٠] المشركين. ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش من نار ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ غاشية من نار ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الظَّالِمِين﴾ [الأعراف:٤١]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿لاَ

---

(١) سقط في (أ).

(٢) سقط في (أ).

(٣) هو الجمل الذي على أربع قوائم وكان يقرؤها: الجُمَّلُ. انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {٣٣٦}.

(٤) عن ابن عباس: (حَتَّى يَلِجَ الجُمَّلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ)، قال: الحبل الغليظ، وهو حبل السفينة. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤٣١/١٢}.

نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ من الجهد ﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلا طاقتها ﴿أُوْلَـئِكَ﴾ هم المؤمنون ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أهل الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [الأعراف:٤٢] لا يموتون ولا يخرجون منها.﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم﴾ ما في قلوبهم ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ من بغض وحسد وعداوة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ من تحت مساكنهم وسررهم ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن.

﴿وَقَالُواْ﴾ إذا بلغوا إلى منازلهم، ويقال إلى عين الحيوان ﴿الْحَمْدُ لِلّـهِ﴾ الشكر لله والمنة لله ﴿الَّذِي هَدَانَا﴾ المنزل والعين ﴿لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ إليه[1].

ويقال: لما رأوا كرامة الله بالإيمان ﴿قَالُواْ الْحَمْدُ لِلّـهِ﴾ الشكر الله ﴿الَّذِي هَدَانَا﴾ لهذا الدين والإسلام ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بدين الإسلام ﴿لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ بدينه.

﴿لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ بالصدق والبشرى والثواب والكرامة ﴿وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ أنزلتموها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾ [الأعراف:٤٣] وتقولون في الدنيا من الخيرات.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب والكرامة ﴿حَقًّا﴾ صدقاً كائناً ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم﴾ يا أهل النار ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب والهوان ﴿حَقًّا﴾ صدقاً كائناً ﴿قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ فنادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار ﴿أَن لَّعْنَةُ اللهِ﴾ عذاب الله ﴿عَلَى الظَّالِمِين﴾ [الأعراف:٤٤] الكافرين.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ يصرفون الناس عن دين الله وطاعته ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبونها غيراً ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿كَافِرُون﴾ [الأعراف:٤٥] جاحدون.

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ [بين الجنة والنار[2]] ﴿حِجَابٌ﴾ سور ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ على السور رجال يقال لهم: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[3].

---

(١) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {١٦٧}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) عن مجاهد قال: "الأعراف"، حجاب بين الجنة والنار.و عن السدي: (وبينهما حجاب) ، وهو"السور"، وهو"الأعراف". انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٤٤٩/١٢}. وعن حذيفة بن اليمان أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٥١٧/١}.

ويقال: هم علماء وفقهاء شاكين في الرزق[1]،[وليس[2]] هـذا بصـحيح، والصـحيح أن الأعراف أفضل المواضع وأرفعها وأشرفها، وأن أصحاب الأعراف في أعلى الدرجات[3].

﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ ﴾ كلا الفريقين ﴿بِسِيمَاهُمْ ﴾ من دخل النار بسواد وجهه، وزرقة عينيه، ومن دخل الجنة ببياض وجهه غرّ محجل[4].

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ لم يدخلوها الجنة يعني أهل السور ﴿أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ يا أهل الجنة ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُون ﴾ [الأعراف:٤٦] بالدخول يعني أصحاب الأعراف، والصحيح أن أهل الجنة لم يدخلوا الجنة بتلك الكرامة وهم يطمعونها، أي رأوا فوق ما تمنوا وخطر ببالهم.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ إذا نظروا ﴿تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ﴾ نحو أهل النار ﴿قَالُواْ رَبَّنَا﴾ يـا ربنا ﴿لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين﴾ [الأعراف:٤٧] الكافرين في النار. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ من الكفار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ﴾ قبل دخولهم النار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بسواد وجوههم وزرقة أعيـنهم ﴿قَالُواْ﴾ يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام، ويا أمية بن خلف ويا أبي بن خلف، ويـا سود بن عبد المطلب وسائر الرؤساء ﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ من المال والخـدم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُون﴾ [الأعراف:٤٨] تتعظمون بمحمد والقرآن، ثم نظروا إلى أصحاب الجنة فـرأوا فـي الجنة سلمان الفارسي وصهيباً وعماراً وسائر الضعفاء والفقراء.

﴿أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم في الدنيا يا معشر الكفار ﴿لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ لا يدخلهم الله الجنة فدخلوها على رغم آنافكم[5].

---

(١) سقط في (ب) الدين.

(٢) سقط في (أ).

(٣) الأعراف: هو ما ارتفع من الأرض وعلا، وشمخ منها في الهواء، فتلك أعراف الأرض. والرجال التي عليها في يوم الدين فقد قيل: إنها رجال من المؤمنين، وقيل: إنها الحفظة التي كانت من الملائكة المقربين، حفظة في الدنيا على العالمين التي قال الله في كتابه وذكرهم وما بيَّن من حفظهم لمن كان من الخلق معهم، حين يقول: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) وهذا فأشبه المعنيين عندي، والله أعلم واحكم. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين ، {٦٠٠}.

(٤) معنى يعرفون: فهو يتعرفون ويتفهمون، حتى يوقنوا بهم ويعرفوهم، ويقفوا عليهم ويثبتوهم معرفة. ومعنى بسيماهم: فهو بحليتهم التي كانوا يعرفونها في الدنيا، ومعناهم في صفاتهم وخلقهم، وبنيتهم المعروفة من صورهم. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي ، يحي بن الحسين ، {٦٠٠}.

(٥) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١١٤/٢}.

ثم يقول الله لهم لأصحاب الأعراف: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ﴾ ويقال لغيرهم من المؤمنين ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب ﴿وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٤٩] والصحيح أن الأعراف أرفع المنازل وأعلى الدرجات في الجنة، وهكذا في اللغة(١).

وعن الأصبغ بن نباتة (٢)قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأتاه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال: ويحك يا ابن الكواء، نحن [أهل (٣)] الأعراف، نوقف في القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه، وأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا وفضل علينا [غيرنا(٤)] عرفناه بسيماه وأدخلناه النار(٥).

وعن ابن عباس قال: الأعراف موضع من الصراط عالٍ، عليه علي وحمزة وجعفر وعباس عليهم السلام يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه(٦).

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾ صبوا ﴿عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ من ثمار الجنة ﴿قَالُواْ﴾ يعني أهل الجنة ﴿إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ يعني ثمار الجنة والماء ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

---

(١)انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٣٦/٩}

(٢) الأصبغ بن نباتة أبو القاسم الحنظلي التميمي روى عن علي، روى عنه فطر والأجلخ، وسعد بن طريف. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ) ، تحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر ، باب الأصبغ بن نباتة ، {١٩٢٩/٤}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) سقط في (أ).

(٥) جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين: (وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) فقال: نحن الاعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الاعراف الذين لايعرف الله عزوجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الاعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا، ونحن عرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، إن الله لو شاء لعرف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراط وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون، ولاسواء من اعتصم الناس به، ولاسواء من ذهب حيث ذهب الناس، ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عين صافية تجري بامور لا نفاد لها ولا انقطاع . انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٢٥٣/٢٤}.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢١٢/٧}.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا﴾ باطلاً ﴿وَلَعِبًا﴾ فرحاً ويقال: ضحكة وسخرية ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما في الحياة الدنيا من الزهرة والنعيم ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿نَنسَاهُمْ﴾ نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ تركوا ﴿لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا﴾ الإقرار بيومهم هذا ﴿وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بكتابنا ورسولنا ﴿يَجْحَدُون﴾[الأعراف:٥١] يكفرون.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يقول أرسلنا إليهم محمداً بالقرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيناه ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا ويقال كما علمنا ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ [الأعراف:٥٢] بمحمد والقرآن.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون أهل مكة إذلا يؤمنون ﴿إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما وُعِدَ لهم في القرآن ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإقرار به ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل ذلك في الدنيا ﴿قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ببيان البعث والجنة والنار ولكن كذبناهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾ من العذاب ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا فنؤمن ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في الشرك ﴿قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ غبنوا أنفسهم بذهاب الجنة ولزوم النار ﴿وَضَلَّ﴾ واشتغل ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُون﴾ [الأعراف:٥٣] يعبدون بالكذب.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الآخرة طول كل يوم ألف سنة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ عمد إلى خلق العرش ويقال: خلق الله لتعتبر الملائكة ويزداد يقينهم، فقد كان أوجدهم قبل إتمام خلقها، والعرش الملك والاستواء عليه الاستيلاء عليه بالقهر والغلبة(١).

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يعني الليل والنهار ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً أي يجيء ويذهب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ وخلق الشمس والقمر ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ﴾ خلق السموات والأرض ﴿وَالأَمْرُ﴾ يعني

---

(١) استوى على العرش، والعرش فهو الملك، واستواؤه ملكه وقهره، بلا ند يشاوره، ولا ضد ينافره، ولا معين يوازره، وهو كما قال الملك في كتابه، بلا كيف ولا تمثيل ولا تحديد. وأنه شيء لا كالأشياء، ولا شيء يعدله سبحانه وبحمده. وأنه ليس بجسم ولا جسد، ولا فيه صفة من صفات الأجساد، ونعتها وهيئتها، من تأليفها واتصالها، واجتماعها، وافتراقها، وكينونة بعضها على بعض، على المجامعة، والمفارقة، والمباشرة، والدخول، والخروج، والقرب في المسافة، والبعد في العزلة والغيبة وطول السفر. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ،{٨٦}.

القضاء بين العباد يوم القيامة ﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾ ذو بركة، ويقال تعالى، ويقال: تبرأ ﴿رَبُّ الْعَالَمِين﴾ [الأعراف:٥٤] سيد العالمين ومدبرهم.

﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً، ويقال: تضرعا أي مستكيناً وخفية ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِين﴾ [الأعراف:٥٥] بالدعاء.

﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ بالمعاصي والدعوة إلى غير الله ﴿بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ بالطاعة والدعاء إلى الله ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ منه ومن عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ إليه وإلى جنته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ﴾ جنة الله ﴿قَرِيبٌ﴾ شيء قريب ﴿مِّنَ الْمُحْسِنِين﴾ [الأعراف:٥٦] من المؤمنين بالقول والفعل.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ طيبة ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ رفعت ﴿سَحَابًا ثِقَالاً﴾ بالماء ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ﴾ إلى مكان ﴿مَّيِّتٍ﴾ لا نبات فيه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالمكان الميت ﴿الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالمطر ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ كما نحيي الأرض بالنبات ﴿نُخْرِجُ الْموْتَى﴾ نحيي ونخرج الموتى من القبور ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾ [الأعراف:٥٧] لكي تتعظوا.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ المكان الزاكي الذي ليس بسبخة[1] ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بإرادة ربه بلا كد وعناء، كذلك المؤمن يؤدي ما أمره الله طوعاً مطيعة نفسه ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ المكان الخبيث السبخة ﴿لاَ يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلاَّ نَكِدًا﴾ إلا بتعب وعناء، وكذلك المنافق لا يؤدي ما أمر الله إلا كرهاً بغير طيبة النفس ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبين القرآن في مثل المؤمن والكافر ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُون﴾ [الأعراف:٥٨] يؤمنون[2].

---

(١) والسَّبَخةُ الأرض المالحة والسَّبَخُ المكان يَسْبَخُ فَيُنْبِتُ المِلحَ وتَسُوخُ فيه الأقدام. لسان العرب، لابن منظور، {٢٣/٣}.

(٢) {وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ} أي الأرض الكريمة القوية {يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} أي بفعل ربه وتسييره، وهو في موضع الحال، كأنه قيل: يخرج نباتاً حسناً وافياً؛ لأنه واقع في مقابله بكذا في قوله: {وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً} لا خير فيه، والنكد القليل الذي لا ينتفع به، ويجوز أن يكون بمعنى العسر إن هذا مثل للذي يؤثر فيه الوعظ ومن لا يؤثر، وحسن ذكر هذا المثل عقيب ذكر المطر وإمزاله بالبلد الطيب، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد، ثم قال تعالى: {كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ} أي مثل ذلك التصريف نصرف الآيلت لا نرددها ونكررها {لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} نعمة الله، وهم المؤمنون، لتيفكروا فيها ويعتبروا بها، قرء يصرف بالياء أي يصرفها الله، وإنما ختم هذه الآية بقوله: {لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} لأن الذي ذكره هو أنه تعالى يخرج الرياح اللطيفة النافعة، ويجعلها سبباً لنزول المطر الذي هو الرحمة، ويجعل تلك الرياح والأمطار سبباً لحدث أنواع النابت النافعة اللطيفة اللذيذة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٩٢/٥}.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الذي أدعوكم إليه ﴿إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ أعلم أن يكون عليكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩] إن لم تؤمنوا.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ يا نوح ﴿فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف:٦٠] في خطـإٍ بينٍ فيما تقول. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ﴾ سفاهة ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١] إليكم. ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أحذركم من العذاب وأدعوكم إلى التوبة والإيمان ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٦٢] من العذاب إن لم تتوبوا(١).

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ﴾ بأن جاءكم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ نبوة من ربكم ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ آدمي مثلكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ يخوفكم ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ لكي تطيعوا الله وتتقوا عبادة غير الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٦٣] لكي ترحموا فلا تعذبوا ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني نوحاً ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ في السفينة من الغرق والعذاب ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بكتابنا ورسولنا نوح ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٤] عن الهدى كافرين .

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ﴾ نبيهم ﴿هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الله أدعوكم إليه ﴿أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥] عبادة غير الله.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ يا هود ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ في جهالة ﴿وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦] فيما تقول.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ جهالة ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٧] إليكم ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ أحذركم من عذاب الله، وأدعوكم إلى التوبة والإيمان ﴿أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨] على رسالة ربي ويقال: قد كنت فيكم أميناً قبل هذا(٢).

(١) يبين الله تعالى لنا : كيف يقول الملأ من قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وغيرهم: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} و {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ} وهؤلاء يقولون: دعايات يستثيرون بها الناس ، ويحكي أسلوب الأنبياء الطيفاً، وصدورهم الفسيحة لديهم ، يقول لهم الآخرون: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} و {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} ، فيقول: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}، هكذا يكون الإنسان ناصح أمين، وصدره فسيح، يواجه حتى الكلام القاسي منهم، لا ينفر منهم، يواجههم بمنطق لين، وهكذا كل الأنبياء والرسل والأولياء مع الملأ في كل زمن ومكان ، ويعتبر هذا مظهر من مظاهر رحمة الله.

(٢) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف ، لعبد الله بن الهادي ، {١٥٩/٢}.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ بل عجبتم ﴿أَن جَاءكُمْ﴾ بأن جاءكم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ آدمي مثلكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ليخوفكم من عذاب الله ﴿وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ من بعد هلاك قوم نوح ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ﴾ في الطول والجسم ﴿بَسْطَةً﴾ فضيلة ﴿فَاذْكُرُواْ آلاء اللهِ﴾ نعماء الله وآمنوا بالله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩] لكي تنجوا من السخطة [والعذاب(١)].

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الآلهة شيئاً ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠]. ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ [قد وجب(٢)] ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ سخط ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء﴾ أصنام ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم﴾ آلهة ﴿مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ من كتاب ولا حجة ﴿فَانتَظِرُواْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف:٧١] لهلاككم.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ يعني هوداً ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ آمنوا معه ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بنعمة منا عليهم ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ استأصلنا الذين كذبوا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بكتابنا ورسولنا هود ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٧٢] وكلهم كانوا كافرين أي الذين هلكوا(٣).

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ أرسلنا إلى ثمود(٤) ﴿أَخَاهُمْ﴾ نبيهم ، ويقال: أخاهم في النسب ولم يكن أخاهم في الدين ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الذي

---

(١) سقط في (أ).

(٢) سقط في (أ).

(٣) {فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} إذ كانوا مستحقين الرحمة بسبب إيمانهم {وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} أي جعلناها معجزة لهود، أي قطعناهم ، وأهلكنا عقلهم وذريتهم، والمراد أنه تعالى أنزل عليهم عذاب الاستئصال الذي هو الريح، وقطع الدابر هو الاستئصال، فدل بهذا اللفظ بأنه تعالى ما أبقى منهم أحد، ودابر الشيء آخر قوله، لقوله سبحانه: {وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} فنفى الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله فهو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام ، قال: وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم بآيات الله ولم يكونوا مثل من آمن من هم، ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين، وقيل: إنهم لو بقو لم يؤمنوا أيضاً، ولو علم أنهم سيؤمنون لأبقاهم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٠٥/٥-١٠٤}.

(٤) و"ثمود"، هو ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جَدِيس بن غاثر ، ومعنى الكلام: وإلى بني ثمود أخاهم صالحًا. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٢٤/١٢}. قال البعض: ثمود اسم القرية. وقال البعض: ثمود اسم القبيلة وأصله في اللغة الماء القليل. ويقال: كانت بئراً بين الشام والحجاز. ويقال: هي عين يخرج منها ماء قليل في تلك الأرض ويقال لها أرض الحِجر كما قال في آية أُخرى (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ). انظر: بحر العلوم للسمرقندي ، {٥٢٨/١}.

آمركم أن تؤمنوا به ﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ علامة على رسالة [الله[1]] لكم ﴿فَذَرُوهَا﴾ اتركوها ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ﴾ في أرض الحجر[2] من عشبه ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ﴾ بعقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣] بعد عقرها.

﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء﴾ مستخلفين في الأرض ﴿مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ من بعد هلاك عاد ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أنزلكم في الأرض ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا﴾ تبنون من طينها ﴿قُصُورًا﴾ للصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ﴾ في الجبال ﴿بُيُوتًا﴾ للشتاء ﴿فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ﴾ نعماء الله وآمنوا به ﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] لا تعملوا في الأرض بالمعاصي والدعاء إلى غير الله.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ﴾ قهروا ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ من الضعفاء ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ﴾ صالح ﴿مُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٧٥] مصدقون.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٦] جاحدون. ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾ قتلوها ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عتوا عن قبول أمر ربهم الذي أمرهم صالح ﴿وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٧٧] استهزؤوا به. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة والصيحة والعذاب ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ﴾ فصاروا في مدينتهم، وإن قرأت في ديارهم يعني عساكرهم ﴿جَاثِمِينَ﴾[الأعراف:٧٨] ميتين لا يتحركون.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ خرج من بينهم صالح قبل أن أهلكوا ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم إلى التوبة والإيمان ﴿وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩] لن تطيعوا الناصحين.

﴿وَلُوطًا﴾ أرسلنا لوطاً إلى قومه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ بهذا العمل ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠] قبلكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ أدبار الرجال ﴿شَهْوَةً﴾ أشهى لكم ﴿مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨١] في الشرك، معتدون من الحلال إلى الحرام[3].

---

(١) سقط في (أ).

(٢) وكانت مساكنهما الحِجْر، بين الحجاز والشأم، إلى وادي القُرَى وما حوله. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٢٤/١٢}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٤٠١/١}.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ ولم يكن جواب قومه ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ يعني لوطاً وابنتيه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ من مدينتكم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢] يتنزهون عن أدبار الرجال والنساء.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ يعني لوطاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ابنتيه زعوراء و ريثاء ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ واعلة ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف:٨٣] صارت من المتخلفين بالهلاك(١).

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ أنزلنا على مسافريهم وشذاذهم ﴿مَّطَرًا﴾ حجارة من السماء ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٤] آخر أمر المشركين بالهلاك.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إلى مدين ﴿أَخَاهُمْ﴾ نبيهم ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الذي آمركم أن تؤمنوا به ﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بيان من ربكم على رسالة الله ﴿فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموا الكيل والوزن ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ لا تنقصوا حقوق الناس في الكيل والوزن ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ بالمعاصي والدعوة إلى غير الله ﴿بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ بالطاعة والدعاء إلى الله والوفاء بالكيل والوزن ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت لكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم فيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥] مقرين بما أقول لكم.

﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ﴾ ولا تجلسوا ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ على طريق فيه ممر الناس ﴿تُوعِدُونَ﴾ تضربون وتخوفون وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بشعيب ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ غيراً ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً﴾ بالعدد ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالعدد ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٨٦] عاقبة أمر المشركين قبلكم بالهلاك.

---

(١) {فانجيناه وأهله} أي ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين {إلا امرأته كانت من الغابرين} أي من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا أو قال: {من الغابرين} لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة مواليه لأهل سدوم وسدوم أمم قريتهم وروى أنها التفت فأصابها حجر فماتت، وقيل: كانت المؤتفكات خمس مدائن: سدوم وعامورا وداموراً وصرا وصقر وهي على يوم وليلة من فلسطين في كل قرية منها مائة ألف مقاتل وكانت سدوم أعظمها وكان لوط عليه السلام ينزلها. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١٧٠/٢}.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧] القاضين. ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا﴾ من مدينتنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ لتدخلن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ في ديننا ﴿قَالَ﴾ شعيب عليه السلام ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨] أتجبروننا على ذلك ولو كنا كارهين.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ باطلاً ﴿إِنْ عُدْنَا﴾ إن دخلنا ﴿فِي مِلَّتِكُم﴾ في دينكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا﴾ من دينكم ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا﴾ ما يجوز لنا أن ندخل في دينكم الشرك بالله ﴿إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ رَبُّنَا﴾ نزع المعرفة عن قلوبنا ولا نفعله أو يجعل ذلك شرعاً ويأمرنا به، وهذا مستحيل منه، أراد بذلك تعييرهم وتوبيخهم ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ عالم ربنا بكل شيء ﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يقيناً بالله ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿افْتَحْ﴾ اقضِ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[الأعراف:٨٩] القاضين[١].

﴿وَقَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِه﴾ للسفلة ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً﴾ في دينه ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٠] لجاهلون مغبونون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة والصيحة بالعذاب ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:٩١] فصاروا في مدينتهم ميتين.

---

(١) معنى قوله: {وَمَا يَكُونُ لَنَا} أي ما ينبغي ولا يصح ولا يتهيأ لنا {أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} فإن قيل: إن الله عز وجل لا يشاء عبادة الأوثان فما وجه هذا القول من شعيب؟ فالجواب: إن هذا القول من شعيب على وجه التبعيد والامتناع، حسماً لطمعهم، كقوله: {حتى يلج الجمل في سم الخياط} وكقولهم: حتى يشيب الغراب، إذ مشيئة الله لردتهم محال، دل على هذا قوله: {وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً} أي أحاط بكل شيء، ولم يضيق علمه، ولكنه ينزه عن الجهل والعمى، فهو يعلم أقوال عباده كيف تتحول، وقلوبهم كيف تتقلب، فيقسوا بعد الرقة، ويرجع إلى الكفر بعد الإيمان. واعلم أنه عليه السلام ختم كلامه بأمرين: الأول: بالتوكل على الله تعالى فقال: {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} في أن يثبتنا على الإيمان وهذا يفيد الحصر أي عليه توكلنا لا غيره، وكأنه في هذا الكلام عدل عن الأسباب وأومى إلى مسبب الأسباب. والثاني: بالدعاء فقال: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا} أي احكم من الفاتح ة وهي الحكومة، أو اظهر أمرنا حتى تفتح {وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ}. قال ابن عباس وقتادة والسدي: معن افتح احكم واقض. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار ، للشرفي، مخطوط ، {١٢١/٥}.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ هلكوا ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ كأن لم يكونوا ﴿فِيهَا﴾ في الأرض ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٢] صاروا مغبونين بالعقوبة.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أخرج من بينهم قبل الهلاك ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي﴾ بالأمر والنهي ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم إلى التوبة والإيمان ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣] بالله إن هلكوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ أهلكنا أهلها ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ مرسل ﴿إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا﴾ قبل الهلاك ﴿بِالْبَأْسَاء﴾ بالخوف والبلاء والشدائد ﴿وَالضَّرَّاء﴾ والأمراض والأوجاع والجوع ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُون﴾ [الأعراف:٩٤] لكي يؤمنوا فلم يؤمنوا(١).

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ مكان القحط والجدوبة والشدة ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الخصب والرخاء والنعيم ﴿حَتَّى عَفَواْ﴾ جمعوا وكثرت أموالهم ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء﴾ أصاب آباءنا الشدة والرخاء كما أصابنا فصبروا على دينهم فنحن مثلهم نقتدي بهم ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ فجأة بالعذاب ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف:٩٥] لا يعلمون نزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ التي أهلكنا أهلها ﴿آمَنُواْ﴾ بالكتب والرسل ﴿وَاتَّقَواْ﴾ الكفر والشرك والفواحش وتابوا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ بالمطر من السماء والنبت والثمار من الأرض ﴿وَلَـكِن كَذَّبُواْ﴾ رسلي وكتبي ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ بالقحط والجدوبة والعذاب ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون﴾ [الأعراف:٩٦] يكذبون الأنبياء والكتب عن ذلك(٢).

---

(١) واعلم أنه تعالى لما عرفنا أحوال هؤلاء الأنبياء واحوال ما جرى على أممهم كان من الجائز أن يظن أنه تعالى ما أنزل عذاب الاستئصال إلا في زمن هؤلاء الأنبياء فقط، فأخبر عز وجل بعد هذه الآية أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم، وبين العلى التي بها فعل ذلك فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ} الفقر {وَالضَّرَّاءِ} المرض {لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ أي يتذللون فينقادون لأمر الله، وإنما ذكر القرية لأنها مجتمع للأقوام، وقوله من نبي فيه حذف وإضمار، والتقدير من نبي مكذب أو يكذبه أهلها. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٢٦/٥}.

(٢) توضح الآيات أن التقوى آثارها يكون في واقع الحياة { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا} بالإيمان والتقوى يتحقق الوعد الهي تلقائيا {لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فبالتقوى تتحقق المكاسب الكثرة التي تحقق السعادة في الدنيا والفوز الكبير في الآخرة. وهكذا العكس إذا لم تتوفر التقوى. فمن أهم أسباب غياب حالة التقوى ضعف الإيمان بالله واليوم الآخر والبديل عن التقوى هو إتباع الهوى. والله يوحي لنا أن المسالة هامه حتى ولو كان من الأنبياء (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ أهل مكّة ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ ألا يأتيهم ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتاً﴾ ليْلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف:٩٧]غافلون عن ذلك[1].

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ أهل مكّة ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ ألا يأتيهم ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿ضُحًى﴾ نهارا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف:٩٨] يخوضون في الباطل﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ﴾ عذاب الله ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ﴾ عذاب الله ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] المغبونون الكافرون[2]. ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أو لم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ﴾ أرض مكة ﴿مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ هلاك أهلها ﴿أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم﴾ عذبناهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما عذبنا الذين من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ونختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وقد مضى تأويله أنه سمة أو على معنى الحكم والشهادة ﴿فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠] أي لا يقبلون الحق والهدى، ولا يصدقون بمحمد والقرآن وهو إخبار عنهم.

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ التي أهلكنا أهلها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ننزل عليك جبريل ﴿مِنْ أَنبَآئِهَا﴾ بخبر هلاكها ﴿وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ بالكتب والرسل ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾ يوم الميثاق وهو وقت إقامة الحجة عليهم في لزوم التكليف. ويقال: لم يؤمن آخر الأمة بما كذب به أول الأمة.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يَطْبَعُ اللهُ﴾ يختم الله ﴿عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف:١٠١] بالله في علم الله، وقد مضى تفسير الطبع والختم. ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ على عهد الأول ﴿وَإِن وَجَدْنَا﴾ وقد وجدنا ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ كلهم ﴿لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢] لناقضين. ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ وقومه ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ فجحدوا بها بالآيات ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٠٣] آخر أمر المشركين بالهلاك.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٥٣/٧}.

(٢) فينبغي لمن كان في قرية من القرى، غير معمولٍ فيها بما يحبّ الله ويرضى، الغالب على أهلها فيها الظلم والعتا، ألا يأمن مكر الله وأخذه لأهلها ضحىً أو بياتاً، ولا يغفل عما يتوقع من أمر الله فيها، من حلول نقمه بها وعليها، وإن أُمْلِيَتْ فأطيل لها الإملاء، فإن بالغفلة يهلك فيها الغُفَلاء.

وربما أملى الله لقرية فأطال، وهو يرى فيها الظلم والضلال، كما قال سبحانه: {وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة، ثم أخذتها وإليّ المصير} [الحج: ٤٨]. ففي هذا وأقل منه موعظة لمن يعقل ويبصر. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي عليه السلام ، {٢٧٣/٢}.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:١٠٤] إليك، قال فرعون: كذبت. قال موسى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾ عليَ جدير ﴿أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ إلا الصدق ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ ببيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:١٠٥] مع أموالهم وقليلهم وكثيرهم. ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ بعلامة ﴿فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٦] بأنك رسول. ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ أول آية ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[الأعراف:١٠٧] حية صفراء ذكر أعظم الحيات ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ من إبطه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء﴾ تضيء ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف:١٠٨] إليها.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٩] حاذق بالسحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ﴾ مصر ﴿أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف:١١٠] قال فرعون لهم فماذا تشيرون في أمره.

﴿قَالُواْ أَرْجِهْ﴾ قفه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون ولا تقتلهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف:١١١] الشرط ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[الأعراف:١١٢] حاذق بالسحر. ﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ سبعون ساحراً ﴿قَالْواْ﴾ لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لأَجْرًا﴾ هدية تعطينا ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف:١١٣] لموسى(١).

﴿قَالَ نَعَمْ﴾ لكم عندي ذلك ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف:١١٤] إليَّ بالمنزلة. ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ﴾ أولاً ﴿وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف:١١٥] أولاً.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَلْقُوْاْ﴾ أنتم أولاً ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْاْ﴾ سبعين عصاً وسبعين حبلاً ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بالسحر ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ استفزعوهم ﴿وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦] كذب. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقى ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تلقم ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾[الأعراف:١١٧] مأفوكهم من العصي والحبال.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ فاستبان الحق [مع موسى(٢)]﴿وَبَطَلَ﴾ واضمحل ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١١٨] من السحر.

---

(١) {قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ} أي أخرهما واصدرهما عنك، والإرجاء التأخير، ومعنى أخره أي أخر أمره ولا تعجل في أمره بحكم فتصير عجلتك حجة عليك، والمقصود أنهم حاولوا معارضة معجزته بسحرهم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٣٦/٥}.

(٢) سقط في (أ).

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ﴾ فغلبهم موسى عند ذلك ﴿وَانقَلَبُواْ﴾ رجعوا ﴿صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف:١١٩] ذليلين.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف:١٢٠] خر السحرة ساجدين لله. ويقال: سجدوا من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا، ويجوز أن يقال: ألقي إذا كان سبب ذلك ما عاينوه من أمر الله وقدرته(١).

﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:١٢١]قال فرعون: إياي يعنون. قالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:١٢٢].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ﴾ قال صدقتم برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم أن أمركم ﴿إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ فيما بنيكم وبين موسى ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ بالمكر ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٢٣]. ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ﴾ يد اليمنى ورجل اليسرى ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٢٤] على شاطئ النهر.

﴿قَالُواْ﴾ يعني السحرة ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف:١٢٥] راجعون.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا﴾ تطعن عليها وتعاقبنا ﴿إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا﴾ حين جاءتنا. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أكرمنا بالصبر عند الصلب والقطع لكيلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦] مخلصين على دين موسى.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ لا تقتلهم ﴿لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ بتغيير الدين والعبادة ﴿وَيَذَرَكَ﴾ يتركك ﴿وَآلِهَتَكَ﴾ وعبادة آلهتك إن قرأت بكسر اللام ونصب التاء ويقال عبادتك بالإلهية إن قرأت بنصب اللام والتاء.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ﴾ صغاراً كما قتلناهم أول مرة ﴿وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ﴾ نستخدمهن كباراً ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧] مسلطون. ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ﴾ على البلاء ﴿إِنَّ الأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿لِلّهِ يُورِثُهَا﴾ ينزلها ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨] الجنة للمتقين الكفر والشرك والفواحش.

---

(١) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ وخرّوا سجدا: كأنما ألقاهم ملق لشدّة خرورهم. وقيل: لم يتمالكوا مما رأوا، فكأنهم ألقوا. وعن قتادة: كانوا أول النهار كفاراً سحرة، وفي آخره شهداء بررة. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {١٤١/٢}.

﴿قَالُواْ﴾ يا موسى ﴿أُوذِينَا﴾ عذبنا بقتل الأبناء واستخدام النساء والعمل ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا﴾ بالرسالة ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بالرسالة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ وعسى من الله واجب ﴿أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فرعون وقومه ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ يجعلكم مكان أرض مصر ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون﴾ [الأعراف:١٢٩] في طاعته.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ﴾ قومه ﴿بِالسِّنِينَ﴾ بالقحط والجوع عاماً بعد عام ﴿وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ﴾ ذهاب من الثمرات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون﴾ [الأعراف:١٣٠] لكي يتعظوا ﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والرخاء والنعيم ﴿قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ﴾ ينبغي هذه ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ القحط والجدوبة والشدة ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾ يتشاءمون بموسى ومن معه﴿أَلا إِنَّمَا﴾ قال الله ﴿طَائِرُهُمْ﴾ شدتهم ورخاؤهم ﴿عِندَ اللهُ﴾ من الله ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾ [الأعراف:١٣١] ذلك ولا يصدقون.

﴿وَقَالُواْ﴾ يا موسى ﴿مَهْمَا﴾ كل ما ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ لتأخذ أعيننابها ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين ﴾ [الأعراف:١٣٢] بمصدقين لك بالرسالة، فدعا عليهم موسى ﴿فَأَرْسَلْنَا عليهم الطُّوفَانَ﴾ فسلط الله ﴿عَلَيْهِمُ﴾ بعد ذلك ﴿والْجَرَادَ﴾ حتى أكل ما تنبت الأرض من النبات والثمار﴿وَالْقُمَّلَ﴾ وسلط الله عليهم بعد ذلك القمل حتى أكل ما بقي من الجراد وهو الدباء الجراد الصغار بلا أجنحة ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ وسلط الله عليهم بعد ذلك الضفادع حتى آذاهم[1].

(١) (وَقالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها يعني الآيات التسع فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) يعنى بمصدقين يعنى بأنك رسول من رب العالمين. (فَأَرْسَلْنا) فلمَّا قَالُوا ذَلِكَ أرسل اللَّه (عَلَيْهِمُ السنين، ونقص من الثمرات، والنبات والطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ يعني باينات) بعضها من بعض بين كُلّ آيتين ثلاثين يومًا (فَاسْتَكْبَرُوا يعني فتكبروا عن الإيمان وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ) فأما الطوفان فهو الماء طغى فوق حروثهم وزروعهم مطردا ثمانية أيام فِي ظلمة شديدة لا يرون فيها شمسا وَلا قمرا وَلا يَخْرُج منهم أحد إِلَى صنعته فخافوا الغرق فصرخوا إلى فرعون فأرسل إلى مُوسَى فَقَالَ: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك أن يكشف عنا هَذَا المطر فَإِن يكشفه لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إِسْرَائِيل. فَقَالَ: لا أفعل ما زعمتم أني ساحر. فقالوا: (يا مُوسَى، ادع لنا ربك). فدعا ربه فكشف عَنْهُم المطر، فنبت من الزرع والعشب ما لَمْ ير مثله قطّ. فقالوا: لَقَدْ جزعنا من أمر كان خيرًا لنا. فنكثوا العهد فأرسل اللَّه عليهم الجراد ثمانية أيام، وملئت الأرض حَتَّى كانوا لا يرون الأرض من كثرته، قدر ذراع فأكل النبات حَتَّى خافوا ألا يبقى لهم شيء. فَقَالَ فرعون: يا مُوسَى، (ادع لنا ربك أن يكشف عنا، فنؤمن لك). فدعا مُوسَى ربه، فبعث اللَّه ريحا فاحتملت الجراد فألقته فِي البحر. قَالَ فرعون لموسى: ادع لنا ربك أن يكشفه عنا، ونؤمن لك. فدعا ربه فأمات القمل وبقي لهم ما يتبلغون. فنكثوا، قَالُوا: يا مُوسَى، هَلْ يستطيع ربك أن يفعل بنا أشد من هَذَا؟ فأرسل اللَّه عليهم الضفادع فدبت فِي بيوتهم وعلى ظهورهم فكان يستيقظ الرَّجُل من نومه وعليه منهم كثرة. فَقَالَ فرعون لموسى: ادع لنا ربك فيهلكه، فَإِنَّهُ لَمْ يعذب أحد قطّ بالضفادع. فدعا مُوسَى ربه فأمات الضفادع، فأرسل اللَّه مطرا جوادا فجرى بهم الماء حَتَّى قذفهم فِي البحر. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان {٥٧/٢}.

﴿وَالدَّمَ﴾ وسلط عليهم بعد ذلك الدم حتى صار قليبهم وأنهارهم دماً ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾ مبينات بين كل آيتين شهر ﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ولم يؤمنوا ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣] مشركين.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ كلما نزل عليهم العذاب مثل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سل لنا ربك ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بما أمر ربك ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ إن رفعت عنا العذاب ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ لنصدقنك ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٤] مع أموالهم وقليلهم وكثيرهم.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ فلما رفعنا عنهم العذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾ يعني الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف:١٣٥] ينقضون عهدهم مع موسى. ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ مرة واحدة ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ التسع: اليد والعصا والطوفان، والجراد، والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٣٦] جاحدين بها.

﴿وَأَوْرَثْنَا﴾أنزلنا﴿ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يستذلون﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ أرض بيت المقدس وفلسطين والأردن ومصر﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ في بعضها بالماء والشجر﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ الجنة، ويقال بالنصرة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ لبني إسرائيل ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على البلاء، ويقال: على دينهم ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من القصور والمدائن﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧]من الكرم وغيره من الشجرويقال: يبنون.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ﴾ يقال لهم الرقم بقية من قوم إبراهيم[1]﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادة أصنام لهم ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا﴾ بين لنا إلهاً كي نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يعبدونها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] أمر الله.

﴿إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ﴾ مهلك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ من الشرك ﴿وَبَاطِلٌ﴾ ضلال ﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٩] في الشرك.

---

(١) هناك اقوال: مَنهم هؤلاء القوم؟ مِنهم من قال: من لخم وقيل: مِن الكنعانيين وقيل مِن القبط. والأهم هو معرفة المعصية الكبير بعدما نجاهم الله من فرعون وقومه. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٦٩٨/٤}.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا﴾ آمركم أن تعبدوا رباً غير الله ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٠] عالمي زمانكم بالإسلام(١).

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ﴾ من فرعون وقومه ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ﴾ بأشد العذاب ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ صغاراً ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ كباراً ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ﴾ فيما نجاكم بلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف:١٤١] نعمة من ربكم(٢)، ويقال: وفي ذلكم في عذابه بلية عظيمة.

قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أراد به التخلية بينه وبينكم(٣).﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾ الإتيان إلى الجبل ﴿ثَلاَثِينَ لَيْلَةً﴾ شهر ذي القعدة ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ كما وعده ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ كن خليفتي في قومي ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أمرهم بالصلاح ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]طريق المفسدين بالمعاصي(٤).﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ بمدين ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ طمع قومه في الرؤية، فسأل الله تعالى على سبيل التنبيه لقومه، يدل على ذلك قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا﴾ [الأعراف من الآية:١٥٥].(٥) ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾ قال الله لن تراني يا موسى لن تقدر لن تراني يا موسى ﴿وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ أعظم جبل بمدين ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ فإن استقر الجبل لرؤيتي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فلعلك تراني ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أظهر لجبل زبير وجلى وتجلى بمعنى واحد ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ كسرا ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقًا﴾ مغشياً عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ نزه ربه ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من مسألتي للرؤية ﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣] المقرين بأنك لن ترى، والتوبة يقال: إنها لأجل المسألة قبل الإذن فيها(٦).

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٨٤/١٣} والتهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٦٩٩/٤}.

(٢) يعني فيما فعل بكم من النجاة نعمة عظيمة عليكم لربكم. التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٧٠٠/٤}.

(٣) يتضح أن ما وصلوا اليه هو بسبب انهم (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) فالله لم يجعلهم في هذه الوضعية تحت ظلم فرعون وانما خلى بينهم وبينه لأفعالهم، فأيام نبي الله يوسف عليه السلام أعزهم الله، فكل أمة إذا ما ضيعت هدى الله فالمصير هو الترك والتخلية بينهم وبين عدوا الله وعدوهم، والله تعالى لا يجامل أحد كما هو حال الكثير من حكومات المسلمين تحت ظلم أمريكاء واسرائيل.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٥٩/٢-٦٠}.

(٥) التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٢٧٠٧/٤}.

(٦)انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {١٥٧/٢} ومعانى القرآن للأخفش، {٣٣٦/١}.

ويقال: أنها على سبيل التعظيم لله لما رأى من آياته العظام. ويقال: ان السؤال لازدياد اليقين ووقوع العلم الضروري، يسأل أن يرى آية من آيات القيامة من تسيير الجبال لا رؤيته، والدليل عليه أنه لو أراد أن يريه على عجزه عن رؤيته كان التجلي لشيء لـه بضـر كما لموسى عليه السلام(١).

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ على بني إسرائيل ﴿بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ وبتكليمي معك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ فاعمل بما أعطيتك ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤] بما أعطيتك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ نهياً ﴿وَتَفْصِيلاً﴾ تبياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ فاعمل بها بجد ومواظبة النفس عليها ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ يعملوا بمحكمها ويؤمنوا بمتشابهها ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٥] يعني دار الكافرين وهي جهنم، ويقال: الغرق، ويقال: مصر(٢). ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ يعني عن الطعن فيها والمنع عن تبليغها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بلا حق(٣). وعن ابن عباس فيه تقديم وتأخير. ويقال: سأريكم يا محمد دار الفاسقين يعني جهنم. ويقال: دار بدر، ويقال: دار مكة(٤).

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ﴾ من الآيات التي أعطي موسى ﴿لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ لا يصدقوا ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طريق الهدى طريق الإسلام ﴿لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ لا يحسبوه طريقا ديناً ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ طريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ [دينا(٥)]

﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ ورسولنا ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا﴾ عن آياتنا ﴿غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦] جاحدين بها ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بكتابنا ﴿وَلِقَاء الآخِرَةِ﴾ البعث بعد الموت

---

(١) انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٤٥٣}.

(٢) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٠٦/٢}.

(٣) انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٧١/٥} ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.باب ١٤٥، {٨٢/٨}.

(٤) انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٧١/٥}.

(٥) سقط في (أ).

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت حسناتهم في الشرك ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٤٧] إلا بما كانوا يعملون في الدنيا ويقولون من الشرك[(١)].

﴿وَاتَّخَذَ﴾ صاغ ﴿قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد انطلاق موسى إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ من ذهبهم ﴿عِجْلاً﴾ صغيراً ﴿جَسَدًا﴾ مجسداً ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ صوت صاغ لهم السامري وجعل فيه خروقاً للريح أو غير ذلك مما يصوت عند وقوعه فيه، ويقال: الصوت كان من الشياطين.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أو لم يعلم قوم موسى ﴿أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ﴾ يعني العجل شيئاً ﴿وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ طريقاً. ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ عبدوه بالجهل ﴿وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨] [صاروا[(٢)]] ضارين لأنفسهم بعبادتهم إياه.﴿وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ﴾ ندموا على عبادتهم العجل ﴿وَرَأَوْاْ﴾ علموا وأيقنوا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ عن الحق والهدى ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ فيعذبنا﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٩] بالعقوبة. ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ حزيناً حين سمع صوت الفتنة.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ﴾ بئس ما صنعتم بعبادة العجل من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أسبقتم بعبادة العجل وعد ربكم ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ من يده فانكسرت منها لوحان ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعر رأس أخيه هارون ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى نفسه، يقال: أنه كان على سبيل العتاب لا الهوان، وكقبض الرجل منا على لحيته، وقيل: إن هذا أمر ينقل حكمة في العادة.

﴿قَالَ﴾ هارون ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ يا ابن أم وقد كان أخاه من أبيه وأمه، وإنما ذكر أمه لكي يرفق به ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ استذلوني ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ بخلافهم إياي ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاءَ﴾ فلا تفرح بي الأعداء أصحاب العجل ﴿وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠] لا تعدني من أصحاب العجل[(٣)].

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا عضمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي)) وقيل: سأصرفهم عن أنضالها وأن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل معجزة موسى بان جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وإنكاس الباطل بغير الحق أي يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده او معناه يتكبرون بما ليس بحق فما هم عليه من دينهم {وإن يروا آية لا يؤمنوا بها} بين تعالى أنه إنما صرفهم عن ياته لأنهم لا يؤمنون بها {وإن يروا سبيل الرشد} أي طريق الحق {لا يتخذوه سبيلا} أي لا يسلكوه بل تعرضوا عنه {وإن يروا سبيل الغي} أي طريق الضلال والهلاك {يتخذوه سبيلا} ويميلون إليه . انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٠٧/٢}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) معنى إن القوم استضعفوني أي لم أقصر في الكف والوعظ حتى قهروني ولم يلتفتوا إلى كلامي {وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي} والمعنى أنه لم يأل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار، وبما بلغته طاقته، ولم يبق إلا أن يقتلوه {فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ} يعني أصحاب العجل، فلا تفعل بي ما هو فيهم من الاستهانة بي والإساءة {وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي لا تجعلني شريكاً لهم في يعقوبتك على فعلهم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط ، {١٧٨/٥}.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿اغْفِرْ لِي﴾ بما صنعت بأخي هارون ﴿وَلأَخِي﴾ هارون لما لم يناجزهم بالقتال ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ في جنتك ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ﴾ عبدوا العجل ومن اقتدى بهم ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ سيصيبهم ﴿غَضَبٌ﴾ وسخط ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مذلة بالجزية. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٢] الكاذبين على الله.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ في الشرك بالله ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة والإيمان ﴿لَغَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٥٣].

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ فيما بقي منها. ويقال: فيما أعد له في اللوحين ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤] يخافون[1].

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ لميعادنا ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة بالهلاك يعني الموت.

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ من قبل هذا اليوم ﴿وَإِيَّايَ﴾ بقتل القبطي، والصحيح أن المراد هذا الإذعان والإقرار بقدرته عليهم ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء﴾ الجهال ﴿مِنَّا﴾ بعبادة العجل ظن موسى أن ما أهلكهم الله بعبادة قومهم العجل ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ بليتك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء﴾ يقال: إن ما أصاب المؤمنين كان على سبيل الامتحان لاستحقاق

---

(١) (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ -إلها - سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ يعنى عذاب مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ) يعنى مذلة (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا) فصاروا مقهورين إلى يوم الْقِيَامَة. ثُمّ قَالَ: (وَكَذَلِكَ) يعني وهكذا (نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) يعني الَّذِين افتروا فزعموا أن هَذَا إلهكم: يعني العجل، وإله مُوسَى، وكان السامري جمع الحلي بعد خمسة وثلاثين يومًا من يوم فارقهم مُوسَى- عَلَيْه السَّلام. ، وكان السامري صائغا فصاغ لهم العجل فِي ثلاثة أيام، وَقَدْ علم السامري أنهم يعبدونه لقولهم لموسى- عَلَيْه السَّلام- قبل ذَلِكَ: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)، فعبدوا العجل لتمام تسعة وثلاثين يومًا ،ثُمّ أتاهم مُوسَى من الغد لتمام الأربعين يومًا وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ يعني الشرك الَّذِين عبدوا العجل ، ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها أي بعد الشرك وَآمَنُوا يعني صدقوا بالله، أَنَّهُ واحد لا شريك لَهُ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها يعني من بعد الشرك لَغَفُورٌ رَحِيمٌ بهم، قوله: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) يعنى مكن (أَخَذَ الْأَلْواحَ) بعد ما ألقاها (وَفِي نُسْخَتِها) فيما بَقِيَ منها (هُدىً) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ) من العذاب (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) يعني يخافون اللَّه. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٦٥/٢}.

الثواب، والصحيح أن الفتنة لشديد التعبد والأمر بالصبر عليه، والإضلال والهداية على معنى ما تقدم ذكره على قدر الاستحقاق كما قال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾(١) وهو الحكم والتسمية والإضلال [عن طريق(٢)] الجنة في الآخرة.

فأما الدلالة والاباحة والإزاحة للعلة فقد فعلها الله تعالى لجميع المكلفين كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(٣) وكما قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ والناس يشمل المؤمنين والكافرين، والهدى قد يكون الثواب كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُم ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُم﴾(٤).

والهداية بعد القتل إنما إلى الثواب لا إلى الدين، والهدى يكون أيضاً بمعنى الزيادة كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى (٥)﴾ (٦).

والإضلال فقد يكون عن الثواب كما قلنا إذا كانوا غير مستحقين، وقد يكون أيضاً عن مزيد الهداية، وشرح الصدر اللذين يفعلهما الله بالمؤمنين ثواباً على إيمانهم ليزدادوا ثباتاً على

---

(١) البقرة من الآية: ٢٦.

(٢) سقط في (أ).

(٣) فُصِّلَت من الآية: ١٧.

(٤) محمد: ٦.

(٥) محمد من الآية: ١٧.

(٦) قال الإمام الهادي: الهدى من الله عز وجل هديان: هدى مبتدأ، وهدى مكافأة. فأما الهدى المبتدأ: فقد هدى الله به البَرّ والفاجر، وهو العقل والرسول والكتاب. فمن أنصف عقله وصدق رسوله وآمن بكتابه وحلل حلاله وحرم حرامه؛ استوجب من الله الزيادة بالهدى الثاني؛ جزاء على عمله، ومكافأة على فعله، كما قال عز وجل: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد: ١٧]، وقال: (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) [مريم: ٦٧]. ومن كابر عقله وكذب رسوله ورد كتابه؛ استوجب من الله الخذلان، وتركه من التوفيق والتسديد، وأضله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، وذلك قوله تبارك وتعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ) عني الهدى الثاني، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ ، يقول: ومن يرد أن يوقع اسم الضلال عليه، بعد أن استوجب بفعله القبيح: (يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٢٥]، فقد بين عز وجل في آخر الآية أنه لم يضله، ولم يضيق صدره إلا بعد عصيانه وكفره وضلاله؛ لأنه يقول: (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)، ولم يقل إنه يجعل الرجس على الذين آمنوا. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ، {٦٦}.

اليقين كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ أي يشرح الله بما اعتقده، فيكون ذلك داعياً إلى ثباته عليه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾(١) يعني من أصر على الكفر ولم يهتد بهدى الله أضله الله على انشراح الصدر وأبدله منه ضيق قلب وانزعاج نفس، فيكون داعياً إلى الانتقال عما تمسك به.

وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك، كما قال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ﴾(٢) وكما قال: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾(٣) أي لن يهلكها(٤).

والله تعالى قد يفعل الإضلال بالمجرمين، وهو إهلاكهم عقاباً لهم على معاصيهم.

وفي الجملة ليس في القرآن أنه أضل عن الدين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا تخرج الضلالة والهدى عن الوجوه التي ذكرناها وبيناها وبالله التوفيق.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أولى بنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ولا تعذبنا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥] المتجاوزين ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أوجب لنا في هذه الدنيا حسنة العلم والعبادة والعصمة من الذنوب ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ حسنة الجنة ونعيمها ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ تبنا إليك، ويقال: أقبلنا إليك، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ﴾ أخص به ﴿مَنْ أَشَاء﴾ وهم المستحقون للعقاب.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من ذنوب البر والفاجر، فتطاول بها إبليس وقال: وأنا من الأشياء، فأخرجه الله منها فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ سأوجبها ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والشرك والفواحش.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ويعطون زكاة أموالهم ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا﴾ بكتابنا ورسولنا ﴿يُؤْمِنُون﴾ [الأعراف:١٥٦] فتطاول لها أهل الكتاب فقالوا: نحن أهل التقوى والكتاب، فأخرجهم الله منها وبين لمن النعمة فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ يعني محمداً ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ بنعته وصفته ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد والإحسان ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الكفر والإساءة ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ يبين لهم

---

(١) الأنعام من الآية: ١٢٥.

(٢) القمر: ٤٧.

(٣) محمد من الآية: ٤.

(٤) انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ،{٦٦}.

تحليل ما في الكتاب من لحم الإبل ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾ يبين لهم تحريم ما في الكتاب من الميتة والدم، ولحم الخنزير وغير ذلك ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ عهودهم التي كان حرم عليهم بنقضها الطيبات ﴿وَالأَغْلاَلَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ من قطع الثياب وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد يعني عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أعانوه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ بالسيف ﴿وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أنزل جبريل به عليه أحلوا حلاله وحرموا حرامه ﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧] الناجون من السخطة والعذاب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ كافة ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خزائن السموات والأرض ﴿لا إِلَـهَ﴾ لا خالق ولا رازق ﴿إِلاَّ هُوَ﴾ والإله الذي تحق له العبادة ﴿يُحْيِـي﴾ للبعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي﴾ هو ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ الذي هو مؤمن بالله ﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾ وبكلماته القرآن، وإن قرأت ﴿وَكَلِمَتِهِ﴾ يقول وبعيسى أنه صادق مصدق، وصار بكلمة من الله مخلوقاً يعني كن فيكون ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ اتبعوا دينه يعني محمداً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨] لكي تهتدوا من الضلالة بالإيمان.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يأمرون بالحق ﴿وَبِهِ﴾ بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] يعملون وهم الذي من وراء النهر(١).

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرقناهم ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ سبطاً سبطاً تسعة سبط ونصف سبط من قبل المشرق عند مطلع الشمس خلف الصين على نهر رمل يسمى أردن، وسبطين ونصف في جميع العالم(٢).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ أمرنا موسى ﴿إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ على الحجر الذي معك ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ فخرجت ﴿مِنْهُ﴾ من الحجر ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ نهراً ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ من النهر ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه يظللهم بالنهار من الشمس، ويضيء لهم بالليل مثل السراج.

---

(١) قال مقاتل: هم سبعون ألفاً من وراء نهر الصين معهم التوراة: اسكنوا الأرض، وذلك من بعد موسى ، ومن بعد يوشع بن نون. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢٧٥}.

(٢) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ، {١/٤٠٢}.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ في التيه ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وأعطيناكم من المن والسلوى ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وما نقصونا وما ضرونا ﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٦٠] يضرون.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أريحا ﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾[1] يعني واسعاً ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ لا إله إلا الله، ويقال: حط عنا الخطايا ﴿وَادْخُلُواْ الْبَابَ﴾ باب أريحا ﴿سُجَّدًا﴾ ركعاً خاضعين ﴿نغفر لكم خطيئآتكم﴾ خطاياكم ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:١٦١] في إحسانهم.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ وهم أصحاب الخطيئة ﴿قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ أمر لهم أمروا بالحطة فقالوا حنطة شمقاثاً ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ طاعوناً من السماء ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٦٢] يغيرون[2].

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ يا محمد يعني اليهود ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ وهي تسمى نينوى ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يتعدون يوم السبت بأخذ الحيتان ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ جماعات جماعات من غمر الماء إلى شاطئه ﴿وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَبْلُوهُم﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٣] يعصون.

﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بالمسخ ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالنار.

﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ حجة لنا عند ربكم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤] عن أخذ الحيتان يوم السبت ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ وعظوا وأمروا به ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) البقرة من الآية: ٥٨.

(٢) قال تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} يريد أنهم بدلوا طاعة الله بالعصيان واتبعوا أهواؤهم في طاعة الشيطان، والمراد طلب مغفرة ذنب امتناعهم على موسى من دخول القرية أمروا بالتوبة محطة، أو ما في معناها فعدلوا إلى ما يشتهون من الدنيا، فقالوا حنطة استهزاء بما قيل لهم، قيل: ويحتمل المراد بقوله حطة أي توبوا إلى الله سبحانه مما سلف منكم، وليس المراد اللفظ، وبقوله فبدل الذين ظلموا قولاً أي غيروا ولم يمتثلوا لما أمروا به، وقالوا قولاً لم يسلموا من تبعته، وأما قوله: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} فقال الحسين بن القاسم عليهما السلام معنى رجزاً يريد أنه أرسل عليهم عذاباً من السماء، والرجز هو العذاب، انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٩٦/٥}.

السُّوءِ﴾ وهم المؤمنون المطيعون أمر الله الناهون عن نهيه ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بأخذ الحيتان يوم السبت ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥] يعصون.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ﴾ أبوا ﴿عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف:١٦٦] صاغرين ذليلين.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ قال لهم ربك ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ من يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بأشد العذاب بالجزية وغيرها، وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لشديد العقاب لمن لم يؤمن به.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧] لمن آمن به(١).

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ سبطاً سبطاً ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ وهم تسعة أسباط ونصف الذين من وراء نهر الرمل ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني دون ذلك القوم سائر المؤمنين من بني إسرائيل.

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ اختبرناهم بالخصب والرخاء والنعيم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالقحط والجدوبة والشدة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨] لكي يرجعوا عن معصيتهم وكفرهم.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ فبقي من بعد الصالحين ﴿خَلْفٌ﴾ خلف سوء وهم اليهود ﴿وَرِثُواْ الْكِتَابَ﴾ أخذوا التوراة، وكتموا ما فيها من صفة ونعت محمد صلى الله عليه ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى﴾ يأخذون على كتمان صفة ونعت محمد حرام الدنيا من الرشوة وغيرها ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما نعمل بالليل من الذنوب، يغفر لنا بالليل ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلُهُ﴾ مثل ما أتاهم آمنين ﴿يَأْخُذُوهُ﴾ يستحلوه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ في الكتب ﴿أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ إلا الصدق ﴿وَدَرَسُواْ﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ من نعت وصفة محمد، يقال: قرأوا ما فيه من الحلال والحرام ولم يعملوا به.

---

(١) (تَأَذَّنَ رَبُّكَ) عزم ربك، وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام، لأنّ العازم على الأمر يحدّث نفسه به ويؤذنها بفعله، وأجرى مجرى فعل القسم، كعلم الله، وشهد الله. ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله لَيَبْعَثَنَّ والمعنى: وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثنّ على اليهود إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ فكانوا يؤدّون الجزية إلى المجوس، إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم، فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر. ومعنى ليبعثنّ عليهم ليسلطنّ عليهم، كقوله: بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {١٧٣/٢}.

﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والشرك والفواحش، والرشوة وتغيير صفة محمد ونعته في التوراة من دار الدنيا ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾ [الأعراف:١٦٩] أن الدنيا فانية والآخرة باقية.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ يعملون بما في الكتاب يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويبينون صفة ونعت محمد ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ وأتموا الصلوات الخمس ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ﴾ لا نبطل ﴿أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠] ثواب المحسنين بالقول والفعل، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه(١).

﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ قلعنا ورفعنا الجبل ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ علالي ﴿وَظَنُّواْ﴾ علموا وأيقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ نازل عليهم إن لم يقبلوا الكتاب ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم﴾ اعملوا بما آتيناكم ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ومواظبة النفس ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الثواب والعقاب. ويقال: احفظوا ما فيه من الأمر والنهي، ويقال: اعملوا بما فيه من الحلال والحرام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ [الأعراف:١٧١] لكي تتقوا السخطة والعذاب وتطيعوا الله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ فقال قد أخذ ربك يا محمد يوم الميثاق ﴿مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ويقال: من ذريتهم من ظهورهم مقدم ومؤخر ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾ استنطقهم وأشهدهم ﴿عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ علمنا وأقررنا بأنك ربنا، قال الله للملائكة اشهدوا عليهم، وقال لهم أشهدوا بعضكم على بعض ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ لكيلا تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ الميثاق ﴿غَافِلِين﴾ [الأعراف:١٧٢] لم يؤخذ علينا ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ لكيلا تقولوا ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ ونقضوا العهد قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ صغاراً ضعفاء ﴿مِّن بَعْدِهِمْ﴾ لمن بعدهم اقتدينا بها ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ أفتعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُون﴾ [الأعراف:١٧٣] المشركون قبلنا في نقض العهد(٢).

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبين الآيات بخبر الميثاق ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون﴾ [الأعراف:١٧٤] من الكفر والشرك إلى الميثاق الأول والميثاق وقت التكليف ولزومه لا ما يحكمونه من المحال، وخلاف الظاهر، والصحيح أن هذه الآية نزلت في قوم أقروا أنهم مخلوقون وأنكروا البعث بعد البلوغ ولزوم التكليف لا في حال الطفولية، ولا في أصلاب

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٧٢/٢}.

(٢)انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٣٠٠/٣}.

الآباء فلا علم لهم بذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾(١) فاحتج الله بإقرارهم لكيلا يحتجوا إذا صاروا إلى النار﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف من الآية:١٧٢] ولم تقم عليه حجة ولم يأتنا رسول، ولم تكمل عقولنا، فقطع الله حجتهم بإكمال العقل وإرسال الرسل، وتبلغ مبلغ الْحِنْثِ(٢)والتكليف.

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ لكي لا تقولوا ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ فيه دليل أنه يقدمه آباء مشركون.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ اقرأ عليهم يا محمد ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِيَ آتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿آيَاتِنَا﴾ الاسم الأعظم ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج منها وهو بلعم بن باعوراء، أكرمه الله بالاسم الأعظم فدعا به على موسى فأخذه الله منه حفظ ذلك. ويقال: الآيات ما بين له من الحجج والدلائل.

ويقال: كان أمية بن أبي الصلت أكرمه الله بعلم حسن وكلام حسن، فلما لم يؤمن أخذ الله منه بتخليته له وتركه وراءه ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فغره الشيطان ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين﴾ [الأعراف:١٧٥] الضالين الكافرين.(٣)ويقال: كان فرعون موسى. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ بالإسلام الأعظم إلى السماء، ويقال: في الآخرة في الجنة. ويقال: لملكناه على أهل الدنيا. ويقال: بالآيات الدالة على الحق لو ثبت على ذلك لرفعناه بها في الدارين.

﴿وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ إلى الأمن ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ هو الملك. ويقال: هوى نفسه بمساوئ الأمور.

ويقال: فانسلخ منها نزعها كما نزع الثوب من جلده باعه بمتاع من الدنيا. ﴿فَمَثَلُهُ﴾ مثل بلعم، ويقال أمية بن الصلت. ويقال: فرعون. ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ تشدد عليه فتطرده ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ فلا تطرده ﴿يَلْهَث﴾ كذلك بلعم أو أمية بن أبي الصلت إن وعظ لم يتعظ، وإن سكت عنه لم يعقل ذلك. ويقال: أنه يؤذي المسلمين أبداً بلسانه ويده كالكلب(٤).

---

(١) النحل من الآية: ٧٨.

(٢) الحِنْثُ الإثم والذنب وبلغ الغلام الحنث أي بلغ المعصية. انظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق: محمود خاطر،مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥، باب الحا {١٦٧}.

(٣)انظر: التبيان في تفسير القرآن ، للطوسي ، {٢٩/٥} وبحر العلوم للسمرقندي، {٥٦٧/١}.

(٤)انظر: مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ {٣٣٤/٢}.

﴿ذَّلِكَ﴾ هكذا ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن وهم اليهود ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ الحق فاقرأ عليهم القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦] لكي يتفكروا في أمثال القرآن ﴿سَاء مَثَلاً﴾ بئس مثل ﴿الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٧٧] يضرون بالعقوبة.

﴿مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ وهو الحكم بالهداية والتسمية والشهادة إذا اهتدى، وهدايته إلى طريق الجنة في الآخرة.

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٨] المغبونون بالعقوبة والإضلال بالحكم والتسمية والشهادة، وقد تقدم تأويله، وإضلاله عن طريق الجنة في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ خلقنا لجهنم ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾ في فهم الحق ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنهم كفار ﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] عن الآخرة، جاحدون بها، ويقال: إنه يريد الذرء الثاني.

ويقال: إن هذا إخبار عن عاقبة أمرهم وما يختارونه لأنفسهم، ومما يشهد لهذا التأويل قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[١] وهم إنما التقطوه ليكون قرة عين وهو قوله: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾[٢] وعلى هذا تأويل قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا﴾[٣] ويشهد لهذا التأويل أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٤].

﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ الصفات العُلا: العليم القادر، والسميع والبصير وغير ذلك ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وأقروا بها ﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ يجحدون في أسمائه وصفاته، وإن قرات يلحدون يقول يميلون عن الإقرار بأسمائه وصفاته، وإن قرأت يلحدون في أسمائه يقال:

---

(١) القصص: ٨.

(٢)القصص: ٩.

(٣)آل عمران: ١٧٨.

(٤)الذاريات: ٥٦.

يشبهون بأسمائه اللات والعزى ومناة ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿مَا كَانُواْ﴾ بما كانوا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] ويقولون في الدنيا من الشر.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يأمرون بالحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٨١] بالحق يعملون، وهم أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله(١).

ويقال: من قوم موسى صلى الله عليه أمة وراء البحر مؤمنون مسلمون عادلون، والله أعلم(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن وهو أبو جهل وأصحابه المستهزئون بهما ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنأخذهم بالعذاب ﴿مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢] بنزول العذاب فأهلكهم الله في يوم واحد كل واحد بهلاك غير هلاك صاحبه.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٣] إن عذابي وأخذي شديد.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ فيما بينهم أن محمداً لم يكن ساحراً ولا كاهناً ولا مجنوناً، ثم قال الله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ نبيهم ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ من جنون ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ رسول مخوف ﴿مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٤] يبين لهم بلغة يعلمونها. ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ يعني أهل مكة ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والسحاب ﴿وَالأَرْضِ﴾ يعني وما في الأرض من الشجر والجبال والبحار والدواب ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ﴾ وفيما خلق الله من سائر الأشياء ﴿وَأَنْ عَسَى﴾ وعسى من الله واجب ﴿أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ قد دنا أجلهم هلاكهم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ فبأي كتاب بعد كتاب الله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥] إن لم يؤمنوا بهذا الكتاب.

---

(١) عن جعفر الصادق عليه السلام قال: هذه الآية لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قوله: أمة والأمة فهم الأئمة العادلون يشهد بذلك الكتب من قول الله عز وجل لإبراهيم إني جاعلك للناس إماماً، ثم قال: إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً، وكذلك قال: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، لشرفي، مخطوط، {٢٢٣/٥}.

(٢) {ومن قوم موسى أمة} هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهمفي الدين وارتابوا حتى أقدموا على العضمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بالحق أي بكلمة الحق ويذلونهم عن الإستقامة شدوهم وبه أي و بالجق {يعدلون} أي يعملون بينهم بالحق ولا يجوزون أو أراد الذين وصفهم من أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآمن به من أعقابهم. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢١٨/٢}.

﴿مَن يُضْلِلِ اللّهُ﴾ عن دينه ﴿فَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾ فلا مرشد له إلى دينه ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ يتـركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في كفرهم وضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف:١٨٦] يمضون عمهة لا يبصرون وهـو على معنى التخلية والحكم والتسمية.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد يعني أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ عن قيام الساعة وحينها ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى قيامها وحينها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ علم قيامها وحينها ﴿عِندَ رَبِّي﴾ من ربي ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾ لا يبـين وقتها وحينها ﴿إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني ثقل علم قيامها وحينها على أهل السـموات والأرض ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾يا محمد عن قيام الساعة ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ عالم بها. ويقال: جاهل بها، ويقال: غافل عنها. ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ علم قيامها وحينها ﴿عِندَ اللّهِ﴾ من الله ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧] ولا يصدقون ذلك.

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ جر النفع ﴿وَلاَ ضَرًّا﴾ ولا دفع ضر ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ أن يملكنيه من الضر والنفع، وكذلك سائر الخلق لا يملكون إلا ما ملكهم الله وأقدرهم عليه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الضر والنفع ﴿لستكثرة من الخير﴾ من النفـع ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ الضر.

ولنا وجه آخر يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ النفع والضـر، ولـزوم العـذاب علـيكم ﴿لستكثرة من الخير﴾ شكراً لذلك ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ وما أصابني الغم والحزن لقتلكم. ويقـال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ من القحط والجدوبة، وغلاء السعر ﴿لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ من النعيم ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ ما أصابتني شدة.

﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ بالنار ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من نفس آدم وحدها ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلق من نفس آدم زوجته حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ معها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أتاها ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ هيناً ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قامت وقعدت ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾ ثقل الولد فـي بطنها ﴿دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً﴾ سوياً صحيحاً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٨٩] بذلك[1].

---

(١) قرأ ابن عباس: {فاستمرت به} وقرأ غيره: فمارت به من المرية ومعناه قوله فوقع في لفها ظن الحمل وارتادت به {فلما اثقلت} أي حضر وقت ثقل حملها وقرئ أثقلت أي أثقلها الحمل {دعو الله ربهما} أي دعاء آدم وحوى ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجئ إليه بأن إتياننا إن وهبت إلينا صالحاً ولداً سوياً قد صلح، ويروى أي تم واستوى بشراً سوياً وقيل: ولداً ذكراً لأن الذكورة من الصلاح والجودة {لنكونن} جواب قسم محذوف والله {لئن آتيتنا لنكونن من الشاكرين} لنعمتك بصفة الولد الصالح من النعم. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٤٢/٢}.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً﴾ سوياً ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أي جعلا لأنفسهما فيه شركاء يعبد الله ويحرث لهما سمياه عبد الله وعبد الحارث ﴿فَتَعَالَى اللّهُ﴾ تبرأ الله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠]به الولد في الوالد بعد نذرهم لعبادة الله. ويقال: إن هذه الآية إخبار عن جملة أهل البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها، ثم عاد الذكر إلى الذي سأل الله ما شاء، فلما أعطاه الله إياه ادعى له شريكاً في عطيته. وقوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أي لما تغشى كل نفس زوجها وهو الصحيح(١).

ويقال: أيضاً في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الآية [إن] أولها في آدم وزوجته عليهما السلام، إلى قوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ انقطع الكلام مما بعده في الفصل واللغة، وإن كان من هؤلاء في السمع واللفظ والمخاطبة يقول: فلما تغشى ابن آدم زوجته ابنة آدم وحملت حملاً خفيفاً فمرت به فكانت هذه قصة الكافرين من ولدهما، كان منهما ما قص الله ذكره من تركهما ما هداه عليه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ﴾(٢) يعني آدم ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ يعني ولده.

ومنه قوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾(٣) فخاطب قوماً مخاطبة موصولة، ثم تركها وجاوزها إلى غيرهم، فكذلك ذكر خلق آدم وحواء عليهما السلام، وترك ذكرهما وجاوز إلى أولادهما.

---

(١){فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي جامعها، والغشيان إتيان الرجل المرأة، وقد غشاها وتغشاها إذا علاها، وذلك لأنه قد صار كالغاشية لها، وقوله: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} الماء الذي من نطفة آدم وكان خفيفاً بعليها، والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر، والحمل بكسر الحاء ما حمل على الظهر أو على الدابة، ومعنى {فَمَرَّتْ بِهِ} أي استمرت بالماء والحمل على سبيل الخفة إلا حال الثقل، والمراد أنها كانت تقوم به وتقعد وتمشي من غير ثقل {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} أي ثقل حملها أو حضر وقت الولادة {دَعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا} يعني آدم وحوى {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} أي ولداً سوياً قد صلح بدنه أي كمل، وقيل: ذكراً؛ لأن الذكر من الصلاح والجودة {لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} نزداد شكراً، والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٣١/٥}.

(٢)المؤمنون: ١٢.

(٣)يونس: ٢٢.



وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي مارت والمرو التردد، والمرأة تردد الماء في الرحم[1].

وقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ ولا يحيي ﴿وَهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩١] أي مخلوقة منحوتة.

﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ ولا منعاً ﴿وَلاَ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٢] يمنعون مما يراد بهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ يا محمد يعني كفار مكة ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى التوحيد ﴿لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لا يجيبونكم ﴿سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إلى التوحيد ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف:١٩٣] ساكتون فإنهم لا يجيبونكم بالتوحيد، يعني الكفار يخبر عن أنفسهم وما في ضمائرهم من المقام على الكفر والاختيار له.

ويقال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ يا معشر الكفار الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لا يجيبونكم ﴿سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ يعني الأصنام ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف:١٩٤]ساكتون لا يجيبونكم ولا يسمعون دعاءكم لأنهم [أموات[2]] غير أحياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ من الأصنام ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ مخلوقون أمثالكم ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ فليستمعوا دعاءكم وليجيبوكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنهم ينفعونكم.

---

(١) روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يأمر من النساء بأخفهن روحاً، وأطيبهن رائحة وعقلا، وقال ليسكن بالتذكير بعد التأنيث ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم، ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الإنثى ويغشاها، فلما {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي جامعها، والغشيان إتيان الرجل المرأة، وقد غشاها وتغشاها إذا علاها، وذلك لأنه قد صار كالغاشية لها، وقوله: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} الماء الذي من نطفة آدم وكان خفيفاً بعليها، والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر، والحمل بكسر الحاء ما حمل على الظهر أو على الدابة، ومعنى {فَمَرَّتْ بِهِ} أي استمرت بالماء والحمل على سبيل الخفة إلا حال الثقل، والمراد أنها كانت تقوم به وتقعد وتمشي من غير ثقل {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} أي ثقل حملها أو حضر وقت الولادة {دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} يعني آدم وحوى {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً} أي ولداً سوياً قد صلح بدنه أي كمل، وقيل: ذكراً؛ لأن الذكر من الصلاح والجودة {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} نزداد شكراً، والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، مخطوط، {٢٣١/٥}.

(٢) سقط في (أ).

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ إلى الخير ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ يأخذون ويعطون بها ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ عبادتكم ﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ دعوتكم، يريد تعالى كيف يعبدونها مع زوال ذلك كله عنها، فهم أفضل في ذلك كله منها إلا بعقلهم الفاسد المدخول والمكابرة بحجة العقول ﴿قُلِ﴾ يا محمد لمشركي أهل مكة ﴿ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ﴾ استعينوا بآلهتكم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أي اعملوا أنتم وهم في هلاكي ﴿فَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥] فلا تؤجلون.

﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ﴾ حافظي وناصري ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ نزل جبريل علي بالكتاب ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] يحفظ الصالحين. ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله [الأوثان[1]]﴿ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ﴾ نفعكم ولا منعكم ﴿وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٧] يمنعون مما يراد بهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ إلى الحق ﴿لاَ يَسْمَعُواْ﴾ أي لا يسمعوا ولا يجيبوا لأنهم أموات غير أحياء ﴿وَتَرَاهُمْ﴾ يا محمد يعني الأصنام ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ كأنهم ينظرون إليك مفتحة أعينهم ﴿وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨] لأنهم أموات غير أحياء. ويقال: حال الله بين المشركين وبين نبيه لدفع مضرتهم عنه.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ما فضل من الأكل والعيال وهي منسوخة. ويقال خذ العفو عمن ظلمك وأعط من حرمك، وصل من قطعك. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف والإحسان ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] عن أبي جهل وأصحابه المستهزئين، ثم نسخ الإعراض، ويقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من غير تحسس من أخلاقهم وأعمالهم. ويقال: خذ بالميسور من الناس، ويقال: خذ بالصدقة والسخاء[2].

ويقال: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام: «ما معناها؟ قال: أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك»[3].

---

(١) سقط في (أ).

(٢) قوله تعالى: (خذ العفو)، يقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): خذ ما أعطوك من الصدقة، (وأمر بالعرف)، يعني بالمعروف، (وأعرض عن الجاهلين)، يعني أبا جهل حين جهل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فنسخت العفو الآية التي في براءة، آية الصدقات، ونسخ الإعراض آية السيف. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٨١/٢}.

(٣) أخرجه البيهقي: سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، باب شهدة اهل العصبية، رقم (٢٠٨٨٠) {٢٣٥/١٠}.

ويقال: أن الله تعالى جمع لنبيه عليه السلام بهذا الكلام كل خُلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وأن الأمر بالمعروف تقوى الله عز وجل، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض البصر عن المحرمات، وإنما سمي هذا وما أشبهه عُرفاً ومعروفاً، لأن كل تعرفة وكل قلب يطمئن إليه، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللجوج[1].

ويقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يريد بالعفو الفضل وهو كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أول الوقت رضوان الله، وآخره عفو الله»[2].

ويقال: إن العفو من الفضل وليس العفو عن الذنب، وقيل من أخرها فهو أفضل فيجوز أن يكون هذا الحديث على معنى الفضل لبعضهم دون بعض في بعض الحالات كما قالوا على ما رتبناه في كتاب الفقه.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ بوسوسته وريب ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّـهِ﴾ فامتنع بالله من وسوسته ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ باستعاذتك ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]بوسوسته. ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والشرك ووسوسة الشيطان ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ ريب ووسوسة ﴿مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ عرفوا ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]منتهون. ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ إخوان المشركين يعني الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ يجرونهم ويوسوسونهم ﴿فِي الْغَيِّ﴾ في الكفر والضلالة والمعصية ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢] لا ينتهون عن ذلك. ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ يعني أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ كما طلبوا ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلا تكفلتها من الله. ويقال: هل [لا[3]] تختلقها من تلقاء نفسك[4].

---

(١) انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٣١/٥}.

(٢) سنن البيهقي الكبرى {٤٣٥/١}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) عن جعفر الصادق عليه السلام: امر الله نبيه في هذه الآية بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الأخلاق منها {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ} أي ينحسك منه نحس بأن يغرنك على خلاف ما أمرت به من المعاصي والنزغ والنسغ والنحس الغرور كأنه ينحس الإنسان حين يهجهم على المعاصي يحركهم لفعالها وقيل النزغ الإنزعاج بالأغراض {فاستعذ بالله} أي اعتصم به واستجر بالله من وسوسته ولا تطعه {إنه سميع} لاستعاذتك {عليم} بوسوسته أو سميع لقولك عليهم بمصالحك فينصرك، روى لما نزلت خذ العفو قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كيف يا رب والغضب) أي كيف أعمل بها مع الغضب فنزلت {وإما ينزغنك} ويجوز أن يراد نزغ الشيطان ما يعرض من الغضب. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٤٦/٢}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ أقول وأعمل بما ينزل علي من ربي.

﴿هَـذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بيان من ربكم بالأمر والنهي ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣] بالقرآن. ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ﴾ في الصلاة ﴿فَاسْتَمِعُواْ لَهُ﴾ إلـى قراءته ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ للقراءة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤] لكي ترحموا ولا تعذبوا.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ اقرأ أنت يا محمد وحدك وإن كنت إماماً ﴿تَضَرُّعاً﴾ مستكيناً ﴿وَخِيفَـةً﴾ خوفاً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ دون الرفع من القرآن والصوت الكبير ﴿بِالْغُـدُوِّ﴾ في صـلاة الغـداة ﴿وَالآصَالِ﴾ صلاة المغرب والعشاء ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعـراف:٢٠٥] عن القراءة في الصـلاة إذا كنت إماماً أو وحدك، ويحتمل أيضاً أن يريد به الدعاء والاستغفار في هذه(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعاظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ عن طاعته والإقرار له بالعبودية ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يطيعونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُون﴾ [الأعراف:٢٠٦].

---

(١) {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ} وهذا الذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله عز وجل الموجبة لطاعته، ويحتمل أن يكون الذكر باللسان، إما تعظيماً له بالآية، أو رغبة إليه في دعائه، وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحكمه عام في جميع المكلفين، ثم قال: {تَضَرُّعاً وَخِيفَةً} أما التضرع فهو التواضع والخشوع، وأما خيفة فمعناه مخافة منه {وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ} يعني إسرار القول، إما بالقلب أو اللسان على ما تقدم من التأويلين؛ لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التكريم فقال: {بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} أي بالبواكر والعشيات، وذكر هذين الوقتين لفضلهما، أو أراد الدوام {وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} أي عن الذكر والعمل، انتهى.
انظر المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٤٧/٥}.

ومن السورة التي يذكر فيها الأنفال

وهي مدنية كلها[1].

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾ يقول: يسألك أصحابك عن الغنائم يوم بدر[2]﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ الأَنفَالُ لِلَّـهِ وَالرَّسُولِ﴾ ليس لكم فيها شيء، ويقال[3]: لله فأمر الرسول فيها جائز﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ في أخذ الغنائم ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾ من المخالفة[4]، وليرد الغني إلى الفقير والقوي إلى الضعيف، والشاب إلى الشيخ ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر الصلح ﴿إِن كُنتُم﴾ إذ كنتم ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:١] بالله والرسول.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ﴾ إذا أمروا بأمر من قبل الله مثل مأمر الصلح وغيره ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت[5]﴿ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ﴾ قرئت ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ في الصلح وغيره ﴿زَادَتْهُمْ

(١) وهي كلها مدنية غير قوله: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) فإنها نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال." ذكره المؤلف في ختام السورة. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٥٠/٢}.

(٢) الأنفال: هي الغنائم لأنها من فضل الله وعطائه والنفل ما ينفله الغازي: أي يعطاه زيادة على سهمه من المغنم، روى أنه وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للأنصار أم لهم جميعاً فنزلت {قل} يا محمد {الأنفال لله ورسوله} أي يضعها حيث شاء وهو الحاكم فيها وحده لا حكم لأحد غيره. فالسورة تعالج إشكالية خطيرة جدا على المسلمين في إيمانهم. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٥١/٢}.

(٣) جعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ينفّل على ما يرى مما فيه صلاحُ المسلمين، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنّوا بسُنته في ذلك. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٨٢/١٣}.

(٤) يخبر سبحانه أنهم إن لم يطيعوا أمر رسوله ويقبلوه، ويفعلوا ما يأمرهم به أن يفعلوه، فليسوا مؤمنين به لا ولا بالله ربه، ولا برسل الله وكتبه. فالله لا يرضى ولا يقبل منكم عمل بفساد ذات بينكم، ففساد ذات البين يترتب عليه خلل كبير، خلل في المسئولية وضعف في الجانب الداخلي ثم الفشل وتمكين الأعداء، ولذلك ارتبط بها قول الله سبحانه وتعالى (فاتقوا الله) (إن كنتم مؤمنين) فثمرة إيمانكم أن تطيعوا أن تطبقوا في الواقع وليس فقط أن تسمعوا. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، {٢٤٣/١}.

(٥) توحي الآيات الكريمة أن من أهم القيم الإيمانية: أن التذكر بالله سبحانه وتعالى بالنسبة للمؤمن هو كاف أن يلتزم وأن يتحرك وأن يصلح ما لديه من خلل؛ لأنه يخاف الله.

﴿إِيمَانًا﴾ يقيناً بقول الله تعالى(١)، ويقال(٢): صدقاً، ويقال تكريراً. ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾ [الأنفال:٢] لا على الغنائم

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ يتمون الصلاة الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها، وما يجب فيها في مواقيتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مما أعطيناهم من الأموال ﴿يُنفِقُون﴾ [الأنفال:٣] يتصدقون في طاعة الله.(٣) ويقال: يؤدون زكاته(٤).

﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً ويقيناً ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ فضائل ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ للذنوب في الدنيا ﴿وَرِزْقٌ كَرِيم﴾ [الأنفال:٤] ثواب حسن في الجنة.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾ امض يا محمد على ما أخرجك ربك من بيت المدينة ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن. ويقال: بالحرب.

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً﴾ طائفة ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِين لَكَارِهُون﴾ [الأنفال:٥] القتال(٥).

---

(١) عن أبي الدرداء في قوله: "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم"، قال: الوجل في القلب كإحراق السَّعَفة ، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى! قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله، فإن الدعاء يذهب بذلك. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٣/٣٨٧}.

(٢) عن عكرمة ومجاهد زادَتْهُمْ إيماناً، يعني: تصديقاً ويقيناً. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٢/٤}.

(٣) "هنا يرسخ في نفسية المؤمن روحية البذل والعطاء، فالسورة بدأت توحي بروحية الأخذ والاستحقاق" .

(٤) عن ابن عباس،"ومما رزقناهم ينفقون"، قال: زكاةَ أموالهم .جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {١/٢٤٣}.

(٥) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاورهم أين يكون قتالهم: ((أترون أن نثبت حتى يأتونا المدينة فنقاتلهم على دروبها أو نخرج فنقاتلهم ناحية منها))، فأشاروا عليه بالقتال في المدينة، فأطاعهم ثم بدا لهم فأشاروا بالخروج فأطاعهم، فدخل منزله ولبس لامته، ثم ركب وخرج، فلما خرج قالوا: يا رسول الله ارجع إلى الرأي الأول إلى القتال على أبواب المدينة، نثبت لهم حتى يأتونا إلى أهلنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما كان لنبي إذا لبس لامته يعني درعه أن يفسخها حتى يقاتل)) ومضى صلى الله عليه وآله وسلم نحو أحد فكرهوا ذلك وجادلوه فيه وثقل عليهم الخروج إلى قريش، ورجع من الطريق عبد الله بن أبي الأنصاري في ثلاثمائة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في باقي الناس، وفيهم من الهيبة والفرق ما قال الله عز وجل: {كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ}. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤/٤٥٤}.

يتبين بتفهم واستيعاب القران الكريم أنه كتاب هداية، يقدم لنا ليس بهدف تنقص الآخرين أو إساءة إليهم؛ وإنما في مقام التربية الإيمانية فهؤلاء الواقع النفسي جعلهم يجادلوا، ويعارضوا حتى النبي وفي واقع خطير (من بعدما تبين لهم الحق).

﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ يخاصمونك ﴿فِي الْحَقِّ﴾ في الحرب ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ أنك لا تصنع ولا تأمر إلا ما أمرك ربك ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال:٦] إليه. ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أم العسكر ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ غنيمة ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ يتودون يتمنون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني الشدة والحرب تكون لكم الغنيمة، يعني غنيمة العير ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أن يظهر دينه الإسلام بنصرته وتحقيقه ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:٧] أصل الكافرين وأثرهم(١).

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ ليظهر دينه الإسلام بمكة ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ يهلك الشرك وأهله ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:٨] وإن كره المشركون أن يكون ذلك. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تدعون ربكم يوم بدر بالنصر ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الدعاء ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] متتابعين بالنصرة لكم(٢).

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ المدد ﴿إِلاَّ بُشْرَى لكم﴾ بالنصرة لكم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ﴾ بالمدد ﴿قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ﴾ بالملائكة ﴿إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠] حكم عليهم بالقتل والهزيمة وحكم لكم بالنصرة والغنيمة(٣).

---

(١) ودوا أن تكون طائفة العير والطعام الذي ليس فيها إلا الحمّالين الذين لا يحاربون ولا يدافعون عنها ولا شوكة فيها وأشفقوا من طائفة العسكر والجيش الذي فيه السلاح والخيل والقتال فأحبوا أن يلقوا غير هذه الطائفة فتكون أهون عليهم في المعاناة وأسلم لهم وكان الله يريد غير ذلك من إذلال العسكر ومن فيه وقتل أعداء نبيه وإظهار النصرة على عدوه وإحقاق الحق وإبطال الباطل. كتاب فيه مسائل عن القاسم بن إبراهيم(ع)، {١٣٣}.

(٢) وعن عمر ابن الخطاب: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعوا {اللهم أنجز لي ما وعدتني الله عن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض}. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٥٦/٢}.

(٣) {ولتطمئن به قلوبكم} أي لتسكن قلوبكم بالإمداد لأنكم استغثم واسترجيتم للقائكم ذلك الإمداد الملائكة بشارة لكم بالنصر لكم وليس كناية منكم ورباطاً على قلوبكم {وما النصر إلا من عند الله} يريد لا يحس من الملائكة فإن الناصر هو الله والملائكة ومعناه: وما النصر إلا بالله وغيره من أسباب النصر لأنه عند الله والمنصور ينصره الله فالاطمئنان في القلوب من أهم عوامل الثبات في المعركة؛ فالله هو الذي ينصر أوليائه لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، فيمن بأشياء الغاية منها أنها تطمئن القلب فتعيش حالة الأمل وترتفع المعنويات منها -النعاس والمطر والملائكة . وهذه الأشياء ليست خاصية لأمة في زمن معين؛ بل لكل من يتحركون على أساس المواصفات القرآنية. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٥٧/٢}.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ ألقى عليكم النوم ﴿أَمَنَةً﴾ لكم ﴿مِّنْهُ﴾ من الغدر هي منة الله لكم ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء﴾ مطراً ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ بالمطر من الإحداث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسة الشيطان ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ ليحفظ قلوبكم بالصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ بالمطر ﴿الأَقْدَام﴾ [الأنفال:١١] على الرمل، يشدد الرمل حتى تثبت عليه الأقدام.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ﴾ ألهم ربك ويقال: أمر ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ معينكم ﴿فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ في الحرب ويُقال: فبشر الذين آمنوا بالنصرة ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ﴾ بالمخافة من محمد وأصحابه ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ رؤوسهم ﴿وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢] مفصل وأطراف.

﴿ذَلِكَ﴾ القتل لهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ خالفوا الله ورسوله في الدين[1]﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ﴾ يخالف الله ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في الدين ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:١٣] إذا عاقب

﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب لكم ﴿فَذُوقُوهُ﴾ في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال:١٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم بدر ﴿زَحْفاً﴾ مزاحفة ﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال:١٥] فلا تتولوا عنهم منهزمين.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم بدر ﴿دُبُرَهُ﴾ ظهره منهزماً ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً﴾ مستطرداً ﴿لِّقِتَالٍ﴾ ويقال[2]: للكرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً﴾ أو منحازاً ﴿إِلَى فِئَةٍ﴾ ينصرونه ويمنعونه ﴿فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ﴾ فقد رجع واستوجب سخطاً من الله ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ مصيره ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦] صار إليه[3].

---

(١) ذلك الذي نزل بهم (بأنهم شاقوا الله ورسوله)، يعنى عادوا الله ورسوله ،(ومن يشاقق الله)، يعنى ومن يعاد الله (ورسوله) فإن الله شديد العقاب (ذلكم) القتل، (فذوقوه) يوم بدر (في الدنيا)، ثم قال: (وأن للكافرين) بتوحيد الله عز وجل مع القتل، وضرب الملائكة الوجوه، والأدبار أيضاً، لهم في الآخرة (عذاب النار). انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٥/٢}.

(٢) يعني مستطرداً يريد الكرة للقتال أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ يقول أو ينحاز إلى صف. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٥/٢}.

(٣) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٦٠/٢}.

يتبين من الآيات أن الفرار من الزحف ينبئ عن خلل كبير في نقص الأيمان وقصور في الوعي فله آثاره السريعة هنا في الدنياء قبل الآخرة أنك قد تفتح ثغرة لصالح العدو فيستشهد من المؤمنين، أو يجرحوا أو يتقدم الأعداء فتهتك الأعراض ويترتب أشياء كثيرة إفسادا في الأرض، فتكون شريكا في ذلك. فعلينا أن ندعوالله سبحانه وتعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا).

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ يوم بدر[1]﴿ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ بجبريل والملائكة ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ يقول وما بلغت التراب وجوه المشركين إذ رميت ﴿ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾ بلغ ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليصنع بالمؤمنين ﴿ مِنْهُ﴾ من رمي التراب ﴿ بَلاء حَسَناً ﴾ بالنصرة والغنيمة ﴿ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ﴾ بدعائكم ﴿ عَلِيم ﴾ [الأنفال:١٧] بنصركم[2].

﴿ذَلِكُمْ﴾ النصرة والغنيمة لكم ﴿وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِين﴾ [الأنفال:١٨]وعن نافع[3] أن الحصى الذي رمى به النبي صلى الله عليه وآله المشركين يوم بدر أعطاه علي عليه السلام القبضة التي رمى بها وجوه المشركين إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾[4].

وعن عكرمة[5] قال: كان يوم أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فأتاه بملء كفه حصى من الوادي فأخذ منه رسول الله ثلاث حصيات فرمى بها بين صفي المشركين من أهل بدر فهزمهم الله، فأنزل الله تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾.

---

(١) لم تقتلوهم أنتم بقوتكم، ولكن الله قتلهم بأيديكم، لما أعانكم على ذلك ونصركم، وأراد الله تعالى ألا تعجبوا بأنفسكم، فقال: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ يقول: فما قتلتموهم وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، يعني: الله تعالى نصركم وأمدكم بالملائكة، ونتعلم الشعور بالفضل من الله والابتعاد عن الغرور. فالله يوهن كيد الكافرين لأنهم يحاولوا يظهروا أنهم قوة وأنهم الخ (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت) سواء في غزوة بد أو غيرها. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٦٦/٤}.

(٢) نتعلم الشعور بالفضل لله والابتعاد عن الغرور. فالله يوهن كيد الكافرين لأنهم يحاولوا يظهروا أنهم قوة وأنهم الخ (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت) سواء في غزوة بد أو غيرها

(٣) نافع المدني، أبو عبد الله: من أئمة التابعين بالمدينة. كان علامة في فقه الدين، متفقا على رياسته، كثير الرواية للحديث، ثقة، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه. وهو ديلمي الاصل، مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيرا في بعض مغازيه، ونشأ في المدينة. وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن. انظر: تهذيب التهذيب، للعسقلاني، {٤١٤/١٠}.

(٤)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٥/٢} وتفسير مجاهد ، لابي الحجاج ، {٣٥٢/١}.

(٥)أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله القرشي، مولاهم، وهو مولى ابن عباس، وأصله بربري، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، قد روى عن عدد من الصحابة، ولم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة. توفي سنة أربع ومائة، وقيل غير ذلك. انظر: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن - دار ابن عفان، القاهرة {٣٨٤/١}.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ تستنصروا ﴿فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ﴾ والنصرة بمحمد وأصحابه عليكم حيث دعا أبو جهل قبل القتال والهزيمة فقال(1): اللهم انصر أفضل الدينين وأكرم الدينين، وأحبهما إليك، فاستجاب الله دعاءه ونصر محمداً صلى الله عليه وآله وأصحابهم عليهم.

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الكفر والقتال ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الكفر والقتال ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ إلى قتال محمد ﴿نَعُدْ﴾ إلى قتلكم وهزيمتكم مثل يوم بدر ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ وجماعتكم ﴿شَيْئًا﴾ من عذاب الله ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ في العدد ﴿وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال:١٩] بالنصرة(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر الصلح ﴿وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ عن أمر الله ورسوله ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠] مواعظ القرآن وأمر الصلح. ﴿وَلاَ تَكُونُواْ﴾ في المعصية ويقال في الطاعة ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ وأطعنا وهم بنو عبد الدار والنضر بن الحارث وأصحابه ﴿وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢١] لا يطيعون(3).

---

(1) انظر: السيرة النبوية: الامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٤٧ هـ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، باب الجز الثاني {٤٣١/٢}.

(2) " الآيات توحي: أن ألنصر يوم بدر والهزيمة يوم أحد لم يكن السبب هو الإمكانات والعدد ، وإنما حصل عصيان ، عصيان في تفاصيل عملية ترتبط بجانب المسؤولية قصروا في مسؤوليتهم بتركهم الموقع ، وغلب على الجانب الإيماني الجانب المادي (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) عصيان سبب الهزيمة. فالاهتمام بالجانب الإيماني له أهمية كبيرة."

(3) قال الكلبي: وهم بنو عبد الدار، وغيرهم من الكفار الذين لم يسلموا. لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير وسويد بن خويلد. وقال الضحاك ومقاتل: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا الإيمان وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ أي لا يؤمنون، هم المنافقون. قال الكلبي: وهم بنو عبد الدار، لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير وسويد بن خويلد. وقال الضحاك ومقاتل: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا الإيمان وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ أي لا يؤمنون، هم المنافقون. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١٤/٢}.

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ) يقول: الذين لا يهتدون إن هُدوا، ولا يقبلون الحق إن دُعوا، ولا ينتهون إذا نهوا، فضرب الله لهم ذلك مثلاً إذ كانوا في الضلال على هذه الحال، وهم في ذلك لقبول الحق مطيعون، وعلى اتباع الصدق مقتدرون، فلما أن تركوا ذلك شبههم بالصم البكم الذين لا يعقلون إذ تركوا فعل ما كانوا يطيقون. هذه النوعية فقدت الخير في نفسها وفقدت التقوى لله والتقديس لأمر الله، هذه النوعية عكس من تقدم ذكرهم (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون). انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٣٨٨}.

ونزل فيهم أيضاً: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الخلق والخليقة ﴿عِندَ اللهِ الصُّمُّ﴾ عن الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن الحق ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢] أمر الله وتوحيده[١].

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ﴾ في بني عبد الدار[٢]﴿خَيْرًا﴾ سعادة ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ لأكرمهم بالإيمان ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أكرمهم بالإيمان ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ عن الإيمان لعلم الله فيهم ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنفال:٢٣] مكذبون، أخبر عن شدة عنادهم وقدرته عليهم ، وقال إنه كان يُظهر لهم الآيات التي طلبوها، لو علم الله فيهم خيراً، وأخبر أنهم يعرضون ولا يؤمنون، وإن رأوها والله تعالى لا يفعل ما لا فائدة فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أصحاب محمد ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ﴾ أجيبوا الله ﴿وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ إلى ما يكرمكم ويعزكم بالقتال وغيره ﴿وَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٣] أي أنه سيحول بين المرء وقلبه بالموت الذي يأتيهم لا محالة[٤]﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى الله في الآخرة ﴿تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤] فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ كل فتنة تكون ﴿لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ ولكن تصيب الظالم والمظلوم. معنى ﴿لا تصيبن﴾ أي اتقوا الفتنة التي تصيب الظالمين منكم خاصة ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥] إذا عاقب.

---

(١) جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها، ومعنى عند الله أي في حكمه وعلمه، ثم قال: {فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان. فقدوا خصائصهم الإنسانية فأصبحوا في حالة فضيعة دون مستوى الحيوانات، لا يفهمون لا يستفيدون (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون). انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٨/٥}.

(٢) تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {١٦٧٧}.

(٣) عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " يقول: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن اتباعكم إياه وولايته أجمع لامركم وأبقى للعدل فيكم. وأما قوله: " واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه " يقول: يحول بين المرء المؤمن ومعصيته أن تقوده إلى النار، ويحول بين الكافر وبين طاعته أن يستكمل بها الايمان. هذا تحذير شديد من العواقب السيئة لعدم الاستجابة من الناس إذا دعوا إلى ما فيه حياتهم عزتهم وقوتهم. انظر: بحار الأنوار: العلامة للمجلسي، {٩/٢١٠}.

(٤) انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي ، مخطوط، {٤/٤٧٥}.

﴿وَاذْكُرُواْ﴾ يا معشر المهاجرين ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ في العدد ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ مقهـورون ﴿فِي الأَرْضِ﴾ مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ أن يطردكم أهل مكة أو يأسروكم ﴿فَآوَاكُمْ﴾ فـي المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ أعانكم وقواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ مـن الغنـائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال:٢٦] نعمته بالنصرة والغنيمة يوم بدر(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني مروان وأبا لبابه بن عبد المنذر(٢)﴿لاَ تَخُونُواْ اللّهَ﴾ في الدين ﴿وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ﴾ في الإشارة إلى بني قريظة ألا ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، وتخونوا أمانـاتكم [ولا(٣)] تخونوا في فرائض الله، وهي أمانة عليكم ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧] تلك الخيانة.

﴿وَاعْلَمُواْ﴾ يعني أبا لبابة ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ﴾ في بني قريظة ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلية لكم ﴿وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨] ثواب وافر في الجنة بالجهاد.

﴿يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ﴾ فيما أمركم ونهاكم ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ بالنصـرة والنجـاة ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ دون الكبائر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبكم﴾ سائر الذنوب ﴿وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾ ذو المن ﴿الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩] على عباده بالمغفرة والجنة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ في دار الندوة(٤)﴿ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبو جهل وأصـحابه﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسـوك سجناً وهو ما قاله عمرو بن هشام(٥)﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ جميعاً وهو ما قاله أبو جهل بـن هشـام ﴿أَوْ

---

(١) هذه الآية المباركة فيها الهدى الواسع لنتذكر مرحلة الاستضعاف الشديد إلى وضعية أفضل، أكثر أمنا وأكثر عزة وقوة ، لنتذكر نعم الله علينا.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {٥/١٦٨٤}.

(٣) سقط في (أ).

(٤) يتبين أن هذه المرحلة من أخطر المراحل التي مر بها الإسلام، مرحلة كان فيها التآمر على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، فنزل جبريل مبينا ومظهرا ما خططوا وأبرموا، فحين مكروا مكر الله والله خير الماكرين.

(٥) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي. أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صدر الإسلام، وأحد رؤساء قريش ودهاتها في الجاهلية، وأسيادها منذ صغر سنه، يكنى بأبي الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل، فغلب عليه. اشتهر بعناده، واثارة الناس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه حتى قتله معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء واحتز رأسه ابن مسعود- رضي الله عنهم- في غزوة بدر الكبرى. انظر: الأعلام الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، باب أبو جهل ،{٥/٨٧}

﴿يُخْرِجُوكَ﴾ طرداً، وهو ما قاله أبو البختري بن هشام ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ يريدون قتلك وهلاكك يا محمد ﴿وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ يريد الله قتلهم وهلاكهم يوم بدر ﴿وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] أقوى المهلكين(١).

﴿وَإِذَا تُتْلَى﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على النضر وأصحابه ﴿آيَاتُنَا﴾ بالأمر والنهي ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا﴾ ما قال محمد ﴿لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا﴾ مثل ما يقول محمد ﴿إِنْ هَـذَا﴾ ما هذا الذي يقول محمد ﴿إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣١] أحاديث الأولين في دهرهم وأخبارهم.

﴿وَإِذْ قَالُواْ﴾ قال ذلك النضر ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا﴾ الذي يقول محمد ﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ أن ليس لك ولد ولا شريك ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ على النضر ﴿حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] وجيع فقتل يوم بدر صبراً(٢)، ويقال: قتل من السماء بالحجارة، وروي أنه قال في خلال كلامه: لم يرض محمد حتى ولى من بعده ابن عمه علياً عليه السلام علينا.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ مهلكهم ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ بين أظهرهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] يريدون أن يؤمنوا(٣).

﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ لا يهلكهم الله بعد ما خرجت من بين أظهرهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ محمداً وأصحابه ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا حوله عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ﴾ أولياء المسجد ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ﴾ وما أولياء المسجد الحرام ﴿إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ الكفر والشرك والفواحش، يعني محمداً وأصحابه ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ كلهم ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] ذلك ولا يصدقون.

﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ﴾ ولم تكن عبادتهم ﴿عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء﴾ تصفيراً كصفير المكاء ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقاً ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ قد وقع العذاب يوم بدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال:٣٥] بمحمد والقرآن.

---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٦٨/٢} وبحر العلوم للسمرقندي، {١٨/٢}.

(٢) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلاثَةَ رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ صَبْرًا الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ ، وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ . انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٠٤/١٣} وتفسير مقاتل بن سليمان. {١١٣/٢}.

(٣) تبين الآيات الكريمة أسباب تأخر العذاب الحالة الأولى حتى تكتمل مرحلة التبيين والحالة الثانية: التي فيها رجوع إلى الله وإنابة إلى الله وتوبة هذه وقاية من العذاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهم المطعمون يوم بدر أبو جهل وأصحابه، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن طاعة الله ودينه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ وندامة في الآخرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ يقتلون ويهزمون يوم بدر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبو جهل وأصحابه ﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] يوم القيامة.

﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن، والمنافق من المخلص، والصالح من الطالح ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ﴾ إلى بعض ﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ فيجمعه ﴿جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ﴾ فيطرحه ﴿فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٧] بالعقوبة.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أبي سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر والشرك وعبادة الأوثان وقتال محمد ﴿يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من الكفر والشرك وعبادة الأوثان وقتال محمد ﴿وَإِنْ يَعُودُواْ﴾ إلى قتال محمد ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ﴾ [الأنفال:٣٨] سيرة الأولين بالنصرة لأوليائه على أعدائه مثل يوم بدر.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ يعني قاتلوا الكفار أهل مكة ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الكفر والشرك وعباد الأوثان في الحرم ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِّ﴾ في الحرم كله والعبادة ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ عن الكفر والشرك وعبادة الأوثان وقتال محمد ﴿فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الخير ﴿بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿أَنَّ اللهَ مَوْلاَكُمْ﴾ حافظكم وناصركم عليهم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال:٤٠] بالحفظ والمنع.

﴿وَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾(١)من الأموال ﴿فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ﴾ فيخرج خمس الغنيمة لقبل الله ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ ولقبل الرسول ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ لقبل قرابته ﴿وَالْيَتَامَى﴾ ولقبل

---

(١) أي واعلموا يا مؤمنون أنما غنتم من أي شيء كان حتى الخيط والمخيط كان لله خمسه أي فواجب أن لله خمسه ومذهب آبائنا عليهم السلام أن الغانم لا يلزمه الخمس فيما وجد في دار لحرب من اليسر من الطعام أو العلف إذا كان قدر ما يكيه هناك ولم يعتظ عنه ببيع أو هبة وللرسول قيل: سهم الله وسهم رسوله والعدد لذي القربى قرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم بنو هاشم واليتامى من لا أب له وهو فقير والمساكين جمع للفقير الذي لا شيئ له. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٧٧/٢}.

وقال الامام عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة: ومذهب آبائنا عليهم السلام أن الخمس يقسم على ستة أسهم: سهم له تعالى فيما يراه الإمام من العرب ومصالح تصرف المسلمين نحو والطرقات نحو والجهاد وسهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصرف إلى إمام المسلمين يصرف إلى إمام المسلمين لأنه خليفته وحكمه حكم سائر أملاكه يضعه حيث يشاء فإن لم يكن في زمان إمام لحوا بسهم الله في مصرفه وسهم لذوي =

اليتامى ﴿وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ولقبل الضيف والمحتاز فكان تقسيم الخمس في زمن النبي صلى الله عليه وآله على هذه الأسهم، سهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله، وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، فلما مات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسقطوا سهم النبي الذي كان يعطى لقرابته لقول أبي بكر: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل نبي طعمة في حياته» فلما مات سقطت فلم تكن بعده لأحد، فكان يقسم أبو بكر وعمر وعثمان في خلافتهم الخمس على ثلاثة أسهم، سهم لليتامى غير يتامى بني عبد المطلب، وسهم للمساكين غير مساكين بني عبد المطلب، وسهم لابن السبيل للضيف والمحتاز[(١)].

ويقال: إن ما لله يصرف في أقرب الأنفال، وما للرسول فلإمام المسلمين بعده، وما لذوي القربى فهؤلاء ربع يكون لأولاد علي وأولاد جعفر وأولاد عقيل، وأولاد العباس، واليتامى والمساكين وابن السبيل منهم، وهو مأثور عن علي بن الحسين وغيره من أهل البيت عليهم السلام وهو الصحيح[(٢)].

﴿إِنْ كُنتُمْ﴾ إذ كنتم ﴿آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا﴾ وبما أنزلنا ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر حكم بالنصرة والغنيمة للنبي صلى الله عليه وآله بالملائكة وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وحكم عليهم القتل والهزيمة بالإذن والتخلية وإلقاء الرعب في قلوبهم ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع محمد وجمع أبي سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النصرة والغنيمة للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، والقتل والهزيمة لأبي جهل وأصحابه. ﴿قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١][(٣)].

القربى وهم أولادها ثم شارك فيه غنيهم وفقيرهم ولا يفضل فيه ذكروهم على إناثهم ويجوز تخصيص بعضهم على بعض ولا يستحقه منهم إلا المحق دون الباقي على الإمام والباقي للفرد الثلاث وهم يتامى بني هاشم ومساكينهم وابن سبيلهم فإن لم يجدوا فأصرف إلى هذه الأصناف من المسلمين والأفضل صرفها عند عدم بني هاشم إلى هؤلاء الأصناف من أولادها من أولاد المهاجرين فألا فاولاد الانصار مع إجزاء الصرف إلى غيرهم. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢٧٧/٢}.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٦٠/١٣} و الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) حسب ترقيم فتح الباري ، دار الشعب – القاهرة، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، باب كتاب بدء الوحي {٩٨/٤}.

(٢) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٧٧/٢}.

(٣) (يَوْمَ الفُرْقان) يعني يوم النصر فرق بين الحق والباطل فنصر النبي- صلى الله عليه وسلم- وهزم المشركين ببدر يَوْمَ التَقَى الجَمْعانِ يعني جمع النبي- صلى الله عليه وسلم- ببدر وجمع المشركين (فاتقوا الله) في أمر الغنيمة والخمس (وأصلحوا ذات بينكم وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يعني قادر فيما حكم من الغنيمة والخمس ثم أخبر المؤمنين عن حالهم التي كانوا عليها فقال: أرأيتم معشر المؤمنين إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا يعني من دون =

﴿إِذْ أَنتُم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى المدينة دون الوادي ﴿وَهُم﴾ يعني أبا جهل وأصحابه ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ البعدى من المدينة من خلف الوادي ﴿وَالرَّكْبُ﴾ أسفل العير لأبي سفيان وأصحابه، ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ على شاطئ البحر في ثلاثة أميال ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ﴾ في المدينة للقتال ﴿لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ في المدينة بذلك ﴿وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ﴾ ليمضي الله ﴿أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ كائناً بالنصرة للنبي صلى الله عليه وآله والهزيمة لأبي جهل وأصحابه ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ﴾ يقول ليهلك على الكفر من أراد أن يهلك ﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾ بعد البيان.

ويقال: ﴿ليهلك﴾ ليكفر من أراد أن يكفر عن بينة بعد البيان بالنصرة لمحمد عليه السلام ﴿وَيَحْيَى﴾ يثبت على الإيمان ﴿مَنْ حَيَّ﴾ من أراد أن يثبت ﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾ بالنصرة لمحمد عليه السلام.

ويقال: ليؤمن من أراد أن يؤمن بعد البيان.

﴿وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ﴾ لدعائكم. ﴿عَلِيم﴾ [الأنفال:٤٢] بإجابتكم ونصرتكم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ﴾ يا محمد قبل يوم بدر ﴿قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ لاختلفتم في أمر الحرب ﴿وَلَـكِنَّ اللهَ سَلَّمَ﴾ قضى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفال:٤٣] بما في القلوب.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ يوم بدر ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ﴾ لقيتم ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ حتى أجرأكم عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى إذا اجترأوا عليكم ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ﴾ ليمضي الله ﴿أَمْرًا﴾ بالنصرة والغنيمة لمحمد صلى الله عليه وأصحابه، والقتل والهزيمة لأبي جهل وأصحابه ﴿كَانَ مَفْعُولاً﴾ كائناً ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الأنفال:٤٤] عاقبة الأمور في الآخرة، ويقال: قلل المشركين في أعين المؤمنين ليستدعي المؤمنين بذلك إلى قتالهم ويخفف المحنة عليهم في

الوادي على شاطئ مما يلي المدينة وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى من الجانب الآخر مما يلي مكة يعني مشركي مكة فقال: وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ يعني على ساحل البحر أصحاب العير أربعين راكبا أقبلوا من الشام إلى مكة فيهم أبو سفيان، وعمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل، وعمرو بن هشام: وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أنتم والمشركون لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ وَلَكِنْ الله جمع بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد أنتم ومشركو مكة لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً في علمه كَانَ مَفْعُولًا يقول: أمرا لا بد كائنا ليعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى بالإيمان مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١١٦/٢}.

أمرهم، وأما تقليل المؤمنين في أعين المشركين مع إلقاء الرعب في قلوبهم فهو لإعظام الحجة عليهم ، والأمر المفعول الذي قضاه الله فهو التقليل الذي ذكره ووصفه[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أصحاب محمد ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة من الكفار يوم بدر ﴿فَاثْبُتُواْ﴾ مع نبيكم في الحرب ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا﴾ باللسان بالتهليل والتكبير ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] لكي تنجوا من السخطة والعذاب وتنصروا.

﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر الحرب ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ﴾ ولا تختلفوا في أمر الحرب ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ فتخيبوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ شدتكم وريح النصرة ﴿وَاصْبِرُواْ﴾ في القتال مع نبيكم ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] معين الصابرين في الحرب[2].

﴿وَلاَ تَكُونُواْ﴾ في المعصية ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم﴾ مكة ﴿بَطَرًا﴾ أشراً ﴿وَرِئَاء النَّاسِ﴾ سمعة الناس ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ في الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله والحرب ﴿مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:٤٧] عالم.

---

(١) {إذ يريكهم الله} يا محمد منامك أي في رؤياك قليلاً لتخبر أصحابك فتقوى قلوبهم وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلاً فأخبر بذلك أصحابه فكان تشجيعاً لهم على عدوهم في الأمر وتثبتاً ولو أراكهم في منامك كثيراً على قدر عددهم {لفشلتم} لحسبتم وذهبتم الأقدام عليهم {ولتنازعتم في الأمر} أي اختلفتم في الرأي وترددتم بين الثبات والإقدام على العدو وبين الفرار منهم وهي {الله سلم} أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والإختلاف {إنه عليم بذات الصدور} أي بظمائرها ويعلم ما يكون منها من الجراءة والجبن والصبر والجزع {وإذ يركموهم} أي يبصركم إياهم إذ لقيتم في أعينكم ولئلا إنما قللهم في أعينهم تصديق لرؤيا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليعاينوا ما أخبرهم فيرد ويقنعهم ويحدد وثبتوا. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٨٢/٢}.

(٢) اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع نعمه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين يوم بدر علمهم إذ التقوا مع العدو بقوله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} أي جماعة من الكفار **أولاً**: {فَاثْبُتُوا} ولا تفروا، فأمرهم تعالى أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء، ولا تحدثوها بالتولي.

ثانياً: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً} مستظهرين بذكره مستنصرين به على عدوكم، وفيه إشعار أن العبد لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون هماً، فأمرهم تعالى أن يكون له بقلوبهم وألسنتهم ذاكرين.

ثالثاً: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} فيما يأمر به؛ لأن الجهاد لا ينفع إلا مع التمسك بسائر الطاعات.

رابعا: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} فأخبر تعالى أن النزاع يوجب الفشل والضعف.

خامساً: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، والمقصود أن كمال أمر الجهاد بالصبر وأمرهم بالصبر كما قال في آية أخرى: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} وأخبر تعالى أنه مع الصابرين، ولا شبهة أن المراد بهذه الآية النصرة والمعونة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٩٨/٤}.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ خروجهم ﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ﴾ عليكم ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ محمد وأصحابه ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ معين ﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ﴾ الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين، ورأى إبليس جبريل مع الملائكة عليهم السلام ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ رجع إلى خلفه ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾ من قتالكم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ رأى جبريل ولم يروه ﴿إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨] إذا عاقب، خاف أن يأخذه جبريل فيعرفه إليهم فلا يطيعونه بعد ذلك، والصحيح أنه عارف بقدرة الله تعالى على عقابه في الدنيا قبل عذاب الآخرة(١).

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذي ارتدوا ببدر ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شديد وخلاف وسائر الكفار ﴿غَرَّ هَـؤُلاء﴾ محمداً وأصحابه ﴿دِينُهُمْ﴾ توحيدهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ في النصرة ﴿فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ [الأنفال:٤٩] بالنقمة من أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه يوم بدر(٢).

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ ولو رأيت يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ﴾ بقبض أرواحهم الذين كفروا يوم بدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ على وجوههم ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ وظهورهم ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠] الشديد.

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ عملت ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ في الشرك ﴿وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال:٥١] أن يأخذهم بلا جرم.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ كصنع آل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ بكتاب الله ورسوله، يقول كفر كفار مكة بمحمد والقرآن كما كفر فرعون وقومه والذين من

---

(١) {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} قيل: لم يخف عذاب الآخرة، وقيل: أن نزول الملائكة كان لعقابه.قال قتادة: صدق في قوله إني أرى ما لا ترون يريد أنه أنه حدث له رأي من التوبة لم يروه بعد، يريد أن يتعلل بذلك لكا جبن عن القتال، وأظهر لهم أنه خائف لله ذي الجلال، وهذا دليل على نفاقه إخوانه الأنذال، انتهى. المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٢/٥}.

(٢) {إذ يقول المنافقون} في المدينة {والذين في قلبوهم مرض} يجوز أن يكون صفة للمنافقين لأن النفاق اعتقاد فاسد وافة في الدين شبيهة بالمرض. وعن الحسن: هم المشركون ومرض قلوبهم كفرهم وفساد مذهبهم غر هؤلاء دينهم} يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وطمعوا في النصرة بسببه فخروا وهم ثلاث مائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال: جواباً لهم{ومن يتوكل على الله} أي يثق بنصره {فإن الله عزيز} غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي حكم فلا يسلط الأهل إلى حكمه ولا ترى يا محمد إذ يا محمد إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة إذ يقبضون أرواحهم قيل: يوم بدر وقيل: عام يضربون وجوههم وأدبارهم .انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢/٢٨٥-٢٨٤}.

قبلهم بالكتب والرسل ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ﴾ بالأخذ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢] إذا عاقب.

﴿ذَلِكَ﴾ العقوبة ﴿بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ بالكتاب والرسول والأمن ﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ بترك الشكر ﴿وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣] بإجابتكم.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ كصنع آل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بالكتب والرُسول كما كذب أهل مكة ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ [بتكذيبهم[1]] وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ﴾ فرعون وقمه ﴿وَكُلٌّ﴾ كل هؤلاء ﴿كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال:٥٤] كافرين.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الخلق والخليقة ﴿عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بني قريضة وغيرهم ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال:٥٥] بمحمد والقرآن.

ثم بينهم فقال: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ مع بني قريضة ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ في كل حين ﴿وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٥٦] عن نقض العهد.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تأسرهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾ فنكل بهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ لكي يكونوا عبرة لمن خلفهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال:٥٧] يتعظون فيجتنبون عن نقض العهد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ تعلمن ﴿مِن قَوْمٍ﴾ من بني قريضة ﴿خِيَانَةً﴾ بنقض العهد ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فأعلمهم ﴿عَلَى سَوَاء﴾ فنابذهم على بيان ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨] لنقض العهد وغيره، يعني بني قريضة وغيرهم[2].

---

(١) سقط في (أ).

(٢) {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ} معاهدين {خِيَانَةً} أي نكثاً بأمارات تظهر منهم {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} أي اطرح إليهم العهد، واعلمهم برفعه، فيكون علمك وعلمهم بالمنابذة {عَلَى سَوَاءٍ} أي على طريق مستوي، وهو أن تخبرهم إخباراً ظاهراً مكشوفاً لا لبس فيه، أنك قد قطعت ما بينك وبينهم، ليكون الإعلام لهم بذلك حجة عليهم لله إن لم يتوبوا عن خيانتهم، ولا تناجزهم الحرب، وهم على توهم بقا العهد، فيكون ذلك خيانة منك. واعلم أنه تعالى لما بين ما يفعله الرسول في حق من ظفر به في الحرب وتمكن منه، وذكر أيضاً ما يجب فعله في حق من ظهر منه نقض العهد، بين أيضاً حال من فاته في يوم بدر وغيره، لكيلا تبقى حسرة في قلبه، فقد كان فيهم من بلغ في أذية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مبلغاً عظيماً، فقال: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا} أي فاتونا من أن نظفر بهم. المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٩/٥}

﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ﴾ ولا تظنن يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بني قريضة وغيرهم ﴿سَبَقُواْ﴾ فاتوا من عذابنا بما قالوا وصنعوا ﴿إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال:٥٩] لا يفوتون من عذابنا.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ لبني قريضة وغيرهم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ من سلاح ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الروابط الإناث ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ﴾ بالخيل ﴿عَدْوَّ اللّهِ﴾ في الدين ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ بالقتل ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ من دون بني قريضة سائر العرب، ويقال كفار الجن ﴿لاَ تَعْلَمُونَهُمُ﴾ لا تعلمون عدتهم ﴿اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ عدتهم ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ﴾ من مال ﴿فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ في طاعة الله على السلاح والخيل ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه ﴿وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠] لا ينقص من ثوابكم.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ وإن مال بنو قريضة إلى الصلح وأرادوا الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ مل إليها وأردها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ في نقضهم ووفائهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالتهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١] بنقضهم ووفائهم.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ بنو قريضة ﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ﴾ الله حسبك وكافيك ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ﴾ قواك وأعانك ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢] بالأوس والخزرج.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يقول جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالإسلام ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ﴾ من الذهب والفضة ﴿جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ ما جمعت بين قلوبهم وكلمتهم ﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالإيمان ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه وسلطانه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣] في أمره وقضائه، يعني أنه ألف بينهم بالأمر والترغيب والنصرة والترهيب وأسباب يطول ذكرها في الكتاب، ولو كان الأمر الى غيره وأنفقوا ما في الأرض جميعاً ما ألف بينهم بهذا التألف أبدا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ﴾ الله حسبك وكافيك ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال:٦٤] الأوس والخزرج(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حضض المؤمنين وحث(٢)المؤمنين ﴿عَلَى الْقِتَالِ﴾ يوم بدر ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ﴾ يقاتلوا ﴿أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[الأنفال:٦٥] أمر الله وتوحيده.

---

(١) {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين} ، جعل له سبحانه فيمن اتبعه، وكان في طاعته معه، كفاية وعزاً، ومنعة وحرزاً، والحمد لله الذي لا يُذِل أولياءه، ولا يُعِزّ أبداً أعداءهُ. مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، {٢٦٧/٢}.

(٢) في (ب): وحثث.

﴿الآنَ﴾ بعد يوم بدر ﴿خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ﴾ هون عليكم ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بالقتال ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ محتسبة ﴿يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾ يقاتلوا مائتين ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ﴾ صابرة محتسبة ﴿يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ﴾ يقاتلوا ألفين ﴿بِإِذْنِ اللهِ وَاللَّـهُ مَعَ الصَّابِرِين﴾ [الأنفال:٦٦] معين الصابرين في الحرب والنصرة(١).

ويقال: خفف الله تعالى في ذلك لأن القوم كانوا في الأول خلصاً فصاروا من بعد أخلاطا.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ ما كان ينبغي لنبي ﴿أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ أسارى من الكفار ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ بالقتل ﴿تُرِيدُونَ﴾ تختارون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ بفداء أسارى يوم بدر ﴿وَاللَّـهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ يختار الآخرة على الدنيا وعرضها ﴿وَاللَّـهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿حَكِيم﴾ [الأنفال:٦٧] بالنصرة لأوليائه.

﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ﴾ بتحليل الغنائم لأمة محمد. ويقال: بالسعادة لأهل بدر.

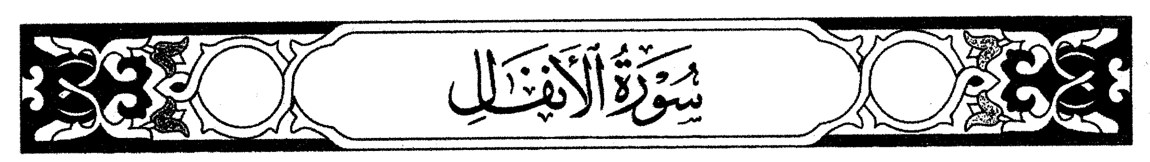
﴿لَمَسَّكُمْ﴾ لأصابكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ بما أخذتم من الأسارى من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيم﴾ [الأنفال:٦٨] شديد.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ يوم بدر ﴿حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ واخشوا الله في الغلول ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ [الأنفال:٦٩] بما كان منكم يوم بدر من الفداء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى﴾ يعني عباساً ﴿إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ تصديقاً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ يعطكم ﴿خَيْرًا﴾ أفضل ﴿مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء

---

(١) {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} فمعناه حثهم وبالغ وحضهم حضاً على النزال، وقتل أعداء الله الأنجاس الأنذال، وهو من الحرص وهو أن ينهكه المرض ويبالغ فيه حتى يشفى على الموت، ثم قال تعالى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} من الكفار {وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ} أي صابرة {يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله، وتأييده، ثم إنه تعالى بين العلة في هذه الغلبة بقوله: {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} أي لأنهم لا يفقهون في الدين ولا يوقنون بالله حق اليقين، بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون لا لطلب ثواب ولا ثقة بالله كالبهائم فيقل صبرهم ويعدمون لجهلهم باللخه نصره، ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر، وليس المراد من هذا الخبر بل المراد كأنه قال: إن يكن منكم عشرون صابرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مأتين. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {١٧/٥}.



﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم في الجاهلية ﴿وَاللَّـهُ غَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٠] لمن آمن به[1].

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ يا محمد ﴿فَقَدْ خَانُواْ اللهَ﴾ بالإيمان ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل هـذا بتـرك الإيمان والمعصية ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أظهرك عليهم يوم بدر ﴿وَاللَّـهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم مـن الخيانة وغيرها ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٧١] فيما حكم عليهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينـة ﴿وَجَاهَـدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿وَالَّـذِينَ آوَواْ﴾ محمداً وأصـحابه بالمدينـة ﴿وَّنَصَرُواْ﴾ محمداً يوم بدر ﴿أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ في الميراث والموالاة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمـد والقرآن ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم﴾ ميراثهم ومـوالاتهم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ وما من ميراثكم لهم من شيء ﴿حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة والموالاة أيضاً قـد تكون الموادة والمعاونة ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ استغاثوكم على عدوهم ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ على عدوهم ﴿إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ فلا تعينوهم عليهم ولكن أصلحوا بينهم ﴿وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الصلح وغيره ﴿بَصِيرٌ﴾[الأنفال:٧٢] [2].

---

(١) عن ابن عباس: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) ، عباس وأصحابه، قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: آمنا بما جئت به، ونشهد إنك لرسول الله، لننصحن لك على قومنا. فنزل: (إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم)، إيمانًا وتصديقًا، يخلف لكم خيرًا مما أصيب منكم = (ويغفر لكم)، الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا، وأن لي الدنيا، لقد قال: (يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم) فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مئة ضعف، وقال: (ويغفر لكم)، وأرجو أن يكون قد غُفر لي. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٧٤/١٤}.

(٢) يقول الإمام الهادي يحي بن الحسين: من ينتحل اسم الإسلام والإيمان، وهو مقيم لله سبحانه على كبائر العصيان، فحاله عندنا حال من ذكرنا من العاصين، وإن كانوا بمحمد من المقرين، فهو مقر بلسانه جاحد بفعله، عن الله معرض بقلبه، وقد أبى الله عز وجل أن يكون من كان كذلك أو على شيء من ذلك مؤمناً، حتى يقيم شرائع الإيمان بفعله، ويصحح القول بعمله وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالى: (إنما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات: ١٥]، فدل بقوله إنما المؤمنون الذين آمنوا وفعلوا، على أن من لم يفعل ذلك فليس من المؤمنين، ومن لم يكن من المؤمنين فليس من المتقين، ومن لم يكن من المؤمنين المتقين فهو من الكافرين الفاسقين. وفي ذلك ما يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال: (الإيمان قول مقول، وعمل معمول، وعرفان بالعقول.)، فبين أن العمل أصل الإيمان، وأن من لم يكن له عمل زكي فليس بمؤمن تقي، ومن لم يكن مؤمناً مرضياً فهو كافر شقي. والاحتجاج في هذا فكثير، وقليله يجزي عن كثيره، لبيانه لمن علم، ووضوحه لمن فهم، وفي الأقل مما به احتججنا من القول كفاية لأهل المعرفة والعقول. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) ،{٥٨٣}.

﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ في الميراث والموالاة ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾ قسمة الميراث والموالاة كما أبان الله لكم لذوي القرابة ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ﴾ بالشرك والارتداد ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣] بالقتل والمعصية.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿وَالَّذِينَ آوَواْ﴾ أوطنوا محمداً وأصحابه بالمدينة ﴿وَّنَصَرُواْ﴾ محمداً يوم بدر ﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً ويقيناً ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم في الدنيا ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٤] ثواب حسن في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿مِن بَعْدُ﴾ من بعد المهاجرين الأولين ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ﴾ العدو ﴿فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ﴾ معكم في السر والعلانية ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابة في النسب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الميراث ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ في اللوح المحفوظ، فنسخ بهذه الآية الآية الأولى ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من قسمة الميراث وصلاحكم وغيرهما ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥] (١) وهي كلها مدنية غير قوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ فإنها نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال(٢).

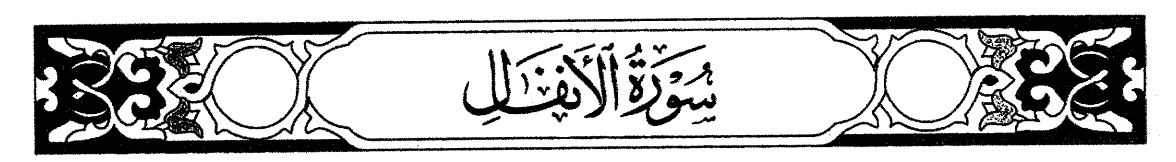
ومعنى النسخ بهذه الآية للآية الأولى هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة مهاجراً إليها، ومن هاجر معه من مؤمني أهل مكة أنزل الله على رسوله:

﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذي آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال من الآية :٧٢] فآخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين

---

(١) {إن الذين آمنوا وهاجروا} أي فارقوا أوطانهم وقومه جنباً لله ولرسوله وهم المهاجرون وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أي فيما يرضيه من مقاتلة أعداء الله الذين وغيرهم {والذين آووا ونصروا} وأواهم إلى ديارهم ونصروه على أعدائهم وهم الأنصار {أولئك بعضهم أولياء بعض} أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء} أي نم توليهم في الميراث وقرئ {من ولايتهم} بالفتح والكسر {حتى يهاجروا} يعني فحينئذٍ يحصوا الله ذلك وإن استنصروهم في الدين {فعليكم النصر} فواجب عليكم النصر أن تنصروهم على المشركين لا على قوم بينكم وبينهم ميثاق أي عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنه لا يتبدلون بالكتاب إذا الميثاق مانع من ذلك {والله بما تعملون بصير} عليم لا يخفى عليه شيء. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٩٨/٢}.

(٢) انظر: انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢٥٠/٢}.



المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون على الدين والهجرة والنصرة، فمن آمن ولم يهاجر لم يرث المؤمن المهاجر، وإن كان نسيبه وورثه الأنصار عند فقد رحمهم منه، وهو قوله:

﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء﴾ [الأنفال من الآية :٧٢] يعني ولاية النصرة المستحق بها الإرث، ثم رفع الله الحكم ونسخه بقوله:

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ [الأنفال من الآية :٧٥] فأثبت التوارث بين المسلمين بالأرحام والدين نسخاً لما كان قبل ذلك(١).

---

(١) عن ابن عباس الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فكان المهاجر لا يتولى الاعرابي ولا يرث وهو مؤمن ولا يرث الاعرابي المهاجر فنسختها هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله. انظر: تفسير ابن أبى حاتم، للرازي، {١٧٤٣/٥}.

نتعلم من سورة الأنفال: معالم وأسس ومبادئ الجهاد في سبيل الله في الأهداف والمبادئ والدوافع والسلوكيات والقيم، وكذلك الغايات، والثمرة في واقع الحياة.

ومن السورة التي يذكر فيها التوبة[1].

يقال: ليس فيها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنها تهديد.

ويقال: هي والأنفال سورة واحدة، نزلت في المغازي[2].

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام سأله عبد الله بن عباس رحمة الله عليه لمَ لمْ يكتب في براءة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾؟

قال: لأن ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان[3].

قوله: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:١] هذه براءة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ من الذين ﴿عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثم نقضوا والبراءة هي بنقض العهد، يقول: من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد فقد نقضه، فمنهم من كان عهده أربعة أشهر، ومنهم من كان عهده فوق أربعة أشهر، ومنهم من كان عهده دون أربعة أشهر، ومنهم من كان عهده تسعة أشهر، ومنهم من لم يكن بينهم وبين رسول الله عهد، فنقضوا كلهم إلا من كان عهده تسعة أشهر، وهم بنو كنانة، فمن كان عهده فوق أربعة أشهر أو دون أربعة أشهر جعل عهده بعد

---

(١) لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب، لأنّ فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٢٤١/٢}.

البراءة في الإسلام موقف أساسي فرضه الله سبحانه وتعالى وشرعه الله سبحانه وتعالى، وهي بمدلولها العام تعني المقاطعة، تعني العداء، تعني المباينة. قال الله سبحانه وتعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ..) {سُورَة الْمُمْتَحَنَة آية ٤}.

ومن لا يلتزمون بهذا الموقف القرآني نرى لهم علاقات بأعداء الأمة من اليهود والنصارى، ونراهم قساة على شعوبهم وأداة للعدو لضرب المسلمين من الداخل والأخطر هو ضرب قيم ومبادئ الإسلام، ومن حمل موقف البراءة من أعداء الأمة حاربوه وشوهوه حرضوا عليه.. ولغياب هذا المبدأ القرآني كيف كانت النتيجة اليوم تطبيع معلن ومباشر وصريح مع العدو الإسرائيلي.

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {١١٠/٢}.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٦٢/٨}.

النقض أربعة أشهر من يوم النحر، ومن كان عهده تسعة أشهر تركه على ذلك، ومن لم يكن له عهد جعل عهده خمسين يوماً من يوم النحر إلى خروج المُحرَم(1).

فقال لهم ﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ﴾ فامضوا في الأرض من يوم النحر ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ آمنين من القتل بالعهد ﴿وَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر الكفار ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾ غير فائتين من عذاب الله بعد أربعة أشهر ﴿وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٢] معذب الكافرين بعد أربعة أشهر بالقتل.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ﴾ وهذا إعلام من الله ﴿وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ للناس ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ في يوم الحج الأكبر يوم النحر ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ودينهم وعهدهم الذي نقضوه ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ أيضاً بريء من ذلك ﴿ فَإِن تُبْتُمْ ﴾ من الشرك وآمنتم بالله وبمحمد والقرآن ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الإيمان والتوبة ﴿فَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر المشركين ﴿ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ﴾ غير فائتين من عذاب الله ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣] يعني القتل بعد أربعة أشهر.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني بني كنانة بعد عام الحديبية ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ لم ينقضوا عهدهم مما كان لهم تسعة أشهر ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُواْ﴾ لم يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من عدوكم ﴿فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ إلى تسعة أشهر ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤] عن نقض العهد.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ فإذا خرج الشهر المحرم[والأشهر الحرم(2)] من يوم النحر ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ من كان عهده خمسين يوماً ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في الحل والحرم والأشهر الحرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ اؤسروهم ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ واحبسوهم عن البيت ﴿وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾

---

(١) {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين} قيل: نزلت لما عاهد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أهل مكة عام الحديبية على ترك الحرب عشر سنين ودخلت خزاعة في عهده -صلى الله عليه وآله وسلم- وبنو بكر في عهد قريش فغزت بنو بكر على بنو خزاعة وأعانتهم قريش بالسلاح وكانت خزاعة غنية رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فوفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فانشد شعراً ، فقال عليه السلام: لا نصرت إن لم أنصركم أي انقطاع عصمة ورفع أمان والمعنى أن الله ورسوله قدير يأمن العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم، ونسب البراءة إلى الله ورسولة، والمعاهدة إلى المسلمين لأن لله أذن في معاداة المشركين أولاً، فاتفق المسلمون مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بما يحدد ذلك فقيل لهم: اعملوا ان الله ورسوله قدير بما عاهدتم به المشركين. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٢/٣٠٢}.

(٢) سقط في (أ).

على كل طريق يذهبون ويجيئون فيه التجارة ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك وآمنوا بالله ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ أقروا بالصلوات الخمس ﴿وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ﴾ أقروا بأداء الزكاة ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ إلى البيت ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾[التوبة:٥]لمن مات على التوبة.

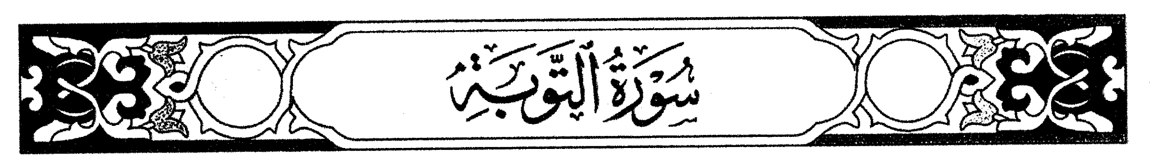
نزلت في المشركين الذين نقضوا محالفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعاهدته، وهم الذين يقول الله عز وجل: ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ يعني الذين لم ينقضوا منهم، ثم استثنى الله تعالى الناقضين إن تابوا وآمنوا ودخلوا في الدين وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأخبر أنهم إذا فعلوا ذلك وجب مواخاتهم، إذ قد صاروا في الدين مثلهم وإخوانهم[(١)].

وعن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ إلى قوله: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ أن المؤذن عن الله ورسوله علي بن أبي طالب عليه السلام، لأن بأربعة لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله أجل فأجله إلى مدته ولكم أن تسيحوا في الأرض أربعة أشهر[(٢)].

---

(١) في الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه حين بعث عليًا رحمة الله عليه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم، أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم: "ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته"، أوضحُ الدليل على صحة ما قلنا. وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود. فأما من كان أجل عهده محدودًا، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأمورًا. وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٠٣/١٤} وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٢٤٢/٢}.

(٢) عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر، في تلك الحجة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة ، وألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان. أخرجه البخاري: الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب – القاهرة، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، باب كتاب بدئ الوحي، رقم (٤٦٥٦) {٨١/٦} والسنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، روجعت أرقام هذه النسخة على طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، باب المجلد الرابع، رقم (٣٩٣٥) {١٤٣/٤}.



وعن علي بن الحسين عليهما السلام هو الأذان ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعن علي بن الحسين ولكن لا تعرفونه.

وعن ابن عباس أيضاً قال[1]: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر على الموسم، وبعث معه بهذه الآيات من براءة، وأمره أن يقرأها على الناس يوم الحج الأكبر، فسار أبو بكر حتى نزل ذا الحليفة، فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: الله عز وجل يقول: لن يؤدي عنك غيرك، أو رجل منك يعني علياً، فبعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في إثر أبي بكر ليدفع هذه الآية من براءة وأمره أن ينادي بهن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر وأن تبرأ ذمة الله ورسوله من كل أهل عهد، وحمله على الناقة القصواء فسار علي عليه السلام على ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله فأدركه بذي الحليفة، فلما رآه أبو بكر قال: آمر أم مأمور؟

فقال علي عليه السلام: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله لتدفع إلي البراءة، قال: فدفعها إليه فانصرف إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله مالي نزعت مني براءة، أنزل في شيء فقال: جبريل نزل علي فأخبرني أن الله عز وجل يأمرني أنه لن يؤدي عني غيري أو رجل مني، وأنا وعلي من شجرة واحدة، والناس من شجر شتى[2].

فلما كان يوم الحج الأكبر وفرغ الناس من رمي جمرة الكبرى قام علي عليه السلام عند الجمرة فنادى في الناس فاجتمعوا إليه فقرأ عليهم الصحيفة بهذه الآيات من براءة: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ قرأ إلى قوله: ﴿فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٠٦/١٤}.

(٢) خرج الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه ابو بكر بالطريق قال أأمير أم مأمور، فقال بل مأمور ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فهو له إلى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان. انظر: السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد [ت: ٢١٣هـ]، تحقق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١١، باب حج أبي بكر {٢٣٢/٥}.

ثم نادى [ألا[1]] لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحج مشرك بعد عامه هذه، وإن لكل عهد إلى مدته، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً، وإن أجلكم أربعة أشهر إلى أن تبلغوا بلـدانكم فهو قوله عز وجل: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾.

وأذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا فهو قوله عز وجل: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى النـاس﴾ قال إلى أهل العهد بخزاعة وبني مدلج، ومن كان له عهد غيرهم يوم الحج الأكبر قال فـالأذان علي بن أبي طالب عليه السلام، النداء الذي نادى به.

قال: فلما قال: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ قالوا وعلا مَ نسير أربعة أشهر قد برئنا منك ومن ابن عمك.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ فأمنه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ قراءتـك لكلام الله ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وطنه إلى حيث ما جاء إن لم يؤمر ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦] أمر الله وتوحيده.

﴿كَيْفَ﴾ على وجه التعجب ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بعد عام الحديبية وهم بنو كنانة ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ﴾ بالوفـاء ﴿فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾ بالتمام ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧] من نقض العهد.

﴿كَيْفَ﴾ على وجه التعجب يكون بينكم وبينهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يغلبـوا ﴿لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ﴾ لا يحفظوكم لقبل القرابة ويقال: لقبـل الله ﴿وَلاَ ذِمَّةً﴾ ولا لقبـل العهـد ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألسنتهم ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ تنكر قلـوبهم ذلـك ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ كلهـم ﴿فَاسِقُونَ﴾[التوبة:٨] ناقضون[2].

---

(١) سقط في (أ).

(٢) {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله} هذا استفهام في معنى والإستنكار والإستبعاد {لأن يكون للمشركين عهد} عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أضداده وأعداؤه وغرة صدروهم والمعنى أنه محال أن يثبت هؤلاء عهد ولا يطمع في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا ثم استدرك ذلك بقوله{إلا الذين عاهدتم} أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهروا منه نكث كبني كنانة وبني ضمرة فانتظروا أمرهم ولا تقاتلون {كما استقاموا لكم} على العهد فاستقيموا لهم على مثله {إن يحب المتقين}يعني أن الإنتظار بهم من أعمال المتقين. وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٣٠٨/٢}.

﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه وطاعته ﴿إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:٩] بئس ما كانوا يصنعون من الكتمان وغيره(١).

[نزلت هذه الآية ﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ في شأن اليهود(٢)] ﴿لاَ يَرْقُبُونَ﴾ لا يحفظون ﴿فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ﴾ قرابة، ويقال الإل هو الله ﴿وَلاَ ذِمَّةً﴾ ولا قبل العهد ﴿وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة:١٠] الحلال إلى الحرام بنقض العهد وغيره.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك وآمنوا بالله ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ وأقروا بالصلاة ﴿وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ﴾ وأقروا بالزكاة ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ في دين الإسلام ﴿وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبين القرآن بالأمر والنهي ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١] ويصدقون.

﴿وَإِن نَّكَثُواْ﴾ نقضوا أهل مكة ﴿أَيْمَانَهُم﴾ عهودهم التي بينكم وبينهم ﴿مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ عابوكم في دين الإسلام ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ قادة الكفر أبا سفيان وأصحابه ﴿إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ لا عهد لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة:١٢]لكي ينتهوا عن نقض العهد.

﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ﴾ مالكم لا تقاتلون ﴿قَوْمًا﴾ أهل مكة ﴿نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ﴾ نقضوا عهودهم التي بينكم وبينهم ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ أرادوا قتل الرسول حين دخلوا دار الندوة ﴿وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بنقض العهد حين أعانوا بني هذيل حلفاءهم على بني خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه

---

(١) قال الإمام الناصر أحمد بن يحيى عليهما السلام: فلما سمع المشركون هذه الآيات التي قرأها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وهو قائم يهتف بها عند جمرة العقبة، قالوا: يا علي علام مسيرنا أربعة أشهر، بل ترث منا أنت وابن عمك الطعن والضرب من الكلام، فلما قال المشركون هذا القول لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه وبان لهم أنه خطأ، قالوا: بلى نحن على العهد يا علي فتركهم وأسلم بعد هذا، انتهى. ثم قال: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ} أي استبدلوا بالقرآن والإسلام {ثَمَنًا قَلِيلاً} وهو اتباع الأهواء والشهوات، وقيل: هم الأعراب الذي جمعهم أبو سفيان وأطعمهم. وقال في البرهان: آيات الله حججه ودلائله، والثمن القليل ما جعلوه بدلاً، وهذه عامة فيمن أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصد عن الإيمان بما جاء به، والإقرار بنبوته، ثم قال: {إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي عملوا عملاً بئس العمل. المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٢٤١/٤}.

(٢) سقط في (أ).

وآله ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ يا معشر المسلمين وتخشون قتالهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك أمره ﴿إِن كُنتُم﴾ إذ كنتم ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣].

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بسيوفكم بالقتل ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ ويذلهم بالهزيمة ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بالغلبة ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٤] ويُفرح قلوب بني خزاعة عليهم ما أحل بهم القتل يوم فتح مكة ساعة في الحرم.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ حنق قلوبهم ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ على من تاب منهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن تاب وبمن لم يتب منهم ﴿حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٥] فيما حكم عليهم. ويقال: حكم بقتلهم وهزيمتهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظننتم يا معشر المؤمنين ﴿أَن تُتْرَكُواْ﴾ أن تمهلوا ولا تؤمروا بالجهاد ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ ولم ير الله ﴿الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾ في سبيل الله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين ﴿وَلِيجَةً﴾ بطانة من الكفار ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٦] من الخير والشر في الجهاد وغيره.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ما كان ينبغي للمشركين ﴿أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت حسناتهم في الكفر ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧] لا يموتون ولا يخرجون.

وعن ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل وأبي طلحة بن عثمان من بني عبد الدار[(١)].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ﴾ يعني المسجد الحرام ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ البعث بعد الموت ﴿وَأَقَامَ الصَّلاَةَ﴾ أتموا الصلوات الخمس ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَلَمْ يَخْشَ﴾ لم يعبد ﴿إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨] بدين الله وحجته، وعسى من الله واجب[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٦٢/٢}.

(٢) توحي الآيات الكريمة أن عمارة بيت الله هو أن يؤدي دوره الحقيقي في هداية الناس، وأن المؤهل لهذا الدور هو من يحمل الموصفات الأربع التي نصت عليها الآيات: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) - (وَأَقَامَ الصَّلاَةَ) - (وَآتَى الزَّكَاةَ) - (وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) لأن المساجد لها موقف من أعداء الله فمن يعمرها يحمل هذه المؤهلات، والأعداء اليوم يريدون تحويل كثير من المساجد إلى عمارات وزخارف فقط.

وعن ابن عباس: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة، ثم في رجل من المشركين أسر يوم بدر فافتخر على رجل من أهل بدر فقال: نحن نسقي الحاج ونعمر المسجد الحرام، ونفعل كذا وكذا(١).

ويقال: نزلت في أبي طلحة في الحج، فقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ [أقلتم(٢)] سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إسقاء الحاج ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ يعني البدري ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ البعث بعد الموت ﴿وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله يوم بدر ﴿لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ﴾ في الطاعة والثواب ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي﴾ لا يرشد إلى دينه ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:١٩] المشركين ومن لم يكن أهلاً لذلك أي لا يحكم له به(٣).

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بنفقة أموالهم ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ بخروج أنفسهم ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ فضيلة ﴿عِندَ اللهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة:١٩] فازوا بالجنة ونجوا من النار.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، باب حديث النعمان بن بشر، رقم (١٨٣٩٣) {٢٦٩/٤} وصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضل الشهادة، رقم (١١١) {١٤٩٩/٣}.

(٢) سقط في (أ).

(٣) افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة، أنا صاحب البيت، معي مفتاحه، لو أشاء بتُّ فيه! وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد! وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد! فأنزل الله: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام)، الآية كلها. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧١/١٤} و تفسير مجاهد ، لابي الحجاج ، {١٣٩/١} والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٩/٥}

يتضح لنا من الآيات ما الأمة بحاجه إليه وخصوصا في هذه المرحلة :

أولاً: القرآن الكريم يحدد لنا المقياس كي لا نخدع لأن هناك أعمال يمكن أن يعملها من ليس مؤمن ، مثل بناء المساجد وتقديم الخدمات في المساجد كما تفعل مملكة آل سعود ، فهذا ليس دليل على الاستقامة وليس مقياس ، وإنما المقياس هو الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله.

ثانياً: تصحيح النظرة في أولويات العمل الصالح بقوله تعالى: (أَعْظَمُ دَرَجَةً عند الله وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ من الله من العذاب ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ وبرضى ربهم عنهم ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ وبجنات ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم لا ينقطع.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يموتون ولا يخرجون ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:٢٢] ثواب وافر لمن آمن به.

ويقال: إن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام والعباس، افتخر عباس بسقاية الحاج، وذكر علي عليه السلام جهاده في سبيل الله وسبقه إلى الإيمان وهو الصحيح[(١)].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ الذين آمنوا وهاجروا ﴾ إلى قوله: ﴿فيها نعيم مقيم﴾ نزلت في علي عليه السلام خاصة[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ الذين بمكة من المؤمنين الذين منعوكم من الهجرة ﴿أَوْلِيَاء﴾ في العون والنصرة ﴿إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ﴾ اختاروا دار الكفر يعني مكة ﴿عَلَى الإِيمَانِ﴾ على دار الإسلام يعني المدينة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ في العون والنصرة ﴿فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣] الضارون بأنفسهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ وقومكم الذين هم بمكة ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ ألا تنفق في المدينة ﴿وَمَسَاكِنُ﴾ منازل ﴿ تَرْضَوْنَهَا ﴾ تشتهون الجلوس فيها ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ ﴾ من طاعة الله ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ ومن الهجرة إلى رسوله ﴿ وَجِهَادٍ ﴾ ومن جهاد ﴿فِي سَبِيلِهِ﴾ في طاعته ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعني القتل يوم فتح مكة، ثم هاجروا بعد ذلك ﴿وَاللّـهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] من لم يكن أهلاً لدينه، وهو الزيادة من الهدى كما قال: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى[(٣)]﴾[(٤)].

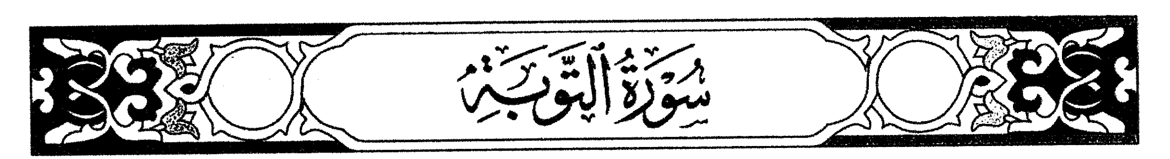
---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧١/١٤}ومعالم التنزيل، للبغوي، {٢٢/٤}.

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٩/٥-٢٠}.

(٣)محمد من الآية: ١٧.

(٤) {يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آبائكم وإخوانكم أولياء} كان قبل فتجهله من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقربائه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يارسول الله إنا نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آبائنا وأبنائنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرحل ثابتة أبنه أو أبوه أو أخوه أو بعض قراباته ولا يلتفت إليه ولا ينزل أي يضيف ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في قوم =



ويقال: إلى جنته في الآخرة، ويقال: لا يحكم لهم بالهداية ولا يسميهم.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ في مشاهد كثيرة وعند القتال ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ خاصة وهو واد بين مكة والطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كثرة جموعكم، وكانوا عشرة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ كثرتكم ﴿شَيْئًا﴾ عن الهزيمة ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ﴾ من الخوف ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ بسعتها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥] منهزمين من العدو وكان عدوهم أربعة آلف رجل(١).

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من السماء يعني الملائكة بالنصرة لكم ﴿وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقتل والهزيمة، يعني قوم مالك بن عوف والدهماني، وقوم كنانة بن عبد ياليل الثقفي ﴿وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٥٦] (٢).

ارتدوا ولحقوا مكة فنهى الله عن موالاتهم والمعنى لاتتخذوا أباءكم وإخوانكم أولياء أي أصدقاء يؤثرون المقام بين أظهرهم على الهجرة إن إستحبوا إختاروا الكفر على ا لايمان ورضوا به بدلاً عنه ومن يتولهم منكم يحبهم ويصادقهم فأولئك المحبون لهم هم الظالمون وصف من يؤادهم ولايهاجر عنهم بأنهم الظالمون أي الكاملون في الظلم لآنفسهم وقيل لما نزلت هذه ألايه وقالوا يارسول الله إن نحن إعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا أبائنا وأبنائنا وذهبت تجاراتنا وخربت دنارتنا أنزل لله تعالى {قل أن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم} أي أقربائكم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها {وتجارة تخشون كسادها}ذهابها وفسادها وعدم نفاقها ومساكن ترضونها} أي وديار تحبونها وتؤثرون الإقامة فيها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله} المعنى إن كانت هذه الأشياء ظأحب إليكم من الله ورسوله والجهاد في دينه فتربصوا} أي انتظر مقيمين بمكة حتى يأتي الله بأمره الذي يعاقبكم به.. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣١٨/٢}.

(١) (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) يعني يوم بدر، ويوم قريظة، ويوم النضير، ويوم خيبر، ويوم الحديبية، ويوم فتح مكة، ثم قال: ونصركم (يَوْمَ حُنَيْنٍ) وهو واد بين الطائف ومكة (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ) يعني برحبها وسعتها (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) لا تلوون على شيء وذلك أن المسلمين كانوا يومئذ أحد عشر ألفا وخمس مائة والمشركون أربعة آلاف، وهوازن، وثقيف، ومالك بن عوف النضري على هوازن، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من كثرتنا على عدونا ولم يستثن في قوله، فكره النبي- صلى الله عليه وسلم- قوله لأنه كان قال ولم يستثن في قوله فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم المشركون وجلوا عن الذراري، ثم نادى المشركون تجاه النساء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون فنادى العباس بن عبد المطلب، وكان رجلا صبيا ثباتا: يا أنصار الله وأنصار رسوله الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة هذا رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن كان له فيه حاجة فليأته فتراجع المسلمون ونزلت الملائكة- عليهم البياض على خيول بلق- فوقفوا ولم يقاتلوا فانهزم المشركون. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٦٥/٢}.

(٢) (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) يعني مشركي العرب والنجس الذي ليس بطاهر، الأنجاس: الأخباث (فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ) يعنى أرض مكة (بَعْدَ عامِهِمْ هذا) يعني بعد عام السنة التاسعة من هجرة. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٦٥/٢}.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ القتل والهزيمة ﴿عَلَى مَن يَشَاء﴾ على من تاب منهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٢٧] متجاوز لمن تاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قذر ﴿فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا﴾ بالحج والطواف بعد عام البراءة يوم النحر ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ الفقر والحاجة ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ برزقه من وجه آخر ﴿إِن شَاء﴾ حيث شاء ويغنيكم من تجارة بكر بن وائل ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بأرزاقكم ﴿حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨] فيما حكم عليكم.

﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ بنعيم الجنة ﴿وَلاَ يُحَرِّمُونَ﴾ في التوراة ﴿مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ لا يخضعون لله بالتوحيد.

ثم بين من هم فقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ أعطوا الكتاب يعني اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ عن قيام من يد ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] ذليلون.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ يهود المدينة ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى﴾ نصارى أهل نجران ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألسنتهم ﴿يُضَاهِؤُونَ﴾ يشابهون ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ من قبلهم يعني أهل مكة لأن أهل مكة قالوا اللاة والعزى، ومناة بنات الله، وكذلك قالت اليهود عزير بن الله، وقالت النصارى بعضهم المسيح ابن الله.

وقال بعضهم: شريكه، وقال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ لعنهم الله ﴿أَنَّى يُؤْفَكُون﴾ [التوبة:٣٠] من أين يكذبون. ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم يعني اليهود ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ واتخذ النصارى رهبانهم أصحاب الصوامع ﴿أَرْبَابًا﴾ أطاعوهم بالمعصية (١) ﴿مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ واتخذوا المسيح بن مريم إلهاً ﴿وَمَا أُمِرُواْ﴾ في جملة الكتب ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ﴾ ليوحدوا ﴿إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُون﴾[التوبة:٣١]به. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ

---

(١) قوله: {أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} فليس المراد أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم بالمعاصي، وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل، كما يطاع الرب. انظر: تفسير مجاهد، {٣٦٧} فعلوا كما فعلت جهلة هذه الأمة أطاعوا علماؤهم وقلدوا كبراؤهم أمر دينهم، فصدوهم عن الحق، وأمالوهم عن طريق الرشد، واعطوهم من الروايات والكذب ما فارقوا به القرآن، وخالفوا فيه الرحمن من قتلهم الأدلة، وإفسادهم في معروض الملة، فالله المستعان. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٢٩٩/٤}.

﴿نُورَ اللهِ﴾ أن يبطلوا دين الله ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بتكذيبهم، ويقال: بألسنتهم ﴿وَيَأْبَى اللهُ﴾ لا يترك الله ﴿إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ إلا أن يظهر دينه ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ وإن كره ﴿الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:٣٢] أن يكون ذلك(١).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمداً ﴿بِالْهُدَى﴾ بالإيمان ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ ودين الإسلام شهادة ألا إله إلا الله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليظهر دين الإسلام على الأديان كلها من قبل أن تقوم الساعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] أن يكون ذلك.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿إن كثيراً من الأحبار﴾ علماء اليهود ﴿والرهبان﴾ أصحاب الصوامع ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ بالرشوة والحرام ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ﴾ يجمعون الذهب ﴿وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا﴾ يعني الكنوز كلها ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله(٢). ويقال: لا يؤدون زكاتها(٣).

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ يا محمد ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤] وجيع.

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾ على الكنوز ويقال: على النار ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا﴾ فيضرب بها بالكنوز ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ يقال ﴿هَـذَا﴾ عقوبة ﴿مَا كَنَزْتُمْ﴾ ما جمعتم من الأموال ﴿لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[التوبة:٣٥] تجمعون.

---

(١) ثم أخبر تعالى عن نوع ثالث من الأفعال القبيحة الصادرة من رؤساء اليهود والنصارى وهو سعيهم في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجدهم في إخفاء الدلائل على صحة شرعة وقوة دينه، فقال عز وجل: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب، فحال من يريد ينفخ في نار عظيم مثبت في الآفاق ليطفيه بنفخه، ويطمسه، والله يريد أن يزيده نوراً، ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق والإضاءة، والمراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وهي أمور كثيرة: أحدها: المعجزات القاهرة الذي ظهرت على يده، فإن المعجز إما أن يكون دليلاً على الصدق فحيص ظهر المعجز لابد من حصول الصدق، فوجب كون محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً، وإن لم يدل على الصدق قدح ذلك في نبوة موسى وعيسى عليهما السلام. وثانيها: القرآن العظيم الذي ظهر على محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه من أول عمره إلى آخره ما تعلم وما طالع، وما استفاد وما نظر في كتاب، وذلك من أعظم المعجزات. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٣٠١/٤}.

(٢) اعلم أنه تعالى لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخق وصفهم بعد ذلك بالطمع والحرص على أخذ أموال الناس، فقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} يأخذون الرشاء في الأحكام، والتخفيف في الشرائع. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار للشرفي، مخطوط، {٣٠٣/٤}.

(٣) القول لبن عباس. انظر: جامع البيان للطبري. {٢٢٥/١٣}



﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ يقول السنة بالشهور التي تؤدى فيها الزكاة، يعني شهور السنة عند الله اثنا عشر شهراً ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ﴾ من يوم ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا﴾ من الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الحساب القائم لا يزيد ولا ينقص ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ﴾ فلا تضرّوا ﴿فِيهِنَّ﴾ في شهور السنة ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعصية ويقال في أشهر الحرم ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ جماعة في الحل والحرم ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جماعة ﴿وَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٣٦] معين المتقين للكفر والفواحش، والشرك ونقض العهد والقتال في أشهر الحرم(١).

ويقال: أشهر الحرم شوال وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وليس رجب منها، وقال قوم: هي الأربعة الأشهر التي أجل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله المشركين عشر ذي الحجة إلى عشر بقين من شهر ربيع الآخر، سماها حرماً لأنه حرم فيها قتالهم في ذلك الوقت(٢).

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ يقول تأخير المحرم إلى صفر معصية زيادة في الكفر مع الكفر ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ يغلط به بتأخير المحرم إلى صفر ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ﴾ يعني المحرم ﴿عَامًا﴾ فيقاتلون فيه ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ﴾ يعني المحرم يغلط به ﴿عَامًا﴾ فلا يقاتلون فيه، فإذا أحلوا المحرم حرموا صفر بدله ﴿لِّيُوَاطِؤُواْ﴾ ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾ بالعدد أربعاً ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾ يعني المحرم ﴿زُيِّنَ لَهُمْ﴾ حسن لهم ﴿سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ قبح أعمالهم ﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِي﴾ لا يرشد إلى دينه ﴿الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧] من لم يكن أهلاً لذلك.

ويقال: لا يهدي إلى جنته في الآخرة، وكان الذي يفعل هذا رجلاً يقال له نعيم بن ثعلبة(٣).

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ، {٥٦/٢} وجامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، {٢٣٥/١٤}.

(٢) وأشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم هكذا قال غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم في أَشْهُرِ الحَجِّ. سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩، ٢٧٩ هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨، باب المجلد الثالث، رقم (١٥٩٤) {١٤٨/٣}.

(٣) قام فخطب الناس فقال: لا مردَّ لما قضيت، أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، فيقول له المشركون: لبيك، ثم يسألونه أن ينسأهم شهرا يغيرون فيه، فيقول: فإن صفرًا العام حرام، فإذا قال ذلك حلُّوا الأوتار، ونزعوا الأسنة والأزجة، وإن قال حلال عقدوا الأوتار وشدُّوا الأزجة، وأغاروا. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٤٧/٤}.

سُورَةُ التَّوبَة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أصحاب محمد ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ﴾ اخرجوا مع نبيكم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله في غزوة تبوك ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ اشتهيتم الجلوس على الأرض ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما في الحياة الدنيا ﴿مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ منافع الدنيا ﴿فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨] يسير لا يبقى.

﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ﴾ إلا تخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وجيعاً في الدنيا والآخرة ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوع ﴿وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي لا تضروا الله بجلوسكم ﴿وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العذاب ﴿قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩] (١).

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ يعني محمداً بالخروج معه إلى غزوة تبوك ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كفار مكة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ رسول الله لأبي بكر ﴿لاَ تَحْزَنْ﴾ يا أبا بكر وكن على ثقة من وعد الله تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ معيننا ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ [على نبيه] وَأَيَّدَهُ﴾ أعانه يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دين الذين كفروا ﴿السُّفْلَى﴾ المغلوبة والمذمومة ﴿وَكَلِمَةُ اللّهِ﴾ دين الله ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ الغالبة الممدوحة ﴿وَاللّهُ عَزِيزٌ﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] بالنصرة لأوليائه.

فأما تمثيل بعض الناس (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) بقوله { مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ..} الآية فذلك غفلة وهفوة في هذا المثل لأن (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) ذكر العهد، وقوله :{ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} مدح منه وله سبحانه بالعلم والتدبير والتمجيد، وقوله: (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ) يدل على نفاق من كان يحزن مع إعلام الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سالم منه، وأنه متحيز إلى المأمن الذي لاخوف ولاحزن عليه فيه، وأنهم ممكورون بهم دون رسول الله بقوله تعالى: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} وفيه تكذيب وعد الله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك وصف من لم يخلص قلبه ولم يصح بالله يقينه، لأن الحزن فيه قلة الثقة بقول الله ورسوله بعد أن جعل الله له مأمنا وهو بوعد الله مكذب، وفي خبره شاك، ألا تسمع لقوله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) لما لم يحب له أن يحزن وقد جعل الله مأمنا نهاه عن ذلك، ولم يسكن بتسكين الرسول له، وإخباره بإنزال السكينة عليه، وتأييده بالخير وهو الصادق المصدق، كان في خبره من الشاكين، والسكينة أيضا إذا خص بها الرسول وهي سكون القلب مما يخافه خلاف ما كان يخافه صاحبه [كلمة غير مفهومه] إذا كان حذرا من صاحبه لما علم من نفاقه وسوء ضميره وبالله التوفيق. (انفِرُوا) أخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك، (خِفَافًا وَثِقَالًا) شيوخا وشبابا، ويقال: نشاطا وغير نشاط، ويقال: خفافا من المال والعيال، ويقال: بالمال والعيال. (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) في طاعة الله، (ذَٰلِكُمْ) الجهاد، (خَيْرٌ لَّكُمْ) من الجلوس، (إِن كُنتُمْ) إذ كنتم، (تَعْلَمُونَ) [التوبة:٤١] تصدقون ذلك.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ غنيمة قريبة ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ هيناً ﴿لاَّتَّبَعُوكَ﴾ إلى غزوة تبوك بطيبة الأنفس ﴿وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ السفر إلى الشام ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّـهِ﴾ إذا رجعتم من غزوة تبوك، يعني يحلف بالله عبد الله بن أبي وجد بن قيس[(١)] ومعتب بن قشير[(٢)] وأصحابهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ بالزاد والراحلة ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ إلى غزوة تبوك ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذبة ﴿وَاللّـهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:٤٢] لأنهم كانوا مستطيعين الخروج مع النبي صلى الله عليه وعلى آله[(٣)].

﴿عَفَا اللهُ عَنكَ﴾ يا محمد ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ للمنافقين بالجلوس ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم بالخروج معك ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣] في إيمانهم بالتخلف عن الخروج بلا إذن.

ويقال: عفا الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله ثم أخبر بغفلة الذين عفى عنهم إكراماً له، فقال معناه أنه عليه السلام كان أذن لقوم بالخروج معه فقال: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قبل تبين الصادق من الكاذب ثم قال: [إن المؤمن] لا يستأذنك بل يخرج إذا حدث ما يوجب الخروج[(٤)].

﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ﴾ عن غزوة تبوك ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في السر والعلانية ﴿أَن يُجَاهِدُواْ﴾ ألا يجاهدوا ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّـهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤٤] الكفر والشرك.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ بالجلوس عن الخروج ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في السر ﴿وَارْتَابَتْ﴾ شكنت ﴿قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ﴾ في شكهم ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥] يتحيرون.

---

(١) جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب ابن سلمة الانصاري السلمي يكنى ابا عبد الله من الصحابة مات في خلافة عثمان بن عفان. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، {٤٦٨/١}.

(٢) معتب بن قشير بقاف ومعجمة مصغرا بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصاري الأوسي ذكره فيمن شهد العقبة وقيل إنه كان منافقا وإنه الذي قال يوم أحد لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا وقيل إنه تاب وقد ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرا. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل العسقلاني، {١٧٥/٦}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٤٨/٢-٤٩}.

(٤) معناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك، واعتلوا بعللهم، وهلا استأنيت بالإذن {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} فيه، فيكون ذلك لمن له عذر. قال الحسين بن القاسم عليه السلام: معنى عفا الله عنك أي غفر الله لك مالك أذنت لهم ولم تبتلهم بما يثقل عليهم حتى.........ويتبين لك الصادق والمنافق الكاذب منهم، انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٢٦/٤}.

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ﴾ معك إلى غزوة تبوك ﴿لأَعَدُّواْ لَهُ﴾ للخروج ﴿عُدَّةً﴾ قوة من السلاح والزاد ﴿وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فحبسهم عن الخروج ﴿وَقِيلَ اقْعُدُواْ﴾ تخلفوا ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦] مع المتخلفين بغير عذر أوقع ذلك في قلوبهم.

ويقال: لم يأذن رسول الله صلى الله عليه واله بالخروج كما أذن من قبل بأمر الله له، فذلك هو التثبيط، وهو الصحيح[١].

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم﴾ معكم ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ شرا وفساد ﴿ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ﴾ لسارعوا وسطكم والإيضاع عدو الإبل وشدة سيرها ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ يطلبون فيكم الشر والفساد والزلة والعيب ﴿وَفِيكُمْ﴾ معكم ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ جواسيس للكفار ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧] بالمنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه[٢].

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ﴾ عليكم الغوائل ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل غزوة تبوك ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ﴾ ظهراً وبطناً ﴿حَتَّى جَاء الْحَقُّ﴾ كثر المؤمنون ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨] ذلك[٣].

---

(١) وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه في الخروج، فرأى أن يجعل المنة له عليهم في الاذن لهم، وإلا قعدوا عنه ولم تصل له المنة، فقال له: (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)، أي هلا أمسكت عن الاذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد، وخروج من يخرج، صادقهم من كاذبهم! لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم، وكان بعضهم ينوى الغدر، وبعضهم يعزم على أن يخيس بذلك الوعد، فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف ومن لا يتخلف، فعرف الصادق منهم والكاذب. انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، {١٠/٢١٨}.

(٢) {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً} أي: فساداً فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة وخطئ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في الإذن لهم في التخلف وهو مصلحة لأن إذنه لهم لم يكن لنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا إليه فكان عليه أن يبحث حقيقة معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها من غير اختبار المخلص من غير المخلص ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنه إذا ثبطهم اتلله اعالى فلم يعبثوا أو كان قعودهم بغير إذ من رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} فأمنت عليهم الحجة وظهر نفاقهم ولم يبق لعم معذرة. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢/٣٤٢}.

(٣) ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من مكر المنافقين وخبث باطنهم فقال: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ} أي من قبل واقعة تبوك، طلبوا المكائد والسعي في تشتبت أصحابك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤/٣٣٤}.

﴿وَمِنْهُم﴾ من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ وهو جد بن قيس ﴿ائْذَن لِّي﴾ بالجلوس ﴿وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ في بنات الأصفر ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ﴾ في الشرك والنفاق ﴿سَقَطُواْ﴾ ووقعوا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ﴾ ستحيط ﴿بِالْكَافِرِين﴾ [التوبة: ٤٩] والمنافقين يوم القيامة أي أحاطت بأعمالهم(١).

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ الفتح والغنيمة مثل يوم بدر ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ ساءهم ذلك يعني المنافقين ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ القتل والذعر مثل يوم أحد ﴿يَقُولُواْ﴾ يقول المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ حذرنا بالتخلف عنهم ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ عن الجهاد ﴿وَّهُمْ فَرِحُون﴾ [التوبة:٥٠] معجبون بما أصاب النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه يوم أحد.

﴿قُل﴾ يا محمد للمنافقين ﴿لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا﴾ علم الله لنا ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ ولينا ﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾ [التوبة:٥١] وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله(٢).

ويقال: معنى الآية أن الله قد علم ما العباد فاعلون وعاملون وكتب ما هم إليه صائرون، وأن العلم والكتاب ليسا يحملان أحداً على معصية ولا يمنعان من طاعة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ هل تنتظرون بنا ﴿إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ الفتح والغنيمة أو القتل والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ ننتظر بكم ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بهلاككم ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بسيوفنا نقتلكم ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ فانتظروا بنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُون﴾ [التوبة:٥٢] منتظرون لهلاككم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين ﴿أَنفِقُواْ﴾ أموالكم ﴿طَوْعًا﴾ من قبل أنفسكم ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ جبراً مخافة القتل ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ﴾ ذلك ﴿مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِين﴾ [التوبة:٥٣] منافقين.

---

(١) قال الهادي عليه السلام: هذه الآية نزلت في جد بن قيس، وذلك أنه أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج معه في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله قد علمت إعجابي بالنساء ومحبتي لهن، وأنا أخشى إن رأيت بنات الأصفر ألا أصبر وأفتتن بهن، فقال سبحانه: {أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} يقول سبحانه: ألا في العذاب وقع، والفتنة فمعناها العذاب، فأخبر سبحانه أنه عاد وتعلل بمعنى قد وقع فيه تخلفه عن الرسول الله انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٣٦/٤}.

(٢) {لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} من النصر والفوز بالشهادة، أو إن الله أرحم بنا، وأعلم بمصالحنا، فلسنا مهملين على ما توهمون، بل هو مدبر لنا. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٣٧/٤}.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّـهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ في السر ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ﴾ إلى الصلاة ﴿إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ متثاقلون ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ﴾ شيئاً في سبيل الله ﴿إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤] ذلك.

﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ كثرة أموالهم ﴿وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ كثرة أولادهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ في الآخرة و ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ وتخرج أرواحهم ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:٥٥] مقدم ومؤخر.

ويقال أيضاً إن التعذيب بالسبي وبأخذ أموالهم.

ويقال: هو البشارة بالنار عند الموت واللام لام العاقبة، وإن كان أعطاهم المال والولد على سبيل الإنعام عليهم به.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ﴾ يعني يحلف بالله عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ معكم في السر والعلانية ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ معكم في السر والعلانية ﴿وَلَـكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة:٥٦] يخافون سيوفكم. ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حوزاً يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ في الجبل ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ سرباً في الأرض ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ ذهبوا إليه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة:٥٧] يهرولون هرولة، والجموح مشيء بين مشيين[1].

---

(١) اعلم أنه تعالى لما بين كونهم مستجمعين لكل مضار الآخرة والدنيا، خارجين عن جميع منافع الآخرة والدنيا عاد إلى ذكر فضائحهم وقبائحهم، فمنها إقدامهم على الأيمان الكاذبة فقال: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ} أي من جملتكم، وقوله: {وَمَا هُمْ مِنْكُمْ} تكذيب لهم، أي ليسوا على دينكم {وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} أي يخافون ويرهبون القتل، فاظهروا الإيمان تقية، وأسروا النفاق، والفرق الخوف، يقال رجل أفروق أي شديد الخوف، ثم قال سبحانه: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً} يلجأون إليه من جبل أو قلعة أو حريرة، قوله: {أَوْ مَغَارَاتٍ} جمع مغارة وهي الموضع الذي يغار الإنسان فيه، أي يستتر.

قال أبو عبيد: كل شيء غرت فيه فغبت فهي مغارة لك، ومنه غار الماء في الأرض وغارت العين {أَوْ مُدَّخَلاً} نفقاً في الأرض يدسون فيه. والمدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة {لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ} أي يسرعون لا يؤدهم شيء من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام، قال الشاعر:

لقد جمحت جماحاً في دمائهم   حتى رأيت ذوي أحسابهم جهدوا

والمراد من الآية أنهم من شدة تأذيهم من الرسول والمؤمنين صاروا بهذه الحالة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٤٢/٤}.

﴿وَمِنْهُم﴾ من المنافقين أبو الأحوص وأصحابه ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يطعن عليك في قسمة الصدقات، ويقولون لم تقسم بيننا بالسوية ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا﴾ من الصدقات حظاً وافراً ﴿رَضُواْ﴾ بالقسمة ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا﴾ من الصدقات حظاً وافراً ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] بالقسمة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَا آتَاهُمُ اللّهُ﴾ يعني مما أعطاهم الله ﴿وَرَسُولُهُ﴾ من الصدقات ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ﴾ يقيناً بالله ﴿سَيُؤْتِينَا اللّهُ﴾ سيغنينا الله ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ برزقه ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بالعطية ﴿إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩] رغبتنا إلى الله لو قالوا هذا لكان خيراً لهم.

ثم بين لمن الصدقات فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء﴾ فقراء أصحاب الصفة.

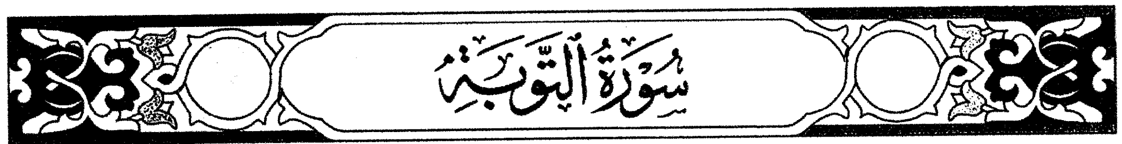
ويقال: هم الذين ليس لهم إلا المنزل والخادم وثياب الأبدان ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ يعني الطوافين، ويقال: هم الذين لا شيء لهم ،﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ جابين الصدقات ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ بالعطية أبو سفيان وأصحابه نحو خمسة عشر رجلاً، وللإمام أن يتألف مثل هؤلاء ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ المكاتبين ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ أصحاب الديون في طاعة الله ﴿وَفِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ المجاهدين في سبيل الله، وقد يدخل فيها بناء المساجد وتكفين الأموات، وإصلاح الطرق وأشباهها مما فيه مصالح المسلمين. ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف النازل، أو ماري الطرقات، وابن السبيل وهم أهل الاحتياج في تلك الحال ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ﴾ قسمة من الله لهؤلاء ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ بهؤلاء ﴿حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠] فيما حكم لهم(١).

﴿وَمِنْهُمُ﴾ من المنافقين حذام بن خالد، وأوس بن قيس، وسماك بن بريد، وعبيد بن مالك ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بالطعن والشتم ﴿وَيِقُولُونَ﴾ ويقول بعضهم لبعض ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع منا ويصدقنا إذا قلنا له ما قلنا قبل منا(٢).

---

(١) تجب الصدقات لمن سمى الله تبارك وتعالى من عباده وذلك قوله سبحانه: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) فهي بين ثمانية أصناف، كلما استغني صنف منهم رجعت حصته على أحوج من فيهم، فإن رأى إمام المسلمين أن يصرف ذلك كله في صنف واحد ممن سمى الله عزوجل، صرفه، من غير إجحاف، ولا إجاحة لاحد ممن سمى الله تعالى من هذه الجماعة. فأما الفقراء فهم الذين لا يملكون إلا المنزل والخادم وثياب الابدان فهؤلاء هم الفقراء. والمساكين الذين نحب لهم أن يأخذوا من الصدقة فهم أهل الحاجة والفاقة والاضطرار إلى أخذها. والعاملون عليها فهم الجباة لها، المستوفون لكيلها من أيدي أربابها وأخذها. والمؤلفة قلوبهم فهم أهل الدنيا المائلون إليها الذين لا يتبعون المحقين إلا عليها ولا غنى بالمسلمين عنهم ولا عن تألفهم إما ليتقوى بهم على عدوهم وإما تخذيلا لهم، وصدا عن معاونة أضدادهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله. انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {١/١٧٣-١٧٢}.

(٢) انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام ، للإمام الهادي ، {١/١٩٥}.



﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا الشر، أي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب.

ويقال: ﴿أذن﴾ خير ﴿لكم﴾ هو خير لكم.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يصدق قول الله ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدق قول المؤمنين المخلصين ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ﴾ في السر والعلانية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ﴾ بالتخلف عنه في غزوة تبوك وهو جلاس بن سويد[1]، وسماك بن عمر[2] ومخشي بن حمير[3] وأصحابه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١] وجيع في الدنيا والآخرة[4].

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ بالتخلف عن الغزوة ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢] مصدقين[5].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ يعني جلاساً وأصحابه ﴿أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ﴾ من يخالف الله ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في الدين ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣] العذاب الشديد.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ على نبيهم ﴿سُورَةٌ﴾ بسورة ﴿تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم﴾ من النفاق[6].

---

(١) الجلاس بن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم من بني عمرو بن عوف، له صحبة، وله ذكر في المغازي. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٨٤/١}.

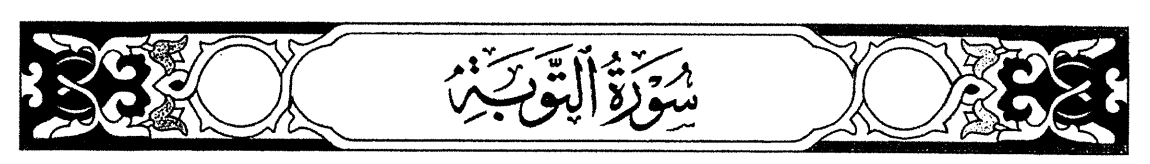
(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) مخشي بن حمير الأشجعي. حليف لبني سلمة من الأنصار. وكان من المنافقين، ومن أصحاب مسجد الضرار، وسار مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وأرجفوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم تاب وحسنت توبته، وسأل النبي أن يغير اسمه، فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتل شهيداً لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة شهيداً، ولم يوجد له أثر. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {١٨٤/١}.

(٤) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٦٣/٥}.

(٥) {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم: يحلف لكم، أيها المؤمنون، هؤلاء المنافقون بالله، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وذكرهم إياه بالطعن عليه والعيب له، ومطابقتهم سرًّا أهلَ الكفر عليكم بالله والأيمان الفاجرة: أنهم ما فعلوا ذلك، وإنهم لعلى دينكم، ومعكم على من خالفكم، يبتغون بذلك رضاكم. يقول الله جل ثناؤه: (والله ورسوله أحق أن يرضوه) ، بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا = (إن كانوا مؤمنين) ، يقول: إن كانوا مصدِّقين بتوحيد الله، مقرِّين بوعده ووعيده. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٢٩/١٤}.

(٦) قال الحسين بن القاسم عليه السلام: هذا خبر منه تعالى عن حذرهم وجوفهم من أن ينزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم وتفضحهم عند جميع الناس في كفرهم، حتى قال بعضهم: والله ما أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة، وألا ينزل فينا شيء يفضحنا، والضمير في عليهم وتنبيههم لمؤمنين وفي قلوبهم =



﴿قُلِ﴾ يا محمد لوديعة بن حزام وجد بن قيس، وجهير بن حمير ﴿اسْتَهْزِؤُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤] ما تكتمون من محمد وأصحابه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ يا محمد عن ماذا ضحكتم ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ نتحدث عن الركب ﴿وَنَلْعَبُ﴾ ونضحك فيما بيننا ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﴿كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ﴾ [التوبة:٦٥].

﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ﴾ بقولكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ يعني جهير بن حمير لأنه لم يستهزئ معهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ يعني وديعة بن حزام وجد بن قيس ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٦] في السر.

﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ من الرجال ﴿وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ من النساء ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ على دين بعض في السر ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ بالكفر ومخالفة الرسول ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ عن الإيمان وموافقة الرسول ﴿وَيَقْبِضُونَ﴾ ويمسكون ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ عن النفقة في الخير ﴿نَسُواْ اللّهَ﴾ تركوا طاعة الله في السر ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ الله فخذلهم الله في الدنيا وتركهم في الآخرة في النار ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧] الكافرون في السر[1].

للمنافقين، وذح ذلك لأن المعنى يقود إليه، ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين؛ لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم، ويحتمل أن يكون قوله: يحذر المنافقون أمر منه بالحذر، وتقديره ولتحذر المنافقين، ومعنى فتنبئهم بما في قلوبهم أي ما أسروه من النفاق، وقولهم في غزوة تبوك: أيرجوا هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ما قالوا، ذكره في البرهان. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي ، مخطوط، {٣٥٢/٤}.

(١) اعلم أنه تعالى أخبر عن نوع آخر من أنواع فضائحهم وقبائحهم، وأخبر سبحانه أن إناثهم كذكورهم في الأعمال المنكرة، والأفعال الخبيثة فقال: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} أي بعضهم مع بعض في الاغتياب للمسلمين، والكذب على رسول رب العالمين، والمراد نفي كونهم من المؤمنين، وتكذيب قولهم إنهم منكم، وتحقيق لقوه وما هم منكم، ثم وصفهم بما يدل علىمضادى حالهم لحال المؤمنين فقال: {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} المنكر يدخل فيه كل قبيح، إلا أن الأعظم هاهنا الشرك، ولفظ المعروف يدخل فيه كل حسن إلا أن الأعظم هاهنا الإيمان {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} عن كل خير، أي يلزمونها عن العطا، والإنفاق شحاً بالصدقات، والإنفاق في سبيل الله مع ما هم عليه من الكفر والنفاق، القبض نقيض البسط، ثم قال تعالى: {نَسُوا اللَّهَ} أي تركوا أمره وطاعته حتى صار بمنزلة المنسي {فَنَسِيَهُمْ} أي فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته، وجاء هذا من أوجه الكلام، كقوله تعالى: {جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ} لأنا لو حملنا النسيان على الحقيقة لما استحقوا ذماً؛ لأن النسيان ليس في وسع البشر، وأيضاً فهو في حق الله محال، فلابد من التأويل وهو من وجهين هذا أحدهما. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٥٦/٤}.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ من الرجال ﴿وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ من النساء ﴿وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ مصيرهم ﴿وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ عذبهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨] دائم.

﴿كَالَّذِينَ﴾ كعذاب الذين ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ من المنافقين ﴿كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ في البدن ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ﴾ فأكلوا نصيبهم من الآخرة في الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ﴾ وأكلتم نصيبكم من الآخرة في الدنيا ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل وكذبتم محمدا في السر ﴿كَالَّذِي خَاضُواْ﴾ بالباطل وكذبوا أنبياءهم ﴿أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة:٦٩] المغبونون بالعقوبة.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كيف أهلكناهم ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ أهلكناهم بالغرق ﴿وَعَادٍ﴾ قوم هود أهلكناهم بالريح العقيم ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح أهلكناهم بالرجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أهلكناهم بالهدم ﴿وأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب أهلكناهم بالصيحة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ المكذبات المتخسفات يعني قوم لوط، أهلكناهم بالخسف والحجارة ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا بهم فأهلكهم الله﴿ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بهلاكهم ﴿وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة:٧٠] بالكفر وتكذيب الأنبياء.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ المصدقون من الرجال ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ المصدقات من النساء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ على دين بعض في السر والعلانية ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد واتباع محمد ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الكفر والشكر وترك اتباع محمد ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ يتمون الصلوات الخمس ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ويعطون زكاة أموالهم ﴿وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في السر والعلانية ﴿أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾ فلا يعذبهم ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه وسلطانه ﴿حَكِيمٌ﴾[التوبة:٧١] في أمره وقضائه(١).

﴿وعد الله المؤمنين﴾ المصدقين من الرجال ﴿والمؤمنات﴾ المصدقات من النساء ﴿جنات﴾ بساتين ﴿تجري من تحتها﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأنهار﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين فيها في الجنة.

﴿وَمَسَاكِنَ﴾ منازل ﴿طَيِّبَةً﴾ قد طيبها الله بالمسك والأذفر والريحان. ويقال: حسنة جميلة، ويقال طاهرة.

﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ درجة العليا ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ ورضا ربهم أعظم مما هم فيه ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت لك ﴿هُوَ الْفَوْزُ﴾ النجاة ﴿الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢]الوافر.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٨/٢٠٢-٢٠٣}.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ اشدد عليهم على كلا الفريقين بالقول والفعل ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣] صاروا إليه.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ يحلف بالله جلاس بن سويد ما قلت الذي قال عامر بن قيس ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ كلمة الكفَّار بقوله حيث ذكر النبي صلى الله عليه وآله عيب المنافقين وما فيهم فقال: والله لئن كان محمد صادقاً فيما يقول في إخواننا لنحن شر من الحمير، فأخبر النبي صلى الله عليه عامر بن قيس عن قوله، فحلف بالله ما قلت، فكذبه الله فقال: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾[1].

﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ﴾ مع إسلامهم وهو الاستسلام ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ أرادوا قتل الرسول وإخراج الرسول، ولن يقدروا على ذلك.

﴿وَمَا نَقَمُواْ﴾ وما طعنوا على النبي وأصحابه ﴿إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من الغنيمة ﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ من الكفر والنفاق ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من الكفر والنفاق ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ عن التوبة ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وجيعاً ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ﴾ حافظ يحفظهم ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [التوبة:٧٤] مانع يمنعهم مما يراد بهم.

﴿وَمِنْهُم﴾ من المنافقين ﴿مَّنْ عَاهَدَ اللهَ﴾ حلف بالله يعني حاطب بن أبي بلتعة ﴿لَئِنْ آتَانَا﴾ أعطانا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ المال الذي له بالشام ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ يقول لنصدقن في سبيل الله ولنؤدين منها حق الله ولنصلن الرحم ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة:٧٥] من الحاجين.

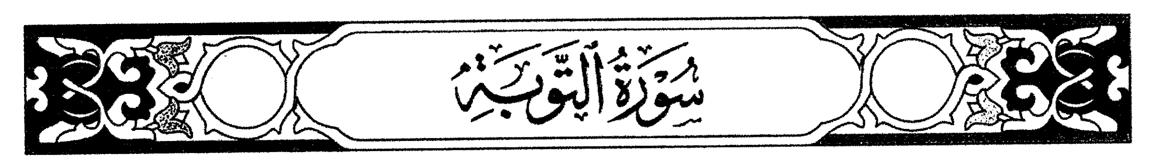
﴿فَلَمَّا آتَاهُم﴾ أعطاهم ﴿مِّن فَضْلِهِ﴾ المال الذي له بالشام ﴿بَخِلُواْ بِهِ﴾ بما وعدوا من حق الله ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ عن ذلك ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة:٧٦] مكذبون.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فجعل عاقبة على النفاق ومحكمة عليهم لسوء اختيارهم وإبطانهم بخلاف ما أظهروا من قولهم وفعالهم ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ بما أخلفوا بما وعدوا ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٧] وبكذبهم[2].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٥٩/٢-٦٠}.

(٢) همّ المنافقون بقتل عامر لردّه على الجلاس. وقيل: أرادوا أن يتوّجوا عبد الله بن أبيّ وإن لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وَمَا نَقَمُوا وما أنكروا وما عابوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفاً فاستغنى فَإِنْ يَتُوبُوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ بالقتل والنار. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٧٣/٥}.



ويقال: إن تخلفهم هو الذي أعقبهم النفاق إلى يوم يلقونه، وأول الآية يدل عليه، وذلك أنه أخبر أنهم لا يزالون منافقين إلى يوم القيامة لا يرجعون عن النفاق أبداً.

ثم بين الآية وأضاف ذلك كله إليهم لا إلى نفسه:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ خلوتهم ﴿وَأَنَّ اللهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة:٧٨] ما غاب عن العباد.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يطعنون على عبد الرحمن بن عوف وأصحابه في الصدقات، يقولون ما جاء هؤلاء بالصدقات إلا رياء وسمعة(١).

﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم، وكان هذا أبو عقيل عبد الرحمن بن تيحان لم يجدا إلا صاعاً من تمر ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ بقلة الصدقة يقولون: ما جاء به إلا ليذكر به ويعطى أكثر مما جاء به ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ عليهم يوم القيامة في الآخرة، يفتح لهم باباً إلى الجنة ويسخر المؤمنون عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩] وجيع في الآخرة. ويقال: يجزيهم جزاء الاستهزاء.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يقول إن تستغفر لعبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم ﴿أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سواء عليهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ يقال: وإن النبي صلى الله عليه وآله كان يستغفر قبل أن يعرفه الله تعالى حالهم﴿ذَلِكَ﴾ يعني العذاب ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في السر ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي﴾ لا يغفر ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠] المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، يعني لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة.

﴿فَرِحَ﴾ رضي ﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المنافقين ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بتخلفهم عن غزوة تبوك ﴿خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ﴾ خلف رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة

---

(١) روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حثّ على الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب. وقيل: بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف، فأقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً، وتصدّق عاصم بن عدىّ بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصارى رضى الله عنه بصاع من تمر فقال: بت ليلتي أجرّ بالجرير على صاعين، فتركت صاعا لعيالي، وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات، فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل، ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات، فنزلت إِلَّا جُهْدَهُمْ إلا طاقتهم. قرئ بالفتح والضم سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ كقوله: الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء. ألا ترى إلى قوله وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٢٩٣/٢}.

الله ﴿وَقَالُواْ﴾ بعضهم لبعض ﴿لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ﴾ لا تخرجوا مع محمد إلى غزوة تبوك في الحر الشديد ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ جمراً ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١] ويصدقون.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ في الآخرة ﴿جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:٨٢] يقولون ويعملون من المعاصي.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ﴾ من غزوة تبوك ﴿إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين في المدينة ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا﴾ إلى غزوة تبوك ﴿وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ﴾ بالجلوس ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عن غزوة تبوك ﴿فَاقْعُدُواْ﴾ عن الجهاد ﴿مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة:٨٣] مع القاعدين من النساء والصبيان(١).

﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ من المنافقين، يعني عبد الله بن أبي ﴿مَّاتَ أَبَدًا﴾ ويقال: على عبد الله بن أبي ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ﴾ ولا تدفن في قبره ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في السر ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤] منافقون(٢).

---

(١) {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} أي ردك إلى المدينة، وقال إلى طائفة ليخرج من تاب منهم أو اعتذر بعذر صحيح، ولأن جميع من أقام بالمدينة ما كانوا منافقين، بل كان بعضهم مخلصين معذورين، والمعنى فإن ردك الله سالماً إلى جماعة منهم {فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} إلى غزوة بعد غزوة تبوك {فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا} وهذا يجري مجرى الذم واللعن لهم، ومجرى إظهار نفاقهم وفضائحهم، وذلك لأن ترغيب المسلمين في الجهاد امر معلوم بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أن هؤلاء إذا منعوا عن الخروج إلى الغزو بعد إقدامهم على الاستئذان كان ذلك تصريحاً بكونهم خارجين عن الإسلام موصوفين بالمكر والخداع، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما منعهم من الخروج حذراً من مكرهم وكيدهم وخداعهم، فصار هذا المنع من هذا الوجه جارياً مجرى اللعن والطرد، ونظيره قوله تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٧٩/٤}.

(٢) قال الحسين بن القاسم عليه السلام: وهذا فرض من الله عز وحل على جميع العباد، قالوا: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم، فلما مرض رأسهم عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فقال: (أهلكك حب اليهود) فقال: يا رسول الله بعثت إليك لستغفر لي لا لتؤنبني، وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي بدنه ويصلي عليه، قيل: وكفنه مكافأة له؛ لأنه كسا العباس يوم بدر؛ ولأن المشركين يوم الحديبية أذنوا له بالدخول مكة دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع وقال: لي برسول الله أسوة، وقيل: فعل ذلك إكراماً لابنه عبد الله، وقد سأبه ذلك والقيام على قبره، فلم هم بالصلاة جذبه جبريل، وكان ذلك قبل النهي، وكان مجراهم مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لمصلحة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٨٠/٤}.

﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ﴾ يا محمد ﴿أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ﴾ كثرة أموالهم وكثرة أولادهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ في الآخرة ويقال: ﴿فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ تخرج أرواحهم في الدنيا ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:٨٥] مقدم ومؤخر بالعلامة والحكم.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ وأمر فيها ﴿أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ﴾ صدقوا بإيمانكم بالله ﴿وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾ مع رسول الله ﴿اسْتَأْذَنَكَ﴾ يا محمد ﴿أُوْلُواْ الطَّوْلِ﴾ الغنى ﴿مِنْهُمْ﴾ من المنافقين عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قيس ﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا﴾ يا محمد ﴿نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٨٦] بغير عذر.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ مع النساء والصبيان ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وهو السمة والشهادة، وقد تقدم تأويله ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨٧] لا يصدقون أمر الله.

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ في السر والعلانية ﴿جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ في سبيل الله ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ الحسنات المقبولات في الدنيا. ويقال: الجواري في الآخرة. ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة:٨٨] الناجون من سخط الله وعذابه.

﴿أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الماء والخمر والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿الْفَوْزُ﴾ النجاة ﴿الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٨٩] الوافر في الجنة، فازوا بالجنة وما فيها، ونجوا من النار وما فيها.

﴿وَجَاء﴾ إليك يا محمد ﴿الْمُعذِرُونَ﴾ مخففة من كان له عذر ﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾ من بني غفار، وإن قرأت ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ مشددة، يقول من لم يكن له عذر ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ لكي يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالتخلف عن غزوة تبوك(١).

(١) قرأ الأعرج والضحاك {الْمُعْذِرُونَ} مخففا. ورواها أبو كريب عن أبي بكر عن عاصم، ورواها أصحاب القراءات عن ابن عباس. قال الجوهري: وكان ابن عباس يقرأ {وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ} مخففة، من أعذر. ويقول: والله لهكذا أنزلت. قال النحاس: إلا أن مدارها عن الكلبي، وهي من أعذر؛ ومنه قد أعذر من أنذر؛ أي قد بالغ في العذر من تقدم إليك فأنذرك. وأما {الْمُعَذِّرُونَ} بالتشديد ففيه قولان: أحدهما أنه يكون المحق؛ فهو في المعنى المعتذر، لأن له عذرا. فيكون {المعذرون} على هذه أصله المعتذرون، ولكن التاء قلبت ذالا فأدغمت فيها وجعلت حركتها على العين. والقول الآخر أن المعذر قد يكون غير محق، وهو الذي يعتذر ولا عذر له. قال الجوهري: فهو المعذر على جهة المفعل؛ لأنه الممرض والمقصر يعتذر بغير عذر. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٤/٨}.

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ في السر، ويقال: خالفوا الله ورسوله في السر عن الجهاد بغير إذن ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ من المنافقين عبد الله بن أبي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٩٠] وجيع.

﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء﴾ من الشيوخ والزمنى[1] ﴿وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى﴾ من الشبان ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ مأثم التخلف ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ﴾ في الدين ﴿وَرَسُولِهِ﴾ في السنة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بالقول والفعل ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ من حرج ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩١] لمن مات على التوبة.

﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ إلى الجهاد بالنفقة، يعني عبد الله بن معقل بن يسار المزني[2]، وسالم بن عمير وأصحابهما[3].

﴿قُلْتَ﴾ لهم ﴿لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ إلى الجهاد من النفقة ﴿تَوَلَّواْ﴾ خرجوا من عندك ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ﴾ بأن لم يجدوا ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢] في الجهاد.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ الحرج ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ بالتخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاء﴾ بالمال، يعني عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم نحو سبعين رجلاً ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ مع النساء والصبيان ﴿وَطَبَعَ اللهُ﴾ ختم الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وهو السمة والعلامة والحكم والشهادة لما يستحقونه بسوء أعمالهم واختيارهم ﴿فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٩٣] أمر الله: لا يصدقون.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ من غزوة تبوك ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى المدينة بأنا لم نقدر أن نخرج معكم ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لاَّ تَعْتَذِرُواْ﴾ بالتخلف ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم بما تقولون من العلل ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ﴾ أخبرنا الله ﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ من أسراركم ونفاقكم ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ بعد هذا إن تبتم

---

(١) زمنا و زمنة و زمانة مرض مرضا يدوم زمانا طويلا. المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية {٨٣٣/١}.

(٢) عبد الله بن مغفل المزني: صحابي، من أصحاب الشجرة. سكن المدينة. ثم كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالصرة. فتحول إليها، وتوفي فيها. له ٤٣ حديثا. وقيل: وفاته سنة (٦٠ أو ٦١). الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، باب عبد الله بن مغفل {٩/٧}.

(٣) نزلت في سبع نفر ، منهم: عمروبن عبسة من بني عمرو بن يزيد بن عوف ، وعلقمة بن يزيد ، والحارث من بني واقد ،وعمرو بن حزام من بني سلمة ، وسالم بن عمير من عمرو بن عوف ، وعبد الرحمن بن كعب من بني النجار ، هؤلاء الستة من الأنصار ، وعبد الله بن معقل المزني ، ويكنى أبا ليلى عبد الله . انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٦٥/٢} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٨/٨}.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن العباد، ويقال ما يكون ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما علمه العباد، ويقال وما كان ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة:٩٤]من الخير والشر.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يعني يحلف بالله ﴿لَكُمْ﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ إذا رجعتم عن غزوة تبوك ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالمدينة ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ لتصفحوا عنهم ولا تعاقبوهم ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ ولا تعاقبوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ نجس وقذر ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:٩٥] يقولون ويعملون من الشر.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ بالحلف ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ بالحلف الكاذبة[1] ﴿فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٦] المنافقين.

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ هم أشد على الكفر والنفاق من غيرهم ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أحرى أيضاً ﴿أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ فرائض ما أنزل الله ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ في الكتاب ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمنافقين ﴿حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٩٧] فيما حكم عليهم بالعقوبة. ويقال: عليم بجهل ترك من يعلم العلم حكيم أن من لا يتعلم يكون جاهلاً.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ﴾ أسد وغطفان ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ غرماً ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ الموت والهلاك ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ منقلبة السوء وعاقبة السوء ﴿وَاللّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [التوبة:٩٨] بعقوبتهم.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ﴾ مزينة وجهينة وأسلم[2]﴿مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في السر والعلانية ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في الجهاد ﴿قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ﴾ قربة إلى الله في الدرجات ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ في جنته ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾[التوبة:٩٩] لمن مات على التوبة[3].

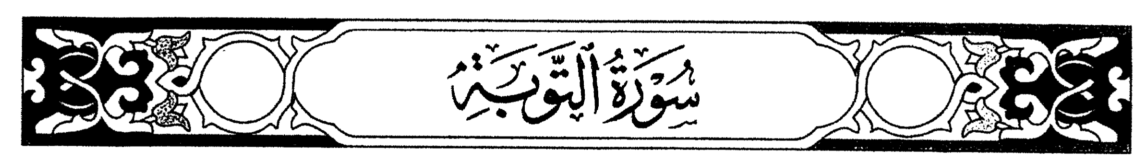
﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ بالإيمان الذين صلوا القبلتين وشهدوا بدراً ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ بأداء الفرائض واجتناب المعاصي إلى يوم القيامة ﴿رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ﴾ بإحسانهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بالثواب والكرامة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ من تحت

---

(١) أراد بالحلف اليمين واليمين مؤنث معنوي.

(٢) قال مجاهد: هم بنو مُقرِّن من مزينة. وقال الكلبي: أسلم وغفار وجهينة. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٨٦/٤}.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٣٥/٨}.



شجرها ومساكنها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ مقيمين فيها في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ذَلِكَ﴾ الرضوان والجنات ﴿الْفَوْزُ﴾النجاة ﴿الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] الوافر.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ﴾ أسد وغطفان ﴿مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿مَرَدُواْ﴾ ثبتوا وجمعوا ﴿عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ﴾ لا تعلم نفاقهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ونعلم نفاقهم ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ مرة عند قبض أرواحهم ومرة في القبر[١]. ويقال: في حال حياتهم وعند قبض أرواحهم[٢]، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١] عذاب جهنم.

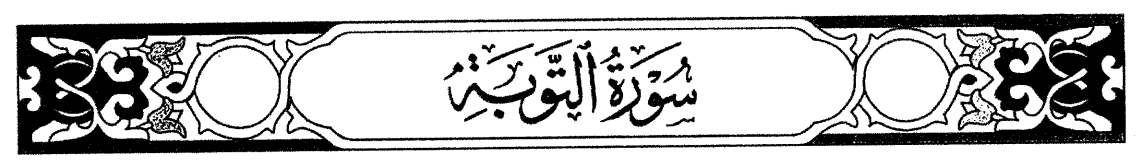
﴿وَآخَرُونَ﴾ من أهل المدينة قوم آخرون وديعة بن جذام الأنصاري، وأبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وأبو ثعلبة ﴿اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتخلفهم عن غزوة تبوك ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مرة ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفوا مرة ﴿عَسَى اللّهُ﴾ وعسى من الله واجب لأنه إطماع، والله لا يطمع إلا فيما يريد فعله ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أن يتجاوز عنهم ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تاب منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢]لمن مات على التوبة[٣].

---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٣٨٣/٢}.

(٢) الآيات توحي أن المرتين معاً قبل ان يردوا إلى عذاب النار يوم القيامة. بقوله تعالى (ثم يردون إلى عذاب عظيم) معناه ثم يرجعون يوم القيامة إلى عذاب عظيم مؤبد في النار. وقوله تعالى {ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون} [التوبة: ٨٥]. فجعل سبحانه المال والولد لهم عذابا في حياتهم وهما عندهم آثر ما يؤثرون، وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) هذه الآيات تدل على العذاب في الدنيا مرتين مرة بالحسرة ومرة بالغلبة. ومثلما قال الله تعالى للمؤمنين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[الصف: ١٠ - ١٣] الأولى في الدنياء نصر من الله ثم الفتح القريب. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، {٢٧١/١-٢٧٢}.

(٣) اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد فكان ممر رسول الله (صلى الله عليه وآله سلم) إذا رجع من المسجد عليهم فلما راهم قال: من هؤلاء الموثقون انفسهم بالسواري ؟ قالوا: هذا أبو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يارسول الله اوثقوا انفسهم حتى يطلقهم النبي (صلى الله عليه وآله سلم) ويعذرهم فقال النبي (صلى الله عليه وآله سلم) وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ويعذرهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا: نحن والله لا نطلق انفسنا حتى يكون الله هو الذين يطلقنا فأنزل الله: واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً واخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم فلما نزلت ارسل اليهم النبي (صلى الله عليه وآله سلم) فاطلقهم وعذرهم. انظر: تفسير ابن أبي حاتم، للرازي، {١٨٧٢/٦}.



ويقال: إنهم ندموا فأقبلوا على الله سبحانه تائبين، وهم الذين ذكر الله تعالى فقال: ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ [الفرقان من اية:٧٠] وليس تبديلها أن يكتب ما كان من سيئاتهم حسنات لهم، ولكن يبدل الله عز وجل حكم السيئات بحكم الحسنات.

ثم بين للنبي صلى الله عليه وآله ما يأخذ من أموالهم لقولهم خذ أموالنا لأنا تخلفنا عن غزوة تبوك لقبل الأموال، فلم يأخذ النبي صلى الله عليه وآله حتى بين الله فقال:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ من أموال المتخلفين ثلثاً ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ بها من الذنوب ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تصلحهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ استغفر لهم وادع لهم ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ استغفارك ودعاءك طمأنينة لقلوبهم بأن تقبل توبتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] بتوبتهم ونيتهم(١).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ ويقبل الصدقات ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤] لمن مات على التوبة.

ويقال: هذا في الزكوات أمره أن يأخذ منهم طوعاً وكرهاً.

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿اعْمَلُواْ﴾ خيراً بعد التوبة ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ ويرى ورسوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ويرى المؤمنون ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن العباد، ويقال: ما يكون ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما علمه العباد ويقال: ما كان ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥] وتقولون من الخير والشر.

﴿وَآخَرُونَ﴾ قوم آخرون من أهل المدينة كعب بن مالك(٢)، ومرارة بن الربيع(٣)، وهلال بن أمية(٤) تخلفوا عن غزوة تبوك ولما يفعلوا كما فعل أبو لبابة ﴿مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ﴾ موقوفون

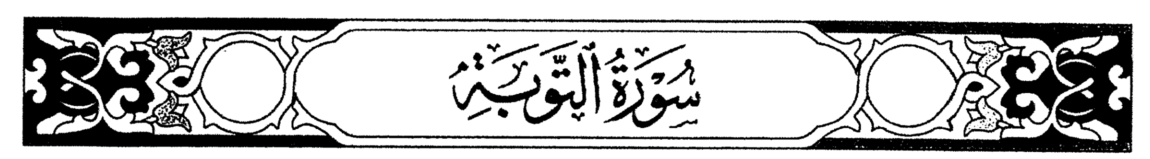
---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣٨٥/٢}

(٢) كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الانصاري السلمي (بفتح السين واللام) الخزرجي: صحابي، من أكابر الشعراء. من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء النبي صلى الله عليه وآله وشهد أكثر الوقائع. ثم كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثورة، وحرض الانصار على نصرته. ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه، وعمي في آخر عمره وعاش سبعا وسبعين سنة. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٦٢٠/١}.

(٣) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف ويقال إن أصله من قصاعة حالف بني عمرو بن عوف صحابي مشهور شهد بدرا على الصحيح هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم أخرجاه في الصحيحين من حديث كعب بن مالك في قصة توبته فقلت هل لقي أحد مثل ما لقيت قالوا هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرا وفي حديث جابر عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكلهم من الأنصار. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل العسقلاني، {٦٥/٦}.

(٤) هلال بن أمية بن عَامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عَامِر بن كعب بن واقف، واسمه مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي. شهدا بدرا وأحدا، وَكَانَ قديم الإسلام، كَانَ يكسر أصنام بني واقف، وكانت =



محبوسون أنفسهم لأمر الله ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ الله بتخلفهم عن غزوة تبـوك ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يتجاوز عنهم بتخلفهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بتوبتهم وتخلفهم ﴿حَكِيمٌ﴾[التوبة:١٠٦] فيما حكم عليهم[1].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ مضرة مضارة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾ ثباتاً على الكفر ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لكي يصلي طائفة في مسجدهم وطائفة في مسجد الرسول ﴿وَإِرْصَادًا﴾ انتظاراً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ لمن كفر بالله ورسوله ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبلهم وهو أبو عامر الراهب، وهو الذي سماه الرسول صلى الله عليه وآله فاسقاً ﴿وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ما أردنا ببناء المسجد ﴿إِلاَّ الْحُسْنَى﴾ إلا إحساناً على المؤمنين لكي يصلي فيه من فاتت صلاته في مسجد قباء ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧] في حلفهم[2].

﴿لاَ تَقُمْ﴾ لا تصلِّ ﴿فِيهِ﴾ في مسجد الشقاق ﴿أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ﴾ وهو مسجد قباء ﴿أُسِّسَ﴾ بني ﴿عَلَى التَّقْوَى﴾ على طاعة الله وذكره ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ دخل النبي صلى الله عليه وآله المدينة.

ويقال: أول مسجد بني في المدينة.

﴿أَحَقُّ﴾ وأصوب ﴿أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أن تصلي فيه ﴿فِيهِ﴾ في مسجد قباء ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ أن يغسلوا أدبارهم بالماء ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨] بالماء من الأدناس.

معه رايتهم يوم الفتح، وأمه أنيسة بنت هدم، أخت كلثوم بن الهدم الَّذِي نزل عَلَيْهِ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لِمَا قدم المدينة مهاجرا، وهو الَّذِي لاعن امرأته ورماها بشريك بن سحماء، وهو أحد الثلاثة الَّذِينَ تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم: هلال هَذَا، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: {وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، {٥/٣٨٠}.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٧٠}.

(٢) اعلم أنه تعالى لما ذكر أصناف المنافقين وطرائقهم المختلفة قال: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً} فصار التقدير كأنه قال: منهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً أي مضارة إخوانهم أصحاب مسجد قبا{وَكُفْراً} تقوية للنفاق {وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا. ومعنى {وَإِرْصَاداً} أي اعداداً وانتظاراً {لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وهو أبو عامر الراهب وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق، وكان قد تنصر وترهب قبل الإسلام، ثم أسلم، ثم ارتد، وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد: لا أجد قوماً يقاتلونم إلا قاتلتك معهم، فلم يزل مع المشركين فلما انهزم هوازن يوم حنين خرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنود تخرج محمد وأصحابه من المدينة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤/٤١٠}.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ بنى أساسه ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ﴾ على طاعة الله وذكره ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ وبنوا إرادة ربهم رضوان ربهم وهو مسجد قباء ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ بنى أساسه وهو مسجد الشقاق ﴿عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ﴾ على طرف هوة ليس له أصل ﴿هَارٍ﴾ غار ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ فغار به ثانية ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:١٠٩] لا يغفر للمنافقين ولا ينجيهم.

﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ﴾ بعدما تهدمت ﴿رِيبَةً﴾ حسرة وندامة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ إلا أن يموتوا ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ﴾ ببنيانهم مسجد الضرار ﴿حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١١٠] فيما حكم هدم مسجدهم وحرقه، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد رجوعه من غزوة تبوك عامر بن قيس ووحشي مولى مطعم بن عدي حتى أحرقاه وهدماه.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين ﴿أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ بالجنة ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في طاعة الله ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ العدو ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ ويقتلهم العدو ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿حَقًّا﴾ واجباً أن يوفيهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ من أوفى عهده من الله ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ الله، يعني الجنة ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١] النجاة الوافر[(١)].

(١) {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم}الآية نزلت في بيعة العقبة لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالإشتراء والثمن هو الجنة ولقد تاجرهم فاعلى لهم الثمن. وروي أن الأنصار حين بايعوا على العقبة قال له عبد الله بن رواحة رحمه الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال صلى الله عليه وآله وسلم اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ،وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك يا رسول الله فماذا لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية ومر أعرابي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقراؤها فقال كلام من كلام الله قال بيع والله مربح فلا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد ومعنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة أن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله أخذ من الله الجنة في الآخرة جزاء بما فعل {يقاتلون في سبيل الله}وفائدة مجيئ الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم لأنه المراد بقوله في سبيل الله وفائدة مجيء الأمر بمعنى الخبر التأكيد في الأمر كأنه قد فعل فأخبر عنه {فيقتلون ويقتلون}أعداء الله ورسوله ويقتلون يستشهدون والمعنى أنهم لا يخلون من إحدى الحسنيين في بذل الأنفس والأموال وقوله: {وعداً عليه}أي وعدهم الله بالجنة {وعداً عليه حقاً}أي واجب لا خلف فيه {في التوراة والإنجيل والقرآن}أي إن الله بين في الكتابين أنه اشترى من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنفسهم وأموالهم بالجنة كما بين في القرآن وأثبته فيهما كما أثبته في القرآن ثم قال: {ومن أوفى بعهده من الله} .
انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٣٩٢/٢}.

بين من هم فقال: ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي التائبون من الذنوب ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المطيعون ﴿الْحَامِدُونَ﴾ الشاكرون ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ﴾ في الصلوات الخمس ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد والإحسان ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وما لا يعرف من شريعة ولا سنة ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ لفرائض الله ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢] بالجنة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ ما جاز لمحمد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد ﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أن يدعوا للمشركين ﴿وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى﴾ في الرحم ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] أهل النار، أي ماتوا على الكفر.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾ دعاء إبراهيم ﴿لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ أي حين مات على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ومن دينه ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ دعَّاء ويقال: رحيم. ويقال: سيد، ويقال: كان يتأوه على نفسه فيقول: أوه من النار قبل دخول النار ﴿حَلِيمٌ﴾[التوبة:١١٤] من الجهل.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ ليترك قوماً بمنزلة الضلالة. ويقال: يبطل عمل قوم. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإيمان ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ يعني المنسوخ بالناسخ ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الناسخ والمنسوخ ﴿عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥] ويقال: لم يكن ليضل المؤمنين أي يعذبهم ويدخلهم النار بعد إذ هداهم إلى الإيمان ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ ما يستحقون به العقاب ليتقوه، وهذا الاستغفار للمشركين مما يستحق به عند الله العذاب لما فيه من موالاة الكافرين.

﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾ خزائن السموات الشمس والقمر و النجوم وغير ذلك ﴿وَالأَرْضِ يُحْيِي﴾ للبعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ قريب ينفعكم ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [التوبة:١١٦] مانع.

﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ تجاوز الله عن النبي ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ الذين صلوا القبلتين وشهدوا بدراً.

ثم بينهم فقال: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ اتبعوا النبي في غزوة تبوك ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ في حين العسرة والشدة، فكان لهم عسرة من الزاد، وعسرة من الظهر وعسرة من الحر، وعسرة من العدو، وعسرة من بعد الطريق ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ من المؤمنين المخلصين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وعلى آله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تجاوز عنهم وثبت قلوبهم حتى خرجوا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ تجاوز الله عن الثلاثة الذين خلف توبتهم كعب بن مالك وأصحابه هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع كلهم من الأنصار.

﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ بسعتها ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم بتأخير التوبة ﴿وَظَنُّواْ﴾ وعلموا وأيقنوا ﴿أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ﴾ ألا نجاة لهم من الله ﴿إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ بالتوبة من تخلفهم عن غزوة تبوك ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تجاوز عنهم وعفا عنهم ﴿لِيَتُوبُواْ﴾ لكي يتوبوا من تخلفهم ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨] لمن تاب.

وقوله: ﴿لمن تاب﴾ وقوله: ﴿ليتوبوا﴾ فإنه يقول: بسط لهم التوبة وقبلها ممن تاب منهم، ولولا ذلك ما كان يقدرون أن يتوبوا توبة يقبلها الله منهم أبداً.

وأما قوله: ﴿خلفوا﴾ وهذا مثل قول القائل: أين خلفتم فلاناً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يعني عبد الله بن سلام وأصحابه وغيرهم من المؤمنين ﴿اتَّقُواْ اللهَ﴾ أطيعوا الله فيما أمركم ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] مع علي عليه السلام وأصحابه في الجلوس والخروج في الجهاد.

وعن ابن عباس: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وأصحابه(١).

وعن جعفر عليه السلام في قوله: ﴿كونوا مع الصادقين﴾ مع آل محمد عليه السلام(٢).

﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ ما جاز لأهل المدينة ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ﴾ مزينة وجهينة وأسلم(٣) ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ﴾ في الغزاة ﴿وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ﴾ ولا يكونوا على أنفسهم أشفق من نفس النبي صلى الله عليه وآله. ويقال: ولا يرغبوا بصحبة أنفسهم عن صحبة النبي صلى الله عليه وآله في الجهاد ﴿ذَلِكَ﴾ يعني الخروج ﴿بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش في الذهاب والمجيء ﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلاَ مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في الجهاد ﴿وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا﴾ لا يجوزون مكاناً يظهرون عليه ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ بذلك ﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾ قتلاً وهزيمة ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ثواب عمل صالح في الجهاد ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ﴾ لا يبطل ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة:١٢٠] ثواب المؤمنين في الجهاد(٤).

---

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي،{١٠٩/٥} والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، {٥٨٢/٧}.

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٠٩/٥}.

(٣) سكان البوادي: مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٠٩/٤}.

(٤) اعلم أنه تعالى لما منع من التخلف أخبر أنه لا يصيبهم في ذلك السفر نوع من أنواع المشقة إلا وقد يوجب الثواب العظيم عند الله، ثم ذكر تعالى أموراً خمسة:

أولها: قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} أي ذلك الموجب لمتابعتهم سبب أنهم لا يصيبهم ظمأ وهو شدة =

﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾ قليلة ولا كثيرة في الذهاب والمجيء ﴿وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في طلب العلم. ويقال: في طلب جهاد العدو ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ ثواب عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٢١] في الجهاد.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وما جاز للمؤمنين ﴿لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ ليخرجوا جميعاً في السرية ويتركوا النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وحده ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ﴾ فهلا خرج ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ من كل جماعة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ وتبقى طائفة بالمدينة ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ﴾ لكي يتعلموا أمر الدين من النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ ليخبروا وليعلموا قومهم ﴿إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ﴾ من غزوتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] لكي يعلموا ما أمروا به وما نهوا عنه.

ويقال: نزلت هذه الآية في بني أسد أصابهم قحط وسنة، فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة فغلوا أسعار المدينة وأفسدوا طرقها بالعذرات فنهاهم الله عن ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد وأصحابه ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ من بني قريضة والنضير وفدك وخيبر، ومعنى يلونكم بينكم وأقرب إليكم من غيرهم فأوجب قتال الأقرب فالأقرب حتى لا يبقى على الأرض لله عز وجل مخالف وجاحد ﴿وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ﴾ منكم ﴿غِلْظَةً﴾ شدة ﴿وَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر المتقين ﴿أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣] يعني المؤمنين، يعني محمداً وأصحابه بالنصرة على أعدائهم.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أنزل جبريل سورة أو آية فيقرأها عليهم النبي صلى الله عليه وآله ﴿فَمِنْهُم﴾ من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ أي يقول بعضهم لبعض ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ﴾ السورة أو الآية

العطش، يقال: ظمأ فلان إذا اشتد عطشه.

وثانيها قوله: {وَلاَ نَصَبٌ} معناه الإعياء والتعب.

وثالثها قوله: {وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ} أي مجاعة شديدة في طريق الجهاد.

ورابعها قوله: {وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ} أي ولا يضع الإنسان قدمه ولا يضع فرسه حافره ولا يضع بعيره خفه، بحيث يصير ذلك سبباً لغيظ الكفار، ولا يتصرفون في أرضهم تصرفاً يغيظهم ويضيق صدرهم.

وخامسها قوله: {وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً} من قتل أو أسر، أو غنيمة أو هزيمة، أو غير ذلك وإن قل{إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} واستوجبوا الثواب، ونيل الزلف ى عند الله، فمالهم والتخلف عنه، دلت هذه الآية على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته، وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله، وكذا القول في طرق المعصية، فما أعظم بركة الطاعة وما أعظم شؤم المعصية، ثم قال تعالى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً} يريد تمرة فما فوقها {وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً} فالوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون مسلكاً للسيل، والجمع الأودية {إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ} ذلك الإنفاق، وذلك المسير {لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي ثواب هذه الأعمال؛ لأنها أحسن الأعمال وأفضلها. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤/٤١٠}.

﴿إِيمَانًا﴾ خوفاً ورجاء ويقيناً ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ صدقوا ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي ازدادوا بها إيماناً ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤] بما أنزل من القرآن.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ شكاً إلى شكهم بما أنزل من القرآن ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥] بمحمد والقرآن في السر.

وقوله: ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ أي ازدادوا بكفرهم بها، كما يقال: إن موعظتك ما تزيده إلا شراً إذا لم يقبلها[1].

﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون بإظهار مكرهم وخيانتهم ويقال بنقض عهودهم ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ﴾ من صنيعهم ونقض عهودهم ﴿وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦] يتعظون[2].

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ نزل جبريل بسورة فيها عيب المنافقين، فكان يقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وآله ﴿نَّظَرَ﴾ المنافقون ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ﴾ عن الصلاة والخطبة والحق والهدى ﴿صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي عن رحمته وثوابه التي جعلها الله للمؤمنين.

ويقال: مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قلوبهم عن ذلك بالحكم عليهم ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون﴾ [التوبة:١٢٧] أمر الله ولا يصدقونه.

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ عربي هاشمي مثلكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ شديد عليه ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أثمتم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ على إيمانكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بجميع المؤمنين ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان والتوبة وعما قلت لهم ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ﴾ يا محمد يقيني بالله ﴿لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا حافظ ولا ناصر إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اتكلت ووثقت ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الملك ﴿الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩] الكبير.

وهي كلها مدنية.

---

(١) وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار، ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ) ، (قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ) . وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ من مدّ الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره. وكذلك مدّ الدواة وأمدها: زادها ما يصلحها. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٦٧/١}.

(٢) فجعله الله لأعدائه ولمن لم يقبله وعَمِي عنه رجساً وتباراً، كما قال سبحانه: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلا يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ إِلاَّ خَسَاراً} [الإسراء: ٨٢]. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم، {٢١/٢}.

ومن السورة التي يذكر فيها يونس[1]

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله: تعالى: ﴿الر﴾ يقول أنا الله أرى[2]، ويقال قسم أقسم به[3].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس:١] أن هذه السورة آيات القرآن المحكم بالحلال والحرام.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ لأهل مكة ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ آدمي مثلهم ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ خوف أهل مكة بالقرآن ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ ثواب خير ويقال: مع صدق إيمانهم في الدنيا أقدمهم في الآخرة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ويقال: شفيع صدق عند ربهم ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾ قال كفار مكة ﴿إِنَّ هَـذَا﴾ إن هذا القرآن ﴿لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:٢] كذب بين.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا وأول يوم الأحد، وآخر يوم يوم الجمعة طول كل يوم ألف سنة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استوى على الملك، وقد تقدم تفسير ذلك[4]﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أمر العباد. ويقال: ينظر في الأمر من العباد، ويقال: يبعث الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لأحد ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ إلا بإذن الله ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ﴾ يفعل ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ فوحدوه ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُون﴾ [يونس:٣] أفلا تتعظون.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ صدقاً كائناً ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما

---

(١) وهي كلها مكية إلا آية واحدة عند رأس الأربعين، فإنها نزلت في اليهود، وهي مدنية، وذلك قوله تعالى: (وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٤٠]" ذكره المؤلف في نهاية السورة" وقال المفسرون: سورة يونس مكيّة وآياتها تسع ومائة تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠٩/٢} والتهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي ، {٣٣٠٧/٥} ومنهم من قال: سورة يونس مكية و آياتها تسع و مائة (١٠٩) هي مكية في قول الأكثرين و روي عن ابن عباس و قتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك » إلى آخرهن و قال ابن المبارك ألا « و منهم من يؤمن به » الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينة . انظر: تفسير مجمع البيان: امين الاسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي، مصدر الكتاب: المجمع العالمي لأهل البيت {١٣١/٥}.

(٢)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، { ٥٨٩/١٥}.

(٣)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠٢/٥}والجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله القرطبي،مصدرسابق{ ٢٢٤/١٨}.

(٤) في سورة الأعراف آية رقم [٥٤].

بينهم وبين ربهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل بالجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ من ماء حار قد انتهى حره ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٤] بمحمد والقرآن.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء﴾ للعالمين بالنهار ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ لهم بالليل ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ جعل له منازل ﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حساب الشهود والأيام ﴿مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ لتبيان الحق والباطل ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ يبين الآيات بعلامات الوحدانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥] يصدقون به.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في تقليب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ﴾ وفيما خلق الله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك ﴿وَالأَرْضِ﴾ وفيما خلق الله في الأرض من الشجر والدواب والجبال والبحار وغير ذلك ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات لوحدانية الرب ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦] يطيعون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ﴾ لا يخافون ﴿لِقَاءنَا﴾ البعث بعد الموت. ويقال: لا يقرون بالبعث بعد الموت. ﴿وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ اختاروا ما في الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ رضوا بها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ عن محمد والقرآن ﴿غَافِلُونَ﴾ [يونس:٧] جاحدون تاركون لها(١).

﴿أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ﴾ مصيرهم النار ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٨] يقولون ويعملون في الشرك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿يَهْدِيهِمْ﴾ يدخلهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ الجنة ﴿بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ من تحت شجرهم ومساكنهم ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:٩]. ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ في الجنة إذا اشتهوا شيئاً ﴿سُبْحَانَكَ اللَّـهُمَّ﴾ فيأتيهم الخدم بما يشتهون ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿سَلاَمٌ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ آخر دعائهم بعد الأكل والشرب ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

---

(١) اعلم أنه تعالى لما وصف الكفار بأنهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، وكانوا عن آيات الله غافلين، أخبر أن من غفلتهم أن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلم متى أنذرهم استعجلوا العذاب جهلاً منهم وسفهاً، فقال: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٤٣/٤}.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾ كاستعجال دعائهم بالخير ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لهلكوا ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ لا يخافون البعث بعد الموت ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في كفرهم وضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [يونس:١١] يمضون عُمهاً لا يبصرون.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ﴾ أصابت الكافر الشدة أو المرض، وهو هشام بن مغيرة المخزومي(١) ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ زيلنا عنه ما كان به من الشدة والبلاء ﴿مَرَّ﴾ استمر على ترك الدعاء ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ﴾ إلى شدة ﴿مَّسَّهُ كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢] في الشرك، يعني الدعاء في الشدة، وترك الدعاء في الرخاء.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ حين كفروا ﴿وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ بما كذبوا يوم الميثاق وقبل الهلاك ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس:١٣] المشركين بالهلاك، ويوم الميثاق وقت قيام الحجة ولزوم التكليف.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا محمد ﴿خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ استخلفناكم في الأرض ﴿مِن بَعْدِهِم﴾ من بعد هلاكهم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٤] ماذا تعلمون من الخير.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يقول وإذا قرئ على المستهزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه آياتنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ مبينات بالأمر والنهي ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ لا يخافون البعث بعد الموت وهم المستهزؤون ﴿ائْتِ﴾ يا محمد ﴿بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أو غيره فاجعل آية الرحمة آية العذاب وآية العذاب آية الرحمة ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ما يجوز لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ أوأغيره ﴿مِن تِلْقَاء نَفْسِي﴾ من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ ما أقول ولا

---

(١) ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير، فمعناه أن الرجل إذا غضب على نفسه أو ولده أو ماله أن يدعو بالشر فيقول: لا بارك الله فيه، أو أهلكه الله، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضي إليهم أجلهم، أي لهلكوا، ثم قال: {فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} أي يتركهم ....في العمه وهو عمه الرأي خاصة، وقيل: المعنى فيحصل الذين لا يؤمنون بالبعث في جزاء طغيانهم وتجاوزهم الحد في الكفر وضلالهم يعمهون، أي يترددون في العذاب.

واعلم أن وجه إيصال هذا بما قبله أن قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل، كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون، فنمهلهم مع طغيانهم، ونقيض النعمة عليهم إلزاماً للحجة وقطعاً للمعذرة. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٤٤/٤}.

أعمل إلا ما يوحي إليَّ في القرآن ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ أعلم ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ فبدلته أن يكون علي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس:١٥] شديد(١).

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّوْ شَاء اللهُ﴾ ألا أكون رسولاً ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ ما قرأت القرآن عليكم ﴿وَلاَ أَدْرَاكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ﴾ مكثت فيكم ﴿عُمُرًا﴾ أربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ولم أقل من هذا شيئاً ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانية أنه ليس من تلقاء نفسي.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أعتى وأجرأ على الله ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ﴾ اختلق على الله ﴿كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ لا ينجو ولا يأمن ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾[يونس:١٧] المشركون من عذاب الله(٢).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ يعني كفار مكة ﴿مَا لاَ يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء﴾ يعني الأوثان ﴿شُفَعَاؤُنَا﴾ يشفعون لنا ﴿عِندَ اللهِ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللهَ﴾ أتخبرون الله ﴿بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾ بما يعلم أن ليس ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ إله ينفع أو يضر غيره ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿وَتَعَالَى﴾ ارتفع وتبرأ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨] به من الأوثان.

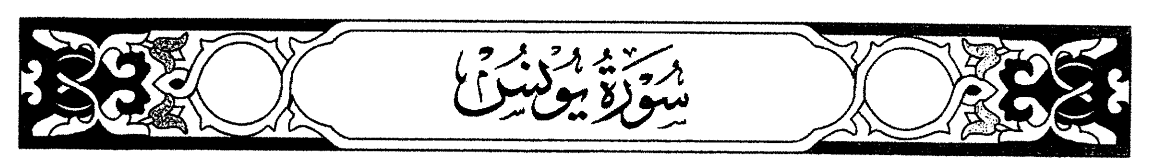
﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ﴾ في زمن إبراهيم، ويقال في زمن نوح ﴿إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملة واحدة، ملة الكفر، ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(٣) ،﴿فَاخْتَلَفُواْ﴾ وصاروا مؤمنين وكافرين ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ﴾ بتأخير العذاب عن هذه الأمة ﴿سَبَقَتْ﴾ وجبت ﴿مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لهلكوا ﴿فِيمَا فِيهِ﴾ في الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾[يونس:١٩] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني كفار مكة:﴿لَوْلاَ أُنزِلَ﴾ هلا أنزل ﴿عَلَيْهِ آيَةٌ﴾

---

(١) قال مجاهد وقتادة : نزلت في جماعة من مشركي مكة. وقال مقاتل: في خمسة نفر: عبد الله بن أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن وائل. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، {٢٣/٦}.

(٢) (فمن أظلم ممن افترى على الله) يعني من أظلم لنفسه ممن يكذب عليه فيضيف اليه تحريم مالم يحرمه وتحليل مالم يحلله (ليضل الناس بغير علم) أي عمل القاصد إلى إضلالهم من اجل دعائه إلى ما يشك بصحته مما لا يؤمن ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد إضلالهم، فلذلك قال (ليضل الناس بغير علم). ثم أخبر (ان الله لا يهدي) إلى الثواب (القوم الظالمين) لانهم مستحقون للعقاب الدائم بكفرهم وضلالهم. فهذا هو اشد أنواع الظلم الذي تترتب عليه كل مظلومية. انظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، {٣٠٢/٤}.

(٣)البقرة من الآية: ٢١٣.



علامة ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ على ما يقول ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّـهِ﴾ عند الله بنزول آيات الله ﴿فَانْتَظِرُواْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِين﴾ [يونس:٢٠] لهلاككم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ أعطينا الكفار ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّاء﴾ شدة ﴿مَسَّتْهُمْ﴾ أصابتهم ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ تكذيب ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أشد عقوبة، أهلكهم يوم بدر ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُون﴾ [يونس:٢١] من الكذب وتعملون من المعاصي والمكر والخداع والاستهزاء من الله على سبيل العقوبة ومجازاتهم على فعلهم، والمراد بها ما وصفنا فكما قال: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (١).

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يحفظكم إذا سافرتم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ وفي البحر على السفن ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ وكنتم في السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ جرين السفن بأهلها ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ساكنة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ أعجب الملاحون بها بالريح الطيبة الساكنة ﴿جَاءتْهَا﴾ إلى السفن ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ قاصف شديد ﴿وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ﴾ وركبهم الموج ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من كل ناحية ﴿وَظَنُّواْ﴾ علموا وأيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أهلكوا ﴿دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مفردين له بالدعاء ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ﴾ الريح والشدة ﴿لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِين﴾[يونس:٢٢] من المؤمنين المطيعين.

﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ﴾ من الريح والشدة والغرق ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ يتطاولون ﴿فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بلا حق.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم وتطاولكم فيما بينكم ﴿عَلَى أَنفُسِكُم﴾ جنايته ﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ منافع الدنيا تفنى ولا تبقى ﴿ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم﴾ نخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾ [يونس:٢٣] وتقولون من الخير والشر.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في بقائها وفنائها ﴿كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء﴾ يعني المطر ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ بنبات الأرض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ يعني الحبوب والثمار ﴿وَالأَنْعَامُ﴾ يعني العكرش(٢) النبات والحشيش ﴿حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ بالأحمر والأصفر والأخضر ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ الحارثون ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ على غلاتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾

---

(١)البقرة من الآية: ١٩٤.

(٢) العِكْرِشُ بالكسر: نبات شِبه الثَّيل خَشِنٌ أنشد خشونة من الثيل تأكله الأرانب والعِكْرِشة الأَرْنب الضخمة قال ابن سيده هي الأرنب الأنثى سميت بذلك لأنها تأكل هذه البَقْلة. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣١٩/٦}.

عذابنا ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَارًا﴾ فأفسد زروع الزارعين ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ كحصيد السيف ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ لم تكن بالأمس ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبين القرآن في فناء الدنيا ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون ﴾[يونس:٢٤]في أمر الدنيا والآخرة.

﴿وَاللّهُ يَدْعُو﴾ الخلق بالتوحيد ﴿إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾ والسلام هو الله والجنة داره ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾ [يونس:٢٥]دين قيم قائم يرضاه وهو الإسلام.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وحدوا ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ يعني الزيادة في الثواب ﴿وَلاَ يَرْهَقُ﴾ لا يعلوا ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد وكسوف ﴿وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [يونس:٢٦].

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك بالله ﴿جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ يقول قصاص الشرك بالله النار ﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ تعلوهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ من مانع ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ يعني سواداً من الليل المظلم ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [يونس:٢٧].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ يعني الكفار وآلهتهم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ بالله الأوثان ﴿مَكَانَكُمْ﴾ قفوا ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ آلهتكم ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ فرقنا بينهم وبين آلهتهم فقال الكافرون أمرنا هؤلاء أن نعبدهم من دونك ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ يعني آلهتهم رداً عليهم ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُون﴾ [يونس:٢٨] بأمرنا فقالوا بلى أمرتمونا بعبادتكم فقال الآلهة:﴿فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾ قد كنا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إيانا ﴿لَغَافِلِين﴾ [يونس:٢٩] لجاهلين لم نعلم من ذلك شيئاً، وذلك أن المشركين كانوا يقولون في الدنيا إنهم معهم وإنهم شفعاؤهم، فيخذلهم شفعاؤهم في الآخرة، ويشهدون أن الله تعالى على غفلتهم وعبادتهم شهيدٌ.

﴿هُنَالِكَ﴾ عند ذلك ﴿تَبْلُوا﴾ أي تُخبَر، ويقال: تَعلم، وإن قرأت تتلو بالتاء فتقرأ صحيفتها، ويقال: تتبع ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ ما عملت وقدمت من خير وشر ﴿وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم﴾ بطل واشتغل عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُون﴾[يونس:٣٠]يعبدون بالكذب(١).

ويقال: يجون أن يكون هؤلاء الشركاء الأصنام ينطقها الله تعالى ويحتمل أن تكون الملائكة عليهم السلام والجن الذين كانوا يعبدونهم(٢).

(١) انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {١٥٣}.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٣٤٤/٢} ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٣١/٤}.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار أهل مكة ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ بالنبات والثمار ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾ يقول من يقدر أن يخلق السمع والأبصار ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يقول من يقدر أن يخرج الحي من الميت يعني النسمة والدواب من النطفة، ويقال: الطير من البيضة. ويقال: السنبلة من الحبة.

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ النطفة من النسمة والدواب. ويقال: البيضة من الطير. ويقال: الحبة من السنبلة.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ يقول ومن يقدر أن يدبر أمر العباد وينظر ويبعث الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ يفعل ذلك كله ﴿فَقُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَفَلاَ تَتَّقُون﴾ [يونس:٣١] عبادة غير الله، وتطيعون الله.

﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ﴾ يفعل ذلك الحق هو ﴿الْحَقُّ﴾ وعبادته الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ فماذا عبادتكم بعد عبادة الله إلا عبادة الشيطان ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُون﴾ [يونس:٣٢] من أين تكذبون على الله[1]. ويقال: انظر يا محمد كيف يَصرفُونَ الكذب.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ كفروا ﴿أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُون﴾ [يونس:٣٣] في علم الله.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ من آلهتكم ﴿مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من النطفة ويجعل فيه الروح ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت يوم القيامة، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من النطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يحييه يوم القيامة ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُون﴾ [يونس:٣٤] انظر يا محمد كيف تصرفون بالكذب. ويقال: فمن أين يكذبون.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ من آلهتكم ﴿مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ والهدى فإن أجابوك وإلا فـ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾والهدى﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾والهدى﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ أن يعبد ويطاع ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ﴾ للحق والهدى ﴿إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾ يحمل ويذهب به حيث يراد ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون﴾ [يونس:٣٥] بئس ما تقضون لأنفسكم.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ يعبد ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ آلهة ﴿إِلاَّ ظَنًّا﴾ إلا بالظن ﴿إَنَّ الظَّنَّ﴾ عبادتهم بالظن ﴿لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُون﴾ [يونس:٣٦] في الشرك من عبادة الأوثان وغير ذلك.

---

(١) انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي، {٣٣٦٣/٥} و الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٣٥/٨}

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ﴾ الذي يقرأ عليكم محمد ﴿أَن يُفْتَرَى﴾ أن يختلق ﴿مِن دُونِ اللهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ موافقاً للتوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة ونعت محمد ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبيان القرآن بالحلال والحرام والأمر والنهي ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس:٣٧] (١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون كفار مكة ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلق محمدٌ القرآن من تلقاء نفسه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ مثل سورة البقرة ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ استعينوا على ذلك مَن عبدتم مِن دون الله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٣٨] أن محمداً يختلقه من تلقاء نفسه.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ بما لم يدرك علمهم ولم يحيطوا علماً بالقرآن ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ﴾ ولم يأتهم ﴿تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما وعدهم في القرآن ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذَّب قومك بالكتب والرسل ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بالكتب والرسل ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ أمر ﴿الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:٣٩] المكذبين بالكتب والرسل.

﴿وَمِنهُم﴾ من اليهود ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن قبل موته ﴿وَمِنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن ويموت على الكفر ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[يونس:٤٠]بمن يؤمن وبمن لا يؤمن به.

ويقال: نزلت هذه الآية في المشركين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يعني قومك بما تقول لهم ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ وديني ﴿وَلَكُمْ﴾ عليكم ﴿عَمَلُكُمْ﴾ ودينكم ﴿أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾ وأدين ﴿وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١]وتدينون.

﴿وَمِنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إلى حديثك وكلامك ويقال: من مشركي العرب من يستمع إلى حديثك ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ﴾ يا محمد ﴿الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[يونس:٤٢]من كأنهم لا يعقلوا(٢).

---

(١) {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى} أي ما صح وما استقام أن يكذب ويختلق {مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي ما كان ليخترع من غير الله، ولكن أن يقوم مقام اللام وهي لام الأفعال المستقلة {وَلَكِنْ} كان {تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} من الكتب المتقدمة {وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ} أي ما كتب وفرض من الأحكام من قوله: كتاب الله عليكم {لا رَيْبَ فِيهِ} يعني منتفياً عنه الريب كائناً {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٧٣/٤}.

(٢) {ومنهم من يستمعون إليك} أي ومن المكذبين ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يعون ولا يقبلون. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٣٨/٢}.

يبدو ان الخطاب لمن هم مؤمنين مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) وقوله تعالى (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) وقوله تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) وأمثال هذه الآيات كثير.

﴿وَمِنهُم﴾ من اليهود، ويقال: من المشركين ﴿مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي﴾ ترشد إلى الهدى ﴿الْعُمْيَ﴾ من كأنه أعمى ﴿وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [يونس:٤٣]، ومع ذلك لا يريدون أن يبصروا الحق.

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد على سيئاتهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ وقال أهل كل دين لرُسُلِهِم ﴿مَتَى هَـٰذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا به ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٤٨] إن كنتم من الصادقين.

﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ دفع ضر ﴿وَلاَ نَفْعًا﴾ جر النفع ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللهُ﴾ إلا ما ملكنيه الله وأقدرني عليه من النفع والضر ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مهلة ووقت ﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ﴾ وقت هلاكهم ﴿فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ قدر ساعة ﴿وَلاَ يَسْتَقْدِمُون﴾ [يونس:٤٩] قبل الأجل.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ عذاب الله ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ أي كيف تصنعون ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ بماذا يستعجل ﴿مِنْهُ﴾ من عذاب الله ﴿الْمُجْرِمُون﴾ [يونس:٥٠] المشركون قالوا لن نؤمن قل لهم يا محمد:﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ يقول إذا نزل عليكم العذاب ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ ويقال: ثم ها هنا يعني هنالك قالوا نعم، قل يا محمد يقال لكم:﴿آلآنَ﴾ تؤمنون بالعذاب ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ﴾ العذاب ﴿تَسْتَعْجِلُون﴾[يونس:٥١] قبل هذا استهزاءً بهم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون﴾ [يونس:٥٢] وتقولون وتعملون في الدنيا.

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ يعني العذاب والقرآن ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ نعم وربي ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ صدق وكائن يعني العذاب ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِين﴾ [يونس:٥٣] بفائتين من عذاب الله.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أشركت بالله ﴿مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ﴾ تفادت به نفسها من عذاب الله ﴿وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ﴾ أخفوا الندامة من الشغلة ﴿لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ حين رأوا العذاب ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ وبين السفلة ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾ [يونس:٥٤] لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم[1]، ويقال: أسرَّ أظهر وهو من الأضداد.

---

(١) {وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ} أي بفائتين العذاب، وهو لاحق بكم لا محالة، ولابد من تقدير محذوف فيكون وما أنتم بمعجزين لمن وعدكم بالعذاب أن ينزله عليكم، والغرض منه التنبيه على أن أحداً لا يجوز أن يمانع ربه ويدافعه عما أراد وقضى، ثم إنه تعالى بين أن هذا الجنس من الكلمات إنما يجوز عليهم ما داموا في الدنيا، فأما إذا حضروا محفل القيامة وعاينوا قهر الله وآثار عظمته، وتركوا واشتغلوا بأشياء أخرى، ثم إنه تعالى حكى عنهم ثلاثة أشياء: {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ} أي لاستخلصت به نفسها من العذاب، وجعلته فدية لها، فبتقدير أن تلك خزائن الأرض وأموالها وجميع منافعها على كثرتها وجعلت فإنه لا ينفعها الفداء، لقوله تعالى: {وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} وقال في صفة هذا اليوم: {لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ}.ثانيها: قوله: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٨٧/٤}.

﴿أَلا إِنَّ لِلَّـهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿أَلاَ إِنَّ وَعْـدَ اللهِ حَـقٌّ﴾ كائن البعث بعد الموت ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥٥] ولا يصدقون.

﴿هُوَ يُحْيِي﴾ للبعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس:٥٦] بعد الموت.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ نهي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَشِفَاء﴾ بيان ﴿لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العمى ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأصحابك ﴿بِفَضْلِ اللهِ﴾ بالقرآن الذي أكرمكم به ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ والإسلام الذي وفقكم له ﴿فَبِذَلِكَ﴾ فبالقرآن والإسلام ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ﴾ يعني القرآن والإسلام ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] مما يجمع اليهود والمشركون من الأموال.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُم﴾ ما خلق الله لكم ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾ من حرث وأنعام ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا﴾ على النساء منفعتها يعني منفعة البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿وَحَلاَلاً﴾ للرجال ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿اللهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أمركم بذلك ﴿أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩] تختلقون الكذب.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ يختلقون على الله الكذب ماذا يفعل بهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ منٍ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ بتأخير العذاب ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:٦٠] لذلك ولا يؤمنون.

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ في أمر ﴿وَمَا تَتْلُو﴾ عليهم ﴿مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾ سورة أو آية ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ خيراً أو شراً ﴿إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ﴾ على أمركم وتلاوتكم ﴿شُهُودًا﴾ عالماً ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾تخوضون في القرآن بالتكذيب﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾يغيب﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن النملة الحمراء من أعمال العباد ﴿فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ﴾ أخف ﴿مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ﴾ أثقل ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١] يقول مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ﴾ المؤمنين ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] على ما خلفوا من خلفهم.

ثم بين الله من هم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣] الكفر والشرك والفواحش ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ بالرؤيا الصالحة يرونها أو تُرى لهم(١).

---

(١)انظر: تفسير ابن أبى حاتم ، للرازي ، {١٩٦٥/٦}.

ويقال: الوعد الحسن والعون والنصرة[1] ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ بالبشرى للمؤمنين بالجنة في الدنيا والآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ البشرى ﴿هُوَ الْفَوْزُ﴾ النجاة ﴿الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٣] الوافر، فازوا بالجنة وما فيها، ونجوا من النار وما فيها.

﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم إياك ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾ والقدرة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ بهلاكهم ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالتهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [يونس:٦٤] بفعلهم وعقوبتهم.

﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق يُحَوِلَهُم كيف يشاء ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ يعبد ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ شُرَكَاء﴾ آلهة من الأوثان ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ ما يتبعون ﴿إِلاَّ الظَّنَّ﴾ إلا بالظن بغير يقين ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ ما هم يعني الرؤساء ﴿إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [يونس:٦٦] يكذبون للسفلة.

﴿هُوَ الَّذِي﴾ إلهكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ لتستقروا فيه ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئاً للذهاب والمجيء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكرت ﴿لآيَاتٍ﴾ لعبرات ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧] مواعظ القرآن ويطيعون.

﴿قَالُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ من الملائكة والأوثان ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن الولد والشريك ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿إِنْ عِندَكُم﴾ ما عندكم ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾ من كتاب ولا حجة ﴿بِهَذَا﴾ إنما تقولون على الله الكذب ﴿أَتقُولُونَ﴾ بل تقولون ﴿عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٦٨] ذلك من الكذب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ يختلقون ﴿عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [يونس:٦٩] لا ينجون من عذاب الله ولا يأمنون. ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يعيشون في الدنيا قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعد

---

(١) وقد تأتي البشرى من مثل قوله سحانه وتعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم) [الأنفال: ١٠] وقوله سحانه وتعالى: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين)[الصف: ١٣] وقوله سحانه وتعالى: (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوب) [هود: ٧١]...الخ

الموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ الغليظ ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٧٠] بمحمد والقرآن، ويكذبون على الله[(١)].

﴿وَاتْلُ﴾ واقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أهل مكة ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبر نوح في القرآن ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾ طُولُ مقامي ومكثي فيكم ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ وتحذيري إياكم ﴿بِآيَاتِ اللّهِ﴾ من عذاب الله ﴿فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وثقت وفوضت أمري إلى الله ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ﴾ فاجتمعوا على أمر واحد ﴿وَشُرَكَاءكُمْ﴾ واستعينوا بآلهتكم ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يقول لا تلبسوا أمركم وقولكم على أنفسكم ﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ﴾ امضوا ﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١] يقول لا ترقبوا فيَّ أحداً منكم ولا تناظرون.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان بما جئتكم به ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإيمان ﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾ من جُعلٍ ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي بما دعوتكم إلى الإيمان ﴿إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢] مع المسلمين على دينهم.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني نوحاً بما أتاهم به ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَن مَّعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ في السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ خلفاء وسكان الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ وكتابنا ورسولنا نوح ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس:٧٣] آخر أمر الذين أنذرَتهُم الرسل فلم يؤمنوا.

---

(١) قال الحسين بن القاسم عليه السلام: اعلم أن قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} يدخل في هذه الصورة، ولكنه لا يختص بهذه الصورة، بل كل من قال في ذات الله وفي صفاته قولاً بغير علم وبغير حجة وبينة، كان داخلاً في هذا الوعيد، ومعنى لا يفلحون هو لا يظفرون في سعي، ولا يفوزون بمطلوب، بل خابوا وخسروا، ومن الناس من إذا فاز بشيء من المطالب العاجلة والمطالب الخسيسة كان كأنه قد فاز بالمطلب الأقصى، والله سبحانه أزال هذا الخيال بأن قال: {مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا} أي افتراؤهم وغيره متاع قليل، أي نفع قليل في الدنيا، يقيمون به رئاستهم ومناصبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده، وهو معنى قوله: {ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ} أي النار {بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} واستعار الذوق في العذاب كما هو في النعيم، فأخبر الله تعالى أن ذلك المقصود الخسيس متاع قليل في الدنيا، ثم لابد من الموت، وعند الموت لابد من الرجوع إلى الله، وعند هذا الرجوع لابد وأن يذيقه الله العذاب الشديد بسبب ذلك الكفر، وهذا كلام في غاية الانتظام ونهاية الحسن والجمال. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٩٩/٤}.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد هلاك قوم نوح ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ ليصدقوا ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ﴾ من قبل الرسل وقبل إتيان الرسل ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس:٧٤]من الحلال إلى الحرام، وقد تقدم ذكر الطبع والختم(١).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ ورؤسائه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ وكتابنا. ويقال: بآياتنا التسع: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، ويقال: الطمس(٢).

﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان بالكتب والرسل والآيات ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس:٧٥] مشركين.

﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ الكتاب والرسول والآيات ﴿قَالُواْ إِنَّ هَـذَا﴾ الذي جاء به موسى ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:٧٦]كذب بين وإن قرأت بالألف أرادوا به موسى ساحر كذاب(٣).

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ للكتاب والرسول والآيات ﴿لَمَّا جَاءكُمْ﴾ حين جاءكم ﴿أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧] لا يأمن الساحرون من عذاب الله.

﴿قَالُواْ﴾ لموسى ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا﴾ من عبادة الأوثان ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء﴾ الملك والسلطان ﴿فِي الأَرْضِ﴾ في أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٧٨]بمصدقين.

---

(١) في تفسير قوله تعالى: (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) [البقرة: ٧].

(٢) ثُمّ رجع إلى القرى الخالية التي عذبت، فقال: (تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها يعني حديثها وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ) يعني بيان العذاب فَإِنَّهُ نازل بهم فِي الدُّنْيَا وذلك أن النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- أخبر كفار مكة بأن العذاب نازل بهم فكذبوه بالعذاب فأنزل اللَّه: (فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) يَقُولُ فَمَا كان كفار مكة ليؤمنوا يعني ليصدقوا أن العذاب نازل بهم فِي الدُّنْيَا بما كذبت به أوائلهم من الأمم الخالية من قبل كفار مكة حين أنذرتهم رسلهم العذاب يقول الله: (كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ يعني هكذا يختم اللَّه بالكفر عَلَى قُلُوبِ الْكافِرِينَ وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) وذلك أن الله أخذ ميثاق ذرِّيَّة آدم عَلَى المعرفة فأقروا بذلك فلمَّا بلغوا العمل نقضوا العهد (وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ) (ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني من بعد الرسل (مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ) يعني اليد والعصا فَظَلَمُوا بِها يعني فجحدوا بالآيات وقالوا ليست من اللَّه فَإِنَّهَا سحر (فَانْظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٤٥/١}.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٢٠/٤}.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [يونس:٧٩] حاذق. ﴿فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس:٨٠] من العصي والحبال، ﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ﴾ عصيهم وحبالهم ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ وما طرحتم هو السحر ﴿إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيهلكه ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ﴾ لا يرضى ﴿عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١] الساحرين.

﴿وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ﴾ يظهر الله دينه الحق ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بتحقيقه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٨٢] وإن كره المشركون أن يكون ذلك.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾ فما صدق لموسى بما جاء به ﴿إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ من قوم فرعون كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل فآمنوا بموسى ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أن يقتلهم ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ لمخالف ﴿فِي الأَرْضِ﴾ لدين موسى ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس:٨٣] لمن المشركين.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:٨٥] المشركين أي لا تسلطهم علينا فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل(١).

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس:٨٦] يعني فرعون وقومه والتسليط التخلية.

ويقال: معناه لا تمتحنا ولا تخل بيننا وبينهم، وادفع عنا شرهم، قالوا ذلك لما خافوا على أنفسهم من قلة الصبر والجزع.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ﴾ هارون ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ أي أن اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ مساجد في جوف البيوت ﴿وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ﴾ مساجدكم ﴿قِبْلَةً﴾ نحو الكعبة ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ وأتموا الصلاة ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧] بالنصرة والنجاة والجنة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿إِنَّكَ آتَيْتَ﴾ أعطيت ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ﴾ رؤساءه ﴿زِينَةً﴾ زهرة ﴿وَأَمْوَالاً﴾ كثيرة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بذلك عبادك ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٤٦/٤}.

عن دينك وطاعتك أو ليصلوا هم ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ غير أموالهم ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ احفظ على قلوبهم[1].

ويقال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها. ويقال: اجعلها حجارة ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أهلكهم كفاراً، ﴿فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨] يعني الغرق.

ويقال: إن في الآية تقديماً وتأخيراً، يقول لهذا آتيتهم زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ليضلوا فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم يريد بذلك أنك لم تعطهم ليكفروا، وإنما اعطيتهم ليؤمنوا ويشكروا فأبوا إلا فساداً وكفراً، وهذا من موسى عليه السلام فعجب منهم شديد كيف صاروا إلى هذا الفعل واجترأوا عليه، وهذا جرى مجرى الاستفهام وهو يريد الإنكار، كقوله تعالى لعيسى عليه اسلام: ﴿ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ الله ﴾[2] لكنه حذف حوف الاسستفهام كما قال الشاعر[3]: كَذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيت بواسطٍ

يريد أكذبت، وقوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ معطوف على قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾.

ثم ﴿قَالَ﴾ الله لموسى وهارون ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ على الإيمان والطاعة وتبليغ الرسالة ﴿وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩] توحيد الله ولا يصدقونه، يعني فرعون وقومه.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عبرنا ببني إسرائيل ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ جموعه فذهب خلفهم فرعون وجموعه ﴿بَغْيًا﴾ من المقالة ﴿وَعَدْوًا﴾ أرادوا قتلهم ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ ألجمه الغرق ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ موسى وأصحابه ﴿وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠] على دينهم، فقال له جبريل: ﴿آلآنَ﴾ تؤمن بعد الغرق ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ كفرت ﴿قَبْلُ﴾ قبل الغرق ﴿ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[يونس:٩١] في أرض مصر بالقتل والشرك والدعاء إلى غير عبادة الله.

---

(١) (رَبَّنَا لِيُضِلُّوا)، يقول: لئلا يضلوا عن سبيلك، فضلوا وصرفوا نعمتك التي أمرتهم أن يصرفونها في طاعتك لا في معصيتك، فعندما فعلوا ذلك (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا)، يقول: إنهم لا يؤمنون اختياراً من أنفسهم المعصية والكفر. انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٨١}.

(٢)المائدة من الآية: ١١٦.

(٣) قالَ الأخطل: كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ ... غلس الظلامَ من الربابِ خيالاً.

قالَ: كذبتك عَيْنك فِيمَا تخيل لك ثمَّ رَجَعَ عَن ذَلِك فَـ قَالَ: أم رَأَيْت بواسط خيالاً. وَالمعْنَى: بل هَل رَأَيْتَه وَلم تشك فِيهِ. انْتهى. انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ،باب اشاهد الخامس ،{١٣٢/١١}.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نلقيك على النجوة، وهي ارتفاع من الأرض ﴿بِبَدَنِكَ﴾ بدرعك ويقال بلا روح ﴿لِتَكُونَ﴾ لكي تكون يا فرعون ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ من الكفار ﴿آيَةً﴾ لكيلا يقتدوا بك ويعلموا أنك لست بإله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني الكفار ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾ عن كتابنا ورسولنا ﴿لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:٩٢] لجاحدون.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾(١) أرضاً كريمة الأردن وفلسطين ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المن والسلوى والغنائم ﴿فَمَا اخْتَلَفُواْ﴾ [يونس:٩٣] يعني اليهود والنصارى في محمد والقرآن ﴿حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ﴾ بيان ما في كتابهم لحمد بنعته وصفته ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ بين اليهود والنصارى في محمد والقرآن ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ في الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:٩٣] يخالفون.

﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ بما أُنزل جبريل به يعني القرآن ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه، والخطاب للنبي عليه السلام، والمراد غيره، فلم يسأل النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن بذلك شاكاً، وأراد الله بما قال له قومه(٢) ﴿لَقَدْ جَاءكَ﴾ يا محمد ﴿الْحَقُّ﴾ يعني جبريل بالقرآن ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ فيه خبر الأولين والآخرين ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤] الشاكين. ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بكتاب الله ورسوله ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس:٩٥] من المغبونين بنفسك، وأراد به أيضاً قومه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٩٦] في علم الله.

﴿وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ طلبوا ﴿حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٧] يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب(٣).

---

(١) قال ابن عباس: يعني قريظة والنضير واهل عصر النبي صلى الله عليه وآله سلم من بني إسرائيل، فإنهم كانوا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وآله سلم وينتظرون خروجه، ثم لما خرج حسدوه، ولهذا قال (فَمَا اخْتَلَفُوا) أي في أمر محمد صلى الله عليه وآله .(حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) أي القرآن. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٨١/٨}.

(٢) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وآله في الظاهر، والمراد غيره كقوله تعالى: " يا أيها النبي إذا طلقتم النساء " وكقوله: " يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين و المنافقين" وكقوله: " لئن أشركت ليحبطن عملك " وكقوله لعيسى عليه السلام " ءأنت قلت للناس " ومن الامثلة المشهورة: إياك أعني واسمعي يا جارة. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٤٧/١٧}.

(٣) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن الذين وجبت عليهم يا محمد = "كلمة ربك"، هي لعنته إياهم بقوله: (ألا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ، فثبتت عليهم. يقال منه: "حق على فلان كذا يحقُّ عليه"، إذا ثبت ذلك عليه ووجب. وقوله: (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية)، يقول: لا يصدقون بحجج الله، ولا يقرُّون بوحدانية ربهم، ولا بأنك لله رسول = (ولو جاءتهم كل آية)، وموعظة وعبرة، فعاينوها، حتى يعاينوا العذاب الأليم، كما لم يؤمن فرعون وملؤه. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٠٤/١٥}.

﴿فَلَوْلاَ﴾ فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أهل قرية ﴿آمَنَتْ﴾ عند نزول العذاب ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ لم ينفع إيمانهم عند نزول العذاب ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ نفع إيمانهم ﴿لَمَّا آمَنُواْ﴾ حين آمنوا ﴿كَشَفْنَا﴾ صرفنا ﴿عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ﴾ العذاب الشديد ﴿فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:٩٨] تركناهم بلا عذاب إلى حين الموت.

ويقال: ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ معناه ولم تكن قرية آمن كقوله تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾ أي فلم يكن من القرون من قبلكم. ويقال: استثناء منقطع، والمراد هلا آمن غيرهم كما آمنوا فنفعهم الإيمان.

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ جميع الكفار ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ تجبر الناس ﴿حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩] هو إخبار عن قدرته لكنه لا يفعله لأنه ليس بحكمة(1).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ كافرة ﴿أَن تُؤْمِنَ﴾ بالله ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بعلم الله وتوفيقه ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ أي العذاب والنجس ﴿عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٠٠] توحيد الله.

﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿وَالأَرْضِ﴾ وما في الأرض من الجبال والشجر والدواب والبحار، كلها آية لهم. ثم قال: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ من علِمَ اللهُ بتعصيهم وسوء اختيارهم لأنفسهم. ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ فهل تبقى لهم آية ﴿إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ عذاب الذين خلوا مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار ﴿قُلْ فَانتَظِرُواْ﴾ بنزول العذاب وبهلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس:١٠٢] بنزول العذاب عليكم وبهلاككم. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بالرسل بعد هلاك قومهم ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿حَقًّا﴾ واجباً ﴿عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣] مع الرسول.

---

(١) يعني عز وجل في هذه الآيات كلها وما أشبهها أنه سبحانه لو شاء أن يجبرهم على الإيمان والهدى مشيئة حتم وجبر ويقسرهم عليه لأمكنه ذلك، وما قدر واحد من خلقه أن يخرج مما حتم عليه وجبره وقسره؛ إذ كان محمد يعجز عن قسرهم على الإيمان، فقال له ربه: (فإنما عَلَيْكَ الْبَلاغُ)[آل عمران: ٢٠]، فقد أبلغت وأديت ونصحت، وعرفتهم بما ينفعهم، (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[الشعراء: ٣]، فتريد أن تقتل نفسك: (إن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)[الكهف: ٦]، يقول: حزناً عليهم وشفقة، فذرهم: (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)[النحل: ١٢٧]، فقال: مما يمكرون، ولولا أنهم يقدرون على المكر والخديعة والمعصية ما قال: يمكرون. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع)، {٧١}.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الإسلام ﴿فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ من الأوثان ﴿وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقدر أن يميتكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٤] مع المؤمنين على دينهم.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس:١٠٥]. ﴿وَلاَ تَدْعُ﴾ ولا تعبد ﴿مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ﴾ في الدنيا والآخرة إن عبدته ﴿وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ عبدت ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦] الضارين لنفسك.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ﴾ يصبك الله ﴿بِضُرٍّ﴾ بشدة وأمر تكرهه ﴿فَلاَ كَاشِفَ لَهُ﴾ فلا دافع له يعني الضر ﴿إِلاَّ هُوَ﴾ الواحد القهار ﴿وَإِن يُرِدْكَ﴾ يصبك ﴿بِخَيْرٍ﴾ بنعمة وأمر تُسَر به ﴿فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾ فلا مانع لعطيته ﴿يُصَيبُ بِهِ﴾ يخص به بالفضل ﴿مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] لمن مات على التوبة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ﴾ الكتاب والرسول ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ آمن بالكتاب والرسول ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي﴾ يؤمن ﴿لِنَفْسِهِ﴾ يقول ثوابه لنفسه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ كفر بالكتاب والرسول ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يقول عليها جناية على ذلك ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:١٠٨] بكفيل، وقد نَسَخَتهَا آيةُ القتال(١).

﴿وَاتَّبِعْ﴾ يا محمد ﴿مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ ما أمرتك في القرآن من تلبيغ الرسالة ﴿وَاصْبِرْ﴾ على ذلك ﴿حَتَّىَ يَحْكُمَ اللهُ﴾ بينك وبينهم بقتلهم وهلاكهم يوم بدر ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩] أقوى الحاكمين بهلاكهم ونصرتك.

وهي كلها مكية إلا آية واحدة عند رأس الأربعين، فإنها نزلت في اليهود، وهي مدنية، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٤٠] (٢)

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان {١٠٦/٢}.

(٢)انظر: التهذيب غي التفسير ، للحاكم الجشمي ، {٣٣٠٧/٥} ومنهم من قال: سورة يونس مكية و آياتها تسع و مائة (١٠٩) هي مكية في قول الأكثرين و روي عن ابن عباس و قتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك » إلى آخرهن و قال ابن المبارك ألا « و منهم من يؤمن به » الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينة . انظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي، {١٣١/٥}.

ومن السور التي يذكر فيهاهود عليه السلام(١)

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿الَر﴾ يقول الله: أنا أرى(٢)ويقال: قسم أقسم به(٣)﴿كِتَابٌ﴾ إن هـذا كتـاب يعني القرآن ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ بالحلال والحرام ولم تنسخ ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بينت بالأمر والنهـي ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند﴿حَكِيمٍ﴾ بالحلال والحرام والأمر والنهي، أمر ألا تعبدوا غيره﴿خَبِيرٍ﴾ [هود:١]بمن يعبد ومن لا يعبد.

﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللهَ﴾ بألا تعبدوا إلا الله بألا توحدوا إلا الله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ من الله ﴿نَذِيرٌ﴾ من النار ﴿وَبَشِيرٌ﴾ [هود:٢] بالجنة.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ وحدوا ربكم ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ أقبلوا إليه بالتوبة والإخلاص.

ويقال: استغفروا ربكم من ذنوبكم السالفة، ثم توبوا إليه من المستأنفة متى وقعت مـنكم المعصية ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا﴾ يعيشكم عيشاً ﴿حَسَنًا﴾ بلا عذاب ولا عناء ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معلوم يعني الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ ويعط ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ في الإسلام فضله وثوابه في الآخرة ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان والتوبة ﴿فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ وأعلم أن يكون عليكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣] عظيم.

﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الثواب والعقاب ﴿قَدِيرٌ﴾[هود:٤]

﴿أَلا إِنَّهُمْ﴾ يعني الأخنس(٤)بن شريق وأصحابه ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يضمرون في قلوبهم بغض محمد وعداوته ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ ليستروا من محمد وأصحابه بغضهم وعداوتهم بإظهار المحبة له والمجالسة له ﴿أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يغطون رؤوسهم بالثياب ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فيما بينهم وما يضمرون في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من القتال والجفاء.

---

(١) سورة هود مكيّة وآياتها ثلاث وعشرون ومائة. انظر: الجوهرالشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٧٦/٢}.

(٢)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٨٩/١٥}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠٢/٥} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٤/١٨}.

(٤) نزلت في شأن أخنس بن شريق، ولكنها صارت عامة لجميع الناس فمن عمل مثل عمله. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١٣٨/٢}.

ويقال: من المحبة والمجالسة.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود:٥] بما في القلوب من الخير والشر.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ حيث تأوي الليل ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت فتدفن فيه ﴿كُلٌّ﴾ أي رزق كل دابة وأجلها وأثرها ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦] مكتوب في اللوح المحفوظ بينٌ معلوم مقدر ذلك عليها[١].

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ إلهكم ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا طول كل يوما منها ألف سنة، أول يوم منها يوم الأحد، وآخر يوم منها يوم الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل أن يخلق السماوات والأرض ﴿عَلَى الْمَاء﴾ وكان الله قبل العرش والماء.

ويقال: كان عرشه على الماء إذ لم يخلق غيره، وإن كان قادراً عليه، والعرش الملك[٢].

ويقال: أصل الخلق كان من الماء والنار والريح والهواء[٣].

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم بين الحياة والموت ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أخلص عملاً ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ لأهل مكة ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾ محيون ﴿مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كفار مكة ﴿إِنْ هَـذَا﴾ ما هذا الذي يقول محمد ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود:٧] كذب بين لا يكون.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ إلى وقت معلوم يوم بدر ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ يعني أهل مكة ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ عنا استهزاء به ﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لا يصرف عنهم العذاب ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ دار ووجب ونزل بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [هود:٨] يعني عذاب الله الذي كانوا به يستهزؤون، ويقال: بما كانوا يستهزؤون بمحمد والقرآن.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ أصبنا الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾ يصير آيسَ وأقنط شيءٍ من رحمة الله ﴿كَفُور﴾[هود:٩] كافر بنعمة الله لا يشكر.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ﴾ أصبناه يعني الكافر ﴿نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ﴾ أصابته ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ الكافر ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ الشدة ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُور﴾ [هود:١٠] بنعم الله غير شاكر له.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٥٦٤/١}.

(٢) وذكر أبو منصور عن الخليل: أن العرش: الملك. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، - ١٤٢٢ هـ ، باب سورة الرعد ، {٢٩٢/٣}.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ، {١٢٥/٦}.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ﴾ محمد وأصحابه ﴿صَبَرُواْ﴾ على الإيمان ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم فإنهم لا يعقلون، كذلك ولكن يصبرون بالشدة ويشكرون بالنعمة ﴿أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم في الدنيا ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:١١] ثواب عظيم في الجنة.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ ما أمر لك في القرآن من تبليغ الرسالة وسب آلهتهم وعيبها ﴿وَضَآئِقٌ بِهِ﴾ بما أمرت به ﴿صَدْرُكَ﴾ قلبك ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ بأن يقولوا كفار مكة ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ﴾ هلا أُنزل ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿كَنزٌ﴾ مال من السماء فيعيش منه ﴿أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ﴾ فيشهد له ﴿إِنَّمَا أَنتَ﴾ يا محمد ﴿نَذِيرٌ﴾ رَجلٌ رسولٌ مخوفٌ ﴿وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من مقالتهم وعذابهم ﴿وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢] كفيل، ويقال شهيد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون كفار مكة ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه فآتانا به ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ مثل سور القرآن، مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة ويونس وهود ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مختلقات من تلقاء أنفسكم ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ واستعينوا بمن عبدتم ﴿مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود:١٣] أن محمداً يختلقها من تلقاء نفسه، فسكتوا عن ذلك، فقال الله لهم:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ فإن لم يجبك الظلمه ﴿فَاعْلَمُواْ﴾ يا معشر الكفار ﴿أَنَّمَا أُنزِلِ﴾ جبريل بالقرآن ﴿بِعِلْمِ اللّهِ﴾ وأمره ﴿وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود:١٤] مقرون بمحمد والقرآن.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله وعلى آله: سألت ربي إخلاص قلب علي عليه السلام ومؤازرته ومرافقته، فأعطيت ذلك، فقال رجل من قريش لو سأل محمدٌ ربه شيئاً فيه صاع من تمر كان خيراً مما سأله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله فشق عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود من الآية:١٢] إلى تسع آيات من هود(١).

---

(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله سألت ربي مؤاخاة علي بن أبي طالب ومؤازرته وإخلاص قلبه ونصيحته فأعطاني، قال: فقال رجل من أصحابه: يا عجبا لمحمد يقول: سألت مؤاخاة علي بن أبي طالب ومؤازرته، و إخلاص قلبه عن ربي فأعطاني! ما كان بالذي يدعوا ابن عمه إلى شئ إلا أجابه إليه والله لشنه بالية فيها صاع من تمر أحب إلي مما سأل محمد ربه، ملكا يعينه، أو كنزا يستعين به على عدوه، قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فضاق من ذلك ضيقا شديدا، قال: فأنزل الله تعالى " فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك " إلى آخر الآية. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {١٤٠/٣٦}.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بعمله الذي افترض الله عليه ﴿وَزِينَتَهَا﴾ وزهرتها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ نوفر لهم ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥] لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ﴾ عملوا لغير الله ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ رد عليهم ما عملوا في الدنيا من الخيرات ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦] يعني لا يثابون في الآخرة بما كانوا يعملون في الدنيا من الخيرات لأنهم عملوا لغير الله. ويقال: نوف إليهم ما جعله لهم من الحياة والرزق وغير ذلك.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ على بيان نزل به يعني القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يقرأ عليهم القرآن ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ من الله يعني جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة قرأ عليه جبريل ﴿إَمَامًا﴾ يقتدى به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿أُوْلَـئِكَ﴾ من آمن بكتاب موسى ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن وهو عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿مِنَ الأَحْزَابِ﴾ من جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ مصيره ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ نزل به جبريل ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [هود:١٧] ويقال: فلا تك في مرية منه، الخطاب له والمراد غيره(١).

ويقال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ علي عليه السلام(٢).

وعن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ هو علي عليه السلام خاصة(٣).

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، {١٣١/٣}.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري {١٧٢/١٥} والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٦٢/٥}.

(٣) انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٤٣٧} وقال البغوي في تفسير قوله تعالى: {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} أيْ: يَتْبَعُهُ مَنْ يَشْهَدُ بِهِ بِصِدْقِهِ. وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا الشَّاهِدِ فَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ: إِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: هُوَ لِسَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: هُوَ مَلَكٌ يَحْفَظُهُ وَيُسَدِّدُهُ. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: هُوَ الْقُرْآنُ وَنَظْمُهُ وَإِعْجَازُهُ. وَقِيلَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ عَلِيٌّ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَأَنْتَ أَيُّ شَيْءٍ نَزَلَ فِيكَ؟ قَالَ: {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ}. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦٧/٤}.

وعن عبَّاد بن عبد الله الأسدي[1] قال: كنا جلوساً عند علي عليه السلام في الرَّحَبة فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود من الآية:١٧]قال علي عليه السلام: ما جرت المواسي[2] على أحد من قريش إلا وقد نزل بـه بعض القرآن، والذي فتق الحبة، وبرأ النسمة لم تعلموا ما قضى الله عز وجل لنا على لسان النبي صلى الله عليه وآله أحب إليَّ من ملء هذه الرحبة ذهباً وفضة، مالي ألاَّ أكون أعلم أن القلم قد جف بما هو كائن ولكن لتعلموا[3]، ثم قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن مثلنا فيكم مثل سفينة نوح أو باب بني إسرائيل في بني إسرائيل. وفي بعض الأخبار أو باب حطة في بني إسرائيل، رسول الله صلى الله عليه وآله على بينة من ربه، وأنا الشاهد الذي منه.

وفي بعض الأخبار: وأنا الشاهد منه أتبعه.

وقال مرة أخرى: وأنا الشاهد أتلوه.

وعنه أيضاً: قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان، فقال رجل من تحته: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟

فغضب فقال: أما إنك لو لم تسألني على رؤوس الناس ما حدثتك، ويحك هل تقرأ سورة هود: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾[هود من الآية:١٧]رسول الله صلى الله عليه وعلى آله﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ وأنا الشاهد منه[4].

قال علي بن محمد: قوله عليه السلام: قد جف القلم بما هو كائن، أي لا يخفى على الله كائن.

وعن زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لو كسرت لي وسادة يقول ثبتت وأُجلستُ عليها لحكمة بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وحكمت بين أهل الزبور بزبورهم، ولحكمت بين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما من آية نزلت في ليل أو نهار، ولا سماء ولا في أرض ولا في بر ولا بحر، ولا في سهل ولا في جبل، إلا أنا أعرف في أي شيء نزلت ومتى نزلت، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما من قريش رجل جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف له آية نزلت تسوقه إلى جنة أو تسوقه إلى النار، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما آيتك التي نزلت فيك؟

---

(١) عباد" بن عبد الله الأسدي الكوفي روى عن علي وعنه المنهال بن عمرو قال البخاري فيه نظر وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، {٩٨/٥}.

(٢) المواسي إنما تَجْري على من أنْبَت أراد من بَلَغ الحُلُم. انظر: لسان العرب ، لابن منظور، {٢٢٣/٦}.

(٣) انظر: بحار الأنوار ، للمجلسي ، {٣٩٠/٣٥}.

(٤) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، {٣٧٥/٨}

قال:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾[هود من الآية:١٧] فرسول الله صلى الله عليه وآله على بينة وأنا الشاهد منه(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أعتى وأجرأ على الله ﴿مِمَّنِ افْتَرَى﴾ اختلق ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يساقون إلى ربهم ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ الملائكة والأنبياء ﴿هَـؤُلاء﴾ يعني هؤلاء الكفار هم ﴿الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨] عذاب الله على الظالمين يعني المشركين. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يصرفون ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبونها زيغاً ويقال: غيراً ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود:١٩] جاحدون.

﴿أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ بفائتين ﴿فِي الأَرْضِ﴾ من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿ مِنْ أَوْلِيَاء﴾ أولياء تحفظهم وتمنعهم من عذاب الله ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني الرؤساء ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الاستماع إلى كلام محمد من بغضه ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [هود:٢٠] ينظرون إلى محمد من بغضه.(٢)

ويقال: بما كانوا لا يبصرون محمداً من بغضه، وهذا مثل قول الرجل ما أستطيع أن أنظر إلى فلان وما أقدر أن أسمع كلامه، ولا أرى شخصه من بغضه، وإن كان قادراً عليه.

﴿أُوْلَـئِكَ﴾ الرؤساء هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ غبنوا أنفسهم وأهاليهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة وورث غيرهم من المؤمنين ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ بطل واشتغل عنهم بأنفسهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [هود:٢١] يعبدون من دون الله بالكذب. ﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [هود:٢٢] المغبونون بذهاب الجنة وما فيها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ أخلصوا عملهم لربهم وخضعوا وخشعوا لربهم ﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ﴾ أهل الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود:٢٣] مقيمون.

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، {٣٧٥/٨} ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦٧/٤} روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، {٣١٠/٣}

(٢) {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ} لشدة إعراضهم عنه وكراهتهم له، كأنهم لا يستطيعون، وهو عبارة عن تعاميهم عن الحق {وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} بصر اعتبار بالأدلة، وعلى هذا لفظ ما للنفي. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣١/٤}.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكافر والمؤمن ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ يقول مثل الكافر كالأعمى لا يبصر الحق والهدى، والأصم لا يسمع الحق والهدى ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ يقول ومثل المؤمن كالبصير يبصر الحق والهدى، والسميع يسمع الحق والهدى ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ في المثل يقول هل يستوي المؤمن والكافر في الطاعة والثواب ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤] أفلا تتعظون بأمثال القرآن فتؤمنوا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ فقال لهم ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ من الله ﴿نَذِيرٌ﴾ رسول مخوف ﴿مُّبِينٌ﴾[هود:٢٥] بلغة تعلمونها.

﴿أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللهَ﴾ بألا توحدوا إلا الله ﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾ أعلم أن يكون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[هود:٢٦] وجيع وهو الغرق[1]، ﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾ الرؤساء ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ﴾ من قوم نوح ﴿مَا نَرَاكَ﴾ يا نوح ﴿إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ آدمياً ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ﴾ آمن بك ﴿إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ سفلتنا وضعفاؤنا ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ظاهر الرأي.

ويقال: سوء رأيهم جهلهم على ذلك[2].

﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ بما تقولون تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود:٢٧] بما تقولون.

﴿قَالَ﴾ نوح ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ﴾ يقول إني ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ﴾ على بيان نزل من ربي ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ أكرمني بالنبوة والإسلام ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ التبست عليكم نبوتي وديني

---

(١) {ولق أرسلنا نوحاً إلى قومه} يأمرهم بالتحيد ويقول: {إني لكم نذير مبين} من عذاب الآخرة {أن لا تعبدوا إلا الله} أي أنذركم لتوحدوا الله وتتركوا عبادة غيره {إني أخاف عليكم} إن خالفتم وكفرتم {عذاب يوم أليم} مؤلم {فقال الملاء الذين كفروا من قومه} الملاء الأشراف من قولهم فلان مليئ بكذى إذا كان مطيقاً فقيل لهم ملاء لأنهم ملئوا بكفايات الأمور واضطلعوا أو لأنهم يملون قلوبهم هيبة أولأنهم ملآء بالأحلام والآراء الصائبة {ما نراك إلا بشراً مثلنا} هذا تعريض منهم بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو اراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فكأنهم قالوا: غايت أمرك أن تكون واحداً من الملاء ومواز إليهم في المنزلة لفهم في المنزلة فما جعلك أحق بالنبوة بدليل قولهم: {وما نرى لكم علينا من فضل} أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكاً لا بشراً {وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا} أي أخسؤنا ويعنون الذين لا شرف لهم ولا مال {بادي الرأي} أرادوا إن اتباعهم لك إنما شيء عن بديهة عن غير روية ولا نظر. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٨٩/٢}.

(٢)انظر: مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، ط٧، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م ، باب سورة هود {٢١٧/٢}.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي أنلهكموها ونعرفكمها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود:٢٨] جاحدون، وفي هذا دليل على أنه لا إكراه في الدين وأنه يجب أن يدخلوا فيه طائعين.

وأما التلبيس فيحتمل أن يكون من الشيطان أو من بعضهم لبعض أو من أنفسهم إذا قُرئ بالتخفيف.

﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿مَالاً﴾ جُعلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بقولكم ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُو﴾ معاينوا جزاء ﴿رَبِّهِمْ﴾ فيخاصموني عنده ﴿وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:٢٩] أمر الله، ﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ﴾ من يمنعني من عذاب الله ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ بقولكم ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٣٠]تتعظون بما أقول لكم فتؤمنوا، ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ﴾ مفاتيح خزائن الله في الرزق ﴿وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ متى نزول العذاب وما غاب عني ﴿وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من السماء ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ لا تأخذهم أعينكم يقول تحتقرون في أعينكم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾ لن يكرمهم الله بتصديق الإيمان ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ بما في قلوبهم من التصديق ﴿إِنِّي إِذًا﴾ إن طردتهم ﴿لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٣١] الضارين بنفسي.

﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ودعاءنا إلى دين غير دين آبائنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ خصومتنا ودعانا ﴿فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:٣٢] أنه يأتينا.

﴿قَالَ﴾ نوح ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ﴾ يقول يأتي الله بعذابكم ﴿إِن شَاء﴾ فيعذبكم ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود:٣٣] بفائتين من عذاب الله.

﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ دعائي وتحذيري إياكم ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ أحذركم من عذاب الله وأدعوكم إلى التوحيد ﴿إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أن يضلكم يحكم عليكم بالضلال لسوء عملكم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ أولى بكم مني ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود:٣٤]بعد الموت فيجزيكم الله بأعمالكم. ويقال: معنى قوله: ﴿إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي إن أراد إغوائكم وليس فيه أنه أراده، ويجوز أن يكون قوم نوح ذهبوا مذهب الجبر كما قالوا: ﴿لَوْ شَاء اللهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾[1]. ويقال: إنه أراد به الإهلاك أي إنه أراده لكفركم وعصيانكم ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2]

ويقال: هو الإخبار عن نفاذ قدرة الله فيهم وعَلِمَهُ الله من الاقتدار عليهم، وكيف يريد إضلالهم وإغواءهم وهو يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى هداهم، وكيف تدعو رسله إلى

---

(١)الأنعام من الآية: ١٤٨.

(٢)مريم من الآية: ٥٩.

خلاف مشيئة الله وإرادته، وكذلك قول شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا﴾[1] في ملتكم ﴿إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا﴾[2] فيه النفي لأن الله لا يشاء مثل ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3] إخبار عن قدرته من غير أن يشاءه، لأنه لا يخلف وعيده في أهل الكتاب[4].

وكذلك قول عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5]، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6]. كل ذلك إخبار عن قدرته على ما يشاء من العذاب والمغفرة، ولكنه لن يشاء

---

(١) الأعراف من الآية: ٨٩.

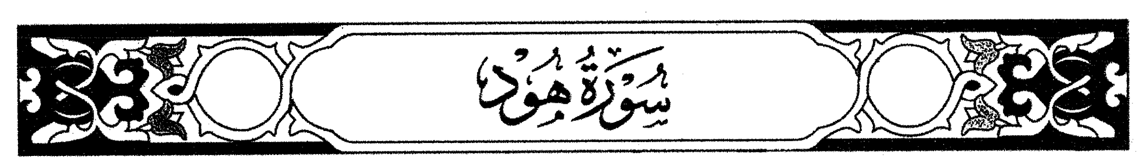
(٢) الأعراف من الآية: ٨٩.

(٣) النساء من الآية: ٤٨.

(٤) (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[الأنعام: ١٤٨، ١٤٩]، يقول: مثل هذا القول قاله الذين من قبل هؤلاء حتى نزل بأسنا وذاقوه، وذلك أنهم كانوا يعملون الخبائث والمعاصي، فإذا نهوا عنها وقال لهم أنبياؤهم ومن يتبع الأنبياء: لا تفعلوا، ولا تعصوا ربكم؛ قالوا: لو شاء ما أشركنا، ولكنه أدخلنا في المعصية وقضاها علينا؛ فأخبر الله عز وجل أن ذلك ليس كذلك، وأنهم كانوا في ضلال وتكذيب لمن يقول لهم: إن الله لم يأمرهم ولم يقض عليهم بالمعصية؛ حتى ذاقوا بأسه وهو عذابه. وتبرأ من ذلك، وعلم أنه لو كان شاء لهم الإشراك ما نزل بهم بأسه. ثم قال محتجاً عليهم: (هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا)، يقول: من علم عن الله فبينوا لنا أن هذا الفعل والقول والمشيئة من عند الله. ثم قال مكذباً لهم أيضاً: (إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ) [الأنعام: ١٤٨]، يقول: إن يتبعون إلا أهواءهم بما يظنون، وإن هم إلا يخرصون، أي يكذبون في قولهم على أنه شاء لهم ومنهم الكفر، وأنه لو شاء ما أشركنا، ولكنه أدخلنا فيه ومنعنا من الدخول في الطاعة. ثم قال: (فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٩]، يقول: فلله الحجة بما قدمه إليهم ودعاهم إليه، وأنذرهم على ألسن رسله صلوات الله عليهم. ثم قال: (فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)، يعني يجبركم جميعاً على الهدى، ولكنه لم يشأ ذلك إلا بالتخيير منكم والاختيار له، وكذلك أرسل إليكم الرسل، وأمركم بطاعتهم وحذركم معصيتهم. مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي، {٢٤٦}.

(٥) المائدة: ١١٨.

(٦) إبراهيم: ٣٦.



أن يغفر من توعده بالنار، لأنه يوم الوعيد لهم، وهو كما قال سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقول قوم نوح لنوح ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلق نوح ما أتى به من تلقاء نفسه ﴿قُلْ﴾ لهم يا نوح ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ اختلقته من تلقاء نفسي ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ آثامي ﴿وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ﴾ [هود:٣٥] تأثمون.

ويقال: نزلت هذه الآية في محمد عليه وآله السلام(٢).

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ سوى من قد آمن ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن بهلاكهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦] في كفرهم. ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ خذ في علاج السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمنظرنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ بأمرنا ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي﴾ تراجعني ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في نجاة الذين كفروا ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧] بالطوفان.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أخذ في علاج السفينة ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ رؤساء ﴿مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ هزوا بمعالجة السفينة ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾ اليوم ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ بعد اليوم ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨] اليوم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهلكه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ يجب عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود:٣٩] دائم في الآخرة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا﴾ وقت عذابنا ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ نبع الماء من التنور.(٣) ويقال: طلع الفجر(٤).

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ احمل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ من كل صنف ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي وجب ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معك أيضاً احمله معك في السفينة ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠] ثمانون إنساناً.(٥)

---

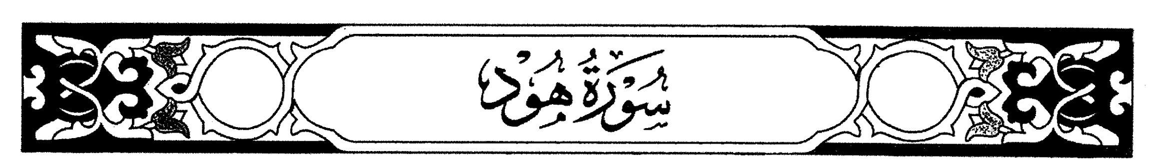
(١)ق: ٢٩.

(٢) القول لابي جعفر. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {٣٠٥/١٥}.

(٣) التَّنُّورُ: مَعْرُوفٌ، وصاحِبُه تَنّار. وهو وَجْهُ الأرْض. انظر: المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد(ت: ٣٨٥هـ) باب رتب، {٣٧٣/٢} وتفسير مجاهد، {٣٨٧}.

(٤) القول للإمام علي عليه السلام. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٥٧٣/٣} وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣١٩/١٥}.

(٥)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، {٣٢٧/١٥}.



﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ارْكَبُواْ فِيهَا﴾ أي في السفينة ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ مجراها حيث تجري، ومرساها حيث تحبس، وإن قرأت مجريها ومرسيها يقول الله يجر مجريها حيث يشاء ومرسيها حيث يشاء[1] ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١] لمن تاب.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ بأهلها ﴿فِي مَوْجٍ﴾ في غمر الماء ﴿كَالْجِبَالِ﴾ كالجبل العظيم في ارتفاعه ﴿وَنَادَى نُوحٌ﴾ دعا نوح ﴿ابْنَهُ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ في ناحية من الجبل. ويقال: في ناحية من السفينة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾[2] انج معنا بلا إله إلا الله ﴿وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود:٤٢] على دينهم فتغرق في الطوفان.

﴿قَالَ سَآوِي﴾ سأذهب ﴿إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يمنعني من الغرق ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾ لا مانع اليوم ﴿مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ من عذاب الله الغرق ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ الله من المؤمنين ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ بين كنعان ونوح.

ويقال: بين كنعان وجبل، ويقال: بين كنعان والسفينة ﴿الْمَوْجُ﴾ فكبه ﴿فكان﴾ فصار ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣] بالطوفان.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ أنشفي ماءك ﴿وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي﴾ احبسي ماءك ﴿وَغِيضَ الْمَاء﴾ نقص الماء ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ فرغ من هلاك القوم، أي هلاك من هلك ونجاة من نجا ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ استوت السفينة على الجودي، وهو جبل نُصير من أرض موصل ﴿وَقِيلَ بُعْداً﴾ سحقاً من رحمة الله ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٤٤] المشركين قوم نوح. ﴿وَنَادَى نُوحٌ﴾ دعا نوح ﴿رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنَّ ابُنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ الذي وعدتني أن تنجيه ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٤٥].

﴿قَالَ﴾ الله عز وجل ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذي وعدتك أن أنجيه ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ﴾ في الشرك ﴿غَيْرُ صَالِحٍ﴾ غير مرضي وإن قُرأت عَمَلٌ يقول دعاؤك إياي بنجاته غير مرضي ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ﴾ نجاة ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنه من أهل النجاة ﴿إِنِّي أَعِظُكَ﴾ أنهاك ﴿أَن تَكُونَ﴾ ألا تكون ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] بسؤالك إياي ما لم تعلم.

---

(١) سَمُّوا اللَّهَ حِينَ تَرْكَبُونَ، وَحِينَ تَجْرُونَ، وَحِينَ تَرْسُونَ. انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {٣٨٧}.

(٢) كَانَ اسْمُ ابْنِ نُوحٍ الَّذِي غَرِقَ كَنْعَانُ. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، {٢٠٣٥/٦}.

﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ أمتنع بك ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ﴾ نجاة ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أنه من أهل النجاة ﴿وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي﴾ يقول وإن لم تغفر لي ولا تَجاوز عني ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ وإن لم ترحمني وتعذبني ﴿أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِين﴾ [هود:٤٧] بالعقوبة.

قال علي بن محمد: ما رووا في نوح عليه السلام أنه دعا ربه لابنه، ولم يكن ابنه، وليس بصحيح، فقد حكم الله عز وجل وبين أنه ابنه، ولو لم يكن ابنه لما نسبه الله إليه، وقال نوح عليه السلام:﴿إن ابني من أهلي﴾ أثبت أيضاً نسبته وأضافه إلى نفسه[١].

وفي الجملة ما كانت امرأة نبي زانية قط، وإن كانت منهن الخيانة في باب التقصير في الدين.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلاَمٍ مِّنَّا﴾ مسلماً بسلامة منا ﴿وَبَرَكَاتٍ﴾ سعادات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ﴾ جماعة ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾ في السفينة من أهل السعادة نعلمهم﴿وَأُمَمٌ﴾ جماعة من أصلابهم ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ سنعيشهم بعد خروجهم من أصلاب آبائهم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ يصيبهم منا ﴿عَذَابٌ أَلِيم﴾ [هود:٤٨] وجيع من بعد ما كفروا، وهم أهل الشقاوة بعملهم.

قال ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى نوح وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة، ودعا قومه مائة وعشرين سنة، وركب في السفينة ثلاثمائة وخمسين سنة، وبقي في السفينة خمسة أشهر، وكان طول سفينته ثلاثمائة ذراع بذراعه، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً، وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض، حمل في باب الأسفل السباع والهوام، وفي باب الأوسط الوحوش والبهائم، وحمل في باب الأعلى بني آدم، وكانوا ثمانين إنساناً أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وكان بين الرجال والنساء جسد آدم صلوات الله عليه، وكان معه ثلاثة بنين سام وحام و يافث[٢].

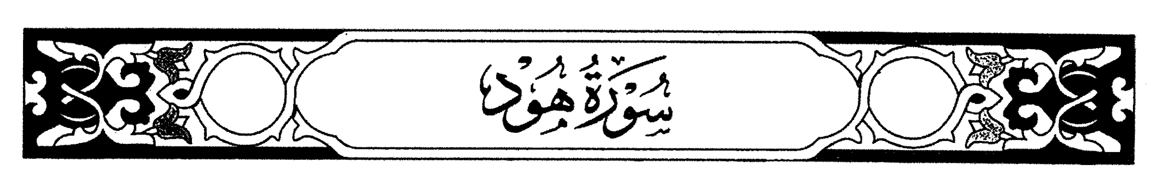
أما سام فأبو العرب، وحام أبو الحبشة، و يافث أبو الروم[٣].

---

(١) وهذا القول هو ماعليه أكثر العلماء واللائمة. أنه ولد الصلب، وليس من أهل دينه. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٥٠٧/٥}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٢/٩} وتاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤٠٧، باب ذكر الاحاديث التي في عهد نوح {١١٤/١}.
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، باب من حديث سمرة {٩/٥}.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٢٠٢/٥}واللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوضة ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ،الباب ١٤، {٣٢٦/١٥}.



﴿تِلْكَ﴾ يعني هذه ﴿مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ﴾ من أخبار الغائب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ نرسل إليك جبريل بأخبار الأمم الماضية ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا﴾ أخبار الأمم الماضية ﴿أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا﴾ يعني هذا القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذاهم وتكذيبهم إياك ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ آخر الأمر بالنصرة والجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩] من الكفر والشرك والفواحش.

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ﴾ نبيهم ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الذي آمركم أن تؤمنوا به ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ ما أنتم بعبادة الأوثان ﴿إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ [هود:٥٠] كاذبون على الله لم يأمركم بعبادتها.

﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ جُعلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [هود:٥١] أفلا تصدقون، أم ليس لكم ذهن الإنسانية.

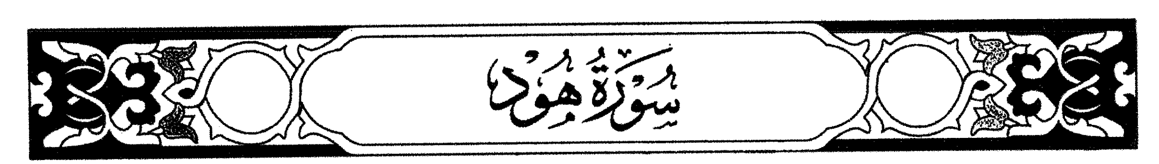
﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ وحدوا ربكم ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ أقبلوا إليه بالتوبة والإخلاص ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مطراً دائماً دريراً كلما تحتاجون إليه ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ شدة إلى شدتكم بالمال والبنين ﴿وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان والتوبة ﴿مُجْرِمِينَ﴾[هود:٥٢] مشركين بالله.

﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ ببيان ما تقول ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ عبادة آلهتنا ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ بقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:٥٣] بمصدقين بالرسالة.

﴿إِن نَّقُولُ﴾ ما نقول بما ننهاك ﴿إِلاَّ اعْتَرَاكَ﴾ يصيبك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ﴾ بخبل لأنك تشتمها ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:٥٤] بالله من الأوثان، وتعبدونها من دونه

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ فاعملوا في هلاكي أنتم وآلهتكم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٥] لا تؤجلوا ولا ترقبوا فيَّ أحداً.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ﴾ فوضت أمري إلى الله ﴿رَبِّي﴾ خالقي ورازقي﴿وَرَبِّكُم﴾ وخالقكم ورازقكم ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ يميتها ويحييها ويقال في قبضته ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ



﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] يقول عليه ممر الخلق. ويقال: يدعو الخلق إلى صراط مستقيم، دين قيم يرضاه وهو الإسلام(١).

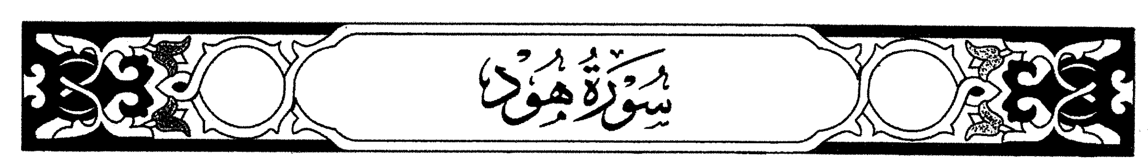
﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان والتوبة ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ من الرسالة ويهلككم ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوع لله ﴿وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ ولا يضر الله هلاككم شيئاً ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧] حافظ وشهيد.

﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بنعمة منا ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود:٥٨] شديد، ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ وهذه عاد ﴿جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ التي أتاهم بها هود ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾ بالتوحيد ﴿وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾ قول كل جبار قتال على الغضب ﴿عَنِيدٍ﴾[هود:٥٩] معرض عن الله.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أهلكوا في الدنيا بالريح ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لهم اللعنة لعنة أخرى وهي النار ﴿أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ جحدوا بربهم ﴿أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود:٦٠] من رحمة الله.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ وأرسلنا إلى ثمود ﴿أَخَاهُمْ﴾ نبيهم ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الذي أمركم أن تؤمنوا به ﴿هُوَ﴾ الذي ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ خلقكم من آدم، وآدم من أديم الأرض ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ عمركم في الأرض وجعلكم سكانها

(١) بعث الله إليهم هودًا، وهو من أوْسطهم نسبًا، وأفضلهم موضعًا، فأمرهم أن يوحِّدوا الله ولا يجعلوا معه إلهًا غيره، وأن يكفُّوا عن ظلم الناس. ولم يأمرهم فيما يذكر، والله أعلم، بغير ذلك. فأبوا عليه وكذبوه. وقالوا: "من أشدّ منا قوة!". واتبعه منهم ناسٌ، وهم يسيرٌ مكتتمون بإيمانهم. وكان ممن آمن به وصدّقه رجلٌ من عاد يقال له: "مرثد بن سعد بن عفير"، وكان يكتم إيمانه. فلما عتوا على الله تبارك وتعالى وكذبوا نبيَّهم، وأكثروا في الأرض الفساد، وتجبَّروا وبنوا بكل ريع آية عبثًا بغير نفع، كلمهم هود فقال: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) [سورة الشعراء: ١٢٨-١٣١]، (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)، أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب = (قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ)، إلى قوله: (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [سورة هود: ٥٣-٥٦]. فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السَّماء ثلاث سنين، فيما يزعمون، حتى جهدهم ذلك. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٢/٥٠٨}.



﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ فوحدوه ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْـهِ﴾ أقبلوا إليه بالتوحيد والإخلاص ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيـبٌ مُّجِيـب﴾ [هود:٦١] قريب بالإجابة لمن وحده.

﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجوك ﴿قَبْـلَ هَـذَا﴾ قبل أن تأمرنا بدين غير ديـن آبائنا ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيب﴾ [هـود:٦٢] ظاهر الشك يُريبنا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي﴾ يقول إني على بينة على بيان نـزل مـن ربـي ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ أكرمني بالنبوة والإسلام ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِـنَ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ تركت أمره ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِير﴾ [هود:٦٣] فما أزداد إلا بصيرة في خسارتكم.

﴿وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ علامة ﴿فَذَرُوهَا﴾ اتركوها ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ﴾ في أرض الحجر ليس عليكم مؤنتها ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ تعقروها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيب﴾ [هود:٦٤] بعد ثلاثة أيام[1].

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فقتلوها قتلها قدار بن سالف ومصدع بن دهر وقسَّموا لحمهـا علـى ألـف وخمسمائة دار ﴿فَقَالَ﴾ لهم صالح بعد قتلها ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ في مدينتكم ﴿ثَلاَثَـةَ أَيَّامٍ﴾ ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع، قالوا: يا صالح ما علامة العذاب؟

قال: أن تصبحوا في اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، وتصبحوا في اليوم الثاني ووجوهكم محمرة، وتصبحوا في اليوم الثالث ووجوهكم مسودة، ثم يأتيكم العذاب اليوم الرابع[2].

---

(١) (وَيا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً يعني عبرة فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّـهِ لا تكلفكم مؤنـة ولا علفا وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ يقول ولا تصيبوها بعقر فَيَأْخُذَكُمْ في الدنيا عَذابٌ قَرِيبٌ) منكم لا تمهلون حتـى تعذبوا (فَعَقَرُوها) ليلة الأربعاء بالسيف فماتت فَقالَ لهم نبي الله صالح: (تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ يعني محلتكم في الدنيا ثَلاثَـةَ أَيَّامٍ ذلِكَ العذاب وَعْدٌ من الله غَيْرُ مَكْذُوبٍ) ليس فيه كذب. بأن العذاب نـازل بهم بعد ثلاثـة الأيام فأهلكهم الله صبيحة يوم الرابع يوم السبت فذلك قوله: (فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنـا) يعني قولنـا في العذاب (نَجَّيْنا صالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا يعني بنعمة عليهم منا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ) في نصر أوليائه (الْعَزِيزُ) يعني المنيع في ملكه وسلطانه حين أهلكهم (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا يعني الذين أشركوا الصَّيْحَةُ) صيحة جبريل- عليه السلام- (فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ) يعني في منازلهم خامدين (كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها) يقول كأنهم لم يكونوا في الدنيا قط (أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا) بتوحيد (رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ) في الهلاك. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٨٩/٢}.

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ،{٨٣/٢}.

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥] غير مردود. ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بنعمة منا ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ من عذاب يومئذ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾ بنجاة أوليائه ﴿الْعَزِيزُ﴾ [هود:٦٦] بنقمة أعدائه. ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿الصَّيْحَةُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ﴾ في مدينتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ [هود:٦٧] ميتين لا يتحركون أي صاروا رماداً ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ كأن لم يكونوا في الأرض قط ﴿أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿كَفرُواْ رَبَّهُمْ﴾ جحدوا بربهم ﴿أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود:٦٨] قوم صالح من رحمة الله.

﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا﴾ جبريل ومن معه من الملائكة اثنا عشر ملكاً ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى إبراهيم ﴿بِالْبُشْرَى﴾ بالبشارة له بالولد ﴿قَالُواْ سَلاَمًا﴾ سلموا على إبراهيم حين دخلوا عليه ﴿قَالَ سَلاَمٌ﴾ رد عليهم السلام، وإن قرأت سِلْم يقوله أمري بالسلامة ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ مكث إبراهيم ﴿أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:٦٩] مشوي فوضعه بين أيديهم.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ إلى طعامه لأنهم لم يحتاجوا إلى طعامه ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أنكرهم ذلك ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وقع في قلبه الخوف منهم ظن أنهم لصوص، حيث لم يأكلوا من طعامه، فلما علموا خوفه ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ﴾ يا إبراهيم منا ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٠] لنهلكهم. ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ بالخدمة ﴿فَضَحِكَتْ﴾(١) تعجبت من خوف إبراهيم من أضيافه. ويقال: ضحكت حاضت، كما يقال ضحكت الأرنب إذا حاضت(٢) ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] فضحكت حاضت مقدم ومؤخر.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ﴾ بنت ثمان وتسعين سنة، تقول للعجوز الكبيرة ولدٌ! كيف هذا؟

﴿وَهَـذَا بَعْلِي﴾ زوجي إبراهيم ﴿شَيْخًا﴾ ابن تسع وتسعين سنة ﴿إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود:٧٢] ﴿قَالُواْ﴾ لها ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ من قدرة الله ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ وسعادته ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يا أهل البيت ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣] كريم يكرمكم بولد صالح.

ويقال: إنها سألت على سبيل الاستفهام أنها تلد وهي كبيرة أو ترد إلى حال الشباب.

---

(١) (فضحكت) سرورا بالأمن منهم لما قالوا (لا تخف) وقيل ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد مع كبر سنها. انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي ، {٣٥٣٠/٥-٣٥٣١}.

(٢) تقول العرب: ضَحِكَت الأرنَب. أي حاضَت. تاج العروس من جواهر القاموس، للحسني، {٢٥٠/٢٧}.

وعن أبي جعفر عليه السلام ومجاهد[1] والحسن بن أبي الحسن البصري[2]، أنهـا لمـا نزلت هذه الآية﴿ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أقبل النبي صلى الله عليه وآله فحمـل قطيفة له حمراء ذات هدب طويل فأقبل يسعي بها حتى دخل بها على فاطمة عليها السـلام، وهي ترضع الحسين والحسن إلى جانبها، وعلي خلف ذلك صلوات الله عليهم أجمعين، فدخل النبي عليه السلام فلما رآه علي عليه السلام ذهب ليقوم إليه، فقال له النبي صـلى الله عليـه وآله: «عزمت عليك لتنامن كما أنت فنام، فألبسهم النبي صلى الله عليه وآله القطيفة، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاجعل الرحمة والبركة عليهم أهل البيت» فقالت عائشة: يا نبي الله: أنا من أهل بيتك، أدخلني فيهم. قال: لا يا عائشة، أنت من أزواجي وهؤلاء أهل بيتي[3].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ البشارة ﴿يُجَادِلُنَا﴾ يسـاءلنا ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٤] في هلاك قوم لوط.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ عن الجهل ﴿أَوَّاهٌ﴾ رحيم مقبل إلى الله ﴿مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥].

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ عن جدالك هذا ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاك قوم لوط ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ﴾ يأتيهم ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود:٧٦] غير مصروف عنهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ جبريل ومن معه من الملائكة ﴿لُوطًا﴾ إلى لوط ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ سـاءه مجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ اغتم بمجيئهم ﴿ذَرْعًا﴾ اغتماماً شديداً خاف عليهم مـن صـنـع قومـه ﴿وَقَالَ﴾ في نفسه ﴿هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هـود:٧٧] شـديد علـيَّ، ﴿وَجَـاءَهُ قَوْمُـهُ يُهْرَعُـونَ إِلَيْـهِ﴾

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى، أو اثنتين، أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، {٤/٤٤٩-٤٥٠}.

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسَار الْبَصْرِيّ أَبُو سعيد مولى زيد بن ثَابت وَقيل جَابر بن عبد الله وَقيل أَبُو الْيُسْر ولد لِسنتَيْن بَقِيتَا من خلَافَة عمر قَالَ أَبُو بردة أدركت الصَّحَابَة فَمَا رَأَيْت أحدا أشبه بهم من الْحسن، وَقَالَ خَالِد بن ريَاح الْهُذلِيّ سُئِلَ أنس بن مَالك عَن مَسْأَلَة فَقَالَ سلوا مَوْلَانَا الْحسن فَقيل لَهُ فِي ذَلِك فَقَالَ إِنَّه قد سمع وَسَمعنَا فحفظ ونسينا، وَقَالَ سُلَيْمَان التَّيْمِيّ الْحسن شيخ أهل الْبَصْرَة مَاتَ فِي رَجَب سنة عشر وَمِائَة. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣، باب الطبقة الثالثة الوسطى من التابعين {٣٥}.

(٣) عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَيْتِي، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ عَلِيًّا وفاطمة وحسنا وحسنا، فَدَخَلَ مَعَهُمْ تَحْتَ كِسَاءٍ خَيْبَرِيٍّ وَقَالَ: (هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي) - وَقَرَأَ الْآيَةَ- وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٤/١٨٣}.

يسرعون إلى داره يهرولون هرولة، ويقال: يسرعون المشي ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ قبل مجيء جبريل إليهم ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ عملهم الخبيث ﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي﴾ يقال بنات قومي ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أحل لكم أزواجكم ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ﴾ فاحشوا الله من الحرام ﴿وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ بما تفضحون في أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود:٧٨] يرشد إلى الصواب ويأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ﴾ يا لوط ﴿مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩] يعنون عملهم الخبيث.

﴿قَالَ﴾ لوط في نفسه ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ بالبدن والولد ﴿أَوْ آوِي﴾ أو أقدر أن أرجع ﴿إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:٨٠] إلى عشيرة كبيرة لامتنعت بنفسي منكم، فلما علم جبريل والملائكة خوف لوط من تهدد قومه. ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ﴾ بالهلاك نحن نهلكهم ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فسرِ بأهلك ويقال: ادلج بهم ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ من بعض الليل آخر الليل عند السحر ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ﴾ أي يتخلف ﴿مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ واعلة المنافقة ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ما يصيبهم من العذاب ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾ بالهلاك ﴿الصُّبْحُ﴾ عند الصبح، قال لوط: الآن يا جبريل؟ قال: جبريل: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١] لأنه رآه ولم يره لوط.

﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا﴾ عذابنا بهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قلبناها فجعلنا أعلاها أسفلها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ على شذاذها ومسافريها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي من سبخ ووحل مثل الآجره.

ويقال: شديد، ويقال: من سماء الدنيا(١).

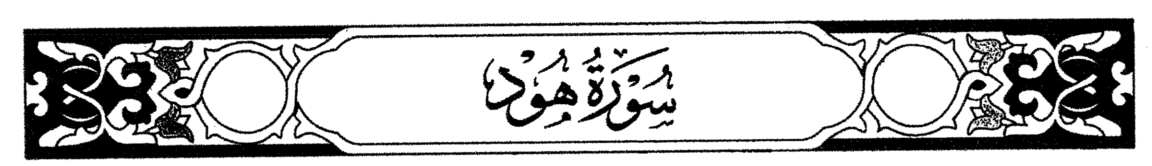
﴿مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢] متتابع بعضها على إثر بعض. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مخططة بالسواد في الحمرة والبياض(٢).

ويقال: مكتوب عليها اسم من هلك بها.

---

(١) عن قتادة (حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال: هي من طين، وهي طير بيض، خرجت من قِبَل البحر، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، ولا يصيب شيئا إلا هشَمه. ويقال أن الطير التي رمت بالحجارة، كانت تحملها بأفواهها، ثم إذا ألقتها نَفِط لها الجلد. ترميهم بحجارة من سماء الدنيا. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٦٠٩/٢٤}.

(٢) انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، {١٦٩/٦}.



﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يقول من عند ربك يا محمد تأتي تلك الحجارة ﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني الحجارة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٣] لم تخطئهم بل أصابتهم. ويقال: من ظالمي أمتك ببعيد ممن يقتدي بفعلهم.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إلى مدينة ﴿أَخَاهُمْ﴾ نبيهم ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ﴾ وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ غير الذي أمركم أن تؤمنوا به ﴿وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ حقوق الناس بالكيل والوزن ﴿إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ وسعة ومال ورخص السعر ﴿وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ولم توفوا بالمكيال والوزن ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود:٨٤] يحيط بكم، ولا ينقلب أحد منكم من القحط والجدوبة وغير ذلك.

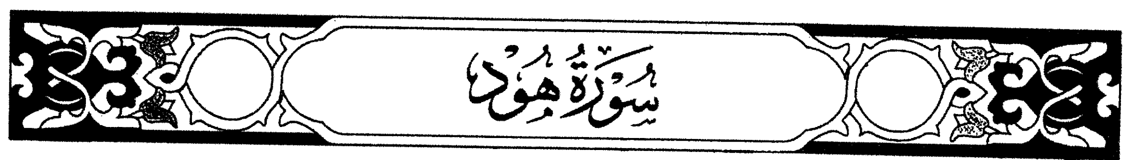
﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموا الكيل والوزن ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ ولا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن ﴿وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود:٨٥] لا تعملوا في الأرض بالفساد بعبادة الأوثان ودعاء الناس إليها، وبخس الكيل والوزن.

﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ثواب الله على وفاء الكيل والوزن خير لكم. ويقال: ما يبقي الله لكم من الحلال خير لكم مما تبخسون بالكيل والوزن ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بما أقول لكم ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود:٨٦] بكفيل أحفظكم لأنه لم يكن مأموراً بقتالهم.

﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ﴾ أكثرة صلاتك. ويقال: دينك، ويقال: قراءتك ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ﴾ وألا نفعل ﴿فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء﴾ من البخس في الكيل والوزن ﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧] السفيه الضال استهزاء به(١).

---

(١) قوله تعالى: (وَإِلى مَدْيَنَ) وهو ابن إبراهيم خليل الرحمن، وشعيب بن نويب ابن مدين بن إبراهيم (وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ) يعنى أرسلنا أخاهُمْ شُعَيْباً وليس بأخيهم في الدين ولكن في النسب (قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) يعني وحدوا الله (مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ) يقول ليس لكم رب غيره (وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزان) إذا كلتم ووزنتم إِ(نِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ) يعني موسرين في نعمة (وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ) فى الدنيا (عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) يعني أحاط بهم العذاب فلم ينج منهم أحد (وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ) يعنى بالعدل (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ) يعني ولا تنقصوا الناس حقوقهم (وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول لا تعملوا فيها المعاصي، يعني بالفساد نقصان الكيل والميزان. (بَقِيَّتُ اللَّهِ) يعني ثواب الله في الآخرة (خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يعني لو كنتم مؤمنين بالله- عز وجل- لكان ثوابه خير لكم من نقصان الكيل والميزان كقوله: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ) يعني ثوابه باق. (وَما أَنَا عَلَيْكُمْ) يعني على أعمالكم (بِحَفِيظٍ) يعني برقيب والله الحافظ لأعمالكم (قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ) يعني أن نعتزل (مَا كان يَعْبُدُ آباؤُنا) وكانوا يعبدون الأوثان (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا) يعنون إن شئنا نقصنا الكيل والميزان وإن شئنا وفينا (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ) يعنون السفيه (الرَّشِيدُ) يعنون الضال، قالوا ذلك لشعيب استهزاء. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٩٣/٢}



﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ يقول على بيان نزل من ربي ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يقول أكرمني بالنبوة والإسلام، وأعطاني مالاً حلالاً ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ يقول ما أريد أن أفعل ما أنهاكم عنه من البخس في الكيل والوزن ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ بوفاء الكيل والوزن ﴿إِلاَّ بِاللّهِ﴾ من الله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فوضت أمري إليه ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨] أقبل.

﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم ﴿شِقَاقِي﴾ بغضي وعدواني حتى لا تؤمنوا ولا توفوا بالكيل والوزن ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ فيصيبكم ﴿مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق والطوفان ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ بالهلاك بالريح ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ بالصيحة بالعذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ وما خبر قوم لوط ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٩] فقد بلغكم ما أصابهم[1].

---

(١) {ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي} أي يكسبنكم خلافي وعداوتي {أن يصيبكم} عذاب العاجلة {مثلما أصاب قوم نوح} من الغرق {أو قوم هود} من الريح العقيم {أو قوم صالح} من الرجفة والصيحة والمعنى لا تكسبنكم عداوتي إصابة العذاب لكم مثل ما أصاب قوم هؤلاء الأنبياء بسبب عنادهم لأنبيائهم وقرأ بن كثير لا يجرمنكم بظم الياء أي لا يجعلنكم شقاقي كاسبين إصابة عذاب مثلما أصاب هؤلاء. والقرائتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح {وما قوم لوط منكم ببعيد} معنى أنهم هلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم فاعتبروا واتعضوا أو لايبتعدون منكم في الكفر والمساوئ وما يستحق به الهلاك فاحذروا {واستغفروا} ربكم أي آمنوا به {ثم تو بوا إليه} أي توصلوا إليه بالتوبة فإنها لا تصح إلا مع الإيمان ثم يرغبهم بقوله: {إن ربي رحيم} بأوليائه {ودود} عظيم الرحمة لتائبين فاعل بينهم ما يفعل التبليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال {قالوا ياشعيب ما نفقه} ما نفهم {كثيراً مما تقول} من التوحيد والبيعث ويأمرهم به من الزكاة فتركهم البخس لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له وكانوا يفهمونه ولكنهم لم يقلوه فكأنهم لم يفهموه وقالوا ذلك على على وجه الإستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا استخف بحديثه وما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبيا {وإنا لنراك فينا ضعيفاً} لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً {ولولا رهطك} أي عشيرتك والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى التسعة وإنما قالوا ولولاهم احتراماً لهم واعتداداً بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوف من شكوتهم وعزتهم {لرجمناك} لقتلناك شر قتلة وهي القتل بالرجم {وما أنت علينا بعزيز} أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا فهم السبب في نجاتك منا. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢/٥٢٦}.

﴿وَاسْتَغْفِرُواْ﴾ وحدوا ﴿رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ أقبلوا إليه بالتوبة والإخلاص ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بعباده المؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠] متودد إليهم بالتفضل والثواب.[١] ويقال: محب لهم يحبهم ويحببهم إلى الخلق. ويقال: يحبب إليهم طاعته.

﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ ما نعقل كثيراً ﴿مِّمَّا تَقُولُ﴾ مما تأمرنا ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ضريراً بالبصر ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ﴾ قومك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لقتلناك ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود:٩١] بكريم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي﴾ أقومي ﴿أَعَزُّ عَلَيْكُم﴾ أكرم عليكم ﴿مِّنَ اللهِ﴾ من كتاب والله ودينه، ويقال: عقوبة رهطي أعز عليكم أشد عليكم من الله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ يقول نبذتكم كتاب الله ودينه خلف ظهوركم ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بعقوبة ما تعملون ﴿مُحِيطٌ﴾ [هود:٩٢] عالم.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على دينكم ومنازلكم وعلى ما أنتم عليه بهلاكي ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بهلاككم ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ إلى من يأتيه ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهلكه ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ على الله ﴿وَارْتَقِبُواْ﴾ انتظروا بهلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود:٩٣] منتظر لهلاككم.

﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا﴾ بنعمة منا ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا قوم شعيب ﴿الصَّيْحَةُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ﴾ فصاروا في مدينتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ [هود:٩٤] ميتين رماداً[٢] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ كأن لم يكونوا في الأرض قط ﴿أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ قوم شعيب من رحمة الله ﴿كَمَا بَعِدَتْ﴾ هلكت ﴿ثَمُودُ﴾ [هود:٩٥] قوم صالح بالعذاب،

---

(١) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٣٧}.

(٢) {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} بعذابهم {نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} هي توفيقهم للإيمان والطاعة وسائر الأعمال الصالحة، ثم وصف عز وجل كيفية ذلك العذاب فقال: {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} وإنما ذكر الصيحة بالألف واللام إشارة إلى المعهود السابق، وهو صيحة جبريل عليه السلام {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} الجاثم: اللازم لمكانه الذي لا يبرح ولا يتحول عنه، يعني أن جبريل لما صاح بهم تلك الصيحة زهق روح كل واحدٍ منهم فبقي في مكانه ميتاً {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} أي يقيموا في ديارهم أحياء متفرقين مترددين، ثم قال تعالى: {أَلا بُعْداً} أي هلاكاً {لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} البعد بمعنى البعد وهو الهلاك: كالرشد بمعنى الرشد، وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في التباين واحد، وهو نقيض القرب، إلا أنهم أرادوا الفرق بين البعيدين، فالبكسر الهلاك وبالضم نقيض القرب، وإنما قاس حالهم على حال ثمود لما ذكرنا أنه تعالى عذبهم بمثل عذاب ثمود. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٩٧/٤}.

وكان عذاب قوم صالح وقوم شعيب سواء لهلاكهما، كانت الصيحة بالعذاب أصابهم حر شديد، وقوم صالح أتاهم من تحت أرجلهم العذاب، وقوم شعيب أتاهم من فوق رؤوسهم العذاب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٩٦] حجة بينة، والآيات هي حجة بينة ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ رؤسائه ﴿فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ قول فرعون وتركوا قول موسى ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ﴾ قول فرعون ﴿بِرَشِيد﴾ [هود:٩٧] بصواب.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ فأدخلهم ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُود﴾ [هود:٩٨] وبئس المدخل لفرعون وبئس المدخَل قومه. ويقال: بئس الداخل فرعون، وبئس المدخول قومه. ويقال: بئس الداخل فرعون وقومه، وبئس المدخل النار[(١)].

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ لَعْنَةً﴾ أهلكوا في هذه الدنيا بالغرق ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لهم لعنة أخرى وهي النار ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُود﴾ [هود:٩٩] يقول بئس الغرق ورفد النار.ويقال: ﴿الرِّفْدُ الْمَرْفُود﴾ اللعنة في إثر اللعنة، ويقال: بئس العون الغرق، وبئس المعان النار[(٢)].

﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿مِنْ أَنبَاء الْقُرَى﴾ من أخبار القرى الماضية ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ ننزل عليك جبريل بأخبارها ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ تنظر إليها قد باد أهلها ﴿وَحَصِيد﴾ [هود:١٠٠] يقول ومنها ما قد خرب وهلك أهلها.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والشرك وعبادة الأوثان ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ﴾ يعني آلهتهم ﴿غَيْرَ تَتْبِيب﴾ [هود:١٠١] غير تخسير.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ عذاب ربك ﴿إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ عذب أهل القرى ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ كافرة مشركة ﴿إِنَّ أَخْذَهُ﴾ عذابه ﴿أَلِيمٌ﴾ وجيع ﴿شَدِيد﴾ [هود:١٠٢].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكرت ﴿لآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾ فلا يقتدي بهم ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ﴾ يعني يوم القيامة ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ يجتمع فيه الأولون والآخرون ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُود﴾ [هود:١٠٣] يشهده أهل السماء والأرض. ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ يعني ذلك اليوم ﴿إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُود﴾ لوقت معلوم.

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٥٣/٢}.

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٩٨/٤}.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ لا تشفع نفس صالحة لأحد ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿فَمِنْهُمْ﴾ من الناس يومئذ ﴿شَقِيٌّ﴾ قد كُتِبَت عليه الشقاوة بعمله ﴿وَسَعِيد﴾ [هود:١٠٥] قد كُتبت له السعادة بعمله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ﴾ كُتبت عليهم الشقاوة بعملهم السيئ ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت كصوت الحمار في صدره، وهو أول ما ينهق ﴿وَشَهِيق﴾ [هود:١٠٦] كشهيق الحمار في حلقه، وهو آخر ما يفرغ من شهيقه.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ كدوام السموات والأرض منذ خلقها إلى أن تفنى(١) ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ وقد شاء ربك أن يخلدوا في النار ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيد﴾ [هود:١٠٧] كما يريد.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ كتبت لهم السعادة بعملهم ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين دائمين ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ كدوام السموات والأرض سماء الجنة وأرض الجنة ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ قبل دخولهم ﴿عَطَاء﴾ ثواباً لهم ﴿غَيْرَ مَجْذُوذ﴾ [هود:١٠٨] غير منقوص وغير مقطوع. ويقال: أن العرب تَعُد من الأبد العالي دوام السموات والأرض، فخاطبهم الله بما عرفوه من الأبد.

وسئل[الإمام] زيد بن علي عليه السلام(٢) عن هذه الآية ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾ فقال: ما دامت السموات والأرض وقت وما يشاء بعد ذلك لا يوقت ولا يعلم، وهو سرمد، وما كان على التأبيد باقياً لا تقع عليه الظنون، ولا يقال فيه بالأوهام.

ويقال: سماء الجنة والنار، وأرض الجنة والنار، لأن هذه السماء والأرض تفنيان وتبدل منهما(٣).

---

(١) قال الإمام القاسم الرسي: هي سماوات الآخرة وأرضها الباقية، وليست سماوات هذه الدنيا ولا أرضها التي هي زائلة فانية. وأما {إلا ما شاء ربك}، فإنما هو إخبارعن قدرة الله على إفنائها إن شاء، وذلك فهو كذلك إذ كان هو الذي خلق وأنشأ. انظر: مجموع كتب ورسائل القاسم بن إبراهيم، {٦٢٣/٢}.

(٢) الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام الحجة فاتح باب الجهاد والاجتهاد، من أعلم الناس وأخطبهم، وأفصحهم، وهو حليف القرآن، ومولده بالمدينة، وأقام بالكوفة، ورضع العلم من بيت النبوة على يد والده وأخيه الباقر، وثار على الظلم، ورفع الراية التي سقطت في كربلاء، وبايعه أهل الكوفة وأربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين ونصرة المستضعفين وإعطاء المحرومين، والعدل في قسم الفيء، ورد المظالم، ونصرة أهل البيت وخاض معركته في الكوفة حتى استشهد -عليه السلام-عليه السلام، وحمل ونصب رأسه على باب دمشق أما جسده الشريف فقد صلب بالكوفة سنة (١٢٢ هـ). انظر: معجم رجال الاعتبار، {١١٤/١}.

(٣) انظر: مجموع كتب ورسائل القاسم بن إبراهيم الرسي ، {٦٢٢/٢}.

وقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ يقول إلا ما قد شاء ربك من الدوام والخلود فيها والبقاء فـوق ذلك. ويقال: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ سوى ما شاء ربك من البقاء والدوام لهم فيها. ويقال: قد يجوز أن يكون الاستثناء مشيئةً ولا يفعله، ثم لا يكون ذلك خُلفاً، وهذا فنٌ من مذاهب العرب في كلامهم، إلا بمعنى سِواء في القرآن كثير.

وقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ إخبار عن قدرته على إفنائه إن شاء وإن لم يفعلهم، والمستثنى هو ما ذهب من الوقت قبل دخولهم، وشقي وسعيد أي في الآخرة، وأما في بطن الأم فهو على معنى أنه سيشقى بعمله(1).

وأما ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فإنه عنى بة ما هو من فعله وتدبيره، خاصة دون فعل عباده.

﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَـؤُلاء﴾ أهل مكة ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ من قبلهم وهلكوا على ذلك ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ لنوفرهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ عقوبتهم ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود:109]

ويقال: نزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ في القدرية الذين يقولون كل شيء بقضاء الله وقدره(2).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ في كتاب موسى آمن به بعض وكفر به بعض ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير أمتك ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لفرغ من هلاكهم ولجاءهم العذاب ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [هود:110] ظاهر الشك.

---

(1)انظر: الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين: الفقيه العزي محمد بن يحيى مداعس، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ص.ب. 1135، عمان 11821، المملكة الأردنية الهاشمية ، باب ما يتمسك به القائلون بوصول الوعيد {3/191}.

(2) قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي لعنهم الله على لسان سبعين نبياً، وهم القدرية والمرجئة، قيل: يا رسول الله: من القدرية؟ قال: الذين يعملون المعاصي، ويقولون: هي من الله تعالى، قيل: ومن المرجئة؟ قال: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل)). الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح: الإمام الناصر إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدي، تحقيق: السيد العلامة: عبد الرحمن بن حسين شايم، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية) باب المسألة الثالثة عشر، {101} والسنة: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: 287هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط1، 1400هـ، باب في الإرجاء، {2/461}.

﴿وَإِنَّ كُـلاًّ﴾ كلا الفريقين ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ يقول يوفرهم ﴿رَبُّـكَ أَعْمَالَهُـمْ﴾ ثـواب أعمـالهم بالحسنى حسناً وبالسيئ سيئاً ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ مـن الخيـرات والشـر والثـواب والعقـاب ﴿خَبِيرٌ﴾ [هود:١١١] ﴿فَاسْتَقِمْ﴾[1] على طاعة الله ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ في القرآن ﴿وَمَـن تَـابَ﴾ مـن الكفر والشرك أيضاً فليستقم ﴿مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ﴾ فيه لا تكفروا ولا تعصوا بما في القرآن مـن الحلال والحرام ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر ﴿بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢] ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ﴾ لا تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّـارُ﴾ فتصيبكم النـار كمـا تصيبهم[2] ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِنْ أَوْلِيَـاءَ﴾ من أقرباء تحفظكم من عـذاب الله ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣] مما يراد بكم.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ﴾ أتم الصلاة ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ صلاة الغداة والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ بعد دخول الليل صلاة المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ﴾ يكفرن دون الكبائر.[3]

ويقال[4]: سبحان الله والحمـد لله ولا إلــه إلا الله والله أكبـر. ﴿ذَلِـكَ ذِكْـرَى لِلـذَّاكِرِين﴾ [هود:١١٤] توبة للتائبين.

---

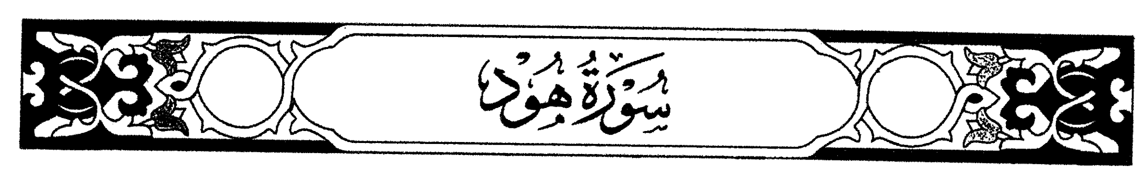
(١) قال ابن عباس: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، ولهذا قال: ((شيبتني سورة هود)) وعن بعضهم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت له: روي عنك أنك قلت: ((شيبتني سورة هود)) فقال: ((نعم))، فقلت: وبأي آية؟ قال: قوله: {فاستَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١١٣/٤}.

وقال الامام روح الله الموسوي الخميني: هذا، على الرغم من أن هذه الآية قد جاءت في سورة الشورى أيضا، ولكن من دون (وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) إلاّ أن النبي خصّ سورة هود بالذكر، والسبب أن الله تعالى طلب منه استقامة الأمة أيضا، فكان يخشى ألا يتحقق ذلك الطلب، وإلاّ فإنه بذاته كان أشدّ ما يكون استقامة، بل لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مثال العدل والاستقامة». انظر: الاربعون حديثاً: الامام روح الله الموسوي الخميني، تعريب: محمد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، باب ذم اتباع الهوى {١٦٧}.

(٢) توحي الآيات على قبح الركون إلى كل ظالم ، والركون يكون إما بالميل اليهم ، أو الرضاء بطريقتهم ، ومنه معاونتهم ،ومنه موالاتهم ، وتدل على أن من ركن إلى الظالم تمسه النار ، ولا ناصر له ، فبطل قول المرجئة في الشفاعة . انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٥٨٠/٥}.

(٣) انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي {٣٥٧٨/٥} وتفسير مقاتل بن سليمان ، {٣٠٠/٢}.

(٤) القول لمجاهد. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥١٥/١٥}.



ويقال: تكفير لذنوب التائبين، نزلت في رجل تمار يقال له عمرو بن عرية الأنصاري.(١)

﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد على ما أمرت به وعلى أذاهم ﴿فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ﴾ لا يبطل ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:١١٥] ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل.

﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ يقول لم يكن من القرون الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ ممن أنجينا منهم من المؤمنين ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ﴾ عن الكفر والشرك وعبادة الأوثان وسائر المعاصي ﴿فِي الأَرْضِ﴾ إلا الواثقين ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ من المؤمنين ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ مقدم ومؤخر ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ بما أنعم عليهم به في الدنيا من المال ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦] مشركين.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أهل القرى ﴿بِظُلْمٍ﴾ منه ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧] مقيمون على الطاعة متمسكون. ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لجمعهم على ملة واحدة ملة الإسلام، وهذا إخبار عن قدرته على عباده.

ثم أخبر بما علم من اختلافهم ونسبه إليهم فقال: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨] ولكن لا يزالون مختلفين. ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ للرحمة وللرحمة خلق الخلق(٢)،وقيل للرحمة خلق الكل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) وقيل: على الإختيار خلقهم أي على علم منه، وهذه على التأويل لام العاقبة، وقد تكون اللام بمعنى على كقوله: أكرمتك على برك بي ولبرك بي.

ويقال: يعني بقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ لأن يرحمهم وأن يرحمهم اسمٌ مذكر وإن كان من الرحمة.

وقيل أيضاً: يجوز أن يكون معناه ما خالفت اليهود والنصارى فيما يدعونه من الباطل، فقد أمروا بذلك كما قال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾(٤) أي بما ادعى كل فريق من الباطل، وأنهم مأمورون بإتباع الحق والمحقين، ومجانبة الباطل والمبطلين.

---

(١) وروي أن هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار، قيل: هو أبو اليسر بن عمرو، وقيل: اسمه عباد. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للأندلسي، {٢١٣/٣} وقال مقاتل نزلت في أبي مقبل واسمه عامر بن قيس الأنصاري. تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠٠/٢}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠١/٢}

(٣)الذاريات: ٥٦

(٤)المائدة من الآية: ١٤.

وفي الجملة، فإنه تعالى نسب الاختلاف إليهم دون نفسه، ثم استثنى طائفة منهم، وأخبر أنهم ليسوا من هؤلاء المختلفين في شيء، وأنهم أهل رحمة الله.لإيمانهم به وهداهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(1)].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وجب قول ربك ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩] من كفار الجن والإنس أجمعين، وهذا كقوله: ﴿وحقت كلمة ربك﴾ العذاب على الكافرين أي بكفرهم.

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يقول وكلما بينت ﴿مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ﴾ من أخبار الرسل ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ لكي نطيب به قلبك أنه قد فعل بغيرك من الأنبياء ما فعل بك ﴿وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ﴾ في هذه السورة ﴿الْحَقّ﴾ خير ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ ونهي عن المعاصي ﴿وَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود:١٢٠] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وباليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على دينكم ومنازلكم وعلى ما أنتم عليه بهلاكي ﴿إِنَّا عَامِلُون﴾[هود:١٢١] في هلاككم. ﴿وَانتَظِرُوا﴾ هلاكي ﴿إِنَّا مُنتَظِرُون﴾ [هود:١٢٢] هلاككم. ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما غاب عن العباد ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ وإلى الله يرجع أمر العباد كله في الآخرة ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ فأطعه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾ [هود:١٢٣]من المعاصي. ويقال: بتارك عقوبة ما تعملون.

وكلها مكية.(2)

---

(١)الأعراف من الآية: ٥٦.

(٢) كلها مكية. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٤٧٦/٢} وقال مقاتل: (مكية كلها، غير هذه الآيات الثلاث، فإنهن نزلن بالمدينة، فالأولى قوله تعالى: (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) [آية: ١٢] ، قوله تعالى : (أوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَبِه) [آية: ١٧] ، نزلت في ابن سلام وأصحابه ، وقوله : (إن الحَسنَاتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ) [آية : ١١٤] ، نزلت في رهبان النصارى ، والله أعلم ، وهي مائة وثلاث وعشرون آية). انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٠٨/٢}

سُورَةُ يُوسُفَ

ومن السورة التي يذكر فيها يوسف عليه السلام

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿الر﴾ يقول أنا الله أعلم وأرى ما تقولون وما تعملون، وأن ما يقرأ عليكم محمد هو كلامي، ويقال: قسم أقسم به.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف:١] بالحلال والحرام والأمر والنهي.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يقول أنزلنا القرآن على محمد عليه وآله السلام باللغة العربية ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]لكي تعلموا ما أمرتم به وما نهيتم عنه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نبين لك ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أحسن الخبر من أخبار يوسف عليه السلام وإخوته ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ بالذي أوحى إليك جبريل به ﴿هَـٰذَا الْقُرْآنَ﴾ في هذا القرآن ﴿وَإِن كُنتَ﴾ قد كنت ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل نزول جبريل عليك بالقرآن ﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:٣] عن خبر يوسف وإخوته.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ قد قال يوسف ﴿لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في منامي النهار ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] نزلن علي من أماكنهن وسجدن لي سجدة التحية(١).

---

(١) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِين) يعنى بين ما فيه (إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ) يعني لكي (تَعْقِلُونَ) ما فيه لو كان القرآن غير عربي ما فهموه ولا عقلوه (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص) يعنى القرآن (بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) بالذي أوحينا إليك نظيرها في يس (بِما غَفَرَ لِي رَبِّي) (هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ) يعني من قبل نزول القرآن عليك (لَمِنَ الْغافِلِينَ) عنه (إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) يعقوب (يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ) في المنام (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هبطوا إلى الأرض من السماء ف (رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ) فالكواكب الأحد عشر إخوته والشمس أم يوسف وهي راحيل بنت لاتان، ولاتان هو خال يعقوب، والقمر أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقد علم تعبير ما رأى يوسف (قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ) فيحسدوك إضمار (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) فيعلموا بك شرا (إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يعني بين. تفسير مقاتل بن سليمان، {٣١٨/٢}.

ويقال: السجود الخضوع، ويقال: سجدوا لله بسبب يوسف، فنسب إليه، وهما أبواه راحيل ويعقوب[1].

﴿قَالَ﴾ ليوسف في السر ﴿يَا بُنَيَّ﴾ إذا رأيت رؤيا بعد هذا ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ لا تخبر رؤياك ﴿عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ لإخوتك ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالوا لك بحيلة يكون فيها هلاكك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ﴾ لنبي آدم ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:٥] ظاهر العداوة يحملهم على الحسد.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾ يصطفيك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ وتفسير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة والإسلام، أي يميتك على ذلك ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي يتم نعمته أيضاً على أولاد يعقوب ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ النعمة والنبوة والإسلام ﴿عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ من قبلك ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بنعمته ﴿حَكِيمٌ﴾ [يوسف:٦] بإتمامها[2].ويقال: عليم برؤياك، حكيم بما يصيبك.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾ عبرات ﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف:٧] عن خبرهم، نزلت هذه الآية في حبر من اليهود[3].

﴿إِذْ قَالُواْ﴾ يعني إخوة يوسف بعضهم لبعض ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا﴾ وآثر عنده ﴿مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ عشرة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٨] في خطأ مبين في حب يوسف واختياره علينا.

ويقال: أراد بالضلال الغلط، وتدبير أمر الدنيا، إذ كانوا أنفع له من يوسف لقيامهم بأمواله ومواشيه، وقيل عنى به الذهاب عن طريق الصواب الذي كان فيه التعديل بيننا في المحبة.

ويقال: أنه مفارق للطريق التي يكون على مثلها الآباء في أبنائهم.

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٥١٥/٢}.

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {١٧٩/٢}.

(٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ دَخَلَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله سلم فَسَمِعَ مِنْهُ قِرَاءَةَ يُوسُفَ فَعَادَ إِلَى الْيَهُودِ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ سَمِعَهَا مِنْهُ كَمَا هِيَ فِي التَّوْرَاةِ، فَانْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْهُمْ فَسَمِعُوا كَمَا سَمِعَ، فَقَالُوا لَهُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذِهِ الْقِصَّةَ؟ فَقَالَ: اللَّه عَلَّمَنِي، فَنَزَلَ: لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ. انظر: مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، {٤٢٢/١٨}.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ في جب ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ يقول يقبل عليكم أبوكم بوجهه ﴿وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد قتله ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف:٩] تائبين من قتله.

ويقال: صلحت حالكم مع أبيكم[١].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ﴾ من إخوة يوسف وهو يهوذا لإخوته: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ في أسفل الجب ويقال في ظلمته ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يرفعه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ يعني مارة الطريق من المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف:١٠] به أمراً فأطاعوا يهوذا ثم جاءوا إلى أبيهم. ﴿قَالُواْ﴾ فقالوا ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ لحافظون.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ يذهب ويجيء وينشط ﴿وَيَلْعَبْ﴾ ويلهو ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:١٢] مشفقون.

﴿قَالَ﴾ أبوهم ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾ فلا أراه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ لأنه رأى في منامه أنه يشتد عليه ذئب، فمن ذلك قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾. ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف:١٣] باللعب[٢]. ويقال: مشغولون بعملكم[٣].

﴿قَالُواْ﴾ لأبيهم ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ عشرة ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [يوسف:١٤] لعاجزون، ويقال: مغبونون بترك حرمة الوالد والأم[٤].

---

(١) القول لمقاتل بن سليمان ذكره في زاد المفسر زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) باب سورة يوسف.{٤١٥/٢}.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري ، {٤٤٨/٢}.

(٣) اعلم أنهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف اعتذر لهم بأمرين:
أحدهما: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ} يعني أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه؛ لأنه كان لا يصبر عنه ساعة.
والثاني: قوله: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} برعيكم ولعبكم، أو لعله اهتمامكم به هذا منه شفقة صلوات الله عليه. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٩٩/٣}.

(٤) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢٠١/٥}.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ﴾ بعدما أذن لهم بالذهاب به ﴿وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ﴾ يقول اجتمعوا على أن يطرحوه ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ في أسفل الجب. ويقال: في نواحيها. والجب الركية التي لم تطو بالحجارة فإذا طويت فليست بجب[1].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ إلى يوسف أرسل[الله] إليه جبريل، وقيل: ألهمه. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ لتخبرنّهم يا يوسف ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنعهم بك ﴿هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:١٥] لا يعلمون أنك يوسف حين تخبرهم، يقال: لا يعلمون بوحينا إلى يوسف. ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ﴾ إلى أبيهم ﴿عِشَاء﴾ بعد الظهر ﴿يَبْكُونَ﴾ [يوسف:١٦] على يوسف.

﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ ننتضل[2] ونصطاد. ويقال: يسابق بعضنا بعضاً في الرمي، ويقال نسعى.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ يحفظه ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ كما قلت ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا﴾ بمصدق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾ وإن كنا ﴿صَادِقِينَ﴾ [يوسف:١٧] في قولنا.

﴿وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ﴾ لطخوا على قميصه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ دم جدي[3]، ويقال: طري إن قرأت بالدال[4].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ زينت لكم أنفسكم ﴿أَمْرًا﴾ في هلاك يوسف ففعلتم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فعلي صبر جميل بلا جزع ﴿وَاللَّـهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ منه أستعين ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[5]

---

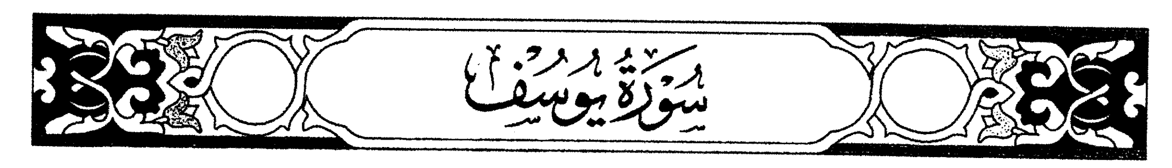
(١) الجُبُّ: البئرُ مذكر وقيل هي البئر لم تُطْوَ. انظر: لسان العرب ،لابن منظور، {١/٢٤٩}.

(٢) نَنْتَضل في الرمي. انظر: لسان العرب ،لابن منظور، {١٠/١٥١}.

(٣) الجَدْيُ: من أولادِ المَعَز ذَكَرُها. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، باب جدي {٦/٢٢٩٩}.

(٤) وقرا الحسن وعائشة (رضوان الله عليهما): " بدم كدب" بالدال غير المعجمة، أي بدم طري، يقال للدم الطري الكدب. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٩/١٤٩}.

(٥) لما جاءوا على قميصه بدم جدي وقد ذهلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص صحيحا قال: كذبتم لو أكله الذئب لخرق قميصه، وقال بعضهم: بل قتله اللصوص فقال: كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منه إلى قتله؟ وقيل: إنهم أتوه بذئب وقالوا: هذا أكله فقال يعقوب: أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله عز وجل وقال: والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء فقال له يعقوب: فكيف وقعت في أرض كنعان؟ قال: جئت لصلة الرحم قرابة لي فأخذوني وأتوا بي إليك فأطلقه يعقوب. انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، {١/٥١٦}.



[يوسف:١٨] عليَّ صبر ما تصفون عليَّ صبر ما تقولون من هلاكه، ولم يصدقهم في قـولهم، لأنهم قالوا مرة أخرى قبل هذا: قتله اللصوص.

﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ﴾ قافلة من المسافرين من قبل مدين يريدون مصر، فتحيروا في الطريق، فأخطأوا الطريق فجعلوا يهيمون في الأرض حتى وقعوا في الأرض التي فيها جب يوسـف، وهي أرض دوثن بين مدين ومصر فنزلوا عليها [1]﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ فأرسل كل قـوم فـي طلب الماء واردهم وهو ساقيهم الذي يرد الماء للاستسقاء فوافق جب يوسف مالك بن زعـر رجل من العرب من أهل مدين ابن أخ شعيب عليه السلام ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ فأرجى دلوه في جب يوسف فتعلق به يوسف، فلم يقدر على نزعه من البير، فنظر فيه فرأى غلاماً قد تعلق بالـدلو فنادى بأصحابه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ يا للبشرى يا أصحابي فقالوا ماذا؟ قال: ﴿هَـذَا غُلاَمٌ﴾ أحسـن ما يكون من الغلمان، فاجتمعوا إليه فأخرجوه من الجب﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ كتموه مـن القـوم وقالوا لقومهم هذه بضاعة استبضـعنا أهـل المـاء لنبيـع لهـم بمصـر﴿وَاللّـهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[يوسف:١٩] بيوسف يعني إخوة يوسف[2].ويقال: أهل القافلة. ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه إخوته من مالك بن زعر﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ نقصان في الوزن. ويقال: زيوف، ويقال: حرام.[3]﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين درهماً، ويقال اثنان وثلاثون درهمـاً. ﴿وَكَانُواْ فِيهِ﴾ فـي يوسـف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:٢٠] لم يحتاجوا إليه. ويقال: كان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لـم يعرفوا قدره ومنزلته عند الله[4].

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ اشترى يوسف ﴿مِن مِّصْرَ﴾ في مصر وهو العزيـز خـازن الملـك وصاحب جنوده، وكان يسمى قوطيفر ﴿لاِمْرَأَتِهِ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ قدره ومنزلته ﴿عَسَى

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ، {٥٢٦/١}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٤٢/٢-١٤٣}.

(٣) قال ابن عباس: يريد حراماً لأن ثمن الحر حرام وقال كل بخس في كتاب الله نقصان إلا هذا فإنه حرام قال الواحدي سموا الحرام بخساً لأنه ناقص البركة وقال قتادة بخس ظلم والظلم نقصان يقال ظلمه أي نقصه وقال عكرمة والشعبي قليل وقيل ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً. انظر: مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي ، {٤٨٤/١٨}.

(٤)انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للأندلسي، {٣٥٨}.

أَن يَنفَعَنَا﴾ في ضيعتنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَـدًا﴾ فنتبنَّاه وكان اشتراه من مالك بن زعر بعشرين درهماً وحلة ونعلين ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ ملَّكنا يوسف ﴿فِي الأَرْضِ﴾ في أرض مصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ على مقدوره لا يرد مقدوره أحد ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مصر ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١] ذلك ولا يصدقون.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة ﴿آتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وفهماً ونبوة ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢] بالقول والفعل بالعلم والحكمة(١).

﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ طلبته ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ أن تستمكن من نفسه ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ عليها وعلى يوسف ﴿وَقَالَتْ﴾ ليوسف ﴿هَيْتَ﴾ هلم ﴿لَكَ﴾. ويقال: أنا لك، ويقال: تهيأت لك وإن قرأت بنصب الهاء والتاء هلم لك، وإن قرأت بكسر الهاء وضم التاء تهيأت لك، وإن قرأت بنصب الهاء وضم التاء أنا لك(٢).

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾ أعوذ بالله من هذا الأمر ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ سيدي العزيز ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ قدري ومنزلتي لا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ لا يأمن ولا ينجو ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣] الزانون عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ همت به المرأة أن يواقعها وهم بها يوسف أن يقتلها. ويقال: هو هم طباع النفس.

﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ عذاب ربه على نفسه لازماً إن فعله من قتل أو غيره. ويقال: رأى يوسف صورة وليس بصحيح.(٣) ويقال: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ لهم بها مقدم ومؤخر،

---

(١) يتضح أن الله يريد أن تكونوا محسنين بعفتكم، تكونوا محسنين بطهارتكم وستحصلون على الحكمة، وستحصلون على العلم، العلم الذي تزكو به نفوسكم، والعلم الذي تبنون به أمتكم، العلم الذي تبنون به اقتصادكم وحياتكم، فمن حسن حظنا نحن المسلمين الذين نحن آخر الأمم أن كان بين أيدينا رصيد عظيم، رصيد مهم مليء بالعبر والدروس.

(٢) وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين: "وَقالتْ هِئْتُ لكَ" بكسر الهاء، وضم التاء، والهمزة، بمعنى: تهيَّأت لك، من قول القائل: "هئت للأمر أهيء هَيْئَة". وممن روي ذلك عنه ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وجماعة غيرهما. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٨/١٦}.

(٣) القول بعيد، ويبدوا أنَ ما روي عن الحسن البصري: لولا ان راى برهان ربه قال : راى يعقوب عاضاً على اصابعه يقول : يوسف ، يوسف .أنه أقرب من المعنى الى العقل . انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣ - ١٤١٩ هـ، باب الوجه الأول ، { ٢١٢٣/٧}.

أي لم يهم بها لأجل البرهان[1]. ويقال: إن قوله: ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ أنه قد هـمَّ لأن يدفعها عن نفسه فلم يمكنه ذلك إلا بأن يمسها فتحرج من ذلك، وهو البرهـان الـذي رآه فمنعه من ذلك[2].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ القبيح ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ يعني الزنـى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] المعصومين من الزنى.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ تبادرا إلى الباب أراد يوسف ليخرج وأرادت المرأة لتغلق الباب علـى يوسف فسبقت المرأة ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ شقت قميص يوسف نصفين ﴿مِن دُبُرٍ﴾ من خلف مـن وسطه إلى قدمه ﴿وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوج المرأة وأخا المرأة[3]. ويقال: ابن عمها.

﴿لَدَى الْبَابِ﴾ عند الباب ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لزوجها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنى ﴿إِلَّا أَن يُسْجَنَ﴾ في السجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:٢٥] أو يضرب ضرباً وجيعاً.

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ وطلبت أن تستمكن من نفسـي ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وهو أخوها ويقال ابن عمها ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ﴾ قميص يوسف ﴿قُدَّ﴾ شق ﴿مِن قُبُلٍ﴾ مـن قدام ﴿فَصَدَقَتْ﴾ المرأة ﴿وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يوسف:٢٦]. ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ﴾ شق ﴿مِن دُبُرٍ﴾ من خلف ﴿فَكَذَبَتْ﴾ المرأة ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:٢٧] في قوله إنها راودتني عن نفسي.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ﴾ شق ﴿مِن دُبُرٍ﴾ من خلف ﴿قَالَ﴾ أخوها ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ مـن مكركن وصنيعكن ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ مكركن ﴿عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨] يخلص إلى البريء والسقيم.

ثم قال أخوها ليوسف: ﴿يُوسُفُ﴾ يعني يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ الأمـر ولا تخبـر أحداً ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ واستحلي أيتها المرأة من زوجك لذنبك بخيانتـك ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٢٩] من الخائنين لزوجك، ففشى أمرهما بعد ذلك في المدينة.

---

(١) بمعنى: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها – أي أن يوسف عليه السلام لم يهم بها - انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي {٣٦٢٨/٥}.

(٢) قال الحاكم الجشمي في تفسير: (ولقد همت به) أرادت الفاحشة (وهم بها) لضربها ومنعها عن نفسه لما يقال: هممت بفلان أي بظربه وأيقاع مكروه به، ومعنى (لولا أن رأى برهان ربه) لولا البرهان لضرب ، ولو ضرب لأهلكه أهله. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٦٢٨/٥}.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥١/١٦}.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهن أربع نسوة امرأة ساقي الملك، وامرأة صاحب سجنه، وامرأة صاحب مطبخه، وامرأة صاحب دوابه ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ زليخا ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ تدعو عبدها أن يستمكنها ﴿عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قد شق شغاف بطنها حب يوسف. ويقال[1]: بطَنَها حب يوسف إن قرأت بالشين والعين.

ويقال: المعنى بلغ حبه شغاف قلبها، يقال: شغفها فأراد شغفها حبه.

ويقال: شغاف القلب علاقة باطن القلب، ويقال وسط القلب، ويقرأ شغفها بالغين، يُقال: شَغفت به شُغوفاً وهي أن تفتتن به، يقال: مشغوف بفلان أي مفتتن به.

﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠]في خطأ بين في حب عبدها يوسف.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بقولهن ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ ودعتهن إلى الضيافة ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ وسائد يتكئن عليها مشدودة، وإن قرأت مخففة يقول أترجة[2]، وجاءت باللحم والخبز، فوضعت بين أيديهن.

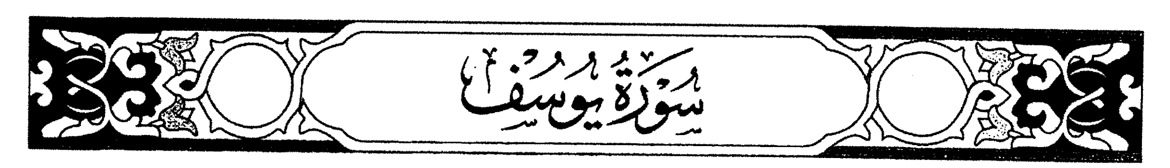
﴿وَآتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ تقطع بها اللحم لأنهم كانوا لا يأكلون من اللحم إلا ما كانوا يقطعون بسكاكينهم ﴿وَقَالَتِ﴾ زليخا ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه ﴿وَقَطَّعْنَ﴾ خدشن ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكين من الدهشة والتحير مما رأينه من حسن يوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ معاذ الله ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا﴾ أي ليس هذا ببشر آدمي ﴿إِنْ هَـٰذَا﴾ ما هذا ﴿إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١] على ربه.

﴿قَالَتْ﴾ زليخا ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ أي فذلك الذي عذلتنني فيه ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ دعوته إلى نفسي وطلبته لأستمكن من نفسه ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ فامتنع عليَّ بالعفة ﴿وَلَئِن لَّمْ

---

(١) القول للحسن: بطنَها، وبطن بها .ذكره في جامع البيان في تأويل القرآن. {٦٥/١٦}.

(٢) أتَرُجّ: كباد وهو نوع من كبار الليمون. انظر: تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزي (ت: ١٣٠٠هـ) نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، باب اترج {٨٠/١}.



يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾ في السجن ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِين﴾ [يوسف:٣٢] من الذليلين فيه. ويقال: قلن هؤلاء النسوة ليوسف أطع مولاتك[١].

﴿قَالَ رَبِّ﴾ قال يوسف يا رب ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْـهِ﴾ من الزنى والانصراف ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إليهن ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِين﴾ [يوسف:٣٣] بنعمتك.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعوته ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ مكرهن ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿الْعَلِيم﴾ [يوسف:٣٤] بالإجابة.

ويقال: ﴿السَّمِيعُ﴾ لمقالتهن ﴿الْعَلِيم﴾ بمكرهن.

وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي أيسر عندي وأهون علي من إتياني ما يدعونني إليه، لا أنه أحب ذلك، وهذا كقول القائل: لقطع يدي أحب إلي من شتمي على معنى أيسر لا أنه يحبه ويريده ولا يريد حبسه في السجن، لأنه معصية، ويجوز أن يكون أيضاً عنى بقوله: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ يقول معصيتهم إياك في سجنهم إياي أحب إلي وأخف علي وأسهل على قلبي من معصيتهم إياك، مما يريدونني عليه من الفاحشة والفجور.

وقوله: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ وقوله أيضاً: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء﴾ [يوسف:٢٤] فمعناه أنه عليه السلام ما ينصرف إلا بهداية الله ولطفه جاز أن ينسب ذلك إلى الله، ولله المنة وليوسف الثواب على طاعته من غير إكراه[٢].

---

(١) اعلم أنه عليه السلام لما كان في عصمة وهو يجتهد في طلب الزيادة منها كان هذا برهاناً لا أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم منه، وقد حكى بعض ذلك عنهم، وقال هذا أو نحوه مما يورده أهل الحشو والجبر دينهم بهت الله وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله سبيل، ثم قالت: {وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} والمراد أن يوسف إن لم يوافقها على مرادها ليوقع في السجن والصغار، ومعلوم أن التوعد بالصغار له تأبين عظيم في حق كل رفيع النفس، جليل القدر، عظيم الخطر، مثل يوسف. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٢٩/٣}.

(٢) ففزع إلى ألطاف الله وعصمته، كعادة الأنبياء والصالحين، وأراد الاستزادة من العصمة والمعونة من الله فيما عزم، ووطن نفسه عليه من الصبر، لا أنه طلب الاختيار على التعفف والإلجاء إليه {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ} إنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا؛ لأن قوله وإلا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف، والدعا باللطف {فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} المجيب لدعوات الملتجئين إليه {الْعَلِيمُ} بأحوالهم، وما يصلحهم، قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ}. اعلم أن زوج المرأة كان قد ظهر له براءة ساحة يوسف عليه السلام فلا جرم لم يتعرض، واحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل التي تحمل على موافقتها على مرادها، فلم يلتفت يوسف عليه السلام عليها فلما أيست منه احتالت في =

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم للعزيز ﴿مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ﴾ يعني شق القميص وقضاء أخيها ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف:٣٥] إلى خمس سنين.

ويقال: إلى حين تنقطع مقالة الناس، ويقال: إلى حين ستة أشهر، ولعل هذا من قوله: ﴿تؤتي أكلها كل حين﴾ أي كل ستة أشهر.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ﴾ بعد خمس سنين ﴿فَتَيَانَ﴾ عبدا الملك: صاحب شرابه، وصاحب مطبخه، غضب عليهما وأدخلهما السجن ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو الساقي ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ رأيت نفسي ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ عنباً وأسقي الملك، وكان رؤياه أنه رأى في منامه كأنه دخل كرماً فرأى في الكرم حبلة حسنة فيها ثلاثة قضبان، وعلى القضبان عناقيد العنب، فاحتنى العنب فعصره وناوله الملك، فقال له يوسف: ما أحسن ما رأيت، أما الكرم فهو العمل الذي كنت فيه، وأما الحبلة فهي سلطانك على ذلك، وأما حسنها فهو عزك وكرامتك في ذلك العمل،وأما الثلاثة القضبان على الحبلة فهي ثلاثة أيام تكون في السحن فتخرج فتعود إلى عملك، وأما العنب الذي عصرت وناولت الملك فهو أن يردك إلى عملك ويكرمك ويحسن إليك(1).

طريق آخر، وقالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني فضحني في الناس يقول لهم أني راودته عن نفسه، وأنا لا أقدر على إظهار عذري، فإما أن تأذن لي فأخرج واعتذر وإما أن تحبسه كما حبسني، فعند ذلك وقع في قلب العزيز أن الأصلح حبسه حتى أسقط على ألسنة الناس ذكر هذا الحديث، وحتى تقل الفضيحة، فهذا هو المراد من قوله ثم بدا لهم إلى آخره؛ لأن البدء عبارة عن تغيير الرأي عما كان عليه في الأول، والمراد من الآيات والعلامات الشواهد على براءته من قد القميص من دبر، ومعنى إلى حين أي إلى زمان، قيل: سبع سنين أو عشراً أو إلى انقطاع الأئمة. قال أهل اللغة: الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل. قال ابن عباس: يريد إلى انقطاع القالة، وما شاع في المدينة من الفاحشة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣/٤٣٠}.

(١) روى أنهما قالا ليوسف عليه السلام وقد حبسا معه: والله لقد أحببناك حين رأيناك، فقال يوسف عليه السلام أنشدتكما الله إن أحببتماني فما أحبني أحداً إلا دخل عليَّ من حبه بلا، لقد حبتني عمتي فدخل عليَّ على من حبها بلا، ثم أحببني أبي فدخل علي من حبه بلاء، ثم أحببتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء {قَالَ أَحَدُهُمَا} وهو الساقي {إِنِّي} أرأى في المنام أني{أَعْصِرُ خَمْراً} في كأس الملك، أي عنباً يسميه له بما يؤل إليه أو هو على حذف المضاف، والمعنى أعصر عنباً خمراً، أي العنب الذي يكون عصيره خمراً.

قال مجاهد: كانا قد رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف وسألا عنه فقال الساقي: أيها العالم إني رأيت كأني في بستان فإذا بأصل [شجرة] فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه، فذلك معنى قوله إني أراني أعصر خمراً {وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} هذا صاحب الطعام، قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز، وألوان الطعام، وإذا سباغ الطير تنهش منه. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣/٤٣١}.

﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ وهو الخباز ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ رأيت نفسي ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ وكانت رؤياه أنه رأى في منامه كأنه يخرج من مطبخ الملك وعلى رأسه ثلاث سلال من الخبز، فوقع على أعلاها الطير فأكل منها، فقال له يوسف: بئس ما رأيت، أمَّا خروجك من المطبخ فهو أن تخرج من عملك، وأما الثلاث السلال فهي ثلاثة أيام تكون في السجن، وأما ما يأكله الطير فهو أن يخرجك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك، وقالا قبل تعبيره.

﴿نَبِّئْنَا﴾ أخبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبير رؤيانا ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦] إلى أهل السجن(١).

ويقال: من المُصدقين فيما تقول:﴿قَالَ﴾ لهما يوسف فأراد أن يعلمهما علمه بتعبيره الرؤيا ﴿لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ تطعمانه ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ بلونه وجنسه ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ فكيف لا أعلم تعبير رؤياكما ﴿ذَلِكُمَا﴾ التعبير ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف:٣٧] جاحدون.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي﴾ استقمت على دين آبائي ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا﴾ ما جاز لنا ﴿أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ شيئاً من الأصنام ﴿ذَلِكَ﴾ النبوة والإسلام اللذان أكرمني ربي بهما ﴿مِن فَضْلِ اللهِ﴾ من مَن الله ﴿عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ بإرسالنا إليهم. ويقال: على المؤمنين بالإيمان ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٨] أهل مصر لا يؤمنون بتلك.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ قال هذا للسجان ولأهل السجن ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾ يقول أعبادة آلهة شتى خير ﴿أَمِ اللهُ﴾ أم عبادة الرب ﴿الْوَاحِدُ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿الْقَهَّارُ﴾[يوسف:٣٩] الغالب على خلقه.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿إِلاَّ أَسْمَاءً﴾ أصناماً أمواتاً ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم﴾ آلهة ﴿مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا﴾ بعبادتكم لها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ من كتاب ولا حجة ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ ما الحكم بالأمر والنهي(٢).

---

(١) {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} تؤثر الإحسان، وتؤتي مكارم الأخلاق، وجميع الأفعال، لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم، ويوسع على من ضاق مكانه منهم، وينصرهم في الدين والعلم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٣٢/٣}.

(٢) يعني بالأرباب الأصنام وبالتفرق تفرقها في العدد بقوله أن يكون لكم أرباب شتى يستبعدكما هذا أو يستبعدكما هذا خيراً لكما أم يكون لكما رب واحد قاهر لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القاهر الغالب وهذا مثل لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام {ما تعبدون من دونه} الخطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر {إلا أسماءً سميتوموها أنتم وآبائكم} يعني أنكم سميتم مالا يستحق الإلهية ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها {ما أنزل الله بها} أي بتسميتها {من سلطان} أي من حجة {إن الحكم} أي ما الحكم في أمر العبادة والدين {إلا لله} ثم بين ما حكم به فقال: {أمر أن لاتعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم} أي الثابت الذي

ويقال: ما القضاء في الدنيا والآخرة ﴿إِلاَّ لِلَّـهِ أَمَرَ﴾ في الكتب كلها ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ﴾ ألا توحدوا ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ إلا الله ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ هو الدين القائم الذي يرضاه وهو الإسلام ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مصر ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠] ذلك ولا يصدقون.

ثم بين تعبير الرؤيا للفتيين فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ وهوالساقي، فهو يرجع إلى عمله ومكانه وسلطانه الذي كان فيه ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ﴾ وهو الخباز يخرج من السجن ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ ففزعا لتعبير رؤيا الخباز، قالا جميعاً ما رأينا شيئاً.

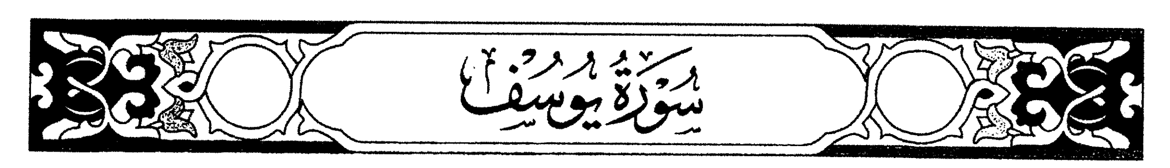
قال لهما يوسف: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١] تسألان البيان، فكما قلتما لي وقلت لكما كذلك يكون إن رأيتما أولم تريا. ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ من السجن والقتل وهو الساقي ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ عند سيدك الملك أني مظلوم عدى عليَّ إخوتي فباعوني وأنا حر وحبست في السجن وأنا مظلوم.

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ فشغله الشيطان حتى نسي ذكر يوسف عند سيده الملك. ويقال: وسوس له الشيطان أنك إن ذكرت السجن للملك يرجعك إلى السجن فلذلك لم يذكره. ويقال: فأنساه الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه حتى ترك ذكر ربه، وذكر مخلوقاً دونه[1]. ﴿فَلَبِثَ﴾

دلت عليه البراهين {ولكن أكثر الناس لايعلمون} أي لا ينظرون ولا يستدلون اتباعاً لأهوائهم فيشركون ويعبدون مالا يستحق العبادة {يا صاحبي السجن} لما فرغ من تقديم الهداية لهما أجاب عن سؤالهما فقال: {أما أحدكما} يريد الشرابي {فيسقي ربه خمراً} يعني الملك {وأما الآخر} يعني الخباز {فيصلب} أي يقتل مصلوباً ويمد على خشب {فتأكل الطير من رأسه} بعد قتله، روي أنه قال للأول مارايت من الكرمة وحسنها وهو الملك وحسن حاكم عنده وأما القضبان الثلاثة يعني العناقيد فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن لم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال الثلاثة هي ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان} أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما والمراد بالأمر ما أنتم به من سم الملك وما سجنا من أجله قيل: أنهما جحد أو قالا ما راينا شيئاً علاى ذوي أنهما تحالما له فأخبرهما أن ذلك كائن صدقهما أم كذبتما. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف: لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {٥٧٢/٢}.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٥٠/٢}.

يتبين ما اختاره المؤلف (رحمه الله) أن الشيطان أنسى الذي نجى من السجن أن يذكر يوسف عليه السلام عند ربه أن الشيطان خاف من خروج النبي يوسف عليه السلام فكانت العاقبة للشيطان أكبر من خروجه ذلك الوقت، فبضع سنين بعد رؤيا الملك كان له مقام أعظم (على خزائن الأرض) فيتحقق له إقامة الدين وينقذ المستضعفين ويردع المتكبرين، برعاية الله تعالى وحكمته.



مكث ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:٤٢] سبع سنين لتركه ذكر الله ساهياً، وكان قبل هذا في السجن خمس سنين.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى﴾ رأيت في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ خرجن من نهر يابس ﴿يَأْكُلُهُنَّ﴾ ابتلعهن ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ سبع بقرات هالكات من الهزال ابتلعن سبعاً سماناً خرجن من النهر بعد السمان، ولم يستثنيين عليهن شيئاً ﴿وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ التوين على الخضرة فغلبن خضرتهن ولم يستثنيين عليهن شيئاً(١).

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾ يعني العرافين والسحرة والكهنة ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ لتعبير رؤياي ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣] تعلمون.

﴿قَالُواْ﴾ أي قال العرافون والكهنة والسحرة ﴿أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ﴾ هذه أباطيل أحلام كاذبة مختلقة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ﴾ يقول بتعبير رؤيا الأحلام ﴿بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف:٤٤].

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من السجن والقتل وهو الساقي ﴿وَادَّكَرَ﴾ تذكر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بعد سبع سنين. ويقال: بعد النسيان إن قرأت بالهاء، وقال: ﴿أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾ أنا أخبركم عن تعبير الرؤيا أيها الملك ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف:٤٥] فأرسلني إلى السجن فإن فيه رجلاً ووصف علمه وحلمه وإحسانه إلى أهل السجن، وصدقه بتأويل الرؤيا فأرسله فجاء.

﴿يُوسُفُ﴾ يعني يا يوسف ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الصادق في تعبير الرؤيا الأولى ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ خرجن من نهر يابس ﴿يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهن ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ هزالى هالكات ﴿وَسَبْعِ

---

(١) الملك لما لم يعلم تأويل رؤياه نادى في قومه ليسمع بها من يكون عنده علم تأويله فيعبرها له، ولما حضروا ولم يكن عندهم علم بتأويلها: {قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ} الباطلة وما يؤل إليه {بِعَالِمِينَ} وإنما التأويل للمنامات الصحيحة، واعترفوا بقصورهم وإن كانت صحيحة، والمعنى هذه الرؤيا مختلطة، ولا نقدر على تعبيرها، فهذا ظاهر هذا الكلام، وفيها لطف من وجهين: أحدها: أنها كانت سبباً لخلاص يوسف عليه السلام. والثاني: أنها كانت نذير بالجدب، فأخذوا أهبته وأعدوا له عدته، والحلم في لغة العرب هو المنام، والأحلام هي المنامات عندهم، قال الشاعر: أنا والله يفرح بي صديقي ... ويحلم بي عدوي في المنام. وفي الأضغاث أربعة أقاويل: أحدها: أخلاط أحلام. والثاني: أقاويل أحلام. والثالث: أكاذيب أحلام. والرابع: ألوان أحلام.
والأضغاث هي الرؤيا المشتبهة الملتبسة المختلطة، والأضغاث جمع واحده ضغث، وهي الحزمة من الحشيش المجموعة بعضه على بعض، وقيل: ما ملأ الكف منه لقوله: {خذ بيدك ضغثاً فاضرب به}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣/٤٤١}.

﴿سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ التوين على الخضر وغلبن علـى خضـرتهن ﴿لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ إلى الملك ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون﴾ [يوسف:٤٦] لكي يعلمونه رؤيا الملك.

﴿قَالَ﴾ يوسف نعم، أما سبع بقرات سمان فهن سبع سنين خصبة، وأما سـبع سـنبلات حضر فهي الخصب والرنق والرخص في السنين الخصبة، وأما سبع بقرات هزالى هالكـات فهي سبع السنين المجدبة، وأما سبع سنبلات يابسات فهي القحط والغلاء في السنين المجدبة.

ثم علمه يوسف كيف يصنعون قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ يعني السنين الخصبة دأبـاً دائماً كل عام ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من الزرع ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ في كفائره ولا تدوسوه لأنه أبقى لكم ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُون﴾ [يوسف:٤٧] يقول إلا بقدر ما تأكلون. ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ مـن بعـد السنين الخصبة ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ سبع سنين قحطة ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ ما رفعتم لهن من السنين الخصبة للسنين المجدبة ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُون﴾ [يوسف:٤٨] تحرزون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد السنين المجدبة ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ أهـل مصـر بالطعـام والمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُون﴾ [يوسف:٤٩] الكرم والدهان والزيت، فرجع الرسول وأخبر الملك بذلك.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ بيوسف ﴿فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ﴾ وهو الساقي إلى يوسف فقال إن الملك يدعوك ﴿قَالَ﴾ له يوسف ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ سيدك الملك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ ويقول قل للملك حتى يسأل عن خبر النسوة ﴿اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ خدشن أيديهن وخمشن أيـديهن ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ﴾ بمكرهن وصنيعهن ﴿عَلِيم﴾ [يوسف:٥٠] (١) فرجع الرسول وأخبر الملـك،

---

(١) إنما تأنى يوسف وثبت في إجابت الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف وسجن فيه لئلا يتسلو به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده وتجعلوه سلملا إلى خط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف ستره وفيه دليل على الإجتهاد في نفي التهم واجب قال صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موا قف التهم)) ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلأنه أنفى للتهمة وعن النبي صل الله عليه وآله وسلم: ((لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغف له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في ما لبث لأسرعت إلى الإجابة وبادرتهم إلى الباب)) وإنما قال يوسف للرسول سل الملك عن شأن النسوولم يقل سله وأن يفتش عن شأنهن لأن السؤال بما يهيج الأنسان ويحرك للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش حقيقة القصة وقصة الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل وليعلم أنه حبس ظلماً وأنه بريء مما قيل فيه. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {٥٧٩/٢}.

فجمع الملك هؤلاء النسوة، وكن أربع نسوة، امرأة ساقيه، وامرأة صاحب مطبخه، وامرأة صاحب سجنه، وامرأة العزيز، ولم يكن في المصر أعظم منهن دون الملك.

﴿قَالَ﴾ فقال لهن الملك ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ ما شأنكن وما حالكن ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ معاذ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ ما رأينا على يوسف من شيء قبيح ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ تبين الحق ليوسف. ويقال: الآن حين الصدق.

﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ أنا دعوته إلى نفسي ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:٥١]في قوله إنه لم يراودني.

قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ في امرأته إذا غاب عني ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي﴾ لا يصوب ولا يرضا ﴿كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢] عمل الزناة، فقال له جبريل: ولا حين هممت بها؟

قال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي﴾ قلبي من أن يهم ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ يعني القلب ﴿لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ القبيح من العمل ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ عصم ربي ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]بما هممت، وكان همه بها أن يدفعها عن نفسه، ولم يمكنه ذلك إلا بأن يمسها فتحرج من ذلك، وهو البرهان الذي رآه فمنعه منه(١).

ويقال: ﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ قول المرأة وهو الصحيح، يريد إلا ما رحم ربي، يعني يوسف أن نفسه لم تأمره بذلك، ولم يطمع منه في ذلك كما أمرتني نفسي ودعتني إليها، هذا قولها لا قول يوسف عليه السلام.

ويقال: ثلاث ضمنهنَّ اللهُ نفسه لا خلف فيهن: ﴿إن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ﴿وأن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ ﴿وأن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ﴾ أخصه ﴿لِنَفْسِي﴾ دون العزيز ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ بعدما صار وجاء إليه وفسر رؤياه.

﴿قَالَ﴾ الملك ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤]لك قدر ومنزلة أمين بالأمانة. ويقال: أمين لما وليتك.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ﴾ على خزائن مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ بتقديرها ﴿عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]بساعة الجوع حين يقع. ويقال: حفيظ لما وليتني، عليم بجميع ألسن العرب.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٥٣/٢}.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ هكذا ملّكنا يوسف ﴿فِي الأَرْضِ﴾ في أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا﴾ فيها ﴿حَيْثُ يَشَاء﴾ يريد ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء﴾ نختص بالنبوة والإسلام من نشاء من كان أهلاً لذلك ﴿وَلاَ نُضِيعُ﴾ ولا نبطل ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٥٦] ثواب المؤمنين المحسنين بالقول والفعل.

﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ ثواب الآخرة ﴿خَيْرٌ﴾ من ثواب الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بالله وجملة الكتب والرسل ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُون﴾ [يوسف:٥٧] الكفر والشرك والفواحش.

﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلى مصر وهم عشرة ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ على يوسف ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُون﴾ [يوسف:٥٨] وهم لا يعرفون أنه أخوهم يوسف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ كال لهم كيلتهم ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ كما قلتم إن لنا أخاً من أبينا عند أبينا ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أوفر الكيل، ويقال: بيدي كيل الطعام ﴿وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِين﴾ [يوسف:٥٩] أفضل المضيفين.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾ بأخيكم من أبيكم ﴿فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ فيما تستقبلون ﴿وَلاَ تَقْرَبُون﴾ [يوسف:٦٠] مرة أخرى[1].

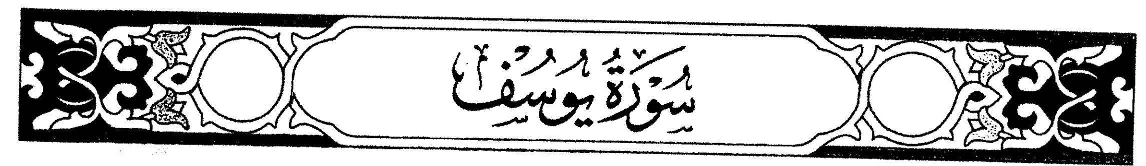
﴿قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنطلب من أبيه ونعرفه إياه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُون﴾ [يوسف:٦١] لضامنون أنّا سنجيء به.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾ لخدامه ﴿اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ﴾ دسوا دراهمهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ في جواليقهم[2] كما لا يعلمون ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ لكي يعرفوا أنها دراهمهم، أن هذه الكرامة مني. ويقال: لكي يعرفوا أنها دراهمي فيردوها إلي.

---

(١) {فإن لم تأتوني به} يعني بنيامين {فلا كيل لكم عندي ولا تقربون} أي لا أكيل لكم طعاماً، ولا تقربون بلادي {قالوا سنراود عنه أباه} أي سنخادعه، وسنجتهد ونحتال حتى ننزعه من يده {وإنا لفاعلون} أي وإنا لقادرون على ذلك، وفاعلون له لا محالة لا نفرط فيه، ولا نتوانا {وقال} يوسف {لفتيانه} أي لغلمانه الكيالين {اجعلوا بضاعتهم} يعني التي أتو بها لثمن الميرة، وكانت دراهم {في رحالهم} أي في أوعيتهم {لعلهم يعرفونها} أي يعرفون حق ردها وحق التكريم بإعطاء البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم إذا رجعوا إلى أهلهم، وفرغوا ظروفهم {لعلهم يرجعون} أي لعل معرفتهم بتكرمنا عليهم برد البضاعة تدعوهم إلى الرجوع انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٨/٣}.

(٢) الجوالق: وعاء من صوف أو شعر أوغيرهما كالغرارة انظر: المعجم الوسيط {٣١١/١}.



﴿إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ إذا رجعوا إلى أهلهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف:٦٢] مرة أخرى.

﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ فيما نستقبل إن لم ترسل معنا ابن يـامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿يَكْتَلْ﴾ يشتري به لنفسه حملاً. ويقال: نشتري لـه حمـلاً إن قرأت بالنون ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:٦٣] لضامنون برده إليك.

﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على بنيامين ﴿إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبله، يقول هل أقدر أن آخذ عليكم العهد والميثاق أكثر مما أخذت عليكم ليوسـف ﴿فَاللَّـهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ منكم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤] وهو أرحم به من والديه ومن إخوته.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ﴾ جواليقهم ﴿وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ﴾ دراهمهم ثمن طعـامهم ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ مع طعامهم ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ما نكذب بما قلنا من إحسان الرجل إلينا ولطفه بنا. ويقال: ما طلبنا هذا منه.

﴿هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا﴾ دراهمنا التي أعطيناه ثمن طعامنا ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ مع الطعام، وهـذا مـن إحسانه إلينا.

وقال لهم أبوهم: بل جربكم الرجل بهذا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نمتار أهلنا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ فـي الذهاب والمجيء به بنيامين ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ وقر بعير إذا كان هو معنا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف:٦٥] حمل يسير يعطينا بسببه(1).

ويقال: هذا أمر يسير حاجته هينة نطلب منك.

﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ بهذه المقالة ﴿حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ تعطون ﴿مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ﴾ عهداً من الله ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ لتردنه علي ﴿إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ على أن يحاط بكم إلا أن ينزل عليكم

---

(١) ثم قال تعالى: {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ} أي وجدوا التي كانت بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذي امتاروا {قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي} الكذب فيما أخبرناك به عن الملك {هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا} فنتصرف فيها، وما للنفي أو استفهام، أي شيء نطلب أبلغ من هذا الإحسان، إن الرجل رد دراهمنا إلينا، وإذا ذهبنا إليه فنحن لا نبغي منك عند رجوعنا إليه بضاعة أخرى، فإن هذه الذي معنا كافية لنا، احتمل قولهم ذلك ترغيباً وتعريفاً {وَنَمِيرُ أَهْلَنَا} ترغيب محض، أي نمير لهم الحَب والنفقة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي. مخطوط، {٤٩٥/٣}.

أمر من السماء أو من الأرض ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ﴾ أعطوا أباهم ﴿مَوْثِقَهُمْ﴾ عهودهم من الله على رده إلى أبيهم ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيل﴾ [يوسف:٦٦] شهيد ويقال: كفيل.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿يَا بَنِيَّ﴾ ردوا دراهمه إليه لأن الرجل جربكم بها ﴿لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾ من سكة واحدة ﴿وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ من سكك مختلفة ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ﴾ من قضاء الله فيكم ﴿مِن شَيْءٍ﴾ ما كان من قبل الحكم ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ ما الحكم بالقضاء فيكم ﴿إِلاَّ لِلَّهِ﴾ فيما يريده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اتكلت وفوضت أمري وأمركم إليه ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُون﴾ [يوسف:٦٧] فليثق الواثقون.

ويقال: على المؤمنين أن يتوكلوا عليه، ويقال: كان خاف عليهم يعقوب من العين لأنهم صباح الوجوه جمالاً، فمن ذلك خاف عليهم، وفيه نظر(١).

ويقال: خاف عليهم من الجبابرة إذا رأوا جمعهم وقوتهم من حبس أو قتل أو قيد، وقد دل قوله على ذلك: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء﴾ فدل بهذا القول أنه إنما صرف ضرر غير الله عنهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ مصر ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ كما أمرهم أبوهم ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ﴾ من قضاء الله فيهم ﴿مِن شَيْءٍ﴾ ما يكون من قبله ﴿إِلاَّ حَاجَةً﴾ حرارة ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أبداها لهم ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعقوب ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ حفظ ﴿لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ من الأحكام والحدود والقضايا ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مصر ﴿لاَ يَعْلَمُون﴾ [يوسف:٦٨] ذلك ولا يصدقون.

ويقال: إنه خاف عليهم حسد الناس لهم، وأن يبلغ الملك فطنتهم وقوتهم فيقتلهم خوفاً على ملكه، فأمر ألا يدخلوا مجتمعين.

وأخبر عز وجل عنه أنه أراد إصابة ما يكون من قبل الخلق لا من الله سبحانه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ﴾ ضم إليه ﴿أَخَاهُ﴾ من أبيه وأمه، وحبس سائر إخوته على الباب ﴿قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ﴾ بمنزلة أخيك الهالك ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾

---

(١) وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلا لرجل واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم. وإذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر". وفي تعوذه عليه السلام: " أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة" ما يدل على ذلك. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٩/٢٢٥}.

[يوسف:٦٩] بك إخوتك ويقولون من الذنوب والتعيير. وقيل: اعترف لـه بالنسـب، وقـال لا تخبرهم ما ألقيت إليك.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ كال لهم كيلهم ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ دس السقاية التي كان يشرب بها ويكيل بها في رحل أخيه من أمه وأبيه، ثم أمرهم بالرحيل أرسل خلفهم فتى ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد وهو فتى يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أهل القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠] يقال: مراده بذلك ما فعلوا بيوسف.

ويقال: لم يعرف فتاه ما أريد به.

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم﴾ وقالوا ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف:٧١] تطلبـون. ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ إناء الملك كان يشرب به ويكتال به، وكان إناء من ذهب، وقد اتهمكم الملـك ﴿وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف:٧٢] كفيل، قال لهم هذا القول فتى يوسف.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ﴾ والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾ يا أهل مصر ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصـر بالسرقة ومضرة الناس ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣] ما تطلبون.

﴿قَالُواْ﴾ يعني فتاة يوسف ﴿فَمَا جَزَآؤُهُ﴾ جزاء السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ [يوسف:٧٤].

﴿قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ السرقة ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ يقـول استعباده جـزاء سـرقته ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف:٧٥] السارقين بأرضنا.

﴿فَبَدَأَ﴾ فتى يوسف ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فتشها ﴿قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ﴾ فلم يجد شيئاً ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ﴾ من أبيه وأمه، قال له فتى يوسف: فرحك الله كما فرحتني ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أردنا، ويقال: صنعنا ليوسف أكرمناه بالعلم والحكمة والفهم النبوة والملك ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ﴾ يقول له لم يأخذ ﴿أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في قضاء الملك ﴿إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ﴾ وقد شاء الله ألا يأخـذ أخاه في دين الملك، وكان قضاء الملك في السارق أن يضرب ويغرم[1].

ويقال: يقطع ويغرم، ويقال: إلا أن يشاء الله إلا ما علم يوسف أنه يرضي الله من قضـاء الملك، وكان يأخذ بذلك، ويقال: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك -أي في طاعة- الملك إلا أن يشاء الله أن يكيد له حتى تكون له حجة عند الملك في احتباس أخيه، وأمر يوسف بذلك ونسبه

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٥٧/٢-١٥٨}.

إلى نفسه لما كان عن أمره، وكان في قضاء أهل مصر أن يغرم مثلي ما أخذوا، وفي قضاء أرض يوسف أن يستعيد بسرقته.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ فضائل ﴿مِّن نَّشَاء﴾ في الآخرة كما نرفع في الدنيا ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]يقول فوق كل عالم عالم، حتى ينتهي إلى الله فليس فوقه أحد. ويقال: الله فوق كل عالم وليس فوقه أحد(١).

﴿قَالُواْ﴾ يعني إخوة يوسف ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ بنيامين سقاية الملك ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ خوانا لأبيه وأمه، ويقال صنماً في حال الصبا(٢) ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ﴾ جواب هذه الكلمة ﴿فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ولم يظهر لهم جوابها و﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ صنيعاً ليوسف ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:٧٧] بما تقولون من أمر يوسف.

﴿قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يفرح به إن رددناه إليه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ رهناً ﴿مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ﴾ إن فعلت ذلك ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٧٨] إلينا.

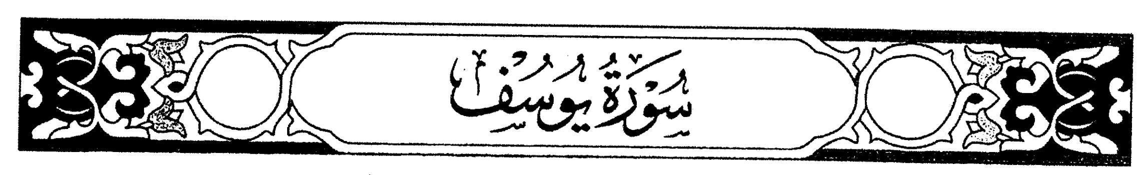
﴿قَالَ﴾ لهم يوسف ﴿مَعَاذَ اللهِ﴾ أعوذ بالله ﴿أَن نَّأْخُذَ﴾ بالسرقة ﴿إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [يوسف:٧٩]نحبس من لم نجد متاعنا عنده.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ﴾ أيسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ خلوا للمناجاة فيما بنيهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ أفضلهم في العقل وهو يهوذا، ويقال: زوبيل، ويقال: شمعون ﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ﴾ يا إخوة ﴿أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ اللهِ﴾ لتردنه عليه ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ من قبل هذ الغلام ﴿مَا فَرَّطتُمْ﴾ تركتم

---

(١) اعلم أن هذه الآية تدل على أن العلم أشرف المقامات، وأعلى الدرجات؛ لأنه تعالى كما هدى يوسف إلى هذه الحيلة مدحه لأجل ذلك فقال: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} وأيضاً وصف إبراهيم عليه السلام بقوله: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} عندما حكى دلائل التوحيد والبراء عن إلهية الشمس والقمر والكواكب، ووصف هاهنا يوسف بقوله تعالى: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} لما هداه إلى هذه الحيلة، وكم بين المرسلين من التفاوت أثناء كلامهم، ثم قال تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} أي فوق كل عالم من هو أعلم منه، حتى ينتهي ذلك إلى الله عز وجل، والمعنى أن إخوة يوسف كانوا علماء فضلاء، إلا أن يوسف كان زائداً عليهم في العلم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٧٤/٣}.

(٢) أخذ صنما وكسره. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٤٦/٢}.



عهده وميثاقه ﴿فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي﴾ في رد أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف:٨٠] في رده إلي.

ثم قال يهوذا:﴿ارْجِعُواْ﴾ يا إخوتي ﴿إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ صواع الملك إنا من ذهب.

ويقال: أخذ بالسرقة إن قرأت بضم السين وخفض الراء بالتشديد ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ رأينا أن السرقة أُخرجت من رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف:٨١] يقولون: لو علمنا الغيب ما ذهبنا به[1].

ويقال: كنا له بالليل حافظين. ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أهل القرية ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ وهي قرية من قرى مصر ﴿وَالْعِيْرَ﴾ وأهل العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ جئنا معهم، وكما صحبهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُون﴾ [يوسف:٨٢] فيما قلنا لك، فقالوا ليعقوب هذا القول.

﴿قَالَ﴾ فقال لهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فعلتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فعلي صبر جميل بلا جزع ﴿عَسَى اللهُ﴾ لعل الله ﴿أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وأخيه من أمه وأبيه بنيامين ويهوذا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ لمكانهم ﴿الْحَكِيمِ﴾ [يوسف:٨٣] بردهم إلي. ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ خرج من بينهم﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى﴾ يا حزناً ﴿عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ من البكاء ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤] مغموم ويتردد حزنه في جوفه.

﴿قَالُواْ﴾ يعني ولده وولد ولده ﴿تَالله﴾ والله ﴿تَفْتَأُ﴾ لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ دنفاً[2]﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف:٨٥] بالموت.

﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ أرفع غمي وحزني إلى الله ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ [يوسف:٨٦] يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأنا نسجد له أي يسجد لله لأجله[3].

---

(١) قرئ سَرَقَ أي نسب إلى السرقة وَما شَهِدْنا عليه بالسرقة إلّا بِما عَلِمْنا من سرقته وتيقناه، لأنّ الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا وَما كُنّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق. أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف. ومن قرأ سَرَقَ فمعناه: وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق، وما كنا للغيب: للأمر الخفي حافظين، أسرق بالصحة أم دسّ الصاع في رحله ولم يشعر. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٤٩٥/٢}.

(٢) الدَّنَفُ المَرَضُ اللازِمُ المُخامِرُ المشرف على الموت. انظر: لسان العرب لابن منظور، {١٠٧/٩}.

(٣) {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} أي أعلم من رحمته وإحسانه ما لا تعلمون وهو أنه تعالى يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، وهو إشارة إلا أنه كان يتوقع رسول يوسف إليه، وذكروا لسبب ذلك التوقع أمور: أحدها: أن ملك الموت أتاه، فقال له يا ملك الموت: هل قد قبصت روح إبني يوسف؟ قال: لا يا نبي الله، ثم أشار إلى جانب مصر وقال: أطلبه هاهنا. وثانيها: أنه عليه السلام علم أن رؤيا يوسف صادقة؛ لأن أمارات الرشد والكمال كانت ظاهرة في حق يوسف عليه السلام، ورؤيا مثله =

ويقال: وأعلم أن يوسف حي لم يمت لأنه دخلي عليه ملك الموت عليه السلام فقال: قبضت روح ابني يوسف فيمن قبضت. قال: لا، فمن ذلك قال: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فاستخبروا واطلبوا خبر يوسف وأخيه بنيامين ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ﴾ من رحمة الله ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ﴾ من رحمة الله ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] بالله وبرحمته(١).

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ على يوسف في المرة الثالثة ﴿قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أصابنا وأهلنا الضر، الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ بدراهم لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس.

ويقال(٢): بمتاع الجبل الصنوبر وحبة الخضراء. ويقال: بمتاع العرب مثل الإقط والجبن والسمن والصوف ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ يقال: فاوف وفر لنا الكيل كما توفر بالدراهم الجياد ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ ما بين الثمنين، ويقال: ما بين الكيلين ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:٨٨] في الدنيا والآخرة.

﴿قَالَ﴾ لهم يوسف ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]صبيان غافلون.

﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي﴾ من أبي وأمي ﴿قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ بالصبر ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ في النعمة ﴿وَيِصْبِرْ﴾ في الشدة ﴿فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ﴾ لا يبطل ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠] بالتقوى والصبر. ﴿قَالُواْ﴾ يعني إخوة يوسف ليوسف:﴿تَاللّهِ﴾ والله ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ﴾ فضلك الله ﴿عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا﴾ قد كنا ﴿لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٩١] مسيئين لك عاصين لله.

﴿قَالَ﴾ له يوسف ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ يقول لا أعيركم بعد اليوم ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] يقول: أرحم بكم من الوالدين.

لا تخطئ. وثالثها: لعله تعالى أوحى إليه أنه سيوصله لكنه ما عين الوقت، فلهذا بقي في القلق. ورابعها: قال السدي: لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في أقواله وأفعاله طمع أن يكون هو يوسف، وقال: يبعد أن يظهر من الكفار مثله. وخامسها: علم قطعاً أن بنيامين لا يسرق، وسمع أن الملك ما آذاه وما ضربه بل ضمه إليه وقربه، فغلب على ظنه أن ذلك الملك يوسف، فهذا جملة الكلام في هذا المقام الأول. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٨٧/٣}.

(١) انظر: مفاتيح الغيب،لفخر الدين الرازي ، {١٥٨/١٨}.

(٢) عن سعيد بن جبير وعكرمة: (وجئنا ببضاعة مزجاة) ، قال أحدهما: ناقصة. وقال الآخر: رديَّة. وعن عبد الله بن الحارث قال، كان سَمْنًا وصُوفًا. وسأل رجل عبد الله بن الحارث وأنا عنده عن قوله: (وجئنا ببضاعة مزجاة)، قال: قليلةٌ، متاعُ الأعراب: الصوفُ والسَّمن. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٣٧/١٦}.

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لأهل مكة يوم الفتح: «ما ظنكم بي؟ قالوا: نظنك خير أخ كريم، فقال: إني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1].

﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا﴾ وكان قميصه كسوة من الجنة ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يرجع بصيراً ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف:٩٣]وكانوا نحو تسعين إنساناً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ من العريش وهي قرية بين مصر وكنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف:٩٤]ويقال: تسفهون، ويقال: تحقرون[2].

ويقال: تكذبون وليس بصحيح، ويقال: لعاتبون وتوبخون، ويقال: تفجرون وتلومون بما أقول.

﴿قَالُواْ﴾ يعني ولده وولد ولده، والذين كانوا عنده ﴿تَاللّهِ﴾ والله ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥] في خطأك وبلائك الأول في ذكر يوسف[3].

﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ﴾ وهو يهوذا بالقميص ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ﴾ لبنيه وبني بنيه ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٩٦] يقول: علمت أن يوسف حي لم يمت.

﴿قَالُواْ﴾ يعني ولده وولد ولده ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ادع لنا أن يغفر لنا ذنوبنا ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٩٧] مسيئين لك عاصين لله.

﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾ أدعوا لكم ربي ليلة الجمعة آخر السحر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٩] لمن مات على التوبة.

---

(١) انظر: الشمائل الشريفة: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حقيق : حسن بن عبيد باحبيشي ،دار النشر : دار طائر العلم للنشر والتوزيع ، باب كان رحيما بالعيال {٢١٧}

(٢) (فند) الفَنَدُ الخَرَفُ وإنكار العقل من الهَرَم أو المَرض وقد يستعمل في غير الكِبَر وأصله في الكبر. لسان العرب ، لابن منظور، {٣٣٨/٣}. عن مجاهد لوْلا أنْ تُفَنِّدُون، قال: تسفهون الرأي، عن ابن عباس: تجهلون، ابن جريج وابن أبي نجيح عن مجاهد: لولا أن تقولوا ذهب عقلك: سعيد بن جبير والسدّي ولضحّاك: تكذّبون. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢٥٥/٥}.

(٣)عن ابن عباس، قوله: (إنك لفي ضلالك القديم) ، يقول: خطائك القديم، وعن قتادة: (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) أي: من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمة غليظة، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، ولا لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم. وعن السدي: (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)، قال: في شأن يوسف. وقال سفيان: (تالله إنك لفي ضلالك القديم)، قال: من حبك ليوسف، وعن ابن جريج: (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)، قال: في حبك القديم.

، وعن ابن إسحاق: (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)، أي إنك لمن ذكر يوسف في الباطل الذي أنت عليه. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٥٧/١٦}.

وعن بعض الحكماء أنه قال: الحوائج عند الشبان أقرب نجاحاً وأسهل إجابة مما عند الشيوخ، وأن يوسف لما قيل له: ﴿لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين، فقال لا تثريب عليكم اليوم﴾.

وقالوا ليعقوب ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ضم إليه أباه وخالته لأن أمه قد كانت ماتت قبل ذلك ﴿وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ﴾ انزلوا مصر ﴿إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ من العدو والسوء.

ويقال: ادخلوا مصر، انزلوا مصر آمنين من العدو والسوء إن شاء الله مقدم ومؤخر، وقد كان خرج في تلقاء أبويه حتى صار على مرحله، فلهذا قال: ﴿وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ على السرير ﴿وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾ فيقال: خضعوا له بالسجود، يعني أباه وإخوته، وكان تحيتهم فيما بينهم أن يسجد الوضيع للشريف والشاب للشيخ والصغير للكبير كهيئة الركوع نحن فعل الأعاجم، والصحيح ما تقدم ذكره، وكان السجود لله عز وجل وكان لسببه.

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا﴾ السجود ﴿تَأْوِيلُ﴾ تفسير ﴿رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذا ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ صدقاً ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ أحسن إلي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ونجاني من العبودية ﴿وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ من البادية ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بالحسد ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء﴾ لما جمع بيننا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما أصابنا ﴿الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠] بالجمع والفرقة[1].

﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ أعطيتني ملك مصر أربعين في أربعين ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يا خالق السموات والأرض ﴿أَنتَ وَلِيِّي﴾ أنت ربي وخالقي ورازقي، وحافظي وناصري ﴿فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ مخلصاً بالعبادة والتوحيد ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١] بآبائي المرسلين في الجنة.

---

(١) قالَ يوسف عليه السلام: (يَا أَبَتِ هَذَا السجود تَأْوِيلُ يعني تحقيق رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا) يعني صدقا وكان بين رؤيا يوسف وبين تصديقها أربعون سنة (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) كانوا أهل عمود ومواشى (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ) يعني أزاغ (الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لطِيفٌ لِما يَشاءُ) حين أخرجه من السجن ومن البئر وجمع بينه وبين أهل بيته بعد التفريق فنزع من قلبه نزع الشيطان على إخوته بلطفه (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) مات يعقوب قبل يوسف بسنتين، ودفن يعقوب والعيص بن إسحاق في قبر واحد وخرجا من بطن واحد في ساعة واحدة، فلما جمع الله ليوسف شمله فأقر بعينه وهو مغموس في الملك والنعمة اشتاق إلى الله وإلى آياته فتمنى الموت. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٥١/٢}.

وفي الخبر: «ما سأل أحد الموت ولا تمناه وقت نيل البغية» والمراد سواه صلى الله عليه وآله[1].

﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت يا محمد من خبر يوسف وإخوته ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ من أخبار الغائب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نرسل إليك جبريل به ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ﴾ اجتمعوا على أن يطرحوا يوسف في الجب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف:١٠٢] يريدون هلاك يوسف.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] بالكتب والرسل. ولو حرصت، ولو جهدت كل الجهد مقدم ومؤخر.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ من جعل ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو يعني القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤] للجن والإنس.

﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ﴾ من علامة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك ﴿وَالأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والشجر والدواب وغير ذلك ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يعني أهل مكة ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥] مكذبون لا يتفكرون فيها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ في السر ، ويقال: بمعرفة الله أي في علم الله ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] الأوثان في العبادة. ويقال: هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان.

﴿أَفَأَمِنُواْ﴾ يعني أهل مكة ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ﴾ عذاب من الله مثل يوم بدر ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ عذاب الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:١٠٧] بنزول العذاب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿هَذِهِ﴾ يعني ملة إبراهيم ﴿سَبِيلِي﴾ ديني ﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ على بيان ﴿أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ على هداية ويقين ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] مع المشركين على دينهم[2].

---

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ، السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، صورتها عدة دور منها- دار الكتاب العربي- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق) ، باب قتادة ، {٣٣٩/٢}وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٨٠/١٦}.

(٢) ثم أمر عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي} قل يا محمد لهم هذا الدعوة التي أدعوا إليها، والطريقة التي أنا عليها سبيلي وصفتي ومنهاجي، وسمي الدين سبيلاً؛ لأنه الطريق الذي يؤدي إلى الثواب، و مثله قوله: ادع إلا سبيل ربك. واعلم أن السبيل في أصل اللغة الممر، ثم شبهوا المعتقدات بها، لما كان الإنسان عليها يمر إلى الجنة، ثم فسر سبيله بقوله: {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} أي ادعوا إلى دينه مع حجة واضحة منيرة.

قال الحسين بن القاسم عليه السلام: معناه على بصيرة أي تبصرة وحكمة، لا غمر فيها ولا شبهة، ثم قال: {أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} أي وندعوا إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون المعنى أنا على بصيرة ومن اتبعني على بصيرة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤/٤}.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ منسوبون إلى أهل القرى مثلك ﴿يوحى إليهم﴾ يرسل إليهم جبريل كما يوحى إليك، كما يرسل جبريل، والمدائن أيضاً قد سماها الله قرى في مواضع من كتابه.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾ يعني أهل مكة ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ ويتفكروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ آخر آمر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ الكفر والشرك والفواحش، وآمنوا بالله وبمحمد والقرآن ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:١٠٩] أفليس لهم ذهن الإنسانية أن الآخرة خير من الدنيا(١).

ويقال: إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى. ويقال: أفلا يصدقون ما أصاب الأولين حين كذبوا الرسل(٢).

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ﴾ فلما أيس ﴿الرُّسُلُ﴾ من إجابة القوم ﴿وَظَنُّواْ﴾ علموا وأيقنوا -يعني الرسل- ﴿أَنَّهُمْ﴾ يعني قومهم ﴿قَدْ كُذِبُواْ﴾ الرسول بما جاءوا به من الله إن قرأت بالنصب مشددة، وإن قرأت بضم الكاف مشددة يقول: ظن القوم أن الرسل كذّبوا بخبر السماء.

ويقال: وظنوا يعني القوم أنهم يعني الرسل قد كُذِبُوا، قد أخلف وعد الرسل إن قرأن بالضم مخففاً ﴿جَاءهُمْ نَصْرُنَا﴾ عذابنا بهلاك قومهم ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء﴾ يعني الرسل ومن آمن بالرسل ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف:١١٠] المشركين، وفي الجملة استيئاس الرسل كان من إيمان قومهم وظنهم، فهو ظنهم لمن اعطاهم الرضا في العلانية أنه قد كذبهم في السر.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ في خبر يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول من الناس ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يعني القرآن ليس بحديث مختلق ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ موافقاً للتوراة والإنجيل وسائر الكتب بالتوحيد وبعض الشرائع ﴿وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تبيان كل شيء من القرآن من الحلال والحرام وخبر يوسف ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١] بمحمد والقرآن. وهي كلها مكية(٣).

---

(١) ثم قال: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} هذا إنكار عليهم في تركهم السير للنظر والاعتبار في مصارع الأمم الماضية المكذبة، ثم قال[٢٩٢] {وَلَدَارُ الآخِرَةِ} أي الساعة أو الحالة الآخرة {خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أي تختارون الشرك والمعاصي على التوحيد والتقوى، أفلا تعقلون كأنكم لا عقول لكم لاختياركم الفاني على الباقي، قرأ نافع وابن عامر ورواية عن عاصم تعقلون بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء على الغيبة، قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ} حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام، كأنه قيل: وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يتراخى نصرهم حتى إذا استيئسوا عن النصر {وَظَنُّوا} أي الرسل {أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} أي كذبهم قومهم فيما وعدوهم به من عذاب الكفار والنصرة لهم، هذا على قراءة التشديد. المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٦/٤}. انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٥٩}.

(٢) انظر: تنوير المقباس، لابن عباس، {٢٥٩}.

(٣) سورة يوسف مكية وهي مائة وإحدى وعشرة آية. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٥٨٩/٥} والجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٥٤٣/٢}.

سُورَةُ الرَّعْدِ

ومن السورة التي يذكر فيها الرعد(١).

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله: ﴿المر﴾ يقول أنا الله أعلم وأرى ما تقولون وما تعملون(٢)، ويقال قسم أقسم به(٣).

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ إن هذه السورة آيات القرآن ﴿وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ يقول: والقرآن هو الحق من ربك ﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد:١] بمحمد والقرآن.

﴿اللَّـهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾ خلق السموات ورفعها على الأرض ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ يقول: ترونها بغير عمد، ويقال: بعمد لا ترونها.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استوى على الملك وقد تقدم ذكره(٤)، ويقال: استوى عنده القريب والبعيد على معنى العلم والقدرة.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذلل ضوء الشمس والقمر لبني آدم ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معلوم ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ ينظر في أمر العباد، ويبعث الملائكة بالوحي والتنزيل والمصيبة ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ يبين الآيات، آي القرآن بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢] لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾ بسط الأرض على الماء ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ خلق فيها الجبال الثوابت أوتاداً لها ﴿وَأَنْهَارًا﴾ وأجرى فيها الأنهار ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان كل الثمرات

---

(١) وذكر المؤلف في نهاية السورة أنها مكية غير آيتين مدنيتين: قوله: (ولا يزال الذين كفروا يصيبهم بما صنعوا قارعة..) إلى آخرها. وقوله: (ومن عنده علم الكتاب). وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير - رضي الله عنه - قال: نزلت الرعد بالمدينة. وعن قتادة - رضي الله عنه - قال: سورة الرعد مدنية إلا آية مكية {ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة}. انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، {٣٥٩/٨}.

واختلفوا في عدد آياتها، فقيل ثلاثة واربعون آية في الكوفي وأربع في الحجازي وخمس في البصري. وقال سعيد بن جبير: هي مكية. التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٧٣٣/٥}.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري {٥٨٩/١٥}.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠٢/٥} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٤/١٨}.

(٤) في تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

﴿جَعَلَ فِيهَا﴾ خلق فيها ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ الحامض زوج والحلو زوج، والأبيض زوج والأحمر زوج ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل، يقول يذهب بالليل ويجيئ بالنهار، ويذهب بالنهار ويجيئ بالليل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكرت ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣] فيها(١).

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ﴾ أمكنة ﴿مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ ملتزقات أرض سبخة رديئة، وبجنبها أرض طيبة عذبة جيدة ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ من كروم ﴿وَزَرْعٌ﴾ حرث ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ مجتمع أصولها في أصل واحد عشرة أو أقل أو أكثر ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ متفرق أصولها واحدة ﴿يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ﴾ بماء المطر وبماء النهر ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ والحمل والطعم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في اختلافها وألوانها ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤] يصدقون أنها من الله.

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي إن الناس خلقوا من شجر شتى، وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ حتى بلغ: ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل تُسقى بماء واحد﴾ بالتاء هكذا قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ من تكذيبهم إياك ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ حيث قالوا ﴿أَئِذَا كُنَّا﴾ صرنا ﴿تُرَابًا﴾ رميماً ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يجدد بعد الموت فينا الروح ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أهل إنكار البعث هم: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ﴾ أهل الكفر ﴿الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ والسلاسل في أيمانهم مشدودة إلى أعناقهم ﴿وَأُوْلَئِكَ﴾ أهل الأغلال والسلاسل ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهل النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ [الرعد:٥] مقيمون لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب استهزاء ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل العافية ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ﴾ العقوبات فيمن هلك ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ تجاوز

---

(١) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي ، {٣٩/٣}.

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، {٢٦٣/٢}.

﴿لِّلنَّاسِ﴾ لأهل مكة ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ على شرك إن تابوا وآمنوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد:٦] لمن مات على الشرك.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل عليه على محمد ﴿آيَةٌ﴾ علامة ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ بنبوته كما أنزل على الرسل الأولين ﴿إِنَّمَا أَنتَ﴾ يا محمد ﴿مُنذِرٌ﴾ رسول مخوف ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] نبي، ويقال: داع يدعوهم إلى الضلالة وإلى الهدى. ويقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نزلت في علي عليه السلام والأئمة من بعده(١).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر ﴿ولكل قوم هاد﴾ علي عليه السلام.

وعن زيد بن علي عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ قال: أنا المنذر وأنت الهادي يا علي من بعدي، طريقتك طريقتي من خالفك خالفني»(٢).

وعن ابن عباس أيضاً: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله: « إنما أنت منذر وأومأ بيده إلى صدره، وأنا المنذر، ولكل قوم هاد وأشار به إلى علي عليه السلام، قال: بك يهتدي المهتدون من بعدي»(٣).

(١) عن ابن عباس قال: لما نزلت (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) ، وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر (ولكل قوم هاد) ، وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بَعْدي. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٣٥٧/١٦}.

(٢) أخرجه الإمام زيد: مجموع رسائل الإمام الأعظم زيد بن علي عليهم السلام، {٢٠٥}والحاكم في المستدرك، {١٤٠/٣}.

(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك {١٢٩/٣} وفتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ ، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، باب قوله سورة ابرهيم، رقم (٤٦٩٧) {٣٧٦/٨} وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (ت : ٩٧٥هـ) ، تحقيق : بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ،١٤٠١هـ/١٩٨١م ، باب سورة الرعد ، رقم (٣٣٠١٢) {٤٤١/٢}.

وعن أبي بردة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما أنت منذر ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على يد علي عليه السلام ويقول: ولكل قوم هاد»[1].

وعن جعفر عن أبيه في قوله: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ قال فرسول الله المنذر وبعلي عليه السلام اهتدى المهتدون».

قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام[2]: هذا عندنا في أيضاً في هذه الآية لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وآله: «أنا المنذر وعلي الهادي بك يهتدي المهتدون من بعي»، وأن حروبه على ما قال النبي صلى الله عليه وآله «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[3].

﴿اللَّـهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾ كل حامل ذكر هو أو أنثى ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَـامُ﴾ في الحمل من التسعة ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على التسعة في الحمل ﴿وَكُـلُّ شَيْءٍ﴾ من الزيادة والنقصان وخـروج الولد والمكث ﴿عِندَهُ بِمِقْدَار﴾ [الرعد:٨].

---

(١) لما نزلت {إنما أنت منذر ولكل قوم هاد} وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب علي - رضي الله عنه - فقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي.

وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول {إنما أنت منذر} ووضع يده على صدر نفسه ثم وضعها على صدر علي ويقول: لكل قوم هاد. انظر: الدر المنثور في التفسير بالماثور، للسيوطي، {٣٧٥/٨} وتفسير ابن أبى حاتم، للرازي، {٢٢٢٥/٧}

(٢) الامام الباقر محمد بن علي زين العابدين.

(٣) قال النبي صلى الله عليه وآله: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال له أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا. قال له عمر: أنا يا رسول الله؟ قال: لا. ولكنه خاصف النعل)، فأخبر علي بذلك، فكأنه شيء قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك. ثم أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وروي عن أبي أيوب، وعن ابن مسعود، وعن غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه، يقول أبو أيوب: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقاتلون الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا: مع من يا رسول الله؟ قال: مع علي.انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، باب مسند ابي سعيد، رقم (١١٣٠٧) {٣٣/٣} والسنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، روجعت أرقام هذه النسخة على طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، باب المجلد السابع، رقم (٨٤٠٣) {٤٦٦/٧}.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن العباد ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما علمه العباد.

ويقال: الغيب ما يكون والشهادة ما كانت، ويقال: الغيب هو الولد في الأرحام، والشهادة هو الولد الذي يخرج من الأرحام. ﴿الْكَبِيرُ﴾ ليس شيء أكبر منه ﴿الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩] ليس شيء أعلى منه.

﴿سَوَاء مِّنكُم﴾ عند الله ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ والفعل ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ أعلن بالقول والفعل يعلم ذلك منه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ﴾ يقول: سالك وظاهر ﴿بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠] يقول: إن عمل يعلم الله ذلك منه.

ويقال: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي يعلمه خفياً. ويقال: مستحف بالليل في ظلماتها، ويقال: الاستخفاء طلب الاختفاء.

وقوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ يقال السارب: الظاهر من خفاء، والمعنى أنه سواء عنده في العلم به الظاهر والمتسخفي والجاهر منطقه والمضمر في نفسه.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي حفظة من الملائكة يحفظونه عن أمر الله، من بمعنى عن في هذا الموضع.

ويقال: أيضاً في قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي ملائكة يعقب بعضهم بعضاً تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار، وملائكة النهار ملائكة الليل.

قوله: ﴿ يَحْفَظُونَهُ ﴾أي من بين يديه ومن خلفه مقدم ومؤخر ﴿ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي بأمر الله، ويقال: عن أمر الله والهاء راجع إلى العبد في ﴿ يَحْفَظُونَهُ ﴾[1].

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من أمنٍ ونعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بترك الشكر ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً وهلاكاً ﴿فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾ لقضاء الله فيهم ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله هلاكهم ﴿مِّن دُونِهِ﴾ من عذابه ﴿مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١] من مانع، ويقال: من ملجأ يلجؤون إليه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ للمطر ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر بالمطر أن تبتل ثيابه ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم أن تسقى حروثه ﴿وَيُنْشِىءُ﴾ يخلق ويرفع ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد:١٢] بالمطر.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٦٧/٤}.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ بأمره وهو ملَك، ويقال: يسبح بما فيه من الدلالة على تعظيم الله ووجوب حمده فكأنه هو المسبح. ويقال: يسبح بما فيه من الآية التي تدعو إلى تسبيح الله تعالى.

﴿وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ وتسبح الملائكة ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾ يقول: وهم خائفون من الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ يعني النار ﴿فَيُصِيبُ بِهَا﴾ فيهلك بها ﴿مَن يَشَاء﴾ يعني أربد بن قيس أهلكه الله بالنار وأهلك صاحبه عامر بن طفيل بطاعونة في خصره[1].

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ﴾ في دين الله مع محمد ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] شديد العقاب.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ دين الحلق شهادة ألا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ ينفع إن دعوهم ﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ إلا كماد كفيه ﴿إِلَى الْمَاء﴾ من بعيد ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ لكي يبلغ الماء إلى فيه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ بتلك الحال الماءُ إلى فيه أبداً، يقول: كما لا يبلغ الماء إلى فم هذا الرجل، كذلك لا تنفع الأصنام لمن عبدوها ﴿وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ﴾ عبادة الكافرين ﴿إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد:١٤] في باطل يضل.

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ﴾ يصلي ويسجد ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الملائكة ﴿وَالأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿طَوْعًا﴾ أهل السماء لأن عبادتهم بغير مشقة ﴿وَكَرْهًا﴾ أهل الأرض لأن عبادتهم بالمشقة.

ويقال: طوعاً أهل الإخلاص وكرهاً اهل النفاق، ويقال: طوعاً من ولد في الإسلام وكرها من أدخل في الإسلام جبراً ﴿وَظِلالُهُم﴾ وظلال من يسجد يسجد لله أيضاً ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد:١٥] غدوة وعشية، غدوة عن أيمانهم، وعشية عن شمائلهم، وفي الظل عبرة لأنه ينقص بارتفاع الشمس ويطول بانحطاطها[2].

ويقال: معناه لأنهم لا يمتنعون مما يريد الله فيهم، كما لا يقدر أحد على الامتناع من ظله غدواً وعشياً.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ من خالق السموات ﴿وَالأَرْضِ﴾ فإن أجابوك وقالوا: الله وإلا: ﴿قُلِ اللهُ﴾ خالقهما ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَفَاتَّخَذْتُم﴾ عبدتم ﴿مِّن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿أَوْلِيَاء﴾ أرباباً آلهة ﴿لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا﴾ جر النفع ﴿وَلاَ ضَرًّا﴾ دفع الضر

(١) انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي. {٣٧٦٣/٥} وتفسير مقاتل بن سليمان، {١٧١/٢}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٠١/٩}.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ يعني الكفر والإيمان ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ وصفوا لله ﴿شُرَكَاء﴾ من الآلهة ﴿خَلَقُواْ﴾ خلقاً ﴿كَخَلْقِهِ﴾ كخلق الله ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾ فتشابه كل الخلق ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فلا يدرون بخلق الله من خلق آلهتهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بائن منه من فعله لا الآلهة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦] الغالب على خلقه.

ثم ضرب مثل الحق والباطل فقال:﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً﴾ يقول نزل جبريل بالقرآن فيه بيان الحق والباطل ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ فحملت القلوب المنورة الحق ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بقدر سعتها ونورها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ يقول: فحملت القلوب المظلمة ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ باطلاً كثيراً بهواها ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ﴾ يلبسونها، خبث كزبد الماء، وهذا مثل آخر يقول فيما يطرحون في النار من الذهب والفضة ابتغاء حلية طلب حلية يلبسون، خبث كزبد الماء، يقول: مثل الحق كمثل الذهب والفضة ينتفع بهما كذلك الحق ينتفع به صاحبه، ومثل الباطل كمثل خبث الذهب والفضة لا ينتفع به، كذلك لا ينتفع بالباطل صاحبه ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ حديد أو نحاس ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ يقول يكون له خبث مثله مثل زبد الماء، وهذا مثل آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما صاحبه، فكذلك الحق به ينتفع صاحبه، ومثل الباطل كمثل خبث الحديد والنحاس لا ينتفع به صاحبه كما لا ينتفع بالجهل والمذاهب الباطلة.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ يبين الله الحق والباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء﴾ يقول: يذهب كما جاء لا ينتفع به، فكذلك الباطل لا ينتفع به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ وهو الماء الصافي، والذهب والفضة والحديد والنحاس ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ يُنتفع به، فكذلك الحق ينتفع به ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧] يبين الله الأمثال الحق والباطل، وفي الجملة من أصاب الحق، مثله كمن أصاب الحلية والمتاع والماء، ومثل من أصاب الباطل كمن أصاب الزبد، وشبه أفعال المشركين وقلة ثباتها بالزبد الذي لا ينتفع ولا يجدى، بل يذهب باطلاً[(١)].

وشبه أفعال المؤمنين بما يحصل من الماء في الأدوية، وما يبقى في الآنية بعد الغلي من الماء بغليه، أو من ذوب ما يذاب للحلي إذا ذهب الزبد[(٢)].

---

(١) انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٧٧٧/٥}.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٥٢٣/٢}.

وزاد في التبيين بقوله: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ بالتوحيد والعمل في الدنيا ﴿الْحُسْنَى﴾ لهم الجنة في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ﴾ بالتوحيد والعمل ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ﴾ من الذهب والفضة ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ ضعفه معه ﴿لاَفْتَدَوْاْ بِهِ﴾ لفادوا به أنفسهم ﴿أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ شدة العذاب ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨] الفراش والمصير.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ ويصدق ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ كافر ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ بما أنزل من القرآن ﴿أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩]ذوو العقول.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ يتمون فرائض الله ﴿وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيْثَاقَ﴾ [الرعد:٢٠] ولا يتركون فرائض الله.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام، ويقال: من الإيمان بمحمد ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يعملون لربهم ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١] شدة العذاب.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على ما أمر الله والمرازي ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طلب رضا ربهم ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ وأتموا الصلوات الخمس ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ تصدقوا مما أعطيناهم ﴿سِرًّا﴾ فيما بينهم وبين الله ﴿وَعَلاَنِيَةً﴾ فيما بينهم وبين الناس ﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيء إذا ورد عليهم ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أهل هذه الصفة من قوله: ﴿إنما تنذر﴾ إلى ها هنا ﴿لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢] يعني الجنة.

ثم بين أي الجنان لهم فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وهي مقصورة الجنة، وهو معدن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ وحد ﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾ يدخلونها أيضاً ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ ومن وحد من أزواجهم يدخلن أيضاً ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ من وحد من ذرياتهم يدخلون أيضاً جنات عدن ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣] يقول: لكل واحد منهم جنة من درة مجوفة، لها أربعة آلاف باب، أربعين فرسخاً في أربعين فرسخاً، لها أربعة آلاف قصر من ذهب يدخلون عليهم في كل باب مصراع ملك يقول:

﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ هذه الجنة بما صبرتم على أمر الله والمرازي ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤] نعم الجنة لكم(١).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٤٥/١٩}.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ يتركون فرائض الله ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ تغليظه وتشديده وتأكيده ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والإيمان بمحمد ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر والشرك والدعاء إلى غير عبادة الله ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ السخطة في الدنيا ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥] يعني النار في الآخرة.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يوسع المال على من يشاء في الدنيا وهم مكر منه ﴿وَيَقَدِرُ﴾ ويقتر على من يشاء وهو نظر منه ﴿وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ورضوا بما في الحياة الدنيا من النعيم والسرور والزهرة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ في النعيم والسرور ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ عند نعيم الآخرة في البقاء والبلاغ ﴿إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد:٢٦] شيء قليل كمتاع البيت مثل السكرجة والقدح والقدر وغير ذلك.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل عليه على محمد ﴿آيَةٌ﴾ علامة ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ لنبوته كما كانت للرسل الأولين بزعمه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ من كان أهلاً لذلك كما تقدم ذكره ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ يرشد إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧] مَن أقبل إلى الله.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾ ترضى وتسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ﴾ القرآن، ويقال بالحلف بالله ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ﴾ القرآن والحلف بالله ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] ينبغي أن تسكن وترضى القلوب.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ غبطة لهم، ويقال: طوبى شجرة في الجنة ساقها الذهب وورقها الحُلَل، وثمرها من كل لون، وأغصانها متواليات في الجنة، وتختها كثبان المسك والعنبر والزعفران.

وفي الخبر: (إن أصل الشجرة في دارعلي عليه السلام)(١).

﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩] المرجع في الجنة.

---

(١) عن ابن عباس: ف طُوبَى لَهُمْ شجرة أصلها في دار علي في الجنة، وفي دار كل مؤمن منها غصن يقال له طوبى. وَحُسْنُ مَآبٍ حسن المرجع. أخرجه المغازلي: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لابن المغازلي، {٣٣٩} وذكره في الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٢٩٠/٥}

وعن ابن عباس في قوله: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب﴾ قال: شجرة في الجنة أصلها في دار علي عليه السلام في الجنة، في دار كل مؤمن منها غصن يقال لها: طوبى، وحسن المآب حسن المرجع.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ فقال: «شجرة في الجنة أصلها في دار علي عليه السلام، وفروعها على أهل الجنة، ثم سئل مرة أخرى عنها، فقيل: يا رسول الله سألناك عنها فقلت شجرة في الجنة أصلها في داري، وفروعها على أهل الجنة، ثم سألناك مرة أخرى عنها فقلت: شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة، فقال: إن داري ودار علي واحدة»(١).

وفي خبر آخر: «إن داري ودار علي بن أبي طالب عند رب العالمين عز وجل غداً في مكان واحد».

قال علي بن محمد: وهذا مثل ما قال: «أول من يدخل الجنة أنا، ثم قال: أول من يدخلها علي» فلما سئل عن ذلك، قال: «هو صاحب رايتي وهو يتقدمني»(٢).

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ يقول: هكذا أرسلناك إلى أمة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ قد مضت ﴿مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ﴾ لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أنزلنا إليك جبريل به يعني القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ يقولون: ما يعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب ﴿قُلْ﴾ يا محمد الرحمن ﴿هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اتكلت ووثقت به ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠]مرجعي في الآخرة.

ثم نزل في شأن عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه بقولهم: أذهب عنا جبال مكة بقرءانك وابغ فيها العيون كما قال لداوود عين القطر بزعمك وأتنا بريح نركب عليها إلى

(١) أخرجه المغازلي في المناقب،{٣٣٩}.

(٢) عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: " بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، فَقَالَ لَهُ - وَأَنَا أَسْمَعُ -: " يَا أَبَا بَرْزَةَ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: إِنَّهُ رَايَةُ الْهُدَى، وَمَنَارُ الْإِيمَانِ، وَإِمَامُ أَوْلِيَائِي، وَنُورُ جَمِيعِ مَنْ أَطَاعَنِي، يَا أَبَا بَرْزَةَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِينِي غَدًا فِي الْقِيَامَةِ، وَصَاحِبُ رَايَتِي فِي الْقِيَامَةِ، عَلَى مَفَاتِيحِ خَزَائِنِ رَحْمَةِ رَبِّي " أخرجه الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ،السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ،باب علي بن ابي طالب وسيد القوم.{٦٦/١}

الشام ونجيء إليه كما كان لسليمان بزعمك، أو احيي موتانا كما أحيا عيسى بن مريم بزعمك، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ غير قرآن محمد ﴿سُيِّرَتْ بِهِ﴾ ذهبت به ﴿الْجِبَالُ﴾ عن وجه الأرض ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ قَصُرَ به البعد ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ أحيي به الموتى لكان بقرآن محمد عليه السلام ﴿بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بل الله يفعل ذلك جميعاً إن شاء، ولكنه لا يفعله إذا لم يكن فيه نفع في الدين والإيمان ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد صلى الله عليه وآله والقرآن ﴿أَن لَّوْ يَشَاء اللهُ﴾ ولو شاء الله ﴿لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأكرم الناس كلهم بدينه على سبيل الإكراه، ولاكن لا يفعله لأنه ليس بحكمة ويرتفع التكليف ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالكتب والرسل وهم كفار مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ في كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ سَرية ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ تنزل مع أصحابك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ بقربهم بمكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ﴾ فتح مكة ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد:٣١] فتح مكة، ويقال: البعث بعد الموت(١).

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ استهزأ بهم قومهم كما استهزأ بك قومك قريش ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فأمهلت للذين كفروا بعد الاستهزاء ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد:٣٢] عاقبة أمري، انظر كيف كان تغييري عليهم بالعذاب.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ على حفظ كل نفس ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ من الخير والشر والرزق والدفع ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ﴾ وصفوا لله ﴿شُرَكَاء﴾ من الآلهة يعبدونها ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿سَمُّوهُمْ﴾ سموا منفعتهم في تدبيرهم إن كان لهم شُركة مع الله ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾ أتخبرونه ﴿بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾ بما يعلم أن ليس ﴿فِي الأَرْضِ﴾ ينفع ويضر من دون ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ بل بالباطل القول وبالزور والكذب عبدوهم ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿مَكْرُهُمْ﴾ قولهم وفعلهم و ﴿صُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ وصُرفوا عن الدين ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:٣٣] من موفق(٢).

---

(١) انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٧٩٦/٥-٣٧٩٧-٣٧٩٨}.

(٢) أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت، يريد من هو غير الله على سبيل الإفهام، والتوقيف والتقرير لهم بذلك، والتعريف، انتهى. والمعنى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشركائهم التي لا تضر ولا تنفع، وهذا احتجاج عليهم في إشراكهم بالله، ويجوز أن يقدر ما يقع خبراً للمبتدأ، ويعطف عليه {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء. ولما قرر هذه الحجة زاد في الاحتجاج فقال: {قُلْ سَمُّوهُمْ} له ونبؤه بأسمائهم، ومن هم، وإنما يقال ذلك في الأمر المستحقر الذي بلغ في الحقارة ألا يذكر ولا يوضع له اسم، ثم قال: {أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٣٦٩/٣}.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل يوم بدر ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد من عذاب الدنيا ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِن وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٤]مانع وملجأ يلجؤون إليه.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿أُكُلُهَا﴾ ثمرها ﴿دَآئِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وِظِلُّهَا﴾ دائم لا خلل فيها ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقْبَى﴾ مأوى ﴿الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ﴾ مأوى الكافرين ﴿النَّارُ﴾ [الرعد:٣٥].

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ﴾ أعطيناهم ﴿الْكِتَابَ﴾ علم التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من ذكر الرحمن ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ يعني اليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ بعض القرآن سوى سورة يوسف، وذكر الرحمن، ويقال: ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني كفار مكة وغيرهم من ينكر بعضه بعض القرآن ما فيه من ذكر الرحمن ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ﴾ مخلصاً ﴿وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾ شيئاً ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ خلقه ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد:٣٦]مرجعي في الآخرة.

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ هكذا أنزلنا جبريل بالقرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ يقول: القرآن كله حكم الله على مجرى اللغة العربية ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم﴾ دينهم وقبلتهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ البيان بدين إبراهيم وقبلته ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ من قريب ينفعك ﴿وَلاَ وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٧]ولا ولي مانع يمنعك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ﴾ كما أرسلناك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ أكثر من أزواجك مثل داود وسليمان ﴿وَذُرِّيَّةً﴾ أكثر من ذريتك مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

نزلت هذه الآية في شأن اليهود لقولهم: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن التزويج ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ بعلامة ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بعلم الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨]لكل كتاب أجل ومهلة مقدم ومؤخر.

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ ينسخ الله ما يشاء من الكتاب ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ناسخا[1].

---

(١)انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١١٧/١}.

ويقال: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ من ديوان الحفظة ما لا ثواب له ولا عقاب، ويثبت يترك ماله الثواب والعقاب ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩] أصل الكتاب، يعني اللوح المحفوظ لا يزاد فيه ولا ينقص منه.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ يقبضك ثم نريهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ التبليغ عن الله ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠] الثواب والعقاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ينظروا أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ نأخذ الأرض ﴿نَنقُصُهَا﴾ بفتحها يا محمد ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ من نواحيها.

ويقال: هو موت العلماء ﴿وَاللّهُ يَحْكُمُ﴾ بفتح البلدان وموت العلماء ﴿لاَ مُعَقِّبَ﴾ لا مغير ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١] شديد العقاب. ويقال: إذا حاسب فحسابه سريع.

﴿وَقَدْ مَكَرَ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل أهل مكة بمثل نمرود بن كنعان بن سنجار بن كوش وأصحابه[1] ﴿فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ فعند الله عقوبة مكرهم جميعاً ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعلم الله ما تكسب كل نفس برة أو فاجرة من خير أو شر ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ يعني اليهود وسائر الكفار ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٤٢] يعني الجنة.

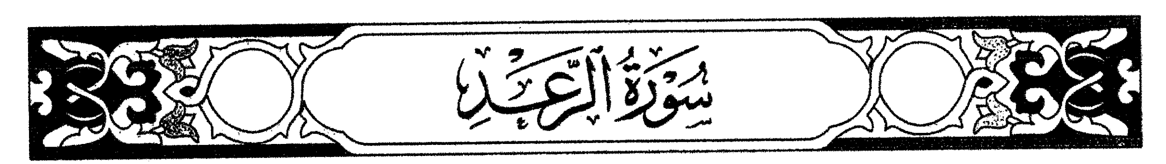
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن، يعني اليهود وغيرهم ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ من الله يا محمد وإلا أتيتنا بشهيد لك فقال الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسول الله، وهذا القرآن كلامه ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٤٣] يقال: يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، ويقال: هوعلي عليه السلام.

ويقال: هو الله عز وجل إن قرأت بالنصب، ويقال: ﴿ومِن عندِه علم الكتاب﴾ تبيان القرآن إن قرات بالخفض، وهي كلها مكية غير آيتين مدنيتين: قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا يصيبهم بما صنعوا قارعة..﴾ إلى آخرها.

وقوله: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾.

---

(١) وهو نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦/٥}



وعن ابن الحنفية عليه السلام[1] في قوله عز وجل: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

وعن عبد الله بن عطاء[3] قال: كنت جالساً مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام جالساً في ناحية، فقلت لأبي جعفر: زعموا أن أبا هذا هو الذي عنده علم الكتاب، فقال: لا إنما ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام وذكر الحديث.[4]

---

(١) محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية: أحد الابطال الاشداء في صدر الاسلام. وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزا له عنهما. وكان يقول: الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما. كان واسع العلم، ورعا، أسود اللون. وأخبار قوته وشجاعته كثيرة. وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي. وكانت الكيسانية (من فرق الاسلام) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى. مولده ووفاته في المدينة. وقيل: خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير، فمات هناك. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: الجزء: ١ - ط: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - ط: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - ط: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - ط: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - ط: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - ط: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧- ط: ١، ١٩٩٤، باب محمد بن الحنفية {١٦٩/٤}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٣٦/٩}.

(٣) عبد الله بن عطاء المكي، ويقال الطائفي أو الواسطي أبو عطاء المدني، عن الباقر وابن المنكدر وأبي إسحاق الشيباني، وعنه الثوري والحسن بن صالح والسبيعي، روى الذهبي، عن الترمذي أنّه ثقة عند أهل الحديث، وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال الذهبي: صدوق إنشاء الله. احتج به مسلم والأربعة. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، و: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، باب عبد الله بن عطاء، {٢٧٧/٥}

(٤) وروينا من تفسير الثعلبي يرفعه إلى عبد الله بن عطاء، قال: كنت مع أبي جعفر جالساً في المسجد فرأيت عبد الله بن سلام فقلت: هذا الذي عنده علم الكتاب: فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب، ورفعه أيضاً إلى راذان عن ابن الحنفية، ومن عنده علم الكتاب، قال هو علي بن ابي طالب عليه السلام. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٣٠٣/٥} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٣٦/٩}.

ومن السورة التي يذكر فيها إبراهيم عليه السلام

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿الَر﴾ يقول: أنا الله أرى ما تقولون وتعملون، ويقال قسم أقسم به[1] ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ إن هذا الكتاب أنزلناه ﴿إِلَيْكَ﴾ أنزلنا جبريل به إليك ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾[2] لتدعو الناس أهل مكة ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ربهم تدعوهم ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به ﴿الْحَمِيدِ﴾ [ابراهيم:١] لمن وحده.

ويقال: المحمود في فعاله.

﴿اللَّـهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَوَيْلٌ﴾ واد في جهنم ﴿لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [ابراهيم:٢] غليظ.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ يصرفون الناس عن دين الله وطاعته ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ويطلبونها غيراً ﴿أُوْلَـئِكَ﴾ يعني الكفار ﴿فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ [ابراهيم:٣] عن الحق والهدى.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ بلغة قومه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ بلغتهم ما أمر لهم، وما نهوا عنه.

ويقال: بلسان يقدروا أن يتعلموا منه ﴿فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿وَيَهْدِي﴾ لدينه ﴿مَن يَشَاء﴾ من كان أهلاً لذلك ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه وسلطانه.

ويقال: العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به ﴿الْحَكِيمُ﴾ [ابراهيم:٤] في أمره وقضائه.

ويقال: الحكيم بالإضلال والهدى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ أن ادع قومك ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ عذاب الله.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، {٢٠٢/٥} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٤/١٨}.

(٢) نسب اخراج الناس اليه وان كانوا خرجوا لأنهم خرجوا عند دعائه [وأذن في الناس] ،فجاز اضافته اليه مجازا . انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٨٢٥/٥}.

ويقال: أيام الله رحمة الله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكرت ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [ابراهيم:٥] صبار على الطاعة شكور بالنعمة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ قد قال موسى ﴿لِقَوْمِهِ﴾ لبني إسرائيل ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ منة الله ﴿عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من فرعون وقومه القبط ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعذبونكم بأشد العذاب ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ صغاراً ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ يستخدمون نساءكم كباراً ﴿وَفِي ذَلِكُم﴾ في ذبح الأبناء استخدام النساء ﴿بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [ابراهيم:٦] بلية من ربكم عظيمة، ويقال: نعمة من ربكم عظيمة، أنعم عليكم بها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ قال ربكم وأعلم ربكم في الكتاب ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ بالتوفيق والعصمة والكرامة والنعمة ﴿لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ توفيقاً وعصمة وكرامة ونعمة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ بي أو بنعمتي ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم:٧] لمن كفر.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ﴾ بالله ﴿أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن إيمانكم ﴿حَمِيدٌ﴾ [ابراهيم:٨] لمن وحده.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ يعني قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم صالح قوم شعيب وغيرهم كيف أهلكهم الله بالتكذيب ﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ﴾ لا يعلم عددهم وعذابهم أحد ﴿إِلاَّ اللهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالأمر والنهي والعلامات ﴿فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾(١) يقول: ردوا على الرسل ما جاءوا به، ويقال(٢): وضعوا أيديهم على أفواههم، وقالوا للرسل: اسكتوا لا سكتم ﴿وَقَالُواْ﴾ للرسل ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ جحدنا ﴿بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ ببيان الكتاب والتوحيد ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الكتاب والتوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ [ابراهيم:٩] ظاهر الشك مما تقولون.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾ أفي وحدانية الله شك ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خالق السموات والأرض ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى التوبة والتوحيد ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ بالتوبة والتوحيد ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ في

---

(١) المعنى: عضوا على أيديهم غيظا وحنقا على الأنبياء عليهم السلام ، عن ابن عباس ،وابن مسعود وابن زيد وأبي يعلى ، وقرأ ابن مسعود (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ). انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٨٣٧/٥}

(٢) القول لمقاتل بن سليمان. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٨٥/٢}.

الجاهلية ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ يؤجلكم بلا عذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معلوم يعني الموت ﴿قَالُواْ﴾ للرسل ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ ما أنتم ﴿إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ آدمي مثلنا ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾ تصرفونا ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [ابراهيم:١٠] بكتاب وحجة.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ آدمي ﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة والإسلام ﴿وَمَا كَانَ لَنَا﴾ وما كان ينبغي لنا ﴿أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ﴾ بكتاب وحجة ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ بأمر الله ﴿وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [ابراهيم:١١] يقول: وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله فقالوا للرسل: توكلوا أنتم على الله حتى ترون ما نفعل بكم، فقالت رسلهم:

﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ وقد أكرمنا بالنبوة والإسلام ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ في إيذائنا بطاعة الله ﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [ابراهيم:١٢] فليق الواثقون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ من مدينتنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ في ديننا ﴿فَأَوْحَى﴾ الله ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى الرسل ﴿رَبُّهُمْ﴾ أن اصبروا ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [ابراهيم:١٣] الكافرين(١).

﴿وَلَنُسْكِنَنَّـكُمُ﴾ ننزلنكم ﴿الأَرْضَ﴾ أرض مصر وديارهم ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾ من بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ التسكين ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ القيام بين يدي ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [ابراهيم:١٤] عذابي.

﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ استنصروا كل قوم على نبيهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر عند الدعاء من النصرة ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر قتال ﴿عَنِيدٍ﴾ [ابراهيم:١٥] ينعرض عن الحق والهدى.

﴿مِّن وَرَآئِهِ﴾ قدامه قدام هذا الجبار بعد الموت ﴿جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ﴾ [ابراهيم:١٦] من ماء يخرج من جلودهم من القيح والدم.

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يستمسك الصديد في حلقه ﴿وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ يخبره ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ كغم الموت وشدته ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من تحت كل شعرة، ويقال: تأخذه النار من كل مكان من كل ناحية

---

(١) {وقال الذين كفروا لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا} هذا جواب قسم أي قالوا لرسلهم والله ليكونن أحد الأمرين لا محالة، إما إخراجكم عن أرضنا، وإما عودكم في ملتنا.

ولم يكونوا على ملتهم حتى يعودوا فيها؛ لأنهم معصومون، ولكن العود بمعنى الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية، لا يكاد تسمعهم يستمعون صار ولكن عاد {فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين} أي الكافرين الظالمين لأنفسهم بالكفر والتكذيب، والمعنى مكذبي الرسل، أي فبلغوا واصبروا وتوكلوا عليَّ {ولنسكننكم الأرض من بعدهم} المراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم، ومعنى من بعدهم أي من بعد إهلاكهم، وهذا كقوله وأورثكم أرضهم وديارهم. الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {٢/٩٠}.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ من ذلك العذاب ﴿وَمِن وَرَآئِهِ﴾ من وراء الصديد ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [ابراهيم:١٧] شديد أشد من الصديد.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يقول مثل أعمال الذين كفروا بربهم ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ ذرت به الريح ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ قاصف شديد من الريح ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ﴾ يقول: لا يجدون ثواب شيء مما عملوا من الخير في الشرك كمن لا يجد من الرماد شيئاً إذا أذرته الريح ﴿ذَلِكَ﴾ الكفر والعمل لغير الله ﴿هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [ابراهيم:١٨] الخطأ البعيد عن الحق والهدى[١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر يا محمد، خاطب بذلك نبيه وإرادته قومه ﴿أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لتبيان الحق والباطل.

ويقال: للزوال والفناء.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلكم ويميتكم يا أهل مكة ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ابراهيم:١٩] يقول: ويخلق خلقاً غيركم خيراً منكم وأطوع لله.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [ابراهيم:٢٠]لشديد، يقول: ليس على الله بشديد إن شاء يهلككم ويخلق خلقاً آخر.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ خرجوا من القبور بأمر الله جميعاً القادة والسفلة ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاء﴾ السفلة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان وهم القادة ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ مطيعين فيما أمرتمونا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَيْءٍ﴾ شيئاً من عذاب الله ﴿قَالُواْ﴾ يعني القادة ﴿لَوْ هَدَانَا اللهُ﴾ ورضي بما نحن عليه لدينه ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ [٢]لدعوناكم إلى دينه، ومعناه أنهم يقولون لو كان الله هدانا بالكفر الذي كنا عليه مقيمين لكنا قد هديناكم إذ دعوناكم إليه، لكنه لم يجعله كذلك لعلمه بفساده وقبحه ﴿سَوَاء عَلَيْنَآ﴾ العذاب ﴿أَجَزِعْنَا﴾ صحنا وتضرعنا ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ سكتنا ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [ابراهيم:٢١]من مغيث وملجأ.

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٤٢٨/٢}.

(٢) يحتمل أن يكونوا كأهل الجبر في توريك [إضافة] ضلالهم وإضلالهم على الله، كما حكى الله عنهم، وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء، يقولون في الآخرة كما يقولونه في الدنيا، ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ}. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٢٨٤/٣}.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ يقول الشيطان وهو إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فيقول لأهل النار في النار ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ إن الجنة والنار والحساب والبعث حق ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ ألا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ كذبت لكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ من حجة وعذر ومقدرة ﴿إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ إلى طاعتي ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ في طاعتي ﴿فَلاَ تَلُومُونِي﴾ في دعوتي لكم ﴿وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾ بإجابتكم إياي ﴿مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغنيكم ومنجيكم من النار ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثي ومنجيي من النار ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بالذي أشركتموني به ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل أن أشركتموني به.

ويقال: بما عدلتموني بالله، ويقال: عصيت الله قبلكم.

ويقال: تبرأت منكم ومن دينكم وإجابتكم من قبل هذا في الدنيا.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [ابراهيم:٢٢] وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها في الجنة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ربهم ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ كرامتهم ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿سَلاَمٌ﴾ [ابراهيم:٢٣] يسلم بعضهم على بعض إذا التقوا.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ يقول: كيف بين الله كلمة طيبة وهي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: قلب المؤمن المخلص الثابت بلا إله إلا الله ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء﴾ [ابراهيم:٢٤] يقول بها يقبل عمل المؤمن المخلص(١).

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ يقول: يعمل المؤمن المخلص كل حين طاعة وخيراً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بأمر ربه.

ويقال: صفة كلمة طيبة في المنفعة والمدحة ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة، يقول: شجرة طيبة ثمرها، كذلك المؤمن طيب عمله ﴿أصلها ثابت﴾ يقول: أصل الشجرة ثابت في الأرض

(١) انظر: تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {٦٥}

بعروقها، وكذلك المؤمن ثابت بالحجة والبرهان ﴿وفرعها في السماء﴾ يقول: أغصـان النخلـة ترتفع نحو السماء، وكذلك عمل المؤمن المخلص يرفع إلى السـماء ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ يقول: يخرج ثمرها كل ستة أشهر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادة ربها، وكذلك المؤمن المخلص يعمل كل حين طاعة وخير ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ يقول: بأمر ربه.

﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾ هكذا بين الله صفة توحيده ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [ابراهيم:٢٥] لكي يتعظوا و يرغبوا في توحيده.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهو الشرك بالله ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهو الشرك، يقـول الشـرك مذموم ليس له مدح، كما أن الشرك مذموم ليس له مدح، ويقال: كشجرة خبيثة وهي حنظلة ليس لها منفعة ولا حلاوة، فكذلك المشرك ليس فيه منفعة ولا مدحة ﴿اجْتُثَّتْ﴾ اقتلعـت ﴿مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [ابراهيم:٢٦]من ثبات على وجه الأرض، ويقال تثبيت على وجه الأرض، وتبسيط ولا ساق لها، ولها أصل ضعيف يجتث عن قليـل ويستأصـل ولا يثبت، كذلك المشرك ليست له حجة بأحدها، كما أن ليس لشجرة الحنظلة أصل تثبت عليه ولا يقبل مع الشرك عمل.

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يقال بمحمد والقرآن، ويقال: آمنوا بطيبة الـنفس، وهـي أصـل السعادة بطاعتهم ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ بشهادة ألا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالحجة النيرة، ولكيلا يرجع عنها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ إذا خرجوا من قبورهم[1].

---

(١) شبه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى ولا ثمر يستحلى، وأن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى ولا ذكر في السماء يرقى. واعلم أنه تعالى لما بين أن صفة الكلمة الطيبة أن يكون أصلها ثابتاً، وصفة الكلمة الخبيثة ألا يكون لها أصل ثابت، بل تكون منقطعة فلا يكون لها قرار، ذكر أن ذلك القول الثابت الصادر في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم، وثبات ثوابه عليهم، فقال سبحانه: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} الذي تثبت به الحجة في قلب صاحبه، فاعتقده وسكنت إليه نفسه وثبتهم به {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أنه إذا ثبتوا في دينهم لم يزلوا كأصحاب الأخدود، حيث اختاروا الحريق على الخروج من دينهم، والذين نشروا بالمناشير، ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، {وَ}ثبتهم {فِي الآخِرَةِ} أنهم إذا ابتلوا عند مواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٢٩٧/٣}.

وعن أبي صالح، عن ابن عباس قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ قال: بولاية علي عليه السلام[1].

﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين وهم أهل الشقاوة لمعصيتهم يضلهم عن طريق الجنة في الآخرة أو يحكم عليهم بالضلال ويسميهم به لسوء عملهم واختيارهم له ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [ابراهيم:٢٧] من الإضلال والتثبيت.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ عن الذين ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ غيروا نعمة الله بالكتاب والرسول ﴿كُفْرًا﴾ كفروا بمحمد والقرآن وهم: بنو أمية وبنو المغيرة المطعمون يوم بدر ﴿وَأَحَلُّواْ﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ أهل مكة ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ [ابراهيم:٢٨] الهلاك، يعني دار بدر ويقال جهنم[2].

ثم قال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ابراهيم:٢٩] المنزل والمصير جهنم.

﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ﴾ قالوا أو وصفوا لله تعالى ﴿أَندَادًا﴾ أعدالاً من الأوثان يعبدوها ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ بذلك ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه وطاعته ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد لأهل مكة ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ عيشوا في كفركم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [ابراهيم:٣٠] يوم القيامة.

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بي وبالكتاب والرسل ﴿يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ يتموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها ﴿وَيُنفِقُواْ﴾ يتصدقوا ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مما أعطيناهم من الأموال ﴿سِرًّا﴾ خفياً ﴿وَعَلانِيَةً﴾ جهراً وهم

---

(١) فر: الحسين بن الحكم معنعنا عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " قال: بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {١٤١/٣٦}.

يتبين من السياق أن ألقول الثابت هو الكلمة الطيبة، ومن ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ} ولا يمنع أن يكون القول بولاية الإمام علي كرم الله وجهه ظمن القول الثابت، فالله قال (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) بل القول بولاية الإمام علي هو صمام أمان الرسالة كما حكت الآيات.

(٢) (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)، وهمُ الذين قُتلوا يوم بدر، فلم يدخل من القادة أحدٌ في الإسلام إلا رجلان: أبو سفيان بن حَرْب، والحَكَم بن أبي العاص. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٢٦٧/١}.

أصحاب محمد ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾ لا فداء فيه ﴿وَلاَ خِلاَلٌ﴾ [ابراهيم:٣١] يعني لا مخالة للكافرين والصالح تنفعه خلته.

ثم وحد نفسه فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ فأنبت به ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان الثمرات ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ طعاماً لكم ولسائر الخلق ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ يعني السفن ويقال البحر ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه وإرادته ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ [ابراهيم:٣٢] تجري حيث يشاؤون.

﴿وَسَخَّر﴾ ذلل ﴿لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ﴾ دائمين إلى يوم القيامة ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [ابراهيم:٣٣] يجيء ويذهب.

﴿وَآتَاكُم﴾ أعطاكم ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وما لم تحسنوا أن تسألوه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ﴾ فضيلة الله ﴿لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تحفظوها ولا تشكروها ﴿إِنَّ الإِنسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿لَظَلُومٌ﴾ مشرك ﴿كَفَّار﴾ [ابراهيم:٣٤] كافر بالله وبنمعته.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ وقد قال إبراهيم بعدما بنى البيت ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ﴾ بلد مكة ﴿آمِنًا﴾ من أن يهاج فيه ويأمن فيه الخائف ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَام﴾ [ابراهيم:٣٥] يقول: اعصمنا من عبادة الأصنام والنيران ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي أضل بهن كثير من الناس، ويقال: ضل بين كثير من الناس ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ تبع ديني وطاعتي ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾ خالف ديني ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ﴾ متجاوز لمن تاب ﴿رَّحِيم﴾ [ابراهيم:٣٦] لمن مات على التوبة، ومعنى قوله: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ فإنه سأل ربه المعونة واللطف لنفسه ولبنيه ما يكون عند تجنبها تمسكاً بطاعته وتجنبا لعبادة غيره، وكل ذلك بأمر الله ومعونته ولطفه من غير جبر ولا إكراه(١).

---

(١) لما كانت سبباً لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم عليه السلام {إنهنَ أضللنَ كثيراً من الناس} {ولولا كلمة الفصل} أي: القضاء السابق بتأخير الجزاء، أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة {لقضي بينهم} أي: بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم {وإن الظالمين لهم عذاب أليم} أي: شديد الألم في الآخرة. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {١٨/٥}.

﴿رَّبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ إسماعيل وامه هاجر ﴿بِوَادٍ﴾ في واد ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ ليس به زرع ولا نبات ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني مكة ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ كي يتموا الصلاة نحو الكعبة ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ قلوب الناس بعض الناس، ويقال: وفود الناس ﴿تَهْوِي﴾ تشتاق ﴿إِلَيْهِمْ﴾ كل سنة، ففعل الله ذلك بأن فرض الحج وحببه إليهم ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان الثمرات ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [ابراهيم:٥٧] لكي يشكروا نعمتك، وإنما دع خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل صلى الله عليهما لولدهما إذا كان قرار ولد إسماعيل بمكة فسألا أن يجعل الله الأفئدة ؛والأفئدة وفود من الناس تهوي إليهم في كل سنة، وأن يرزقهم من الثمرات، فأجاب الله عز وجل لهما في ذلك كله، هؤلاء الدعوات فنفذت الدعوة في الوفود أبداً، و أن تكون الوفود في كل عام واردة مكة ما أبقى الله من ذريتهما أحد، ورزقوا من الثمرات بمكة يصير إليها ويوجد بها رطب من الثمرات ويابس.

﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ من وجد إسماعيل [1]﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾ في الخفاء له ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ﴾ من خير أو شر ﴿فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ [ابراهيم:٣٨] والظاهر أنه مدح الله سبحانه بمعرفة الظاهر و الباطن من الغيوب كلها.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرا لله ﴿الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ بعد الكبر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾ وكان ابن مائة سنة وامرأته سارة ابنة تسع وتسعين سنة حين ولد لهما[2]﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾ [ابراهيم:٣٩] مجيب الدعاء.

﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ﴾ متم الصلاة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أيضاً يقول: أكرمني وأكرم ذريتي بإتمام الصلاة، وقد تقدم تأويل مثلهما ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاء﴾ [ابراهيم:٤٠] عبادتي.

---

(١) نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع إليك والتوكل عليك. انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، {٢٠١/٣}.

(٢) اعلم أن القرآن يدل على أنه تعالى إنما أعطى إبراهيم هذين الولدين أعني إسماعيل وإسحاق على الكبر والشيخوخة، فأم مقدرا السن فغير معلوم من القرآن، وإنما يرجع فيه إلى الروايات، فقيل: لما ولد إسماعيل كان سن إبراهيم تسعاً وتسعين سنة، ولما ولد إسحاق كان سنه مائة سنة واثنتى عشرة سنة، وقيل: ولد إسماعيل لأربع وستين وولد إسحاق لتسعين. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٣٠٨/٣}.

﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿اغْفِرْ لِي﴾ ذنوبي ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ لآبائي المؤمنين ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني لسائر المؤمنين والمؤمنات ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [ابراهيم:٤١] يكون الحساب(١).

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول بتارك عقوبة ما كان يعمل المشركون ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤجلهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [ابراهيم:٤٢] أبصار الكفار وهو يوم القيامة.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين ناظرين إلى الداعي، ويقال: دوام النظر ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ مطأطيء رؤوسهم، ويقال: رافعي رؤوسهم، ويقال: مادي أعناقهم ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ﴾ لا يرجع إليهم ﴿طَرْفُهُمْ﴾ وأبصارهم من الهول والفزع ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاء﴾ [ابراهيم:٤٣] خاليه من الخير.

ويقال: لا عائدة ولا خارجة.

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ خوف أهل مكة بالقرآن ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾ من يوم يأتيهم ﴿الْعَذَابُ﴾ وهو يوم بدر. ويقال: يوم القيامة.

﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أشركوا ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ مثل أجل الدنيا ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ إلى التوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ نطيع الرسل بالإجابة، فيقول الله تعالى لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل هذا ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [ابراهيم:٤٤] من الدنيا ولا بعث.

﴿وَسَكَنتُمْ﴾ نزلتم ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك والتكذيب، فلم تتعظوا بهلاكهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ في الدنيا ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ﴾ بينا لكم ﴿الأَمْثَالَ﴾ [ابراهيم:٤٥] في القرآن من كل وجه من الوعيد والوعد، والرحمة والعذاب.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ﴾ صنعوا ﴿مَكْرَهُمْ﴾ صنيعهم بالتكذيب بالرسل ﴿وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ عقوبة صنيعهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ يقول: ما كان مكرهم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [ابراهيم:٤٦] عن مكانها إن قرأت بخفض اللام الأول ونصبت اللام الأخرى.

ويقال: كان مكرهم لتزول من الجبال من حيلهم.

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٢/٢٤٦}.

ويقال: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وقد كان مكرهم، وقد كان مكر الجبار نمرود ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ يقول: لتخر منه الجبال من حيلهم، ومكرهم إن قرئت بنصب اللام الأولى ورفع اللام الأخرة والأول أصح القولين، وقد روي عن علي عليه السلام مثله.

﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ لرسله بنجاتهم وهلاك أعدائهم ﴿إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه وسلطانه ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ [ابراهيم:٤٧]ذو نعمة من عذابه في الدنيا والآخرة.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ﴾ في يوم تغير الأرض ﴿غَيْرَ الأَرْضِ﴾ على حال سوى هذه الحال وتبديلهما أن يزاد فيها أو ينقص منها وتسوى جبالها وأوديتها.

ويقال: تبدل أرض غير هذه الأرض.

﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ مطويات بيمينه بقدرته وقوته.

قال الشاعر[1]:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ   تلقاها عُرابَةُ باليَمِينِ

أي: يا قوي القوة[2].

﴿وَبَرَزُواْ﴾ خرجوا وظهروا ﴿للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [ابراهيم:٤٨]لخلقه بالموت.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مسلسلين، ويقال: مقيدين ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ [ابراهيم:٤٩] في القيود مع الشياطين. ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ من نار سوداء كالقطران، ويقال من قطران من صفر حار قد انتهى حره.﴿وَتَغْشَى﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمْ النَّارُ﴾ [ابراهيم:٥٠].

﴿لِيَجْزِي اللّهُ﴾ وهذا مقدم ومؤخر، يقول: وبرزوا لله الواحد القهار ليجري الله ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ برة أو فاجرة ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من الخير والشر ﴿إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [ابراهيم:٥١] شديد العقاب، ويقال: إذا حاسبت فحسابه سريع.

---

(١) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيانيّ الغطفانيّ: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. انظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، باب الشماخ {١٧٥/٣}.

(٢) وقال: " لَأَخَذنا مِنْهُ بِاليَمِين" أي بالقوة والقدرة أي لأخذنا قوته وقدرته، قال الفراء والمبرد: اليمين القوة والقدرة، وأنشدا: إذا ما رآية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٧٨/١٥}.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

﴿هَـٰذَا﴾ يعني القرآن ﴿بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أبلغهم عن الله. ويقال: بيان بالأمر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ لكي يخوفوا ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَلِيَعْلَمُـواْ﴾ لكي يعلموا أو يقروا ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿وَلِيَـذَّكَّرَ﴾ لكي يتعظ بالقرآن ﴿أُوْلُـواْ الأَلْبَـابِ﴾ [ابراهيم:٥٢] ذوو العقول من الناس.

وهي كلها مكية.[١]

---

(١) سورة إبراهيم مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها مدنيتين وقيل: ثلاث، نزلت في الذين حاربوا الله ورسوله وهي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ كُفْراً) [إبراهيم: ٢٨] إلى قوله: (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) [إبراهيم: ٣٠]. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٩/٣٣٨}.

سُورَةُ الحِجرِ

الحجر [1]

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى: ﴿الَرَ﴾ يقول: أنا الله أرى[2]، ويقال: قسم أقسم بالألف واللام والراء[3] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي أن هذه السورة آيات الكتاب ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:١] يقول: وأقسم بالقرآن المبين بالحلال والحرام والأمر والنهي.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢] في الدنيا، يقول: ربما يأتي على الكافرين يوم يتمنى أنه كان مسلماً، ولهذا كان القسم، وذلك إذا أكرم الله إذا أخلص لله من الناس من كان مؤمناً خالصاً بإيمانه وأدخله الجنة، فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان مسلماً في الدنيا.

وقال قوم[4]: أنها نزلت في قوم من المسلمين ارتكبوا الفواحش والكبائر، واستوجبوا بها النار، فيدخلهم الله يوم القيامة النار، ويعذبهم على قدر ذنوبهم، فيقول الكفار لهم: ما أغنى عنكم إيمانكم وقد اجتمعنا في النار، فيغضب الله لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا فيشفعون، فيخرج الله من النار ما شاء الله، ثم يخرج الله منهم برحمته أكثر من ذلك حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فليخرج، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، فيشفع لهم ويترحم عليهم[5].

قال علي بن محمد: ليس هذا بصحيح؛ لأن الله لا يخلف وعده ووعيده، الآخرة دار جزاء لا دار عمل، فالله لا يقبل التوبة في دار الدنيا عند الأياس، فكيف يقبلها في الآخرة أو يخرج اهل الكبائر

(١) ذكر المؤلف في نهاية السورة انها مكية كلها.

وهي مكية باتفاق ذكره مقاتل. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٥٨/٢}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٠٤/٨}.

(٣)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٠٢/٥} والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٤/١٨}.

(٤) القول لأبو العلية. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٩٢٠/٦}.

(٥) أخرجه الدارمي: مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ، باب ما يخرج الله من النار ، رقم (٢٨٥٩) {١٨٥٨/٣}.

من النار، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

وقال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾[2]

واسم الفجور والعصيان يتشمل على أهل القبلة وغيرهم.

فأما الشفاعة فإنما تكون للزيادة في الإكرام، ورفع الدرجات، وهو كما قال: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[3] والله تعالى لا يرضى أهل العصيان وأفعالهم، وبالله التوفيق[4].

﴿ذَرْهُمْ﴾ اتركهم يا محمد ﴿يَأْكُلُواْ﴾ بلا حجة ولا همة بما في الغد ﴿وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ ويعيشوا في الكفر والحرام ﴿وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾ ويشغلهم الأمل الطويل عن طاعة الله ﴿فَسَوْفَ﴾ وهذا وعيد لهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣] عند الموت ويوم القيامة ماذا يفعل الله بهم.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ من أهل قرية ﴿إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ﴾ فيه أجل ﴿مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤]مؤقت لهلاكهم.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ يقول: لا تموت ولا تهلك أمة قبل أجلها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر:٥] يعني لا تؤخر أمة عن أجلها.

﴿وَقَالُواْ﴾[5] يعني عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه لمحمد صلى الله عليه وعلى آله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ جبريل بالقرآن بزعمك ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦] تختلق.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ﴾ هلا تأتينا بالملائكة من السماء فيشهدون لك أنك رسول من الله ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر:٧]في مقالتك.

---

(١) النساء: ١٤.

(٢) الانفطار١٣-١٥..

(٣)الأنبياء: ٢٨.

(٤) انظر: مجموع رسائل الإمام الهادي، يحي بن الحسين، {٩٧}.

(٥) نزلت في عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي، والنضر بن الحارث، هو ابن علقمة، من بني عبد الدار بن قصي، ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، كلهم من قريش، والوليد بن المغيرة، قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إنك لمجنون. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٩٩/٢}.

سُورَةُ الحِجْرِ

قال الله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ﴾ من السماء ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ بالهلاك وقبض أرواحهم ﴿وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر:٨] مؤجلين إذا نزلت عليهم الملائكة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني جبريل بالقرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ للقرآن ﴿لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر:٩] من الشياطين أن يزيدوا فيه وينقصوا منه ويغيروا حكمه، ويقال: ﴿إنا له﴾ إنا لمحمد صلى الله عليه وعلى آله لحافظون من الكفار والشياطين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد بالرسل ﴿فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٠] في فرق الأولين.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ مرسل إليهم ﴿إِلاَّ كَانُواْ بِهِ﴾ بالرسول ﴿يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ [الحجر:١١] يسخرون.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا يعني القرآن والبيان ﴿نَسْلُكُهُ﴾ ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر:١٢] المشركين ونوصله إلى قلوبهم من غير إكراه، وفيما قبل الآية وبعدها دليل عليه، وذلك أنه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ﴾

إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ يعني الذكر وهو القرآن.

ثم قال: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ليس يعني الشرك لأنه مصدقون للشرك ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٣] مضت سيرة الأولين بتكذيب الرسل، كما كذب قومك، ومضت سير الله فيهم بالعذاب والهلاك من الله لهم عند التكذيب.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ على أهل مكة ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ﴾ فصاروا فيه ﴿يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر:١٤] يصعدون وينزلون يعني الملائكة.

﴿لَقَالُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ إنما أخذت أعيننا ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٥] مغلوب على عقلوهم، قد سحرنا.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا﴾ قصوراً ويقال: نجوماً وهي النجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ يعني السماء بالكواكب ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦] إليها وهي النجوم التي زينت بها السماء.

﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالنجوم ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر:١٧] ملعون مطرود، وهي النجو التي تزجرها عن الاستماع. ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ إلا من اختلس خلسة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر:١٨] فلحقه نجم مضيء متوقد.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها على الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾ على الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت أوتاداً لها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾ في الجبال، ويقال: في الأرض ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النبات والثمار ﴿مَّوْزُونٍ﴾ [الحِجر:١٩] مقسوم معلوم. ويقال: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مثل الذهب والفضة والحديد والصفر والرصاص وغير ذلك(١).

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ خلقنا لكم ﴿فِيهَا﴾ في الأرض﴿مَعَايِشَ﴾ من النبات والثمار، وما تأكلون وتشربون وتلبسون ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر:٢٠] يقول: ويرزق من لستم له برازقين، يعني الطير والوحش. ويقال: الأجنة في البطون.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ وما من شيء من النبات والثمار والأمطار ﴿إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ مفاتيحه، يقول: بأيدينا مفاتيحه لا بأيديكم ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ يعني المطر ﴿إِلاَّ بِقَدَرٍ﴾ بكيل ووزن ﴿مَّعْلُوم﴾ [الحجر:٢١] يعلم الخزائن، ويقال: إنه لا يمتنع منه إذا أراد شيئاً من الأشياء أوجده من ساعته، وهذا مثلاً ضربه الله لخلقه، إذا كانوا يعرفون أوفر الأشياء عندهم وأحصرها لديهم ما كان في الخزائن عندهم.

وقوله: ﴿إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُوم﴾ هو قدر قد علمه الله وأنزله على قدره وليس فيه إفراط ولا تقصير.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقيح الشجر والسحاب ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء﴾ مطراً ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ في الأرض ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ﴾ للمطر ﴿بِخَازِنِين﴾ [الحجر:٢٢] بفاتحين.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ للبعث ﴿وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُون﴾ [الحجر:٢٣] المالكون على ما في السموات والأرض بعد موت أهلها.

---

(١) (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) كانت الأرض طينة فمدت، وقيل مُدَّتْ من تَحْتِ البيتِ الحرام ، والرواسِي الجبال الثوابت. ومعنى (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) أي من كل شيء مقدور جرى على وزنٍ مِنْ قَدَر اللّه عزَّ وجلَّ لا يُجَاوزُ ما قدره الله عليه، لا يستطيع خلقَ زيادة فيه ولا نقصاناً. وقيل (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)، أي من كل شيءٍ يُوزَن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ. انظر: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الباب ١٩، {١٧٦/٣}.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ يعني الأموات من الآباء والأمهات، ويقال: المستقدمين منكم في الصف الأول والأخير﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٤] يعني الأحياء من البنين والبنات[1].

ويقال[2]: المستأخرين في الصف الآخر والمبطئين في الخير.

ويقال[3]: المستقدمين من الأمم الأولى، والمستأخرين من الأمم الآخرة، أمة محمد صلى الله عليه وآله.

ويقال[4]: المستقدمين آدم ومن مضى من ذريته، والمستأخرين من بقي في أصلاب الرجال.

ويقال[5]: المستقدمين في طاعة الله والمستأخرين في معصية الله.

ويقال[6]: المستقدمين المسرعين في الخير، والمستأخرين المبطئين عنه. ويقال: المستقدمين من قد مات، والمستأخرين من بقي. ويقال: قد علم الله تعالى من تقدم على طاعته ومن تأخر، ومن يؤمن به ومن يكفر به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يعني الأولين والآخرين ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ حكم عليهم الحشر ﴿عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥] بحشرهم وبثوابهم وعقابهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾ يعني آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ من طين يتصلصل ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦] من طين منتن، ويقال: مصوت[7].

---

(١) عن عكرمة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال: المستقدمون: من قد خلق ومن خلا من الأمم، والمستأخرون: من لم يخلق ، وقيل: هم خلق الله كلهم، قد علم من خلق منهم إلى اليوم، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم. وقيل: قال: إن الله خلق الخلق ففرغ منهم، فالمستقدمون: من خرج من الخلق، والمستأخرون: من بقي في أصلاب الرجال لم يخرج. وعتبة بن مسعود: خير صفوف الرجال المقدّم، وشرّ صفوف الرجال المؤخّر، وخير صفوف النساء المؤخّر، وشرّ صفوف النساء المقدّم، فقال محمد بن كعب: ليس هكذا، ولقد علمنا المستقدمين منكم: الميت والمقتول، والمستأخرين: من يلحق بهم من بعدُ، وإن ربك هو يحشرهم، إنه حكيم عليم، فقال عون بن عبد الله: وفقك الله وجزاك خيرا. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧/٩٠-٨٩}.

(٢) القول للحسن. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧/٩٠}.

(٣) القول لمجاهد. انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {١٨٩}.

(٤) القول لعكرمة. انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {٢/٢٥٦}.

(٥) القول للحسن. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧/٩٣}.

(٦) القول للحسن. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {١٧/٩٣}.

(٧) من طين يابس له عند النقر صوت. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٦/٣٩٤٧}ولسان العرب، لابن منظور،{١١/٣٨١}.

﴿وَالْجَآنَّ﴾ أبا الجن ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧] من نار لا دخان فيها.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ وقد قال ربك ﴿لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ الذين كانوا في الأرض عشرة آلاف ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾ أخلق ﴿بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨] بتصلصل متين.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ سويت خلقه باليدين والرجلين والعينين وغير ذلك ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يعني وجعلت فيه الروح ﴿فَقَعُواْ لَهُ﴾ فخروا له ﴿سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩] بالتحية والسجدة لله وإن كانت لسببه.

﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ﴾ لآدم ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر:٣٠]. ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ رئيس الجن ﴿أَبَى﴾ تعظم ﴿أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٣١] لآدم، وإبليس من الجن لا من الملائكة، والاستثناء من غير جنسه جائز شائع في اللغة، كما يقال: أطاع الجيل والديالمة كلهم الأمير إلا فلان التركي، وسوى فلان التركي.

وأما الملائكة فقد قال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (١).

﴿قَالَ﴾ الله له ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ يا آيس من رحمتي ﴿مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٢] بالسجود لآدم.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ﴾ من طين يتصلصل ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٣٣] من طين متين لا ينبغي أن أسجد لطيني.

﴿قَالَ﴾ الله له ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من كرامتي ورحمتي، ويقال: من الأرض. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:٣٤] ملعون مطرود من رحمتي. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ لعنتي ولعنة الخلائق ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر:٣٥]يوم الحساب.

﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿فَأَنظِرْنِي﴾ فأجلني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر:٣٦] من القبور، أراد الملعون ألا يذوق الموت.

---

(١)التحريم من الآية: ٦.

ف﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر:٣٧] من المؤجلين. ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر:٣٨] إلى النفخة الأولى.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يا رب ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ بما حكمت علي به وسميتني به ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ لبني آدم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ الشهوات واللذات ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ لأضلنهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩] عن الهدى.

﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٤٠] المعصومين مني. ويقال: الموحدين إن قرئت بكسر اللام[1].

﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ كريم شريف، ويقال على ممر من أطاعك، وممر من دخل معك النار، ويقال: ﴿هذا صراط علي مستقيم﴾ قائم برضاه وهو الإسلام ﴿عليٌّ﴾ رفيع، إن قرئت بكسر اللام ورفع الياء.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ملك ولا مقدرة ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ إلا من أطاعك ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]من الكافرين.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ مصيرهم مصير من اطاعك ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣]. ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ بعض أسفل من بعض أعلاها جهنم وأسفلها هاوية ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من الكفار ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤] خط معلوم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الكفر والشرك والفواحش، يعني علي عليه السلام وأصحابه ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ في بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥] ماء طاهر.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ﴾ يقول الله لهم يوم القيامة: ادخلوا الجنة بسلام، بسلامة الله مع سلام وتحية.

ويقال: بسلامة ونجاة منا ﴿آمِنِينَ﴾ [الحجر:٤٦]من الموت والزوال.

﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا ﴿إِخْوَانًا﴾ في الآخرة ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧] في الزيارة.

---

(١) قرأ أهل المدينة واهل الكوفة بفتح اللام، أي الذين استخلصتهم وأخلصتهم. وقرا الباقون بكسر اللام، أي الذين أخلصوا لك العبادة من فساد أو رياء. حكى أبو ثمامة أن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلصين لله فقال: " الذي يعمل ولا يحب أن يحمده الناس". انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٠٨/٣}.

﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾ لا يصيبهم في الجنة ﴿نَصَبٌ﴾ تعب ولا مشقة ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا﴾ من الجنة ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

﴿نَبِّىءْ عِبَادِي﴾ خبر عبادي ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩] لمن مات على التوبة.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر:٥٠] الوجيع لمن لم يتب أو مات على الكفر.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر:٥١] خبرهم عن أضياف إبراهيم جبريل واثني عشر ملكاً.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم ﴿فَقَالُواْ سَلامًا﴾ سلموا عليه بالسلام.

ويقال: هو إخبار له بالسلامة وتطمين له لكي يطمئن ويأمن.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم حيث لم يطعموا من طعامه ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر:٥٢] خائفون.

﴿قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ﴾ لا تفرق يا إبراهيم منا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾ بولد ﴿عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣] في صغره، حليم عليم في كبره.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ بعدما أصابني الكبر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤] الآن على الرد إلى الحالة الأولى، وفي حالة الشباب أو ما أنا عليه.

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالولد ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر:٥٥] الآيسين من الولد.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ ييأس ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] الكافرون بالله وبنعمته.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم لجبريل وأعوانه ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فما شأنكم ولم جئتوا ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر:٥٧].

﴿قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر:٥٨] اجترموا الهلاك على أنفسهم بعملهم الخبيث، يعنون قوم لوط.

﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ يعني لوطاً وابنتيه زاعورا وريثا وامرأته الصالحة ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ من الهلاك ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٥٩] [1].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {١٨٢/٤}.

﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ الواعلة المنافقة ﴿قَدَّرْنَا﴾ قدرنا عليها ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر:٦٠] لمن المنافقين المتخلفين بالهلاك أخبر أنه قدر أن يبقى مع القوم في العذاب؛ لأنها كانت مقيمة على الكفر وتقديره حكمه عليها بالعذاب.

﴿فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ﴾ إلى آل لوط ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر:٦١] جبريل وأعوانه.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الحجر:٦٢] في بلدنا هذا لم نعرفهم ولم نعرف سلامهم، فمن ذلك قال منكرون.

﴿قَالُواْ﴾ يعني جبريل وأعوانه ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر:٦٣] يشكون، يعني العذاب.

﴿وَآتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ﴾ بالعذاب عليهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر:٦٤] في مقالتنا أن العذاب نازل عليهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فادلج بأهلك ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ ببعض من آخر الليل عند السحر ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش ورائهم نحو الصعر ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ﴾ أي لا يتخلف منكم أحد ﴿أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر:٦٥] نحو الصعر.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ يعني أمرنا الإتيان إليه إلى الصفر، ويقال: أخبرناه ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾ غابر ﴿هَؤُلاء﴾ يعني قوم لوط ﴿مَقْطُوعٌ﴾ مستأصل ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٦٦] عند الصباح.

﴿وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ إلى دار لوط ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر:٦٧] بعملهم الخبيث.

﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿فَلاَ تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر:٦٨] فيهم.

﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في الحرام ﴿وَلاَ تُخْزُونِ﴾ [الحجر:٦٩] ولا تذلون في أضيافي.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ﴾ يا لوط ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر:٧٠] عن ضيافة الغرباء.

﴿قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي﴾ بنات قومي أنا أزوجكم ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١] متزوجين.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ أقسم الله بعمر محمد ويقال بدينه ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني قوم لوط ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ في جهلهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] يمضون ولا يبصرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ بالعذاب ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر:٧٣] عند طلوع الشمس.

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أعلاها أسفلها وأسفلها وأعلاها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على شذاذهم ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:٧٤] من سماء الدنيا. ويقال: من سبخ وكل مطبوخ بالآجر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما فعلناه بهم ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات وعبرات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] المتفرسين(١)، ويقال: للمتفكرين. ويقال: للناظرين، ويقال للمعتدين.

﴿وَإِنَّهَا﴾ يعني قريات لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر:٧٦] بطريق دائم يمرون عليها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في هلاكهم ﴿لآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٧].

﴿وَإِن كَانَ﴾ وقد كان ﴿أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ﴾ [الحجر:٧٨] مشركين.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ في الدنيا بالعذاب ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني قريات لوط ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩] بطريق واضح يمرون عليها. ويقال: لفي كتاب مبين.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ﴾ قوم صالح ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر:٨٠] صالحاً وجملة المرسلين.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿آيَاتِنَا﴾ الناقة وغيرها ﴿فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر:٨١] مكذبين بها.

﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ﴾ في الجبال ﴿بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٢] من أن يقع عليهم.

ويقال: آمنين من العذاب.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ بالعذاب ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٨٣] عند الصباح.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم﴾ عند العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر:٨٤] يقولون ويعملون، ولا ما كانوا يعبدون من دون الله.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق والعجائب ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ لتبيان الحق والباطل، وإنجاز الحجة عليهم ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾ لكائنة ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] أعرض عنهم إعراضاً جميلاً بلا فحش ولا جزع، وهي منسوخة بآية القتال.

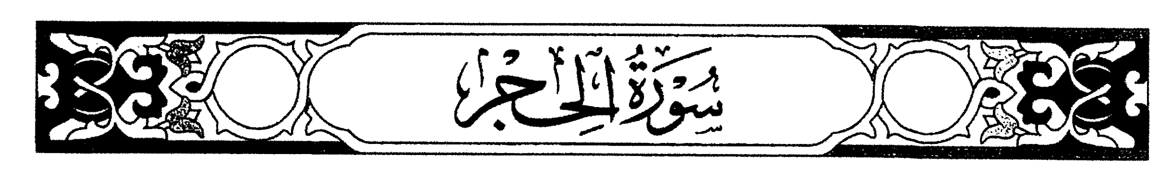
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ﴾ الباعث لمن آمن ولمن لم يؤمن ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الحجر:٨٦] بثوابهم وعقابهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أعطيناك ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ يقول: أكرمناك بسبع الآيات المثاني، يعني مثنى في كل ركعة (٢)وسجدتين، وهي فاتحة الكتاب المثاني، يقول: أكرمناك بسبع آيات من المثاني من

---

(١) انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {١٩٠}.

(٢) قال ابن عباس والحسن وقتادة: لأنها تُثنَّى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٣٩١/٤}.



القرآن لأن القرآن كله من مثاني أمر ونهي ووعد ووعيد، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، وحقيقة ومجاز، ومحكم ومتشابه، وخبر كان ويكون، ومدحة لقوم، ومذمة لقوم.

ويقال[١]: هو السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف ويونس المثاني يعني تثنياً بالقضاء والقصص[٢].

﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] يعني أكرمناك بالقرآن العظيم الكريم الشريف، كما أنزلنا التوراة والإنجيل على المقتسمين اليهود والنصارى.

ويقال[٣]: اقتسموا القرآن فجعلوه عضين، جعلوا له أعضاء كأعضاء الجزور، وفرقوا القول فيه، فقالوا: سحر، وقالوا: كذب، وقالوا: شعر، وقالوا: كهانة، وقالوا[٤]: العضه السحر، يقال: للساحر عاضهة ويقال: العضه السحر، وهو الكذب أيضاً.

﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تنظرن بالرعية ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ أعطينا من الأموال ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ رجالاً من بني قريظة والنضير.

ويقال: من قريش لأن ما أكرمنا به من النبوة والإسلام والقرآن أعظم مما آتيناهم أعطيناهم من الأموال.

﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على هلاكهم إن لم يؤمنوا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ لين جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨] يقول: كن رحمياً عليهم.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩] الرسول المخوف بلغة يعرفونها من عذاب الله.

---

(١) القول لابن عباس. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٣٩١/٤}.

(٢) قال جمهور المفسرين: إنها الفاتحة. سبع آيات وهي الفاتحة. وقيل: أو سبع سور وهي الطوال، واختلف في السابعة فقيل: الأنفال وبراءة، لأنهما في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية. وقيل سورة يونس. وقيل: هي آل حم، أو سبع صحائف وهي الأسباع. والمَثاني من التثنية وهي التكرير، لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثناة أو مثنية صفة للآية. وأمّا السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء، كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٥٨٧/٢}.

(٣) القول لابن عباس. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري {١٤٢/١٧}.

(٤) القول لعكرمة. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، {٥٤٩/٤}.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾ يوم بدر ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر:٩٠] أصحاب العقبة، وهم: أبو جهل ابن هشـــام، والوليد بن المغيرة المخزومي، وحنظلة بن أبي سفيان، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وسائر أصحابهم الذين قتلوا يوم بدر.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِـينَ﴾ [الحجر:٩١] قالوا في لقرآن أقاويل مختلفة، فقال بعضهم: شــعر، وقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضـــهم: كـذل يختلقه من تلقاء نفسه.

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد أقسم بنفسه ﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾ [الحجر:٩٢]يوم القيامة. ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [الحجر:٩٣] يقولون في الدنيا، ويقال: تركهم لا إله إلا الله.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أظهر أمرك بمكة ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] وهذا منسوخ[(١)].

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥] رفعنا عنك مؤنة المستهزئين.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلـهًا آخَرَ﴾ يقولون مع الله آلهة شتى ﴿فَسَوْفَ يَعْمَلُون﴾ [الحجر:٩٦] مـــاذا نفعل بهم، فأهلكهم الله في يوم وليلة واحدة، كل واحد منهم بعذاب غير عذاب صـــاحبه، وكـــانوا خمسة، منهم العاص بن وائل السهمي لدغه شيء فمات، أبعده الله.

ومنهم: حارث بن قيس السهمي أكل حوتاً مالحاً يقال طرياً فأصابه منه العطش فشرب عليـــه الماء حتى اشتق بطنه فمات مكانه.

ومنهم الأسود بن عبد المطلب ضرب جبريل رأسه على شجرة، وضرب وجهه بالشوك حتى مات نكسه الله.

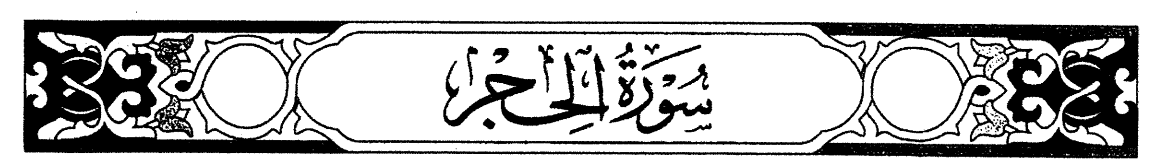
ومنهم: الأسود بن عبد المطلب اليغوث، خرج في يوم شديد الحر، فأصابه السموم فاسود حتى عاد حبشياً فرجع إلى بيته فلم يفتح عليه الباب فنطح رأسه باب حتى مات.

ومنهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، أصاب أكحليه نبل فمات من ذلك، وكلهم كانوا يقولون: قتلني محمد.[(٢)]

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري في تأويل القران، للطبري، {٣٢/١٢}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢١١/١٢-٢١٢}.



﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ يا محمد ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:٩٧]من التكذيب والطعن عليك بانك شاعر وساحر وكذاب وكاهن.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فصل بأمر ربك شاكراً له ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٩٨] مع الساجدين، ويقال: من المطيعين.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ واستقم على طاعة ربك ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] الموت، وهو الموق.

وهي كلها مكية.

سُورَةُ النَّحْلِ

ومن السورة التي يذكر فيها النحل(١).

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾

قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾(٢) إلى آخر الآية، وقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾(٣) إلى آخر الآية، فمكثوا على ذلك ما شاء الله أن يمكثوا، ولم يتبين لهم شيء، فقالوا: يا محمد متى ما يأتينا ما تعدنا من العذاب، فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ دنى عذاب الله، وكان النبي صلى الله عليه وآله جالساً فقام لا يشك أن العذاب قد أتى، فقال الله عز وجل:﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ بالعذاب، فجلس النبي صلى الله عليه وآله، ويكون أتى بمعنى يأتي، كقولك: أتاك الخير فأبشر، أي سيأتيك، ويقال:﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ أي الأحكام والحدود والفرائض.(٤)

﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد ﴿وَتَعَالَى﴾ ارتفع وتبرأ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١]به من الأوثان.

﴿يُنَـزِّلُ الْمَلآئِكَـةَ﴾ يعني جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة ﴿بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ بالنبوة والكتاب بأمره ﴿عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني محمداً وغيره من الأنبياء عليهم السلام ﴿أَنْ أَنذِرُواْ﴾ خوفونا بالقرآن ومروا حتى يقولوا: ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ﴾ الله ﴿أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢]فأطيعون فاحذرون.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ للحق، ويقال: للزوال والفناء ﴿تَعَالَى﴾ تبرأ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٣]به من الأوثان.

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ أبي بن خلف الجمحي_﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ منتنة ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ جدل بالباطل ﴿مُّبِينٌ﴾ [النحل:٤]ظاهر الجدال لقوله: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس من الآية:٧٨](٥).

---

(١) سورة النحل مائة وثمانية وعشرون آية ، وهي مكية ، عن الحسن وعكرمة ، وقيل: مدنية عن قتادة وقيل مكية الا اربع آيات: (وإن عاقبتم) ، (واصبر) ، (ثم إن ربك للذين هاجروا) ، (والذين هاجروا في الله) ، وقيل: مكية الا قوله: (وإن عاقبتم) عن الشعبي. انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٣٩٩٣/٦}.

(٢) الأنبياء من الآية: ١.

(٣) القمرمن الآية: ١.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢١٣/٢}.

(٥) خلق الإنسان من نطفة ،يعنى أبي بن خلف الجمحي ، قتله النبي (صلى الله عليه وآله سلم) يوم أحد، فإذا هو خصيم مبين) [آية: ٤]، قال للنبي (صلى الله عليه وآله سلم): كيف يبعث الله هذه العظام ، وجعل يفتها ويذريها في الريح ، ونظيرها في آخر يس: (قال من يحيي العظام وهي رميم) [يس: ٧٨]. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢١٤/٢}.

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ يعني الإبل لكم ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ الأدفاء من الألبسة وغيرها ﴿وَمَنَافِعُ﴾ في ظهورها وألبانها ﴿وَمِنْهَا﴾ من لوحمها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ منظر حسن ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ من الرعي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦]إلى الرعي.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أمتعتكم وزادكم ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ يعني مكة ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ بتعب الأنفس ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:٧]لمن آمن.

ويقال: رؤوف رحيم بتأخير العذاب عنكم.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ يقول: وخلق الخيل والبغال والحمير ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ في سبيل الله لا للأكل ﴿وَزِينَةً﴾ يعني لكم فيها منظر حسن ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]ما لم يسمه لكم.

﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ هداية الطريق من البر والبحر ﴿وَمِنْهَا﴾ من الطريق ﴿جَآئِرٌ﴾ طريق مائل لا يهتدون ﴿وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:٩] إلى الطريق ليس بعادل مثل اليهودية والنصرانية، والمجوسية، ولو شاء لهداكم أجمعين لدينه على سبيل الإكراه[1].

ويقال: ﴿ومنها جائر﴾ من يميل عنها، فلا يؤمن.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء﴾ مطراً ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ مما يستقر في الأرض في البرك والغدران ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني به ينبت الشجر والنبات ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠]ترعون أنعامكم.

﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ﴾ بالمطر ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ﴾ يعني شجر الزيتون ﴿وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ﴾ يعني الكروم ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يعني من ألوان الثمرات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في ألوان ما ذكرت وفي طعمه ﴿لآيَةً﴾ لعلامة وعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:١١]فيما خلق الله لهم.

﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلك ﴿لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في تسخير ما ذكرت ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:١٢] يصدقون ان تسخيرها من الله.

---

(١) {وعلى الله قصد السبيل} الإسلام، أي على الله بيان الضلال من الهدى، والمعنى أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه، كقوله: {إن علينا للهدى} {ومنها} أي ومن السبيل {جائر} أي مائل عن الحق خارج منه، يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية، وقيل: هي الأهواء والبدع. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {١٢٨/٣}.

﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ يقول: وفيما خلق ﴿لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أجناسه من النبات والثمار وغير لك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في ألوان ما خلقت ﴿لآيَةً﴾ لعلامة وعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل:١٣] يتعظون بما في القرآن.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ﴾ لكم ﴿الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني سمكاً طرياً ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ﴾ من البحر ﴿حِلْيَةً﴾ زهرة من اللؤلؤ وغيره ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ يعني السفن ﴿مَوَاخِرَ﴾ مقبلة ومدبرة ﴿فِيهِ﴾ في البحر تجيء وتذهب بريح واحدة ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ ولكي تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ من عمله، ويقال: من رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:١٤] لكي تشكروا نعمته.

﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الجبال الثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لكيلا تميل بكم الأرض ﴿وَأَنْهَارًا﴾ لمنافعكم ﴿وَسُبُلاً﴾ وجعل فيها طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٥] لكي تعرفوا الطريق.

﴿وَعَلامَاتٍ﴾ من الجبال وغير ذلك للمسافرين ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ بالفرقدين[1] والجدي[2] ﴿هُمْ﴾ يعني المسافرون ﴿يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] بهما في البر والبحر.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ لا يقدر أن يخلق يعني الأصنام ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧] أفلا تتعظون فيما خلق الله لكم. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تحفظوها.

ويقال: لا تشكروها.

﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١٨] لمن مات على التوبة.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ من الخير والشر ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل:١٩] تظهرون منها.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً كخلقنا ﴿وَهُمْ﴾ يعني الأصنام ﴿يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠] أي مخلوقة منحوتة.

---

(١) نَجْمَان في السَّمَاءِ، لا يَغْرُبان، ولاكنَّهُمَا يَطوفان بالجَدْي، وقيل: هما كوكبان قريبان من القُطب. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣/٣٣٤}.

(٢) الجَدْيُ بُرْجٌ في السَّماء؛ والجَدْيُ: نَجْمٌ إلى جنبِ القُطبِ تُعْرَفُ به القِبْلَةُ. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للحسنيي، {٣٧/٣٣١}.

تنحتون ﴿أَمْوَاتٌ﴾أي أصنام أموات ﴿غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني الآلهة ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢١] من القبور ويحاسبون، ويقال: وما يعلم الكفار متى يحاسبون(١).

ويقال: وما تعلم الملائكة متى يحاسبون.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يعلم ذلك لا الآلهة ﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ للتوحيد ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٢٢] عن الإيمان.

﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ ما يخفون من البغض والحسد والمكر والخيانة ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون من الشتم والطعن والقتال ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣] عن الإيمان.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ للمقتسمين ﴿مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ ماذا يقول لكم محمد من ربكم ﴿قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [النحل:٢٤] كذب الأولين وأحاديثهم(٢).

﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم ﴿كَامِلَةً﴾ وافرة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ﴾ يعني ومثل أوزار ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ يصرفونهم عن محمد صلى الله عليه وعلى آله والقرآن والإيمان ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا علم ولا حجة ﴿أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥] بئس ما يحملون من الذنوب، يعني المقتسمين.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بأنبيائهم كما مكر المقتسمون بمحمد، وهو نمرود الجبار الذي بنى الصرح ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم﴾ قلع الله بنيانه الصرح ﴿مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ من الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ

---

(١) {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ} أي يعبدون الآلهة {مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}كأنه تعالى بدأ بشرح نقصهم في ذواتهم وصفاتهم، أولاً أنها لا تخلق شيئاً، ثم بين ثانياً أنها كما لا تخلق شيئاً غيرها فهي مخلوقة لغيرها.
الصفة الثانية: قوله تعالى: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ} أي جمادات ميتة، والمعنى أنها لو كانت آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت، كالحي الذي لا يموت، وأمر هذه الأصنام على العكس من ذلك، يعني أن من الأموات ما يعقب موتها حياة كالنطف وأجساد الحيوان الذي يبعث.
وأما الحجارة فلا تعقب موتها حياة قط.
الصفة الثالثة: قوله سبحانه: {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} أي العبدة لا تشعر الأصنام متى تبعث العبدة فيجازيهم، وفيه تهكم بالمشركين، وفيه أيضاً دلالة على أنه لابد من البعث، وأنه من لوازم التكليف. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١١٣/٣}.

(٢) للمقتسمين من أهل مكة. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٤٦١/٢}.

﴿السَّقْفُ﴾ فوقع عليهم الصرح ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ بالهدم ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٢٦] لا يعلمون.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يعذبهم ويهلكهم ويذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله تعالى لهم ﴿أَيْنَ شُرَكَآئِيَ﴾ يعني آلهتكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تخالفوني فيهم وتعادون أنبيائي لقبلهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ يعني الملائكة ﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾ العذاب ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿وَالْسُّوءَ﴾ يعني النار والشدة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل:٢٧].

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾ قبضتهم الملائكة يوم بدر ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ﴾ ردوا بالجواب.(١) ويقال: خضعوا لله.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ نعبد من شيء من دون الله، وما كنا مشركين بالله، ويقال: يعني أنه لم يكن سواء عندنا ولا شركاء عند أنفسنا؛ لأنهم في الآخرة لا يكذبون وهو الصحيح.

﴿بَلَى﴾ يقول الله: بلى ﴿إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٢٨] ويقولون ويعبدون من دون الله.

﴿فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها لا تموتون ولا تخرجون منها ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:٢٩] منزل الكافرين جهنم.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ﴾ الكفر والشرك والفواحش وهم المؤمنون ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ ماذا يقول لكم محمد من ربكم ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾ توحيداً وصلاة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وحدوا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ الجنة يوم القيامة ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ يعني الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠] الكفر والشرك والفواحش.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ مقصورة الجنة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿الأَنْهَارُ﴾ الخمر والماء والعسل واللبن ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ﴾ ما يشتهون ويتمنون ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣١] الكفر والشرك والفواحش.

---

(١) {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ} الموكلون بقبض الأرواح {ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ} بالمعاصي {فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ} أي طرحوا الذل وسلموا صاغرين، بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الكبر والشقاق، ثم قالوا: {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ} جحدوا فرد عليهم الملائكة، وأهل العلم فقالوا: {بَلَى} قد كنتم عاملين بالسوء والكفر {إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فيجازيكم عليه. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١١٧/٣}.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾ قبضتهم الملائكة ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك ﴿يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ من الله ﴿ادْخُلُواْ﴾ بإيمانكم واقتسموها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]ويقولون من الخيرات في الدنيا.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون أهل مكة ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذاب ربك بهلاكهم ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل بك قومك، كذبوك وشتموك كما ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قومك بأنبيائهم كذبوهم وشتموهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ﴾ بهلاكهم ﴿وَلكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:٣٣]بالشرك وتكذيب الرسل.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ وقالوا من المعاصي ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ دار ونزل بهم ووجب عليهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [النحل:٣٤] عقوبة استهزائهم بالأنبياء.

ويقال: العذاب الذي كانوا يستهزؤون به.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ بالله الأوثان ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الأصنام ﴿نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا﴾ قبلنا ﴿وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ولكن حرم الله وأمرنا بذلك وخلقه وشاءه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل وكذلك قومك على الله بتحريم الحرث والأنعام ﴿فَعَلَ﴾ وكذب ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ على لله ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ﴾ ما على الرسل ﴿إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِين﴾ [النحل:٣٥] عن الله رسالاته بلغة يعلمونها ظاهرة.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ إلى كل قوم ﴿رَّسُولاً﴾ كما أرسلناك إلى قومك ﴿أَنِ اعْبُدُواْ﴾ وحدوا ﴿اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ اتركوا عبادة الأوثان، ويقال: الشيطان، ويقال: الكاهن(١).

---

(١) اعلم أنه تعالى لما حكى هذه الشبهة قال: {كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أي أشركوا وحرموا حلال الله، فلما انتهوا نسبوا فعلهم إليه متمسكين بهذه الشبهة، وهذا مذهب المجبرة بعينه، والمعنى أن الله تعالى ما منع أحداً من الإيمان ولا أدخله ولا أوقعه في الكفر والعصيان، ثم قال سبحانه: {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} للحق، وأن الله لا يشاء المعاصي والشرك، ومعنى المبين الواضح بالدليل، فأخبر تعالى أن الرسل ليس عليهم إلا التبليغ، فلما بلغوا التكاليف وثبت أنه تعالى ما منع أحداً عن الحق كانت هذه الشبهة ساقطة، ثم قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ} أي، يقولوا اعبدوا الله وحده {وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} أي طاعته، وهو الشيطان، وكل من دعا أيضاً إلى ضلالة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {١٢٢/٣}.

﴿فَمِنْهُم﴾ ممن أرسلنا إليهم الرسل ﴿مَّنْ هَدَى اللهُ﴾ وحكم له بالإيمان وسماه مهتدياً لما اهتدى وأجاب الرسل إلى الإيمان ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ وجبت عليه الضلالة بفعله وإنكاره فلم يجب الرسل إلى الإيمان ﴿فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ﴾ واعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦] آخر أمر المكذبين بالرسل.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ على توحيدهم ﴿فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ أي لا يحكم للضلال بالهدى ولا يكن أهلاً لدينه.

ويقال: لا يهديهم إلى طريق الجنة في الآخرة من بعد ما أضلهم عنها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لكفار مكة ﴿مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [النحل:٣٧]من مانعين من عذاب الله.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ حلفوا بالله جهد إيمانهم، وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينه ﴿لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ﴾ بعد الموت ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿حَقًّا﴾ كائناً واجباً أن يبعث من يموت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٣٨] ذلك ولا يصدقون.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ لأهل مكة ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ يخالفون في الدين ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ لكي يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن يوم القيامة ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩] في الدنيا بألا جنة ولا نار.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ أمرنا بقيام الساعة ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللهِ﴾ في طاعة الله من مكة إلى المدينة ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ من بعد ما عذبهم أهل مكة، يعني عمار بن ياسر، وبلالاً، وصهيباً وأصحابهم ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لننزلنهم في المدينة ﴿حَسَنَةً﴾ أرضاً كريمة آمنة ذات غنيمة حلالاً ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ أبواب الآخرة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم من ثواب الدنيا ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤١] وقد كانوا يعملون[1].

﴿الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى الكفار ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٤٢] لا على غيره، يعني عمار بن ياسر وأصحابه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ: يا محمد الرسل ﴿إِلاَّ رِجَالاً﴾ آدميين مثلك ﴿نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ بالبينات، بالأمر والنهي والعلامات، والزبر كتب الأولية مقدم مؤخر ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل التوراة

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٠٧/١٠}.

والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] أن الله لم يرسل الرسل إلا اناسا، ويقال: العلماء من أهل البيت عما يلتبس عليهم.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: نحن أهل الذكر، قال علي بن محمد: الذكر الرسول، قال الله تعالى: ﴿ذكراً رسولا﴾ فسماه ذكراً.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ جبريل عليه السلام بالقرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ما أمر لهم في القرآن ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤] لكي يتفكروا فيما أمر لهم به.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك بالله ﴿أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ﴾ ألا يغور الله بهم الأرض ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ﴾ أو لا يأتيهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥] بنزوله.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ أو لا يأخذهم ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في ذهابهم ومجيئهم في التجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل:٤٦] بفائتين من عذاب الله.

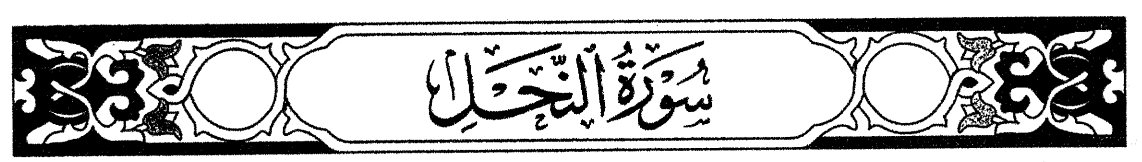
﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ أو لا يأخذهم ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ على تنقص رؤسائهم وأصحابهم ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:٤٧] لمن تاب، ويقال: بتأخير العذاب.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ﴾ يعني أهل مكة ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ﴾ من الشجر والدواب ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ﴾ غدوة ﴿وَالْشَّمَآئِلِ﴾ وعن الشمائل ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ يسجدون لله وظلالهم غدوة وعشية، أيضاً يسجدون لله. ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾(١) [النحل:٤٨] مطيعون سجوداً لذلك والخضوع بما فيه من الدلالة على الحاجة، والداخر الصاغر، وإنما وحد اليمين وجمع الشمائل؛ لأن الابتداء عن اليمين في أول النهار، ثم ينقص حالاً بعد حال عن الشمائل، فهو بمعنى الجمع بعد الابتداء إلى أن ينتهي، وقيل: إنه بمعنى الإيمان.

﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ من الدواب والطير ﴿وَالْمَلآئِكَةُ﴾ في السماء يسجدون لله ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٤٩] عن السجود.

---

(١) (دخر) دَخَرَ الرجلُ بالفتح يَدْخَرُ دُخُوراً فهو دَاخِرٌ ودَخِرَ دَخَراً ذلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَاراً وهو الذي يفعل ما يؤمر به شاء أو أبى صاغراً قميئاً والدَّخَرُ التحير والدُّخُورُ الصَّغَارُ والذل. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٢٧٨/٤}.



﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أي أمره أعلى من كل أمر لا يمتنع ما يريده ويديره ﴿وَيَفْعَلُونَ﴾ ويقولون ﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠] يعني الملائكة.

﴿وَقَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ نفسه والأصنام ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿فَإيَّايَ فَارْهَبُون﴾ [النحل:٥١] فخافون في عبادة الأصنام.

﴿وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من الخلق والعجائب ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي دائماً ويقال: خالصاً ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُون﴾ [النحل:٥٢] تعبدون.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ من قبل الله لا من الأصنام ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ أصابتكم الشدة ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون﴾ [النحل:٥٣] تتضرعون.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ﴾ رفع الشدة عنكم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ طائفة منكم ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُون﴾ [النحل:٥٤] الأصنام.

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ حتى يكفروا ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم من النعيم، فيقولون بشفاعة آلهتنا ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ فلتعيشوا في الكفر والحرام ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُون﴾ [النحل:٥٥] ماذا أفعل بكم.

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ يقولون ﴿لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا﴾ حظاً للرجال دون النساء.

ويقال: لما لا تقولون ولا تعلمون، يعني الأصنام ﴿مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مما أعطيناهم من الحرث والأنعام ﴿تَاللّـهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُون﴾ [النحل:٥٦] تكذبون على الله.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّـهِ الْبَنَاتِ﴾ ويقولون الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُون﴾ [النحل:٥٧] ما يختارون من الذكور.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى﴾ بالجارية ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الغم ﴿وَهُوَ كَظِيم﴾ [النحل:٥٨] مغموم مكروب يتردد الغم في جوفه.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ يكتم عن قومه ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ من كراهية ما بشر به بالأنثى كراهية الإظهار أ ﴿يُمْسِكُهُ﴾ أيحفظه ﴿عَلَى هُونٍ﴾ على هوان ومشقة ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ يدفنه ﴿فِي التُّرَابِ﴾ حياً ﴿أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُون﴾ [النحل:٥٩] بئس ما يقضون لأنفسهم الذكور ولله الإناث.

﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ يعني النار ﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ﴾ الصفة العليا الإلهية والربوبية، فلا ولد ولا شريك ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة لمن لا يؤمن به ﴿الْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠] أمر ألا نعبد غيره.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بشركهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على ظهرها ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ من الجن والإنس أحداً ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤجلهم ﴿إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت هلاكهم ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ﴾ وقت هلاكهم ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ لا يتركون عن الأجل ساعة ﴿وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١] فلا يهلكون قبل الأجل.

ويقال: في قوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾(١) معناه أنه لو أهلكهم جميعاً في قديم الدهر، لم يكن لهم نسل من بعدهم من الأحياء من أهل الطاعة والإيمان بعينهم دون غيرهم من الأنبياء والأئمة والأتقياء، وهم الظالمون من الآباء والأسلاف، ومن العصاة الأرديا(٢) .

ويقال: في قوم مخصوصين وهم الملائكة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني يقولون لله البنات، ولا يرضون لأنفسهم ذلك ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ يعني يقولون بألسنتهم الكذب ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ يعني الذكر.

ويقال: الجنة، ويقال: من أين لهم الجنة.

﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢] متروكون، ويقال: منسيون، ويقال: مفرطون بالقول والفعل إن قرئت بكسر الراء.

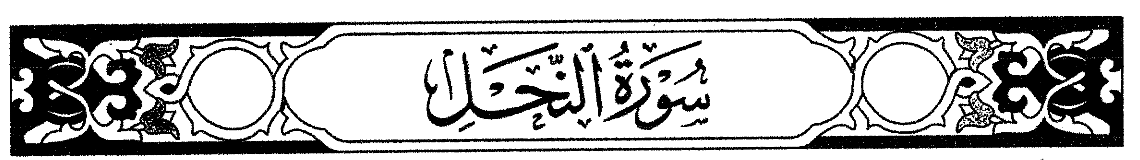
﴿تَاللّهِ﴾ والله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ودينهم فلم يؤمنوا ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ في الدنيا وقرينهم في النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:٦٣] وجيع.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ جبريل بالقرآن ﴿إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ خالفوا فيه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤] به.

---

(١) فاطر من الآية: ٤٥.

(٢) (ردي) الرَّدى الهلاكُ رَدِيَ بالكسر يَرْدى رَدىً هَلَكَ فهو رَدٍ والرَّدِي الهالِكُ وأَرْداهُ اللهُ وأَرْدَيْتُه أي أهلكتُه ورجلٌ رَدٍ للهالك وامرأة رَدِيَة على فَعِلةٍ وفي التنزيل العزيز إنْ كِدْتَ لَتُرْدِين قال الزجاج معناه لتُهْلِكُني وفيه واتَّبَعَ هَواهُ فتَرْدى. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣١٦/١٤}.



﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بالمطر ﴿الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قحطها ويبوستها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في إحياء ما ذكرت ﴿لآيَةً﴾ لعلامة ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:٦٥] يطيعون ويصدقون.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ يخرج ﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾ صافياً ﴿سَآئِغًا﴾ شهياً ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾[النحل:٦٦].

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾ يعني الكروم ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ مسكراً مطبوخاً، ويقال: طعاماً وطعماً، ويقال: هذا سكر لك أي طعم لك ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً من الخل والدبس[(١)] والزبيب وغير ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما ذكرت لكم ﴿لآيَةً﴾ لعلامة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:٦٧] يصدقون.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ألهم ربك النحل ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ مسكناً ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ يعني في الشجر ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨] يعني فيما يضعون[(٢)].

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان الثمرات ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ فادخلي طرق ربك مذللاً مسخراً لك ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا﴾ من بطون النحل ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ الأحمر والأبيض، والأصفر ﴿فِيهِ﴾ في العسل ﴿شِفَاء لِلنَّاسِ﴾ من الداء.

---

(١) الدِّبْسُ والدِّبِسُ عَسَلُ التمر وعُصارته. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٧٥/٦}.

(٢) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنَّه سأل جبريل عن ذلك، فقال: ((أخذه من ملك فوقي، ويأخذه من ملك فوقه، فقال: كيف يأخذه ذلك الملك ويعلمه؟ فقال جبريل: يلقى في قلبه إلقاء، ويلهمه الله إياه إلهاماً. وكذلك هو عندنا أنَّه يلهمه الملك الأعلى إلهاماً، فيكون ذلك الالهام من الله إليه وحياً، كما ألهم تبارك وتعالى النحل ما تحتاج إليه، وعرَّفها سبلها حين كان منها في ذلك من بناء شهودها ، وتسوية ما تسوي لأولادها، وما تجتنيه من الأشجار مما تعلم أن فيه الشراب الذي ذكر الله أنَّه شفاء، سماه الله سبحانه شفاء للناس، من العسل الذي يخرج من أجوافها، فقال تبارك وتعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل: ٦٨ ـ ٦٩]. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع)، {٥٦٧-٥٦٦}.

ويقال: ﴿فيه﴾ في القرآن ﴿شفاء﴾ بيان للناس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكرت ﴿لَآيَةً﴾ لعلامة وعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٦٩] فيما خلق الله.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم عند آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أسفل العمر ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ﴾ حتى لا يعقل ولا يفقه ﴿بَعْدَ عِلْمٍ﴾ الأول ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتحويل الخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٠] على تحويلهم من حال إلى حال.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ نزلت هذه الآية في أهل نجران حين قالوا: المسيح بن عبد الله، فنزلت قوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ في المال والخدم(١).

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ بالمال والخدم ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ﴾ فهل يعطون مالهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ لعبيدهم وإمائهم ﴿فَهُمْ﴾ يعني المالك والمملوك ﴿فِيهِ﴾ في المال ﴿سَوَاءٌ﴾ شرع، قالوا: لا يفعل ذلك ولا يرضى. فقال الله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل:٧١] أفترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، وتكفرون بوحدانية الله.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ آدمياً مثلكم ﴿أَزْوَاجًا﴾ نساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ من نسائكم ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ يعني ولد الولد.

ويقال(٢): خدماً وعبيداً، ويقال: أحباباً.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ جعل أرزاقكم ألين وأطيب من رزق الدواب ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أفبالشيطان والأصنام يصدقون ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ بوحدانية الله ودينه ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ﴾ ولا يقدر ﴿لَهُمْ﴾ يعني الأصنام ﴿رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل:٧٣] لا يقدرون ذلك.

---

(١) عن ابن عباس أيضا أنها نزلت في نصارى نجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال الله لهم: " فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ" أي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يكون المولى والعبد في المال شرعا سواء، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم فتجعلون لي ولدا من عبيدي. ونظيرها" ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ على ما يأتي. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٤١/١٠}.

(٢) القول لمجاهد. انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {١٩٧}.

﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّـهِ الأَمْثَالَ﴾ فلا تصفوا لله ولداً ولا شريكاً وشبيهاً ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ﴾ ألا ولد لـه ولا شريك ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]ذلك يا معشر الكفار، أي أنكم لا تعلمون له شريكاً أيضاً على الحقيقة.

ثم ضرب مثل المؤمن والكافر فقال: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ أي بين الله صفة عبد مملوك ﴿لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من النفقة والإحسان، وهو مثل الكافر لا يجر منه خير ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ أعطيناه مالاً كثيراً ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا﴾ فيما بينه وبين الله ﴿وَجَهْرًا﴾ فيما بينه وبين الناس في سبيل الله، وهذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ في الثواب والطاعة ﴿الْحَمْدُ لِلّـهِ﴾ الشكر لله والوحدانية لله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ كلهم ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٥]أمثال القرآن.

ويقال: هذا مثل ضرب لعبادتهم الأوثان التي لا تملك شيئاً، والعدول عند عبادة الله المالك لكل شيء.

ويقال: نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة ورجل من العرب يقال له أبو العيص بن أمية(١).

ثم بين صفته وصفة الأصنام فقال: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ بين الله صفة ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أخرس ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ﴾ من الكلام ﴿وَهُوَ﴾ يعني الصنم ﴿كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾ عيال(٢) على عابده ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ تدعوه من شرق أو غرب ﴿لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لا يجيب من يدعوه بخير، وهذا مثل الصنم ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ في النفع ودفع الضر ﴿هُوَ﴾ يعني الصنم ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾ [النحل:٧٦]وهو الله.

﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما غاب عن العبادِ ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ قيام الساعة في السرعة ﴿إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كطرف البصر ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ [النحل:٧٧] من البعث وغيره.

﴿وَاللّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الأشياء.

ويقال: كل شيء.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢٣٠}.

(٢) (وهو كَلٌّ على مَوْلاه) أي عِيال وأصبح فلان مُكِلاً إذا صار ذوو قرابته كَلاً عليه أي عِيالاً وأصبحت مُكِلاً أي ذا قراباتٍ وهم عليَّ عيال والكالُّ المُعْيي. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {١١/٥٩٠}



﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ تسمعون به الخير ﴿وَالأَبْصَارَ﴾ تبصرون بها الخير ﴿وَالأَفْئِدَةَ﴾ تعقلون بها الخير ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]لكي تشكروا نعمته وتؤمنوا به.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ﴾ ألم تنظروا يا أهل مكة حتى تعلموا قدرة الله ووحدانيته إلى الطير ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿فِي جَوِّ السَّمَاء﴾ في وسط السماء، أي بين السماء والأرض يطيرون ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ بعد الطيران ﴿إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في إمساكهن في الهواء ﴿لآيَاتٍ﴾ لعلامات بوحدانية الله تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٧٩]يصدقون أن إمساكهن من الله.

ثم ذكر نعمته لكي يشكروا الله ويؤمنوا به فقال: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ﴾ من بيوت المدر ﴿سَكَنًا﴾ مسكناً وقراراً ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ﴾ من أصوافها وأوبارهما وأشعارها ﴿بُيُوتًا﴾ يعني الخيام والفساطيط(١) بيوتاً ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تستخفون حملها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ نزولكم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أصواف الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أوبار الغنم ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أشعار المعز ﴿أَثَاثًا﴾ مالاً وثياباً ﴿وَمَتَاعًا﴾ منفعة ﴿إِلَى حِينٍ﴾ [النحل:٨٠] إلى حين البقاء والإبلاء.

﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ لكم من الأشجار والحيطان والجبال ﴿ظِلاَلاً﴾كناً لكم من الحر والبرد ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ﴾ في الجبال ﴿أَكْنَانًا﴾ يعني الغيران والاسراب(٢)﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ القمص ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ في الصيف والبرد في الشتاء ﴿وَسَرَابِيلَ﴾ يعني الدروع ﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ سلاح عدوكم ﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل:٨١]لكي تقروا فيه(٣).

ويقال: يسلمون من الجراحة إن قرأت بنصب الياء واللام(٤).

---

(١) الفُسطاط: بيت من شعَر، وفُسطاط مدينة مِصر حماها الله تعالى والفُسّاط والفِسّاط والفُسْطاط والفِسْطاط ضرب من الأبنية. لسان العرب، لابن منظور، {٣٧١/٧}.

(٢) والغارُ مَغارةٌ في الجبل كالسَّرْب وقيل الغارُ كالكَهْف في الجبل والجمع الغِيرانُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣٤/٥} والسَّرْبُ: الطَّريق. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للحسني، {٤٨/٣}، الغيران [والأسراب] في الجبال، جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها ويتحصنون به أو يعتزلون عن الخلق فيها. وفي الصحيح أنه عليه السلام كان في أول أمره يتعبد بغار حراء ويمكث فيه الليالي. انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، {١٥٩/١٠}.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {٣٥/٥-٣٦}.

(٤) قراءة ابن عباس وعكرمة" تسلمون" بفتح التاء واللام، أي تسلمون من الجراح، وإسناده ضعيف. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٦١/١٠}.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِين﴾ [النحل:٨٢] التبليغ عن الله بلغة يعلمون بها، فلما ذكر لهم النبي صلى الله عليه وآله هذه النعم قالوا: يا محمد هذه كلها من الله تعالى، ثم أنكروا بعد ذلك وقالوا: بشفاعة آلهتنا، فقال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ﴾ يقرون بأن هذه النعم كلها من الله تعالى ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ فيقولون بشفاعة آلهتنا ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُون﴾ [النحل:٨٣] كلهم كافروه بالله[1].

ويقال: ينكرون بالإعراض عن الطاعة وترك العمل والقيام به بعد اعترافهم بذلك.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ نخرج من كل أمة ﴿شَهِيدًا﴾ نبياً عليهم شهيد بالبلاغ ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الكلام ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُون﴾ [النحل:٨٤] يرجعون إلى الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُون﴾ [النحل:٨٥] يؤجلون إلى الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ﴾ آلهتهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا﴾ آلهتنا ﴿الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ﴾ نعبد ﴿مِن دُونِكَ﴾ أمرونا بعبادتهم ﴿فَألْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ ردوا إليهم الجواب، يعني الأصنام ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُون﴾ [النحل:٨٦] في مقالتكم ما أمرناكم وما كنا نعلم بعبادتكم.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ استسلم العابد والمعبود لله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُون﴾ [النحل:٨٧] يعبدون بالكذب.

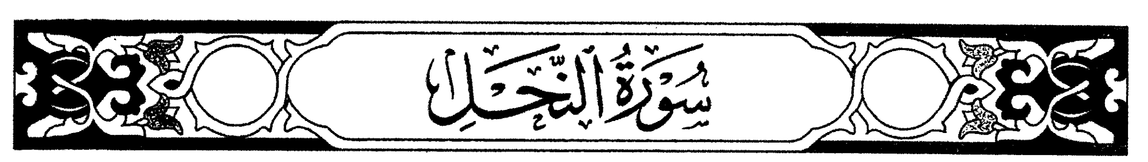
﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ عذاب الحيّات والعقارب، والجوع والعطش، والزمهرير وغير ذلك ﴿فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ فوق عذاب النار ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُون﴾ [النحل:٨٨] يقولون ويعملون من المعاصي في الشرك[2].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ نخرج من كل جماعة ﴿شَهِيدًا﴾ نبياً شهيداً ﴿عَلَيْهِم﴾ بالبلاغ ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ آدمياً مثلهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلاء﴾ على أمتك. ويقال: مزكياً لهم.

---

(١) قال الامام زيد. {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا} يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم. تفسير غريب القرآن، للإمام زيد، {٢٤٤}.

(٢) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، {٣٥١/٢}.



﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ جبريل بالقرآن ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩] بالجنة.

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ بالتوحيد والإنصاف ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض، ويقال: الإحسان إلى الناس ﴿وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى﴾ صلة الرحم ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء﴾ عن المعاصي كلها ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سنة ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الاستطالة والظلم ﴿يَعِظُكُمْ﴾ ينهاكم عن الفحشاء والمنكر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] لكي تتعظوا بأمثال القرآن.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ نزلت هذه الآية في كندة[١] ومراد[٢]، يقول: أتموا العهود بالله إذا عاهدتم إذا حلفتم بالله بالوفاء ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ﴾ يعني العهود فيما بينكم ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد تغليظها وتشديدها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ شهيداً، ويقال: حفيظاً، معناه: يقول: وقد قلتم الله شهيد علينا بالوفاء، يعني كلا الفريقين ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١] من النقض والوفاء[٣].

﴿وَلاَ تَكُونُواْ﴾ في نقض العهد ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ يعني رابطة الحمقاء ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ من بعد إبرام وإحكام ﴿أَنكَاثًا﴾ أنقاضاً كانت تتخذ ثم تنقض[٤].

ويقال: قاله على التمثيل.

---

(١) كندة: هم بنو ثور، وثور هو كندة بن عفير بن [عديّ] بن الحارث من ولد زيد بن كهلان، وسمّي كندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته.وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت، وقد تقدم ذكر ملوكهم. ومن كندة حجر بن عديّ صاحب عليّ بن أبي طالب، قتله معاوية صبرا. ومنهم شريح القاضي. انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للقرشي، {٢٦٣/٤}.

(٢) مراد إلى جانب زبيد من جبال اليمن، وإليه نسب كلّ مراديّ من عرب اليمن. انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للقرشي، {٢٦٤/٤}.

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٤٨١/٢}.

(٤) قال الله عز وجل: لا تنقضوا العهود بعد توكيدها ، كما نقضت المرأة الحمقاء غزلها ،) من بعد قوة (، من بعد ما أبرمته،) أنكثا (،يعنى نقضاً ، فلا هي تركت الغزل فينتفع به ، ولا هي كفت عن العمل ، فذلك الذي يعطى العهد ، ثم ينقضه ، لا هو حين أعطى العهد وفى به ، ولا هو ترك العهد فلم يعطه،) من بعد قوة (،يعنى من بعد جده ، ولم يأثم بربه. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٣٥/٢-٢٣٦}.



﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ عهودكم ﴿دَخَلاً﴾ مكراً وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ بأن تكون جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ جماعة ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ﴾ يختبركم الله ﴿بِهِ﴾ بالكثرة.

ويقال: بنقض العهد.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ في الدين ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:٩٢] تخالفون.

﴿وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لجعلكم على ملة واحدة، ملة الإسلام كرهاً ﴿وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء﴾ بعمله ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاء﴾ بعمله ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٣] من الخير والشر في الكفر والإيمان. ويقال: في النقض والوفاء.

﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ﴾ عهودكم ﴿دَخَلاً﴾ دغلاً ومكراً وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ فتزلوا عن طاعة الله كما تزل قدم الرجل ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ قيامها ﴿وَتَذُوقُواْ السُّوءَ﴾ النار ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾ صرفتم ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:٩٤] شديد في الآخرة.

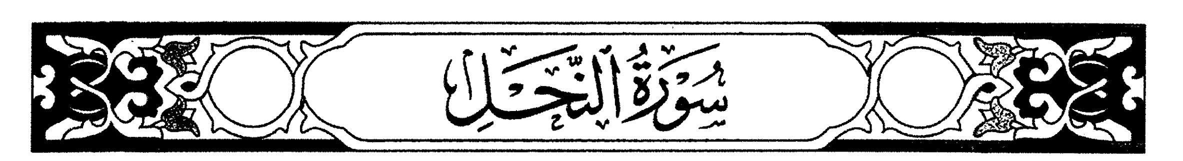
﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ يعني الحلف بالله عرضاً يسيراً من الدنيا ﴿إِنَّمَا عِندَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما عندكم من المال ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٩٥] ثواب الله تعالى. ويقال: إن كنتم تصدقون بثواب الله.

﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من المال ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿بَاقٍ﴾ يبقى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ عن اليمين وأقروا ﴿أَجْرَهُم﴾ ثوابهم في الآخرة ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦] بإحسانهم في الدنيا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ خالصاً فيما بينه وبين ربه وأقر بالحق ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مخلص ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ في الطاعة.

ويقال: في القناعة، ويقال: في الجنة.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ ثوابهم في الآخرة ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] بإحسانهم في الدنيا.



نزلت هذه الآية في عبدان بن الاشوع، وامرئ القيس الكندي في خصومة كانت بينهما في أرض[1].

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ فإذا أردت يا محمد أن تقرأ القرآن في أول افتتاح الصلاة أو في غير الصلاة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فقل: أعوذ بالله ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨] اللعين المرجوم بالنجم، المطرود من رحمة الله.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ سبيل وغلبة ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾ [النحل:٩٩] لا على غيره، ويفوضون أمرهم إليه.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾ سبيله وغلبته ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ يطيعونه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ﴾ بالله ﴿مُشْرِكُون﴾ [النحل:١٠٠]من أجل إبليس وبطاعته وبسببه مشركون.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً﴾ أنزلنا جبريل بآية ناسخة ﴿مَّكَانَ آيَةٍ﴾ منسوخة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ بصلاح ما يأمر العباد ﴿قَالُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ مختلق من تلقاء نفسك مقدم ومؤخروالله أعلم بما ينزل ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ ولكن أكثرهم ﴿لاَ يَعْلَمُون﴾ [النحل:١٠١] أن الله لا يأمر عباده إلا بالصلح لهم.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿نَزَّلَهُ﴾ يعني جبريل بالقرآن، والتشديد لكثرة نزوله بالوحي، يقول: نزل به بالقرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل المطهر ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالناسخ والمنسوخ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ يقول: لتطيب وتطمئن إليه قلوب الذين آمنوا بمحمد والقرآن ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين﴾ [النحل:١٠٢] بالجنة.

---

(١) {ما عندكم} من أعراض الدنيا ومنافعها{ينفد} يفنى وينقطع، يعني الدنيا {وما عند الله} من خزائن رحمته {باقٍ} دائم لا ينفد، ولا يفنى ولا ينقطع {وليجزين الذين صبروا على دينهم} وعلى أذى المشركين، ومشاق الإسلام {أجرهم بأحسن ما كاناو يعملون} يعني من الطاعات وصبرهم عليها {من عمل صالحاً} أي طاعة من الطاعات{من ذكر أو أنثى وهو مؤمن} أي كامل الأيمان بمجانبة الكبائر. قيل أراد العمل الصالح لا يستحق به الثواب إلا بشرط الإيمان قوالمعرفة {فلنحيينه حياة طيبة} يعني في الدنيا وهو الظاهر، وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش طيباً إن كان موسراً فلا مقال فيه، وإن كان معسراً فمنعه ما يطيب عيشه وهو اقناعة والرضا بقسمة الله عز وجل. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {١٧١/٣}.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ يا محمد ﴿أَنَّهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ يعني القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ خبر ولسان ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ يميلون إليه، ويشبهون به وينسبون إليه ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ عبراني ﴿وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣] يقول: القرآن على مجرى اللغة العربية يبين بلغة يعرفونها يعلمونها(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ﴾ من لم يكن أهلاً لدينه ولا ينجيهم من النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١٠٤] وجيع.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ يختلق الكذب على الله ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَأُوْلـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥] على الله.

﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ﴾ بالله فعليه غضب من الله ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ إلا من أجبر ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ معتقد للإيمان.

نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، وكيف يكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، إنما يريد إظهار الكفر وهو مؤمن، هذا بعد الإكراه، قال: والإكراه أن يمسه البلاء، ولو مضى على إيمانه وصبر سبق إلى الجنة مع السابقين، وقال: مع الفائزين(٢).

﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ من تكلم بالكفر طائعاً ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ﴾ سخط من الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦] أشد مما يكون في الدنيا. نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح(٣).

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ اختاروا الدنيا على الآخرة، والكفر على الإيمان ﴿وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي﴾ لا ينجي من عذابه ﴿الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل:١٠٧] من لم يكن أهلاً لذلك.

---

(١) التهذيب في التفسير، للحكم الجشمي، {٦/٤١١٥-٤١١٦}.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٠/١٨٠}.

(٣) وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كان على مصر، كان يكتب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {١٠/١٩٢} وبحر العلوم للسمرقندي، {٢/٤٨٦}.

﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ﴾ ختم الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُـمُ الْغَـافِلُون﴾ [النحل:١٠٨] عن أمر الآخرة تاركون لها.

ويقال: غافلون عن التوحيد، جاحدون له، وقد تقدم ذكر الختم والطبع على معنى السـمة والعلامة، وعلى جهة الحكم والشهادة، وتأولنا على الوجه الصحيح.

﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقاً يا محمد ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرون﴾ [النحل:١٠٩] المغبونون، نزلت فـي المستهزئين[1].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ عـذبوا، عذبهم أهل مكة يعني عمار بن ياسر وأصحابه ﴿ثُـمَّ جَاهَـدُواْ﴾ العدوفي سبيل الله ﴿وَصَـبَرُواْ﴾ مع محمد على المرازي[2] ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِـن بَعْـدِهَا﴾ من بعد الهجرة ﴿لَغَفُـورٌ رَّحِـيم﴾ [النحـل:١١٠] متجاوز لهم.

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ وهو يوم القيامة ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ برة أو فاجرة ﴿تُجَـادِلُ﴾ تخاصم ﴿عَـن نَّفْسِـهَا﴾ لقبل نفسها[3]، ويقال: مع شياطينها.

ويقال: مع زوجها.

﴿وَتُوَفَّى﴾ توفر ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ برة أو فاجرة ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ بما عملت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾ [النحل:١١١] لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَـةً﴾ بين الله صفة أهل مكة أبي جهل والوليـد وأصـحابهما ﴿كَانَـتْ آمِنَـةً﴾ كان أهلها آمنين من العدو والقتل والجوع والسبي ﴿مُّطْمَئِنَّـةً﴾ مقيمـة أهلهـا ﴿يَأْتِيهَـا رِزْقُهَا﴾ يحمل إليها رزقها والثمرات ﴿رَغَدًا﴾ موسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَـانٍ﴾ من كل ناحية، وأرض يحمل إليها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾ فكفر أهلها بمحمد والقرآن ﴿فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُـوعِ وَالْخَـوْفِ﴾

---

(١) انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١٩٧/٣}.

(٢) رَزَأتهُ رَزيئةٌ أي أصابته مُصيبة. لسان العرب، لابن منظور، {٨٥/١}

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن {١٩٣/١٠} وقال الطبرسي في معنى قوله تعالى « يوم تأتي كل نفس » أراد به يوم القيامة « تجادل عن نفسها » أي تخاصم الملائكة عن نفسها و تحتج بما ليس فيه حجة و تقول و الله ربنا ما كنا مشركين و يقول أتباعهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار ويحتمل أن يكون المراد أنها تحتج عن نفسها بما تقدر به إزالة العقاب عنها. انظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي، {١٨٣/٦}.

فعاقب الله أهلها بالجوع سبع سنين، والخوف خوف حرب محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢] يقولون ويعملون بمحمد في الخفاء.

﴿وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ من نسبهم عربي قرشي مثلهم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بما جاءهم به ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بالجوع والسبي والقتل ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل:١١٣]كافرون(١).

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الحرث والأنعام ﴿حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤] إن كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والأنعام، فاستحلوا، فإن عبادة الله في تحليلها.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ التي أمر بذبحها ﴿وَالْدَّمَ﴾ الدم المسفوح، وهو القاطر السائل ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ يعني ما ذبح بغير اسم الله عمداً للأصنام ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ جهد إلى ما حرم الله عليه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على المسلمين(٢).

ويقال: غير مستحل لأكل الميتة، ويقال: الميتة(٣).

﴿وَلاَ عَادٍ﴾ يعني ولا قاطع الطريق. ويقال: متعمداً للأكل لغير الضرورة.

﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز بأكلة الميتة عند الضرورة ﴿رَّحِيم﴾ [النحل:١١٥] إذ رخص له أكل الميتة عند الضرورة.

﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ يعني ولا تقولوا بألسنتكم الكذب ﴿هَـذَا﴾ يعني الحرث والأنعام ﴿حَلاَلٌ﴾ على الرجال ﴿وَهَـذَا حَرَامٌ﴾ على النساء ﴿لِّتَفْتَرُواْ﴾ لتختلقوا ﴿عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦] لا ينجون ولا يأمنون من عذاب الله.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢١٣}.

(٢) وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما: المعنى" غَيْرَ باغٍ" على المسلمين" وَلا عادٍ" عليهم، فيدخل في الباغي والعادي قطاع الطريق والخارج على السلطان والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله. وهذا صحيح. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢/٢٣٢-٢٣١}.

(٣) القول لابن عباس والحسن: غير باغ في الميتة في الأكل ، ولا عاد بأكلها ، وهو يجد غيرها. انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، {٢/١١٦}.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ عيش في الدنيا قليل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٧] وجيع في الآخرة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ﴾ مالوا عن الإسلام يعني اليهود ﴿حَرَّمْنَا﴾ عليهم ﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ ما سمينا لك ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذه السورة في سورة الأنعام ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم ﴿وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:١١٨] يضرون أي بذنوبهم حرم الله عليهم[١].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ بتعمد وإن كان جاهلاً بركوبه ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ السوء ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ العمل فيما بينهم وبين ربهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿مِن بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ متجاوز ﴿رَّحِيمٌ﴾[النحل:١١٩] بهم[٢].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إمام يقتدى به ﴿قَانِتًا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مسلماً مخلصاً ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] مع المشركين على دينهم.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ شاكراً لما أنعم الله عليه ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه بالنبوة والإسلام ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١] بلطائفه التي لا تحصى فثبته على صراط مستقيم، قائم يرضاه وهو الإسلام.

﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ولداً صالحاً، ويقال: حسناً.

﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل:١٢٢] مع آبائه المرسلين في الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أمرناك يا محمد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ استقر على دين إبراهيم ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] مع المشركين على دينهم.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ حرم السبت ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في الجمعة، فأبوا أن يكون عيدهم إلا السبت، وهم اليهود ولم يرضوا بالجمعة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين اليهود والنصارى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ في الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل:١٢٤] يخالفون[٣].

---

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {٢٧٧/٢}.

(٢) انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم لجشمي، {٤١٣٥/٦}.

(٣) انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي، {١٨٤/٣}.

سُورَةُ النَّحْلِ

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى دين ربك ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ القرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وعظهم بمواعظ القرآن ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالقرآن، ويقال: بلا إله إلا الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين﴾ [النحل:١٢٥] على دينه.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ مثلتم ﴿فَعَاقِبُواْ﴾ مثلوا ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ مثلتم به بالأموات ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن المثلة ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرين﴾ [النحل:١٥٦]في الآخرة، ويقال: أن بعض الصحابة قال: ليمثلن بسبعين منهم كما مثلوا بحمزة.

﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذاهم ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ بتوفيق الله ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على المستهزئين ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ يقول: ولا يضيق صدرك ﴿مِّمَّا يَمْكُرُون﴾ [النحل:١٥٧]بما يقولون لك ويصنعون بك(١).

[النحل:١٢٨] ﴿إِنَّ الله مَعَ الذين اتقوا﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿والذين هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالقول والفعل موحدون.

وهي كلها مكية غير أربع آيات نزلت في المدينة:

قوله: ﴿وإنا عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم...﴾(٢) إلى آخر الآية.

والآية الثانية: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله..﴾ [النحل من الآية:١٢٧] إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما ظلموا..﴾ [النحل من الآية:١١٠] الآية.

وقوله: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا..﴾ [النحل من الآية:٤١] إلى آخر الآية، فهذه الآيات مدنيات.

---

(١) انظر: التهذيب في التفسير، للحاكم لجشمي، {٦/٤١٤٠}.

(٢)الممتحنة من الآية: ١١.

ومن السورة التي يذكر فيها بني إسرائيل[1].

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ﴾ يقول: تعظم وتبرأ عن الولد والشريك ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ سير عبده، ويقال: أدلج عبده محمداً ﴿لَيْلاً﴾ أول الليل ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ من الحرم من بيت أم هانئ بنت أبي طالب ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ أقصى من الأرض، وأقرب إلى السماء، يعني مسجد بيت المقدس، وقيل: إنما سمي بيت المقدس لأن أهل الشرك والكفر انتقلوا منه وبعدوا، فكان ذلك تطهيراً لذلك الموضع من الشرك والكفر وأهله، فصار بذلك مقدساً[2].

وفيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله، حيث لقي الأنبياء عليهم السلام في مسراه، ورأى الآيات والعجائب، وكذبه أهل مكة فأخبرهم بعيرهم وما تحاورونه فيما بينهم تلك الليلة[3].

---

(١) سورة بني إسرائيل، مكية كلها ، إلا هذه الآيات ، فإنهن مدنيات: وهي قوله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق) [آية : ٨٠] الآية . وقوله تعالى: (إن الذين أوتوا العلم من قبله (إلى قوله: (خُشوعاً) [آية: ١٠٧ - ١٠٩] وقوله تعالى: (إن ربكَ أحاط بالناس..) [آية: ٦٠] الآية. وقوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك..) [آية: ٧٣] الآية. وقوله تعالى: (ولولا أن ثبتناك..) [آية: ٧٤، ٧٥] الآيتين. وقوله تعالى: (وَإن كادوا ليستفزونك من الأرض..) [آية: ٧٦] الآية. عددها مائة وإحدى عشرة آية كوفية. تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢٤٦}.

(٢) قوله: سبحان يريد بذلك التنزيه لنفسه والتقديس له جل ثناؤه، ولا يجوز التسبيح لأحد غيره، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وأما قوله عز وجل: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ} فإنه يعني محمداً عليه السلام ، والإسراء هو المسير بالليل، ولا يجوز أن يكون الإسراء بالنهار، وأما قوله: ليلاً فإنه معنى قدرته وتعجيل بلوغه إلى الشام من مكة في ليلة واحدة، والمسجد مسجد مكة، والمسجد الأقصى مسجد بيت المقدس المبارك الذي بارك الله فيه عز وجل وفيما حوله، وأعظم النعمة على خلقه، والإحسان إلى بريته، ومعنى قوله: {لَيْلاً} ليلة واحدة؛ لأن قريش لم تفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ليلة واحدة، انتهى.

قال الحسين بن القاسم: أسرى به ملكاً من الملائكة الكرام، فأوصله إلى بيت المقدس في ليلة واحدة، وهذا عجب عجيب لمن عقل. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٢/٤٨٤} والتهذيب في التفسير، للحاكم الجشمي، {٦/٤١٤٧}.

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري ، {٢/٦٤٧}.

وعنه صلى الله عليه وعلى آله: «أن المسجد الحرام قبل المسجد الأقصى بأربعين سنة»[1].

﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالماء والشجر والثمار ﴿لِنُرِيَهُ﴾ لكي نريه، نري محمداً صلى الله عليه وعلى آله ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ من عجائبنا، وكل ما رأى تلك الليلة كان من عجائب الله ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لمقالة قريش ﴿الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] بهم وبتسيير عبده محمد صلى الله عليه وعلى آله.

وذكر القاسم بن إبراهيم: أن أفضل البقاع مسجد الحرام، ثم مسجد الرسول عليه السلام بالمدينة، ثم مسجد بيت المقدس، ثم مسجد الكوفة[2].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام فضل كثير في مسجد الكوفة، وقال أنه صلى فيه ألف نبي وألف وصي[3].

﴿وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة جملة واحدة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بيناه وأنزلناه ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ من الضلالة ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُواْ﴾ ألا تعبدوا ﴿مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ [الإسراء:٢] رباً.

﴿ذُرِّيَّةَ﴾ يا ذرية ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة في أصلاب الرجال وأرحام النساء.

ويقال: الناس كلهم، ولد نوح من أولاده الثلاثة الذي نجوا معه: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم[4].

---

(١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قَالَ: قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً» قَالَ: «ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ». أخرجه الصنعاني: المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٣، باب الصلاةعلى الطرق، رقم (١٥٧٨) {٤٠٣/١}

(٢) أفضل أمكنتها المساجد) يعني أنها أفضل أمكنة الصلوات الخمس (وأفضلها) أي المساجد (المسجد الحرام ثم مسجد رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم (ثم مسجد بيت المقدس) ؛ لأنه أحد القبلتين (ثم) مسجد (الكوفة ثم الجوامع) وهي التي تكثر فيها الجماعات صفوفا (ثم ما شرف عامره) بأن يكون ذا فضل مشهور في دين وعلم لا شرف الدنيا فلا عبرة به (ولا يجوز في المساجد) شيء من أفعال الجوارح (إلا الطاعات) وأنواعها كثيرة كالذكر والصلاة وقد دخل في الذكر العلوم الدينية. انظر: التاج المُذْهَب لأحكام المَذْهَب، للعنسي، {١٢٣/١}.

(٣)انظر: بحار الأنوار: للعلامة المجسلي، {٥٨/١١}.

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري، {٣٥٣/١٣}.

﴿إِنَّهُ﴾ يعني نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]شاكراً، كان إذا أكل أو شرب او اكتسى قال: الحمد لله.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أعلمناهم ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ في التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ لتعصون ﴿فِي الأَرْضِ﴾ تبييناً ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤]لتعتن عتواً كبيراً.

ويقال: لتقهرن قهراً شديدا، معناه تعظمون وتشرفون فيحملكم ذلك على البغي والفساد والعصيان سوء اختياركم لأنفسكم.

﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ أول العذابين.

ويقال: أول الفسادين ﴿بَعَثْنَا﴾ سلطنا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على معنى التخلية ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ بخت نصرو أصحابه ملك بابل ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي قتال شديد ﴿فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ فقتلوكم وسط الديار في الأزقة ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولا﴾ [الإسراء:٥]كائناً، والوعد يعني الموعود كما يسمى المسروق سرقة، وهو إخبار عن فعلهم، فكانوا تسعين سنة في هذا العذاب أسراً في يد بخت نصر قبل أن ينصرهم الله بكوس الهمداني(١).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ بظهورهم كورش الهمداني على بخت نصر(٢).

ويقال: ثم عطفنا عليكم العطفة بالدولة ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ أعطيناكم أموالاً وبنين ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦] رجالاً وعدداً.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ وحدتم الله ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ وحدتم ﴿لأَنفُسِكُمْ﴾ ثواب ذلك الجنة ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ أشركتم بالله ﴿فَلَهَا﴾ فعليها عقوبة ذلك، فكانوا في النعيم والسرور، وكثرة

---

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) ، دار الساقي، ط٤ - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، باب تغلب، {١٢٧/٨}.

(٢) ذلك أنَّ رجُلاً من أهلِ الكتاب يقالُ له : كُورشُ غزَا أرضَ بابل ، وهي بلادُ بَخْتِنَصَّر ، فظهرَ عليهم فقتلَهم وسكنَ ديارَهم ، وتزوَّجَ امرأةً مِن بني إسرائيلَ أُخْتُ مَلَكِ بني إسرائيلَ ، فطلبت من زوجها أن يَرُدَّ قومَها إلى أرضِهم ففعلَ ، فمكثَ في بيتِ المقدس مائتين وعشرين سنة ، وقامت بينهم الأنبياءُ ، ورجَعُوا الى أحسنَ ما كانوا عليهِ ، فذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: { ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ }. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٢٢/١٠}.

الرجال والعدد والغلبة على العدو مائتين وعشرين سنة، قبل أن يسلط الله عليهم بطوس، والتسليط التخلية كما قلنا[1].

﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ آخر الفسادين وآخر العذابين ﴿لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ لقبح وجوهكم بالقتل والسبي بغلبة بطوس بن أسبيانوس الرومي. ﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ﴾ مسجد بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني بخت نصر وأصحابه ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ ليخربوا ﴿مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧]ما ظهروا عليه تخريباً.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ وعسى من الله واجب، لعل ربكم ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد ذلك ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العذاب[2].

ويقال: وإن عدتم إلى الإحسان عدنا إلى الرحمة.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨]سجناً ومحبساً.

﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي﴾ يدل ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أحسن وأصوب شهادة ألا إله إلا الله، ويقال: أبين.

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين بإيمانهم ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩] ثواباً عظيماً وافراً في الجنة.

﴿وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ [بِالآخِرَةِ]﴾ بالبعث بعد الموت ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء:١٠] وجيعاً في الآخرة.

﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ﴾ النضر بن الحارث ﴿بِالشَّرِّ﴾ باللعن والعذاب على نفسه وأهله ﴿دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ﴾ كدعائه بالعافية والرحمة ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ﴾ يعني النضر ﴿عَجُولا﴾ [الإسراء: ١١] مستعجلاً بالعذاب.

ويقال: هذا الدعاء ما قالوه: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ جعلنا الليل والنهار ﴿آيَتَيْنِ﴾ علامتين، يعني الشمس والقمر ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ضوء آية الليل يعني القمر ﴿وَجَعَلْنَا﴾ تركنا ﴿آيَةَ النَّهَارِ﴾ يعني الشمس

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٥٢٢/٢}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٥٠/٢}.

﴿مُبْصِرَةً﴾ مضيئة ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ لكي تطلبوا ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بطلب الدنيا والآخرة ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ لكي تعلموا بزيادة القمر ونقصانه ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حساب الأيام والشهور ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾[الإسراء:١٢] بيناه في القرآن تبياناً.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ﴾ ألزمناه ﴿طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ أي حظه، والعرب تقول لكل ما أنزل بالإنسان لزم عنقه.

ويقال[١]: خيره وشره له وعليه، وسعادته وشقاوته له وعليه بعمله.

﴿وَنُخْرِجُ﴾ نظهر ﴿لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣] يعطاه مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته، فيقال له: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] شهيداً بما عملت.

﴿مَّنِ اهْتَدَى﴾ آمن ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدي﴾ يؤمن ﴿لِنَفْسِهِ﴾ ثواب ذلك ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ كفر ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾ يجني ﴿عَلَيْهَا﴾ على نفسه عقوبة ذلك ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا تحمل حاملة دنيا أخرى.

ويقال: لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى، ويقال: الحجة عليهم.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ قوماً بالهلاك ﴿حَتَّى نَبْعَثَ﴾ إليهم ﴿رَسُولا﴾ [الإسراء:١٥] لإيجاب الحجة عليهم.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أهل قرية ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ جبابرتها ورؤساءها بالطاعة إن قرئت بنصب الألف مخففاً، فيقال: كبراء رؤساها وجبابرها وأعتائها إن قرئت بنصب بفتح الألف ممدود[٢].

ويقال: سلطنا مترفيها جبابرتها ورؤساءها إن قرئت مشددة.

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ فعملوا فيها بالمعاصي ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ فوجب عليهم القول بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦] فأهلكناها إهلاكاً.

---

(١) القول لمجاهد. انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {٢٠٥}.

(٢) (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) المراد به أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها، ولا يغرنك ما ذكره صاحب الكشاف هاهنا من أن المحذوف هو الفسق المأمور به على المجاز، فإنه خلاف ما أجمع عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أمرنا بإتباعهم، ونهينا عن مخالفتهم، ألا تسمع كيف يقول فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ولا تخالفوهم فتضلوا) الخبر، كما مر الإشارة إلى ذلك من وجوب إتباعهم، مع أنه تفسير الكل من أهل التحقيق من غيرهم خلا ما أصر عليه صاحب الكشاف كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه من سورة السجدة. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١٣٣/١}.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الماضية ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ من بعد قوم نوح ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧] بهلاكهم أن يبين لكم بعلم ذنوبهم وعذابهم.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني الدنيا بأداء ما افترض الله عليه ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا﴾ أعطيناه في الدنيا ﴿مَا نَشَاء﴾ أن نعطيه ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ أن نهلكه في الآخرة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨] ملوماً مقصياً من ثواب كل خير. نزلت هذه الآية في مرثد[1] بن ثمامة.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ﴾ يعني الجنة بأداء ما افترض الله عليه ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل للجنة عملها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ومع ذلك مؤمن مخلص بإيمانه ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم﴾ عملهم ﴿مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩] مقبولاً.

نزلت هذه الآية في بلال المؤذن.

﴿كُلاًّ نُّمِدُّ﴾ بالرزق ﴿هَؤُلاء﴾ أهل الطاعة ﴿وَهَؤُلاء﴾ أهل المعصية يمدون بالرزق ﴿مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ﴾ رزق ربك ﴿مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠] محبوساً عن البر والفاجر.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الدنيا بالمال والخدم ﴿وَلَلآخِرَةُ﴾ يعني الآخرة ﴿أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ فضائل للمؤمنين ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا﴾ [الإسراء:٢١] ثواباً في الدرجات.

﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ﴾ لا تقل مع الله ﴿إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ ملوماً تلوم نفسك ﴿مَّخْذُولا﴾ [الإسراء:٢٢] يخذلك معبودك.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أمر ربك[2]، ويقال: وقضى ربك حكم ربك.

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) من معاني القضاء: الأمر، كما قال سبحانه: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ}[الإسراء: ٢٣]، يقول: أمر ربك ألا تعبدوا إلاَّ إياه.

وقضاء خلق، وذلك قوله: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِيْ يَوْمَيْنِ} [فصلت: ١٢]، يقول: خلقهن في يومين، فأما أن يكون يقضي رب العالمين على خلقه بمعصية ثُمَّ يعذبهم عليها فهذا محال، باطل من المقال. ومثل قول الله عز وجل: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ فِيْ الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِيْ الأَرْضِ} [الإسراء: ٤]، أي: تختارون اسم الفساد، كما قال: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ} [الحجر: ٦٦]، يقول: أعلمناه. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع)، {٧٩}.

﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ألا توحدوا إلا الله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ براً بهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ أحد الأبوين ﴿أَوْ كِلاَهُمَا﴾ كلا الأبوين ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ كلاماً ردياً ولا تقذرهما ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ تكهرهما ولا تغلظ لهما في الكلام ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣] ليناً حسناً.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ يعني لين جانبك لهما ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وكن رحيماً عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ﴾ يا رب ﴿ارْحَمْهُمَا﴾ إن كانا مسلمين ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤] عالجاني في الصغر.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما في قلوبكم من البر والكره بالوالدين ﴿إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ﴾ بارين بالوالدين ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ الراجعين من الذنوب ﴿غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥] متجاوزاً[١].

نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص[٢].

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ أي اعط ذا القربى ﴿حَقَّهُ﴾ يقول: أمر الله بصلة القرابة ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ وأمر بالإحسان إلى المساكين ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وأمركم بإكرام الضيف النازل بكم وحقه ثلاثة أيام. ويقال: هو مار الطريق المحتاج.

وعن السدي[٣] عن أبي جعفر الديلم: قال: لما جيء بعلي بن الحسين أسيراً قال رجل من أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة، فأنصت حتى فرغ له، ثم قال: قد

---

(١) اعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الجملة بعد هذا الذكر كلف الإنسان في حق الوالدين بخمسة أشياء:
الأول: قوله تعالى: {فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} وفيه ما مر.
الثاني من الأشياء قوله تعالى: {وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} أي تزجرهما عما لا يعجبك مما أرادا، يقال نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره، والانتهار هو الصياح بالغضب والكلام الغليظ.
الثالث: قوله سبحانه: {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً} جميلاً كما يقتضيه حسن الأدب، والقول الكريم الذي أمر الله به عز وجل فهو اللين الجميل الحسن من القول، المقرون بأمارات التعظيم والاحترام.
الرابع: قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} أي جناحك الذليل، أو جعل لذله لهما جناحاً خفيضاً أي منخفضاً غير مترفع، مبالغة في التذليل لهما والتواضع، وخفض الجناح مثل مضروب.
الخامس: قوله تعالى: {وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} لأجل قيامهما بتربيتي وتعبهما في حفظي وصلاحي. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١٧/٣}.
(٢) انظر: تفسير الماوردى، لأبي الحسن الماوردي، ، {٢٣٨/٣}.
(٣) أحمد بن محمد بن أحمد بن السدي أبو الطيب الدوري ابن أخت الهيثم بن خلف. سمع: الكديمي، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، ومحمد بن إسحاق بن راهويه، والحسن بن مندة، والحسن بن أبي المنذر. ووثقه الخطيب. توفي سنة نيف وخمسين. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، {٢٢٥/٢٦}.

أنصت لك، فاسمع مني: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفتجد لنا فيه شيئاً خالصاً؟ قال: لا، قال: أما قرأت الرحم؟ قال: بلى قرأت القرآن، ولا أقول الرحم، قال: فما قرأت: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى من الآية:٢٣].

فقال: إنكم أو أبيكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

قال: فما قرأت في بني إسرائيل: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾. قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم نحن قرابته الذين أمر الله أن نؤتى حقه.

قال: فما قرأت في الأنفال: ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾(١).

قال: إنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

قال: أفما قرأت في الأحزاب: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾(٢)؟ قال: إنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

قال: اللهم إني أتوب إليك من سب آل محمد عليه وعليهم السلام وأبرأ من عدوهم، لقد قرأت القرآن منذ كم شاء الله ما علمت بهؤلاء الآيات(٣).

وعن علي بن الحسين عليهم السلام في اليتامى والمساكين وابن السبيل، إنهم منا أهل البيت(٤).

وعن السدي: لما سمع أهل فدك من أمر أهل خيبر نزلوا مثل ما نزلوا عليه فكان فدك لرسول الله صلى الله عليه خاصة، لأنهم لم يجيفوا عليها بخيل ولا ركاب، فكانت لهم، فقبضها

---

(١)الأنفال من الآية: ٤١

(٢)الأحزاب من الآية: ٣٣.

(٣) حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المريّ، عن السديّ، عن أبي الديلم قال: لما جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربى الفتنة، فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنهما: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال نعم. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٢٨/٢١} والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، {٣١١/٨}.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٢٤٧/١٠}

رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما نزلت: ﴿وآت ذا القربة حقه﴾ أقطعها النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فجعلها لها[1].

وكذلك روي عن عطية العربي[2]، وعن عطية أيضاً قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك، وكلما لم يوجف عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب، فهو للنبي صلى الله عليه وآله يضعه حيث يشاء، وفدك مما لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب.

﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٨] ولا تنفق مالك في غير حق الله. ويقال: في غير طاعة الله.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾ المنفقين أموالهم في غيرحق الله، وإن كان دانقاً[3] ﴿كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أعوان الشياطين ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٧] بربه كافراً.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ عن القرابة والمساكين حباً ورحمة ﴿ابْتِغَاء رَحْمَةٍ﴾ يعني انتظار نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أن تأتيك. ويقال: قدوم مال غائب عنك.

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٨] فعدهم عدة حسنة أني سأعطيكم.

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ يقول: لا تمسك يدك عن النفقة والعطية بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا﴾ في العطية والنفقة ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾ في السرف، يقول: لا تعط جميع ما هو لك لمسكين واحد، أو قرابة واحدة، وتترك الآخرين ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فتبقى ملوماً يلومك الناس، يعني الفقراء والقرابة ﴿مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩] منقطعة عنك القرابة والمساكين ذاهباً الذي لك من المال.

ويقال[4]: نزلت هذه الآية في امرأة استكست قميص النبي صلى الله عليه وآله فأعطاها النبي صلى الله عليه وآله قميصه وجلس عارياً، فنهاه الله عن ذلك، وقال له: ﴿ولا تبسطها كل

(١) عن أبي سعيد قال لما نزلت، هذه الآية { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ } دعا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم فاطمة فأعطاها "فدك". تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠-٧٧٤هـ]، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، الباب ٢٨ {٦٨/٥}

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) القيراط: نصفُ دانِقٍ. انظر: الصحاح في اللغة، للجوهري، {٧١/٢}.

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٤/٣}.

البسط﴾ في السرف حتى تنزع ثوبك ﴿فتقعد ملوماً﴾ فتبقى ملوماً يلومك النـاس ﴿محسوراً﴾ عارياً لا تقدر أن تخرج من العري.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع المال ﴿لِمَن يَشَاء﴾ على من يشاء من عباده وهو مكرمتـه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ويقدر على من يشاء من عباده وهو نظر منه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ بصـلاح عبـاده ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٣٠] يعني بالبسط والتقتير.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في خزاعة، كانوا يدفنون بناتهم أحياء، فنهاهم الله عـن ذلك، وقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ﴾ أحياء ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ مخافة الذل والفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ يعنـي بناتكم ﴿وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ﴾ دفنهم أحياء ﴿كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١] ذنباً عظيماً في العقوبة[١].

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى﴾ سراً وعلانية ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ معصية ﴿وَسَاء سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢] بئس المسلك.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ﴾ المؤمنة ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ قتلهـا ﴿إِلاَّ بِالحَقِّ﴾ بـالرجم أو بـالقود أو بالارتداد ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بالتعمد ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ لولي المقتول ﴿سُلْطَانًا﴾ عذراً وحجة على القاتل إن شاء قتله وإن شاء عفى عنه، وإن شاء أخذ الدية ﴿فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ يقول: لا يمثل به، ولا يعذبه، والقراءة بالجزم والرفع، فالجزم على معنى النهي، والرفع على معنى أنه ليس في قتل القاتل سرف.

ويقال: لا يقتل غيرَ القاتلِ حمَيمهُ[٢] إن قرأت بالجزم.

ويقال: ولا تقتل بقتل نفس واحدة نفسين، وأحدهما غير قاتل.

---

(١) يقول تعالى ذكره: (وَقَضَى رَبُّكَ) يا محمد (ألا تَعْبُدُوا إلا إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا)، (وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ) فموضع تقتلوا نصب عطفا على ألا تعبدوا. ويعني بقوله (خَشْيَةَ إمْلاقٍ) خوف إقتار وفقر، وقد بيَّنا ذلك بشواهده فيما مضى، وذكرنا الرواية فيه، وإنما قال جلّ ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن. وعن قتادة، قوله (وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ): أي خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا). انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {١٧/٤٣٦}.

(٢) بمعى لا يقتل ولي المقتول غير الشخص الذي قتل حميمه أي قريبه.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣] يقتل ولا يعفا، ويقال: نصرة بأن حكم عليه بالقتل، وأمر المؤمنين أن ينصروه.

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالربح والحفظ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[1] خمس عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ﴾ أي أتموا العهد بالله فيما بينكم وبين الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ﴾ ناقض العهد ﴿كَانَ مَسْؤُولا﴾ [الإسراء:٣٤] عن نقضه العهد يوم القيامة.

﴿وَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ﴾ لغيركم ﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بميزان العدل ﴿ذَلِكَ﴾ يعني الوفاء بالكيل والوزن والعهد ﴿خَيْرٌ﴾ من النقض والبخس ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [الإسراء:٣٥] عاقبة.

﴿وَلاَ تَقْفُ﴾ لا تقل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فتقول: علمت ولم تعلم، ورأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع ﴿إِنَّ السَّمْعَ﴾ ما تسمعون ﴿وَالْبَصَرَ﴾ ما تبصرون ﴿وَالْفُؤَادَ﴾ ما تتمنون ﴿كُلُّ أُولـئِكَ﴾ كل ذلك ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾ [الإسراء:٣٦] يوم القيامة.

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ بالتكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ لم تجاوز بخيلائك الأرض ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا﴾ [الإسراء:٣٧] لن تحاذي الجبال.

﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ كل ما نهيتك عنه ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨] يعني هو سيء مكروه عند ربك مقدم ومؤخر.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي أمر ربك ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ أمرك ربك ﴿مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ في القرآن ﴿وَلاَ تَجْعَلْ﴾ ولا تقل ﴿مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ﴾ فتطرح في جهنم ﴿مَلُومًا﴾ تلوم نفسك ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩] مقصياً من كل خير، كل هذا أراد به قومك.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ اختاركم ﴿رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ بالذكور ﴿وَاتَّخَذَ﴾ لنفسه ﴿مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا﴾ بنات ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ على الله ﴿قَوْلاً عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠] في العقوبة، ويقال: في الفرية على الله.

---

(١) {وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} بالخصلة التي هي أحسن الخصال، وهي حفظه وتثميره {حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} يعني حتى يبلغ قوته على أمره، والطاقة للقيام بماله، وقيل: البلوغ الشرعي على حسب الخلاف. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٣/٢٥} وتفسير مقاتل بن سليمان، {١/٥٩٧}.



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَـذَا الْقُرْآنِ﴾ الوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ لكي يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ وعيد القرآن ﴿إِلاَّ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤١] تباعداً عن الإيمان.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا﴾ [الإسراء:٤٢] طلبوا عند ذي العرش قدراً ومنزلة العلوة وعظمته عندهم.

ويقال: إلى معاداته، كما قال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك ﴿وَتَعَالَى﴾ ارتفع ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشرك ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٣] على كل شيء، وأكبر كل شيء.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ﴾ السبع ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ من الخلق ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ وما من شيء من النبات ﴿إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾ بأمره ﴿وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ والتسبيح هو التنزيه، أي نزه خالقه، وتصحح ربوبيته للناظر فيها ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ إذ لا يعجل لهم بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤] متجاوزاً لمن تاب.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ﴾ بمكة ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ بالبعث بعد الموت، يعني أبا جهل وأصحابه ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥] محجوباً[1].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً، وهذا على سبيل منعهم عن بينة، وعلى سبيل ذمهم، ولما أعرضوا عن طاعته بعد التبيين، إما منعهم عن بينة

---

(١) اعلم أنه تعالى لما تكلم في المسائل الإلهية تكلم بعد ذلك فيما يتعلق بتقرير النبوة فقال سبحانه: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً}. قال الحسين بن القاسم: أي جعلنا بينكم وبينهم حجة تسترك من كيدهم حتى لا يقدروا على إدحاض حجتكم بجهدهم، ومثل هذا ذكر الإمام أحمد بن يحيى عليهما السلام ، ويجوز أن يكون حكاية لما كانوا يقولون قلوبنا في أكنة ومن بيننا وبينك حجاب، كأنه قال: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا} على رغمهم {بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُورًا} كما مر في سورة الكهف، وقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} أي إذا قرأت القرآن جعلنا على قلوبهم أغطية على زعمهم كراهة أن يفقهوه، أو لئلا يفقهوه على مذهب الكوفيين {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} أي ثقلاً لا تسمع. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٣٧/٣}.

وعن التعرض له، فلأنهم كانوا يطلبون مكانة، وأما تسميته إلى نفسه وإن كان ذلك منهم فلما كان لتركهم طاعته، وهذا كما يقال: يا صم يا عمي لمن لا يقبل الحق.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ لا إله إلا الله ﴿وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ رجعوا إلى أصنامهم وعكفوا على عبادة آلهتهم ﴿نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦] تباعداً عن قولك.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ إلى قراءة القرآن ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إلى قراءتك، يعني أبا جهل وأصحابه ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ في مكة ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن، ويقول بعضهم: هو مجنون، ويقول بعضهم: هو شاعر، إذ يقول:﴿الظَّالِمُونَ﴾ المشركون بعضهم لبعض ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ محمداً ما تتبعون ﴿إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء:٤٧] مغلوب العقل أي سحر وأزيل عن جد الاستواء، وقيل: مجذوعاً.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ﴾ شبهوك بالمسحور ﴿فَضَلُّواْ﴾ فأخطأوا في المقالة ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلا﴾ [الإسراء:٤٨] مخرجاً عن مقالتهم. ويقال: حجة على ما قالو.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني النضر وأصحابه ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ بالية ﴿وَرُفَاتًا﴾ تراباً رميماً ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ محيون ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٤٩] أتجدد بعد الموت فيها الروح.

﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ لو كنتم حجارة أشد من الحجارة ﴿أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء:٥٠] أقوى من الحديد.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني الموت لبعثتم وينفذ فيكم حكم الله من الموت والبعث.

قوله: ﴿مما يكبر﴾ أي أصلب من الحديد والحجارة.

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ من يحيينا ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في بطون أمهاتكم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ﴾ يهزون إليك ﴿رُؤُوسَهُمْ﴾ تعجباً لقولك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ متى هذا الذي تعدنا ﴿قُلْ عَسَى﴾ وعسى من الله واجب[1] ﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١].

---

(١) قال تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ} أي البعث {قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً} وعسى من الله واجبة، معناه أنه قريب، ثم قال تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ} أي هو للبعث، وهذا يذكر في معرض التهديد، والدعاء والاستجابة مجاز، ثم قال: {فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} أي حامدين له، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث، وهذا يذكر في معرض التهديد والدعاء، والاستجابة مجاز، ثم قال: {وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ} في الدنيا {إِلاَّ قَلِيلاً} لما ترون من الهول تحسبون مدتها يوماً أو بعض يوم. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٤١/٣}.

ثم بين لهم فقال: ﴿يَوْمَ﴾ في يوم ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إسرافيل في الصور ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ فتجيبون داعي الله بأمره ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ تحسبون ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ ما مكثتم في القبور ﴿إِلاَّ قَلِيلا﴾ [الإسراء:٥٢] هكذا عندهم في ظنهم.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾ عمار وأصحابه ﴿يَقُولُواْ﴾ للكافر ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالسلم واللطف ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يفسد بينهم إذا أجبتم بالجفاء ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣] ظاهر العداوة، وهذا قبل أن يؤمروا بالقتال[1].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ بصلاحكم ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فينجيكم من أهل مكة ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيسلطهم عليكم بالتخلية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾ [الإسراء:٥٤] كفيلاً بوحدتهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من المؤمنين وبصلاحهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالخلة والكلام ﴿وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥] وموسى التوراة، وعيسى الإنجيل، ومحمد الفرقان.

﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد لخزاعة الذين كانوا يعبدون الجن، ويظنون أنهم الملائكة، ويقولون أنهم جنس من الملائكة، ويسمونهم جنا ﴿ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ عبدتم ﴿مِّن دُونِهِ﴾ من دون الله عند الشدة ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ دفع الشدة عنكم ﴿وَلاَ تَحْوِيلا﴾ [الإسراء:٥٦] إلى غيركم.

---

(١) {وقل}يامحمد {لعبادي}المؤمنين{يقولوا التي هي أحسن}نزلت هذه الآية حين شكا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذا المشركين لهم فاستأذنوه في قتالهم فقيل له قل لهم يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن الكلمات واللين ولا تخاشنوهم {إن الشيطان ينزغ بينهم}أي يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمعاداة {إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً}يعني بين العداوة {ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أوإن يشأ يعذبكم}هذا تفسير للتي هي أحسن وما بينهما فاصل للتأكيد في التحذير من عدواة الشيطان والمعنى قل يامحمد لعبادي المؤمنين يقولوا للمشركين{ربكم أعلم بكم } أي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم أنكم من أهل النار وأنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم على الشر أي ربكم أعلم بحالكم وبما تستحقون إن يشأ يرحمكم يوفقكم إذا فعلتم سبب الرحمة وإن يشأ يعذبكم إذا بقيتم على سبب العذاب وهو الكفر {وما أرسلناك}يامحمد {عليهم وكيلاً}أي رباً موكلاً إليك أمرهم تقهرهم على الإسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمدارة والإحتمال وترك المخافة والمكاشفة وكان هذا قبل آية السيف. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {٣/٢١٩}.

﴿أُولَـئِكَ﴾ يعني الملائكة ﴿الَّذِينَ يَـدْعُونَ﴾ يعنـي تعبـدون ﴿يَبْتَغُـونَ إِلَى رَبِّهِـمُ الْوَسِـيلَةَ﴾ يطلبون بذلك القربة إلى ربهم الفضيلة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إلى الله ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ جنته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧]لم يأتهم الأمان إن عصوا وإن كانوا لا يعصون.

﴿وَإِن مَّن قَرْيَةٍ﴾ وما من قرية ﴿إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ نميت أهلها ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَـدِيدًا﴾ بالسيف والأمراض ﴿كَـانَ ذَلِـك﴾ العـذاب والهـلاك ﴿فِي الْكِتَـابِ مَسْـطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨] في اللوح المحفوظ مكتوباً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ بالعلامات التي طلبوها ﴿إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ لا يكـذب كذب بها الأولون فيهلكهم إن كذبوا كما أهلكنا الأولين عند التكذيب ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ أعطينا قوم صالح ناقة عشراء[1] ﴿مُبْصِرَةً﴾ مبينة علامة لنبوة صالح ﴿فَظَلَمُـواْ بِهَـا﴾ فجحـدوا بهـا وعقروها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ بالعلامات ﴿إِلاَّ تَخْوِيفًـا﴾ [الإسراء:٥٩] بالعذاب، أي لنهلكهم إذا لم يؤمنوا بها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ عالم بأهل مكة بمن يؤمن وبمن لا يؤمن،

ويقال: أراد به فتح مكة، وهذا مثل قوله: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ في المعراج مقدم ومؤخر ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُـرْآنِ﴾ يقول: وما ذكرنا شجرة الزقوم في القرآن ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ لأهل مكة مقـدم ومـؤخر ﴿وَنُخَـوِّفُهُمْ﴾ بشـجرة الزقوم ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ الوعيد ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٦٠] تجارياً في المعصية[2].

ويقال: أن الرؤيا هي التي وعد في منامه من دخول المسجد الحرام بأصـحابه آمنـين، فأخبر بذلك، فلما تأخر الفتح، قال المنافقون في ذلك، ففتح الله تعالى عليهم خيبر قبل مكة، ثم فتح مكة، وذلك قوله: ﴿يعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ [الفتح من الآية:٢٧].

يقال: كفاه الله أمر اليهود، والشجرة الملعونة في القرآن يقال: هم اليهود، الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام.

---

(١) ناقة عُشَراء مصى لحملها عَشَرةُ أشهر. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٥٦٨/٤}.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ،للطبري ، {٤٨٦/١٧}.

وعن سعيد بن المسيب[1]: هم بنو أمية، وفي بعض التفاسير أنه صلى الله عليه رأى في المنام بني أمية على المنابر فاغتم، فأوحى الله إليه إنما هي الدنيا تزول فسري عنه، وقد وافق هذا التفسير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم معاوية على منبري هذا فاقتلوه»[2] من القتل: ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ [البقرة من الآية:٥٩] فجعلوه فاقبلوه من القبول[3].

ويقال: هي شجرة الزقوم وأقواتها، وقالوا: كيف تنبت الشجرة في النار وهي تأكل الشجرة، وهي شجرة النار.

ويقال: في الرؤيا أنها عير أرادوا ليلة الإسراء قد كان رأى قوافلهم تلك الليلة نزلوا موضعاً فعرفهم ما كانوا فيه علامة لهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ﴾ الذين هم في الأرض ﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ سجدة التحية، ويقال: كانت السجدة لله، أي كانت لأجل آدم وبسببه ﴿فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ﴾ لم يسجد ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١] طيني.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ بقول ﴿هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ فضلت علي بالسجود ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ أجلتني ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأستزلن ولأستملكن ولأستولين ولأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلا﴾ [الإسراء:٦٢] المعصومين.

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ قال الله له اعلم، اذهب إني أنظرتك ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ في دينك ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء:٦٣] نصيباً وافراً.

---

(١) سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الامام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، {٢١٧/٤}.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت: ٣٦٩هـ) ، دار التراث – بيروت، ط٢- ١٣٨٧ هـ، باب كتاب المعتضد في شان بني امية {٥٨/١٠}.

(٣) وقال سعيد بن المسيب: أري النبيّ صلى الله عليه وآله سلم بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنّما هي دنيا يعطونها فقرَّت عينه فنزل: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ يعني: بني أمية. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣١٨/٢} والدر المنثورفي التفسير بالمأثور، للسيوطي، {٣٠٩/٥}.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استنزل ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ بدعوتك، ويقال: بصوتك المزامير والغناء وسائر المناكير ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ اجمع عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ يقول: خيل المشركين خيلك ورجالك المشركين رجالتك ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ﴾ الأموال الحرام ﴿وَالأَوْلادِ﴾ الأولاد الحرام.

ويقال: مشاركته لهم في الأموال إنفاقها فيما لا يحل، وفي الأولاد بإدخالهم الأولاد في دينهم ﴿وَعِدْهُمْ﴾ ألا جنة ولا نار ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤] باطلاً، ويقال: منهم، وهذا كله على سبيل التهديد والزجر والتخويف، وهو نهي شديد في كلام في العرب.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المعصومين منك ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ سبيل وحجة ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾ [الإسراء:٦٥] كفيلاً بما وعد، ويقال: حفيظاً[(١)].

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي﴾ يسير ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ لكي تطلبوا من رزقه، ويقال: من علمه.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء:٦٦] بتأخير العذاب، ويقال: بمن تاب منكم.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ﴾ الشدة والهول ﴿فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ تتركون من تعبدون من الأوثان ولا تسألون منهم النجاة ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ يقول: تسألون من الله النجاة ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الشكر والتوحيد ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر ﴿كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧] كافراً بنعمة الله.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ ألا يغور ﴿بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ كما خسف بقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ ولا يرسل عليكم ﴿حَاصِبًا﴾ حجارة كما أرسل على قوم لوط ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلا﴾ [الإسراء:٦٨] مانعاً.

---

(١) (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)[الحجر: ٤٢]، يقول سبحانه: إن عبادي المؤمنين، وأوليائي المتقين لا يجعلون لك عليهم سلطاناً، ولا يطيعونك فيما تأمرهم به من العصيان، بل يحترسون منك بطاعة الرحمن، وتلاوة القرآن، ويُخلّفونك صاغراً في كل شأن، فلا يجري ولا يجوز لك عليهم سلطان. وليس تخليته للشياطين إلا كإذنه للساحرين حين يقول: (وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللّهِ) [البقرة: ١٠٢]، فإذنه في ذلك تخليته وترك الصرف لهم جبراً عن معصيته، والإدخال لهم جبراً في طاعته. انظر: مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع)، {٣٩٣}.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ مرة أخرى يخرجكم إليه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ﴾ ريحاً شديداً ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ في البحر ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بالله وبنعمته ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ﴾ بما يغرقكم ﴿تَبِيعًا﴾[الإسراء:٦٩] ثائراً أو طالباً، المراد في هذا أنه عز وجل تسبب لهم في هذا البحر أسباباً لمعاشهم وحوائجهم، لا يصلحهم سواها، فيكون هو الذي أعادهم فيه على هذا المعنى، لا على معنى الجبر والقسر، وكذلك ركوبهم الأول شبيهاً بهذا.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالأيدي والأرجل والأبصار والأكل والشرب ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في البر على الدواب والشجر في البحر ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ جعلنا أرزاقهم ألين وأطيب من زرق الدواب ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ من البهائم ﴿تَفْضِيلا﴾ [الإسراء:٧٠] بالصورة، منتصباً بالأيدي والأرجل.

﴿يَوْمَ نَدْعُو﴾ وهو يوم القيامة ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ نبيهم، ويقال: بكتابهم. ويقال: بداعيهم إلى الهدى أو إلى الضلالة.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ أعطي كتابه ﴿بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ﴾ حسناتهم ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ [الإسراء:٧١] لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم قدر فتيل وهو الشيء الذي يكون في شق النواة.

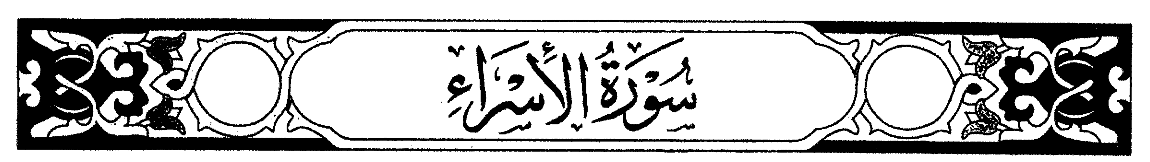
ويقال: الوسخ الذي فتلته بين إصبعيك(١).

﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى﴾ عن الشكر ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الإسراء:٧٢] عن الحجة.

﴿وَإِن كَادُواْ﴾ وقد كادوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليصرفونك وليستزلونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني عن كسر آلهتهم ﴿لِتفْتَرِيَ﴾ لتقول ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ غير الذي أمرتك من كسر آلهتهم ﴿وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلا﴾ [الإسراء:٧٣] صفياً بمبايعتك لهم، نزلت هذه الآية في ثقيف.

﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ عصمناك وحفظناك بما آتيناك من الأدلة والبينات والألطاف ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ﴾ لقريب من الركون ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾ [الإسراء: ٧٤] فيما طلبوك.

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٠٩/١}.



﴿إِذاً﴾ لو أعطيت ما طلبوا منك ﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ ضعف الحياة عذاب الدنيا ﴿وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ عذاب الآخرة ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٥] مانعاً.

﴿وَإِن كَادُواْ﴾ وقد كادوا يعني اليهود ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليستزلونك ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا﴾ إلى الشام، قالوا: له أرض الأنبياء الشام، فإذا كنت نبياً فآت أرضهم ﴿وَإِذًا﴾ لو أخرجوك من المدينة ﴿لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [الإسراء:٧٦] يسيراً حتى نهلكهم[١].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ يقول: سنتنا هكذا كان في يوم الرسل أهلكنا القوم إذا أخرجوا الرسل من بين أظهرهم ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾ لعذابنا ﴿تَحْوِيلا﴾ [الإسراء:٧٧] تغييراً.

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ﴾ أتم الصلاة يا محمد ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ بعد زوال الشمس صلاة الظهر والعصر ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ بعد دخول الليل صلاة المغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الغداة ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الغداة ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨] يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار[٢].

---

(١) وإن كادوا ليستفزونك " أي أن المشركين أرادوا أن يزعجوك من أرض مكة بالاخراج، وقيل: عن أرض المدينة، يعني اليهود، وقيل: يعني جميع الكفار أرادوا أن يخرجوك من أرض العرب، وقيل: معناه ليقتلونك " وإذا لا يلبثون أي لو أخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك " إلا " زمانا " قليلا " ومدة يسيرة، قيل: وهي المدة بين خروج النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة وقتلهم يوم بدر، والصحيح أن المعنيين في الآية مشركو مكة: وأنهم لم يخرجوا النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة، ولكنهم هموا بإخراجه، ثم خرج (صلى الله عليه وآله) لما امر بالهجرة، وندموا على خروجه، ولذلك ضمنوا الاموال في رده ولو أخرجوه لا ستؤصلوا بالعذاب. انظر: بحار الأنوار، للمجلسي، {٥١/١٨}.

(٢) قال يحيى بن الحسين: قال الله سبحانه: (أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) ، فكان قوله سبحانه (لدلوك الشمس) فرضا لصلوة الظهر ودلوكها فهو زوالها، وكان قوله سبحانه (إلى غسق الليل) دليلا على فرض المغرب، وغسق الليل دخوله، ودخوله فهو ظهوره، وظهوره فهو ظهور الكواكب كواكب الليل التى لا ترى إلا في الظلام، لا كواكب النهار الدرية التي قد ترى نهارا في كل الايام، ولذلك وفيه ما قال الله وذكر عن نبيه ابراهيم صلى الله عليه حين يقول: (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) فذكر أن علامة الليل وغشيانه ظهور كوكب من كواكبه وما لم يغسق الليل ويجن وتبين بعض الكواكب فلا تجوز الصلاة ولا الافطار وكان قوله (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) دليلا على فرض صلاة الصبح، ولا تجوز صلاة الصبح حتى يعترض الفجر ويتبين وينتشر نوره وضوءه في الافق فإذا انتشر وأنار واستطار وأضاء لذوي الابصار وجبت الصلوة على المصلين. انظر: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي، {٧٣/١}.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ بقراءة القرآن والتهجد بعد النوم ﴿نَافِلَةً﴾ فضيلة ﴿لَّكَ﴾ ويقال: خاصة بك ﴿عَسَى﴾ وعسى من الله واجب، لأنه إطماع ولا يطمع إلا وهو يفي به ويفعله ﴿أَن يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ مَقَامًا﴾ يعني مقام الشفاعة ﴿مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] يحمدك الأولون والآخرون.

﴿وَقُل رَّبِّ﴾ يا رب ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يقول: أدخلني في المدينة إدخال الصدق مع العز والشرف على رغم اليهود، وكان خارجاً من المدينة ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من المدينة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وإخراج صدق إخراجاً في العز والظفر على رغم أهل مكة، وأدخلني مكة[1]، ويقال[2]: أدخلني القبر مدخل صدق، إدخال صدق، وأخرجني من القبر يوم القيامة مخرج صدق، إخراج صدق.

﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء:٨٠] مانعاً بلا ذل ولا رد قولي.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ بمحمد [صلى الله عليه وآله وسلم] والقرآن، ويقال: ظهر الإسلام وكثر المسلمون ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ هلك الشيطان والشرك وأهله ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ﴾ الشيطان والشرك وأهله ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] هالكاً.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ نبين في القرآن ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ بيان من العمى.

ويقال: بيان من الكفر والشرك والنفاق.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين بما نزل من القرآن ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢] غبناً لإنكارهم له وردهم له.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ يعني الكافر أكثر ماله ومعيشته ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الدعاء والشكر ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ تباعد عن الإيمان ﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾ أصابه ﴿الشَّرُّ﴾ الشدة والفقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾ [الإسراء:٨٣] آيساً من رحمة الله، نزلت في عبيد بن ربيعة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿كُلٌّ﴾ كل واحد منكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ على نيته وأمره الذي هو عليه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٦٩/٢}.

(٢) القول لابن عباس. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣١٣/١٠}.

ويقال: على ناحيته وحاله، ويقال: على طريقته وعادته التي ألفها وتشاكله، وهذا توعد وتهديد مثل قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن..﴾ الآية.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾ [الإسراء:٨٤] أصوبَ ديناً.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ سأله أهل مكة أبو جهل وأصحابه ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(١) من عجائب ربي.

ويقال: من علم ربي، ويقال: من خلق ربي لأنهم يدعون قدمه، والروح تتصرف على أوجه، يقال لجبريل وعيسى وللقرآن لما فيه من الحياة من الجهل.

﴿وَمَا أُوتِيتُم﴾ أعطيتم ﴿مِّن الْعِلْمِ﴾ مما عند الله ﴿إِلاَّ قَلِيلا﴾ [الإسراء:٨٥] وقيل في الروح أنه لا يجاب فيه بغير ما أجاب الله تعالى، وقد تؤول أيضاً على أوجه:

أحدها: أن المنكرين للنبي صلى الله عليه وآله سألوه عن الروح الذي يحيا به الجسم، فأخبرهم الله تعالى بهذا القول أن الروح عرض والأعراض التي تكون في الجسم لا تدرك من حيث يدرك الجسم بالحواس، ولكن يعرف بالدلالات والمقاييس.

وجه آخر: أن كثير من الكفار كانوا يعتقدون قدم الروح فأخبرهم الله أنها محدثة، بقوله: ﴿قل الروح من أمر بي﴾ [الإسراء من الآية:٨٥]. إذ كان الأمر محدثاً عندهم كما قدمنا ذكره.

ووجه آخر: أن السؤال عن الروح إنما هو سؤال عن القرآن، والقرآن قد سماه الله روحاً كما قلناه بقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الإسراء من الآية:٨٠]. وقد أنكر جماعة من المشركين أن يكون القرآن من عنده بقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء من الآية :٨٥]. وهذا أحسن التأويلات، والذي يدل على صحة أن آخر الآية يقتضي الإيضاح بذكر القرآن، حيث قال: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء من الآية:٨٦].

---

(١) عن قتادة قال: لقي اليهود النبي صلى الله عليه وآله سلم ، فتعنتوه قالوا: إن كان نبياً سيعلم . فسألوه عن «الروح»، وعن «أصحاب الكهف»، وعن «ذي القرنين» فأنزل الله، عز وجل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الآية : ٨٥]. يعني: اليهود. وقص عليهم نبأ أصحاب الكهف وذي القرنين. انظر: تفسير مجاهد، لابي الحجاج، {٢١٣/١}.

وقال بعض أسلافنا: أن الأروح تفارق الأجساد وترجع إلى معادنها، وأن الله خلقها بضربة واحدة، ويفنيها بمرة واحدة.

وقيل: أنها أجسام لطائف مداخلة لهذه الأجسام الكثاف، تموت لموتها، والصواب الاقتصار على ما ذكره الله سبحانه.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ جبريل به ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلا﴾ [الإسراء:٨٦] كفيلاً، ويقال: مانعاً.

﴿إِلاَّ رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ حفظ القرآن في قلبك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ﴾ بالنبوة والإسلام ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٨٧] عظيماً.

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ بمثل هذا القرآن بالقافية، بالأمر والنهي والوعد والوعيد، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وخبر ما كان ويكون ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] معيناً، وإعجاز القرآن يقال: نظمه، ويقال: علم ما فيه(١).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ بيناً لأهل مكة ﴿فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل وجه من الوعد والوعيد ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ [الإسراء:٨٩] لم يقبلوا وثبتوا على الكفر.

﴿وَقَالُواْ﴾ يعني عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نصدقك ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا﴾ تشقق لنا ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ من أرض مكة ﴿يَنبُوعًا﴾ [الإسراء:٩٠] عيوناً وأنهاراً.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ كروم ﴿فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء:٩١] تشقيقاً.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعاً بالعذاب ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ مقدم ومؤخر ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلا﴾ [الإسراء:٩٢] شهيداً على ما تقول.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ من ذهب وفضة ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء﴾ أو تصعد إلى السماء فتأتينا بالملائكة يشهدون أنك رسول الله إلينا ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لصعودك إلى السماء ﴿حَتَّى

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٩٩/١}.

﴿تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ فيه أنك رسول من الله إلينا ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ نزه ربي نفسه عن الشريك والولد ﴿هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء:٩٣] يقول: ما أنا إلا بشر رسول كسائر الرسل، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام أن يجيبهم بذلك ويعرفهم أنه غير قادر على ما يسألونه ويتخبرونه، والقادر هو الله عز وجل، ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة واللطف، وانه يؤمر عندها لقوله.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء:٩٥] في المعجزات يقصير فيتممها الله، وإنما امتنعوا ويمتنعون من الإيمان ان نبيهم من البشر ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أهل مكة ﴿أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى﴾ محمد بالقرآن ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾ قولهم ﴿أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ إلينا[1].

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ مقيمين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء:٩٥] لأنا نرسل إلى الملائكة الرسول ملكاً وإلى البشر بشراً.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسول الله إليكم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ بإرسال الرسول إلى عباده ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٩٦] بمن يؤمن وبمن لا يؤمن.

﴿ومَن يَهْدِ اللّهُ﴾ لدينه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ لأهل مكة ﴿أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ﴾ دون الله يوفقهم للهدى، لأن الحكم والتسمية بالهدى والضلال إلى الله عز وجل ﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ نسحبهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ إلى النار ﴿عُمْيًا﴾ لا يبصرون شيئاً ﴿وَبُكْمًا﴾ خرساً لا يتكلمون بشيء ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون شيئاً ﴿مَّأْوَاهُمْ﴾ مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكنت النار وسكن لهيبها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧] وقوداً.

---

(١) {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً} قال الإمام أحمد بن يحيى عليهما السلام: يعني أهل مكة ما منعهم أن يؤمنوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءهم بالبينات والحق من الله عز وجل، إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا، أي لانكارهم أن يكون الرسول بشراً، أي هلا كان ملكاً. فذكر الله تعالى في هذه الآية عن هذه الشبهة قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ} على أقدامهم {مُطْمَئِنِّينَ} أي قارين في الأرض كالإنس ولا يطيرون بأجنحة إلى السماء فيعلموا ما يجب علمه {لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً} يهديهم إلى الرشد؛ لأن من حق رسول الأمة أن يكون من جنسهم؛ لأنهم به أنس خلاف ما زعموه من الملك؛ لأن أهل الأرض لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من جنسهم؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٧٩/٣}.

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآؤُهُم﴾ مصيرهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَئِذَا كُنَّا﴾ صرنا ﴿عِظَامًا﴾ بالية ﴿وَرُفَاتًا﴾ تراباً رميماً ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لمحيون ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٩٨] تجدد فينا الروح، هذا ما لا يكون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعني أهل مكة ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ﴾ يحيي ﴿مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾ وقتاً ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه عند المؤمنين ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ المشركون ﴿إَلاَّ كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩] لم يقبلوا وأقاموا على الكفر.

﴿قُل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ مفاتيح رزق ربي ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ عن النفقة ﴿خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ مخافة الفقر ﴿وَكَانَ الإنسَانُ﴾ الكافر ﴿قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠] ممسكاً، بخيلاً، مقتراً.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ مبينات: اليد، والعصا، والطوفان، والقمل والضفادع، والدم، والسنين، وطمس الأموال.

ويقال: منها الكلام الذي سمع من السحرة.

ومنها: الكلام الذي سمعه من النار.

ومنها: طور سيناء. وعن بعضهم الحجر والبحر [و]بدل السنين ونقص الثمرات.

وعن بعضهم: حل العقدة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أن اليهود سألوه عن ذلك، فقال: هو ألا تشركوا ولا تقتلوا النفس، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، وتأكلوا مال اليتيم، ولا الزنا، ولا تفروا من الزحف، ولا تمشوا بنميمة إلى سلطان، ولا تعدوا في السبت لليهود خاصة)[1] والصحيح ما تقدم من ذكرها لما فيها من الإعجاز.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ) ،اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، باب استحباب المصافحة ، {٣٦٤/٦}.

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عبد الله بن سلام أصحابه، الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله، والمراد به غيره[1].

ويقال: ﴿سل بني إسرائيل﴾ يعني به كتابهم المنزل من ربهم، فجعل ما في كتابهم كسؤالهم وإقرارهم.

﴿إِذْ جَاءهُمْ﴾ موسى ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]مغلوب العقل.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء﴾ الآيات ﴿إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ بياناً وعلامة لنبوتي ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ﴾ أعلم وأستيقن ﴿يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:١٠٢] ملعوناً كافراً.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ أن يستزلهم ﴿مِّنَ الأَرْضِ﴾ أرض الأردن وفلسطين ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ﴾ في البحر ﴿وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء:١٠٣].

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد هلاكهم ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ﴾ أرض الأردن وفلسطين ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ للبعث بعد الموت. ويقال: نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء:١٠٤] جميعاً.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ بالقرآن أنزلنا جبريل على محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ جبريل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء:١٠٥]من النار.

﴿وَقُرْآناً﴾ يعني أنزلنا جبريل ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بيناه بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ على مهل وهينة ورسل ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء:١٠٦]بيناه تبياناً، ويقال[2]: نزل جبريل بالقرآن تنزيلاً مفرقاً، بآية وآيتين وثلاث، وكذلك: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿آمِنُواْ بِهِ﴾

---

(١) فاسأل يا محمد بني إسرائيل يعني بني قريضة والنظير وبنو قريظة والنظير كانوا قريباً منه، مثل عبد الله بن سلام ومن كان معه من قومه، إذ جاءهم موسى، انتهى. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٨٦/٣}.

(٢) عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ : " وَقُرْآنًا فَرَّقْنَاهُ قال : أنزل مُفرقاً " لَمْ يَنْزِلْ جَمِيعًا ، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً و قال ابن زيد، في قوله: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ) قال: فرّقه: لم ينزله جميعه. وقرأ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) ... حتى بلغ (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) يَنْقُض عليهم ما يأتون به. انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، {٥٥٧/١٧}.

بالقرآن ﴿أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ﴾ وهذا وعيد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ أعطوا العلم بالتوراة وصفة محمد صلى الله عليه وآله ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ﴿إِذَا يُتْلَى﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ على الوجوه ﴿سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧] يعني يسجدوا لله.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ نزه الله عن الولد والشريك ﴿إِن كَانَ﴾ قد كان ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ في بعض محمد ﴿لَمَفْعُولا﴾ [الإسراء:١٠٨] كائناً صادقاً.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ للسجود ﴿يَبْكُونَ﴾ يعني يبكون في السجود ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٩] تواضعاً، نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ الصفات العلا، مثل العالم والقادر، والسميع، والبصير فادعوه به ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾ يقول: لا تجهر بصلاتك بقراءة القرآن في صلاتك كي لا يأذونك المشركين ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ لا تسر بقراءة القرآن، فلا يسمع أصحابك ﴿وَابْتَغِ﴾ واطلب ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي بين الرفع والخفض ﴿سَبِيلا﴾ [الإسراء:١١٠] طريقاً وسطاً، ويقال: لا تجهر في صلاة الظهر والعصر، ولا تخافت بها في صلاة الفجر ولا في الأولبين من العشائين، ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ أي فصلاً يفصل بينهن وهو الصحيح[1].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله والإلهية لله ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ من الملائكة والآدميين يرثه ﴿وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ فيعاديه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ معين ﴿مِّنَ الذُّلِّ﴾ من أهل الذل، يعني اليهود والنصارى، وهم أذل الناس. ويقال: لم يذل حتى يحتاج إلى ولي من الذل من اليهود والنصارى.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١] عظمه تعظيماً عن مقالة اليهود والنصارى والمشركين.

وهي كلها مكية، غير آيات فيها خبر ثقيف وخبر ما قالت له اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء، فنزل: ﴿وإن كانوا ليستفزونك من الأرض﴾ [الإسراء من الآية:٧٦]. وقوله: ﴿أدخلني مدخل صدق..﴾ [الإسراء من الآية :٨٠]. إلى آخر الآية، فهؤلاء الآيات مدنيات[2].

---

(١) المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {١/١٦٥}.

(٢) (سورة بني إسرائيل، مكية كلها، إلا هذه الآيات، فإنهن مدنيات) وهي قوله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق) [آية: ٨٠] وقوله تعالى: (إن الذين أوتوا العلم من قبله (إلى قوله: (خشوعا) [آية: ١٠٧ - ١٠٩] وقوله تعالى: (إن ربكَ أحاط بالناس.) [آية: ٦٠] الآية وقوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك...) [آية: ٧٣] الآية وقوله تعالى: (ولولا أن ثبتناك..) [آية: ٧٤، ٧٥] الآيتين وقوله تعالى: (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض..) [آية: ٧٦] الآية. تسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢٤٦}.

سُورَةُ الكَهفِ

ومن السورة التي يذكر فيها الكهف[1].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: الشكر لله والإلهية لله ﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وآله ﴿الْكِتَابَ﴾ جبريل بالقرآن ﴿قَيِّمًا﴾ على الكتاب، ويقال: مستقيماً مقدم ومؤخر ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١] لم ينزله مخالف التوراة والإنجيل وسائر الكتب بالتوحيد، وصفة ونعت محمد صلى الله عليه وآله.

نزلت في شأن اليهود حين قالوا: القرآن مخالف الكتب.[2]

﴿لِّيُنذِرَ﴾ محمد بالقرآن ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ عذاباً شديداً ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ محمد بالقرآن ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:٢]ثواباً كريماً في الجنة.

﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ﴾ مقيمين في الثواب لا يموتون ولا يخرجون ﴿أَبَدًا﴾[الكهف:٣]. ﴿وَيُنذِرَ﴾ محمد بالقرآن ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف:٤] يعني اليهود والنصارى وبعض المشركين. ﴿مَّا لَهُم بِهِ﴾ بمقالتهم ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [ولا][3]من حجة ولا بيان ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ كان علم ذلك ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ عظمت كلمة الشرك ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ تظهر على أفواههم ﴿إِن يَقُولُونَ﴾ ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف:٥] على الله.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتل نفسك﴿أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]حزناً مقدم ومؤخر ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ لأجلهم ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ فإن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

---

(١) وهي مكية في قول جميع المفسرين. روى عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله: " جُرُزاً". انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٤٦/١٠}.

(٢) ذلك أن اليهود قالوا : يزعم محمد أنه لا ينزل عليه الكتاب مختلفاً، فإن كان صادقاً بأنه من الله عز وجل، فلما يأت به مختلفاً، فإن التوراة نزلت كل فصل على ناحية، فأنزل الله في قولهم: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)، يعنى القرآن،(ولم يجعل له عوجا)، يعنى مختلفاً. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٧٨/٢}.

(٣) نسخة (ب).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من النبات والشجر والدواب والنعيم ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ زهرة للأرض ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ويقال: ﴿أنا جعلنا ما على الأرض﴾ من النبات والشجر والدواب والنعيم ﴿زينة لها﴾ زهرة للأرض ﴿لنبلوهم﴾ لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ [الكهف:٧] أزهد في هذه الزهرة وأترك لها.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ﴾ مغيرون ﴿مَاعَلَيْهَا﴾ من الزهرة ﴿صَعِيدًا﴾ تراباً ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف:٨] أملس.

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أظننت يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ والكهف هو الجبل الذي فيه الغار، والرقيم هو: اللوح من رصاص فيه أسماء الفتية وقصتهم(١).

ويقال: الرقيم هو الوادي الذي فيه الكهف(٢).

ويقال(٣): الرقيم هو المدينة، ويقال: كان في اللوح نبأهم وذكرهم واسم الجبل الذي هو الكهف يعرف بأنجلوس، وأسماء الفتية: لمليخا، ومكسلمينا، ومرطولس، ونواس، وسابيوس، وكسفوط ، ويموط، وبطيوس، وسوسو، واسم الملك الذي فروا منه دقيانوس، ويقال: دقيوس، واسم المدينة اقسيوس، واسم الكلب قطمير، ولونه كان أبلق بسواد، وقد روي أسماء الفتية من وجه آخر: مسكليمينا، وتخلمينيا، وتمليخا، ومرطولس، وكسوطولس، وبيورس، وبكرونس، وبطبنيونس وقالوس(٤).

﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩]شيئاً عجباً الشمس والقمر والسماء والأرض والنجوم والجبال والبحار أعجب من ذلك.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ دخل غلمة في غار الكهف ﴿فَقَالُوا﴾ حين دخلوا ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي ثبتنا على دينك ﴿وَهَيِّئْ﴾ هون ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠] مخرجاً.

---

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، {٣٢٥/٢}.

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، {٣٢٥/٢}.

(٣) عَن ابْن عَبَّاس، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالرَّقِيم}، قَالَ : يَزْعُمُ كَعْبٌ أَنَّهَا القَرْيَةُ. انظر: بحر العلوم للسمرقندي، {٣٤/٣}.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠٤/٢}.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ ألقينا عليهم النوم وأنمناهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[الكهف:١١] ثلثمائة وتسع سنين[1]، وقوله: ﴿سنين﴾ أي إنها سنين، وليست بأشهر، وقوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يقال: أراد به ما بين السنين الشمسية والقمرية.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم كما ناموا ﴿لِنَعْلَمَ﴾ لكي نرى ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ أي الفريقين المؤمنين والكافرين ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا﴾ أحفظ بما مكثوا في الكهف ﴿أمداً﴾ [الكهف:١٢] أجلاً.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نبين لك ﴿نَبَأَهُم﴾ خبرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ غلمة ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣] بصيرة في أمر دينهم.

ويقال: ثبتناهم على الإيمان[2].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حفظنا قلوبهم على الإيمان، ويقال: ألهمناهم الصبر ﴿إِذْ قَامُوا﴾ وخرجوا من عند الملك دقيانوس الكافر ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ﴾ لن نعبد من دون الله ﴿إِلَٰهًا﴾ رباً ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤] كذباً وزوراً على الله.

﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ عبدوا من دون الله ﴿آلِهَةً﴾ من الأوثان ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ هلا يأتون ﴿عَلَيْهِم﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة بينة أن الله أمرهم بذلك ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فليس أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ﴾ اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف:١٥] بأن له شريكاً.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ تركتموهم وتركتم دينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ من دون الله من الأوثان، فلا يعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ فادخلوا هذا الغار ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ يهب لكم ربكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ من نعمته ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٤] ما يرفق بكم غداً، ويقال: ما يبيح لكم وما يصلح لكم صلاحاً وسداداً، وهذا كله قول الفتية، ويقال: كان أحدهم نبياً.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ﴾ تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ يمين الغار ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ شمال الغار ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ في ناحية من الكهف، ويقال: في قصا منه من الضوء ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت لكم من قصتهم ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ من عجائب الله ﴿مَن يَهْدِ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢٨١}.

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) باب ١٣ {١/٤٦٧}.

اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ لدينه ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]موفقاً يوفقه للهدى، وهذا على معنى الحكم والتسمية وغير ذلك كما تقدم ذكره.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيْقَاظًا﴾ غير نيام ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ في كل عام مرة لكيلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم﴾ قطمير، وهو أبلق أسود في بياض ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الباب ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لو هجمت عليهم في تلك الحال ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾ لأدبرت عنهم ﴿فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ لأخذت ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] خوفاً.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم بعدما ناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ليتحادثوا فيما بينهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ سيدهم وكبيرهم، وهو مكسلمينا ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ مكثتم في هذا الغار بعد النوم ﴿قَالُوا لَبِثْنَا﴾ مكثنا ﴿يَوْمًا﴾ فلما خرجوا ونظروا إلى الشمس وقد بقي منها شيء قالوا:﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا﴾ يعني مكسلمينا ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ مكثتم بعد النوم ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم﴾ تمليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ﴾ بدراهمكم هذه ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ مدينة اقسوس ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أكثر طعاماً[1].

ويقال: أطيب خبزاً وأحل ذبيحة ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ بطعام ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ ليترفق في الشراء ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ ولا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩] من المجوس.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا﴾ [يطلعوا[2]] ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [المجوس[3]] ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يرجعونكم في دنيهم المجوسية ﴿وَلَن تُفْلِحُوا﴾ لن تنجوا من عذاب الله﴿إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠] إذا رجعتم إلى دينهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أهل مدينة اقسوس ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ المؤمنون والكافرون، وكان [ملكهم[4]]يومئذ مسلماً يسمى يستفاد ومات ملكهم اليهودي دقيانوس، قبل ليعلموا، يعني المؤمنين والكافرين ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ البعث بعد الموت ﴿حَقٌّ﴾ كائن ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٢٨٤}.

(٢) نسخة (ب).

(٣) نسخة (ب).

(٤) نسخة (ب).

﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك فيها ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَم بِهِمْ﴾ مقدم ومؤخر ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ إذ يختلفون في قولهم فيما بينهم ﴿فَقَالُوا﴾ يعني الكافرين ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ كنيسة لأنهم على ديننا ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ على قولهم وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] لأنهم على ديننا، فكان اختلافهم في هذا.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ يعني نصارى أهل نجران السيد وأصحابه، وهم النسطورية ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ هم ثلاثة ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قطمير ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني العاقب وأصحابه، وهم المار يعقوبية ﴿خَمْسَةٌ﴾ هم خمسة ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ظناً بالغيب بغير علم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني أصحاب الملك وهم الملكانية[1] ﴿سَبْعَةٌ﴾ هم سبعة ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قطمير ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ بعددهم ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من المؤمنين.

قال ابن عباس[2]: أنا من ذلك، هم ثمانية سوى الكلب ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ فلا تجادلهم في عددهم ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ إلا أن تقرأ عليهم القرآن ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢] يعني لا تسأل منهم أحداً عن عددهم، يكفيك ما بين الله لك.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ يا محمد ﴿لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف:٢٣] أو قائل. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن تقول: إن شاء الله ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ بالاستثناء ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ولو بعد حين ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ يدلني ربي ويرشدني ربي ﴿لِأَقْرَبَ﴾ لأصوب ﴿مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٤] صواباً وبياناً.

نزلت هذه الآية في شأن النبي صلى الله عليه وآله إذ قال لمشركي مكة: «غداً أقول لكم» ولم يقل إن شاء الله فيما سألوه عن خبر الروح.

قال: والاستثناء في الحلف بالله جائز ما لم يقم من مقامه، أو يأخذ في حديث غيره ما لم ينقطع كلامه فيما حلف فيه.

---

(١) تحزبوا في عيسى- صلى الله عليه- ثلاث فرق النسطورية قالوا: عيسى ابن الله- وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً والمار يعقوبية قالوا: عيسى هو الله- سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ والملكانيون قالوا: إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٦٢٨/٢}.

(٢) وروي عن ابن عباس أنه قال: هم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذو نوانس وكشف يططنونس وهو الراعي والكلب قطمير. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦٢/٥}.

وأما الاستثناء في الطلاق إن كانا متوافقين في الدين في العشرة فجاز الاستثناء؛ لان الله يحب ويشاء اجتماعهما وإنا كانا مخالفين في أمرهما غير منصفين، فقد وقع الفراق لأنه تعالى يقول: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾(1).

فأما العتق فإن كان العبد فاسقاً لم يعتق، وإن كان مؤمناً عتق؛ لأن الله تعالى لا يثيب على عتق الفاسق ولا يشاؤه، لأنه يكون أجرأ على المعاصي إذا ملك نفسه، فأما المؤمن التقي فإنه يتفرغ لعبادة الله تعالى إذا انحل من حبائل الرق نفسه، والله يشاء عتقه ويثيب عليه معتقه.

﴿وَلَبِثُوا﴾ مكثوا ﴿فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف:٢٥] وذلك قبل أن أيقظهم الله(2).

ويقال: الزيادة ما بين سنين الشمسية والقمرية. وقوله: ﴿سنين﴾ أي سنين لا أشهر(3).

﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ مكثوا بعد ذلك بعد ثلاثمائة ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب عن العباد ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ ما أبصره وأعلمه بهم وبشأنهم ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظهم، ويقال: ما لهم لأهل مكة من [فدية(4)] دونه من عذاب الله من ولي قريب ينفعهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ في حكم الغيب ﴿أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦].

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ يقول: اقرأ عليهم القرآن ولا تزد فيه ولا تنقص منه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغير لكلماته ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ﴾ من دون الله﴿مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧] ملجأ.

---

(١) البقرة ٩٩.

(٢) قال تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً}فأخبر عز وجل عما لبثوا في الكهف من السنين، وهذا بيان لما جمل في قوله: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ}الآية، ثم قال عز وجل: {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} أي قل: الله أعلم بصح مقامهم ولبثهم مما يتكلم بجهله في أمرهم، قال الله سبحانه العالم بما لبثوا لا يعلم ذلك غيره ولا يحيط به سواه، فالحق ما أخبرك به فارجعوا إلى الله دون ما يقوله أهل الكتاب. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٢/٤١٤}.

(٣) {وَلَبِثُوا فِي كَهْفهمْ ثَلَاث مِائَة} بِالتَّنْوِينِ {سِنِينَ} عَطْف بَيَان لِثَلَاثِمِائَةٍ وَهَذِهِ السِّنُونَ الثَّلَاثمِائَةِ عِنْد أَهْل الْكَهْف شَمْسِيَّة وَتَزِيد الْقَمَرِيَّة عَلَيْهَا عِنْد الْعَرَب تِسْع سِنِينَ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي قَوْله {وَازْدَادُوا تِسْعًا} أَيْ تِسْع سِنِينَ فَالثَّلَاثمِائَةِ الشَّمْسِيَّة ثَلَاثمِائَةٍ وَتِسْع قَمَرِيَّة. انظر: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة، ط١ ،الباب ٢٥ ، {٣٨٤}.

(٤) نسخة (ب).

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ يعني احبس نفسك ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ غدوة وعشية، ويعني سلمان وأصحابه ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون بذلك وجه الله ورضاه ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ ولا تجاوز ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تريد لزينة الدنيا.

وعن خباب بن الأرت قال: إنما نزل قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[(١)] لما جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري، فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله قاعداً مع بلال وعمار وصهيب، وخباب بن الأرت في أناس من الضعفاء من المؤمنين رحمة الله عليهم، فلما رأوهم وهم حوله حقروهم، فأتوه فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب، فصلنا فإن وفد العرب يأتيك ويشتهي ألا ترانا قعوداً مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن [قد[(٢)]]فرغنا فاقعد معهم إن شئت[(٣)].

قال: نعم، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة ليكتب لهم، ودعا بعلي عليه السلام ليكتب، فلما أراد ذلك حرصاً على دخول القوم في الإسلام وظهوره، ونحن قعود ناحية، إذ نزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ[(٤)] وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] [(٥)].

ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِين ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام من الآية:٥٤] فرمى النبي صلى الله عليه وآله بالصحيفة ودعانا فأتيناه، وهو

---

(١) الأنعام من الآية: ٥٢.

(٢) سقط في (أ).

(٣) انظر: التهذيب في التفسير ، للحاكم الجشمي، {٤٣٩٨/٦}.

(٤) الأنعام من الآية: ٥٢.

(٥) نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله سلم وهو في بعض أبياته {واصبر نَفسَكَ مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغداة والعشى} فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكرون الله منهم ثائر الرأس وحاف الجلد وذو الثوب الخلق، فلما رآهم جلس معهم وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم. دلائل النبوة: الإمام البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) تحقيق: وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور / عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، باب والمساكين اهل الصفة {١٥١/١}.

يقول: «سلام عليكم» فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عينهم﴾ يقول: جالسهم(١).

﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٢) من أغفل قلبه، وهو الأقرع وعيينة، وأما ﴿فرطـاً﴾ فهلاكاً، ثم ضرب لهم مثلاً رجلين ومثل الحياة الدنيا قال: فكنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وآله، فإذا بلغت الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم، وإلا صبر أبداً حتى نقوم.

﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ عن توحيدنا، إن كان بالنصب، وإن كان بالجزم فهو من وجدناه غافلاً أو حكمنا عليه لغفلة، وهو كما قال عمرو بن معدي كرب(٣) لبني سليم: قاتلناهم فما أجبناهم، وسألناهم فما أبخلناهم، وناولناهم فما ألخمناهم، أي ما وجدناهم كذلك ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في عبادة الأصنام ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ﴾ وقوله﴿فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] ضائعاً، وندماً وسرفاً، وأصله من العجلة والسبق. ويقال: متروكاً(٤).

نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن الفزاري(٥).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لا إله إلا الله لعيينة ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ وهذا وعيد من الله.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ لعيينة وأصحابه ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ النار تحيط بهم ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا﴾ الغصة بالماء ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كدر ردي الزيت. ويقال(٦): كالفضة المذابة.

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٤٦/٣}.

(٢)الكهف: ٥.

(٣) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي اليمني، وفد على المدينة سنة٩ هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الاسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصي النفس، أبيها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، {٣٧٠/٤٦}.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، {٣٩٢/١٠}.

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١٦٦/٥}.

(٦) القول لمجاهد ذكره في. انظر: زاد المفسر زاد المسير في علم التفسير، للجوزي، {٢١٩/٤}.

﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ ينضج الوجوه ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ المهل ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩] منزلاً، يقول: بئس الدار دار رفقائهم وهم الشياطين والكفار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيما بنيهم وبين ربهم ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ لا نبطل ﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠] المحسنين عملاً ثواب من أخلص عملاً.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ مقصورة الجنة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ من تحت شجرهم ومساكنهم ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ يلبسون ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ أَقْلُبَةً من ذهب، والحلي للنساء من أهل الجنة لا للرجال، ولكن التغليب للرجال إذا ذكروا معاً ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس ما لطف من الديباج، والاستبرق ما ثخن من الديباج ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ جالسين فيها في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ في الحجال(١) ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٣١] منزلاً، يقول: حسنت الدار دار رفقاؤهم، الملائكة والأنبياء والصالحون.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ بين لأهل مكة صفة: ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ أخوين في بني إسرائيل، أحدهما: مؤمن وهو يهوذا، والآخر: كافر، وهو أبا فرطوس، ويقال: أحدهما: فطروس وهو كافر، والآخر مشكيخا وهو مؤمن ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ للكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بساتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾ من الكرم(٢) ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا﴾ أحطناهم ﴿بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ بين البساتين ﴿زَرْعًا﴾ [الكهف:٣٢] مزرعاً.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ البساتين ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾ أخرجت ثمرها كل عام ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ ولم تنقص ﴿مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ شققنا ﴿خِلَالَهُمَا﴾ وسطهما ﴿نَهَرًا﴾ [الكهف:٣٣]. ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ يعني ثمر البساتين إن قرئت بنصب الثاء، وإن قرئت بالضم يعني به المال ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن يهوذا ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يفاخره بالمال ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤] أكثر خدماً. ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بستانه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ﴾ أن تهلك هذه

(١) حِجَل فيمن رواه بالكسر إتباعاً لعِجَل والحَجَلة مثل القُبَّة وحَجَلة العروس معروفة وهي بيت يُزَيَّن بالثياب والأسِرَّة والستور. انظر: لسان العرب،لابن منظور، {١١/١٤٣}.

(٢) نسخة (ب) الكروم. وجاء في لسان العرب الكَرْمُ شجرة العنب واحدتها كَرْمة قال إذا مُتُّ فادْفِنِّي إلى جَنْبِ كَرْمةٍ تُرَوِّي عِظامي بَعْدَ مَوْتي عُرُوقُها. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {١٢/٥١٠}.

﴿أَبَدًا﴾[الكهف:٣٥]. ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ كائنة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾ رجعت ﴿إِلَى رَبِّي﴾ كما يقول ﴿لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ من هذه الجنة ﴿مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦] مرجعاً.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يراجعه عن كفره ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ من آدم وآدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ من نطفة أبيك ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف:٣٧] معتدل القامة.

﴿لَّكِنَّا﴾ ولكن أنا أقول ﴿هُوَ اللهُ رَبِّي﴾ خالقي ورازقي ﴿وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٨] من الأوثان.

﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ بستانك ﴿قُلْتَ مَا شَاء اللهُ﴾ هذا من الله ليس مني ﴿لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ هذا بقوة الله لا بقوتي ﴿إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف:٣٩] خدماً في الدنيا.

﴿فَعَسَى رَبِّي﴾ عسى من الله واجب ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ يعطيني ربي في الآخرة ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ من بستانك في الدنيا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك ﴿حُسْبَانًا﴾ ناراً ﴿مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:٤٠] فتصير تراباً أملس ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائراً لا يناله الدلو ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف:٤١] حيلة.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أهلك ثمره إن قرئت بالنصب. ويقال: أهلك ماله إن قرئت بالضم ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يضرب يديه بعضهما على بعض ندامة ﴿عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ في البستان[1].

ويقال: على ما كان فيها من غلتها.

---

(١) {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا} وهو كناية على الندم والحسرة؛ لأن النادم يقلب كفيه وهو شيء معروف يفعله النادم، فإن من عظمت حسرته تصفق إحدى اليدين على الأخرى، وإنما فعل هذا ندمه على ما أنفق في الجنة التي له {وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} أي ساقطة يابسة على أعمالها الذي شرع به الأعناب، تكون تحتها تغرس عليها فهذه العروش سقطت على الأرض، ثم سقطت الجذرات عليها، وحاصل الكلام أن هذه اللفظة كناية عن بطلانها وهلاكها، ثم قال تعالى: {وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً} تمنى هذا لأن لا يهلك بستان، ويجوز أن تكون توبة كأنه تذكر موعظة أخيه. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، {٢/٤٢٧}.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ على سقوفها ﴿وَيَقُولُ﴾ يوم القيامة ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢]من الأوثان. ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ﴾ منعة ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾ من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف:٤٣]ممتنعاً بنفسه من عذاب الله.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ أي يوم القيامة الملك والسلطان لله ﴿الْحَقِّ﴾ العدل ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ خير من أثاب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف:٤٤]يعني خير من أعقب، ويقال: عاقبة(١).

﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ بين لهم أي لأهل مكة ﴿مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في بقائها وفنائها ﴿كَمَاءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ فاختلط الماء بنبات الأرض ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ فصار يابساً ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ لم يبق منه شيء، كذلك الدنيا تذهب ولا يبقى منها شيء كما لا يبقى من الهشيم.

﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من فناء الدنيا، ويقال: على بقاء الآخرة ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]قادراً.

ثم ذكر ما فيها من الزهرة فقال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زهرة الدنيا لا تبقى كما لا يبقى الهشيم ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الصلوات الخمس والأعمال الصالحات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ ويقال:(٢) [الباقيات(٣)] ما يبقى ثوابه، والصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

---

(١) هذه الآيات محكمات جعلهن الله عز وجل تنبيهاً ومثلاً ضربه الله فرقاً بين الطالح والصالح، ثم قال تعالى: {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ} أي جماعة من الذين افتخر بهم {يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} يمنعونه من عقابه، ثم قال: {وَمَا كَانَ مُنتَصِراً} أي ممتنعاً عن انتقام بأن يسترد بدل ما ذهب منه، ثم قال عليه السلام: وهذه الآيات أيضاً مثل للآخرة وما جعل الله فيها لمن أطاعه من الجنات والنعيم، والثواب الكريم، انتهى.

والدليل على ذلك قوله سبحانه: {هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلَّهِ الحَقِّ} أي النصرة لله وحده، لا يملكها غيره، وهو تكرير لقوله: {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ} أو هنالك السلطان والملك لله، والولاية بالفتح، النصرة، والتولي بالكسر، السلطان والملك، أو في مثل تلك الحال الشديدة، يتولى ويؤمن به كل مضطر. انظر: المصابيح الساطعة الأنوار، للشرفي، مخطوط، {٤٢٨/٢}.

(٢) عن مقاتل بن سليمان، عن علقمة بن مرثد وغيره، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ' الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر. {٢٩١/٢}.

(٣) نسخة (ب).

الله، والله أكبر خير عند ربك ﴿ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف:٤٦] يعني خير ما يرجو العباد من أعمالهم الصلاة بعد معرفة الأصول[١].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ عن وجه الأرض ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ خارجة من تحت الجبال، ويقال: ظاهرة ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ للبعث ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ فلم نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧].

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾ صفوا على ربك ﴿صَفًّا﴾ جميعاً، فيقول الله لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بلا مال ولا ولد ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ قلتم في الدنيا: ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٤٨] أجل البعث.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ في الأيمان والشمائل ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني المشركين والمنافقين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ في الكتاب ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ من أعمالنا ﴿وَلاَ كَبِيرَةً﴾ ويقال: الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة[٢].

﴿إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ حفظها وكتبها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ من خير وشر مكتوباً ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] لا ينقص حسنات أحد ولا يزيد على سيئاتهم، ويقال: لا ينقص من حسنة مؤمن، ولا يترك من سيئة كافر.

---

(١) عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وعن عَبْدِ الرَّحْمَن بْن عَوْفٍ، قَالَ: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَأَخَذَ عُودًا يَابِسًا فَحَطَّ وَرَقَهُ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، يَحُطُّ الْخَطَايَا كَمَا انْحَطَّ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ خُذْهُنَّ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ". انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني، {٣٦٢/٢}.

(٢) {ويوم نسير الجبال} تسير في الهواء ويذهب بها بأن تجعل هباء منبثا، والمعنى واذكر يوم نسير الجبال عن وجه الأرض كما نسير السحاب{وترى الأرض بارزة} أي ظاهرة ليس عليها شيء {وحشرناهم} أي جمعناهم إلى الموقف المؤمنين والكافرين {فلم يغادر} أي لم يترك منهم أحداً؛ لأن الجزاء يقضي بالإجتماع {وعرضوا على ربك} يعني المحشورين {صفا} أي مصطفين ظاهرين شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان كل أمة صف ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا، ويقال لهم {لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة} حفاة حراه فرادا لا شيء معكم {بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا} أي وقتاً لأنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور، وهذا خطاب لمنكري البعث{ووضع الكتاب} وضع كتاب كل امرئ في يمينه أو شماله {فترى المجرمين} أي المقدمين الظلم والجرائم {مشفقين} أي خائفين {مما فيه} من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة {ويقولون} لما وقفوا في الهلكة {يا ولتنا} ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلاكات {ما لهذا الكتاب لا يغادر} أي لا يترك {صغيرة} من أعمالنا {ولا كبيرة}. انظر: الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصات الكشاف، لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، {٢٧٧/٣}.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ الذين في الأرض ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ سجدة التحية، وكانت السجدة لله، وإن كانت لأجل آدم وبسببه ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ من قبيلة الجن، والاستثناء أيضاً من غير الجنس جائز، كما يقال: أطاع الجيل كلهم إلا فلاناً التركي ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فتعظم عن أمر ربه، وتمرد عن طاعته، وأبى السجود لآدم ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ تعبدونه وتطيعونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ أرباباً ﴿مِن دُونِي﴾ وذريته قبيلته وجيشه ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ ظاهر العداوة ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ المشركين مني ﴿بَدَلاً﴾ [الكهف:٥٠] في الطاعة.

ويقال: بئس ما استبدلوا عبادة الله بعبادة الشيطان.

﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ يعني الملائكة والشياطين ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ في خلق السموات والأرض حين خلقهما ﴿وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ حين خلقتهم. ويقال: ما استعنت في خلق السموات والأرض من الملائكة والشياطين.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ الكافرين اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ﴿عَضُدًا﴾[الكهف:٥١] عوناً، وفي هذا رد على المجوس وغيرهم لما يدعونه من خلقهم بعضه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ وهو يوم القيامة لعبدة الأوثان ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ عبدتم وقلتم أنهم شركائي حتى يمنعوكم من عذابي ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ فلم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين العابد والمعبود ﴿مَّوْبِقًا﴾ [الكهف:٥٢] واد في النار، وهذا على التمثيل والتوبيخ، أي لو دعوا لم ينفعهم أحد.

ويقال: وجعلنا ما كان بينهم من الوصل والود في الدنيا موبقاً مهلكاً في الآخرة(١).

---

(١) وَبَق الرجلُ يَبِقُ وَبْقاً ووبُوقاً ووَبِقَ وَبْقاً واسْتَوْبَق هلك ، وأو بقه غيره. وقال ابن الأعرابي مَوْبِقاً أي حاجزاً وكل حاجز بين شيئين فهو مَوْبِق. انظر: لسان العرب، لابن منظور، {٣٧٠/١٠}.

وعن الحسن مَوْبِقاً عداوة. والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك، كقوله: لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا. وقال الفراء: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة. ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم، وبالموبق: البرزخ البعيد، أى: وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده، لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان فَظَنُّوا فأيقنوا مُواقِعُوها مخالطوها واقعون فيها مَصْرِفاً معدلا. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٧٢٨/٢}.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿النَّارَ فَظَنُّوا﴾ فعلموا وأيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها يعني النار ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣] مهرباً.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ لأهل مكة ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل وجه من الوعد والوعيد لكي يتعظوا فيؤمنوا ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ﴾ أبي بن خلف الجمحي ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾ في الباطل ﴿جَدَلاً﴾ [الكهف:٥٤] من الإنسان. ويقال: ليس شيء أجدل من الإنسان.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أهل مكة المطعمين يوم بدر ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى﴾ محمد والقرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ يتوبوا من الكفر ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ عذاب الأولين بهلاكهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بالسيف ﴿قُبُلاً﴾ [الكهف:٥٥] معاينة يوم بدر.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَيُجَادِلُ﴾ يخاصم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالكتب والرسل ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ بالشرك ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليبطلوا ﴿بِهِ﴾ بالباطل ﴿الْحَقَّ﴾ والهدى ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ كتابي ورسلي ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ من العذاب ﴿هُزُوًا﴾ [الكهف:٥٦] سخرياً واستهزاء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ليس أحد أظلم ﴿مِمَّن ذُكِّرَ﴾ وعظ ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ﴾ فصدف ﴿عَنْهَا﴾ جاحداً لها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ترك ذكر ما عملت يداه من الذنوب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لكيلا يفقهوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً لكيلا يسمعوا الحق والهدى ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى التوحيد ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا﴾ فلم يؤمنوا ﴿أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧] وهذه آية أخرى، أخبر الله فيها عن قوم لا يؤمنون بالله لتمسكهم بالكفر، وتركهم التفكر في آيات الله حتى صار كفرهم كأنه كنان على قلوبهم، وساتر لأفئدتهم، ووقراً في آذانهم، ونسبه إلى نفسه لأنه كان لامتحانه لهم وتخليته بينهم وبينه، وتركهم طاعته، وهو على معنى التشبيه والتمثيل كما تقدم ذكره(١).

---

(١) (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا) أعْرَضَ عَنْها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر وَنَسِيَ عاقبة ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ من الكفر والمعاصي، غير مفكر فيها ولا ناظر في أنّ المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء. ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم، وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فَلَنْ يَهْتَدُوا فلا يكون منهم اهتداء البتة، كأنه محال منهم لشدة تصميمهم أبَداً مدة التكليف كلها. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٧٣٠/٢}.

ويشهد بصحته ذم الله تعالى للكفار الذين ادعوا أنه جعل في قلوبهم أكنة أن يفقهوه لكيلا يفقهوا خطاب الأنبياء عليهم السلام، فقال: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقراً﴾ الآية.

وقال: ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم[1]﴾.

ويقال: إن فيه إضماراً ها هنا، وهي حكاية قولهم حيث قالوا: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقراً ومن بيننا وبينك حجاب﴾[2].

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾ المتجاوز ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بتأخير العذاب ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ بشركهم ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ في الدنيا ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ أجل لهلاكهم ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ﴾ من عذاب الله ﴿مَوْئِلاً﴾ [الكهف:٥٨] ملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أهل القرى الماضية ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ حين كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩] أجلاً.

ثم ذكر قصة موسى مع الخضر، ويقال: جبريل عليه السلام، وهو الصحيح، وكان موسى عليه السلام وقع في قلبه أن ليس في الأرض أحد أعلم مني، فقال الله له: «إن لي في الأرض عبداً أعبد منك وأعلم منك، وهو الخضر»[3].

ويقال: هو جبريل عليه السلام وهو الصحيح.

فقال موسى: يا رب دلني عليه، فقال الله له: «خذ سمكاً مالحاً وامض على شاطئ البحر حتى تلقى صخرة عندها عين الحياة، وانضح عليها على السمكة منها حتى تحيا السمكة، فثم تلقاء الخضر[4].

---

(١) البقرة من الآية: ٨٨.

(٢) فُصِّلَت من الآية: ٥.

(٣) عن أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك قال أي رب فكيف لي به؟ فقال له احمل حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثم فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون ويقال يوسع فجعل موسى حوتا في مكتل فانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى وفتاه فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من المكتل فسقط في البحر قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق وكان للحوت سربا. أخرجه الترمذي في السنن، {٣٠٩/٥}.

(٤) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ، {٦٥٤/١}.

فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ لشاجردة يوشع بن نون، وكان من أشـراف بنـي إسرائيل، وإنما سماه فتاه لأنه كان يتبعه بالخدمة ﴿لاَ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أمضي ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح بحر فارس والروم ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠] سنين، ويقال: دهراً.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ خبر حوتهما ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١] يابساً.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ من الصخرة ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾ لشاجردة ﴿آتِنَا﴾ أعطنا ﴿غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢] تعباً ومشقة.

﴿قَالَ﴾ يوشع بن نون ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا موسى ﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ انتهينـا ﴿إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ خبر الحوت ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ وما شغلني إلا الشيطان ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ لـك ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف:٦٣] يابساً.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلب دلالة الله لنا من الله على الخضر ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾ خلفهما ﴿قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤] يقصان أثرهما.(١)

﴿فَوَجَدَا﴾ هنالك عند الصخرة ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ يعني الخضر(٢)، ويقال: جبريـل وهـو الصحيح ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥] يقول: أكرمناه بالنبوة والإسلام. ويقال: باصطفائه وتفضيله على الملائكة.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ علم الكوائن.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ أصحبك ﴿عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] صواباً وهدى.

﴿قَالَ﴾ يا موسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧] أي ترى مني أشياء لا تصـبر عليها، قال موسى: بلى أصبر.

قال الخضر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ يا موسى ﴿عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٨] لم تعلم به خبرا بياناً.

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٧٣٦/٢}

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢٩٥/٢}.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿سَتَجِدُنِي﴾ يا خضر ﴿إِن شَاءَ اللهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى منك ﴿وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩] لا أترك أمرك.

﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾ فإن صحبتني يا موسى ﴿فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ فعلته ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ﴾ أبين لك منه ﴿ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠] بياناً. ﴿فَانطَلَقَا﴾ فمضيا ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ في المعبر ﴿خَرَقَهَا﴾ ثقبها الخضر و﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ ثقبتها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ يعني لكي تغرق أهلها إن قرئت بنصب التاء، ويقال: لتغرق أهلها إن قرئت بضم التاء.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١] لقد فعلت شيئاً عجباً شديداً على القوم.

﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ يا موسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٢] لن تصبر معي.

﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ يا خضر وتركت وصيتك ﴿وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣] أي لا تكلفني من أمري شدة.

﴿فَانطَلَقَا﴾ فمضيا ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا﴾ رجلا بين قريتين ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الخضر ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يا خضر ﴿زَكِيَّةً﴾ بريئة، يعني نفساً ﴿بِغَيْرِ﴾ قتل ﴿نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤] لقد فعلت فعلاً منكراً عظيماً.

﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ يا موسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥] أي ترى مني شيئاً لا تصبر على ذلك.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِن سَأَلْتُكَ﴾ يا خضر ﴿عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي﴾ بعد قتل هذه النفس ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦] قد أعذرت مني بترك الصحبة(١).

﴿فَانطَلَقَا﴾ فمضيا ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ يقال لها: أنطاكية (٢)﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلباً من أهلها الخبز ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ أن يطعموهما الطعام ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ حائطاً مائلاً ﴿يُرِيدُ

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((رحم الله أخي موسى استحيا وقال ذلك)) وقال: ((رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب)) السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي(ت: ٣٠٣هـ)روجعت أرقام هذه النسخة على طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، باب المجلد العاشر، {١٦٥/١٠}.

(٢) مدينة يونانية تقع غربي مدينة حلب على نهر العاصي قريبا من مصبه في البحر المتوسط. أسسها القائد (سلوقوس الأول) في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وسماها باسم والده وجعلها مقر الحكم ثم اتخذها الأباطرة البيزنطيون مقرا لهم. انظر: معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت، باب الهمزة والنون {٢٦٦/١}.

﴿أَنْ يَنقَضَّ﴾ أن يسقط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ فسواه الخضر ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧] جعلاً خبزاً نأكله.

﴿قَالَ﴾ الخضر ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ يا موسى ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ سأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ﴾ تفسير ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨] ما لم تصبر عليه.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ التي ثقبتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ يغوصون فيعبرون بالناس ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أن أعيبها وأشينها ﴿وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩] فلذلك ثقبتها.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ الذي قتلته ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ من عظماء تلك القريتين ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ فعلم ربك أن يكلفهما ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠] بطغيانه وكفره معصية للحلف الكاذب فقتلته، أو بلاء ومشقة من جهته.

﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ ولداً ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ صلاحاً ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨١] أوصل رحماً، فرزق الله لهما جارية فتزوج نبي من الأنبياء فولدت نبياً من الأنبياء، وهو يونس، هدى الله على يديه أمة من الناس، وكان الغلام رجلاً كافراً قتالا ولصاً، فمن ذلك قتله الخضر، وكان اسمه جيسور(١).

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذي سويته ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ وكان اسمهما أصرم وصريم ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مدينة أنطاكية ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهب فيه علم وحكمة ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ذا أمانة، ويقال له كاشح ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أن يحتلما، ويقال: حد الرجال ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ يعني اللوح ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ نعمة من ربك لهما، ويقال: وحياً من ربك فعلته.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ من قبل نفسي ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ﴾ تفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢] ما لم تصبر عليه.

وفي تعطيل السفينة إضعاف الظالم، وقطع الأسباب التي بها يتصل إلى القوة على ظلمه، ومن ذلك بعثة الله للعبد الصالح على سفينة المساكين، الذين كانوا يعملون في

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم {٣٣٤/٨}.

البحر، فخرقها تعطيلاً منه لها على الملك الذي كان وراءهم يأخذ كل سفينة غصباً، لم تحجزه مسكنة أهل المدينة ألا يعيبها، إذ كان تركها مسلمة صلاحاً للظالم فيما يريدون من الاغتصاب، وكذلك فرغ اذنه خبر السفينة السفينة أن تسير فيه، فيما كان للظالم معونة على ظلمه من التعطيل له عليه، والحبس عنه يمثل سيرة العالم، وعيب سفينة المساكين، لأن فيه مصلحة للمسلمين، وإضعاف الفاسقين، وبفعل العبد الصالح هذه الأشياء احتج عبد الله بن عباس رحمه الله على الشامي القادم عليه للسؤال عن قتال أمير المؤمنين عليه السلام وأفعاله.

فقال: مثله كمثل علم ما خفي على غيره، وكان مأموراً به من الله عز وجل ورسوله كالعبد الصالح.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد سأله أهل مكة ﴿عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾عن خبر ذي القرنين ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٨٣]ما قرأ عليكم من خبره، ذكراً بياناً، الخبر أنه سمي ذو القرنين لأنه بلغ قرني الشمس، وقيل: إنه ضرب على قرنه الأيمن فأحياه الله، ثم ضرب قرنه الأيسر فأحياه الله[١].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ ملكناه في الأرض ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤] علماً، ويقال: معرفة الطرق والمنازل.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٥] فأخذ طريقاً.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ حيث تغرب ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ حارة[٢]، ويقال: طينة سوداء منتنة إن قرئت بغير ألف حمئة.

---

(١) روينا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أن ذا القرنين لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، أحب الله وأحبه الله، وناصح الله فنصره فضربوه على قرنه، فمكث ما شاء الله، ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر، وإنما سمي ذا القرنين لأنه المضروب على جانب رأسه على ما روينا عن أمير المؤمنين، انتهى. انظر: تفسيرالماوردى، لأبي الحسن الماوردي، {٣/٣٣٧}.

(٢) (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) يعني حارة سوداء قال ابن عباس: إذا طلعت الشمس أشد حرا منها إذا غربت. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٢/٦٠٠}.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ كفاراً ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ ألهمناه، ويقال: كان نبياً، ويقال: على لسان نبي[1].

﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾ تقتل ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف:٨٦] معروفاً تعفو عنهم وتتركهم.

ويقال: إما أن تعذبهم بالقتل لإقامتهم على الشرك، وإما أن تتخذ فيهم حسناً بأن تأمرهم فتعلمهم الهدى، وتستنقذهم من العمى.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ كفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ في الدنيا بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ بالنار ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٨٧] شديداً.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ﴾ بالله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ خالصاً ﴿فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٨] معروفاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٩] أخذ طريقاً نحو المشرق.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف:٩٠] بينهم وبين الشمس ستراً جبلاً أو شجراً، ولا ثوباً قوماً غزاة عماة عن الحق، يقال لهم: تاريس وتاويل ومنسك[2].

﴿كَذَلِكَ﴾ كما بلغ المغرب بلغ المشرق ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٩١] وقد علمناه بما كان عنده من الخبر والبيان.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٩٢] أخذ طريقاً من المشرق نحو الروم.

---

(١) وفي رواية انه الصعب بن تبع ابن الحارث ويلقب بذي القرنين. تيسير التفسير: إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ) الباب ٧١ {٣٨٣/٢} وقال الطباطبائي: غلط من ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بنى السد فإن لفظة ذو عربية، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن، وذاك رومي يوناني. تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي، مصدر الكتاب: موقع الكوثر، باب بحث روائي {٢٠٠/١٣}

(وقيل: هو ذو القرنين المذكور في القرآن) فابنه الرائد (ويسمى تبعا الأكبر) فابنه ملك يكرب فابنه أسعد الكامل. انظر: تاريخ ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت: ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، باب ذكر الطبقة الثالثة من الفرس {٣٩/١}.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ،لابن أبي حاتم، {٢٣٨٧/٧}.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ [الكهف:٩٣] قول غيرهم(١).

﴿قَالُوا﴾ بالترجمان ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ أولاد يأجوج ومأجوج ﴿مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ يفسدون أرضنا، يأكلون رطبنا، ويحملون يابستنا، ويقتلون أولادنا.

ويقال: مفسدون في الأرض، أي يأكلون الناس، ويأجوج كان رجلاً، ومأجوج كان رجلاً، وهما أخوان كانا من بني يافث. ويقال: سمي يأجوج ومأجوج لكثرتهم(٢).

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً، ويقال: أجراً إن قرئت بغير ألف. ﴿عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤] حاجزاً.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾ ما ملكني عليه ﴿رَبِّي﴾ وآتاني ﴿خَيْرٌ﴾ مما تعرضون علي من الجعل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ قالوا: وأي قوة تريد منا؟ قال لهم: الحدادين ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥]سداً(٣).

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي اعطوني فلو الحديد ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ طرفي الجبل ﴿قَالَ آتُونِي﴾ اعطوني ﴿قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦]صفراً ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ﴾ أصب على الحائط مقدم ومؤخر ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿انفُخُوا﴾ فنفخوا فيه النار ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ يقول: صار الحديد كنار، فذهب بعضه في بعض.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ فلم يقدروا ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ من أعلاه، ولم يقدروا أن يعلوه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧] من أسفله.

﴿قَالَ هَذَا﴾ الحائط ﴿رَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّي﴾ من عند ربي عليكم ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ دَكَّاء﴾ كسراً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم ﴿حَقًّا﴾ [الكهف:٩٨] صدقاً كائناً.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم الخروج، ويقال: يوم الرجوع من الردم(٤).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، {٣١/١٦}.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، {٧٤٦/٢}.

(٣) يتبين الواقع الإيماني ، أنه سخر ما مكنه الله في خدمة الناس وبدون أجر ، فالمؤمن لا يعيش لذاته ، وإنما في خدمة الناس ، فذو القرنين قدم خدمة كبيرة لقوم ليسوا من أهله ولا من شعبه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، {٣٠٢/٢}.

﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ حيث لم يقدروا الخروج بموج يحول بعضهم في بعض ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف:٩٩]. ﴿وَعَرَضْنَا﴾ كشفنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ قبل دخولهم ﴿عَرْضًا﴾ [الكهف:١٠٠]كشفاً. ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء﴾ في عمى ﴿عَن ذِكْرِي﴾ عن توحيدي وكتابي ﴿وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:١٠١] الاستماع إلى قراءة القرآن من بغض محمد صلى الله عليه وآله.

﴿أَفَحَسِبَ﴾ أفيظن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿أَن يَتَّخِذُوا﴾ يعبدوا ﴿عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء﴾ أرباباً أن تنفعهم في الدنيا والآخرة.

ويقال: أفحسب الذين كفروا، فيكفي الذين كفروا إن قرئت بضم الباء وجزم السين: ﴿أَن يَتَّخِذُوا﴾ يعبدوا ﴿عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء﴾ أرباباً.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٢]منزلاً. ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ نخبركم ﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ [الكهف:١٠٣] في الآخرة. ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ بطل عملهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ﴾ الخوارج، ويقال: أصحاب الصوامع وهم ﴿يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤]يعملون عملاً صالحاً(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث بعد الموت ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ حسناتهم ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ﴾ لأعمالهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]ميزاناً. ويقال: لا تزن أعمالهم يوم القيامة وزن الذرة. ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ وكتابي ﴿وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف:١٠٦]بمحمد صلى الله عليه وآله وغيره سخرية واستهزاء. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ صارت لهم ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ أعلاها درجة ﴿نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٧]منزلاً. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين فيها في الجنة ﴿لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف:١٠٨]تحويلاً.

---

(١) واختلفوا فيهم: قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان. {الَّذِينَ} حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء {ضَلَّ سَعْيُهُمْ} بطل عملهم واجتهادهم {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} أي عملا. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، {١١٠/٥}.

﴿قُل﴾ يا محمد لليهود ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ لعلم ربي ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ علم ربي، ويقال: تدبير ربي ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] زيادة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ آدمي مثلكم ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ جبريل ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾ يخاف ﴿لِقَاء رَبِّهِ﴾ البعث بعد الموت ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ خالصاً فيما بينه وبين ربه ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ لا يرائي ولا يخالط بعبادة ربه. ويقال: بطاعة ربه. ﴿أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] نزلت هذه الآية في جندب بن زهير الغامدي(١).

وهي كلها مكية.

تم تفسير نصف القرآن الكريم بحمد الله وإعانته وتوفيقه، فله الحمد كثيراً.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم الكتاب بحمد الله تعالى

(١) وجندب بن عبد الله بن زهير، وقيل: جندب بن زهير بن الحارث الغامدي الازدي الكوفي. قيل: له صحبة وما روى شيئا. شهد صفين مع علي أميرا، كان على الرجالة، فقتل يومئذ. وقال أبو عبيد: جندب الخير: هو جندب بن عبد الله بن ضبة، وجندب بن كعب: هو قاتل الساحر، وجندب بن عفيف، وجندب بن زهير قتل بصفين، وكان على الرجالة. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، {١٧٧/٣}.

الخاتمة

الحمد لله القائل: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)، وأشهد أن محمدا عبد اللّه ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن صحبه المنتجبين، وبعد:

أسألُ الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً له سبحانه، وأن ينفعني به وينفع به، ويغفر لي ولوالدي ولمشايخي وللمؤلف الجليل ولجميع المسلمين، إنّه قريبٌ مجيبٌ.

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ). وأخيراً أختتم دراستي ببعض من النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

توصل البحث إلى العديد من النتائج أبرزها ما يأتي:

١- السيد العلامة أبي الحسن علي بن محمد الرسي (رحمه الله) من أبرز علماء القرن الرابع الهجري عاش في الجيل والديلم، في بيئة علمية، زاخرة بفنون العلم، وهو من أقران الأخوين الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني، وكان يتصف بالسيد العلامة المفسر ترجمان علوم العترة وإنسان عيون أشرف أسرة.

٢- كتاب النور الساطع من الكتب المهمة خاصة أنه ضم بين دفتيه على المُختار من تفسير أهل البيت عليهم السلام، بدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الكهف.

٣- أسلوب المؤلف لم يكن بالمسهب الذي يجعل الكتاب مملاً ولا بالمقصر؛ إذ هو وسيط بين تفسير المقبوض والبسيط كما هو مسمى في نسخة أخرى.

٤- الكتاب مرجعاً أساسياً ومهماً للباحثين في مجال التفسير، ومختصراً مهماً لطلاب العلم.

٥- الكتاب يخلو من القصص أو ما يشبه الاساطير والاخبار الإسرائيلية.

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب علوم القرآن والتفسير

١- أحكام القرآن للشافعي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق - قدم له: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٢- أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ،ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣- أسباب نزول القرآن : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح - الدمام ، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ، باب سورة البقرة {٦٩/١}.

٥- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ط٢ المصححة ١٤٠٣ ه - ١٩٨٣ م، الباب ٣٥{٣٤٧/٣٥}

٦- بحر العلوم للسمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) .

٧- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت ،سنة الطبع: ١٤٢٠ هـ .

٨- التبيان في الناسخ والمنسوخ في القرآن المجيد: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم الصعدي (ت- ٦٤٧هـ) تحقيق: عبدا لله عبد الله بن أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م،

٩- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١ – ١٤١٦

١٠- تفسير ابن أبى حاتم: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب،

١١- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ق-٨)، دار الفكر – بيروت، ١٤٢ هـ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، باب ٣٠{٢٤٣/١}.

١٢- تفسير الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

١٣- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة ، ط١،

١٤- التفسير الحديث: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ط ١٣٨٣، هـ.

١٥- تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم ، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)،

١٦- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ،ط١ – ١٤١٩ هـ {١٣٩/١}.

١٧- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ط٣- ١٤١٩هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣ – ١٤١٩ هـ، باب الوجه الأول ، { ٢١٢٣/٧}

١٩- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

٢٠- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية،ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢١- تفسير الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٢- تفسير الماوردي (النكت والعيون): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢٣- التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر - دمشق، ط١ - ١٤٢٢ هـ ، باب سورة المائدة{١/٥٠٢}.

٢٤- تفسير سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ) تحقيق: إمتياز علي عرشي، ط١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٥- تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية ، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١، سنة ١٤١٩هـ .

٢٦- تفسير غريب القرآن: الشهيد الإمام زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، الناشر مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي،ط٢.

٢٧- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٢٨- تفسير مقاتل بن سليمان المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط١- ١٤٢٣ هـ.

٢٩- تفسير يحيى بن سلام : يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ،ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م،

٣٠- تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣١- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت: ٦٨هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان.

٣٢- التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي: الامام الحاكم ابي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي (ت:٤٩٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان السالمي ، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط١، ٢٠١٩م-١٤٤٠هـ.

٣٣- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة ،ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٣٥- الدر المنثور في التفسير بالماثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: (ت-٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر - مصر، باب المجلد الثاني.

٣٦- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت.

٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٣٨- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١-١٤٢٢ هـ.

٣٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١، - ١٤١٦ هـ .

٤٠- كتاب تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ) قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر – المدينة النبوية ، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م

٤١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت ط٢- ١٤٠٧ هـ.

٤٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابورى، القرن: الخامس، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،سنة الطبع: ١٤٢٢ هـ.

٤٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٤- لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ - ١٤١٥ هـ.

٤٥- مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، ط٧، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١م.

٤٦- مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٧- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: ١٣١٦هـ) تحقيق: محمد أمين الصناوي،دار الكتب العلمية - بيروت ،ط١- ١٤١٧ هـ.

٤٨- المصابيح الساطعة الانوار تفسير أهل البيت عليهم السلام: عبد الله بن أحمد الشرفي (ت-١٠٦٢هـ)، تحقيق محمد قاسم الهاشمي وعبد السلام الوجيه، مكتبة التراث الإسلامي، أشرف عليه السيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي - صعدة.

٤٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٥٠- معانى القرآن للأخفش: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٥١- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٢- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت ،ط١ ،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٥٤- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٥٥- الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم: الإمام المجتهد عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي (٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

٥٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت: ٨٨٥هـ) ، دارالكتاب الإسلامي، القاهرة.باب ١٤٥، {٨٢/٨}.

٥٧- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ).

٥٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ،قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

ثالثاً: كتب الحديث

١- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ) دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ،دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط٢، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢- أحاديث وحكايات للسلفي –مخطوط: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (ت: ٥٧٦هـ)، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤{٣٦} والبداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م.

٣- الاعْتِصَام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير ج١، د سعد بن عبد الله آل حميد ج٢، د هشام بن إسماعيل الصيني ج٣، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، باب الملاحق تعريف الفرق.

٤- الإنتصار على علماء الأمصار: الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني (ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق : عبد الوهاب بن علي المؤيد و علي بن احمد مفضل ، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية،ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م

٥- مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ) تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي،دار هجر – مصر ، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ، باب ما اسنده عبدالله بن مسعود {١/٢٣٣}.

٦- البخاري في الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت : ٢٥٦هـ)، دار الشعب – القاهرة، ط١ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، باب كتاب بدء الوحي {٦/٢٣٦}

٧- البيهقي في دلائل النبوة: الإمام البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ)، تحقيق : وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : الدكتور / عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث ،ط١ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م،

٨- تخريج أحاديث الإحياء: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت : ٨٠٦هـ)

٩- الترمذي في الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب فضل الفقه على العباد.

١٠- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، تحقيق: عبد الله بن حمود العزي، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية)،

١١- الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، باب سورة الأنبياء ، رقم (٣١٦٤)

١٢- درر الأحاديث النبوية بلأسانيد اليحيوية: يحي بن الحسين بن القاسم الرسي (ت-٢٩٨هـ) جمعها : القاضي العلامة عبد الله محمد بن حمزة بن أبي النجم الصعدي، تحقيق: عبد الله حمود العزي ،(مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية)

١٣- دلائل النبوة: الإمام البيهقي (٣٨٤-٤٥٨ هـ) تحقيق: وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور / عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، باب والمساكين اهل الصفة {١/١٥١}.

١٤- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط: ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي- عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٥- سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ - ١٩٩٤،تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

١٦- سنن ألترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٠٩ ، ٢٧٩ هـ)، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م، باب المجلد الخامس{٢٣/٥}وسنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت : ٢٧٥هـ)،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر

١٧- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م،

١٨- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه : حسن عبد المنعم شلبي،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط،قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م،

١٩- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، روجعت أرقام هذه النسخة على طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي.

٢٠- شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م،

٢١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي(ت : ٣٥٤هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢ ، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٢٢- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضل الشهادة

٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز،

٢٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (ت : ٩٧٥هـ) ، تحقيق : بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٥- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠.

٢٦- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-٢٠٠٠ م .

٢٧- مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط١، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، باب أخذ الحديث من الثقات .

٢٨- المغازلي في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار - صنعاء،ط١ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٩- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار - صنعاء، ط١ ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، باب ولا تقتلوا أنفسكم..

رابعاً: التراجم:

١- تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، باب من اسمه نوف.

٢- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م

٣- طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ،١٤٠٣.

٤- طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث) ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد: السيد العلامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، (ت - ١١٥٢هـ) تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية {١/٢٥٠}.

٥- الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٦- طبقات خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت: ٢٤٠هـ) رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق ٣ هـ) ، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (ت ق ٣ هـ) ،المحقق: د سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٧- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة .

٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: ١، باب محمد بن الحنفية.

٩- الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، و: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت-لبنان.

١٠- اللباب في تهذيب الأنساب: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري.

١١- المسالك والممالك: الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت: ٣٨٠هـ) جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف.

١٢- مطلع البدور ومجمع البحور: القاضي العلامة المؤرخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال (١٠٢٨-١٠٩٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الرقيب مطهر محمد حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٣- معرفة الصحابة لابن منده: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٤- المؤتَلِف والمختَلِف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ) تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م {٧٨٦/٢}.

١٥- نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م،ط١، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة، الباب السادس من القسم الخامس .

خامساً معاجم اللغة:

١- المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد(ت:٣٨٥هـ).

١- المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن - دار ابن عفان، القاهرة.

٢- المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية

٣- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، دار الهداية،

٤- تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ) نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

٥- تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٧- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ.

٩- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق:محمود خاطر،مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ - ١٩٩٥

خامساً: المراجع العامة:

١- الاربعون حديثاً: الامام روح الله الموسوي الخميني، تعريب: محمد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، (ت-٤٦٣) ، دار الجيل - بيروت ،١٤١٢، ط١، تحقق:علي محمد البجاوي ،شركة التراث.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤- الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ): تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٥- الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح: الإمام الناصر إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدي، تحقيق: السيد العلامة: عبد الرحمن بن حسين شايم، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية) باب المسألة الثالثة عشر، {١٠١} والسنة: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ،

٦- أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام: الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية،المملكة الأردنية الهاشمية، مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع)الثقافية.

٧- الاعتبار وسلوة العارفين: الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ. تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية، ط١، ٢٠٠١.

٨- الأعلام الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٩- أعلام المؤلفين الزيدية: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط٢.

١٠- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢.

١١- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، - أيار / مايو ٢٠٠٢ م. الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية: الإمام أبوطالب يحيى بن الحسين الهاروني (٣٤٠-٤٢٤هـ)، تحقيق: محمد يحي سالم عزان، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، ط١،١٣١٧هـ-١٩٩٦م.

١٢- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان: إسحاق بن الحسين المنجم (ت: ق ٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ. باب مدينة طبرستان {٦٩}.

١٣- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م،

١٤- ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين: أبو علي الحسين بن محمد الغساني (ت: ٤٩٨هـ) تحقيق: د محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار، دار الفضيلة - القاهرة – مصر.

١٥- تاريخ ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت: ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، باب ذكر الطبقة الثالثة من الفرس

١٦- تاريخ ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي.

١٧- تاريخ إربل: المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت: ٦٣٧هـ) تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر: ١٩٨٠ م، باب جعفر بن محمد الصادق.

١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- لبنان/ بيروت،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط١.

١٩- تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤٠٧.

٢٠- تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة - مصر، ط ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.

٢١- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت: ٣٦٩هـ) ، دار التراث - بيروت، ط٢- ١٣٨٧ هـ، باب كتاب المعتضد في شان بني امية

٢٢- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢٣- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٤- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م.

٢٥- تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٦- التبصرة: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الحسني. تحقيق: عبد الكريم جدبان.

٢٧- تحرير أبي طالب: الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني ، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان ، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م حقوق الطبع محفوظة للناشر،تم الصف والتحقيق والإخراج بمركز النور للدراسات والبحوث اليمنـ صعدة.

٢٨- التحرير والتنوير_ الطبعة التونسية: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور،دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٢٩- التحف شرح الزلف: الحجة المجدد للدين مجد الدين بن محمد المؤيدي (١٣٣٢هـ_١٤٢٨هـ)، صف وتحقيق: مكتبة أهل البيت (ع) ،ط٥، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٣٠- التدوين في أخبار قزوين: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٣١- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت ٤٩٩ هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م،

٣٢- تسمية من روى عن الإمام زيد بن علي عليه السلام من التابعين: الإمام الحافظ الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي (ت - ٤٤٥هـ)، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، صعدة ١٥/جمادى الثانية/١٤١٦ه،

٣٣- التقرير في شرح التحرير (فقه) في أربعة مجلدات ـ ج١ رقم ٢٣٢٩، ج٤ رقم ٢٧٤، ج ٤، ٥، ٦ برقم ١٢٠٣، ج٥ برقم ١٢٧٩ مكتبة الأوقاف الجامع الكبير، وأخرى خطت سنة ٦٣٦ه في مكتبة خاصة بصنعاء، وثلاثة مجلدات مصورة في مكتبة السيد محمد عبد العظيم الهادي. أعلام المؤلفين الزيدية: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط٢

٣٤- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، تحقيق: عبد الله بن حمود العزي، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية).

٣٥- جُرْهُم: حيٌّ من اليَمَن. نزلوا مكّة، وتزوج فيهم إسماعيلُ ع، فعصَوُا الله، وأُلحِدوا في الحَرَم فأبادهم الله.

٣٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب: مجهول (ت: بعد ٣٧٢هـ) محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١ (ت: ١٤٢٣ هـ)،

٣٧- الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسين الأمير الكبير الحافظ محدث العترة .

٣٨- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة.

٣٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ،السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) ، السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، صورتها عدة دور منها- دار الكتاب العربي- بيروت- دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

٤١- ودائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان -بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٢- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ) ،اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ،ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ،

٤٣- الرَّوْضُ البَاسمْ في الذَّبِّ عَنْ سُنَّةِ أَبي القَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ - (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني): ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (ت: ٨٤٠هـ) تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .

٤٤- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبيرت: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ،عام النشر: ١٢٨٥ هـ ، باب سورة البقرة {١١١/١}.

٤٥- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد [ت: ٢١٣هـ]، تحقق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١١، باب حج أبي بكر

٤٦- الشمائل الشريفة: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حقيق : حسن بن عبيد باحبيشي ،دار النشر : دار طائر العلم للنشر والتوزيع.

٤٧- العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين: الإمام الأعظم، والطود الشامخ الأشم، المنصور بالله أميرالمؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان (سلام الله عليه ورضوانه) تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه.

٤٨- عهد الامام علي لمالك الأشتر. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٩- فوائد أبي علي بن فضالة: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة (رافضي جلد) (ت: ٤٢٠هـ) ،مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ،ط١، ٢٠٠٤م.

٥٠- الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين: الفقيه العزي محمد بن يحيى مداعس، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ص.ب. ١١٣٥، عمان ١١٨٢١، المملكة الأردنية الهاشمية.

٥١- كتاب الأحكام في الحلال والحرام: للإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ت:٢٩٨هـ) جمع وترتيب أبي الحسن علي بن الحسن بن أحمد بن أبي حريصة، تحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٥٢- كتاب التجريد: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الهاروني الحسني (٣٤٠هـ - ٤٢٤هـ) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

٥٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م ، باب سورة المائدة

٥٤- مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام: الإمام القاسم بن محمد عليه السلام (٩٦٧-١٠٢٩هـ) القسم الأول، تحقيق: محمد قاسم محمد المتوكل، اشراف ذ/عبد السلام الوجيه، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٥- مجموع السيد حميدان: السيد الامام جامع علوم الآل وماحي رسوم الضلال أبي عبد الله حميدان بن يحي القاسمي. تحقيق أحمد حسن علي الحمزي وهادي حسن هادي الحمزي، تقديم الامام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، منشورات مركز اهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٦- المجموع المنصوري الجزء الثاني (القسم الأول): الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان (ت- ٦١٤هـ) من إصدارات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

٥٧- مجموع رسائل الإمام الأعظم أميرالمؤمنين: زيد بن علي عليهم، جمع وتحقيق إبراهيم يحي الدرسي الحمزي ، تقديم شيخ الإسلام وامام اهل البيت الكرام مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي، منشورات أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، اليمن- صعدة ،ط١.

٥٨- مجموع رسائل الامام الهادي إلى الحق القويم يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام (الرسائل الأصولية) تحقيق عبد الله بن محمد الشاذلي تقديم السيد العلامة المجتهد أبي الحسنين مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .

٥٩- مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم (١٦٩-٢٤٦هـ): دراسة وتحقيق عبد الكريم جدبان، دار الحكمة اليمانية، ط١٢٢،١هـ-٢٠٠١م، مسائل القاسم {٦١١/٢}.

٦٠- مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله: الحسين بن القاسم العياني، تحقيق إبراهيم يحي الدرسي الحمزي، منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية- اليمن صعدة،

٦١- المحبر: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٦٢- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، باب قسطنطينية .

٦٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣ هـ

٦٤- مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن: الأستاذ عبد السلام عباس الوجيه، (مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية).

٦٥- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣، باب الصلاةعلى الطرق.

٦٦- المعارف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م، باب نافع المدني.

٦٧- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت.

٦٨- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢،

٦٩- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) ، دار الساقي، ط٤ -١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م،

٧٠- مقاتل الطالبيين مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني (٢٨٤ - ٣٥٦هـ)، قدم له وأشرف على طبعه كاظم المظفر، ط٢، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم - إيران منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف.

فهرس المحتويات